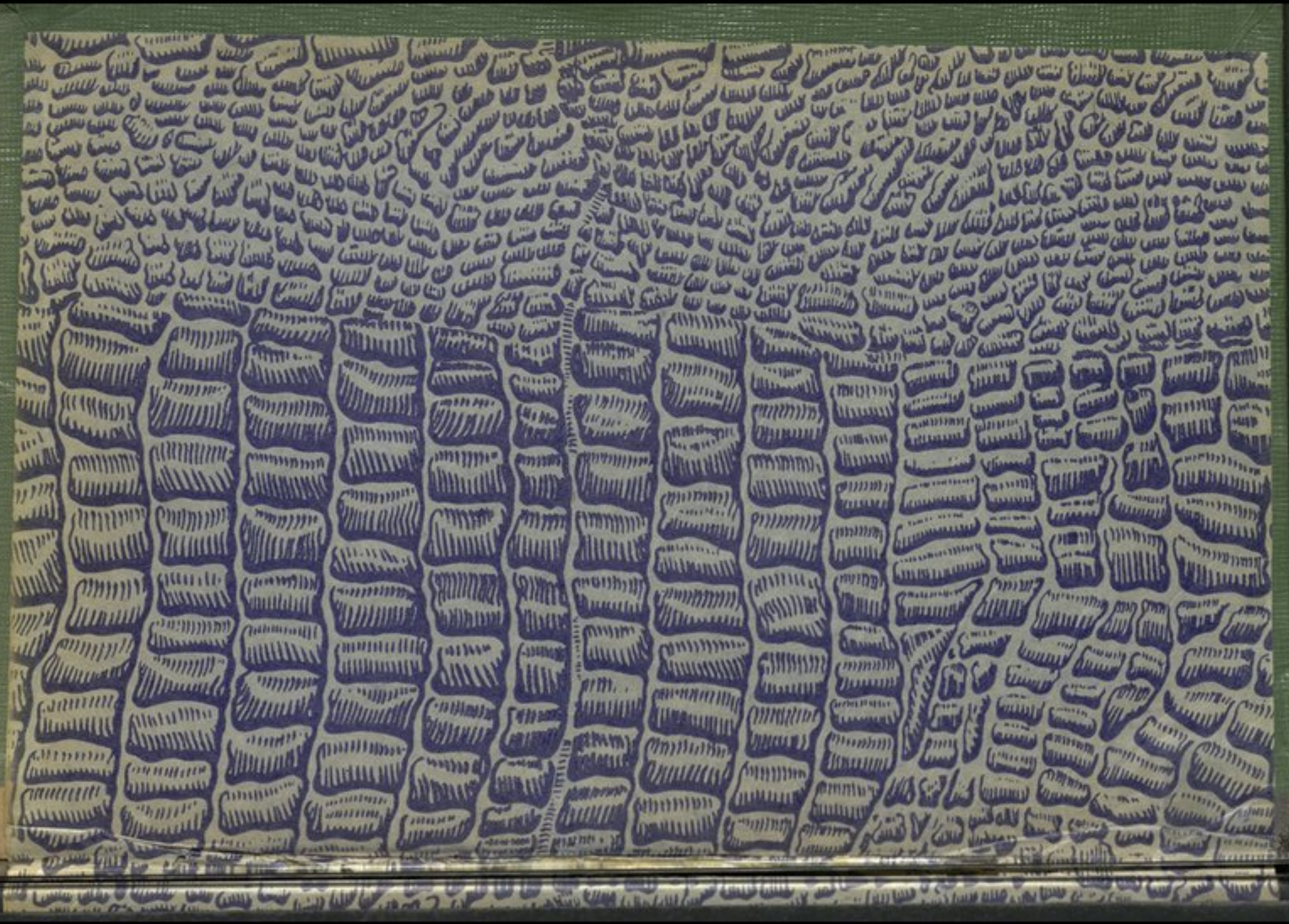

[redacted]

V.3-4

ابن علان الصديقي ، محمد علي بن محمد

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين .

18. 1. 80 76-0551

[redacted]

J. LIB
31 JAN 1980



297.08
N32-LA
v. 3-4

كتاب

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

العالم العلامة مفسر كلام الله تعالى وخادم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ رحمه الله تعالى

« وقد وضع »

بأعلى كل صفحة مايخصها من كتاب « رياض الصالحين » للامام الرباني العارف
بالله تعالى شيخ الاسلام والمسلمين وملاذ الفقهاء والمحدثين أبي زكريا يحيى محيي
الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ تغمده الله تعالى برحمته

الجزء الثالث

يطلب من مكتبة
محمود توفيق
الكتبي بشارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقا)

مطبعة حجازي بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

باب تعظيم حرمات المسلمين

وبيانِ حقوقهم والشفقةِ عليهم ورحمتهم

قال الله تعالى «ومن يُعَظِّمْ حُرُماتِ الله فهو خيرٌ له عند ربه» وقال تعالى : « ومن يعظمْ شعائرَ الله فانها من تقْوَى القلوب » وقال تعالى « واخفض جناحك للمؤمنين » * وقال تعالى « مَن قَتَل نفساً بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا

(باب تعظيم حرمات) بضمتين جمع حرمة بضم فسكون وهى ما لا يحل انتهاكه من أهل ومال (المسلمين وبيان حقوقهم) على اخوانهم المسلمين (والشفقة) معطوف على تعظيم ويصح عطفه على حرمات أو حقوق (عليهم والرحمة) عطف تفسير (بهم قال الله تعالى ومن يعظم حرمات الله) أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه ، أو المراد به الحرم ، أو ما يتعلق به الحج من التكاليف (فهو) أى فالتعظيم (خير) أى قربة وزيادة فى الطاعة (له عند ربه) ثم قيل الظاهر أن خير اهنا ليس أفعل تفضيل (وقال تعالى ومن يعظم شعائر الله) دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لانها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده ، وعليه فتعظيمها ان يختار سمانا غالية الاثمان * « روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى أنفه برة من ذهب ، وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار » (فانها من تقوى القلوب) أى فان تعظيمها منه من أفعال ذوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من ، وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والامرة بهما (وقال تعالى) مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقال تعالى من قتل نفسا بغير نفس) أى بغير نفس توجب القصاص (أو) بغير (فساد فى الارض) كالشرك وقطع الطريق وثبت بالسنة رجم الزاني المحصن وقتل تارك الصلاة (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث إنه هتك حرمة الدماء

ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه » متفق عليه . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مرّ فى شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها

وسن القتل وجرأ الناس عليه ، أو من حيث إن قتل الواحد وقتل الجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم (ومن أحياها) أى تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة (فكأنما أحيا الناس جميعا) أى كأنه فعل ذلك بهم جميعا والمطلوب منه تعظيم قتل النفس واحياءها فى القلوب ترهيبا من التعريض لها وترغيبا فى المجافاة لها

(وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله قال قال رسول الله ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان) فالمؤمن مبتدأ وقوله كالبنيان خبره وقوله للمؤمن يصح كونه حالا من المبتدا أو صفة له لان أل فيه جنسية وقوله (يشد بعضهم بعضا) جملة استئنافية لبيان وجه الشبه قال القرطبي هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن و نصرته وان ذلك أمر متأكد لابد منه فان البناء لا يتم ولا تحصل فائدته الا بأن يكون بعضه يمسك بعضا ويقويه وان لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه ، وكذا المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه الا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته فان لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه وعن مقاومة مضاده ، فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين ويلحق بالهالكين (وشبك) يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكون الراوى (بين أصابعه) وذلك تقريب لوجه التشبيه وبيان للتداخل (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الصلاة والادب ومسلم فى الادب من صحيحها ورواه الترمذى فى الزهد وقال صحيح غريب من حديث أبى موسى والنسائى فى الايمان (وعنه) أى أبى موسى (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من مر فى شيء من مساجدنا أو أسواقنا) قال الحافظ ابن حجر هو تنويع من الشارع وليس شكا من الراوى (ومعه نبل) جملة فى محل الحال من فاعل مر ، والنبل بفتح النون وسكون الموحدة ، السهام العربية وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها (فليمسك أو) شك من الراوى (ليقبض) بكسر اللام للامر أيضا (على نصالها) قيل على فيه بمعنى الباء وقيل

بكفه أن يصيبَ أحدا من المسلمين منها شيء » متفق عليه * وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى »

ضمن العامل معنى الاستعلاء للمبالغة والنصال بكسر النون وبالمهملة ، الحديدة التى فى رأس السهم (بكفه) متعلق بيمسك أو يقبض مخافة (ان يصيب أحدا من المسلمين منها) أى بسبب النصال فمن تعليلية (شيء) فيتأذى به (متفق عليه) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة ومسلم فى الادب ورواه أبو داود فى الجهاد وابن ماجه فى الادب كذا فى الاطراف للمزى * (وعن النعمان) بضم النون وسكون العين المهملة (ابن بشير) بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة وسكون التحتية (رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل) بفتح أوليه ويقال فيه مثل ومثيل ومثلها شبه وشبه وشبيه أى صفة (المؤمنين) وفى نسخة المسلمين والذى فى الصحيحين المؤمنين أى الكاملين الايمان كما قال ابن أبى جمرة (فى توادهم) بتشديد الدال والاصل تواددهم فأدغم والتوادد تفاعل من المودة وهى تقرب شخص من آخر بما يحب قال القرطبى ووقع فى رواية توادهم بغير فى ويصح ذلك ويكون مخفوضا على أنه بدل اشتمال من المؤمنين (وتراحمهم وتعاطفهم) قال ابن أبى جمرة الذى يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وان كانت متقاربة فى المعنى لكن بينها فرق لطيف ، فالتراحم المراد به أن يرحم بعضهم بعضا باخوة الايمان لا بسبب شيء آخر ، والتوادد المراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادى ، والتعاطف المراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه اه ملخصا (مثل الجسد) أى بالنسبة الى جميع أعضائه ووجه الشبه فيه التوافق فى التعب والراحة كما بينه بقوله (إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد) أى دعى باقيه بعضه الى بعض الى المشاركة فى الألم يقال تداعت الحيطان أى تساقطت أو كادت (بالسهر والحمى) الظرف متعلق بتداعى وتداعيه بالسهر لأن الألم يمنع النوم وأما الحمى فلأن فقد النوم يثيرها ، والحمى بضم المهملة وتشديد الميم عرفها حذاق الأطباء بأنها حرارة غريبة تشتعل فى القلب فتنبث منه فى جميع

متفق عليه * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قَبَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم الحسنَ بنَ على رضى الله عنهما وعنده الأقرعُ بن حابسٍ فقال الأقرع إن لى عشرةً من الوَلد ما قبَّلْتُ منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من لا يَرحم

البدن فيشتعل اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية قال ابن أبي جمرة شبه ﷺ الايمان بالجسد وأهله بالأعضاء لأن الايمان أصل وفروعه التكاليف فاذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الاخلال الأصل ، وذلك الجسد أصل كالشجر وأعضاؤه كالأغصان فاذا اشتكى عضو من الجسد اشتكت الأعضاء كلها بالاهتزاز والاضطراب اه قال القاضى عياض وفى الحديث تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا (متفق عليه) (١) وفى رواية لمسلم عن النعمان مرفوعا « المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله » (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قبل النبي ﷺ سبطه) وريحانته (الحسن بن على رضى الله عنهما) وجملة (وعنده الأقرع بن حابس) فى محل الحال من فاعل قبل واسم الأقرع فراس ولقب بذلك لقرع كان فى رأسه وهو تميمى كان شريفا فى الجاهلية والاسلام شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا وحصار الطائف قال فى فتح البارى وهو من المؤلفة وممن حسن اسلامه (فقال الاقرع إن لى عشرة من الولد) بفتحتين أو بضم فسكون (ما قبلت أحداً منهم) وذلك لما فى أهل البادية من الغلظ والجفاء كما فى الحديث « من بدا فقد جفا » (فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعجبا من تلك الغلظة الناشىء عنها عدم الشفقة على الاولاد الناشىء عنها عدم تقبيلهم وحملهم وشمهم (فقال) عقب نظره اليه (من لا يرحم) بالبناء للفاعل وحذف المفعول للتعميم أو كنى به عن الفعل مع مفعوله أى من لا يرحم الناس ويقرب من هذا المعنى رواية جابر « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » قاله الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق لكن الحديث سيأتى عن جرير ولعل قوله عن

---

(١) فرواه البخارى فى كتاب الأدب عن أبي نعيم ومسلم فى البر والصلة عن ابن نمير وابن أبي شيبة والاشج . ع

لا يُرحم »

جابر من الكاتب أو من باب تنزيل المتعدى منزلة اللازم نحو فلان يعطى ويمنع أى موصوف بتينك الصفتين أى من لا رحمة عنده (لا يرحم) بالبناء للمفعول أى لا يرحمه الله قال فى فتح البارى هو بالرفع فيهما على الخبر قال عياض هو الاكثر * وقال أبو البقاء من موصولة ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ مجزوما قال السهيلى جعله على الخبر أشبه بسياق الكلام أى الذى يفعل هذا الفعل لا يرحم ولو كانت شرطية لكان فى الكلام بعض انقطاع لان الشرط وجوابه كلام مستأنف « قلت » وهو أولى من وجه آخر لانه يصير كضرب المثل ورجح بعضهم كونها موصولة لكون الشرط إذا عقبه نفى ينفى بلم لا بلا كقوله « ومن لم يؤمن » وان كان الآخر جائزا كقول زهير « ومن لا يظلم الناس يظلم » وهذا لا يقتضى ترجيحا إذا كان المقام لائقا بكونها شرطية وأجاز بعض شراح المشارق رفع الجزأين وجزمهما ورفع الاول وجزم الثانى أو عكسه ويحصل منه أربعة أوجه استبعد ثالثها ووجه بأن يكون فى الثانى بمعنى النهى أى من لا يرحم الناس لا ترحموه وتقدير الرابع من لا يكون من أهل الرحمة فانه لا يرحم اه ملخصا من الفتح * وشارح المشارق المشار اليه هو الشيخ أكمل الدين وعبارته : روى بالسكون والرفع أما السكون فيهما فعلى الشرط والجزاء وأما الرفع فى الاول فيجعل من موصولة وكذا فى الثانى أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فهو لا يرحم ، اه وفاته ذكر الوجه الثالث ومعنى هاتين الجملتين قال ابن أبى جمرة يحتمل أن يكون من لا يرحم غيره بأى نوع من أنواع الاحسان لا يحصل له هذا الثواب كما قال تعالى « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » ويحتمل أن يكون المراد من لا تكون فيه رحمة الايمان فى الدنيا لا يرحم فى الآخرة ، أو من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لا يرحمه الله لأنه ليس عنده عهد فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال والثانية بمعنى الجزاء أى لا ينال إلا من عمل صالحا ، ويحتمل أن تكون الأولى الصدقة والثانية البلاء أى لا يسلم من البلاء إلا من تصدق ، أو من لا يرحم الرحمة التى ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقا ، أو لا ينظر الله بعين الرحمة إلا إلى من جعل فى قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحا اه ملخصا * قال وينبغى للمرء أن يتفقد نفسه فى هذه الأوجه كلها فيما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى فى الاعانة عليه اه * وفى جواب النبى

متفق عليه * وعن عائشة رضى الله عنها قالت « قَدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا أتقبّلون صبيانكم ؟ فقالوا

صلى الله عليه وسلم للأقرع إشارة إلى أن تقبيل الولد وغيره من الأهل والمحارم والأجانب إنما يكون للشفقة والرحمة لا للشهوة واللذة وكذا الضم والمعانقة والشم (متفق عليه) قال فى الجامع الصغير : ورواه أحمد وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة ورواه الشيخان عن جرير * وروى أحمد والشيخان والترمذى عن جرير « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » ورواه بهذا اللفظ أحمد والترمذى من حديث أبى سعيد ورواه الطبرانى بلفظ « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » عن جرير ، ورواه أحمد بلفظ « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له » عن جرير ، ورواه بهذا اللفظ الطبرانى عن جرير وزاد « ومن لا يتب لا يتب عليه » اه (وعن عائشة رضى الله عنها قالت قدم) بكسر الدال المهملة (ناس) اسم جنس قيل أصله أناس بضم الهمزة فحذفت حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يجمع بينهما وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال فى أبنية الجمع ، وتقدم عن البيضاوى فى التفسير أنه مأخوذ من أنس كفرح لأنهم يأنسون بأمثالهم أو أنس كضرب لأنهم ظاهرون مبصرون ولذا سموا بشراً كما سمى الجن جناً لاجتنانهم اه وقيل قلب من نسى ، وقيل بل أصله ناس ينوس إذا اضطرب ، وكان تعويض أل عن الهمزة ليس على وجه اللزوم فلذا قالته الفصيحة بالتنكير وأل فيه إذا عرف للجنس * وهؤلاء الناس يحتمل أن يكونوا من بنى تميم الذين رئيسهم الأقرع فيكون الحديث وما قبله فى قصة واحدة ويحتمل أنهما قصتان (من الاعراب) هم سكان البوادى ، وفى نسخة من العرب وهم ولد اسماعيل (على رسول الله ﷺ) وفى رواية البخارى جاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل قال شيخ الاسلام زكريا نقلا عن الحافظ يحتمل كونه الأقرع « قلت » وحكى المصنف فى مبهماته عن الخطيب قولا أنه عيينة بن حصن قال وقد جاء فى الصحيحين التصريح بأنه الأقرع فان صح عن عيينة أيضاً فهما قصتان اه (فقالوا) وقد رأوا المسلمين يقبلون صغارهم (أتقبلون صبيانكم) بكسر الصاد وضمها جمع صبي ويجمع على صبية كما فى الصحاح وفى رواية البخارى السابقة ، تقبلون . بتقدير ألف الاستفهام (فقالوا) أى المسلمون وفى نسخة فقال أى النبى

نعم : قالوا . لكنا والله ما نقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَ أملكُ أن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة » متفق عليه * وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله »

صلى الله عليه وسلم (نعم ، قالوا) أى الاعراب أو العرب (لكنا) استدراك من قولهم نعم من حيث إن الجنس واحد وأنهم بشر فربما يتوهم أنهم كذلك فقالوا لكنا (والله مانقبل) من حذف المفعول للتعميم أى صغارنا أو من تنزيل المتعدى منزلة اللازم نحو « هل يستوى الذين يعلمون »(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أملك) بالهمزة للاستفهام الانكارى وهو بفتح الواو العاطفة على مقدر بعد الهمزة على رأى الزمخشرى وقيل إن الهمزة من جملة المعطوف وأن الواو مؤخرة من تقديم لصدارة الهمزة والتقدير على الاول . أتنزع الرحمة من قلبك وأملك أى أقدر أن أجعلها فى قلبك ، ففعول أملك محذوف وقوله (إن نزع الله منكم الرحمة) بفتح الهمزة تقليل لذلك أى لا أملك وضعها فى قلوبكم لان الله نزعها منكم * وأشار صاحب المفاتيح إلى كون أن بفتح الهمزة ومدخولها مفعول أملك على تقدير مضاف أو أملك عدم نزع الله منكم الرحمة أى لان ما نزعه الله تعالى لا يقدر أحد على وضعه ، قال العاقولى ويجوز كسر الهمزة على أن إن أداة شرط جزاؤها محذوف لدلالة الكلام السابق عليه أى إن نزع الله الرحمة من قلبكم فلا أملك لكم دفعه ومنعه (متفق عليه) وهذا لفظ مسلم * وهذا الحديث اقتصر المزى على عزوه للبخارى فقط مع أنه بهذا اللفظ لمسلم فى كتاب فضائل الأنبياء ، وأما البخارى فرواه فى كتاب الأدب بنحوه * (وعن جرير بن عبد الله) البجلى (رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم الناس) خصوا بالذكر اهتماما بهم وإلا فالرحمة مطلوبة لسائر المخلوقات حتى الدواب والبهائم ففى كل كبد حرا رطبة أجر (لا يرحمه الله) قال العاقولى الرحمة بمعنى التعطف والرقة فهى من الخلق بالمعنى الحقيقى ومن الله بالمعنى الغائى وهو الرضى عنه وإيصال النعم اليه * قال الدمامينى فى مصابيح الجامع الصحيح : اعلم انه يجوز عند المتكلمين فى تأويل مالا يسوغ نسبته الى الله تعالى على حقيقته اللغوية وجهان « أحدهما » الحمل على الارادة

متفق عليه * وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صلى أحدكم للناس فليخفف

فيكون من صفات الذات « والآخر » الحمل على فعل الاكرام فيكون من صفات الافعال كالرحمة فانها فى اللغة مشتقة من الرحم وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلى وهذا مستحيل فى حق البارى فمنهم من يحملها على ارادة الخير ومنهم من يحملها على فعله ثم بعد ذلك يتعين أحد التأويلين فى بعض السياقات لمانع يمنع الآخر كحديث « خلق الله الرحمة يوم خلقها » فيتعين تأويل الرحمة بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الأشعرى فيتسلط عليها الخلق ولا يصح تأويلها فيه بالارادة لأنها إذ ذاك من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالارادة فى قوله تعالى « لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » لأنك لو حملتها على الفعل لكان العصمة بعينها فيكون استثناء الشيء من نفسه وكأنك قلت : لا عاصم إلا العاصم . فتكون الرحمة الارادة والعصمة على بابها الفعل المنع من المكروهات كأنه قال لايمنع المحذور إلا من أراد له السلامة فتأمل . اهـ (متفق عليه) اقتصر المزى فى الاطراف على عزوه بهذا اللفظ عن جرير الى مسلم والترمذى قال وقال الترمذى حسن صحيح وتقدم تخريجه عن الصحيحين وغيرهما فى الكلام على حديث أبى هريرة نقلا عن الجامع الصغير * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم) إماماً (للناس) وفى رواية مسلم « إذا أم أحدكم » (فليخفف) بأن يقتصر على أواسط المفصل وصغاره وفى التسبيح فى الركوع والسجود على ثلاث مرات ويأتى بكمال التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا فى امام العامة أما إمام قوم محصورين لم يتعلق بعينهم حق راضين بالتطويل فى مسجد لا يطرقهم غيرهم فلا بأس به (١) ومحل

---

(١) قوله فلا بأس به كذا فى فتح البارى ونقل ابن حجر فى التحفة عن المجموع عن جمع ندب التطويل حينئذ قال واعتمده جمع متأخرون وعليه تحمل الأخبار الصحيحة فى تطويله صلى الله عليه وسلم أحيانا أما إذا انتفى شرط مما ذكر فيكره له التطويل وإن أذن ذو الحق السابق فى الجماعة لأن الاذن فيها لا يستلزم الاذن فى التطويل فاحتيج للنص فيه اهـ منه

فان فيهم الضعيفَ والسقيمَ والكبيرَ ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فَليطوّلْ ماشاء » متفق عليه * وفى رواية « وذا الحاجة » وعن عائشة رضى الله عنها قالت « ان كانَ رسولُ الله صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ العملَ وهُوَ يُحب أن يَعمل به

ذلك أيضا فى غير ما لم يرد فيه قراءة سورة معينة وإلا كـ«الم تنزيل» و«هل أتى» فى صبح الجمعة ، و«ق واقتربت» فى العيد، ونحو ذلك فيأتى به وان لم يرض القوم اكتفاء بوروده من فعله صلى الله عليه وسلم قال ابن دقيق العيد التخفيف والتطويل من الأمور الاضافية فقد يكون الشىء خفيفا بالنسبة الى عادة قوم طويلا بالنسبة الى عادة قوم آخرين * وقول الفقهاء ، لا يزيد الامام على ثلاث تسبيحات فى الركوع والسجود ، لا يخالف ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يزيد على ذلك لأن رغبة الصحابة فى الخير تقتضى ألا يكون ذلك تطويلا قال الحافظ بن حجر وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذى أخرجه أبو داود والنسائى عن عثمان بن أبى العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له «أنت إمام قومك ، واقدر القوم بأضعفهم » اسناده حسن وأصله فى مسلم (فان فيهم الضعيف) أى فى خلقته كالنحيف (والسقيم) من به مرض (والكبير) أى فى السن والجملة تعليل للأمر المذكور وقضيته انه متى لم يكن فيهم متصف بصفة من المذكورات لم يضر التطويل لكن قال ابن سيد الناس اليعمرى ، الأحكام انما تناط بالغالب لا بالصور النادرة فينبغى للأئمة التخفيف مطلقا قال وهذا كما شرع القصر فى صلاة السفر وعلل بالمشقة وهى مع ذلك تشرع وإن لم يشق عملا بالغالب لأنه لا يدرى ما يطرأ عليه وكذلك هنا (وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء) ولمسلم « فليصل كيف شاء » أى مخففا أو مطولا (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذى الى قوله والكبير ، وفى الجامع الصغير من حديث أبى واقد (كان صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه) رواه أحمد (وفى رواية) أى فى الصحيحين وهى عند أبى داود أيضا (وذا الحاجة) أى صاحب حاجة يريد قضاءها عقب الصلاة * (وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان) مخففة من الثقيلة أى أنه (كان رسول الله ﷺ) من كمال شفقته على أمته (ليدع) أى يترك (العمل) واللام هى الفارقة بين المخففة وإن النافية وجملة (وهو يحب أن يعمل به) فى محل الحال ومحبته

خشيةَ أن يَعمل به النَّاسُ فيُفرضَ عَلَيهم » متفق عليه . وعنها رضى الله عنها قالت « نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الوِصال رحمةً لهم فقالوا إنّك تواصل ، قال إنى لستُ كهيئتكم إنى أبيت يطعمنى ربى ويَسْقينى » متفق عليه . معناه يَجْعَلُ فىَّ قوةَ من أكلَ وشرِبَ

للعمل لما فيه من التقرب الى الله عز وجل والتوسل الى زيادة مراضيه وقوله (خشية) مفعول أى خوف (أن يعمل به الناس) اتباعاله إذا فعله وهم مقتدون به فى سائر الأحوال (فيفرض عليهم) ومن ذلك تركه الخروج الى القوم لصلاة الليل جماعة فى الليلة الثالثة أو الرابعة من رمضان حتى طلع الفجر فخرج عليهم وقال « مامنعنى إلا خشية أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها » (متفق عليه وعنها) أى عائشة (قالت نهاهم) أى الصحابة (النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال) وهو أن لا يتناول مفطرا بين الصومين وقيل استدامة أحوال الصائم فعلى الثانى يخرج من الوصال بالجماع والتقيؤ دون الاول ، والنهى فيه عندنا للتحريم (رحمة لهم) علة للنهى ولا يمنع من كونه على وجه التحريم ويكون سبب التحريم الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا مايشق عليهم (فقالوا انك تواصل) أى وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر تفعل ذلك تقربا الى الله فنحن لكوننا لسنا معصومين أولى بفعل ما يكتسب به غفر الذنوب والتوسل الى مرضات الله تعالى (قال) مبينا لاختصاص قربة الوصال به (إنى لست كهيئتكم) أى على صفتكم ومنزلتكم من الله أى ان له صلى الله عليه وسلم من القرب من الله تعالى وعلو المنزلة عنده ما ليس لهم « وفى رواية للبخارى « وأيكم مثلى » وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد (انى يطعمنى) بضم أوله (ربى ويسقينى) يجوز فتح أوله وضمه من سقى وأسقى الا أن تصح رواية بأحدهما فيرجع اليها (متفق عليه) أخرجه مسلم فى كتاب الصوم وكذا البخارى فيه وفى غيره ورواه مالك والنسائى (معناه) أى المعنى المراد من قوله يطعمنى الخ (يجعل فى) بتشديد الياء (قوة من أكل وشرب) كذا قاله الجمهور فهو مجاز من ذكر الملزوم وارادة اللازم أى يجعل فى القوة المذكورة ويفيض على ما يسد مسد الطعام والشراب والقوة على أنواع الطاعات من غير ضعف فى القوة ولا كلال فى الاحساس وقيل : المعنى على المجاز أيضا أنه يجعل فيه من الشبع

وعن أبي قتادة الحارث بن رِبعيّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأقومُ إلى الصلاةِ وأريد أن أطوّلَ فيها فأسمع بكاء الصبي

والرى ما يغنى عن الطعام والشراب فلا يحس بجوع ولا عطش . والفرق بين القولين أنه على الأول يعطى القوة من غير شبع ولا رى وعلى الثانى يعطى القوة مع ذلك ورجح الاول بأن الثانى ينافى حال الصائم ويفوت المقصود من الصيام والوصال لأن الجوع روح هذه العبادة بخصوصها ، قال القرطبي ويبعده أيضا النظر الى حاله صلى الله عليه وسلم فانه كان يجوع أكثر مما كان يشبع ويربط على بطنه الحجارة من الجوع ، وجنح ابن القيم الى أن المراد أنه يشغله بالتفكر فى عظمته والتحلى بمشاهدته والتغذى بمعارفه وقرة العين بمحبته والاستغراق فى مناجاته والاقبال عليه عن الطعام والشراب قال وقد يكون هذا الغذاء أعظم من غذاء الاجساد ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الجسمانى اه وقيل . إن المراد منه حقيقته فانه كان يؤتى بطعام وشراب من الجنة كرامة له وذلك لا يفطره لان المفطر طعام الدنيا اما طعام الجنة أى المأتى على وجه المعجزة فلا وبه يرد رد المصنف بقوله لو كان حقيقة لم يكن مواصلا . قال ابن المنير هو محمول على أن أكله فى تلك الحالة كحال النائم الذى يحصل الشبع والرى ويستمر له حتى يستيقظ فلا يبطل به صومه ولا ينقطع وصاله ولا ينقص أجره ، قال الحافظ وحاصله أن يحمل ذلك على حالة استغراقه فى أحواله الشريفة حتى لا يؤثر فيه حينئذ شىء من الاحوال البشرية اه وقيل انه كان يؤتى به فى النوم فيستيقظ وهو يجد الشبع والرى (وعن أبى قتادة الحارث بن ربعى) الانصارى (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاقوم الى الصلاة وأريد أن أطول فيها) جملة حالية من فاعل أقوم أو معطوفة على جملة لاقوم ، وإرادته التطويل فيها لما يناله من قرة عينه بمناجاته ربه ولذيذ أنسه به كما قال « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » هذا هو الاصح وان احتمل أن المراد ماقاله ابن فورك من أن تلك الصلاة هى قوله « ان الله وملائكته يصلون على النبي » ذكره الشنوانى فى حاشية شرح خطبة مختصر خليل للقانى (فأسمع بكاء الطفل) قال فى الصحاح الطفل هو المولود قال البدر الدمامينى فى تحفة الغريب على مغنى اللبيب وقد كنت وقفت على فصل

فأتجوّز فى صلاتى كراهيةَ أن أشقَّ على أمّه » رواه البخارى . وعن جُنْدُب بن عبد الله رضى الله عنه

لبعض اللغويين ذكر فيه صفات الانسان التى يختص باطلاقها عليه بحسب الازمنة المختلفة فقلت ناظما لها :

أصخ لصفات الآدمى وضبطها ... لتلقط درّاً تقتنيه بديعا
جنين اذا ما كان فى بطن أمه ... ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا
وان فطموه فالغلام لسبعة ... كذا يافع للعشر قله مطيعا
الى خمس عشر بالحزور سمه ... لتحسن فيما تنتحيه صنيعا
فمد الى خمس وعشرين حجة ... بذاك دعاه الفاضلون جميعا
ومن بعد يدعى بالعطيطل لانتها ... ثلاثين فاحفظ لاتعد مضيعا
صمل لحد الاربعين وبعده ... بكهل الى الخمسين فادع سميعا
وشيخاً الى حد الثمانين فادعه ... بها ثم هما للمات سريعا

قال الحافظ بن حجر فى أواخر كتاب الهبة من الفتح يطلق على الشخص قبل البلوغ انه طفل وغلام وتخصيص بعض اللغويين بما ذكر أغلبي (فأتجوز) أى أخفف (فى صلاتى) بين مسلم فى رواية له عن أنس محل التخفيف منها ولفظه « فيقرأ بالسورة القصيرة » وبين ابن أبى شيبه من حديث عبد الرحمن بن سابط مقدارها ولفظه ، « انه قرأ فى الركعة الاولى سورة طويلة فسمع بكاء صبي فقرأ فى الثانية بثلاث آيات » وهذا مرسل (كراهية) بتخفيف الياء مصدر كره وهو مفعول له أى لكراهة (أن أشق على أمه) بدوامها فى الصلاة لتطويلها مع بكاء ابنها وذكر الام خرج مخرج الغالب والاثم فى معناها ملحق بها . والتخفيف السابق فى حديث أبى هريرة لحق المأمومين وفى هذا لمصلحة غير المأمومين لكن بحيث يتعلق بمن يرجع اليه ، وفى الحديث شفقته صلى الله عليه وسلم على الصحابة ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير (رواه البخارى) فى كتاب الصلاة وكذا رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه (وعن) أبى عبد الله (جندب) بضم الجيم والمهملة وبفتحها (ابن عبد الله) وابن سفيان البجلى العلقى (رضى الله عنه) وعلقة ، بفتح المهملة واللام ، بطن من بجيلة له صحبة ليست بالقديمة وقال فى المشكاة جندب القسرى ، بفتح أوليه قال وفى بعض

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة الصبح فهو فى ذِمَّـة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء فإنه من يَطلبْهُ من ذمتِه بشىء ، يدْرِكهُ ثم يَكبُّهُ على وجهه فى نار جهنم »

نسخ المصابيح : القشيرى ، قال شارحها وهو غلط سكن الكوفة ثم انتقل الى البصرة قال ابن منده وأبو نعيم : ويقال له جندب الخير ، قال ابن الاثير والذى ذكره الكلبي أن جندب الخير هو جندب بن عبد الله بن الاحزم الازدى الغامدى اه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعون حديثا أخرج له منها فى الصحيحين اثنى عشر حديثا اتفقا على سبعة منها والباقى لمسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة الصبح) أى جماعة كما فى رواية أخرى لمسلم فتقيد بها هذه الرواية المطلقة (فهو فى ذمة الله) أى أمانه وعهده وكأنها خصت بذلك لأنها أول النهار الذى هو وقت ابتداء انتشار الناس فى حوائجهم المحتاجين فيه وفى دوامه الى أمن بعضهم من بعض ، لا لأفضليتها ، قيل وهذا أوضح مما قاله الطيبي من أنها خصت بالذكر لما فيها من الكلفة والمشقة فكان أداؤها مظنة خلوص الرجل ومئنة إيمانه ومن كان مؤمنا فهو فى ذمة الله وعهده وذلك لأن ما قاله الطيبي يجرى فى العصر فكان ذكر ذلك فيها أولى لوجود هذا المعنى فيها مع كونها أفضل وفى العشاء بل المشقة فيها أكثر فلم يبق ما يميز الصبح عن غيرها من الخمس الا ما ذكرناه (فلا يطلبنكم الله بشىء من ذمته) أى الله قال الطيبي ويجوز أن يعود إلى من وقيل يحتمل أن المراد بالذمة الصلاة المقتضية للامان فيكون المعنى لا تتركوا صلاة الصبح فينتقض به العهد الذى بينكم وبين ربكم فيطلبكم به (فانه) أى الشأن (من يطلبه) أى الله (من ذمته) أى من عهده بأن خفره فيه ، وتعرض لمن هو فيه ولو (بشىء) يسير (يدركه) اذ لا مهرب منه (ثم) بعد ادراكه (يكبه) بفتح حرف المضارعة وهو أحد الافعال التى ثلاثيها متعد وإذا زيدت فيه الهمزة صار قاصرا أى يلقيه (على وجهه فى نار جهنم) قال الطيبي : قوله فلا يطلبكم الله من باب لا أرينك ههنا وقع النهى عن مطالبة الله اياهم عن نقض العهد ، والمراد نهيهم عن التعرض لما يوجب مطالبة الله اياهم وفيه مبالغات لأن الاصل لا تخفروا ذمته فجىء بالنهى كما ترى وصرح بلفظ الله ووضع المنهى الذى هو مسبب موضع التعرض الذى هو سبب

رواه مسلم وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يُسْلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ؛

فيه ثم أعاد الطلب وكرر الذمة ورتب عليه الوعيد والمعنى من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تتعرضوا له بشىء يسير فانكم ان تعرضتم له يدركم الله ولن تفوتوه فيحيط بكم من جوانبكم كما يحيط المحيط بالمحاط فيكبكم فى نار جهنم. قال ابن حجر الهيتمى فى شرح المشكاة وفيه غاية التحذير من التعرض بسوء لمن صلى الصبح المستلزمة لصلاة بقية الخمس وأن فى التعرض له بسوء غاية الاهانة والعذاب اه ونقل الشعرانى فى كتاب الحوض المورود ان الحجاج كان مع شدة جوره إذا أتى له بأحد يسأله هل صليت الصبح ، فان قال نعم ، ترك التعرض له بسوء خوفاً من هذا الوجه (رواه مسلم) فى كتاب الصلاة ورواه الترمذى من حديث أبى هريرة ولفظه « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشىء من ذمته » وسيأتى فيه بسط فى باب التحذير من إيذاء الصالحين ٥ (وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم) قال تعالى « انما المؤمنون إخوة » قال البيضاوى أى من حيث انهم منسوبون إلى أصل هو الايمان الموجب للحياة الابدية اه ورتب على هذه الاخوة المقتضية لمزيد الشفقة والتناصر والتعاون قوله (لا يظلمه) بأن ينقصه من ماله أو من حقه بغصب أو نحوه ولا يسلمه إلى عدو متعد عليه عدواناً بل ينصره ويدفع الظلم عنه ويدفعه عن الظلم كما سيأتى فى حديث « أنصر أخاك ظالما » (ولا يسلمه) إلى عدوه ومنه نفسه التى هى أمارة بالسوء والشيطان كما قال تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » فيحول بينه وبين دواعى النفس من الشهوات والدعة المقتضية للنزول عن مقام الاخيار والحلول فى جملة الاشرار ، وبينه وبين الشيطان الذى يأمر بالسوء والفحشاء وبينه وبين العدو الباغى عليه بالظلم والاعتداء (من كان فى حاجة أخيه) أى ما يحتاج اليه حالا أو مآلا (كان الله فى حاجته) جزاء وفاقاً « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » روى الطبرانى مرفوعا « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن كسوت عورته أو أشبعت جوعته أو قضيت له حاجته » وورد مرفوعاً أيضا « من سعى فى حاجة أخيه المسلم قضيت له أولم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب

ومن فرج عن مسلم كربةً فرَّجَ اللهُ عنهُ بها كُرْبة من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن ستر مسلما سترهُ اللهُ يومَ القيامة »

له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق » وأوردها فى الفتح المبين شرح الاربعين (ومن فرج) بتشديد الراء (عن مسلم كربة) بضم الكاف ، الهم الذى يأخذ النفس (فرج الله عنه بها) أى بتلك المرة من التفريج (كربة من كرب) بضم ففتح جمع كربة كقربة وقرب (يوم القيامة) ثم آثر التفريج على رديفه من وسع الوارد فى رواية أخرى لانه أعظم من التنفيس : لانه إزالتها بالكلية والتنفيس انما فيه إرخاء وتهوين (ومن ستر مسلما) من ذوى الهيئات ونحوهم ممن لم يعرف بأذى أو فساد بأن علم منه معصية فيما مضى فلم يخبر بها حاكماً وهذا للندب إذ لو لم يستره ورفعه الحاكم لم يأثم إجماعاً ، بل ارتكب خلاف الاولى أو مكروها أما كشفها لغير الحاكم كالتحدث بها فذلك غيبة شديدة الاثم والوزر ويندب لمن جاءه تائب نادم وأقر بحد ولم يفسره أن لايستفسره بل يأمره بستر نفسه كما أمر صلى الله عليه وسلم ماعزاً ، وكذا تندب الشفاعة فيمن ظهرت منه جريمة من ذوى الهيئات حتى لايوصل إليه ففى الحديث « أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم » رواه أبو داود والنسائى ومنه أخذ أصحابنا أن لا تعزير لذوى الهيئة على هفوة أو زلة صدرت منه ، أو المراد بستر المسلم ستر عورته الحية والمعنوية باعانته على ستر دينه كأن يكون محتاجاً لنكاح فيتوصل له فى التزوج ، أو الكسب فيتوصل له إلى بضاعة يتجر فيها أو نحو ذلك (ستره الله يوم القيامة) بالمعنيين بأن لايعاقبه على ما فرط منه لانه تعالى حى كريم وستر العورة من الحياء والكرم ففيه تخلق بخلق الله والله يحب المتخلق بأخلاقه وخرج بنحو ذى الهيئات من عرف بالأذى والفساد فيندب بل قد يجب أن لايستر عليه بل أن يظهر حاله للناس حتى يتوقوه أو يرفعه لولى الأمر حتى يقيم عليه واجبه من حد أو تعزير ما لم يخش مفسدة لأن الستر عليه يطمعه فى مزيد الاذى والفساد وبقولنا فيما مضى مالو رآه متلبسا بالمعصية فيلزمه المبادرة بمنعه فيها بنفسه إن قدر وإلا فيرفعه للحاكم كما مر ما لم يترتب عليه مفسدة والكلام فى غير نحو الرواة والشهود والامناء على نحو صدقة أو وقف أو يتيم فيجب بالاجماع جرحهم على من يعلم

متفق عليه وعن أبي هريرة رضى اللهُ عنهُ قال قال رَسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يخونه وَلاَ يكذبه وَلاَ يخذله ، كل المسلم على المسلم حرامٌ . عرضهُ ومالهُ وَدَمُهُ

قادحا فيهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة (متفق عليه) وسبب فضل ما ذكر فى الخبر أن الخلق عيال الله وتنفيس الكرب وستر العورة إحسان اليهم والعادة أن السيد المالك يحب الاحسان لعياله وحاشيته وفى الأثر « الخلق عيال الله وأحبهم الى الله ارفقهم لعياله » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم) كالتعليل للحكم المذكور بعده لأن الأخوة مقتضية للشفقة داعية للمعروف والمنفعة (لا يخونه) من الخيانة ضد الامانة أو يخونه ينقصه حقه الذى له عليه من التعاون والتعاضد (ولا يكذبه) يجوز أن يكون بفتح الياء أى يخبره خبراً كاذبا ومنه قوله تعالى : «كذبوا الله ورسوله » ويجوز أن يقرأ بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف ثالثه أى لا يلقيه للمخبر بفتح الباء كاذباً أو بتشديد الثالث أى لا ينسبه إلى الكذب ثم رأيت عن المصنف ضبطه بضم أوله وإسكان ثانيه وفسره بأن لا يخبره بأمر على خلاف الواقع لغير مصلحة (ولا يخذ له)بضم الذال المعجمة أى لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الاحتياج والاضطرار قال الله تعالى« وتعاونوا على البر والتقوى » وقال تعالى «وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » فالخذلان محرم شديد التحريم دنيويا كان كأن يقدر على نصرة مظلوم ودفع ظالمه عنه فلا يدفعه ،أو دينيا كأن يقدر على نصحه عن نحو غيبة فيترك « وقد روى أبو داود « مامن مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله له فى موضع يحب فيه نصرته » وروى البزار « من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله فى الدنيا والآخرة » (كل) مبتدأ (المسلم) فيه رد على من زعم منع إضافة كل للمعرفة (على المسلم حرام) خبر ويبدل من كل (عرضه) أى حسبه ومفاخره ومفاخر آبائه بأن تنتهك بالسب والغيبة والبهت ويمنع من حمل العرض هنا على النفس وان كان يطلق عليها لغة أنه لو حمل عليها لكان تكراراً مع قوله ودمه إذ هو عبارة عن النفس (وماله) بأن يغصب أو يخان فيه (ودمه) أى نفسه

التَّقْوَى ها هُنا ، بِحَسْبِ امرىء من الشَّرِّ أنْ يَحْقِر أخاهُ المسلم » رواه الترمذى وقال حديث حسن . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتحاسدوا

بأن يتعرض لها بقتل أو أطرافها وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة فى الكتاب والسنة وإجماع الأمة وجعلها كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره اليها أما الدم فلأن به حياته ، ومادته المال فهو مادة الحياة ، والغرض به قيام صورته المعنوية واقتصر عليها لأن ماسواها فرع عليها وراجع اليها لانها اذا قامت الصووة الحسية والمعنوية فلا حاجة إلى غير ذلك وقيامها بتلك الثلاثة لاغير ولكون حرمتها هى الاصل لم يحتج إلى تقييدها بما إذا لم يعرض مايبيحها شرعا كالقتل قودا وأخذ مال المرتد فيئا وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك (التقوى ههنا) أى فى القلب (بحسب) باسكان السين والباء فيه مزيدة وهو مبتدأ أى كاف (امرىء) أى شخص (من الشر) فى أخلاقه ومعاشه ومعاده (أن يحقر أخاه المسلم) لان الله إذا لم يحتقره اذ أحسن تقويم خلقه وسخر له مافى السموات والارض كله لاجله ومشاركة غيره له فيه بطريق التبع وسماه مسلما أو مؤمنا وعبدا وجعل الانبياء الذين هم أفضل المخلوقين من جنسه ، كان احتقاره احتقاراً لما عظمه الله وشرفه وهو من أعظم الذنوب والجرائم ، قال صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر » وقد فسره فى الحديث بقوله « الكبر بطر الحق وغمط الناس » أى احتقارهم ومنه أن لايبدأه بالسلام احتقاراً له ولا يرده عليه (رواه الترمذى) ومعناه عند مسلم فى الحديث الآتى عقبه قال السخاوى فى تخريج الاربعين للمصنف رواه الترمذى بجملته وذكر فيه بعد « وعرضه التقوى ههنا ويشير بيده إلى صدره ثم قال بحسب » ورواه أبو داود مقتصراً على كل المسلم الخ دون قوله وأشار بيده إلى صدره (وقال) أى الترمذى (حسن) وزاد السخاوى عنه حسن صحيح وقال المصنف فى الاذكار وما أعظم نفعه وأكثر فوائده اه (وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحاسدوا) أى لايحسد بعضكم بعضا وأصله تتحاسدوا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا وهل هى تاء المضارعة أو فاء الكلمة ؟ فيه خلاف وقد أجمع الناس من المتشرعين وغيرهم على حرمة الحسد وقبحه ونصوص الشرع

ولا تناجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا

الواردة بذلك كثيرة فى الكتاب والسنة وهو لغة وشرعا تمنى زوال نعمة المحسود ويخالف الغبطة فانما هى تمنى مثل تلك النعمة مع بقائها لصاحبها ، ووجه ذم الحسد وقبحه أنه اعتراض على الله تعالى ومعاندة له حيث أنعم على غيره مع محاولته نقض فعله وازالة فضله ومما يوضح ظلمه أنه يلزمه أن يحب لمحسوده مايحب لنفسه وهو لايحب لها زوال نعمتها فقد أسقط حق محسوده مع مافيه من تعب النفس وحزنها من غير فائدة وبطريق محرم فهو تصرف ردىء ، والحسد أقسام فمنهم من يسعى بلسانه ويده فى نقل نعمة المحسود لنفسه أو لغيره وهو أخبث أنواعه ومنهم من لايسعى فى ذلك فهذا غير آثم كما قال الحسن البصرى بل ورد مرفوعا من وجوه ضعيفة وظاهر أن محله إن عجز عن إزالة الحسد من نفسه بأن جاهدها فى تركه مااستطاع بخلاف من يحدث نفسه به اختيارا مع تمنى إزالة نعمة المحسود فهذا لاشك فى تأثيمه بل تفسيقه ، ومنهم من يسعى فى حصول مثل المحسود عليه فهذا حسن وان كان فى الامور الدينية فقد تمنى صلى الله عليه وسلم الشهادة فى سبيل الله ولا حسن فيه فى الامور الدنيوية كذا لخص من الفتح المبين (ولا تناجشوا) أى لاينجش بعضكم على بعض بأن يزيد فى السلعة لا لرغبة فيها بل ليخدع غيره وهو حرام اجماعا على العالم بالنهى سواء كان بمواطأة البائع أم لا لأنه غش وخداع وهما محرمان ولأنه ترك للنصح الواجب ويصح تفسير النجش هنا بما هو أعم من ذلك لأن النجش لغة إثارة الشىء بالمكر والحيلة والخداع فالمعنى لا تتخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضا بالمكر والاحتيال وايصال الاذى اليه قال تعالى « ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله » فيدخل فيه على هذا جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس عيب وكتمه وخلط جيد بردىء ويجوز المكر بمن يحل أذاه وهو الحربى ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم « الحرب خدعة » (ولا تباغضوا) أى لا يبغض بعضكم بعضا أى لا تتعاطوا أسباب البغض لانه قهرى كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة عن الشىء لمعنى فيه مستقبح وترادفه الكراهة ، ثم هو بين اثنين إما من جانبيهما أو من جانب أحدهما وعلى كل فهو لغير الله تعالى حرام وهو محل الحديث وله واجب ومندوب

وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ يَبِعْ بعضُكم علَى بَيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا ،

قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الايمان » وبغض الانسان لله تعالى لمن خالفه المتجه ان مخالفة الغير له ان علم انها نشأت عن اجتهاد لكونه من أهله لا يجوز له بغضه حينئذ لانه ليس لله اذ الذى له ما يكون لاجل المعصية ولا معصية هنا لان المجتهد مأجور وان أخطأ وان علم انها نشأت عن تعصب وهوى نفس أو تقصير فى البحث جاز ولشرف الالفة امتن بها تعالى على عباده فقال « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ولذا كانت حرمة النميمة أشد لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء وجاز الكذب للاصلاح (ولا تدابروا) أى لا يدبر بعضكم عن بعض أى يعرض عما يجب له من حقوق الاسلام كالاعانة والنصر وعدم الهجران فى الكلام أكثر من ثلاثة أيام الا لعذر شرعى كرجاء صلاح أحدهما ، ووجه مغايرته لما قبله أن الشخص قد يبغض ويوفى الحق وقد يعرض لنحو تهمة أو تأديب وهو محب (ولا يبع) نهى تحريم عندنا (بعضكم) معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد فى المسلم بالاخبار لا مفهوم له (على بيع بعض) فلا يجوز لاحد بغير اذن البائع أن يقول لمشترى سلعة فى زمن الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بارخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه وذلك لما فيه من الايذاء الموجب للتنافر والبغض ومن ثم ورد ذلك بانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم ، ومثله الشراء على الشراء بغير اذن المشترى بأن يقول آخر لبائع زمن الخيار : افسخ البيع لاشتريه منك بأغلى ، اما بعد انقضاء الخيار فلا تحريم اذ لا مقتضى له وكونه يؤدى الى الالحاح عليه حتى يقبله فيؤدى الى ضرر مردود بانه متمكن من عدم الرد فان اختاره كان هو المضر بنفسه والالحاح انما يقتضى تحريم ذاته لانه اصرار بالملحوح عليه (وكونوا عباد الله) أى يا عباد الله (إخوانا) أى اكتسبوا ما تصيرون به اخوانا مما سبق ذكره وغيره مما يدعو الى الالفة ويمنع من النفرة أى تعاونو وتعاشر وا معاملة الاخوة ومعاشرتهم فى المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون فى الخير مع صفاء القلب والنصيحة بكل حال وهذا كالتعليل لما قبله كأنه قيل إذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخوانا والا كنتم أعداء ، وفى قوله عباد الله ، اشارة الى أن حق العبيد اطاعة أمر سيدهم بأن يكونوا كالاخوان

المسلم أخو المسلم لا يَظلمُه ولا يخذُلُهُ . ولا يَحقِرُهُ التقوى ههنا — ويشير إلى صدره ثلاث مرات —

فيما مر ، ووجه طاعة الله فى كونهم اخوانا التعاضد على اقامة واظهار شعاره اذ بدون ائتلاف القلوب لا يتم ذلك كما قال تعالى « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » الآية . (المسلم أخو المسلم) أى لانهما لجمع دين واحد لهما أشبها الاخوين المجتمعين فى ولادة من صلب أو رحم أو منهما بل الاخوة الدينية أعظم من الاخوة الحقيقية : لان ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك أخروية (لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) بفتح أوله وبالمهملة والقاف المكسورة أى لا يستصغر شأنه ويضع من قدره لأن الله تعالى لما خلقه لم يحقره بل رفعه وخاطبه وكلفه فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية فى الكبرياء وهو ذنب عظيم ومن ثم ورد كما تقدم « بحسب امرىء من الشر » الخ فالاحتقار ناشىء عن الكبر فهو بذلك يحتقر الغير ويراه بعين النقص ولا يراه أهلا لأن يقوم بحقه وروى بضم أوله وبالخاء المعجمة والفاء أى لا يغدر عهده ولا ينقض أمانه قال القاضى عياض والمعروف الصواب هو الأول الموجود فى كتاب مسلم ويؤيده رواية ولا يحتقره ، ومعنى هذه الجملة ان من حق الاسلام وأخوته أن لا يظلم المسلم أخاه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وللاسلام حقوق ذكرت فى غير هذا الحديث وجمعت فى حديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا لاختصاص به من كل وجه لأن الذمى يشاركه فى حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك دفع عدوه عنه والكذب عليه واحتقاره أى من غير حيثية الكفر القائم به أما من تلك الحيثية فجائز قال تعالى « ومن يهن الله فما له من مكرم » (التقوى) وهى اجتناب عذاب الله بفعل المأمور وترك المحظور (ههنا ويشير بيده الى صدره ثلاث مرات أى محل مادتها من الخوف الحامل عليها القلب الذى هو عند الصدر قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » أى ان الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوى انما تحصل بما يقع فى القلب من عظيم خشية الله ومراقبته فمن ثم كان نظر الله بمعنى مجازاته ومحاسبته على ما فى القلب من خير وشر دون الصور الظاهرة إذ الاعتبار فى ذلك كله بالقلب . وفى الحديث

بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم (النجش) أن يزيد فى ثمن سلعة ينادى عليها فى السوق ونحوه ولا رغبة له فى شرائها بل يقصد أن يغر غيره وهذا حرام (والتدابر) أن يعرض عن الأنسان ويهجره ويجعله كالشىء الذى وراء الظهر والدبر * وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه

دليل على أن العقل فى القلب دون الرأس وفيه خلاف الراجح منه هذا . ووجه مناسبة هذا لما قبله الاعلام بأن كرم الخلق إنما هو التقوى فرب حقير عند الناس أعظم قدراً عند الله من كثير من عظماء الدنيا (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) تقدم الكلام عليه فى الحديث قبله أتم ، وقدم هنا الدم أى النفس لأنها الأصل ، والمال لتعلق النفس به أتم لكونه قوامها فلم يظهر وجه تأخير العرض حينئذ ، وحكمة تقديمه عليهما ثمة أن الابتلاء بالوقوع فيه أكثر منه فيهما فابتدىء به اهتماما به زيادة فى التحذير منه والبعد عنه (رواه مسلم) قال الحافظ السخاوى فى تخريج الاربعين التى جمعها المؤلف : هذا حديث صحيح رواه أحمد ومسلم فى صحيحه وعنده فى بعض طرقه من الزيادة « ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأشار بأصابعه الى صدره » وأخرج ابن ماجه بعضه وأبو عوانة أيضا وأبو نعيم بتمامه فى المستخرج اهـ (النجش) بسكون الجيم لغة إثارة الشىء بالمكر والخديعة وشرعا (أن يزيد فى ثمن سلعة ينادى عليها فى السوق ونحوه) من مواطن البيع (ولا رغبة له فى شرائها بل يقصد أن يغر غيره) أما إذا كان المال لنحو يتيم ورآه يباع بأقل من ثمن (١) المثل وقصد وصوله لثمن مثله الواجب فيه لا إضرار الغير فلا (وهذا حرام) مع العلم (والتدابر أن يعرض) أى الانسان (عن الانسان) احتقاراً له (ويهجره) فوق ثلاثة أيام (ويجعله كالشىء الذى وراء الظهر والدبر) فى عدم الاحتفال به والاهتمام بشأنه (وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايؤمن أحدكم » أى إيمانا كاملا (حتى يحب لأخيه)

---

(١) الذى فى المبيضة المال وهو أحسن من المثل . ش

مايُحبُّ لنفسه » متفق عليه

أى المسلم فيجب على كل مسلم من حيث انه مسلم أن لا يخص أحداً منهم دون الآخر لأن إضافة المفرد تفيد العموم (ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات أى ويبغض له مثل ما يبغضه لنفسه وسكت عنه مع كونه من كمال الايمان اكتفاء بذكر ضده ، قال العلماء : فى هذا الحديث من الفقه أن المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة فينبغى أن يحب لها ما يحب لنفسه من حيث إنها نفس واحدة كما فى الحديث « المسلمون كالجسد الواحد » الحديث وقال ابن العماد : الاولى أن يحمل على عموم الاخوة «١» حتى يشمل الكافر فيحب لاخيه الكافر مايحب لنفسه من دخوله فى الاسلام كما يحب للمسلم دوامه ومن ثم كان الدعاء بالهداية مستحبا وحتى هنا جارة لان ماقبلها غير ما بعدها فانه غاية لنفى الكمال . ثم ظاهر الخبر أن هذه المحبة كافية فى كماله وإن لم يأت ببقية أركانه وليس مراداً بل انما ورد تحريضا على التواضع ومحاسن الاخلاق وترغيبا فى محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم ولا يخفى ان ذلك يؤدى إلى التعاضد والتناصر وبه ينتظم شمل الايمان وتتأيد شرائعه كما علم مما مر فى الحديث قبله ، أو ورد مبالغة حتى كأن تلك المحبة ركنه الاعظم « كالحج عرفة » إذ هى مستلزمة لبقية أركانه ثم المكلف به مقدمات المحبة مما تقدم لا المحبة نفسها لأنها ميل طبيعى لا يطاق تحت نطاق الاختيار والتكليف به تكليف بمحال فالمراد إيثار ما يؤدى للمحبة مما يقتضى العقل اختياره وإن كان خلاف هوى الانسان كالدواء فانه يكرهه المريض طبعا ويميل اليه اختيارا بحكم عقله لعلمه بان صلاحه فيه والمراد محبة الرحمة والاشفاق (متفق عليه) قال السخاوى فى التخريج المذكور بعد تخريجه باللفظ المذكور : وشك غندر فقال لأخيه أو لجاره « قلت » وكذلك هو عند مسلم بالشك فيهما قال السخاوى ولفظ المعلم (٢) وهام « لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه من الخير » زاد المعلم أوله « والذى نفسى بيده مالفظه ، هذا حديث صحيح » ورواه أبو داود والطيالسى فى مسنده والدارمى وعبد فى مسنديهما وابن ماجه فى سننه وأبو عوانة فى مستخرجه وابن حبان فى صحيحه وعند الترمذى حديث صحيح وكذا اتفق عليه الشيخان من

---

(١) أى الانسانية لا الدينية . ع (٢) اسم راو . ش

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انْصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظلوما ، فقالَ رَجلٌ يا رَسُول الله أنْصُرُهُ إذا كان مظلوما أرأيت إن كان ظالِما كيفَ أنْصُرُهُ ؟ قال تَحْجُزُهُ أوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظلْمِ فانَّ ذلكَ نَصْرُهُ » رواه البخارى

حديث يحيي بن سعيد القطان عن حسين المعلم لكن بدون « قوله من الخير » وهى صحيحة لأنها خارجة من مخرج الصحيحين بل هى شرطهما وأخرجها ابن منده فى كتاب الايمان من حديث روح بن عبادة عن المعلم ووافق المعلم عليها همام اه وقد سبق الحديث مشروحا آخر باب النصيحة (وعنه) أى أنس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك) ولا تخذله (ظالما) كان لأنه مظلوم حقيقة كما سيأتى (أو مظلوما) بأن تعدى عليه انسان فى نفسه أو ماله أو عرضه (فقال رجل انصره اذا كان مظلوما) أى بدفع الظلم أو منعه منه (ارأيت) اخبرنى (ان كان) اى اخى (ظالما) بالتعدى على الغير فيما ذكر (كيف انصره قال تحجزه) بضم الجيم أى تجعل نفسك حاجزا له (أو) شك من الراوى (تمنعه من الظلم فان ذلك) أى المنع من الظلم (نصره) قال الحافظ ابن حجر قال ابن بطال النصر عند العرب الاعانة وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشىء بما يؤل اليه وهو من وجيز البلاغة قال البيهقى : معناه ان الظالم مظلوم فى نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى فلو رأى انسانا يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه للزنا مثلا منعه من ذلك وكان ذلك نصرا له واتحد فى هذه الصورة الظالم والمظلوم

« لطيفة » ذكر المفضل الضبي فى كتابه الفاخر أن أول من قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم وأراد بذلك ظاهره وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية لا ما فسر فى الحديث وأنشدوا

اذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم على القوم لم أنصر أخى حين يظلم

(رواه البخارى) قال فى الجامع الصغير وأحمد والترمذى كلهم عن ابى هريرة ورواه الدارمى وابن عساكر عن جابر مرفوعاً بلفظ « انصر أخاك ظالما أو مظلوماً إن يك ظالما فارده عن ظلمه وان يك مظلوما فاردد عنه ظلمه » اه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المُسلِم على المسلم خمسٌ ، رد السلام وعيادة المريض

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم) قال الحافظ ابن حجر معنى الحق هنا الوجوب خلافا لقول ابن بطال : المراد حق الحرمة والصحبة والظاهر ان المراد به هنا الأمر المطلوب على وجه التأكيد ويؤيده قول الشيخ زكريا « يعم وجوب العين والكفاية والندب » أي فيفسر بالأمر المطلوب للمسلم (على المسلم خمس) لاينافي مافي الرواية بعده أنه ست إما لأن العدد لامفهوم له وإما لأن محل العمل بمفهومه مالم يعلم خلافه فان الحقوق المتأكدة كثيرة واقتصر على ماذكر اما لأنها المشروعة إذ ذاك وما عداها شرع بعد ، واما لأنها الأنسب بحال السامعين لتساهلهم فيها أو شدة احتياجهم اليها (رد السلام) وهو واجب عينا إذا كان المسلم عليه واحداً ، وكفاية إذا كانوا جمعا قال الحليمي : وإنما وجب رد السلام لأن معناه الأمان فاذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه يتوهم منه الشر فيجب عليه دفع ذلك الوهم (قلت) ولذا لم يسقط الفرض برد مميز عن المكلفين بخلاف فرض صلاة الجنازة فيسقط به عنهم لأن القصد منه الدعاء والمميز من أهله والقصد هنا التأمين وليس من أهله (وعيادة المريض) واختلف فيها هل هي فرض كفاية أو سنة فقال الجمهور هي في الأصل مندوبة وقد تصل الى الوجوب في حق بعض دون بعض » وعن الطبري تتأكد فيمن ترجى بركته وتسن فيمن يراعى حاله وتباح فيما عدا ذلك وفي المشرك خلاف قال الماوردي هي مباحة وقد يقترن بها مايصيرها قربة كرجاء إسلامه ، وقد نقل المصنف الاجماع على عدم وجوب العيادة أي عينا وعموم المريض يقتضي عيادة كل مرض ولو أرمد وحديث (ثلاثة ليس لهم عيادة العين والدمل والضرس) صحح البيهقي وقفه على يحيى بن كثير ، وقد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال « عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني » أخرجه أبو داود والحاكم وصححه وهو عند البخاري في الأدب المفرد ويؤخذ من اطلاق الحديث أنها لا تتقيد بزمن يمضي من ابتداء المرض وهو قول الجمهور ، وجزم الغزالي في الأحياء بأنه لا يعاد إلا بعد ثلاث ، ولا بيوم معين ، وما اعتاده بعض الناس من كراهتها في أيام مخصوصة لا أصل له وسيأتي بسط الكلام في

واتباع الجنائز وإجابة الدعوة ، وتشميتُ العاطس » متفق عليه (وفى رواية لمسلم « حق المسلم على المسلم ستٌ إذا لقيتَهُ فسلِّم عليه وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له . وإذا عَطسَ فحمِد فشمِّتْهُ ، وإذا

ذلك مع باقى آداب العيادة فى باب عيادة المريض (اتباع الجنائز) أى تشييعها من محلها أو محل الصلاة فهو سنة متأكدة (وإجابة الدعوة) وهى واجبة فى وليمة العرس بشروطها المقررة فى الفقه وفى سائر الولائم وهى سنة متأكدة (وتشميت) بالمهملة و بالمعجمة (العاطس) أى الدعاء له بالخير والبركة من السمت أو الشوامت وهى القوائم كأنه دعاء للعاطس بحسن السمت والهدى أو بالثبات على الطاعة وقيل معناه أبعدك الله عن الشماتة وهو بعد حمد العاطس سنة متأكدة عينا إن لم يكن غيره والا فكفاية بأن يقول له رحمك الله (متفق عليه وفى رواية لمسلم) عن أبى هريرة أيضاً (حق المسلم على المسلم ست) أى ست خصال وفى المشكاة « قيل ماهن يارسول الله قال » (إذا لقيته فسلم عليه) فهى وما بعدها من الجمل المتعاطفة على هذا التقدير مقول القول وعلى عدمه فيحتمل أن يكون كذلك من باب حذف القول وإبقاء المقول وهو كثير فى كلام العرب حتى قال أبو على الفارسى : هو من حديث عن البحر حدث ولا حرج . و يحتمل أن يكون بدلا من ست أو خبر المبتدأ محذوف أى هى إذا لقيته فسلم عليه أى ابدأه به ندباً عينياً إن كنت وحدك وإلا فعلى الكفاية (وإذا دعاك فأجبه) وجوباً عينياً إذا دعاك الى وليمة عرس وإلا فعلى الكفاية ولا بد من إطاقة التخليص فى الحالين ، وندباً إذا دعاك الى غير وليمة عرس ونحوها . (وإذا استنصحك) أى طلب منك النصح وهو تحرى ما به الصلاح من قول أو فعل (فانصح له) وجوبا عليك بأن تذكر له ما به صلاحه ، وطلبه ليس شرطا لوجوب بذله أو ندبه لأنه يجب تارة ويندب أخرى لمن طلب ومن لم يطلب فذكره إنما هو لافادة أن تأكده بعد الطلب أكثر (وإذا عطس) بفتح الطاء (فحمد الله فشمته) بخلاف ما إذا لم يحمد فانه لا يستحق التشميت لتقصيره بترك الحمد على نعمة العطاس التى وصلت اليه « ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب » ولأن العطاس حيث لا عارض من زكام ونحوه انما ينشأ عن خفة البدن وخلوه عن الاخلاط المثقلة له عن الطاعة بخلاف التثاؤب فانه إنما ينشأ عن ضد ذلك (واذا

مرض فعُدْه و إذا مات فاتّبعه . وعن أبي عمارةَ البراءة بن عازب رضى الله عنهما قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا بعيادة المريض واتّباع الجنـائز وتشميت العاطس و إبرار المُقسم ونصر المظلوم و إجابة الداعى ، و إفشاء السلام . ونهانا عن خواتيمَ أو تختّمٍ بالذهب ،

مرض فعده) ندبا متأكدا فى أى يوم كان (وإذا مات فاتبعه) ندبا كذلك من بيته الى أن يفرغ من دفنه (رواه مسلم) ورواه البخارى فى الأدب المفرد(وعن أبى عمارة) بضم العين المهملة وبعد الالف راء ويقال أبو عمرو ويقال أبو الطفيل (البراء) بتخفيف الموحدة والراء وبالمد هذا هو الصحيح المشهور عند طوائف العلماء من أهل الحديث والتاريخ والاسماء واللغة والمؤتلف والمختلف وغيره وحكى فيه القصر (ابن عازب) الصحابى ابن الصحابى(رضى الله عنهما) تقدمت ترجمته فى باب التوكل (قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المرضى) ندبا فى سائر الأوقات فلا تكره إلا ان شقت على المريض (واتباع الجنائز) أى تشييعها والمكث الى الفراغ من دفنها (وتشميت العاطس) إذا حمد الله تعالى والامر فى هذه الثلاث للندب (وابرار المقسم) بنحو أقسمت عليك بالله أو نحو والله لتفعلن كذا فيسن له حيث لامانع تخليصاله من ورطة الاستهتار بحقه فى الاول وحنثه فى الثانى (ونصر المظلوم؛ ولو ذميا بمنع الظالم عن ظلمه وجوبا على من قدر على ذلك بفعله أو قوله وهذا يرجع الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا واجب عينا تارة وكفاية أخرى كما سبق فى بابه (وإجابة الداعى) وجوبا تارة وندبا أخرى وقد تقدم تفصيله (وإفشاء السلام)أى اشاعته واذاعته بأن تقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف وهذا أمر ندب عينا إن كنت منفردا أو كفاية إن كنت مع الغير وفى رواية « ورد السلام» وعليها اقتصر فى المشكاة وهو كما علم مما تقدم واجب عينا تارة و كفاية أخرى(ونهانا)اى معشر الرجال وكذا الخنائى دون النساء(عن خواتيم)جمع خاتام احد لغات خاتم (أو)شك من الراوى (تختم بالذهب) فيحرم على غيرهن تحريما غليظا لبسه كاستعمال سائر أنواع حلى الذهب الا نحو أنف وسن وأنملة ويحرم عليهن استعمال غير الحلى منه كالاوانى وكذا الحلى ان خرج عن حيز الاعتدال الى السرف كخلخال وزنه

وعن شرب بالفضة ، وعن المياثر الحُمُر ، وعن القسيّ وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج » متفق عليه (وفى رواية) « وإنشادُ الضالة » زادها فى السبع الأول (المياثر) بياء مثناة من تحت قبل الألف وثاء مثلثة بعدها وهى جمع ميثرة وهى شىء يتخذ من حرير ويحشى قطنا أو غيره ويجعل فى السرج وكُور البعير يجلس عليه الراكب (والقسى) بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة وهى ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين

مائتا مثقال (وعن شرب بآنية الفضة) والذهب أولى مع أنه صرح به فى حديث آخر ومثل الشرب سائر الاستعمال وذكره كالأكل فى حديث آخر مثال فيحرم استعمال واتخاذ إناء النقدين الا لحاجة كأن لم يجد غير إنائهما فيجوز استعماله وكذا لو وصف له التكحل بمرود ذهب لداء بعينه (وعن) استعمال (المياثر الحمر) بضمتين ويسكن الثانى تخفيفا والتقييد بذلك باعتبار أنه الأغلب فى مراكب الاعاجم رعونة وتزيينا فهى من حرير أى نوع كان وبأى لون ، أو مما أكثره حرير وزنا حرام ولو غير حمراء والحمراء غير الحرير مكروه (وعن) استعمال (القسى) (وعن لبس الحرير والاستبرق) وماغلظ من الديباج وضده السندس فهو مالان منه (والديباج) بفتح الدال وكسرها جمعه دبابيج ودبابج وهو عجمى معرب وعطفها على الحرير من عطف الخاص على العام لأنها من الحرير (متفق عليه) (وفى رواية) لمسلم (و إنشاد الضالة زادها) أى الراوى (فى السبع الأول) بضم ففتح يعنى المأمور بها قال المصنف فى شرح مسلم بدل ابرار القسم أو المقسم و إنشاد الضالة تعريفها وهو مأمور به (المياثر بياء مثناة من تحت قبل الألف وثاء مثلثة) مكسورة (بعدها) أى بعد الألف (وهى جمع ميثرة) وأصلها موثرة وقلبت الواو ياء لسكونها إثر كسرة نحو ميزان وميعاد (وهى شىء يتخذ من حرير ويحشى قطنا أو غيره) تعميم للمحشو به ويلحق به فى الحكم ما كان متخذا من حرير وغيره والحرير أكثر وزناً (ويجعل فى السرج) ما يجعله على الفرس (وكور البعير) بضم الكاف أى رحله وجمعه أكوار ويجعل ذلك (ليجلس عليه الراكب) فتصل له الراحة (والقسي بفتح القاف) على الصحيح المشهور قال المصنف وبعض أهل الحديث يكسرها قال أبو عبيد أهل الحديث يكسرونها وأهل مصر يفتحونها (وكسر السين المهملة المشددة) بعدها ياء النسبة (وهى ثياب تنسج من حرير وكتان مختلطين)

(وإنشاد الضالة) تعريفها

﴿ باب ستر عورات المسلمين ﴾

والنهى عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى : « إنّ الذين يُحبون أن تَشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايستر عبد عبدا فى الدنيا إلا

هذا حكاه المصنف بلفظ قيل وقال قبله : قال أهل اللغة وغريب الحديث هى ثياب مضلعة بالحرير تعمل بالقس بفتح القاف وهوموضع من بلاد مصروهى قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس وقيل هى ثياب من القز وأصله القزى منسوب الى القز وهو ردىء الحرير فأبدل من الزاى سين . قال المصنف وهذا القسى إن كان حريره أكثر من الكتان فالنهى عنه للتحريم وإلا فللكراهة التنزيهية اه (وانشاد الضالة) فى تلك الرواية (تعريفها)

﴿ باب ستر عورات المسلمين والنهى عن اشاعتها لغير ضرورة ﴾

من خوف أن يتسلط على ايذاء الغير والتعرض لاضرارهم (قال الله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع) أى تفشو يقال شاع الشىء شيوعا وشيعا وشيعانا وشيوعة أى تفرق وظهر (الفاحشة) الفعل القبيح المفرط القبح وقيل الفاحشة فى هذه الآية القول السىء (فى الذين آمنوا) قال القرطبى فى المحصنين والمحصنات والمراد بهذا اللفظ العام عائشة وصفوان (لهم عذاب أليم) والآية فى العصبة الذين جاؤا بالافك والمصنف أوردها لما يقتضيه عموم لفظها من حصول العذاب لمن أحب إشاعة الفاحشة فى المؤمنين (فى الدنيا) بالحد للقذف (و) فى (الآخرة) بالنار لحق الله (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد) أى انسان ولو كان مكلفا (عبدا) أى من ذوى الهيئات غير معروف بالشر والأذى على ذنب مضى منه كما سبق بسط ما يستر فيه ومالا فى الباب قبله (فى الدنيا إلا

ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم

* وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين ،

ستره الله يوم القيامة) اما بأن يمحو ذنبه ولا يسأله عنه ابتداء أو يسأله عنه من غير أن يطلع عليه أحداً من الخلق كما فى حديث ابن عمر فى ذلك فى الصحيح ثم يعفو عنه وكان الجزاء بالستر ليوافق الجزاء العمل الصالح والنعم الصادرة منه عز وجل أعلى وأتم ولا شك أن الستر فى ذلك اليوم أكثر عدداً وأعظم جرماً (رواه مسلم وعنه) أى أبى هريرة (رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل أمتى معافى) اسم مفعول من المعافاة وهو من العفو مرفوع تقديرا خبر كل يعنى كلهم سالمون عن ألسن الناس وأيديهم (إلا المجاهرين) قال العلقمى قال شيخنا وللنسفى « إلا المجاهرون » بالرفع على البدل وهو رأى الكوفيين اه وقال ابن مالك فى التوضيح لشواهد الجامع الصحيح حق المستثنى بألا من كلام تام موجب أن ينصب مفردا كان أو مكملا معناه بما بعده لا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين فى هذا النوع الا النصب وقد اغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر ومحذوفه فمن الثابت الخبر قول ابن أبى قتادة : أحرموا كلهم الا أبو قتادة لم يحرم وإلا بمعنى لكن وأبو قتادة مبتدأ ولم يحرم خبره ومن المبتدأ بعد إلا المحذوف الخبر قول النبى صلى الله عليه وسلم (كل أمتى معافى الا المجاهرون) أى لكن المجاهرون لا يعافون وللكوفيين فى هذا الذى يفتقر مذهب آخر وهو أن يجعلوا إلا حرف عطف وما بعدها معطوف على ما قبلها اه ملخصا ، قال الدمامينى وهذا أى الجملة المستثناة من الجمل التى لها محل من الاعراب ولم يعدوه اه قلت وقد سبقه إلى استدراكها ابن هشام فى المغنى وزاد الجملة المسند اليها نحو (وإذا قيل إن وعد الله حق) وأول الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق الرفع بان معافى فى معنى النفى فيكون استثناء من كلام تام غير موجب قال فى فتح البارى : المجاهر الذى أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فتحدث بها والمجاهر فى هذا الحديث يحتمل أن يكون من جاهر بمعنى جهر والنكتة فى التعبير بفاعل المبالغة ويحتمل أن يكون على ظاهر المفاعلة والمراد الذى يجاهر بعضهم بعضا بالتحدث بالمعاصى وبقية الحديث

وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصْبِحُ وقد سَتَرَهُ الله عليه فيَقُولُ يافُلَانُ عَمِلتُ البارِحة كذا و كذا ، وقد باتَ يسترُهُ رَبُّهُ و يُصْبحُ يَكشفُ ستر الله عَلَيْه» متفق عليه * وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا زَنت

يؤيد الاحتمال الأول (وان من المجاهرة) قال السيوطى كذا للنسفى والكشميهنى أى فى رواة البخارى وللاكثر من المجانة وهو تصحيف قاله عياض ، ولمسلم من الاجهار ولابى نعيم من الجهار والثلاثة بمعنى الظهور والاظهار ، وفى رواية لمسلم الهجار وللاسمعيلى الاهجار وهما بمعنى الفحش والخنا وكثرة الكلام قال عياض هما أيضا تصحيف (ان يعمل العبد) وفى نسخة الرجل (بالليل عملا ثم يصبح) بالنصب (وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان) بالبناء على الضم لأنه كناية عن معين وهو الذى يحدثه العاصى عن معصيته (عملت البارحة) قال فى الفتح هو أقرب ليلة مضت من وقت القول وأصلها من برح اذا زال (كذا وكذا) قال فى النهاية هى من الفاظ الكنايات مثل كيت وكيت ومعناه مثل ذا ويكنى بها أيضا عن المجهول وعما لا يراد التصريح به اه وهذا قد تقدم نقله عن النهاية (وقد بات يستره ربه) جملة حالية من فاعل يقول (ويصبح) معطوفا على يصبح (يكشف ستر الله) الكائن (عليه) قال ابن بطال فى الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحى المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم وفى التستر بها السلامة من الاستخفاف لأن المعاصى تذل فاعلها من إقامة الحد عليه ان كان فيها حد ومن التعزير إن لم توجب حدا وإذا تمحض حق الله وهو أكرم الاكرمين فكذا إذا ستره فى الدنيا لم يفضحه فى الآخرة والذى يجاهر بها يفوته جميع ذلك ، والحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من تستر ، وستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه فمن قصد اظهار المعصية والمجاهرة بها فقد أغضب ربه فلم يستره ومن قصد التستر بها من الله عليه بستره اياها اه ملخصا من فتح البارى (متفق عليه) وأخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط عن أبى قتادة بلفظ (كل أمتى معافى الا المجاهر الذى يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول يا فلان انى عملت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله) كذا فى الجامع الصغير (وعنه) أى أبى هريرة رضى الله عنه (عن النبي ﷺ اذا زنت

الأمة فتبيَّن زناها فليجلدْها الحدَّ ولا يثرِّبْ عليها ، ثمَّ إنْ زنت الثانيةَ فليَجْلِدْها الحد ولا يثرِّبْ عليها ثم إنْ زنَتْ الثالثةَ فليبعها ولوْ بحبل منْ شعر » متفق عليه (التثريب) التوبيخ * وعنه قال (أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم برجل قدْ شربَ خمراً قال اضربوه . قالَ أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضاربُ بثوبه فلما انصرف قال بعض القوم أخزاك الله ،

الامة) أى الرقيقة (فتبين زناها) برؤيته لذلك أو إقرارها أو إقامة بينة الزنا (فليجلدها) بكسر لام الفعل (الحد) هو خمسون سوطا والحد مفعول مطلق (ولا يثرب عليها) أى يوبخها ويقرعها بالذنب نحو يازانية يافاجرة لمافيه من الفحش (ثم) بعد الحد (إن زنت) مرة ثانية (فليجلدها الحد) وفى رواية بحذف الحد هنا (ولا يثرب عليها) أى وان تكرر منها الذنب لاستيفاء مقتضاه بالحد (ثم) بعد الحد فى الثانية (إن زنت) المرة الثالثة (فليبعها) ندبا عند الجمهور وقال داود وجوبا (ولو بحبل من شعر) مسارعة لمفارقة أرباب المعاصى وترك مخالطتهم وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه أن يبين حالها للمشترى لأنه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لأخيه المسلم ؟ فالجواب لعلها تتعفف عند المشترى بأن يعفها بنفسه أو يصوبها بهيبته أو بالاحسان اليها والتوسعة عليها أو يزوجها أو غير ذلك ذكره المصنف فى شرح مسلم (متفق عليه) ورواه أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة أيضا كما فى الاطراف للمزى وطرقه الى سعيد المقبرى كثيرة جدا (التثريب)مصدر ثرب بالمثلثة (التوبيخ) أى والتقريع بالذنب كما تقدم (وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه قال أتى) بالبناء للمجهول (النبى صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب) أى مسكراً (قال اضربوه) أى حدا (قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه) ومنه كاحاديث أخر فى معناه يؤخذ حصول حد الخمر بالجلد باليد واطراف الثوب وقد نقل المصنف اجماع العلماء على ذلك وما فى معناه كالجلد بالجريد والنعال (فقال بعض القوم) له بعد أن حد (أخزاك الله) قال الراغب فى مفرداته خزى الرجل أى بوزن علم لحقه انكسار إما من نفسه وإما من غيره فالذى يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية

قال لاتقولوا هكذا لاتعينوا عليه الشيطان) رواه البخارى

﴿ باب فى قضاء حوائج المسلمين ﴾

قال الله تعالى « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يُسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كُربة فَرَّجَ الله عنه بها كربة

والذى من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى وأخزى يقال منهما جميعا وقال تعالى « لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه » الاقرب كونه من الخزى وان جاز كونه منهما جميعاً «قلت» ومنه مافى الحديث (قال لاتقولوا هكذا) أى مثل هذا الدعاء (لا تعينوا الشيطان عليه) جملة استئنافية لبيان حكمة النهى عن ذلك القول أى ادعوا له بالتوفيق والنجاة من الخذلان ولا تكونوا بدعائكم عليه أعوانا عليه للشيطان (رواه البخارى)

(باب) فضل (قضاء حوائج المسلمين)

قال الله تعالى (وما تفعلوا من) بيانية (خير) والكلام فى معنى الشرط (فان الله به عليم) جوابه أى إن تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه والآية تقدمت فى باب المجاهدة وغيره (وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) محرضا على أسباب التآلف المطلوب من المؤمنين (المسلم أخو المسلم) لاجتماعهما فى حياطة الاسلام كالاخوين المجتمعين فى الابوين أو فى احدهما (لايظلمه) بنقص حقه (ولا يسلمه) بضم التحتية أى الى من يظلمه ويهينه (ومن كان) أى وجد (فى حاجة أخيه) أى فى قضائها بالفعل أو بالقسب ويحتمل أن (كان) ناقصة أى ومن كان كائنا فى حاجة أخيه (كان الله فى) قضاء (حاجته) والمفرد المضاف للعموم فيعم الاخروية والدنيوية وذلك لان من قضى حاجة أخيه طالبا لمرضاة الله انما قام بذلك لحق الله فجازاه الله بقضاء حاجته سيما عند ضرورته (ومن فرج عن مسلم كربة) بانظار عليه أو تشفع عند ذى الدين أو نحو ذلك (فرج الله عنه بها) أى عوضها (كربة) والتنوين فيه للتعظيم لأنها كرب الساعة التى تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت والتنكير فى سياق الشرط للتعميم فيفيد

من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » متفق عليه . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من نفّس عن مؤمن كُرْبة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ،

أن من فرج عن مسلم كربة أى شدة تكرب النفس حتى تكاد تأخذ بالنفس أى كربة كانت فرج الله عنه الكرب (من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما) لم يشتهر بالأذى والضرر على معصية رآها منه فيما مضى (ستره الله يوم القيامة متفق عليه) والحديث تقدم بسط الكلام فيه وفى معظم مافى الحديث بعده فى باب تعظيم حرمات المسلمين (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من نفس) أى أزال وفرج من تنفيس الخناق أى ارخائه حتى يأخذ له نفساً (عن مؤمن) أو لمزيد شرفه وحرمته فالثواب فيما يفعل معه من الاحسان آكد والافالذمى كذلك هنا وفيما يأتى فى أصل الثواب لخبر « إن الله كتب الاحسان على كل شىء » وخبر « فى كل كبد رطبة أجر » وسيأتى ، ويلى الذمى المستأمن الحربى فالثواب فى كل أضعف مما قبله لأنه تابع لمزيد الشرف والاحترام (كربة) هى ما أهم النفس وغم القلب لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه وبه يعلم حكمة إيثار نفس على رديف أزال وفرج (من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) أى شدائدها وفى رواية للطبرانى « نفس الله كربه يوم القيامة » ففيه عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة بنفسه أو سفارته أو وساطته أو شفاعته أو دعائه له بظهر الغيب وسبق فى الباب المشار اليه حكمة هذا الثوب (ومن يسر على معسر) بابراء أو هبة أو صدقة أو نظرة الى ميسرة بنفسه أو وساطته . قال فى الفتح المبين ويصح شموله لافتاء عامى فى ضائقة وقع فيها بما يخلصه منها لأنه معسر بالنسبة للعالم (يسر الله عليه) أموره (فى الدنيا والآخرة) فيه عظيم فضل التيسير على المعسر والأحاديث فيه كثيرة منها خبر مسلم « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » وخبره أيضاً « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » وخبر أحمد

ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبدُ فى عَوْن أخيه وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتمس فيه علماً

«من أرادأن تستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن معسر» (ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنياوالآخرة) تقدم بسط الكلام فيه فى الباب المذكور (والله فى عون العبد) أى اعانته وتسديده (ما كان العبد) أى مدة دوام كون العبد (فى عون أخيه) أى إعانة أخيه بقلبه أو بدنه أو ماله أو غيرها قيل وهذا اجمال لا يسع بيانه الطروس فانه مطلق فى سائر الأحوال والأزمان ومنه «إن العبد إذاعزم على معاونة أخيه فينبغى له أن لا يجبن عن انفاذ قوله وصدعه بالحق» وتأمل دوام هذه الاعانة فانه صلى الله عليه وسلم لم يقيدها بحالة خاصة بل أخبر أنها دائمة بدوام كون العبد فى عون أخيه، وعن الحسن رضى الله عنه «أنه أمر ثابتا البنانى بالمشى فى حاجة فقال أنا معتكف فقال له ياأعمش أما تعلم أن مشيك فى حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة». وروى الامام احمد «أن خباب بن الأرت خرج فى سرية فكان صلى الله عليه وسلم يحاب عنزاً لعياله فتمتلىء الجفنة حتى يفيض زيادة على حلابها فلما قدمها وحاب عاد الى ما كان» وكان أبو بكر، يحاب للحى أغنامهم فلما استخلف قيل الآن لا تحلبها قال بلى وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن شىء كنت أفعله، وكان عمر يتعاهد الأرامل فيستقى لهم الماء فى الليل، ورآه طلحة داخلا ليلا بيت امرأة فدخل لها نهاراً فاذا هى عجوز عمياء مقعدة فقال ما يصنع هذا الرجل عندك قالت منذ كذا وكذا يتعاهدنى بما يقوم بى من البر وما يصلح لى شأنى ويخرج عنى الأذى ويقم لى بيتى فقال طلحة لنفسه ثكلتك أمك يا طلحة أعثرت عمر تتبع! (ومن سلك طريقا) فعيلا من الطرق لان الارجل ونحوها تطرقه وتطلبه وتسعى فيه ويصح أن يراد بها ما يشمل المعنوية كحفظه ومذاكرته ومطالعته وتفهمه وكل ما يتوصل به إليه (يلتمس) يطلب (فيه) أى فى غايته أو سببه واحتمال كونه فيه حقيقة نادر جدا لايحمل عليه الحديث (علما شرعيا) أوآلة قاصدا بذلك وجه الله، قيل وهذا وان اشترط فى كل عبادة لكن عادة العلماء تقييد هذه المسئلة به لأن بعض الناس قد يتساهل فيه أو يغفل عنه اه قال فى

سهل اللهُ له به طَريقاً إلى الجنة ، وما اجتمعَ قومٌ فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله وَيتدارسونه بينهم

الفتح المبين : وكأنه يريد أن تطرق الرياء للعلم أكثر من تطرقه لسائر العبادات فاحتيج للتنبيه فيه على الاخلاص اعتناء بشأنه ، والعلم الشرعى ما صدر عن الشرع أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع ، توقف وجود كعلم الكلام ، أو توقف كمال كعلم العربية (سهل الله له به) أى بسلوكه الطريق المذكورة (طريقا إلى الجنة) أى يرشده إلى طلب الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة وليس ذلك إلا بتسهيله تعالى والا فبدون لطفه لا ينفع علم ولا غيره أو بأنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بأن لا يرى من مشاق الموقف ما يراه غيره وهذا أقرب لظاهر الحديث واستفيد منه مع ما قبله ومن قوله تعالى « جزاء وفاقا » أن الجزاء يكون من جنس العمل ثوابا وعذابا كالتنفيس بالتنفيس والستر بالستر والعون بالعون ونظير ذلك كثير فى أحكام الدنيا والآخرة ، وهذا يؤذن بعظيم فضل السعى فى طلب العلم ويلزم منه عظم فضل الاشتغال به وأدلته أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر (وما اجتمع قوم) هو اسم جنس جمعى يصدق بثلاثة فأكثر يستوى فيه الذكور والاناث كذا فى فتح الاله ، وظاهره أنه مشترك بين الفريقين لكن تقدم عن مفردات الراغب ، القوم جماعة الرجال فى الاصل دون النساء ، قال تعالى « لا يسخر قوم من قوم » « ولا نساء من نساء » وفى عامة القرآن أريدوا به والنساء جميعا وحقيقته للرجال اهـ ومنه يتبين أن قوله يستوى فيه الذكور والاناث باعتبار أنه المراد لاستواء المكلف من كلا النوعين فى غالب الأحكام فيكون مجازا من باب التغليب أو استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه (فى بيت من بيوت الله تعالى) هو المسجد (يتلون) أى يقرؤن (كتاب الله تعالى) أى القرآن لتبادره الى الاذهان وإضافته الى الله تعالى لانه منزل من عنده معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم (ويتدارسونه بينهم) أى يقرأ هذا شيئا ويقرأ الآخر عين ما قرأه صاحبه هذه المدارسة الفضلى التى وردت من فعله مع جبريل صلى الله عليه وسلم فى حديث « كان جبريل يدارسه القرآن » ويحتمل أن المراد من المدارسة فى هذا الحديث ما يشمل ما اعتيد من قراءة ما بعد ما يقرأه القارى

إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ وحفّتهم الملائكة ،

وهكذا ، والتخصيص بما ذكر لكمال الفضل والاجزاء فى رواية أخرى غير مقيدة بذلك وانما فيه ترتب ما ذكر فى الخبر على الاجتماع على الذكر مطلقا ولا تقيد تلك المطلقة بهذه الرواية لأن ذكر بعض أفراد العام لا يخصص ، وفضل الله عام (إلا نزلت عليهم السكينة) أى المذكورة فى قوله تعالى « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين » وهى فعيلة من السكون للمبالغة والمراد بها هنا الحالة التى يطمئن بها القلب فلا يزعج لطارق دنيوى لعلمه باحاطة قدرة الله تعالى لسائر الكائنات فيسكن القلب ويطمئن بموعود الأجر لقوة رجائه بحصوله لما وفقه للاشتغال به عما سواه ، وقيل السكينة اسم ملك ينزل فى قلب المؤمن يأمره بالخير ، وقيل السكينة الرحمة والوقار والسكون والخشية وغير ذلك ، والمراد السكون تحت جرى المقادير لا ضد الحركة ولا يمنع من تفسيرها بالرحمة عطفها عليها فى الجملة بعدها لأن المقام للاطناب واختار المصنف كون السكينة هنا بمعنى الطمأنينة وفى الحرز للقارى « ويجوز أن يقرأ عليهم السكينة » بكسر (١) الهاء والميم وكسرهما وكسر الاول وضم الثانى وهو الاشهر « قلت » والأشهرية يحتمل من حيث القراءة (٢) ومن حيث الرواية والأول أقرب (وغشيتهم) عمتهم وأحاطت بهم من كل جهة (الرحمة) والمراد من الرحمة كما هو ظاهر غايتها من الاحسان والفضل والامتنان (وحفتهم) بتشديد الفاء (الملائكة) أى غشيتهم الملائكة وأل فيه للعهد أى الملائكة الملتمسون للذكر كما فى الحرز أو ملائكة الرحمة والبركة الى السماء الدنيا كما فى رواية الصحيحين وفى رواية لأحمد « بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش حتى يسمعوا الذكر تعظيما للمذكور واعظاما للذاكر على غاية من القرب والمواصلة بحيث لا يدعون للشيطان فرجة يتوصل منها للذاكر » وحف ـ بتشديد الفاء ـ من باب طلب فتعدى الى الثانى بحرف الجر قال تعالى « وحففناهما بنخل » وقد يضمن معنى أحاط فيصل الى مفعوله الاول بالبناء نحو ما جاء فى

---

(١) صوابه بضم كما فى شرح الاذكار . ع

(٢) عبر فى شرح الاذكار بدل قوله من حيث القراءة بقوله من حيث كونه أشهر لغة . ع

وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبهُ » رواه مسلم

حديث « إن لله ملائكة سيارات » من قولهم « حفوا بهم » وهذا أحسن مما أطلت به فى أول شرح الأذكار (وذكرهم الله فيمن عنده) عندية مكانة وعلو رتبة لا علو مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهم الملائكة والأنبياء وذكره للذاكر ثم مباهاة به ورضى بفعله (ومن بطأ) ـ بتشديد الطاء المهملة نقيض السرعة أى من قصر (به عمله) أى فقصر عن رتبة الكمال لفقد بعض شروط الصحة أو الكمال فيه (لم يسرع به نسبه) أى لم يلحقه برتب أصحاب الاعمال الكاملة لأن المسارعة الى السعادة إنما هى بالأعمال لا بالاحساب قال الشاعر :

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

وفى الفتح المبين فى الحديث السادس والثلاثين قال ابن مسعود « يأمر الله تعالى بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمراً زمراً أوائلهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم يمر الرجل سعيا وحتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر آخرهم على بطنه فيقول يارب لم بطأت بى ؟ فيقول إنى لم أبطأ بك انما بطأ بك عملك » وأورد أحاديث مرفوعة فى ذلك (رواه مسلم) قال المصنف فى الاربعين الحديث « بهذا اللفظ » قال السخاوى فى تخريجها هذا حديث صحيح أخرجه أبو بكر ابن أبى شيبة فى مصنفه ومسلم فى الدعوات من صحيحه وأبو داود وابن ماجه فى سننهما وأبو عوانة فى مستخرجه ومداره عندهم على أبى معاوية وهو محمد ابن خازم بمعجمتين عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وله طرق كثيرة عن الاعمش فى بعضها عنه قال حدثت عن أبى صالح فأثبت بينهما واسطة والاعمش مدلس ولذلك قال الترمذى كأنه يعنى باثبات الواسطة أصح ، وجعل ذلك عذرا له عن عدم تصحيحه بل اقتصر على تحسينه لشواهده ويحتمل أن يكون توقف البخارى عن تخريجه لذلك ولكن انما صححه مسلم وكذا ابن حبان والحاكم من حديث الاعمش بلا واسطة لوقوعه فى رواية مسلم وغيره بالتصريح الذى يؤمن معه من تدليسه كما بينت ذلك واضحا فيما علقته من تكملة شرح الترمذى اه كلام السخاوى ، والحديث عظيم جليل جامع لانواع من العلوم والقواعد والآداب والفضائل والفوائد والاحكام وفيه إشارة الى أن الجزاء من جنس العمل والنصوص فى

﴿ باب الشفاعة ﴾

قال الله تعالى « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيبٌ منها » * وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالبُ حاجة أقبل على جُلسائه فقال اشفعوا تؤجروا و يقْضى الله على لسان نبيه ما أحبَّ »

ذلك كثيرة منها حديث « إنما يرحم الله من عباده الرحماء »

﴿ باب الشفاعة ﴾

قال الرازى هى أن يستوهب أحد لاحد شيئا ويطلب له حاجة ، واصلها من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردا فصار صاحب الشفع له شفعا أى صار زوجا اه وفى النهاية هى السؤال فى التجاوز عن الذنب والجرائم اه وقيل هى انضمام الادنى الى الاعلى ليستعين به على مايرومه ولا غرو الى فى معنى الشفاعة وسببها كلام نفيس أودعته باب الاذان من شرح الاذكار فراجعه

(قال تعالى) علو مكانة وعظمة لا علو مكان (من يشفع شفاعة حسنة) بأن جلب بها لمسلم نفعا أو دفع عنه سوءا ابتغاء لوجه الله تعالى ومن ذلك الدعاء للمؤمن بظهر الغيب ومن ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم « من دعى لأخيه بظهر الغيب استجيب له وقال الملك آمين ولك مثل ذلك » (يكن له نصيب منها) هو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير

(وعن أبى موسى) عبد الله بن قيس (الأشعرى رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم) من مزيد عنايته بصحابته ودلالته على الخير لامته (إذا أتاه طالب حاجة) دينية أو دنيوية (أقبل على جلسائه) جمع جليس كشريف وشرفاء (فقال اشفعوا تؤجروا) أى إن تشفعوا تؤجروا أى يحصل لكم الاجر بشفاعتكم سواء أقضيت الحاجة أم لا ، فتؤجروا جواب الشرط المقدر ، ففيه الحض على الخير بالفعل والتسبب اليه بكل وجه ، والشفاعة الى الكبير فى كشف كربة ومعونة الضعيف إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول للرئيس والتمكن منه ليوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه ، ويستثنى مالا تجوز الشفاعة فيه وذلك الحدود التى لله (ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب) أى ما أراد مما سبق فى علمه الازلى

متفق عليه . وفى رواية « ما شاء الله » وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة بَرِيرَة وزوجها قال « قال لها النبى صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه ،

من وقوع الامر وحصوله أو عدمه فالمطلوب الشفاعة والثواب مرتب عليها سواء حصل المشفوع به بأن كان مقدرا فى العلم الازلى حصوله بها أم لا بأن كان له فيه سبب آخر لم يحصل أو قام مانع من حصوله (متفق عليه) رواه البخارى فى كتاب الزكاة وفى باب الادب وباب التوحيد ومسلم فى باب الادب وفى باب السنة ورواه أبو داود فى الادب أيضا ورواه الترمذى فى العلم وقال حسن صحيح والنسائى فى الزكاة قال المزى وكونه عند أبى داود فى رواية أبى بكر بن داسة عن أبى داود ولم يذكره أبو القاسم ومدار الحديث عند من ذكر على أبى الاسود الدؤلى عن أبى موسى اه ملخصا (وفى رواية) للبخارى رواها هكذا فى كتاب الادب من صحيحه (ماشاء) أى وهو اعتبار خصوص كونه جاريا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما أحب فالاختلاف بين الروايتين مبنى لامعنى وان كان بالنسبة الى غيره المراد والمشى أعم من المحبوب والمرضى ، فجميع مافى الكون من الكفر والعصيان بمشيئة مولاه وإرادته وليس ذلك بمحبته ورضاه . قال تعالى «ولا يرضى لعباده الكفر» (وعن) عبد الله (ابن عباس رضى الله عنهما) من جملة حديثه (فى قصة بريرة) بفتح الموحدة وكسر الراء واسكان التحتية مولاة عائشة أم المؤمنين وحديثها مشتمل على فوائد عديدة أفردت بالتأليف (وزوجها) مغيث وهو كما فى التوشيح للسيوطى بضم الميم وكسر الغين المعجمة وسكون التحتية وبعدها مثلثة ووقع عند العسكرى بفتح المهملة وتشديد المثناة ثم الباء الموحدة اه ومغيث عبد أسود وما روى عن عائشة من انه حر فمعارض أو محمول على مابعد كما سيجىء فى الاستيعاب ، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب كان مولى لبعض بنى مطيع «قلت» فى البخارى عبد آل بنى فلان قال السيوطى فى الترمذى عبد آل بنى المغيرة وفى المعرفة لابن منده مولى ابى أحمد بن جحش اه أعتقت تحته بريرة فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختارت نفسها وكان مغيث حين عتقها واختيارها عبدا فيما يقول الحجازيون وقال الكوفيون كان يومئذ حرا والاول أصح اه (قال) أى ابن عباس (قال لها النبى صلى الله عليه وسلم لو راجعتيه) الرواية باثبات الياء لاشباع الكسرة قاله

قالت يا رسول الله تأمرنى ؟ قال إنما أشفع ، قالت لا حاجة لى فيه » رواه البخارى

﴿ باب الاصلاح بين الناس ﴾

قال الله تعالى « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس »

الهروى فى المرقاة ويخالفه قول السيوطى فى التوشيح بعد أن أورد لفظ رواية البخارى لوراجعته من غير ياء ، ثم قال ولابن ماجه لوراجعتيه بزيادة الياء وهى لغة ضعيفة وزادفانه أبو ولدك اه ولو للتمنى أو الشرط والجواب محذوف أى لكان أحسن أولك فيه ثواب وفيه معنى الامر فلذا (قالت يارسول الله تأمرنى) بتقدير الهمزة قبله أى أتأمرنى بمراجعته أى على سبيل الوجوب فيجب على (قال انما أشفع) أى آمرك استحبابا (قالت لاحاجة) أى لا غرض ولا صلاح (لى فيه) أى فى ارتجاعه وفيه ايماء الى عذرها فى عدم قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم حيث قال « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا اصلاحا » وأنها فهمت من شفاعته فى ذلك تخييرها واطلاق الشفاعة على التخيير مجاز بجامع عدم إيجاب كليهما وقد بسطت الكلام فى ذلك فى شرح الاذكار (رواه البخارى) وروى الترمذى فى النكاح نحوه وقال الترمذى حسن صحيح *

(باب الاصلاح بين الناس)

إذا حصل بينهم خصام وشنآن لان المؤمنين اخوان والناس اسم جنس جمعى قيل مأخوذ من الانس ضد الوحشة ففيه قاب وقيل من نوس اذا تحرك وعلى هذا فيدخل فيه الجن وتقدم بسطه مرارا قال الله تعالى لاخير فى كثير من نجواهم) أى الناس أى ما يتناجون به ويتحدثون به (الا) نجوى (من أمر بصدقة أو معروف) عمل بر (أو إصلاح بين الناس) فالاستثناء متصل ويجوز أن يكون منقطعا لكن نجوى من كان كذلك خير قال الواحدى فى تفسيره الوسيط هذا مما حث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابى أيوب الانصارى « ألا أدلك على صدقة هى خير لك من حمر النعم ؟ قال نعم يا رسول الله ، قال تصلح بين الناس إذا فسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا » وروت أم حبيبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كلام

وقال تعالى « والصلح خير » ، وقال تعالى « فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ بينكم » وقال تعالى « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخوَيكم » * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل سُلامَى من الناس عليه

ابن آدم عليه لاله إلاما كان من أمر بمعروف أونهى عن منكر أوذكر الله تعالى » وروى أن رجلا قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث قال سفيان ألم تسمع الله يقول (لاخير فى كثير من نجواهم) فهو هذا بعينه اه (وقال تعالى والصلح خير) من الفرقة والنشوز والاعراض أى لما فيه من الالتئام المطلوب من الزوجين (وقال تعالى وأصلحوا ذات بينكم) أى حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (وقال تعالى انما المؤمنون اخوة) أى فى الدين (فاصلحوا بين أخويكم) إذا تنازعا وقرىء اخوتكم بالفوقية (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل) بالرفع مبتدأ خبره عليه صدقة (سلامى) بضم السين وتخفيف اللام هو العضو وجمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء اه وفى النهاية السلامى جمع سلامية هى الانملة من أنامل الاصابع وقيل جمعه ومفرده واحد ويجمع على سلاميات اه وقول الاذكار يميل الى غير آخر بقيل ، وفى المشارق للقاضى عياض اصل السلامى عظام الاصابع والاكارع ، وفى النهاية هى التى بين مفصلين من اصابع الانسان وقيل كل عظم مجوف من صغار العظام ، المعنى على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة وقيل ان آخر ما يبقى فيه المخ من البعير اذا عجف السلامى والعين اه وظاهر ان المراد من السلامى هنا ما هو اعم من العضو وهو كما فى القاموس كل لحم وافر بعظم وغيره فقولى فى الاذكار أو هو العضو اما باعتبار معناه لغة على بعض الاقوال واما انه تجوز به عن مطلق الجزء ، قال فى شرح مسلم اصله عظام الاصابع وسائر الكف ثم استعمل فى سائر عظام البدن ومفاصله اه قال العراقى فى شرح التقريب وهو المراد فى الحديث «قلت» وايده المصنف بخبر مسلم (خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل) وقوله (من الناس) فى محل الصفة لسلامى (عليه) اى على ذلك الجنس ونظيره حديث (خير نساء ركبن الابل وأحناه على زوج نساء قريش) قال السهيلى فى الروض الضمير فيه عائد على الجنس او الضمير عائد على السلامى

صدقةٌ كلَّ يوم تطلعُ فيه الشمسُ تعدلُ بين الاثنين صدقة

وذكره باعتبار انه عضو او مفصل عليه (صدقة كل يوم) بالنصب على الظرفية الزمانية واجاز الحافظ فى الفتح رفعه مبتدأ أولا وتعدل مبتدا ثانياً وصدقة خبر الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول والرابط مقدر أى كل يوم تطلع فيه الشمس العدل فيه صدقة (تطلع) بضم اللام كما مر (فيه الشمس) جملة صفة يوم وهو صفة توضيحية فيها بيان تجديد هذه الصدقات على الانسان صبيحة كل يوم فى مقابلة ما أنعم الله تعالى به عليه فى خلق تلك السلاميات من باهر النعم ودوامها التى هى نعمة أخرى ومما يزيد العبد تيقظاً لنعمة الدوام عليه أنه تعالى قادر على سلب نعمة الأعضاء عن عبده كل آن وهو فى ذلك عادل فى حكمه فعفوه عن ذلك إدامة نعمة العافية عليه صدقة توجب الشكر بدوامها ، فيتعين على العبد الشكر لهذه النعم بالصدقة بما يأتى فى الحديث وغيره مقابلة لتلك النعم بقدر الطاقة مع ماورد من أن الصدقة تدفع البلاء فبوجودها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها وظاهر قوله « عليه صدقة كل يوم » وجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم لكن فى حديث الصحيحين « فان لم يفعل فليمسك عن الشر فانه له صدقة » وهو يدل على أنه يكفيه أن لا يفعل شيئا من الشر ويلزم من ذلك القيام بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات وهذا هو الشكر الواجب وهو كاف فى شكر هذه النعم وغيرها أما الشكر المستحب فهو أن يزيد على ذلك بنوافل الطاعات القاصرة كالاذكار والمتعدية كالاعانة والعدل وهذا هو المراد من هذا الحديث وأمثاله مع أن فيه ذكر بعض الطاعات (يعدل) أى يصلح وهو بتقدير أن قبله فى تأويل مصدر مبتدأ خبره صدقة أو أوقع الفعل فيه موقع المصدر أى مع قطع النظر عن أن وهذا الاعراب جار فى قوله وتعين وما بعده كما سبق فى باب بيان كثرة طرق الخير أى عدله (بين الاثنين) المتهاجرين أو المتخاصمين أو المتحاكمين بأن يحملهما لكونه حاكما أو محكما أو مصلحا بالعدل والانصاف والاحسان بالقول أو الفعل على الصلح الجائز وأشار صلى الله عليه وسلم إلى أنه الذى لا يحل حراما ولا يحرم حلالا (صدقة) عليها لوقايتهما مما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ، ومن ثم عظم فضل الصلح كما أشير اليه بقوله تعالى « أو اصلاح بين الناس » وقوله

وتُعينُ الرجلَ فى دابته فتحملهُ عليها أو ترْفعُ له عليها متاعـهُ صدقةٌ ، والـكلمةُ الطيبةُ صدقة وبكل خَطْوَة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتُميط الأذى عن الطريق صدقة ، متفق عليه . ومعنى (تعدل بينهما) تصلح بينهما بالعدل .

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها

تعالى « كونوا اقوامين بالقسط » أى العدل « شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما » وجاز الكذب فيه مبالغة فى وقوع الالفة بين المؤمنين (وتعين الرجل فى دابته ليحمل عليها) نفسه أو غيره بامساكها لذلك (أو يضع) وأورده المصنف فى الاربعين أو يرفع (عليها متاعه) وهو كل ماينتفع به من عرض الدنيا قليلا كان أو كثيراً (والكلمة الطيبة) وهى كل ذكر أو دعاء للنفس أو للغير وسلام عليه ورد وثناء بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتألفها وكذا سائر ما فيه معاملة الناس بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » وقد سبق مع حديث ابى هريرة هذا فى باب بيان طرق الخير (صدقة وبكل خطوة) هو بفتح الخاء المعجمة للمرة الواحدة وضمها للمابين القدمين (يمشيها الى الصلاة) وكذا الى سائر الطاعات كطلب العلم وصلة الارحام وزيارة الاخوان (صدقه وتميط) بضم أوله أى تزيل (الاذى) هو مايؤذى المارة من حجر أو شوك او نحوهما (عن الطريق) مذكر ومؤنث (صدقة) واخرت هذه لانها دون ما قبلها كما يشير اليه خبر « الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا إله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق » (متفق عليه) وتقدم زيادة عليها من مخرجيه فى الباب المشار اليه (معنى يعدل بينهما) كنى عن الاثنين المذكورين فى الخبر بضميره (يصلح بينهما بالعدل) وعن ام كلثوم) بضم الكاف وسكون اللام وبالمثلثة آخره ميم (بنت عقبة) بضم المهملة وسكون القاف بعدها موحدة فهاء (ابن أبى معيط) بضم الميم وفتح المهملة الأولى بعدها تحتية ساكنة واسمه أبان بن ابى عمرو واسمه ذكوان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلمت (رضى الله عنها) بمكة قبل أن يأخذ النساء فى الهجرة الى المدينة ثم هاجرت وبايعت فهى من المهاجرات المبايعات

قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس الكذابُ الذى يصلح بين الناس فَينمى خيرا أو يقول خيرا » متفق عليه * وفى رواية مسلم

قيل وهى اول من هاجر من النساء كانت هجرتها فى سنة سبع فى الهدنة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من قريش وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يرد اليهم من جاء مؤمنا ، وفيها نزل « إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » الآية وذلك أنها لما هاجرت لحقها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش فى الحديبية فلم يفعل وقال نأبى ذلك قال عمر ابن عبد العزيز يقولون إنها مشت على قدمها من مكة الى المدينة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها الزبير بن العوام فولدت له زينب ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له ابراهيم وحميدا ومحمدا واسمعيل ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهرا وماتت ، وهى أخت عثمان بن عفان لأمه وروى عنها ابنها حميد بن عبد الرحمن وغيره روى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أحاديث فيما ذكر ابن حزم آخر سيرته وابن الجوزى فى مختصر التلقيح الا أنهما قالا فى ترجمة من روى له عشرة أحاديث أم كلثوم ولم ينسبوها ثم رأيت ابن ملك قال فى شرح المشارق إنها روى لها كذلك ولها فى الصحيحين هذا الحديث الواحد اه (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب) أى اثم الكذاب من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم أو معناه ليس بكثير الكذب (الذى يصلح بين الناس) أى يكذب للاصلاح بين المتباغضين لأن هذا الكذب يؤدى الى الخير وهو قليل أيضا (فينمى خيرا) بفتح التحتية أى يبلغ خبرا فيه خير ، يقال نمى الحديث اذا بلغه على وجه الاصلاح ونماه بالتشديد إذا بلغه على وجه الافساد (أو) شك من الراوى أى شك هل قال فينمى خيرا أو قال (يقول خيرا متفق عليه) رواه البخارى فى كتاب الصلح ومسلم فى الأدب وكذا رواه فيه أبو داود والترمذى فى البر وقال حسن صحيح والنسائى فى السير (وفى رواية مسلم) لهذا الحديث أى فى بعض طرقه زيادة على الرواية المتفق عليها فالرواية المذكورة آنفا فيه أيضا من طريق معمر قال

زيادة « قالت ولم أسمعه يُرخص فى شىء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث تعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديثُ المرأة زوجها »

* وعن عائشة رضى الله

فيه الى قوله وينمى خيرا ، ولم يذكر ما بعده أى من الزيادة وتلك الزيادة هى قوله (قالت) أى ام كلثوم كذا فى طريق عند مسلم وفى طريق أخرى عنده قال ابن شهاب الزهرى ولم أسمع « يرخص فى شىء مما يقول الناس كذب إلا فى ثلاث » الحديث فجعل مسلم فى تلك الطريق هذه الزيادة من قول الزهرى وفى الطريق التى أشار اليها المصنف قول أم كلثوم فقال قالت (ولم أسمعه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يرخص) بتشديد الخاء المعجمة وبعدها مهملة من الترخيص ضد الحظر (فى شىء مما يقول الناس) أى إنه كذب كما هو كذلك فى قول الزهرى وحذف قولها كذب هو كذا عند مسلم (إلا فى ثلاث) أى من الخصال (تعنى) أى أم كلثوم بتلك الثلاث (الحرب) كان يقول لأعداء الدين مات كبيركم أولنا جيش كبير يأتينا أو نحو ذلك مما فيه مصلحة عامة للمسلمين فيجوز ارتكاب الكذب لعظم النفع (والاصلاح بين الناس) بأن يقول لزيد مثلا رأيت عمرا يعنى عدوه يحبك ويثنى عليك خيرا مما لم يكن ليصلح بينهما ويذهب الشنآن (وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها) كأن يقول أحدهما للآخر لا أحد أحب الى منك فهذا الكذب جائز لعظم المصلحة المترتب عليه على محظور الاخبار بخلاف الواقع ، وكذا يجوز الكذب لتخليص محترم بل يجب على من سئل عن محترم قصد سائله عنه اهلاكه أن يخفيه ولو بالميين ، وليس فى الحديث ما يدل على الحصر وقال قوم لا يجوز ذلك الا بطريق التورية وهى — أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره — كأن يقول فعل فلان كذا وينوى إن قدر ويقول فى الحرب مات كبيركم ويريد بعض المتقدمين منهم قال الدمامينى فى حاشية البخارى وليس فى الحديث ما يقتضى جواز الكذب فانه قال « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس » وسلب الكذب عن المصلح لا يستلزم كون ما يقوله كذبا لجواز أن يكون صدقا بطريق التصريح أو التعريض اهـ (وعن عائشة رضى الله

عنها قالت « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما ، وإذا أحدُهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شىء وهو يقول والله لاأفعل فخَرجَ عَلَيْهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين المتألى على الله لا يَفعلُ

عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب) أفرد صوت المضاف مع تعدده فى نفس الأمر لتعدد المضاف اليه لكونه لمح فيه كونه مصدراً فى الأصل قال فى الصحاح : قد صات الشىء يصوت صوتا اه فيكون هذا نظير أفراد السمع فى قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم » على أحد الوجوه فى الآية أو لاختلاط أصواتهم وعدم تمايزها فصارت كالصوت الواحد لادراك حاسة السمع لها دفعة (عالية) بالجر على أنه صفة خصوم وبالنصب على أنه حال من أصواتهما كذا فى نسخة مكتوب على ضمير التثنية رمز صح . وفى رواية للبخارى أصواتهم بصيغة الجمع : قال فى فتح البارى كأنه جمع باعتبار من حضر ، وثنى باعتبار الخصمين ، أو كان التخاصم من الجانبين بين جماعتين فجمع باعتبار ذلك وثنى باعتبار جنس الخصم وليس فيه حجة لمن جوز إرادة صيغة الجمع بالاثنين كما زعم الشراح « قلت » يعنى به الكرمانى (وإذا أحدهما يستوضع الآخر) أى يطلب منه الوضيعة أى الحطيطة من الدين (ويسترفقه) أى يطلب منه الرفق (فى شىء) قال الحافظ فى فتح البارى وقع فى رواية ابن حبان بيان ذلك الشىء قال فى أول الحديث « دخلت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت انى ابتعت أنا وابنى من فلان تمراً فأحصيناه لا والذى أكرمك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله فى بطوننا أو نطعمه مسكينا وجئنا نستوضعه ما نقصنا » الحديث قال الحافظ ولم أقف على اسم أحد من المتبايعين وهى غير قصة كعب بن مالك وعبد الله بن حدرد التى فى البخارى عقب هذا الحديث كما بينه فى فتح البارى (وهو) أى الثانى (يقول والله لا أفعل) أى لا أضع شيئاً وفى رواية ابن حبان فقال « آلى أن لا يضع خيراً ثلاث مرات » (فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) ليصلح بينهما (فقال أين المتألى) بضم الميم وفتح الفوقية والهمزة وتشديد اللام أى الحالف المبالغ فى اليمين (على الله أن لا يفعل

المعروف فقال أنا يارسول الله فلهُ أيُّ ذلك أحبَّ » متفق عليه ، معنى (يستوضعه) يسأله أن يضع عنهُ بعض دينه و يسترفقه يسأله الرفق والمتألى الحالفُ

وعن أبي العباس سهل بن سعد

المعروف) من الوضع والرفق بأخيه (فقال أنا يارسول الله فله) أى ذلك المذكور من الوضع والرفق (أى ذلك أحب) وفى رواية لابن حبان « إن شئت وضعت ما نقصوا وإن شئت من رأس المال فوضع ما نقصوا » قال فى فتح البارى وهذا يشعر بأن المراد بالوضع الحط و بالرفق الاقتصار عليه وترك الزيادة لا كما زعم بعض الشراح أنه يريد بالرفق الامهال ، وفى أواخر الصلح من الفتح بعد أن ساق عن ابن حبان بيان ما سألوا فيه الرفق من أنهم أخذوا بخلاص صاحبه ثم سألوا منه ذلك بها قال الحافظ فالمراد أنهم يستوضعونه بترك الزيادة على رأس المال والاسترفاق بترك طلب الربح (متفق عليه) فأخرجه البخارى فى كتاب الصلح عن اسماعيل ابن أبى أويس عن أخيه وهو أبو بكر عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أبى الرجال عن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى عن عمرة عن عائشة ، ورواه مسلم فى الشركة من البيوع ثنا غير واحد من أصحابنا قالوا ثنا اسماعيل بن أبى أويس اه ذكره الحافظ المزى فى الاطراف قال الحافظ بن حجر فى نكته عليها قال أبو نعيم فى المستخرج يقال إن مسلماً حمل هذا الحديث عن البخارى اه وكلام أبى نعيم يقتضى أنه حدث به أيضاً غيره وقد رويناه فى الأول من أعالى المحاملى رواية الاصبهانيين عنه قال ثنا عبد الله بن شهيب ثنا اسماعيل فذكره اه وفى فتح البارى فى باب أواخر الصلح بعد أن ذكر أنه أخرجه عن اسماعيل بن أبى أويس محمد بن يحيى الذهلى وذكر ما فى المحامليات قال فيحتمل أن يفسر من أبهمه مسلم بهؤلاء وبعضهم اه ثم فى الحديث الحض على الرفق بالغريم والاحسان اليه بالوضع والزجر على الحلف على ترك الخير وفيه الصفح عما يجرى بين المتخاصمين من الالغط ورفع الصوت عند الحاكم (معنى يستوضعه يسأله أن يضع عنه بعض دينه ويسترفقه يسأله الرفق) بكسر الراء ضد العنف وذلك بأن لا يزيد عليه ما نقص عليه (والمتألى الحالف) تقدم فى كلام الحافظ أنه الحالف المبالغ فى اليمين وهو الذى تقتضيه الصيغة (وعن أبى العباس) بتشديد الموحدة آخره مهملة (سهل بن سعد)

«الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى عمرو ابن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلح بينهم فى أناس معه فحُبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت الصلاة فجاء بلال إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حبس وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال نعم إن شئت

الأنصارى (الساعدى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الدلالة على الخير (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى عمرو بن عوف) أى ابن مالك بن الأوس والأوس أحد قبيلتى الأنصار وهما الأوس والخزرج وبنو عمرو بن عوف بطن كبير من الأوس فيه عدة أحياء كانت منازلهم بقباء (كان بينهم شر) السبب فيه كما فى الفتح ما فى رواية «وقع بين حيين من الأنصار كلام» وعند البخارى فى كتاب الصلح من طريق محمد بن جعفر عن أبى حازم « أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقالوا اذهب بنا نصلح بينهم » فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم فى أناس » هذا هو الأصل كما تقدم وتعوض الهمزة ال (من أصحابه) وفى نسخة معه بدل من أصحابه سمى الطبرانى منهم من طريق موسى بن محمد عن أبى حازم أبى بن كعب وسهل بن بيضاء وللبخارى فى الاحكام أن توجهه كان بعد أن صلى الظهر (فحبس) بضم المهملة الاولى وكسر الموحدة أى قام (رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم وحانت الصلاة) أى دخل حين الصلاة وهى صلاة العصر كما صرح به البخارى فى روايته فى الاحكام ولفظه «فلما حضرت صلاة العصر أذن وأقام وأمر أبا بكر فتقدم » (وجاء بلال الى أبى بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حبس وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال نعم إن شئت) عند أحمد وأبى داود وابن حبان أن ذلك كان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ولفظه «فقال لبلال إن حضرت الصلاة ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت» الحديث ونحوه للطبرانى ولا يخالف هذا قوله لأبى بكر « هل لك أن تؤم الناس » لانه يحمل على أنه استفهمه هل تبادر أول الوقت أو تنتظر مجىء النبى صلى الله عليه وسلم ورجح عند أبى بكر المبادرة لانها فضيلة محققة فلا تترك لفضيلة

فأقام بلالٌ الصلاة وتقدم أبو بكر فكبر وكبرَ الناسُ وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فى الصفوف حتى قام فى الصف فأخذ الناسُ فى التصفيق وكان أبو بكر رضى الله عنه لايلتفتُ فى الصلاة فلما أكثر الناسُ التفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع أبو بكر رضى الله عنه يده فحمدَ الله

متوهمة (فأقام بلال وتقدم أبو بكر فكبر) وفى رواية للبخارى فاستفتح أبو بكر الصلاة . قال فى فتح البارى وبهذا يجاب عن الفرق بين المقامين حيث امتنع أبو بكر هنا أن يستمر إماما وحيث استمر فى مرض موته صلى الله عليه وسلم حين صلى خلفه الركعة الثانية من الصبح كما صرح به موسى بن عقبة فى المغازى وكأنه لما مضى معظم الصلاة حسن الاستمرار ، ولما لم يمض منها الا اليسير لم يستمر وكذا وقع لعبد الرحمن بن عوف حيث صلى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه الركعة الثانية من الصبح فانه استمر اماما لهذا المعنى وقصة عبد الرحمن عند مسلم (وكبر الناس وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فى الصفوف) زاد البخارى فى رواية يشقها شقا (حتى قام فى الصف) أى الاول كما فى رواية له أيضاً ولمسلم « فخرق الصفوف حتى قام عند الصف المقدم » (فأخذ الناس فى التصفيق) قيل إنه مرادف للتصفيح وقيل لا وهو الراجح (وكان أبو بكر رضى الله عنه) لعلمه بالنهى عن الالتفات فى الصلاة وأنه خلسة من الشيطان يختلسها من صلاة العبد كما جاء ذلك فى الخبر المرفوع (لايلتفت فى صلاته فلما أكثر الناس) أى من التصفيق كما فى رواية للبخارى وفى رواية أخرى فلما رأى التصفيح لايمسك عنه (التفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى حاضراً فالخبر محذوف (فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بالمكث فى مقامه وفى رواية للبخارى فى كتاب الامامة فأشار صلى الله عليه وسلم اليه أن امكث مكانك . قال الحافظ فى الفتح وفى رواية عمر بن على فدفع فى صدره ليتقدم فأبى (فرجع أبو بكر يده) فى البخارى من باب الامامة يديه بالتثنية (فحمد الله) ظاهره أنه تلفظ بالحمد لكن فى رواية الحميدى عن سفيان « فرفع أبو بكر رأسه الى السماء شكراً لله ورجع

ورجع القهقرى وراءه حتى قام فى الصف فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى للناس فلما فرغ أقبل على الناس فقال أيها الناس مالكم حين نابكم شيء فى الصلاة أخذتم فى التصفيق إنما التصفيق للنساء ؛ من نابه شيء فى صلاته فليقل سبحان الله ، فانه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت ، يا أبا بكر مامنعك أن

القهقرى » وادعى ابن الجوزى أنه أشار بالحمد والشكر بيده ولم يتكلم وليس فى رواية الحميدى مايمنع أن يكون تلفظ ويقوى ذلك ماعند الامام أحمد عن أبى حازم « يا أبا بكر لم رفعت يديك ومامنعك أن تثبت حين أشرت اليك ؟ قال رفعت يدى لأنى حمدت الله على مارأيت منك » (ورجع القهقرى) أى يمشى إلى خلفه فقوله (وراءه) بالنصب على الحال تأكيد وفعل ذلك لئلا يستدبر القبلة فتبطل صلاته وهو محمول على أنه لم تتوال منه حركات مبطلة (حتى قام) أى تأخر إلى موقف المأموم فقام (فى الصف) ولم يقف منفرداً عنه لكراهته المفوتة لفضل الجماعة (فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى) إماما للناس (فلما فرغ أقبل بوجهه على الناس فقال يا أيها الناس مالكم) جملة مركبة من مبتدأ وخبر أى أى شيء لكم (حين نابكم) أى أصابكم (شيء فى الصلاة) هو فى تلك القصة تنبيه الصديق على مجيء النبى صلى الله عليه وسلم (أخذتم) أى شرعتم (فى التصفيق) جملة حالية بتقدير قد وحين ظرف والمعنى أى شيء بكم وقد صفقتم حين أصابكم شيء فى الصلاة (انما التصفيق للنساء) وفى رواية للبخارى « انما التصفيح للنساء » زاد الحميدى « التسبيح للرجال » وقد روى البخارى هذه الجملة الاخيرة مقتصراً عليها فى حديث آخر وفى البخارى قال سهل أى ابن سعد الساعدى « هل تدرون ماالتصفيح هو التصفيق » قال فى الفتح وهذا حجة من قال إنهما بمعنى وبه صرح الخطابى وأبو على القالى والجوهرى وغيرهم وادعى ابن حزم نفى الخلاف فى ذلك وتعقب بما حكاه القاضى عياض فى الاكمال أنه بالحاء الضرب بظاهر احدى اليدين على الاخرى وبالقاف ببباطنها على باطن الاخرى وقيل بالحاء الضرب باصبعين للانذار والتنبيه وبالقاف بجميعها للهو أو اللعب اهـ (من نابه) أى أصابه (شيء فى صلاته فليقل سبحان الله) ليتنبه على أنه فى الصلاة ويقصد به الذكر وحده أو مع الاعلام (فانه) أى المصلى (لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت) بالبناء للفاعل (يا أبا بكر مامنعك) من (أن

تصلى بالناس حين أشرت إليك ؟ فقال أبو بكر ما كانَ ينبغى لابن أبى قحافةَ أن يصلى بالناس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

تصـلى) إماما (للناس حين أشرت اليك) أى بملازمة ماشرعت فيه من إمامتك بالقوم وكانت الاشارة منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم بالصلاة كما فى باب الاشارة فى الصلاة من فتح البارى (فقال أبو بكر ما كان) زائدة (ينبغى) أى لايصح (لابن أبى قحافة) كنية أبيه واسمه عثمان رضى الله عنهما (أن يصلى) إماما (بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى ليس هذا من باب الأدب المأمور به العباد معه صلى الله عليه وسلم فافعله من سلوك الأدب وتقديمه على الأمر الذى ليس على سبيل الايجاب والتحتم وسيأتى فى ترجمة ابن عوف فى باب فضل البـكاء بيان أنه ﷺ صلى فى مرض موته وراء أبى بكر أيضا واستمر أبو بكر الى أن أتم الصلاة اماما بالقوم كما تقدم قريبا ، قال فى فتح البارى وفى الحديث من الفوائد الاصلاح بين الناس ، وجمع كلمة القبيلة ، وحسم مادة القطيعة ، وتوجه الامام بنفسه الى بعض رعيته لذلك ، وفيه جواز الصلاة الواحدة بامامين أحدهما بعد الآخر وفيه فضل أبى بكر على جميع الصحابة ، واستدل به جمع من الشراح ومن الفقهاء كالرويانى على أن أبا بكر عند الصحابة كان أفضلهم لـكونه اختاره دون غيره وفيه جواز التسبيح والحمد فى الصـلاة لانه من ذكر الله ولو كان مراد المسبح إعلام الغير بما صدر منه أى مع قصد الذكر بذلك و إلا أبطل الصلاة عند الشافعية وفيه جواز الالتفات للحاجة وأن مخاطبة المصلى بالاشارة أولى من مخاطبته بالعبارة وأنها تقوم مقام النطق لمعاتبة النبى صلى الله عليه وسلم على مخالفة إشارته وفيه الحمد والشكر على الوجاهة فى الدين وأن من أكرم بكرامة تخير بين القبول والترك إذا فهم أن ذلك الأمر على غير جهة اللزوم وكأن القرينة التى بينت لأبى بكر ذلك كونه صلى الله عليه وسلم شق الصفوف الى أن انتهى اليه فـكأنه فهم من ذلك أن قصده أن يؤم الناس وأن أمره إياه بالاستمرار فى الامامة من باب الاكرام له والتنويه بقدره فسـلك هو طريق الأدب والتواضع ورجح ذلك عنده احتمال نزول الوحى فى حالة الصلاة لتغير حكم من أحكامها وكأنه صلى الله عليه وسلم لأجل هذا لم يتعقب اعتذاره برد عليه وفيه سؤال الرئيس عن سبب مخالفة أمره قبل الزجر عن ذلك وفيه اكرام

متفق عليه * معنى (حُبِسَ) أمسكوه ليُضيفوه

﴿ باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين ﴾

قال الله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

الكبير بمخاطبته بالكنية واعتماد ذكر الرجل لنفسه بما يشعر بالتواضع من جهة استعمال أبي بكر لفظ الغيبة مكان الحضور والا فكان الكلام أن يقول أبو بكر ماكان لى فعدل عنه الى قوله ما كان لابن أبي قحافة لأنه أدل على التواضع من الأول وفيه غير ذلك اه ملخصاً (متفق عليه) أخرجاه فى كتاب الصلاة وأخرجه البخارى فى كتاب الاحكام وأبو داود والنسائى فى الصلاة اه ملخصاً من الاطراف للمزى (معنى حبس) فى قوله «وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو مبنى للمفعول (امسكوه ليضيفوه) بضم التحتية وكسر الضاد بعدها تحتية ساكنة ففيه اضافة الرئيس إذا أوفد على القوم وفيه مزيد تواضعه وجلوسه جبراً لخواطرهم لحضور ضيافتهم

(باب فضل ضعفة)

بفتحات جمع ضعيف قال ابن هشام فى التوضيح فعلة بفتحتين وهو شائع فى وصف المذكر العاقل الصحيح اللام نحو كامل وكملة وساحر وسحرة اه ففيه إيماء الى ندور ما نحن فيه من جمع ضعيف على ضعفة وقد بين وجه جمعه عليه فى المصباح فقال هو ضعيف والجمع ضعفاء وضعاف أيضاً وجاء أيضاً ضعفة وضعى قال ولو حظ فى ضعيف معنى فاعل فجمع على ضعاف وضعفة مثل كافر وكفرة اه وفى شرح أبيات الجمل لابن السيد « وجاز أن يكسر فعيل على فعلة من حيث إن فعيل وفاعل يشتركان فى المعنى الواحد فيقال عليم وعالم وقدير وقادر فاشتركا فى جمعهما كما اشتركا فى مفردهما وكما قالوا عالم وعلماء وشاعر وشعراء وباب فعلا فى الجمع إنما هو لفعيل نحو حكيم وحكماء وبصير وبصراء اه » أى فضل ضعفاء (المسلمين و) فضل (الفقراء) من الدنيا (والخاملين) الذكر فيها وان لم يكونوا فقراء (قال الله تعالى واصبر نفسك) احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) أى فى مجامع أوقاتهم أو فى طرفى النهار وقرىء بالغدوة وفيه أن غدوة علم فى الاكثر فاللام فيه على تأويل

يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم » * وعن حارثةَ بن وهب رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كلُّ ضعيف متضعّفٍ

التنكير وأصل غداة بالفتح غدوة بوزن ضربة فنقلت حركة الواو الى الدال واعتلت كاعلال أقام (يريدون وجهه) أى رضا الله وطاعته وسيأتى بسط فى معنى الآية فى اثناء الكلام على حديث سعد فى الباب بعده عن القرطبى (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرىء « ولا تعد عينيك » ولا تعد من أعداه والمراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزدرى بفقراء المؤمنين ويغلق عينيه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء قال الكواشى قال قوم من رؤساء الكفار لرسول الله ﷺ نحن هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الصنان وهم صهيب وعمار وغيرهما من فقراء المسلمين حتى نجالسك فنزلت هذه الآية اه

(وعن حارثة) بالحاء المهملة وكسر الراء وبالمثلثة (ابن وهب) الخزاعى أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لأمه قال ابن النحوى فى شرح البخارى أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب الخزاعية روى عنه أبو اسحق السبيعى ومعبد بن خالد الجهنى (رضى الله عنه) قال ابن الجوزى فى المستخرج المليح : له ستة أحاديث أخرج له منها فى الصحيحين أربعة أحاديث اتفقا عليها وقال البرقى له حديثان وهو غلط لانه قد أخرج له فى الصحيحين أربعة أحاديث اه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا) حرف استفتاح لتنبيه السامع الكلام الآتى بعده (أخبركم بأهل الجنة) قال ابن النحوى أى بمعظمهم وكذا فى القسم الاخير وليس المراد الاستيعاب وسكت الراوى عن ذكر . جوابهم للعلم بوقوعه أى قالوا بلى فقال هم (كل ضعيف) فهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة بيان ومعنى ضعيف ، أى نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله فى الدنيا (متضعف) قال ابن النحوى هو بفتح العين المشددة وكذا ضبطه الدمياطى قال ابن الجوزى وغلط من كسرها انما هو بالفتح يعنى أن الناس يستضعفونه ويقهرونه وقال النووى روى بالفتح عند الاكثرين وبالكسر اه قال الطيبى

لو أقسم على الله لأبرَّه ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبر» متفق عليه * (العُتُلُّ) الغليظُ الجافي

فمعناه على الفتح يستضعفه الناس ويحتقرونه ويفخرون عليه لضعف حاله فى الدنيا ومعناه بالكسر متواضع متذلل خامل واضع من نفسه اه وقيل المراد انه يستضعف أى يخضع لله سبحانه ويذل له نفسه حكاه المصنف مقتصرا عليه «قلت» وعلى هذا جرى العلقمى وزاد فى رواية « مستضعف » وفى رواية لاحمد « الضعيف المستضعف » (لو يقسم على الله لأبره) أى لأبر قسمه أى لو حلف يمينا طمعا فى كرم الله بابراره لأبره بحصول ذلك وسيأتى فيه بسط ومن ذلك ماروى عن أنس ابن النضر فى اخته الربيع لما كسرت سن المرأة وأمر صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال أنس والله لا تكسر سن الربيع فرضى أهل المرأة المجنى عليها بالارش فقال صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبر قسمه » وأتى بالمضارع فى حديث الباب إيماء الى استمرار عناية الله بهم كل زمن ووقت وقضاء حوائجهم وتيسير مطالبهم ويكفيك قوله فى الحديث القدسى « لايزال عبدى يتقرب الى حتى أحبه » الحديث أى كنت متوليا لسائر أموره كافيا له فى مطالبه (ألا أخبركم بأهل النار) أى بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها ، هم (كل عتل) بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام (جواظ مستكبر) أى متخلق به وهو كما فى الحديث المرفوع «بطر الحق» أى دفعه وعدم الانقياد اليه «وغمط الناس» أي احتقارهم زاد فى رواية بعد جواظ جعظرى وهو بفتح الجيم والظاء المعجمة وسكون المهملة بينهما قيل اللفظ الغليظ وقيل الذى لاعرض له وقيل الذى يتمدح بما ليس عنده (متفق عليه) أخرجه البخارى فى التفسير والادب والنذور من صحيحه ومسلم فى صفة الجنة وأخرجه الترمذى فى صفة الجنة ومداره عندهم على شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة كذا لخص من الاطراف للمزى (العتل الغليظ) العنيف هذا قول الخطابى (الجافى) من الجفاء أى الجافى عن المواعظ هذا قول الفراء والمصنف جمع القولين وجعلهما قولا واحدا وقيل هو الشديد من كل شىء وقيل الكافر وقال الداودى السمين العظيم العنق والبطن وقال الهروى الجموع المنوع قال ويقال هو القصير البطين وقيل

(والجواظ) بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة وهو الجموع المنوع ، وقيل الضخم المختال فى مِشيتِهِ وقيل القصير البَطين * وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : « مرَّ رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فقالَ لِرَجُلٍ عنده جَالِسٍ ماراْيك فى هذا ؟ فقال رجلٌ من أشراف الناس ، هذا والله حَرِىٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ وإنْ شَفَعَ ، أنْ يُشَفَّعَ .

الأكول الشروب الظلوم (والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة وهو الجموع المنوع) هذا بعض تفسير له جاء مرفوعا قال ابن النحوى روى عن ابن عباس مرفوعا « ثلاثة لايدخلون الجنة الجواظ والعتل والجعظرى ، قيل يارسول الله وما الجواظ ؟ قال الجموع المنوع البخيل بما فى يديه » والجعظرى « الفظ على ماملكت يمينه والغليظ لقرابته وجيرانه وأهل بيته ، والعتل الشرس الخلق الرحب الجوف الاكول الشروب الغشوم الظلوم » اه (وقيل) كما حكاه الخطابى واقتصر عليه الجوهرى فى صحاحه (الضخم) فى البدن أى كثير لحمه (المختال) افتعال من الخيلاء وهو التكبر (فى مشيته) بكسر الميم (وقيل) كما حكاه فى النهاية (القصير البطين) بفتح أولهما وكسر ثانيهما أى القصير العظيم البطين لشرهه ونهمه فليس غرضه سوى ملء بطنه . وفى الحديث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » رواه البخارى (وعن أبى العباس) كنية (سهل) وقيل كنيته أبو يحيى وهو (ابن سعد) بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصارى (الساعدى) نسبه (رضى الله عنه) لجده ساعدة (قال مر رجل) لم أقف على من سماه (على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لرجل) وفى البخارى فقال ما تقولون قال الشيخ زكريا الخطاب لما حضره صلى الله عليه وسلم وهو أبو ذر ومن معه (ما رأيك فى هذا) من حيث التعظيم له باعتبار الأمور الدنيوية (فقال رجل من أشراف الناس) الذين ينظرون الى الظواهر (هذا) أى المسئول عنه (والله حرى إن خطب) مولية (أن ينكح) بالبناء للمفعول وكذا المضارعة الآتية بعد أن يزوج (وإن شفع) فى أمر (أن يشفع) أى لحسبه أو اشرف نسبه

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرّ رجل آخرُ فقال لهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيكَ فى هذا ؟ فقال يارسُول الله هذا رجل من فُقراء المُسلمين هذا حرى إنْ خَطب أنْ لا يُنْكح وإنْ شَفَع أنْ لايُشفَّع ، وإن قال أنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خيْرٌ من ملء الأرض مثل هذا » متفق عليه*

وظهور فخره دنيا (فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل) أى آخر زاد فى رواية للبخارى « من فقراء المسلمين » وهو فى نسخة من هذا الكتاب أيضا واسمه جعيل بن سراقة العقارى كما ذكره شيخنا شيخ الاسلام زكريا فى تحفة القارى ولعل الرجل الاول كان عيينة بن حصن أو الاقرع بن حابس ففى أسد الغابة « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الابل وتركت جعيلا . فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لجعيل خير من طلاع الأرض مثل عيينة والأقرع » الحديث قال أخرجه بن عبد البر وابن منده وأبو نعيم اه (فقال له) أى لذلك أى الذى عنده (رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك فى هذا ؟ فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى ان خطب) مولية (أن لاينكح) لفقره (وان شفع) فى أمر (أن لايشفع وان قال أن) أى تكلم (لايسمع لقوله) ويجوز فى الافعال الواقعة جوابا الجزم وهو الأفصح والرفع لكون فعل الشرط ماضيا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا) أى الذى احتقرتموه لفقره (خير) عند الله (من ملء الأرض) أى مما يملأ بها (مثل هذا) الذى فضلتموه عليه قال الكرمانى ان قلت كيف هذا « قلت » ان كان الاول كافرا فالوجه ظاهر والا فيكون ذلك معلوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اه (متفق عليه) كما فعل الحميدى وأبو مسعود وابن الجوزى فأوردوه فى المتفق عليه من حديث سهل وتبعهم المصنف ، وأبى مالك الطرقى وخلف فعزياه الى البخارى فقط ذكره ابن النحوى « قلت » وجرى على الأخير الحافظ المزى فاقتصر على عزوه الى البخارى فى كتاب النكاح والرقاق قال . وأخرجه ابن ماجه فى الزهد وقال الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف على الاطراف قال الحميدى ذكره ابن مسعود فى المتفق عليه ولم أجده فى مسلم قال الحافظ وذكره خلف والطرقى وغيرهما فى

قوله (حرى) هو بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد الياء أى حقيق وقوله (شفع) بفتح الفاء . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « احتجت الجنةُ والنارُ فقالت النار فِىّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فىّ ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما إنك الجنةُ رحمتى أرحم بك من أشاء

أفراد البخارى وهو الصواب اه (قوله حرى هو بفتح الحاء) المهملة (وكسر الراء) لاحاجة الى وصفها بالاهمال دفعاً لاشتباهها بالزاى للفرق بين اسمها بنون الكافى (١) الأخيرة فى اللغة المشهورة فيه دون الراء (وتشديد الياء أى حقيق) وبمعناه جدير وقمين وعمى (وقوله شفع بفتح الفاء) مضارعه يشفع بفتحها أيضا (وعن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان الأنصارى (الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال احتجت) بتشديد الجيم أى تخاصمت (الجنة والنار) قال الطيبى والمقصود حكاية ما يقع بينهما مما اختص به كل منهما وفيه شائبة من معنى الشكاية ألا ترى كيف قال للجنة أنت دار رحمتى الخ فأخص كلا بما تقتضيه مشيئته قال المصنف هذا الحديث على ظاهره وأن الله تعالى جعل فيهما ادراكا فتحاجا ، ولا يلزم من هذا أن يكون التمييز فيهما دائما وكذا قال الطيبى قال ويجوز أن يكون على وجه التمثيل (فقالت النار فى) بتشديد الياء أولاهما المدغمة آخر الحروف وثانيهما ياء المتكلم (الجبارون) أى الذين يقهرون الغير على مراداتهم على حسب أهويتهم (والمتكبرون وقالت الجنة فى) بتشديد الياء أيضاً (ضعفاء الناس) أى المتواضعون منهم أو المستضعفون فيهم لفقرهم وعدم ثروتهم وانما عز الدنيا عند أهلها السكارى بحبها قال سيدنا عمر بن الخطاب « عز الدنيا بالمال ، وعز الآخرة بالأعمال » (ومساكينهم) أى والمحتاجون منهم الصابرون على الضرار من غير تضجر ولا تبرم من القضاء اكتفاء بتدبير المولى فيهم ورضاء بما قسم لهم (فقضى الله بينهما) أى أخبر عما أراده لهما مما سبقت به إرادته قائلا (انك الجنة) فى اللغة عبارة عن البستان من النخيل والأعناب والمراد منها هنا مقابل النار (رحمتى) قال الطيبى سماها رحمة لأن بها تظهر رحمة الله كما قال (أرحم بك من أشاء) وإلا فرحمة الله من صفاته التى لم يزل بها موصوفا ليس لله صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جل وعلا اه وهذا بناء على أن الرحمة الموصوف بها تعالى

---

(١) هكذا وجدت هذه العبارة بالأصل الذى فى أيدينا اه مصححه

و إنك النارُ عذابي أعذّبُ بكَ من أشاء . ولكليكما عليَّ مِلْؤُها » رواه مسلم وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عندالله جناح بعوضة» متفق عليه * وعنه

يراد منها إرادة الفضل والاحسان فتكون من صفات المعانى الأزلية القائمة بالذات أما إذا أولت بالإحسان نفسه فتكون من صفات الأفعال وهى حادثة غير قائمة بذات البارى عند الاشعرى وأتباعه وظاهر أن المراد هنا المعنى الثانى (وانك النار عذابى أعذب بك من أشاء) مما تعلقت الارادة الالهية بتعذيبه (ولكليكما على ملؤها) فمن يدخل الجنة لا يخرج منها ألبتة وكذا من يدخل النار من الكفرة أما ذوو المعاصى من المؤمنين إذا دخلوها فلابد من خروجهم منها ودخولهم الجنة بالوعد الذى لايخلف قال تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات وفى قلبه مثقال ذرة من إيمان دخل الجنة» (رواه مسلم) وسيأتى بيان الباب الذى ذكره فيه من صحيحه ومافيه . (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال) وفى نسخة قال انه (ليأتى) بفتح اللام وهى المؤذنة بالقسم المقدر قبلها المأتى به لتأكيد الامر وتقويته (الرجل العظيم) قدراً فى الدنيا (السمين) جسما (يوم القيامة) ظرف ليأتى (لايزن عندالله جناح بعوضة) جملة حالية من فاعل يأتى أى لايعدله عند الله أى لاقدر له عنده وتتمة الحديث فى مسلم «اقرؤا إن شئتم فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا » قال المصنف فى الحديث ذم السمن ففيه تنبيه على أنه ليس المدار فى الرفعة عند الله والقرب من فضله وساحة جوده بالصور وانما ذلك بما يقر فى القلوب من الأنوار الالهية والتجليات الربانية أهلنا الله لذلك بفضله (متفق عليه) فاخرجه البخارى فى التفسير من صحيحه ومسلم فى التوبة كلاهما من طريق يحيى ابن بكير عن المغيرة عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ورواه البخارى فى التفسير ايضا اولا عن محمد بن عبد الله عن سعيد بن ابى مريم عن المغيرة قال الحافظ فى النكت الظراف : واخرجه الطبرانى فى الاوسط عن عمرو بن ابى الطاهر عن سعيد بن أبى مريم عن المغيرة عن أبى الزناد وقال تفرد به سعيد قال الحافظ تقى الدين بن فهد فى الاشراف ورواية يحيى بن بكير ترد عليه اه (وعنه)

« أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد أو شابًّا فَفَقَدَهَا أوفقدهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسألَ عَنها أوْ عَنهُ فقالوا ماتَ . قال أفلا كنتم آذنتمونى به فكأنهم صغروا أمرها أو أمره ، فقال دلونى على قبره أو قبرها فدلوهُ فصلى عليها

أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شابا) أى أسود وفى البخارى فى باب كنس المسجد أن رجلا أسود او امرأة سوداء والشك فيه من ثابت لأنه رواه عنه جماعة هكذا ومن أبي رافع قال الحافظ وسيأتى بعد باب من وجه آخر عن عمار بهذا الاسناد فقال ولاً أراه إلا امرأة وروى ابن خزيمة من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة فقال امرأة سوداء ولم يشك ورواه البيهقى باسناد حسن من حديث ابن بريدة عن ابيه فسماها أم محجن وأفاد أن الذى أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤاله عنها أبو بكر الصديق وذكر ابن منده فى الصحابة جزما امرأة سوداء كانت تقم المسجد وقع ذكرها فى حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس وذكرها ابن حبان فى الصحابة بدون ذكر السند فان كان محفوظا فهذا اسمها وكنيتها أم محجن كذا فى فتح البارى (ففقدها) أى المرأة والنسمة ليعم كلا منهما (رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو) شك من الراوى مرتب على الشك قبله أى أو قال (عنه) أى عن حال ذلك الانسان ومفعول سأل محذوف أى سأل الناس (فقالوا مات) أى ذلك الشخص (قال أفلا كنتم آذنتمونى) أى أمسكتم عن الاعلام فما آذنتمونى (به) أى أعلمتمونى بموته والمعطوف عليه مقدر بعد الهمزة (فكأنهم صغروا) بتشديد الغين (أمرها أو) شك أى أو قال صغروا (أمره) أى انه من الفقراء الخاملين الذى لا يؤبه بوفاة مثله فيدعى للصلاة عليها مثلك ، وهذا يحتمل أن يكون من الصحابة وقالوا ذلك اعتذاراً أى اننا آثرنا راحتك وبقاءك فى منزلك إن مثل ذلك الميت ليس من مشاهير الصحابة أولى السبق والايادى فى الاسلام كما جاء كذلك عند ابن خزيمة من طريق العلاء « قالوا مات فى الليل فكرهنا أن نوقظك » وكذا فى حديث بريدة (فقال دلونى على قبره) هكذا هو فى النسخ بضمير المذكر بلا شك وهو محتمل لأن يكون الواقع وحده فقط مع الشك فى كون المحدث عنه امرأة أو عبد أو تذكيره باعتبار الميت (فدلوه فصلى عليها) أى النسمة المتوفاة هذا ما اتفقا

ثم قال إن هـذه القبور مملوءة ظُلْمَةً على أهلها وان الله تعالى ينوِّرها لهم بصلاتى عليهم » متفق عليه . قوله (تقم) وهو بفتح التاء وضم القاف أى تكنس والقمامة الكُناسة (وآذنتمونى) بمد الهمزة أى أعلمتمونى . وعنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « رُبَّ

عليه زاد مسلم عن أبى كامل الجحدرى عن حماد عن أبى رافع عن أبى هريرة أى وهو اسناد الحديث عندهما (ثم قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها) لعدم المنافذ التى يدخل منها الضوء اليها فلا ينيرها الا الاعمال الصالحة أو الشفاعات المقبولة الراجحة (وان الله ينورها لهم) اى يدخل النور لهم فيها (بصلاتى) بسبب صلاتى (عليهم) قال الحافظ فى فتح البارى فى كنس المسجد وإنما لم يخرج البخارى هذه الزيادة لأنها مدرجة فى هذا الاسناد وهى من مراسيل ثابت ، بين ذلك غير واحد من اصحاب حماد بن زيد اوضحت ذلك بدلائله فى كتاب بيان المدرج قال البيهقى يغلب على الظن ان هذه الزيادة من مراسيل ثابت كما قال احمد بن عبدة او من رواية ثابت عن أنس يعنى كما رواه ابن منده ووقع فى مسند أبى داود الطيالسى عن حماد بن زيد الجزار كلاهما عن ثابت بهذه الزيادة اه وبه يعلم مافى قول المصنف (متفق عليه) وفى الحديث فضل تنظيف المساجد والسؤال عن الخادم والصديق إذا غاب وفيه المكافأة بالدعاء والترغيب فى شهود جنائز أهل الخير وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصل عليه (قوله تقم بفتح التاء) أى الفوقية ان كان المحدث عنه الجارية وإلا فبالتحتية (وضم القاف أى تكنس) قال الحافظ فى الفتح جاء فى رواية « أنها كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد » وفى حديث بريرة كانت مولعة بلقط القذا من المسجد وهو بالقاف وبالذال المعجمة مقصوراً جمع قذاة وجمع الجمع أقذية قال أهل اللغة القذا فى العين والشراب ماتساقط فيه ثم استعمل فى كل شىء يقع فى البيت وغيره اذا كان يسيراً (والقمامة الكناسة) بضم أوليهما وهذه الصيغة لما لا يحتفل به كالزبالة والنخالة (وآذنتمونى بمد الهمزة أى أعلمتمونى) من الايذان الاعلام (وعنه) أى أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم رب) قال ابن هشام فى المغنى ليس معناها التقليل دائماً

أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه » رواه مسلم * وعن أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «قمت على باب الجنة فاذا عامةُ من دَخلها المساكينُ وأصحابُ الجدّ محبوسون

خلافا لابن درستويه وجماعة بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا ومن الأول قوله تعالى « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » وفى الحديث « يارب كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة » اه (أشعث) قال العلقمى فى المصباح شعث الشعر شعثاً فهو شعث من باب تعب تغير وتلبد لقلة تعهده بالدهن أى والترجيل (أغبر قال) فى المصباح الغبار معروف وأغبر الرجل بالألف أثار الغبار (مدفوع بالأبواب) اى يدفع بها لحقارة قدره عندهم لفقره ورثاثة ملبسه (لو أقسم على الله) أى حلف يمينا بحصول أمر طمعا فى كرم الله (لأبره) لأوجد ذلك إكراما له باجابة سؤاله وصيانته من الحنث فى يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وان كان حقيراً عند الناس ، وقيل معنى اقسم دعا ومعنى ابره أجاب دعوته قاله المصنف فى شرح مسلم (رواه مسلم) قال فى الجامع الصغير بعد إخراجه بهذا اللفظ الا أنه لم يذكر (أغبر) أخرجه مسلم وأحمد (وعن اسامة) هو ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه كما صرح به كذلك المزى فى الاطراف (رضى الله عنه) حال كونه راويا (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة) أى معظم (من دخلها) من الناس (المساكين) أى الضعفاء المستضعفين فى الدنيا الصابرين على الضراء والشاكرين على السراء (وأصحاب الجد) أى الغنى (محبوسون) قال ابن النحوى كذا فى الأصول بالحاء المهملة ثم باء من الحبس وكذا عند ابى ذر وهو ظاهر قال ابن التين كذا هو عند الشيخ أبى الحسن ولعله بفتح التاء والراء اسم مفعول من احترس قال أهل اللغة يقال احرس بالمكان إذا أقام به حرسا فهم موقوفون لا يستطيعون الفرار وقال الداودى ارجو ان يكون المحبوسون أهل التفاخر لا أفاضل هذه الامة الذين كان لهم اموال ووصفهم الله بأنهم سابقون . ولما نقل ابن بطال عن المهلب أن فى الحديث « أن أقرب مايدخل به الجنة التواضع لله عز وجل وأن أبعد الاسباب من الجنة التكبر بالمال وغيره ، قال وإنما صار اصحاب الجد محبوسين لمنعهم حقوق الله الواجبة

غيرَ أنَّ أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامةُ من دخلها النساء * متفق عليه و (الجد) بفتح الجيم الحظ والغنى

للفقراء فى أموالهم فحبسوا للحساب لما منعوه فاما من أدى حقوق الله تعالى فى ماله فانه لا يحبس عن الجنة الا أنهم قليل إذ أكثر شأن اهل المال تضييع حقوق الله تعالى فيه لأنه محنة وفتنة ألا ترى «الى قوله » وكان عامة من دخلها المساكين وهذا يدل على أن الذين يؤدون حقوق الله فى المال ويسلمون من فتنته هم الأقلون اه وقيل إنهم محبوسون لسبقهم الفقراء بخمسمائة عام كما ورد ذلك فى الحديث ثم هو فى بعض النسخ مضبوط بنصب أصحاب فيقدر له فعل عام فيه اى ورأيتهم والواو فى محبوسون فيكون ذلك على تقدير مبتدأ فيكون استئنافا بيانيا كأن سائلا يسأله عن شأن أصحاب الجد فأجاب بأنهم محبوسون (غير) بالنصب وفى رواية الا (أن أصحاب النار) أى المستحقون لها بكفر أو معاصى من أصحاب الجد (قد أمر بهم الى النار) والجملة مضاف اليها إذا الفجائية (وقمت على باب النار) فكشف لى عن أهلها (فاذا عامة من دخلها) مبتدأ خبره النساء) هذا باعتبار أول الامر فلا ينافى خبر «يمشى الرجل من أهل الجنة أى يأوى على ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من بنى آدم وسبعون من الحور العين لأن هذا باعتبار الآخر فالنساء أكثر أهل النار ابتداء وأكثر أهل الجنة انتهاء (متفق عليه) فأخرجه البخارى فى صحيحه فى بابى النكاح والرقاق ومسلم فى آخر كتاب الدعوات وأخرجه أحمد والنسائى فى عشرة النساء واستدل بحديث الباب على فضل الفقر على الغنى وتعقب بأنه ليس فيه أكثر من بيان أن الفقراء فى الجنة أكثر من الأغنياء وليس فيه أن الفقر أدخلهم الجنة انما دخلوها بصلاحهم مع الفقر فالفقير إذا لم يكن صالحا لا فضل فيه قال العلقمى ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا كما أن فيه تحريض على الاغنياء بأمر الدين لئلا يدخلوا النار اه (والجد بفتح الجيم) وتشديد الدال المهملة (الحظ والغنى) ويطلق على أبى الاب وعلى أبى الأم وعلى العظمة ومنه « تعالى جد ربنا » وعلى القطع وفى القاموس أنه يطلق أيضاً على الرجل العظيم الحظ وعلى الرزق وعلى

وقوله (محبوسون) أى لم يؤذن لهم بعد فى دخول الجنة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم

شاطىء النهر اه أما الجد بالكسر فالاجتهاد (وقوله محبوسون أى لم يؤذن لهم بعد فى الدخول) إما لوقوفهم للحساب وإما ليسبقهم اليها صالحو الفقراء كما تقدم (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة) قال الزركشى أى من بنى اسرائيل والا فقد تكلم فى المهد جماعة غيرهم ففى مسلم فى قصة أصحاب الأخدود « أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار لتكفر ومعها صبى مرضع فتقاعست فقال لها يا أماه اصبرى فانك على الحق » قلت وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فى باب الصبر قال ولأحمد والحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا « تكلم فى المهد أربعة فذكر منهم شاهد يوسف وابن ماشطة فرعون لما أراد فرعون القاء أمه فى النار فقال اصبرى » وأخرج الثعلبى عن الضحاك أن يحيى تكلم فى المهد وفى تفسير البغوى أن ابراهيم الخليل تكلم فى المهد ، وفى سير الواقدى أن نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما ولد وقد تكلم فى زمنه صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة وهو طفل وقصته فى الدلائل للبيهقى ، قال الحافظ فى فتح البارى على انه اختلف فى شاهد يوسف فقيل كان صغيرا وهذا أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وسنده ضعيف وبه قال الحسن وابن جبير وأخرج عن ابن عباس أيضاً ومجاهد أنه كان ذا لحية وعن قتادة والحسن أيضاً أنه كان حكيما من أهلها اه قال السيوطى فى التوشيح بعد ذكر ما ذكر فكملوا عشرة وقد نظمتها فى أبيات وقد تقدمت عنه فى باب الصبر وقد نظمت أسماءهم بقولى :

تكلم فى المهد طه كذا * خليل ويحيى وعيسى ومريم
وشاهد يوسف مبرى جريج * وطفل لدى النار لما تضرم
وطفل ابن ماشطة قد غدت * لفرعون فيما مضى من أمم
وطفل عليه أتوا بالامه * يقولون تزنى ولما تكلم
كذا فى عهد خير الورى * مباركهم وبه يختتم

(عيسى) اسم عبرانى وزعم أنه مأخوذ من العيس أحد ألوان الابل لحمرة فيه رده البيضاوى فى تفسير سورة آل عمران بأنه تكلف لا دليل عليه (ابن مريم) إذ

وصاحبُ جُريج وكان جريجٌ رجلا عابداً فاتخذ صَوْمَعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجريج فقال أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجُرَيْجُ فقال يارَب أُمّى وصلاتى فأقبل على صلاته

قال وهو فى المهد كما أخبر الله عنه إنى «عبدالله» الآية (وصاحب جريج) بجيمين مصغر (وكان جريج رجلا عابدا) وكان فى أول أمره تاجرا وكان يزيد مرة وينقص أخرى فقال مافى هذه التجارة خيرة لالتمس تجارة فى خير من هذه فبنى صومعة وترهب فيها كذا فى رواية أحمد ، فدل ذلك على أنه كان بعد عيسى ومن أتباعه لانهم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النفس فى الصوامع (فاتخذ صومعة) بفتح المهملة والميم وسكون الواو بينهما وهى البناء المرتفع المحدد أعلاه ووزنها فوعلة من صمعت إذا دققت لأنها دقيقة الرأس (فكان فيها) يعبد الله مؤثرا للخلوة والعزلة (فأتته أمه) قال الحافظ فى فتح البارى لم اقف فى شىء من الطرق على اسمها (وهو يصلى) جملة حالية من ضمير المفعول مقرونة بالواو والضمير معا (فقالت ياجريج) زاد فى رواية أحمد «أشرف على أكلمك أنا أمك» وفى حديث عمران بن حصين «وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فتكلمه فأتته يوما وهو فى صلاته» (فقال أى) بفتح الهمزة وسكون الياء لنداء القريب وهو تعالى اقرب من كل قريب بعلمه وكرمه وفى نسخة بدل أى يا (رب أمى وصلاتى) أى اجتمع على إجابة امى واتمام صلاتي فوفقنى لافضلهما زاد فى رواية الاعرج عند الاسمعيلى (اوثر صلاتى على امى) ذكره ثلاثا (فأقبل على) إتمام (صلاته فانصرفت) ذلك اليوم (فلما كان) أى جريج فى زمانه (من الغد) اليوم الذى بعد ذلك اليوم الاول (أتته أمه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال أى رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته) فى اليوم الثانى أيضا (فلما كان من الغد) أى اليوم الثانى وهو الثالث (أتته فقالت ياجريج فقال يا) وفى نسخة مصححة أى (رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته) قال الحافظ فى فتح الباري وكل ذلك أى الكلام الوارد عنه فى الصلاة محمول على أنه قاله فى نفسه أى أو مافي معناه

فقالت اللهم لاتُمِتْهُ حتى ينظر إلى وجوه المومسات ، فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بحسنها فقالت إن شِئْتُمْ لأفتننَّهُ فتَعَرَّضَتْ لهُ فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوى إلى صَوْمَعته فأمْكَنَتْهُ من نَفسها

من تحريك اللسان من غير أن يسمع نفسه ولم يتحرك لسانه ثلاث حركات متوالية لا أنه نطق به أى وأسمع نفسه وهو صحيح السمع سالم من اللغط ونحوه قال ويحتمل أن يكون نطق به على ظاهره لأن الكلام كان مباحا عندهم وكذا فى صدر الاسلام قال وقد سبق حديث يزيد بن حوشب عن أبيه رفعه « لو كان جريج عالما لعلم أن إجابته أمه أولى من صلاته » اه (فقالت اللهم لا تمته) بضم الفوقية الأولى (حتى ينظر الى وجوه المومسات) وفى رواية للأعرج وأبى سلمة عن أبى هريرة « حتى ينظر فى وجوه المياميس » وفى حديث عمران بن حصين « فغضبت وقالت اللهم لا يموتن جريج حتى ينظر فى وجوه المومسات » (فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى) أى زانية قال العكبرى فى وزنه وجهان فقيل فعول فأعل اعلال صبور وشكور وقيل فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء أيضاً لأنها للمبالغة أو لأنه على النسب مثل طالق وحائض اه ملخصا وتقدم فيه مزيد فى باب طرق الخير (يتمثل بحسنها) بضم التحتية وفتح الفوقية وتشديد المثلثة بعد الميم أى يضرب بحسنها لكماله المثل (فقالت إن شئتم لأفتننه) فى رواية وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عند أحمد زيادة « فقالوا قد شئنا » قال الحافظ ولم أقف على اسم هذه المرأة لكن فى حديث عمران بن حصين أنها كانت بنت ملك القرية وفى رواية الأعرج « وكان يأوى الى صومعته راعية ترعى الغنم » ونحوه فى رواية أبى رافع عند أحمد، وفى رواية أبى سلمة وكان عند صومعته راعى ضأن وراعية معز ، ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة وكانت تعمل الفساد الى أن ادعت انها تستطيع أن تفتن جريجا فاحتالت بأن خرجت فى صورة راعية ليمكنها أن تأوى الى ظل صومعة جريج (فتعرضت له فلم يلتفت اليها) لعلمه بما يترتب على النظر الى حسان الصور من الضرر (ف) لما لم يفتتن ووعدتهم بذلك منه ولم تقدر عليه (أتت راعيا كان يأوى الى صومعته) أى صومعة جريج (فأمكنته من نفسها)

فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هُوَ من جُرَيْجٍ فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم ؟ فقالوا زنيتَ بهذه البَغِيِّ فولدت منك ، قال أين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلي ،

لتحمل فتنسبه الى جريج فتصدق نفسها فيما وعدت به من فتنته والله كافى عبده المتوجه اليه (فوقع عليها) أى جامعها (فحملت فلما ولدت) أى بعد انقضاء مدة حملها على العادة (قالت هو من جريج) فيه حذف تقديره فسئلت ممن هو فقالت من جريج زاد فى رواية أحمد فأخذت وكان من زنى منهم قتل فقيل لها ممن هذا فقالت هو من صاحب الصومعة وفى رواية الأعرج فقيل لها من صاحبك قالت جريج الراهب نزل الى فأصابنى زاد أبو سلمة فى رواية فذهبوا الى الملك فأخبروه فقال ادركوه فأتونى به فأتوه (فاستنزلوه وهدموا صومعته) وفى رواية أبى رافع « فأقبلوا بفؤسهم ومساحيهم الى الدير فنادوه فلم يكلمهم فأقبلوا يهدمون ديره » وفى رواية حديث عمران « فما شعر حتى سمع الفؤس فى أصل صومعته فجعل يسألهم ويلكم مالكم ؟ فلم يجيبوه فلما رأى ذلك أخذ الحبل فتدلى » (وجعلوا يضربونه) وفى رواية أبى رافع « فقالوا أى جريج انزل فأتى يقبل على صلاته فأخذوا فى هدم صومعته فلما رأى ذلك نزل فجعلوا فى عنقه وعنقها حبلا فجعلوا يطوفون بهما فى الناس » وفى رواية أبى سلمة « فقال له الملك ويحك يا جريج كنا نراك خير الناس فأحبلت هذه اذهبوا به فاصلبوه » وفى حديث عمران « فجعلوا يضربونه ويقولون مرائى تخادع الناس بعملك » وفى رواية الأعرج « فلما مر نحو بيت الزوانى ضحك فقالوا لم تضحك حتى من الزوانى » (فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت) بفتح اللام (منك قال أين الصبي فجاءوا به) أى أحضروه (فقال دعونى) أى من السب والضرب (حتى أصلى) ففيه اللجأ الى الصلاة عند الكرب وفى الحديث كان صلى الله عليه وسلم « إذا حزنه أمر بادر الى الصلاة » أورده السيوطى فى سورة البقرة من الجلالين ولم يعزه لمخرج ولا عين صحابيه قال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف رواه الطبرانى فى تفسيره من تفسير حذيفة بهذا اللفظ أخرجه أحمد وأبو داود عن حذيفة بلفظ « كان إذا حزبه أمر صلى » وأخرجه البيهقى فى قصة الخندق مطولا اه

فصلى فلما انصرف أتى الصبيَّ فطَعَنَ فى بطنه وقال ياغلامُ من أبوك ؟ قال فلان الراعى فأقبلوا على جريج يُقَبِّلونه ويتمسحون به ، وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا

(فصلى) ركعتين كما فى حديث عمران وعند وهب بن جرير فقام وصلى ودعا (فلما انصرف) اى من صلاته (أتى الصبى فطعن فى بطنه) قال الحافظ فى مرسل الحسن عن ابن المبارك فى البر والصلة انه سألهم أن ينظروه فأنظروه فرأى فى المنام من أمره أن يضرب فى بطن امرأة فيقول أيتها السخلة من أبوك ففعل (فقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعى) فى رواية أبى رافع ثم مسح رأس الصبى فقال من أبوك قال راعى الضأن وفى رواية عند أحمد فوضع إصبعه على بطنها وفى رواية أبى سلمة فأتى بالمرأة والصبى وفه فى ثديها فقال له جريج يا غلام من أبوك فنزع الغلام فاه من الثدى وقال راعى الضأن » قال الحافظ ولم أقف على اسم الراعى ويقال إن اسمه صهيب وأما الابن ففى رواية البخارى بلفظ فقال يا بابوس وتقدم شرحه وأنه ليس اسمه وانما المراد به الصغير وفى حديث عمران ثم انتهى الى شجرة فأخذ منها غصنا ثم أتى الغلام وهو فى مهده فضربه بذلك الغصن فقال من أبوك ، وفى تنبيه الغافلين للسمرقندى بغير اسناد « أنه قال للمرأة أين أصبتك قالت تحت الشجرة فأتى تلك الشجرة فقال لها يا شجرة أسألك بالذى خلقك من زنا بهذه المرأة فقال كل غصن منها راعى الغنم » ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر من مسح رأس الصبى ووضع الأصبع على بطن أمه ومن طعنه بأصبعه ومن ضربه بطرف العصى التى كانت معه وأبعد من جمع بينهما بتعدد القصة وانه استنطقه وهو فى بطنها مرة قبل أن تلد ثم استنطقه بعد أن ولد اه (فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به) عند وهب بن جرير فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه وزاد الاعرج فأبرأ الله جريجا وأعظم الناس أمر جريج (وقالوا نبنى لك صومعتك) أى ما هدمناه منها كما فى رواية أبى رافع (من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا) زاد فى رواية ابى سلمة « فرجع إلى صومعته فقالوا بالله مم ضحكت فقال ما ضحكت الا من دعوة دعتها على أمى » وفى الحديث إيثار اجابة الام على صلاة

وبينا صبيٌّ يَرضع من أمِّهِ فمر رَجُلٌ

التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة واجابة الام وبرها واجب قال المصنف وغيره انما دعت عليه لأنه كان يمكنه تخفيف صلاته واجابتها لكن لعله خشى أن تدعوه الى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها ، ونظر فيه الحافظ فى الفتح بما تقدم من انها كانت تأتيه فيكلمها والظاهر انها كانت تشتاق اليه فتزوره وتقنع برؤيته وتكليمه وكأنه إنما لم يخفف ويجيبها لانه خشى أن ينقطع خشوعه وتقدم حديث يزيد بن حوشب عن أبيه مرفوعا « لو كان جريج فقيها لعلم أن اجابة أمه أولى من عبادة ربه » اخرجه الحسن بن سفيان وهذا اذا احتمل اطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقا لاجابة نداء الام فرضا كانت أو نفلا وهو وجه فى مذهب الشافعى حكاه الرويانى والاصح عند الشافعية أن الصلاة ان كانت نفلا وعلم تأذى الوالد بالترك وجبت الاجابة وان كانت فرضا وضاق الوقت لم تجب الاجابة وان لم يضق وجب عند امام الحرمين وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع وعند المالكية أن إجابة الوالد أفضل من النمادى وحكى القاضى أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الاب وعند ابن ابى شيبة مرسل عن محمد بن المنكدر ما يشهد له وقال به مكحول ، وقيل إنه لم يقل به من السلف غيره وفى الحديث ايضا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورا لكن يختلف الحال فى ذلك بحسب المقاصد ، وفيه الرفق بالتابع لأن ام جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل ، وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن وفيه قوة يقين جريج وصحة رجائه بنطق ما استنطقه وفيه أن الله يجعل لاوليائه مخارج عند ابتلائهم وانما يتأخر ذلك عن بعضهم فى بعض الاوقات تهذيبا وزيادة فى الثواب وفيه إثبات كرامات الاولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم ، وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافا لمن زعم ذلك وانما الذى يختص بها الغرة والتحجيل فى الآخرة اه ملخصا من الفتح (وبينا) أصله بين فاشبعت الفتحة فتولدت الالف وكفت عن اضافة المفرد وأضيف للجمل (صبي يرضع من أمه) قال الحافظ لم أقف على اسم الصبي ولا على اسم أمه ولا على اسم أحد ممن ذكر فى القصة المذكورة (فمر رجل) فى رواية خلاس عن أبى هريرة عند احمد « فارس متكبر »

راكبٌ على دابة فارهة وشارة حسنةٍ فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هـذا فترك الثَّدْىَ وأقبل اليه فنظر إليه فقال اللهمَّ لاتَجْعَلْنى مثلَهُ ثم أقبـلَ عَلَى ثديه فجعلَ يرْتضع فـكأنِّى أنظرُ إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم وهو يَحـكى ارتضاعه بأصبَعِهِ السبابةِ فى فيه فجعل يمصُّها ثم قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيتِ سرقتِ وهى تقول حسبىَ اللهُ ونعم الوكيل

(راكب على دابة فارهة وشارة) بفتح الراء وسيأتى ضبطها وضبط الفارهة ومعناها فى الاصل (حسنة) أى منظر أبهى وملبس سنى (فقالت أمه اللهم اجعـل ابنى مثل هذا فترك الثدى) بفتح المثلثة وسكون الدال المهملة وتخفيف الياء قال فى الصحاح يذكر ويؤنث وهى للمرأة والرجل أيضا والجمع أثد وثدى على فعول وثدى أيضا بكسر المثلثة اتباعا لمابعدها من الكسر اه وفى التهذيب للمصنف مثله، ثم نقل عن ابن فارس اختصاص الثدى بالمراة ويقال لذلك من الرجل ثندوة بفتح الثاء بلاهمز وثندؤة بالضم والهمز فأشار الى تخصيصه وقد ثبت فى الحديث الصحيح «ان رجلا وضع ذباب سيفه بين ثدييه » اه (واقبل اليه ونظر اليه) اى معتبرا لحاله بالسر الذى الهمه الله اياه (فقال اللهم لا تجعلنى مثله) اى فى الجبروت والتكبر وان كان حسنا فى المنظر فلا مدار على حسن الصورة بل على نور الباطن وانوار السريرة (ثم اقبل على ثديه) يرضعه (فجعل يرتضع (١) ومروا) وفى باب بدء الخلق من البخارى ومر بالمبنى للمجهول (بجارية وهم يضربونها) وعند البخارى بأمة وعند أحمد تضرب قال الحافظ وقع فى رواية خلاس أنها كانت حبشية أو زنجيـة وفى رواية الأعرج عن أبى هريرة عند البخارى يجرر أى بجيم مفتوحة وتشديد الراء الأولى ويلعب بها وهو معنى قوله فى رواية البخارى «فجروها حتى ألقوها» (ويقولون زنيت سرقت) بكسر التاء فيهما للواحدة المخاطبة (وهى تقول حسبى الله) أى يحسبى أى كافى (و)هو (نعم الوكيل) وتقدم بسط فيها أوائل الكتاب اكتفت بهذا الذكر عن تبرئتها لنفسها ونفى مارموها به من الزنا والسرقة علما بأن من اعتمد على مولاه كفاه ما أهمه من أمر دنياه وأخراه ، قال تعالى : «ومن يتوكل على الله

---

(١) فى المتن المجرد زيادة فكانى انظر الخ

فقالت أمهُ اللهم لاتجعل ابنى مثلها فتركَ الرضاع ونَظَر إليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديثَ فقالتْ مر رجلٌ حسنُ الهيئة فقلتُ اللهم اجعل ابنى مثلهُ فقلتَ اللهم لاتجعلنى مثله ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيتِ سرقتِ فقلتُ اللهم لاتجعل ابنى مثلها ، فقلتَ اللهم اجعلنى مثلها ، قال إن ذَلك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لاتجعلنى مثلهُ وإن هذه

فهو حسبه » وتقدم فى باب اليقين والتوكل عن ابن عباس حديث آخر ما قال ابراهيم حين القى فى النار « حسبي الله ونعم الوكيل » (فقالت أمه) لقصر نظرها على الظاهر (اللهم لا تجعل ابنى مثلها) أى فى كونه حقيراً يضرب لفعل السوء (فترك) الابن (الرضاع ونظر اليها) فألهمه الله أنها بريئة مما رميت به ومظلومة فيما يفعل بها (فقال اللهم اجعلنى مثلها) أى فى البراءة من مزاولة المعاصى والوقوع فيها لا مثلها فى الاتهام بما لم أفعل لأنه من باب تمنى البلاء وهو منهى عنه كما فى خبر « لا تمنوا لقاء العدو » الحديث (فهنالك) أى فى ذلك الحال (تراجعا الحديث) أى سألته عن سبب مخالفته لها (فقالت) مخاطبة له لما صدر منه من المعارضة والمخالفة لها (مر رجل حسن الهيئة) هو بمعنى قوله فى الرواية السابقة راكب دابة فارهة وشارة حسنة (فقلت اللهم اجعل ابنى مثله) حسن المنظر جميل الهيئة (فقلت) بفتح التاء ضمير المخاطب (اللهم لاتجعلنى مثله ومروا بهذه الاءمة) لعلها كانت بالقرب لم تبعد حال كلامها معه وان كانت قد ذهبت فالاتيان باسم الاشارة الموضوع للقريب لقرب القصة بالنسبة لما قبلها (وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها) فأجابها ببيان سبب ذلك (قال) وهو استئناف بيانى كأنه قيل ماذا قال الصبي عند قول أمه له ما ذكر فقال قال (إن ذلك الرجل كان جبارا) وفى رواية أحمد « يا أماه أما الراكب ذو الشارة فجبار من الجبابرة » وفى رواية الاعرج « فكأنه كافر » فى مختصر القاموس (الجبار الله تعالى) وكل عات وقلب لا تدخله الرحمة والقتال فى غير حق والعظيم القوى الطويل جبار اه وظاهر أنه محتمل هنا لكل المعانى الاخيرة لاحتمال أنه موصوف بكل منها فقلت اللهم لا تجعلنى مثله) فى الجبروت فانه سبب للقصم والهلاك فى الدين (وان هذه)

يقولون زنيتِ ولم تزنِ وسرقتِ ولم تسرقْ فقُلتُ اللهم اجعلنى مثلها متفق عليه

أى الأمة الحاضرة أو التى فى معنى الحاضرة لقرب قصتها (يقولون) أى لها زنيت و) هى (لم تزن) فهى فى محل الحال على تقدير المبتدأ أو معترضة بين المتعاطفين لتبرئتها مما رميت به (و) يقولون (سرقت) بكسر الفوقية فيه وفيما قبله (ولم تسرق) و يجوز كونها معترضة أيضا إن جوز وقوع الجملة المعترضة فى آخر الكلام كما أشار اليه القاضى البيضاوى فى التفسير فى نظيره (فقلت اللهم اجعلنى مثلها) أى فى السلامة من الذنب والبراءة من وصمته : قال الحافظ فى الفتح فى الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتعاف سوء الحال بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة فى الباطن فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم « قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير » وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على النفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها (متفق عليه) قال الحافظ فى باب بدء الخلق من فتح البارى ، حديث أبى هريرة عن جرير ورواه عنه محمد بن سيرين كما هنا وفى باب المظالم ورواه عنه الأعرج كما فى أواخر الصلاة وأبو رافع عند مسلم وأحمد وأبو سلمة وهو عند أحمد ، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أبى هريرة عمران بن حصين اه قال الحافظ المزى فى الاطراف أخرجه مسلم فى الاستئذان عن شيبان بن فروخ عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن ثابت البنانى عن أبى رافع عن أبى هريرة وتعقبه الحافظ فى النكت الظراف بأنه لم يخرجه فى الاستئذان انما هو فى البر والصلة وقد اعترض مغلطاى على المزى فقال عزا هذا ظناً للاستئذان وعزا حديث مسلم من رواية جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة للادب والواقع أنهما فى مسلم فى موضع واحد يعنى ان كان الاستئذان من جملة الأدب فينبغى أن يقول فيهما إما الاستئذان واما الادب وكتاب الادب قبيل كتاب البر والصلة وبينهما الرؤيا ثم المناقب فان كان الذى يعبر عن الصلة والبر بالادب فكان ينبغى أن يقول الادب اه

(المومسات) بضم الميم الأولى و إسكان الواو و كسر الميم الثانية و بالسين المهملة وهن الزوانى والمومسة الزانية . وقوله دابة فارهة بالفاء أى حاذقة نفيسة والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء وهى الجمال الظاهر فى الهيئة والملبس ومعنى تراجعا الحديث أى حدثت الصبيّ وحدثها والله أعلم

﴿ باب ﴾

ملاطفة اليتيم والبنات

(المومسات بضم الميم الأولى واسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة وهن الزوانى) ويجمع فى التكسير على مواميس (والمومسة الزانية) وفى الصحاح المومسة الفاجرة وهو أعم من قوله هنا الزانية الا أن يكون مراداً منه ذلك (وقوله دابة) بالجر على الحكاية وان كانت لكونها فى غير الاستفهام شاذة ويجوز الرفع وهو أولى (فارهة بالفاء) والراء والهاء وبعدها تاء التأنيث (أى حاذقة نفيسة) وفى الصحاح الفاره الحاذق بالشىء اه وكأن أخذ النفاسة من مقام المدح وأنه لازم الحذف عادة (والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء وهى الجمال الظاهر فى الهيئة والملبس) زاد فى فتح البارى حتى يتعجب منه وعليه فيقدر فى الحديث مضاف أى وذو شارة حسنة وقد جاء فى رواية البخارى اذ مر بها راكب ذو شارة قال فى الفتح أى صاحب جيش اه وعليه فيكون من حذف الجار وإبقاء عمله أى وفى شارة حسنة ووصفها عليه بالمؤنث باعتبار لفظ شارة (ومعنى تراجعا الحديث) أى تراجع الصبي وأمه (حديث الصبي وحديثها) الأنسب تقديم حديثها على حديثه وكان تأخيره لشرف الذكر (والله أعلم)ه

﴿ باب ملاطفة اليتيم ﴾

هو صغير لا أب له قال ابن السكيت : اليتيم فى الناس من قبل الأب وفى البهائم من قبل الأم قال ابن خالويه وفى الطير بفقدهما لانهما يحضنانه ويرزقانه قال شيخ الاسلام زكريا فى شرح التنقيح بعد نقله وتعليله لا يأتى فى جميع الطيور اه (والبنات) أى بنات الانسان نفسه ومثلهن فيما ذكر بنات غيره والتنصيص عليهن لأن بعض الناس يضجر منهن ويقسو عليهن والبنات

وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والاحسان اليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم قال الله تعالى « واخفض جناحك للمؤمنين » وقال الله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا »

جمع مؤنث سالم واحده بنت والتاء التى فى المفرد حذفت كالتاء التى فى مسلمة فهى غير التى فى مسلمات فلذا نصب بالكسرة قال تعالى « اصطفى البنات » (وسائر الضعفة) من العبيد والاماء (والمساكين) أى المحتاجين فالمراد منه مايشمل الفقراء قال الشافعى رضى الله عنه الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ثم المسكين مفعيل من السكون قال القرطبي وكأنه من قلة سكنت حركاته ، قال تعالى « أو مسكيناً ذا متربة » أى لاصقا بالتراب (والمنكسرين) أى لطارق حل بهم (والاحسان اليهم) ببذل الندى أو دفع الأذى أو كلمة طيبة كأمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دعاء لهم قال تعالى « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » (والشفقة) أى الحنو (عليهم) والرحمة لهم ، قال تعالى فى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم « وكان بالمؤمنين رحيما » وعلامة ذلك النصح لهم وأن يحب لهم مايحب لنفسه من وجوه الخير (والتواضع) قال الجنيد هو خفض الجناح ولين الجانب (معهم وخفض الجناح لهم) هو عطف تفسيرى إن عطف على التواضع وإن عطف على الملاطفة فمن عطف الخاص على العام ، وخفض الجناح كناية عن التواضع قاله أبو حيان فى النهر (قال الله تعالى) مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحرضاً له على مكارم الأخلاق ومحاسنها (واخفض جناحك للمؤمنين) أى لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط (وقال تعالى واصبر نفسك) أى احبسها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) أى يعبدونه فى سائر الأوقات فهما كناية عن الزمان الدائم ولا يراد بهما خصوص زمانهما أو خص الزمان بالذكر لغلبة الشغل فيهما فاذا لم يغفلوا فيهما مع ذلك فأن لا يغفلوا فى غيرهما أولى (يريدون وجهه) أى ذاته جملة فى محل الحال من فاعل يدعون (ولا تعد عيناك عنهم) أى لا تجاوزهم ناظراً إلى غيرهم من ذوى الهيئات من رؤساء قريش (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة فى محل الحال من الضمير المجرور

وقال تعالى «فأما اليتيمَ فلا تقهرْ وأما السائل فلا تنهر» وقال تعالى «أرأيت الذى يكذِّبُ بالدين فذلك الذى يدعّ اليتيم ولا يَحُضُّ على طعام المسكين» * وعن سعد ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : « قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستةَ نَفَرٍ فقال المشركون

وجاز مجيئها منه لأن المضاف بعضه وتقدم بيان سبب نزول الآية وبعض مايتعلق بها فى الباب السابق وسيأتى فيها فوائد فى حديث سعد (وقال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر) قال أبو حيان أى لا تحقره وكأنه تفسير باللازم إذ يلزم منها قهره على ماله وغيره قال البيضاوى أى لا تغلبه على ماله لضعفه وقرىء فلاتكبر أى لاتعبس فى وجهه (وأما السائل) ظاهره المستعطى (فلا تنهر) أى لا تزجر لكن أعطه أو رده رداً جميلا (وقال تعالى أرأيت) استفهام معناه التعجب كذا قال البيضاوى وقال أبو حيان الظاهر أن أرأيت هنا بمعنى أخبرنى فيتعدى لمفعولين أحدهما الذى والآخر محذوف أى أليس مستحقا للعذاب اه (الذى يكذب بالدين) بالجزاء أو الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) أى يدفعه دفعاً عنيفاً وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ، أو أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرىء «يدع» أى يتركه (ولا يحض) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) أى لا يفعل ذلك بنفسه ولا يحرض عليه غيره لعدم اعتقاده بالجزاء وفى اضافة الاطعام الى المسكين دليل على أنه مستحقه ولما ذكر أولا عموم الكفر وهو التكذيب ذكر ما يترتب عليه من الايذاء والمنع من النفع وذلك بالنسبة الى الخلق ثم ذكر ما يترتب عليه من الخالق بقوله فويل للمصلين الى آخر السورة

(وعن سعد بن أبى وقاص) مالك القرشى الزهرى تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الاخلاص (قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ستة نفر) إما أن يكون خبراً ومع حال منه أى مصاحبين له صلى الله عليه وسلم وبالعكس والنفر بالتحريك عدة رجال من ثلاثة الى عشرة قاله فى الصحاح وفيه أيضاً والرهط مادون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة اه (فقال المشركون) أى أشرافهم فقيل هو

للنبي صلى الله عليه وسلم أطرد هؤلاء لايجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل و بلال ورجلان لستُ أسميهما

أمية بن خلف الجمحى ومن تابعه ، ففى أسباب النزول للواحدى عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) قال نزلت فى أمية بن خلف الجمحى وذلك أنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة فأنزل الله (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) وفيه أيضاً عن سلمان الفارسى قال « جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يارسول الله إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح (١) جبابهم ، يعنون سلمان وأباذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى (واتل ما أوحى اليك) الى قوله (إنا أعتدنا للظالمين) الحديث أورد ذلك عم والدى الشيخ العلامة الجليل الشيخ احمد بن محمد علان الصديقى البكرى فى كتابه الذى جعله فى علوم القرآن وغيرها وسماه مجموعة العلوم وأودعها مائة وسبعين علما ومن خطه نقلت ، وأما العم فهو العارف بالله تعالى الشيخ العلامة احمد بن ابراهيم بن محمد بن علان الصديقى النقشبندى رحم الله الجميع ونفع بهم وأمدنى بمددهم آمين ، فتحصل منه أن بعض المشركين قال (للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء) أى الستة المذكورين وكان ذلك أنفة منهم من مجالستهم لاستصغارهم واستقذارهم لاحتقارهم لهم لفقرهم وخمولهم فى الدنيا ونسب القول فى الحديث للكل لرضاهم به (لا يجترئون) أى لئلا يحصل منهم الجرأة (علينا) فنعير بذلك ثم بين النفر الستة بقوله (وكنت أنا وابن مسعود) الهذلى (ورجل من هذيل) لم أر من سماه من شراح صحيح مسلم (وبلال) مولى أبى بكر (ورجلان لست أسميهما) كأنه يعنى أبا بكر وعليا رضى الله عنهما ولعل وجه ابهامهما استبعاد القوم طلب اشراف الكفار لطردهما فانهما كانا من أعيان قريش ومشاهيرهم ولعل طلب طردهما إن كان فلمخالفتهما لهم فى الاسلام فأرادوا بذلك التعريض الى حقارتهم

---

(١) جمع ريح . فى المختار جمع الريح رياح وأرياح وقد تجمع على أرواح . ع

فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أنْ يقع فحدث نفسهُ فأنزل الله تعالى (ولاَ تَطْرُدِ الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشىِّ يريدون وجهه) » رواه مسلم .

ولا يطفىء أنوار الله أفراد أعدائه (فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع) أى من طرد أولئك عنه لما علم من كمال نفسهم ومخالطة الايمان لبشاشة قلوبهم فلا يفارقه أحدهم لما نزل وتقريب المشركين طمعا فى اسلامهم واسلام قومهم نظير اعطائه الشىء لجمع من المؤلفة تألفا له ومنع ذلك عن بعض محتاجى المؤمنين اكتفاء بما وقر فى قلبه من نور الايمان المغنى عن التألف ورأى النبى ﷺ أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئاً ولا ينقص لهم قدراً (فحدث نفسه) أى بذلك قال القرطبى فى المفهم وفى بعض كتب التفسير إنهم لما عرضوا ذلك على النبى ﷺ أبى فقالوا له اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا أن يكتب لهم بذلك فهم النبى ﷺ بذلك ودعا عليا ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية (فأنزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه وقع الطرد ووصف أولئك بأحسن أوصافهم وأمره بأن يصبر نفسه معهم بقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم بعد ذلك يقول مرحباً بالذين عاتبنى الله فيهم وإذا جالسهم لم يقم عنهم حتى يكونوا هم الذين يبدؤن بالقيام ، وقوله (يدعون ربهم بالغداة) بطلب التوفيق والتيسير (والعشى) بطلب العفو عن التقصير وقيل معناه يذكرون الله من بعد صلاة الفجر وصلاة العصر وقيل يصلون الصبح والعصر وقال ابن عباس يصلون صلاة الخمس وقال يحيى بن أبى كثير هى مجالس الفقهاء بالغداة والعشى وقيل يعنى به دوام أعمالهم وعبادتهم ، وخص طرفى النهار لما تقدم من أنهما وقتا عمل وشغل فاذا لم يلهو فيهما ففى غيرهما أولى ، وقوله « يريدون وجهه » ، أى يخلصون فى عبادتهم وعملهم لله تعالى ويتوجهون اليه بذلك لا لغيره ويصح أن يقال يقصدون بذلك رؤية وجهه الكريم أى ذاته المقدسة عن صفات المخلوقين (رواه مسلم) فى الفضائل من صحيحه ورواه النسائى فى المناقب ورواه ابن ماجه فى الزهد بنحوه ومداره عندهم على سريج بن هانىء بن يزيد بن نهيك الكوفى عن سعد كما فى الاطراف للحافظ المزى

وعن أبي هبيرة عائذ بن عمرو المزنى وهو من أهل بيعة الرضوان رضى الله عنه « أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب و بلال فى نفر فقالوا ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضى الله عنه أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ،

(وعن أبي هبيرة) بضم الهاء وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء ثم هاء (عائذ) بالعين المهملة وبعد الالف همزة فذال معجمة (ابن عمرو) بن هلال بن عبيد ابن يزيد بن رواحة بن زنيبة بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدبن بن طابخة بن الياس بن مضر (المزنى) بضم الميم وفتح الزاى وبعدها نون ، نسبة إلى مزينة أم عثمان وأخيه أوس ابنى عمرو قاله فى أسد الغابة (وهو من أهل بيعة الرضوان) أى من الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية تحت الشجرة على أن لا يفروا ، وفى رواية على الموت وكانوا الفا وأربعمائة وفى رواية وخمسمائة وجمع بينهما بأن المائة المزيدة لعلهم أتباع أولئك وأنزل الله تعالى « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) فسميت بيعة الرضوان لأنها سبب ذلك ، تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الأمر بالمعروف (أن أبا سفيان) صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (أتى على سلمان) بسكون اللام وهو الفارسى فى السنة الأولى من الهجرة (وصهيب) بن سنان الرومى (وبلال) مولى الصديق (فى نفر) من نفر الصحابة وكان إتيانه وهو كافر فى الهدنة بعد صلح الحديبية (فقالوا ما أخذت سيوف الله من عدو الله) يعنون أبا سفيان (مأخذها) أى إنه لم تعمل فيه سيوف المسلمين (فقال أبو بكر) الصديق (رضى الله عنه) تألفا لأبى سفيان وتعظيما ليسكن الايمان فى قلبه ويميل الى المؤمنين وتوادهم (أتقولون هذا) أى القول فهو مفعول مطلق (لشيخ قريش وسيدهم) فانه كان عميدهم فى الحروب واليه مرجعهم فيها لكونه كان أكبر بنى عبد مناف حينئذ (فاتى) الصديق (النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره) بما وقع من أولئك ومنه فى جوابهم (فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم) أى زجرتهم أو أسأت اليهم فتسبب عن ذلك غضبهم ثم بين ما يترتب على غضبهم مؤكدا بالقسم المقدر المؤذن به اللام فى قوله (لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) لأنهم أولياؤه وفى الحديث القدسى « ومن عادى لى وليا فقد

فأتاهم فقال يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا لا يغفرُ الله لك ياأخى » رواه مسلم .

آذنته بالحرب » وفى التعبير بربك المؤذن إلى أن رباه بنعمه من حالة الى حالة أكمل منها بفضله وكرمه وذلك مستلزم للمحبة فقد جبل الانسان على حب الاحسان ومن أحب شيئا أحب ما يتعلق به ويرجع اليه وهؤلاء لكونه جنده وحزبه محبوبون له فمن أغضبهم فقد غفل عن ذلك وتعرض لغضب البارى سبحانه وتعالى ، الايماء الى طلب محبة أوليائه المؤمنين والتلطف بهم وهذا الحديث فيه دلالة على عظم رتبة المذكورين فيه عند الله تعالى ، وفيه احترام الصالحين واتقاء

ما يؤذيهم أو يغضبهم (فأتاهم فقال يا إخوتاه) يا فيه للنداء للاستغاثة بهم واذا استغيث بالاسم المنادى ولم تدخل عليه لام الجر كيالزيد فالأكثر أن يتصل بآخره ألف كقوله

يا يزيدا لآمل نيل عز وغنى بعد فاقة وهوان

ولك اذا وقفت حينئذ أن تأتى بهاء السكت كذا فى التوضيح وغيره وحينئذ فلعل الصديق وقف على هذا المنادى فلذا أتى فيه بالهاء أو أنه أتى بها على لغة من يلحقها لغير المندوب وهى لغة قليلة حكاها ابن السيد فى شرح الجمل وغيره (آغضبتكم) أى بما قلته من جهة أبى سفيان (قالوا لا) أى لم يحصل لنا من ذلك غضب وذلك لعلمهم بأن الصديق لم يحتقرهم ولا قصد ايذاءهم إنما أراد تألفه ليكثر سواد المسلمين بايمانه ، إيمان تابعيه وقولهم (يغفر الله لك) جملة دعائية مزيدة على الجواب، وفى اللطف واللطائف للثعالبى « أن الصديق رضى الله عنه رأى فى يد دلال متاعا فقال أتبيعه ؟ فقال لا يرحمك الله ، فقال له الصديق قل لا ويرحمك الله لئلا يشتبه الدعاء لى بالدعاء على » وقد نقل مثله المصنف فى شرح مسلم فقال قال القاضى وقد روى عن الصديق أنه نهى عن مثل هذه الصيغة وقال قل وعافاك الله ولا تزد ، أى ولا تقل قبل الدعاء لا فتصير صورته صورة نفى الدعاء ، وقال بعضهم قل ويغفر الله لك اه قال بعض الأدباء وهى أحسن من واو الا صداغ (يا أخى) وفى تعبيرهم بهذا اللفظ إيماء الى سبب عدم تأثرهم من كلامه وحملهم له على أحسن المحامل لأن هذا شأن الاخوان وان قل ذلك فى الكثير من أبناء الوقت والزمان وبالله المستعان (رواه مسلم) فى

قَوْله (مأخذها) أى لم تستوف حقها منهُ وقَوْله (يأخى) روى بفتح الهمزة وكسر الخاء وتخفيف الياء وروى بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء . وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة

الفضائل من صحيحه والنسائى فى المناقب بنحوه ﴿فائدة﴾ من فضائل سلمان قوله صلى الله عليه وسلم « لو كان العلم بالثريا لناله سلمان » وفى رواية « لناله رجال من فارس » وقوله صلى الله عليه وسلم « ان الله أمرنى أن أحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم على وأبو ذر والمقداد وسلمان » وقول على رضى الله عنه « سلمان علم العلم الأول والآخر بحر لا يترف هو منا أهل البيت » وقوله أيضاً « سلمان الفارسى مثل لقمان الحكيم » ومن فضائل صهيب قوله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب صهيباً حب الوالدة ولدها » وقوله صلى الله عليه وسلم « صهيب سابق الروم وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة » اه ملخصا من المفهم للقرطبى (قوله مأخذها) قال المصنف ضبطوه بوجهين أحدهما مأخذها بالقصر وفتح الخاء المعجمة والثانى بالمد وكسر الخاء وكلاهما صحيح (أى لم تستوف حقها منه) تفسير لمجموع قولهم إن سيوف الله الخ (وقوله) أى القائل من النفر واكتفى به لأنه الظاهر من اخباره عن نفسه وباقى النفر (يا أخى روى بفتح الهمزة وكسر الخاء) أى المعجمة (وتخفيف الياء وروى بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء) على صيغة التصغير وهو تصغير تحبب وترفق وملاطفة وما أحسن قول الشاعر :

ما قلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشخص فى التصغير

ثم هذا الذى حكاه المصنف هنا من أنه روى بالوجهين قد يخالفه قوله فى شرح مسلم وأما قوله يا أخى فضبطوه بضم الهمزة على صيغة التصغير (وعن سهل بن سعد) الساعدى (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا) خبر وقوله فى الجنة فى محل الحال ويصح العكس ولعل الأول أقرب (وأشار) لزيادة التبيين وادخال المعانى فى ذهن السامع لكونها بصورة المحسوس المدركة عادة (بالسبابة) وفى رواية بالسباحة بحاء مهملة بدل الموحدة الثانية وهى التى تلى الابهام سميت بذلك لأنها يسبح بها فى الصلاة ويشار بها فى التشهد لذلك

والوسطى وفَرَّجَ بينهما رواه البخارى ؛ و (كافل اليتيم) القائم بأموره . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم « كافل اليتيم له

وهى السبابة أيضا لانها يسب بها الشيطان (والوسطى) قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به فيكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك (وفرج) بتشديد الراء أى فرق (بينهما) أى بين السبابة والوسطى إشارة الى أن بين درجة النبى صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى قال القرطبى معنى قوله « أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين » أنه معه فيها وبحضرته غير أن كل واحد منهما على درجته فيها إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم ولا يبلغ درجة نبينا أحد من الأنبياء والى هذا المعنى الاشارة بقرانه بين أصبعيه فيفهم من الجمع المعية والحضور ومن تفاوت ما بينهما اختصاص كل منهما بدرجة ومنزلة اه وفى رواية « كهاتين إذا اتقى » أى إذا اتقى الله فيما يتعلق بحق اليتيم ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حال دخول الجنة لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة رفعه « أنا أول من يفتح باب الجنة فاذا امرأة تبادرنى فأقول من أنت فتقول أنا امرأة قائمة على أيتام لى » ورواته لا بأس بهم وقوله تبادرنى أى ، لتدخل معى أو فى أثرى ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين سرعة الدخول وعلو المنزلة قال الحافظ العراقى (١) لعل الحكمة فى تشبيه كافل اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم فى دخول الجنة أو فى علو المنزلة أو فى القرب منه صلى الله عليه وسلم كونه صلى الله عليه وسلم من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلماً ومرشداً وكذا كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك اه (رواه البخارى) أى فى الأدب من صحيحه وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى كلهم عن سهل كما فى الجامع الصغير قال المزى وأخرجه أبو داود فى الأدب والترمذى فى البر (وكافل اليتيم القائم بأموره) دينا ودنيا وذلك بالنفقة والكسوة والتربية والتأديب وغير ذلك قال فى شرح مسلم وهذه الفضيلة تحصل لمن كفل اليتيم من مال نفسه أو مال اليتيم بولاية شرعية (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كافل اليتيم له) الظرف

---

(١) أى فى كتابه طرح التثريب فى شرح التقريب

أولغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة ، وأشار الراوى وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم (اليتيم له أو لغيره) معناه قريبه أو الأجنبى منه فالقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته والله أعلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المسكينُ

يصح أن يكون حالا من المضاف اليه وجاز لكون المضاف عاملا فى المضاف اليه قبل الاضافة فهو نظير « اليه مرجعكم جميعاً » وأن يكون صفة لليتيم وجاز لان المحلى بأل الجنسية كالنكرة من جهة المعنى وكونه له قال فى الكوكب المنير (١) بأن يكون جدا أو عما أو أخا أو نحو ذلك من الاقارب أو يكون مات أبو المولود فقامت أمه مقامه بكفالته أو ماتت أمه فقام أبوه مقامها فى التربية اه ومثله فى شرح مسلم للمصنف وفى شمول الخبر للاخيرة مالا يخفى الا إن كان بطريق القياس على ماتضمنه الخبر إذ مافيه ليس بيتيم والله أعلم (أو لغيره) بأن يكون أجنبياً منه وكافل مبتدأ وقوله (أنا) مبتدأ ثان (وهو) معطوف عليه وقوله (كهاتين فى الجنة) خبر أو حال كماعرفته فيما قبله والمبتدأ خبره خبر الأول والرابط اسم الاشارة والمشار اليه هو السبابة والوسطى كما قال (وأشار الراوى وهو) الامام الجليل (مالك بن أنس) بن أبى عامر بن عمرو الاصبحى أبو عبد الله الفقيه المدنى إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المتثبتين حتى قال البخارى أصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر ، ومن اتباع التابعين مات سنة مائة وتسعة وسبعين ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقال الواقدى بلغ تسعين سنة كذا فى تقريب التهذيب للحافظ (بالسبابة والوسطى رواه مسلم) فى أواخر الكتاب (وقوله صلى الله عليه وسلم له أو لغيره معناه قريبه أو الاجنبى منه) فيه لف ونشر مرتب فالمراد بقوله له القريب وبقوله لغيره الاجنبى (فالقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته) أى غير الاب ليكون يتيما (والله أعلم وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال النبى ﷺ ليس المسكين) أى الكامل الممدوح من هذا النوع الاحق بالصدقة والاحوج اليها

---

(١) هو اسم شرح العلقمى على الجامع الصغير . ع

الذى تردُّه التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف » متفق عليه وفى رواية فى الصحيحين « ليس المسكينُ الذى يطوف على الناس تَرده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنًى يُغنيه ، ولا يُفْطَنُ به فيتصدَّقَ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » . وعنه عن النبى صلى الله عليه قال : « الساعى على الأرملة

(الذى) يسأل و (ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان) عند سؤاله لأن المتردد يكون قادراً على تحصيل قوته (انما المسكين) أى ما المسكين الكامل الا (الذى يتعفف) أى يترك السؤال من الناس مع فقره وليس المراد نفى المسكنة عن الطواف بل نفى كمالها (متفق عليه) فأخرجه البخارى فى كتابى الزكاة والاطعمة وأخرجه مسلم فى الزكاة (وفى رواية فى الصحيحين) ورواه كذلك أحمد وابو داود والنسائى كما فى الجامع الصغير كلهم عن أبى هريرة مرفوعا (ليس المسكين الذى يطوف) أى يدور (على الناس) سائلا وجملة (ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان) فى محل نصب على الحال أى ليس هو منحصراً فى ذلك كما أفاده الموصول والحال المفيدة للصلة أو الجملة مستأنفة لبيان حاله (ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه) صفة زائدة على اليسار المنفى إذ لا يلزم من حصول اليسار للمرء أن يغنى به بحيث لا يحتاج الى شىء آخر وكأن المعنى نفى اليسار المقيد بأنه يغنيه مع وجود أصل اليسار (ولا يفطن) بالبناء للمفعول أى لا يعلم (له) أى لاحتياجه لتعففه وعدم تعرضه وفى نسخة (به) بدل اللام (فيتصدق عليه) بالنصب فيه وفى يسأل لكونهما بعد الفاء فى جوابى النفى (ولا يقوم) التعبير به للغالب (فيسأل الناس) قال الخطابى وغيره إنما نفى صلى الله عليه وسلم المسكنة عن السائل الطواف لأنه تأتيه الكفاية وقد تأتيه الزكاة زيادة عليها فتزول خصاصته ويسقط اسم المسكنة عنه وانما تدوم الحاجة والمسكنة فيمن لا يسأل ولا يعطف عليه فيعطى (وعنه) أى أبى هريرة رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الساعى على الأرملة) هى كما قال الجوهرى التى لا زوج لها (١) وقد أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها ، قال ابن السكيت

---

(١) قال فى شرح مسلم للنووى : سواء أكانت تزوجت أم لا . ع

وَالمسكينِ كالمجاهد فى سبيل الله ، قال وأحسبهُ قال وكالقائم الذى لايفترُ ، وكالصائم الذى لايفطرُ » متفق عليه . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « شرُّ الطعام طعامُ الوليمة يُمْنَعُهَا من يأتيها ،

الأرامل المساكين من نساء ورجال ويقال لهم وان لم يكن فيهم نساء ويقال قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين قال المصنف وقيل الأرملة التى فارقها زوجها قال ابن قتيبة سميت أرملة لما يحصل لها من الارمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج يقال أرمل الرجل إذا فنى زاده اه (والمسكين) أى المكتسب لهما مايمونهما به (كالمجاهد فى سبيل الله) وشبه به لأن القيام على المرأة بما يصلحها ويحفظها ويصونها لا يتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم ومجاهدة النفس والشيطان فانهما يكسلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النية فيه وربما يدعوان بسبب ذلك الى السوء ويسؤلانه ، ولذا قل من يدوم على ذلك العمل وقل من يسلم منه فاذا حصل ذلك العمل حصلت منه فوائد كشف كرب الضعفاء وابقاء رمقهم وسد خلتهم وصون حرمتهم كذا فى المفهم للقرطبي قال فى مسلم (وأحسبه قال) وفى البخارى فى النفقات بدل قوله وأحسبه أو التى هى للشك أى أو قال بدل ذلك (وكالقائم) أى بالتهجد (الذى) كما فى نسخة (لايفتر وكالصائم الذى لايفطر) أى هو كالملازم للعبادة ليلا ونهارا فى دوام الثواب واستمراره بدوام العمل الصالح (متفق عليه) رواه البخارى فى النفقات وفى الأدب من صحيحه ومسلم فى الأدب ورواه الترمذى فى البر وقال حسن صحيح غريب والنسائى فى الزكاة وابن ماجه فى التجارات ومداره عندهم على أبى الغيث سالم مولى ابن مطيع عن أبى هريرة اه ملخصا من الاطراف للمزى (وعنه) أى أبى هريرة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال شر الطعام) أفعل تفضيل حذفت همزته تخفيفا وجاءت ثابتة فى حديث عن أنس سئل عن الأكل قائما فقال ذلك أشر (طعام الوليمة) قال فى الصحاح هى طعام العرس (١) وسيأتى فيه مزيد (يمنعها) بالبناء للمفعول (من يأتيها) للحاجة والفاقة

---

(١) قال المناوى على الجامع : سماه شرا على الغالب من أحوال الناس فيها فانهم يدعون الأغنياء ويدعون الفقراء كما أشار اليه بقوله (يمنعها) الخ . ع

ويُدعى إليها من يأباها ومن لم يُجب الدعوة فقـــد عصى الله ورسوله » . رواه مسلم ، وفى رواية فى الصحيحين عن أبى هريرة «بئس الطعامُ طعام الوليمةِ يُدعى اليها الأغنياء ويُترَكُ الفقراءُ

وهم الفقراء والمساكين (ويدعى اليهـا من يأباها) قال المصنف معناه الاخبار بما يقع من النـاس بعـده صلى الله عليه وسـلم من مراعاة الأغنياء فى الولائم وتخصيصهم بالدعوة وإيثارهم بطيب الطعام ورفع مجالسهم وغير ذلك ممـا هو الغالب فى الولائم (ومن لم يجب الدعوة) بفتح الدال المهمـلة قال ابن السيد فى كتاب المثلث الدعوة بالفتح الدعاء الى الله تعـالى وكـذا كل شىء دعوته وكذا الدعوة إلى الطعام وبالكسر أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه وغير أهـله وبالضم زعم قطرب انها الدعوة إلى الطعام ولا أحفظ ذلك من غيره والذى حكاه اللغويون دعوة بالفتح اه ملخصاً (فقد عصى الله ورسوله) والمراد منه الدعوة لوليمة النكاح فان الاجابة اليها واجبة بالشروط المعروفة فى كتب الفقه (رواه مسلم وفى رواية فى الصحيحين عن ابى هريرة بئس) وهى كلمة لانشاء الذم وفاعلها إما اسم ظاهر محلى بأل ومنه قوله (الطعام)واختلف فيهـا هل هى للجنس أو للعهد أو مضاف لما فيه أل نحو بئس منزل الاشرار النار أوضمير مبهم مفسر باسم نكرة منصوب على التمييز والمخصوص بالذم هو قوله(طعام الوليمة)والوليمة طعام العرس والذى عند الاملاك نقيعة كذا فى المصباح وفى النجم الوليمة الطعام المتخذ للعرس وقال الماوردى إصلاح الطعام واستدعاء الناس لأجله ولفظها من الولم وهو الجمع لأن الزوجـين يجتمعان وهى تقع على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من أملاك وختان وغيرهما لـكن استعمالها على الاطلاق فى العرس أشهر وفى غيره بقيـد فيقال وليمة الختان وغيره اه فظاهر أن مافى الحديث ممـا أريد بما فيه مطلق الطعام المتخذ لاى سرور كان وبين سبب الذم على سبيل الاستئناف البيانى بقوله (يدعى) بالبناء للمفعول (اليها الاغنياء) نائب الفاعل والظرف قبله لغو متعلق بالفعل (ويترك الفقراء) أى يمنعون فى المصباح يقـال ترك حقه إذا أسقطه اه فيؤخذ من التعبير به أن لهم الحق فى ذلك وأن المانع لهم ساع فى إسقاط حقهم وفى الحديث أن القربة قد يقترن بها مايخرجها عن ذلك ، وفيه الاحتياط والتحرز

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من عال جاريتين حتى تَبْلُغَا

عن الموبقات وفيه مراعاة الفقراء والتلطف بهم وفيه النهى عن الركون إلى الاغنياء وتعظيمهم لغناهم فقد ورد « من عظم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه » وذلك لان أعمال العبادة باللسان والجنان والاركان فهذا استعمل لغرض نفسه ثلثى مايستعمل فى العبادة فأثنى على ذلك بلسانه بالباطل وأكرمه بجوارحه طمعا فيما عنده وغفلة عن أن الذى ينبغى أن يتوجه اليه العبد على كل حال « هو الله الموصوف بأنواع الكمال » قالوا فان جمع إلى تعظيمه بلسانه وأركانه تعظيمه بجنانه ذهب جميع دينه والمراد التعظيم المنهى عنه أما شكره لكونه مظهراً للفيض الربانى فلا منع منه بل هو مأمور به «قال صلى الله عليه وسلم «لايشكر الله من لايشكر الناس» وقال صلى الله عليه وسلم «من صنع منكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فكافئوه بالدعاء» (وعن أنس) بن مالك (رضى الله عنه) ناقلا (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عال جاريتين) أى قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو العون ومنه « ابدأ بمن تعول » وفى المصباح عال الرجل اليتيم عولا من باب قال كفله وقام به (حتى تبلغا) بالفوقية أى تصيرا بالغتين قال فى المصباح بلغ الصبي بلوغا من باب قعد احتلم وأدرك وقال ابن القطاع بلغ بلاغا فهو بالغ والجارية بالغ أيضاً بغير تاء قال ابن الانبارى قالوا جارية بالغ فاستغنوا بذكر الموصوف وبتأنيثه عن تأنيث صفته كما يقال امرأة حامل قال الازهرى وكان الشافعى يقول جارية بالغ وسمعت العرب تقوله وهذا التعليل والتمثيل يفهم أنه لو لم يذكر الموصوف وجب التأنيث دفعاً للبس اه ثم بلوغها اما بالسن أو بالحيض أو بالاحتلام ويقدر بلوغها قبل الولادة بستة أشهر قال القرطبي ويعنى ببلوغهما وصولهما إلى حال يستقلان بأنفسهما وذلك إنما يكون فى النساء إلى أن يدخل بهن أزواجهن فلا يعنى به بلوغهما إلى أن تحيض وتكلف (١) إذ قد تتزوج قبل ذلك فتستغنى بالزوج عن قيام الكافل وقد

---

(١) قوله فلا يعنى به أى بقوله حتى تبلغا ، بلوغهما أى وصولهما الى أن تحيض أى بالفعل أو تكلف أى تبلغ بالسن

جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضمّ أصابعه » رواه مسلم (جاريتين) أى بنتين

تحيض وهى غير مستقلة بشىء من مصالحها ولو تركت لضاعت وفسدت أحوالها بل هى فى هذه الحالة أحق بالصيانة والحفظ والقائم عليها لتكمل صيانتها فيرغب فى تزويجها ولهذا المعنى قال علماؤنا لا تسقط النفقة عن والد الصبية ببلوغها بل بدخول الزوج بها اهـ (جاء يوم القيامة) معى وبقربى (أنا وهو) أى مقرونان فالخبر محذوف وجوبا لدلالة واو المعية عليه وقيامها مقامه قال ابن مالك فى شرح المشارق أنا مبتدأ وهو معطوف عليه وخبره هكذا أى المصرح به فى رواية والجملة حال بغير واو أى جاء مصاحبا لى وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره جاء هو وأنا لأن فى جاء ضميرا يعود الى من ، فكلمة هو تأكيد له ، وأنا معطوف عليه وقدم لشرفه ولكونه أصلا فى تلك الخصلة اهـ وعلى الأول (١) فالخبر مقدر وهو كهاتين وقد صرح فى رواية من حديث أنس وهى عند البخارى وجاءت فى حديثه بلفظ « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين » قال السيوطى (٢) فى الجامع الصغير أخرجه مسلم والترمذى وبين ذلك المقدر قول الصابى (وضم أصابعه) مبينا لذلك القرب (٣) المشار اليه بالمقدر (رواه مسلم) فى كتاب الأدب (٤) ثم فسر المصنف (الجاريتين) المذكورتين فى الخبر بقوله (البنتين) ولا يظهر وجه قصر الجاريتين فى الخبر على البنتين فان الجارية فى اللغة لا تختص بالبنت قال فى المصباح : الجارية السفينة سميت بذلك لجريانها فى البحر ومنه قيل للأمة جارية

---

(١) أى من الاعرابيين المذكورين فى كلام ابن مالك وقوله فالخبر مقدر أى فى رواية المصنف المذكورة . ش

(٢) يريد بذلك أن هذه الرواية التى هى عند البخارى باللفظ الذى بينه نسبها السيوطى الى مسلم والترمذى ، والله أعلم . ش (٣) عبارة ابن مالك فى شرح المشارق بعد وضم أصابعه : هذا من كلام الراوى يعنى ضم النبي (ﷺ) أصابعه مشيراً الى قرب ذلك الرجل منه اهـ وهى أوضح كما ترى (٤) الرواية انما هى فى كتاب البر والصلة ولعل ما وجد هنا سبق قلم من النساخ أو ان المشابهة تجوز ذلك فجعل من الأدب . ع

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخلتْ علىَّ أمرأة ومعها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم

على التشبيه لجريها مسخرة فى أشغال مواليها والاصل فيها الشابة لخفتها ثم توسعوا حتى سموا كل أمة جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السعى تسمية بما كانت عليه اه وأصرح منه ما فى المغرب للمطرزى الجرى بوزن الوصى الوكيل لانه يجرى فى أمور موكله والجمع أجرياء ومنه الجارية لأنثى الغلام لخفتها وجريانها بخلاف العجوز اه فلا يختص الفضل المذكور فى الخبر بالبنتين بل يعمهما وغيرهما ففى مسند الفردوس لولد الديلمى عن أبى المحبر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عال بنتين أو أختين أو خالتين أو جدتين أو عمتين فهو معى فى الجنة كهاتين » الحديث أخرجه أحمد فى المسند (وعن عائشة رضى الله عنها قالت دخلت) بتسكين التاء وهى للدلالة على تأنيث الفاعل وقوله (على) بتشديد الياء متعلق به و (امرأة) فاعل وفى المصباح والأنثى امرأة بهمزة وصل وفيها لغة أخرى مرأة بوزن تمرة ويجوز نقل حركة الهمزة الى الراء فتحذف وتبقى مرة بوزن سنة ور بما قيل امرأ بغير هاء اعتماداً على قرينة تدل على المسمى قال الكسائى سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول أنا امرأ أريد الخير بغير هاء وجمعها نساء ونسوة من غير لفظها اه وهذه المرأة وبنتاها لم أقف على من عينهن من شراح الصحيحين ولا غيرهم قال الشيخ زكريا لم تعرف أسماؤهن (ومعها ابنتان) جملة حالية وتعدد الرابط وقوله (لها) فى محل الصفة وجملة (تسأل) مستأنفة استئنافا بيانيا كأن قائلا يقول ما سبب دخولها بمن معها فقالت تسأل (فلم تجد عندى شيئا) من مطلوبها الذى تعرضت له بالسؤال (غير تمرة واحدة) أكدت مفهوم الواحدة الدال عليها التاء فى تمرة دفعا لتوهم أنها للتأنيث لا للوحدة وواحدة مما انفرد بها مسلم عن البخارى فلم يذكرها فى الحديث فى كتاب الزكاة (فأعطيتها) أى المرأة (إياها) أى التمرة قال فى فتح البارى فيه مزيد حرص عائشة رضى الله عنها على الصدقة امتثالا لوصية النبى صلى الله عليه وسلم لها بقوله « لا يرجع من عندك سائل ولو بشق تمرة » رواه البزار (فقسمتها) بتخفيف السين أى التمرة (بين ابنتيها ولم

تأكل منها ، ثم قامت فخرجت فدخل النبى صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرتُه فقال : من ابتُلِى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كُنّ له سترا من النار» متفق عليه .

تأكل منها) أى التمرة وفى نسخة (شيئاً) وهذا منها محتمل لكونه لداعى الثواب لكونه لذلك ولداعى الطبع أيضا فان طبع الوالد إيثار الولد بذلك فيؤخذ منه على الاحتمال الاخير حصول الثواب فيه ويؤيده حديث سعد السابق فى باب الاخلاص « وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى إلا أجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك » (ثم قامت) أى منصرفة (فخرجت) ولعل حكمة الاتيان بثم فى الاول وبالفاء فى الثانى أنها كانت راجية حصول شىء غير التمرة فأطالت الجلوس لانتظاره فلما غاب على ظنها عدم ذلك قامت فعقبت قيامها بخروجها (فدخل النبى صلى الله عليه وسلم علينا) أى أهل المنزل الشامل لها ولمن عندها من خادم وجليس فالنون على حقيقتها ويحتمل أن يكون الضمير استعملته فى نفسها على انفرادها تعظيما لكونها من أمهات المؤمنين وزوجات سيد المرسلين لالذاتها وقالت بالنظر لذاتها متواضعة كما هو مقتضى عظيم شأنها ومزيد فضلها (فأخبرته) وحذفت المفعولين الأخيرين لدلالة السياق عليهما (فقال من ابتلى) بضم الفوقية مبنى المجهول أى امتحن واختبر وسماه ابتلاء لموضع الكراهة (من هذه البنات) من فيه بيان لقوله (بشىء) وهو نائب الفاعل أى بأنفسهن أو أحوالهن قال القرطبى يفيد بعمومه أن الستر من النار يحصل بالاحسان إلى واحدة من البنات فاذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر السبق مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى الجنة كما فى الحديث السابق « من عال جاريتين » الخ (فأحسن اليهن) هذه الجملة عند مسلم وعند البخارى فى كتاب الأدب وليست عنده فى كتاب الزكاة وإحسانه اليهن صونهن والقيام بمصالحهن والنظر فى أصلح الأحوال لهن فمن فعل ذلك قاصدا به وجه الله تعالى (كن له ستراً) أى سبب ستر (من النار) ولم يقل أستاراً لأن المراد الجنس المتناول للقليل والكثير ولا شك أن من لم يدخل النار دخل الجنة ، وقد جاء فى الحديث الآخر فى المرأة التى قسمت التمرة بين بنتيها « قد أوجب الله لها الجنة وأعاذها من النار » والحديث عند مسلم (متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة والأدب ورواه مسلم فى الأدب ورواه

وعن عائشة رضى الله عنها أيضاً قالت جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتُها ثلاث تَمَرات فاعطت كل واحدة منها تمرةَ ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبنى شأنها ، فذكرتُ الذى صَنَعتْ

الترمذى فى البر والصلة وفى الجامع الصغير بعد ذكر المرفوع منه الرمز لمن ذكر وزاد أحمد (و)روى (عن عائشة رضى الله عنها أيضاً قالت جاءتنى مسكينة) مأخوذ من السكون أى ذهاب الحركة وهو بفتح الميم فى لغة بنى أسد وبكسرها عند غيرهم قال ابن السكيت : المسكين الذى لا شىء له والفقير الذى له بلغة من العيش ، وكذا قال يونس وجعل الفقير أحسن حالا من المسكين قال وسألت أعرابيا أفقير أنت ؟ قال لا والله بل مسكين ، وقال الأصمعى المسكين أحسن حالا من الفقير وهو الوجه ؛ لأن الله تعالى قال « أما السفينة فكانت لمساكين » وكانت تساوى جملة وقال فى حق الفقراء (لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) وقال ابن الأعرابى المسكين هو الفقير وهو الذى لا شىء له فجعلهما سواء ، والمسكين أيضاً الذليل وإن كان غنياً والمرأة مسكينة والقياس حذف الهاء لأن بناء مفعيل ومفعال فى المؤنث لا تلحقه هاء نحو امرأة معطير ومسكان لكنها حملت على فقيرة فدخلت الهاء كذا فى المصباح (تحمل ابنتين لها) أى تسأل كما تقدم فى الرواية قبلها وحذف لدلالة الحال عليه وكذا ظاهر قولها (فأطعمتها ثلاث تمرات) بفتح الفوقية والميم جمع تمرة بسكونها كسجدة وسجدات (فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها (بحق القسمة (فاستطعمها) وفى نسخة فاستعطمتها باثبات التاء (ابنتاها) حذف المفعول الثانى لاستطعم أى استطعمتها التمرة الثالثة أى طلبتا منها أن تطعمهما اياها (فشقت التمرة) أى شقين (التى كانت تريد أن تأكلها) وقولها (بينهما) متعلق بمحذوف أى وقسمتها (فأعجبنى شأنها) لما فيه من الايثار على النفس بحظوظها ورحمة الصغار ومزيد الاحسان والرفق بالبنات طلبا لوجه الله تعالى وفى مفردات الراغب الشأن الحال والامر الذى يتفق ويصلح ، ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والأمور اه (فذكرت التى صنعت) بتاء التأنيث أى الخصلة التى وفى نسخة الذى أى الأمر الذى

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجنةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ » رواه مسلم . وعنْ أبى شريح خُويلد بن عمرو الخزاعى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم

(لرسول الله صلى الله عليه وسلم) والاتيان بالفاء الدالة على التعقيب إما لكونه صلى الله عليه وسلم كان بالمنزل الا أنه لم ير ذلك أو لدخوله عقب صدور ذلك منها كما جاء كذلك فيما قبله (فقال إن الله قد أوجب لها) أى للمرأة (بها) أى بهذه الفعلة (الجنة) بفضله لما عندها من الرحمة والشفقة وذلك سبب لحلول الرحمة قال صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة » (أو) شك من الراوى ويحتمل كونها بمعنى الواو (أعتقها بها من النار) لاعتاقها نفسها من الركون الى الدنيا والغفلة عن جانب الله بالايثار للصغار رحمة لهم (رواه مسلم) فى الأدب من صحيحه (وعن أبى شريح) بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون التحتية بعدها حاء مهملة (خويلد) بضم المعجمة وفتح الواو وسكون التحتية آخره دال مهملة (ابن عمرو) بن صخر بن عبد العزى بن معاوية بن المحترس بن عمرو بن مازن بن عمرو بن ربيعة (الخزاعى) نسبة إلى خزاعة قبيلة وما ذكره من أن اسمه (رضى الله عنه) خويلد هو قول الاكثر وقيل اسمه كعب بن عمرو وقيل عبد الرحمن بن عمرو وقيل عمرو بن خويلد وقيل هانىء نزل المدينة وأسلم قبل الفتح وتوفى بالمدينة سنة ثمان وستين كما قاله ابن سعد وأخرج ابن الأثير فى الكنى من أسد الغابة عن المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه قال : « قدم هانىء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى الحارث بن كعب وكان يكنى أبا الحكم فقال كانوا إذا كان بينهم شىء حكموني فرضوا الحكمى فكنوني أبا الحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولدك أكبر ؟ فقلت شريح ، فقال أنت أبو شريح قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم دعاله ولولده وهو والد شريح بن هانىء صاحب على بن أبى طالب يعد فى أهل الكوفة وما ذكر من أنه خزاعى هو أحد ما قيل فيه وقيل كعبي وقيل عدوى قال المصنف فى التهذيب كان يوم فتح مكة حاملا أحد ألوية بنى كعب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون حديثا اتفقا على حديثين منها وانفرد البخارى بحديث واحد اه (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم)

إني أحرّجُ حق الضعيفين اليتيمِ والمرأةِ » حديث حسن رواه النسائى بإسناد جيد، ومعنى (أحرّج) ألحق الحرج وهو الاثم، بمن ضيعَ حقهما

أصله كما تقدم يا الله على الصحيح وهو قول البصريين بحذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة فى الآخر ولذا لا يجمع بينهما إلا ضرورة نحو أقول يا اللهم يا اللهما (إنى أحرج) بتشديد الراء تفعيل من الحرج وهو الاثم والصيغة للمبالغة (حق الضعيفين) أى ما يستحقانه بملك أو غيره كاختصاص ولذا عبر به دون مال وليشمل سائر الحقوق المالية وغيرها (اليتيم) هو من بنى آدم من لا أب له وهو دون البلوغ كما مر قريباً (والمرأة) بوزن التمرة وتقدم أنها لغة وإنما حرج حقهما وبالغ فى المنع منه لأنهما لاجاه لهما يلتجئان اليه ويحاج عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى فالمتعرض لهما كالمخفر لله فى عهده فهو حقيق بأنواع الوبال وهذا بخلاف الكامل من الرجال فان الغالب منهم من يعتمد على قوته أو قوة من يركن اليه ويعول فى أمره عليه من مخلوق ذى أمر صورى ومن اعتز بغير الله ذل (حديث حسن) هو مشارك للصحيح فى اعتبار اتصال السند وعدالة الرواة وضبطهم وانتفاء الشذوذ والعلة القادحة كما تقدم أو اخر شرح خطبة الكتاب إلا أن المعتبر من هذه الأوصاف فى الصحيح أعلاها، وفى الحسن مسماها، وهذا من المصنف بناء على ما مشى عليه هو والمتأخرون من إمكان التصحيح والتضعيف والتحسين من الأئمة المتأخرين وخالف فيه ابن الصلاح (رواه النسائى بإسناد جيد) أراد من الاسناد الرواة وتارة يسمون ذلك بالسند ويطلقون الاسناد على رفع الحديث لقائله فلذا قال السيوطى

والسند الاخبار عن طريق * متن والاسناد لدى فريق

قال السيوطى فى شرح ألفيته فى علم الأثر نقلا عن الحافظ ابن حجر قال بعد نقله الكلام عن ابن الصلاح: هذا يدل على أن ابن الصلاح يرى التسوية بين الجيد والصحيح وكذا قال البلقينى فى محاسن الاصطلاح بعد أن نقل ذلك ومن ذلك يعلم أن الجودة يعبر بها عن الصحة وكذا قال غيره لا مغايرة بين جيد وصحيح عندهم إلا أن الجهبذ منهم لا يعدل عن صحيح الى جيد إلا لنكتة كأن يرتقى الحديث عنده عن الحسن لذاته ويتردد فى بلوغه الصحيح فالوصف به أنزل من الوصف بصحيح اه (ومعنى أحرج ألحق الحرج وهو الاثم بمن ضيع حقهما)

وأحذُر منْ ذلك تحذيراً بليغاً ، وأزْجُرُ عنهُ زجراً أكيدا . وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما قال « رأى سعدٌ أن له فضلا على من دونهُ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟ »

فالتفعيل فيه للنسبة نحو فسقت زيد أى نسبته اليه وقوله ضبع حقهما يقتضى أنه لو ضاع بسكوته وكان لا مانع به من الكلام شرعاً دخل فى الحرج وقوله (وأحذر منْ ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً) ليس مدلول قوله أحرج وانما أخذه المصنف من دلالة السياق عليه وأكيد بمعنى متأكد (وعن مصعب) بضم أوله وسكون الصاد المهملة وفتح المهملة بعدها موحدة (ابن سعد ابن أبي وقاص) بتشديد القاف وآخره صاد مهملة وهو مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤى القرشى الزهرى التابعى المدنى سمع أباه وعلى بن أبى طالب وابن عمر روى عنه مجاهد وأبو اسحق السبيعى وآخرون واتفقوا على توثيقه قال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث توفى سنة مائة وثلاث (قال رأى) أى ظن وهى رواية النسائى كما فى فتح البارى (سعد) يعنى أباه (ان له فضلا على من دونه) زاد النسائى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بسبب شجاعته أو نحو ذلك (فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون) ببنائهما للمفعول (إلا بضعفائكم) جمع ضعيف ويجمع على ضعاف أيضاً وفى رواية النسائى إنما نصر هذه الأمة بضعفتهم (١) بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم وله شاهد من حديث أبى الدرداء عند أحمد والنسائى بلفظ « إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » قال ابن بطال تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصاً فى الدعاء وأكثر خشوعاً فى العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا وقال المهلب أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع ونفى الزهو على غيره وترك احتقار المسلم فى كل حالة ، وقد روى عبد الرزاق من طريق مكحول فى قصة سعد هذه زيادة مع ارسالها فقال « قال سعد يا رسول الله أرأيت رجلا يكون حامية القوم ويدفع

---

(١) عبارة العلقمى : وعند أحمد والنسائى : إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم . ع

رواه البخارى هكذا مرسلا فأن مصب بن سعد تابعى ورواه الحافظ أبو بكر البرقانى فى صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه . وعن أبى الدرداء عويمر رضى الله عنه

عن أصحابه أيكون نصيبه كنصيب غيره » فذكر الحديث وعلى هذا فالمراد بالفضل الزيادة من الغنيمة فأعلمه صلى الله عليه وسلم أن سهام المقاتلة سواء فان كان القوى يترجح بفضل شجاعته فان الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه (رواه البخارى) فى كتاب الجهاد (هكذا) من طريق محمد بن طلحة بن مصرف عن أبيه عن مصعب (مرسلا) لعدم ادراك مصعب لزمن القصة كما قال (فان مصعب بن سعد تابعى) فحذف منه الصحابى (ورواه الحافظ أبو بكر) احمد بن محمد بن احمد بن غالب (البرقانى) بفتح الموحدة والقاف بينهما راء ساكنة وبعد الألف نون نسبة الى برقان قرية بنواحى خوارزم كذا فى لب اللباب للسيوطى زاد الأصبهانى وفى لب اللباب له البرقانى نسبة الى قرية من قرى كانت بنواحى خوارزم خربت والمشهور منها الامام أبو بكر احمد بن محمد البرقانى الخوارزمى الفقيه المحدث الأديب الصالح (فى صحيحه متصلا عن مصعب عن أبيه) وكذا هو عند النسائى من طريق مسعر عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلا ، الحديث قال الحافظ بن حجر فى النكت الظراف على الاطراف بعد أن بين اختلاف الرواة فى ذكر لفظه عن أبيه وحذفها فى طريق محمد بن طلحة أيضاً ما لفظه قال الدارقطنى : المحفوظ عن محمد بن طلحة مرسل كما عند البخارى قال ولم يسمع محمد بن طلحة من أبيه والصواب رواية مسعر يعنى التى أخرجها النسائى قال وتابعه زبيد وليث على وصله اه (وعن أبى الدرداء) بفتح الدالين المهملتين وسكون الراء بينهما وبالمد كنيته (عويمر) بالمهملة تصغير عامر وقيل ان اسمه مكبرا ابن قيس بن زيد بن أمية بن مالك بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج بن الحارث الأنصارى (رضى الله عنه) قال ابن قدامة فى كتاب أنساب الأنصار وقيل فى نسبه غير هذا تأخر اسلامه قليلا شهد ما بعد أحد من المشاهد واختلف فى شهوده أحداً ، وكان فقيها عاقلا حكيما عالما عاملا ، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان كما تقدم فى باب الاقتصاد من حديث أبى جحيفة بذلك عند البخارى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عويمر حكيم أمتى »

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ابغُونى الضعفاء فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم » رواه أبو داود بإسناد جيد

وعن أبى ذر قال «ماحملت ورقاء (١) ولا أظلت خضراء (٢) أعلم منك يا أبا الدرداء» وعن خالد بن معدان قال كان ابن المبارك يقول : حدثونا عن العالمين العاملين معاذ وأبى الدرداء ، وله حكم مشهورة توفى فى خلافة عثمان سنة نيف وثلاثين وقبره فى مقبرة الشهداء بدمشق يزار ، قال المصنف روى له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وتسعة وسبعون حديثا اتفقا على حديثين منها وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بثمانية اه وقال المصنف فى التهذيب روى عنهم جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وخلائق من التابعين اه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابغونى) بكسر همزة الوصل لأنه من فعل ثلاثى مكسور العين أى اطلبوا لى (الضعفاء) يعنى صعاليك المسلمين أستعين بهم فاذا قلت أبغنى بهمزة القطع فمعناه أعنى على الطلب وقال الحافظ ابغنى بالوصل من الثلاثى أى اطلب لى يقال بغيتك الشىء طلبته لك وبالقطع أى أعنى والأول المراد بالحديث اه والحاصل أنه إن كان من الثلاثى فهمزته للوصل مكسورة والمراد به مطلق الطلب ، وإن كان من الرباعى فهمزته للقطع والمراد به طلب الاعانة أى أعينونى على طلب الضعفاء قال السيوطى هو باسقاط حرف الجر عند أبى داود والنسائى وعند احمد والطبرانى « ابغونى ضعفاءكم » وعند الترمذى ابغونى فى ضعفائكم قال صاحب الفتح الكبير لمعلق الجامع الصغير وطلبهم ليكتبهم فى ديوان المجاهدين ويستعين بهم ولحضورهم فوائد أشار اليها بقوله (فانما ترزقون) بالبناء للمفعول وحذف المفعول الثانى المتعدى اليه لتضمنه معنى اعطاء للتعميم أى ترزقون المطر والفىء وغيرهما مما تنتفعون به (وتنصرون على أعدائكم (بضعفائكم) أى ببركة وجود صعاليك المسلمين فيكم ودعائهم لكم (رواه أبو داود) فى كتاب الجهاد (باسناد جيد) أى مقبول كما تقدم قريبا ورواه الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم فى المستدرك فى أحاديث الباب الانقطاع الى الله سبحانه وإعانة الفقراء وإغاثة المنقطعين وعدم

---

(١) أى الارض (٢) أى السماء . ع

﴿باب الوصية بالنساء﴾

قال الله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » وقال تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما »

رؤية النفس وفضلها على أحد من العالمين والحذر من التعرض لايذاء أحد من الضعفاء والمساكين الذين لا جار لهم ولا كهف سوى رب العالمين

﴿باب الوصية بالنساء﴾

بكسر النون وبالمد جمع لامرأة من غير لفظها وتجمع على نسوة بكسر النون كما تقدم عن المصباح والمراد الوصية بالرفق بهن والاحسان اليهن لضعفهن واحتياجهن لمن يقوم بأمرهن (قال الله تعالى) شأنه عما لا يليق به (وعاشروهن بالمعروف) أمر يعم الازواج والاولياء ولكن المتلبس فى الاغلب بهذا الأمر الازواج والعشرة المخالطة والممازجة قال السلمى « وعاشروهن بالمعروف » قيل علموهن الفرائض والسنن وقال أبو جعفر (١) المعاشرة بالمعروف حسن الخلق مع العيال (وقال تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا) العدل التام على الاطلاق المستوى فى الاقوال والافعال والمحبة والجماع وغير ذلك (بين النساء ولو حرصتم) كان صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك فاخبر عز وجل عن حال البشر أنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض الازواج دون بعض (فلا تميلوا كل الميل) بأن يفعل فعلا يقصد به التفضيل وهو يقدر أن لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان فى أمر حقير (فتذروها) أى الزوجة التى ميل عليها كل الميل (كالمعلقة) لا هى أيم ولا هى ذات زوج (وإن تصلحوا) ما أفسدتم بالميل التام (وتتقوا) بالعدل فى القسم وترك خلافه (فان الله كان) فيما مضى وبالاستمرار (غفورا) لما عدا الشرك من المعاصى ان شاء ذلك (رحيما) مفيضا للنعم على عباده ومناسبة هذين الاسمين لما قبلهما أن الميل

---

(١) فى نسخة أبو حفص . ع

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «استوصوا بالنساء خيرا فأن المرأة خلقت من ضِلع وإن أعوج ما فى الضّلع أعلاهُ

السابق إثم ودواؤه الغفران وأن الداعى الى عدم التقوى من المساواة بالمواساة بين الازواج ما يعد به الشيطان من الفقر فدواؤه استحضار ما للمولى سبحانه وتعالى من النعم الحسان (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا) أى تواصوا بهن والباء للتعدية والاستفعال بمعنى الافعال كالاستجابة بمعنى الاجابة وقال الطيبي السين للطلب وهو للمبالغة أى اطلبوا الوصية من أنفسكم فى حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن (١) وقيل معناه اقبلوا وصيتى فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن واحسنوا عشرتهن قال العلقمى وهذا الوجه أوجه فى نظرى وليس مخالفا لما قال الطيبي « قلت » لأن المعنى اطلبوا وصيتى واقبلوها واعملوا بها (فان المرأة خلقت) بالبناء للمفعول أى أخرجت (من ضلع) بكسر المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها وهى مؤنثة كما فى القاموس والمصباح قال فى الفتح فيه اشارة الى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير أخرجه ابن اسحق فى المبتدأ عن ابن عباس وكذا أخرجه ابن أبى حاتم وغيره من حديث مجاهد وأغرب النووى فعزاه للفقهاء أو لبعضهم اه وهذا لا يخالف الحديث الذى فيه تشبيه المرأة بالضلع بل يستفاد من هذا نكتة التشبيه وانها عوجاء مثله لكون أصلها منه وقال القرطبي يحتمل أن يكون معناه أن المرأة خلقت من مبلغ ضلع فهى كالضلع (وان أعوج ما) أى شىء كما فى رواية أخرى (فى الضلع أعلاه) قيل فيه إشارة الى أن اعوج ما فى المرأة لسانها وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها ، أو أنها لا تقبل التقويم كما ان الضلع لا يقبله ولذا قال

---

(١) عبارة العلقمى : أو اطلبوا الوصية من غيركم بهن كمن يعود مريضا فيستحب له أن يحثه على الوصية ، والوصية بالنساء آكد لضعفهن واحتياجهن الى من يقوم بأمرهن وقيل معناه الخ

فان ذهبت تقيمهُ كسرته ، وإن تركته لم يزلْ أعوجَ ؛ فاستوصوا بالنساء » متفق عليه . وفى رواية فى الصحيحين (المرأةُ كالضلع إن أقمتَها كسرتها و إن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عِوَجٌ)

(فان ذهبت تقيمه) أى أعلاه (١) عن الاعوجاج الذى هو شأنه (كسرته) لعدم قابليته له (وإن تركته) غير آخذ فى إقامته (لم يزل أعوج) لأنه وضعه وشأنه وكذا المرأة إن أردت إقامتها على الجادة وعدم اعوجاجها أدى الى الشقاق والفراق وهو كسرها ، وإن صبرت على سوء حالها وضعف معقولها ونحو ذلك من عوجها دام الأمر واستمرت العشرة ، والفاء فى قوله (فاستوصوا بالنساء) الفاء الفصيحة أى فاعرفوا ذلك فاستوصوا بهن (خيراً) بالصبر على مايقع منهن ، فيه رمز الى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه ، وما قررت من أن الفاء الفصيحة هى العاطفة على مقدر هو ما فى النهر لأبى حيان وردما فى الكشاف وتبعه البيضاوى من أنها الواقعة جوابا لشرط مقدر حذف هو وفعله بأن النحاة أجمعوا على عدم جواز حذف الأداة والفعل فى مثل ذلك (متفق عليه) رواه البخارى فى بدء الخلق وفى النكاح ورواه مسلم فى النكاح ورواه النسائى فى عشره النساء وابن أبى شيبة وزاد « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت » (وفى رواية فى الصحيحين) فى هذا الحديث عن أبى هريرة لكن اقتصر المزى على عزوه بهذا اللفظ الى مسلم فى النكاح قال ورواه الترمذى فيه وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه (المرأة) اللام فيها للحقيقة (كالضلع) فى الاعوجاج وعدم قابلية الاقامة (إن أقمتها) أى الضلع وهى مؤنثة ويحتمل أن يكون ضمير المؤنث هنا للمرأة ويؤيده قوله بعد وإن استمتعت بها (كسرتها) لعدم قابليتها للاقامة ويحتمل أن المراد بكسرها طلاقها وقد وقع ذلك صريحا كما سيأتى وكسرها طلاقها (وإن استمتعت بها) لقضاء الوطر وطلب الولد الصالح والاعفاف (استمتعت بها) وجملة (وفيها عوج) جملة اسمية حالية

---

(١) مقتضى قوله أى أعلاه أن الضمير فى تقيمه لأعلى الضلع والذى فى العلقمى أن الضمير لذات الضلع فرجوعه للأعلى ينافى ما قدمه من قوله كما أن الضلع لا يقبله ولذا قال الى آخره . ع

وفى رواية لمسلم (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها) . قوله (عوج) هو بفتح العين والواو . وعن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه

(وفى رواية لمسلم) فى النكاح (إن المرأة) الاتيان بالمؤكد لاقتضاء المقام له وكأنه لكثرة الشكاية من الأزواج من عدم استقامتهن وذلك يقتضى منهم أنهم توهموا إمكان استقامتهن أو ترددوا فيه ، فأتى صلى الله عليه وسلم دفعاً لذلك بذلك (خلقت من ضلع لن تستقيم لك) أى تدوم (على طريقة) ترضاها والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا كأن سائلا يقول ماذا ينشأ من كونها خلقت من ذلك ؟ فقال لن تستقيم (فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها) إقامة تامة مرضية لك (كسرتها) لأنه خلاف شأنها وليس فى وسعها واستعدادها (وكسرها) المدلول عليه بقوله كسرتها (طلاقها قوله) فى الحديث (عوج بفتح العين) المهملة (والواو) قال الفيومى فى المصباح العوج بفتحتين فى الأجساد خلاف الاعتدال وهو مصدر من باب تعب يقال عوج العود ونحوه فهو أعوج والأنثى عوجاء من باب أحمر والعوج بكسر العين فى المعانى يقال فى الأمر عوج وفى الدين عوج قال أبو زيد فى الفرق وكل ما رأيته بعينك فهو مفتوح وما لم تره فهو مكسور ، قال وبعض العرب تقول فى الطريق عوج بالكسر اه وفى التهذيب للمصنف اختلف فى ضبط عوج فى هذا الحديث فضبطه كثيرون بفتح العين وضبطه الحافظ أبو القاسم وآخرون من المحققين بالكسر وهو الصواب الجارى على ما ذكره أهل اللغة اه ومنه يعلم أنه تبع فى ضبطه هنا الكثيرين والصواب خلافه إلا أن يدعى أن تلك الأخلاق منهن لما تكررت صارت كالمحسوس فاستعمل فيها ما يستعمل فيه فيكون صحيحا أيضاً إلا أنه تكلف (وعن عبد الله بن زمعة) بفتح الزاى واسكان الميم وكسرها ابن الاسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى رضى الله عنه) أمه قريبة بنت أمية بن المغيرة أخت أم سلمة أم المؤمنين كان من أشراف قريش وكان يأذن على النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن وعروة

أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى رهطه ثم ذكر النساء فوعظ فيهن

ابن الزبير وقتل زمعة يوم بدر كافرا وكان الاسود من المستهزئين الذين قال الله تعالى فى حقهم « انا كفيناك المستهزئين » وقتل عبد الله مع عثمان يوم الدار قاله ابو أحمد العسكرى عن أبى حسان الزيادى وكان لعبد الله ابن اسمه يزيد قتل يوم الحرة صبرا قتله مسلم بن عقبة المرى اه ملخصا من أسد الغابة قال ابن حزم فى آخر كتابه مختصر التاريخ : روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث واحد « قلت » وذكر المزى فى الأطراف له حديثين أحدهما حديث الباب والثانى عند أبى داود (انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة) التى كانت معجزة لسيدنا صالح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام والواو عاطفة على محذوف تقديره خطب فذكر كذا وذكر الناقة (والذى عقرها) وهو قدار بضم القاف وبالذال المعجمة آخره راء بن سالف أحيمر ثمود (فقال صلى الله عليه وسلم) مبينا لوصفه (إذ انبعث أشقاها) أشقى قبيلة ثمود وهو أشقى الأولين (انبعث لها) أى للناقة (رجل عزيز) بالمهملة وزاءين معجمتين بوزن رحيم أى قليل المثل (عارم) بالمهملتين كما سيأتى فى تفسيره (منيع) أى قوى ذو منعة (فى رهطه) يمنعونه من الضيم زاد البخارى فى رواية مثل أبى زمعة وفى أخرى مثل أبى زمعة عم الزبير بن العوام وهو عمه مجازا لأنه ابن عم أبيه فكانه أخو أبيه فأطلق عليه عم بهذا الاعتبار قال القرطبى فى المفهم يحتمل أن المراد بأبى زمعة الصحابى الذى بايع تحت الشجرة يعنى وهو عبيد البلوى قال ووجه تشبيهه به أنه كان فى عز ومنعة فى قومه كما كان ذلك الكافر قال ويحتمل أن يريد غيره من الكفار ممن يكنى بأبى زمعة قال الحافظ فى الفتح وهذا الثانى هو المعتمد والغير المذكور هو الاسود وهو جد عبد الله بن زمعة راوى الخبر لقوله فى نفس الخبر عم الزبير وليس بين البلوى والزبير نسب اه (ثم ذكر) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته تلك (النساء) استطرادا (فوعظ فيهن) فاستطرد الى مايقع من أزواجهن

فقال : يعمِدُ أحدُكم فيجلد أمرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه ، ثم وعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال : لم يضحك أحدكم مما يفعل ؟ » متفق عليه .

(فقال يعمد) بكسر الميم (أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد) بالنصب أى مثل ضربه فى كونه مبرحا مؤذيا . وعند مسلم فى رواية ضرب الأمة وللنسائى كما يضرب العبد أو الأمة . وفى البخارى فى الأدب من رواية ابن عيينة ضرب الفحل والمراد منه البعير . وفى حديث لقيط بن صبرة عند أبى داود « ولا تضرب ظعينتك ضربك أمتك » (فلعله يضاجعها) وفى رواية للبخارى فى النكاح يجامعها (من آخر يومه) وعند النسائى من آخر النهار ورواية ابن نمير والاكثر آخر يومه ورواية وكيع آخر الليل أو من آخر الليل وكلها متقاربة وفى الحديث جواز تأديب الرقيق بالضرب الشديد والايماء الى جواز ضرب النساء دون ذلك وفى سياق الحديث استبعاد وقوع الأمرين من العاقل أن يبالغ فى ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته والمجامعة أو المضاجعه انما تستحسن مع الميل والرغبة فى العشرة والمجلود غالبا ينفر ممن جلده فوقعت الاشارة الى ذم ذلك وانه اذا كان ولا بد فليكن التأديب بالضرب اليسير بحيث لا يحصل معه النفور التام فلا يفرط فى الضرب ولا يفرط فى التأديب (ثم وعظهم صلى الله عليه وسلم استطرادا أى حذرهم (فى ضحكهم من الضرطة) وذلك لأنه خلاف المروءة ولما فيه من هتك الحرمة (وقال) فى تقبيح ذلك (لم) بكسر اللام (يضحك أحدكم مما يفعل) وذلك لأن الضحك انما يكون من الأمر العجيب والشأن الغريب يبدو أثره على البشرة فيكون التبسم فان قوى وحصل معه الصوت كان الضحك ، فان ارتقى عن ذلك كانت القهقهة ، وإذا كان هذا الأمر معتاداً من كل انسان فما وجه الضحك من وقوع ذلك ممن وقع منه (متفق عليه) رواه البخارى فى التفسير بجملته وروى قصة النساء فقط فى النكاح أيضا وقصة النكاح والضرطة فى الادب أيضا ورواه بجملته مسلم فى باب صفة النار ورواه الترمذى فى التفسير وقال حسن صحيح ورواه النسائى فى التفسير وفى عشرة النساء بالقصة الثالثة كذا قاله المزى فى الأطراف قال الحافظ التقى بن فهد بل بالثانية وابن

و (العارم) بالعين المهملة والراء هو الشريرُ المفسد ، وقوله انبعث أى قام بسرعة . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة إنْ كره منها خُلُقاً رضى منها آخر أو قال : غيرَهُ » رواه مسلم . وقوله (يفرَك) هو بفتح الياء

ماجه فى النكاح (والعارم بالعين المهملة والراء) لم يحتج لتقييد الراء بالمهملة لأن تلك زاى بالياء فى اللغة المشهورة فلا تلتبس بالراء (هو الشرير) بكسر المعجمة وتشديد الراء الأولى (المفسد) وفى النهاية أى خبيث شرير وقد عرم بالضم والفتح والكسر والعرام القوة والشدة والشراسة وفى الصحاح ، وصبى عارم بين العرام أى شرس وقد عرم يعرم ويعرم أى بضم عين المضارع وكسرها عرامة بالفتح ، (وقوله) فى الحديث (انبعث) انفعل من البعث (أى قام بسرعة) وجعله فى الصحاح مطاوع بعثه وابتعثه وذلك يؤذن بالسرعة (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرك) يأتى ضبطه ومعناه (مؤمن مؤمنة) نكرهما للتعميم أى لا تبغض المؤمنة على كل حالها بل شأن المؤمن معها (ان كره فيها(١) خلقا) بضم الخاء المعجمة كسوء الخلق مثلا (رضى منها) خلقا (آخر) كالعفاف (أو) شك من الراوى (قال) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (غيره) بدل قوله آخر قال المصنف قال القاضى عياض ليس هذا على النهى بل هو خبر أى لا يقع منه بغض تام لها ، قال وبغض الرجال للنساء بخلاف بغضهن لهم قال ولهذا قال ان كره منها خلقا رضى منها آخر اه وهو ضعيف أو غلط بل الصواب أنه نهى أى ينبغى أن لا يبغضها لأنه ان وجد فيها خلقا يكره وجد فيها خلقا مرضيا وهذا الذى ذكرته من أنه نهى يتعين لوجهين ، أحدهما ، أن المعروف فى الروايات لا يفرك باسكان الكاف لا برفعها وهذا يتعين فيه النهى ولو روى مرفوعا لكان نهيا بلفظ الخبر ، الثانى أنه قد وقع خلافه فبعض الناس يبغض زوجته بغضا شديدا ولو كان خبرا لم يقع خلافه وهذا وقع خلافه وما أدرى ما حمل القاضى على هذا التعبير اه (رواه مسلم) فى كتاب النكاح (قوله يفرك هو بفتح الياء) التحتية

---

(١) نسخة المتن منها . ع

و إسكان الفاء وفتح الرّاء معناهُ يُبْغِضُ يقال فَرِكت المرأةُ زوجها وفركها زوجها بكسر الراء يفركها بفتحها أى أبغضها والله أعلم . وعن عمرو بن الأحوص الجُشَمِي رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حَجة الوَداع يقول بعد أن حَمدَ الله تعالى وأثنى عليه وذكَّر ووعَظ ثم قال : ألا

(واسكان الفاء) هذا مستغنى عنه أتى به زيادة فى الايضاح (وفتح الراء) فهو من باب فرح يفرح (ومعناه يبغض) بضم التحتية وكسر المعجمة مضارع من الابغاض (يقال فركت المرأة زوجها وفركها زوجها بكسر الراء) فى الماضى (يفركها بفتحها) فى المضارع (أى أبغضها) قال فى المصباح أبغضت الشىء إبغاضا فهو مبغض والاسم البغض ولا يقال بغضه بغير ألف والمراد من الحديث أن شأن المؤمن أن لا يبغض المؤمنة بغضا كليا يحمله على فراقها أى ينبغى له أن يغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره بما يحب قال القرطبي وأصل الفرك انما يقال فى النساء يقال فركت المرأة زوجها وأبغض الرجل امرأته وقد استعمل الفرك فى الرجل قليلا وتجوزا ومنه ، ما فى هذا الحديث اه (والله أعلم وعن عمرو بن الاحوص) بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعد الواو مهملة ثانية ابن جعفر بن كلاب (الجشمى (الكلابى قاله أبو عمرو وأما ابن منده وأبو نعيم فلم ينسباه إنما قالا عمرو ابن الاحوص الجشمى قال ابن الاثير قول أبى عمرو أنه جشمى كلابى لا أعرفه فانه ليس فى نسبه الى كلاب جشم ولا فيما بعد كلاب أيضا وانما الاحوص بن جعفر بن كلاب نسب معروف ولعله له حلف فى جشم فنسبه اليه اه (رضى الله عنه) قال ابن حزم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان (أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (بفتح الواو لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودع الناس ولم يحج بعدها ويقال بكسرها وتقدم فيها مزيد فى باب النية فى حديث سعد بن أبى وقاص (يقول بعد أن حمد الله) بالاوصاف الجميلة (وأثنى عليه) بتنزيهه عما لا يليق به (وذكر) بتخفيف الكاف أى أتى بذكر الله تعالى من التكبير والتهليل أو بتشديدها من التذكير بالله والتخويف من عقابه ويؤيد هذا قوله (ووعظ ثم) أى بعد أن أطال فى ذلك لاستدعاء المقام له (وقال) مستطرداً للوصية بالنساء (ألا) بتخفيف اللام أداة استفتاح يؤتى

واستوصوا : بالنساء خيرا فانما هن عوانٌ عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة فأن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرّح فأن أطعنكم فلاَ تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على

بها أول الكلام إذا كان المقام يهتم به (واستوصوا بالنساء خيراً) المعطوف عليه محذوف اختصاراً مدلول عليه بما قبله (فانما هن عوان) جمع واحده عانية وإعرابه مقدر لنقل الضمة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين قال فى النهاية أى أسراء أو كالاسراء وأشار به إلى أنه محتمل لكونه من باب التشبيه البليغ أو أنه على ظاهره من تقدير غير لشىء (عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك) المشار اليه محذوف مدلول عليه بسياق الكلام وهو الاستمتاع وحفظ الزوج فى نفسها وماله (إلا أن يأتين بفاحشة) كبيرة كنشوز وسوء عشرة (مبينة) بكسر الياء اسم فاعل لانها تبين عدم انقيادها المفروض عليها وبفتحها اسم مفعول أى إن سوء حالها يدل على تلك الفاحشة ويبينها (فان فعلت) ذلك أى النشوز بأن ظهرت مقدماته منها فعظوهن فان لم ينزجرن به (فاهجروهن فى المضاجع) فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف (واضربوهن ضربا غير مبرح) بكسر الراء المشددة ، ولا شائن بأن لايجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه والمهالك فيضربن مع الهجران عند تحقق النشوز والعصيان وهو ضرب تأديب وتعزير قال الرويانى فى البحر ويضربها بمنديل ملفوف أو بيده لابسوط ولا عصا واباحة الضرب فى هذه الحالة ولاية من الشرع للزوج لاخذ حقه قال العز بن عبد السلام ليس لنا موضع يضرب المستحق من منع حقه غير هذا والعبد إذا منع حق سيده لان الحاجة ماسة إلى ذلك فيهما لتعذر إثبات ذلك بسبب عدم الاطلاع وانما يجوز ضربها إن علم أو ظن أنه يصلحها ، فان علم عدم إفادته لم يجز (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء فالمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان فيهن كأن لم يكن فأن التائب من الذنب كمن لاذنب له ، وهذه الجمل مقتبسة من معنى قوله تعالى « واللاتى تخافون نشوزهن ، إلى قوله سبيلا » (الا) أداة استفتاح أتى بها للتنبيه على مابعدها لانه حكم آخر (ان لكم على

نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنّ فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (قوله) صلى الله عليه وسلم (عوان)

نسائكم حقا) أمراً واجبا (ولنسائكم عليكم حقا) هذا من عطف معمولين على معمولى عامل واحد وهو جائز اتفاقا (فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهونه) قال المازرى قيل المراد بذلك أن لا يستخلين بالرجال قال القاضى عياض كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء ولم يكن ذلك عيبا ولا ريبة عندهم فلما نزلت آية الحجاب نهوا عن ذلك اه قال المصنف والمختار أن معناه لا يأذن لاحد تكرهونه فى دخول بيوتكم والجلوس فى منازلكم سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا أو امرأة أو أحد محارم الزوجة فالنهى يتناول جميع ذلك « قلت » ولذا عقب بقوله (ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهونه) أى تكرهون دخوله لمنزلكم من أنثى وذكر وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنه لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة لا محرم ولا غيره فى دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنت أن الزوج لا يكرهه لان الاصل تحريم دخول منزل الانسان حتى يوجد الاذن منه فى ذلك أو ممن أذن له فى الاذن فى ذلك أو عرف رضاه به باطراد العرف بذلك ونحوه ومتى حصل الشك فى الرضا ولم يترجح شىء ولا وجدت قرينة لا يحل الدخول ولا الاذن والله أعلم اه (ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن) باعطائهن ذلك بحسب اللائق باحوالكم يساراً وإعساراً وفى الحديث وجوب نفقة الزوجة وكسوتها عند عدم نحو النشوز وهو واجب إجماعا (رواه الترمذى) فى النكاح من جامعه (وقال حديث حسن صحيح (وتقدم أن الجمع بين الوصفين المذكورين إن كان فى متعدد السند فهو على تقدير واو العطف والتقدير حسن وصحيح أى حسن باعتبار أحد الاسنادين وصحيح باعتبار الآخر والا فهو على تقدير أو التى للترديد أى إنه حسن أو صحيح أى إن المحدثين اختلفوا فى رجال سنده هل بلغوا درجة الصحة أو هم قاصرون على درجة الحسن ورواه النسائى وابن ماجه (قوله صلى الله عليه وسلم عوان)

أى أسيراتٌ جمع عانية بالعين المهملة وهى الأسيرة والعانى الأسير شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأةَ فى دخولها تحت حكم الزوج بالأسير ؛ والضربُ المبرحُ هو الشاق الشديد ، وقوله صلى الله عليه وسلم (فلا تبغوا عليهن سبيلا) أى لاتطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن وتؤذوهن به والله أعلم * وعن معاوية

التنوين فيه للعوض عن الياء ان اعتبر الاعلال سابقا على منع الصرف أوعن الحركة إن اعتبر منع الصرف قبل اعتبار الاعلال وقيل إنه للصرف وهذا ضعيف جدا (أى أسيرات جمع عانية بالعين المهملة) «إن قات» هذا القسم من جمع التكسير هو الذى ادعى النحاة فقده خارجا ووجوده عقلا وهو التغيير بالزيادة والنقص من غير تغيير الشكل « قلنا » يمكن أن يقال إنه ليس كذلك فان حركات الجمع غير حركات المفرد فضمة الفاء فى فلك (١) جمعاً كضمة همزة أسد وضمته مفردا كضمة قاف قفل وقد صرح بذلك شراح الكافية فكان ماذكر كغلام وغلمان مما اجتمع فيه التغيير بالنقص والزيادة وتغيير الشكل (وهى الاسيرة والعانى الاسير) ومنه حديث « أطعموا الجائع وفكوا العانى » قال فى النهاية العانى الاسير وكل من ذل واستكان وخضع يقال عنا يعنو فهو عان (شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فى دخولها تحت حكم الزوج) ووجوب طاعتها له (بالاسير) فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ، فانما هن عوان ، من التشبيه البليغ على حذ يد أسد (والضرب المبرح) المنهى عنه (هو الشاق الشديد) قال فى المصباح برح به الضرب تبريحا اشتد وعظم (وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تبغوا عليهن سبيلا أن لاتطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن) بعد توبتهن ورجوعهن إلى الطاعة (وتؤذوهن به) أى ولا تؤذوهن به ويجوز أن تكون الواو للمعية والنصب بان مضمرة لكونه فى جواب النهى لكن يوهم أن الممنوع منه إنما هو طلب الطريق المذكور مع الايذاء أما طلبها من غير إيذاء فلا نهى عنه وليس كذلك بل منهى عن التعرض لها بعد التوبة مطلقا (والله أعلم) (وعن معاوية) بالعين المهملة وبالتحتية

---

(١) قولة فضمة الفاء فى فلك الخ لو قال كما قالوا إن ضمة الفاء فى فلك الخ لكان أوضح فى إفادة المقصود تأمل ش

ابن حيدة رضى الله عنه قالَ « قلت يارسول الله ماحقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ قال أن تُطْعِمَها إذا طَعِمتَ وتكسوها إذا اكتسيت ولاتضرب الوجهَ ولا تقبح ولاتهجر إلا فى البيت » حديث حسن رواه أبو داود وقال معنى (لاتقبح) أى لاتقل قبَّحكِ اللهُ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين

بعد الواو المكسورة (ابن حيدة) بمهملة مفتوحة وسكون تحتية وفتح دال مهملة فهاء تأنيث كذا فى المغنى ابن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة القشيرى من أهل البصرة غزا (رضى الله عنه) خراسان ومات بها وهو جد بهز بن حكيم بن معاوية وروى عنه ابنه حكيم بن معاوية ، وسئل يحيى بن معين عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقال اسناد صحيح إذا كان من دون بهز ثقة (قال قلت يارسول الله) ورواه ابن الاثير فى أسد الغابة عنه « أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحق المرأة على الزوج » إلى آخر الحديث ولا تنافى لاحتمال التعدد أو أنه أبهم نفسه فى تلك الرواية إما نسيانا لعين السائل أو لغرض آخر (ماحق زوجة أحدنا عليه) أى ماواجبها عليه (قال أن تطعمها) بضم الفوقية (اذا طعمت) بكسر العين أى أكلت (وتكسوها) بفتح التاء الفوقية والواو (اذا اكتسيت) ومعنى كونه فرضاً عليه اذا كان لا يأكل زائدا على فرض القوت أما لو كان مترفها فى المطعم والملبس فما زاد على الواجب لها فنفل منه وإحسان عليها (ولا تضرب الوجه) لأنه عضو لطيف والشين فيه شنيع (ولاتقبح بتشديد الباء الموحدة المكسورة أى لاتقل قبح الله (١) وجهك أولا تقل ماأقبح هذا الخلق فان ذم الصنعة ذم لصانعها (ولا تهجر) عند النشوز (الا فى البيت) فاترك مضاجعتها ولا تترك كلامها عند حاجتها (حديث حسن رواه أبو داود) فى كتاب النكاح من سننه والنسائى وابن ماجه (وقال) أى أبو داود (معنى لاتقبح أى تفسير لمعنى الجملة (تقل قبحك الله) وهذا أحد احتمالين فيه (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين) أى من

---

(١) ويقال قبحه الله أى نحاه عن الخير وبابه قطع اه مختار ويقال قبح عليه فعله تقبيحا . مختار

إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن إياس بن عبد الله بن أبى ذباب

أكملهم (إيمانا) منصوب على التمييز عن أفعل التفضيل وهو فاعله من حيث المعنى (احسنهم خلقا) بضم الخاء المعجمة واللام وسكونها وتقدم أنه ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة واكتساب شيم شريفة ، وقال الحسن البصرى حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الاذى وطلاقة الوجه قال الباجى وتحسين الخلق أن يظهر منه لمن يجالسه أو يرد عليه البشر والحلم والاشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير وقد اختلف فيه هل هو مكتسب أو غريزى وجمع بين القولين بأنه غريزى باعتبار أصله ويقوى وينمو بالكسب ، قال الحافظ فى الفتح ومحصل ما أجاب العلماء عن الاحاديث المختلف فيها الاجوبة بأن أفضل الأعمال كذا ، أن اختلاف الجواب لاختلاف حال السائلين بأن أعلم كلا بما يحتاج اليه ، أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو اللائق أو أن اختلافه باختلاف الاوقات بأن يكون العمل فى ذلك الوقت أفضل منه فى غيره فقد كان الجهاد فى ابتداء الاسلام أفضل الاعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن منها وقد تضافرت الادلة على أن الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك ففى وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل أو أن أفضل ليس على بابه بل المراد الفضل المطلق أو أن المراد من أفضل فحذفت من وهى مرادة كما ورد « خيركم خيركم لأهله » ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس مطلقا ، فعلى هذا فأفضل الاعمال على الاطلاق الايمان والباقيات متساوية فى كونها من أفضلها وان تفاوتت درجاتها بما ورد فيها اه ملخصا (وخياركم خياركم لنسائهم) وفى رواية « خيركم خيركم لأهله » قال فى النهاية هو إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها قيل ولعل المراد من حديث الباب أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه وكف الأذى والاحسان اليها والصبر على أذاها « قلت » ويحتمل أن الاضافة فيه للعهد والمعهود هو النبى صلى الله عليه وسلم والمراد « أنا خيركم لأهلى » وقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس لأهله وأصبرهم على اختلاف أحوالهم (رواه الترمذى وقال حسن صحيح) وكذا رواه ابن حبان (وعن إياس) بكسر الهمزة وتخفيف التحتية وبعد الالف سين مهملة (ابن عبد الله بن أبى ذباب) بضم المعجمة وخفة الموحدة الأولى كما

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتضربوا إماء الله فجاء عمر رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذَئِرْنَ النساءُ على أزواجهن فرخَّصَ فِى ضربهن ، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكونَ أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم » .

فى المغنى الدوسى وقيل المزنى والاول أكثر (رضى الله عنه) سكن مكة قال أبو عمرو له صحبة وقال ابن منده وأبو نعيم اختلف فى صحبته كذا فى أسد الغابة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتضربوا إماء الله) الاماء بكسرة الهمزة وبالمد بوزن كتاب جمع أمة وهى محذوفة اللام والهاء عوض عنها والأصل أموة بفتحات ولذا يرد فى التصغير فيقال أمية والأصل أميوة ويجمع أيضا على آيم بوزن قاض وعلى إموان بوزن إسلام وقد يجمع على أموات بوزن سنوات والمراد بإماء الله النساء أى لاتضربوهن ظاهره على كل حال (ف)لذا (جاء عمر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء) سيأتى ضبطه ومعناه وهو على لغة أكلونى البراغيث والفصيح تجريد الفعل من علامة الجمع بأن يقال ذئر أو ذئرت بالتاء والثانى أفصح لأن المسند لجمع التكسير الأفصح إلحاق التاء آخره ورأيته فى أصل آخر من سنن أبى داود ذئر النساء بحذف النون (على أزواجهن) لما سمعن المنع عن ضربهن مطلقاً (فرخص فى ضربهن) من الرخصة وهى تغيير الحكم من صعوبة الى سهولة لعذر مع قيام سبب حكم الأصل وسبب المنع الرفق بهن وهو قائم حال إباحته للعذر وهو دوام الزوجية والقيام بحقوقها عند حقوقهن من ترك ذلك (فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بأزواجه وسراريه وليس المراد بالآل من تحرم عليهم الزكاة (نساء كثير) من صيغ جمع الكثرة (يشكون أزواجهن) أى ضربهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك) أى الضاربون لأزواجهم (بخياركم) وذلك لأنه يؤذن بحرج الصدر وضيق النفس ذلك خلاف حسن الخلق الذى هو من أوصاف

رواه أبو داود باسناد صحيح ، قوله « ذئرن » ، هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم راء ساكنة . ثم نون أى اجترأن ، قوله أطافَ أى أحاط * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعِ الدُّنيا المرأةُ الصالحةُ » رواه مسلم

﴿ باب حق الزوج على امرأته ﴾

قال الله تعالى : « الرِّجالُ قوَّامون على النساء بما فضل الله بعضهم عَلَى بعض وبما أنفقوا

الخيار (رواه أبو داود) فى كتاب النكاح (باسناد صحيح) ورواه النسائى وابن ماجه (قوله) فى الحديث (ذئرن هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون أى اجترأن) عليهم ونشزن (قوله أطاف أى أحاط) وهو متعد بالباء أيضا يقال أطاف بالشىء أى أحاط به (وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى) باثبات الياء كما هو الفصيح وتقدم تحقيق ذلك فى باب الاقتصاد وتقدمت ترجمته فى باب بيان كثرة طرق الخير (رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع) أى شىء يتمتع به حينا كما قال تعالى « قل متاع الدنيا قليل » (وخير متاع الدنيا) أتى بالاسم الظاهر موضع المضمر لزيادة الايضاح (المرأة الصالحة) قال القرطبي فسرت فى الحديث بقوله « التى اذا نظر اليها سرته و إذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » (رواه مسلم) فى كتاب النكاح وأحمد والنسائى

﴿ باب حق) أى واجب (الزوج على امرأته ﴾

أى ما يجب له عليها ويستحقه منها (قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي هو قوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) أى بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالفتوة والامامة والولاية و قامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق ، وبأمر كسبي هو قوله (وبما انفقوا

من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » وأما الأحاديث فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابقُ فى الباب قبله . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجلُ امرأتهُ إلى فراشه فلم تأته فبات غضبانَ عليها لعنتها الملائكة حتى تُصْبِحَ »

من أموالهم)فى نكاحهن كالمهر والنفقة ثم قسم الله النساء قسمين فقال (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازاوج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب أى يحفظ فى غيبة الازواج ما يجب حفظه فى النفس والمال وقيل للاسرار (بما حفظ الله) أى بحفظ الله إياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له ، أو بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن قال السفاقسى (١) قراءة الجمهور برفع الجلالة وما مصدرية أى بحفظ الله اياهن ، وجوز كون ماموصولا اسميا محذوف العائد أى بما حفظه الله وأجاز أبو البقاء أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة فما بمعنى الذى وفى حفظ ضمير يعود عليها أى بالبر الذى حفظ حق الله من التعفف وغيره وقدره ابن جنى بما حفظ حدود الله والمضاف متعين لان الذات المقدسة لاينسب حفظها إلى أحد وفيه حذف الضمير من حفظ أى يحفظهن وهو قبيح لايجوز الا فى الشعر والاحسن أن لايقال حذف الضمير بل عاد عليهن مفردا ملاحظة للجنس فكان الصالحات فى معنى من صلح وانما أدى الى هذا الشذوذ فى هذه القراءة توجيهها على أن ما موصولة أما إذا جعلناها مصدرية كما تقدم فلا اه (واما الاحاديث) النبوية (فمنها حديث عمرو بن الاحوص السابق) بالرفع (فى الباب قبله وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه) قبل هو كناية عن الجماع ويقويه قوله « الولد للفراش » والكناية عما يستحيا من التصريح به فاشية فى الكتاب والسنة (فلم تأته) من غيرعذر بها (فبات غضبان) غيرمصروف بناء على أن الشرط فى منع صرف الوصف ذى الزيادة وجود فعلى (عليها لعنتها الملائكة) ويستمر ذلك منهم ان استمرت على الامتناع (حتى تصبح)

---

(١) اسم محدث كبير . ش

متفق عليه » وفى رواية لهما « اذا باتت المرأةُ هاجرةً فراشَ زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح »

ويؤيد ماتقرر انه جاء فى رواية حتى ترجع قال بعضهم ورواية الاصل محمولة على الغالب وظاهر عموم الحديث حرمة امتناعها من فراشها ولو حائضا وهو كذلك لامكان الاستمتاع بها بغير الجماع ، وظاهر الخبر اختصاص اللعن بما إذا وقع منها ذلك ليلا لقوله حتى تصبح وكأن السر فيه تأكد ذلك الشأن فى الليل وقوة الباعث عليه ولا يلزم منه جواز امتناعها منه نهارا لأن تخصيص الليل بالذكر لأنه مظنة ذلك ويؤخذ من قوله ، فبات غضبان ، أن اللعن عليها إنما يكون حينئذ لتحقق ثبوت معصيتها بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك إما لعذرها وإما لأنه ترك حقه من ذلك قال القرطبي أما لو دعت المرأة زوجها فأبى فلا إثم عليه مالم يقصد بالامتناع المضارة لها فيحرم حينئذ والفرق بينهما أن الرجل لبذله لماله هو المالك للبضع والدرجة التى له بسبب سلطنته عليها بسبب ملكه وأيضا فقد لا ينشط فى وقت دعائها له فلاينتشر ولا يتهيأ له ذلك بخلافها ، قال المهلب هذا الحديث يوجب أن منع الحق فى البدن كان أوفى المال مما يوجب سخط الله الا أن يتغمد الله بالعفو وفيه جواز لعن العاصى المسلم اذا كان على وجه الارهاب عليه لئلا يواقع الفعل فاذا واقعه فانما يدعى له بالتوبة والهداية قال الحافظ ابن حجر والحق أن من منع أراد باللعنة المعنى اللغوى وهو الابعاد من الرحمة ومن أجاز أراد بها المعنى العرفى وهو مطلق السب وحديث الباب ليس فيه الا أن الملائكة يدعون على أن أهل المعصية ما داموا فيها وهل هم الحفظة أو غيرهم ؟ كل محتمل ويحتمل أن يكون بعض الملائكة موكلا بذلك « قلت » وظاهر الحديث التعميم لأن الجمع المحلى بأل من صيغه ، وفيه دليل على قبول دعاء الملائكة لكونه صلى الله عليه وسلم خوف به ، وفيه الارشاد الى مساعدة الزوج ومرضاته ، وفيه أن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة وفيه أن امتناعها من ذلك كبيرة (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو داود والنسائى (وفى رواية لهما) أى للشيخين وهى عند أحمد أيضا (اذا باتت المرأة هاجرة) أى تاركة (فراش زوجها) بغير مانع من مرض أو امتناع لتسليم صداق حال عقدت عليه (لعنتها الملائكة حتى تصبح) مادامت كذلك فاذا تابت من الذنب وأقلعت

وفى رواية قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها » . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال « لايحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد

وعادت الى الطاعة وأجابت الى الفراش أو كانت معذورة فلا (وفى رواية) لمسلم من حديث أبى هريرة أيضا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) أى بقدرته وفى تصرفه وفيه القسم على الشىء لتأكيده وتقويته عند السامع وهو كذلك مستحب وواقع فى الاخبار كثيرا (ما) نافيه (من) مزيدة لتأكيد استغراق النفى (رجل) يحتمل أن يراد به ما يقابل المرأة فيشمل الصبي فتكون إجابته واجبة على زوجته المكلفه وعلى ولى غير المكلفة أمرها بذلك وهو أقرب ويحتمل أن يراد به مايقابل الصبى فيخص البالغ (يدعو امرأته الى فراشها) أضيف الفراش اليها هنا واليه أولا لملابسة كل منهما له (فتأبى) أى تمتنع (عليه) فى المصباح أبى الرجل يأبى إباء بالكسر والمد وإبايا امتنع (إلا كان الذى فى السماء) إن كان المراد منه ساكنها فهو الملائكة وإن أريد به حضرة الحق سبحانه فيؤول بأن المراد الذى سلطانه أو ملكوته أو أمره فى السماء لاستحالة المكان والجهة عليه سبحانه وتعالى علواً كبيرا والوجه الاخير أقرب الى قوله (ساخطا عليها) وإن صح على الاول إفراده باعتبار لفظ الذى المراد منه النوع الذى هو الملائكة والسخط المراد منه بالنسبة اليه تعالى غايته مجازا مرسلا من اطلاق اللازم وإرادة الملزوم إما الانتقام فيكون صفة فعل أو ارادته فيكون صفة ذات كما تقدم أول الكتاب وظاهر أن ذلك إذا غضب منه الزوج كما يدل عليه قوله فى الحديث قبله « فبات غضبان عليها » وقوله هنا (يرضى عنها وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل) أى لا يجوز (لامرأة أن تصوم) ولو فرضاً موسعا لان حق الزوج ناجز ووقت الفرض متسع ومن ثم لو ضاق بأن نذرت صوم وقت معين قبل التزوج به أو بعده بأذنه أو ضاق الوقت بأن لم يبق من شعبان الاقدر ما عليها من قضاء رمضان حل لها الصوم بغير إذنه (وزوجها شاهد) أى

إلا بإذنه ولا تأذن فى بيتـه إلا باذنه » متفق عليـه ، وهـذا لفظ البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال « كلـكم راع وكلـكم مسئول عن رعيته ، والأميرُ راع ، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زَوْجها وولده

حاضر وظاهر عمومه أنه لافرق فى ذلك بين حريتها ورقها ويخالفهما فى ذلك (الا باذنه) وذلك لأنه قد يكون له اليها حاجة فيمنعه عن ذلك الصوم، فان قيل يجوز له أن يفطرها والحالة هذه فلا يكون صومها مانعاً له ، أجيب بأنه قد يهاب ذلك فأدى الى تركه لحقه فحرم الا باذنه (ولا تأذن فى بيته) لرجل محرم أوغيره ولا لمرأة كذلك (الا باذنه) صريحا أوما فى معناه مما تقدم فى الباب قبله (متفق عليه وهذا لفظ البخارى) من جملة حديث أورده فى كتاب النكاح وآخره « وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فانه يؤدى اليه شطره » وأخرجه النسائى فى الصوم ولفظ مسلم فى كتاب الزكاة « لاتصم المرأة وبعلها شاهـد إلا باذنه ولا تأذن فى بيته وهو شاهد إلا باذنه » (وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كلـكم راع) أى حافظ مؤتمن ملتزم صلاح ما أتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه (وكلـكم مسئول عن رعيته) أى هل قام بما عليه من صلاحها وحفظها والقيام بمصلحتها أولا (والامير) أى ذوالامر فيشمل سائر الحكام وفى رواية الامام وعليها نخص بالذكر لانه الاشرف الاكمل وباقى الولاة مثله كما أفادته رواية الباب والامير (راع) على من تحت ولايته فعليه النظر فى شأنهم وتسديد أمرهم ودفع المضرات عنهم (والرجل راع على أهل بيته) فيقوم بكفايتهم من سائر المؤن بحسب حاله يسارا وإعسارا ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويبين لهم ما يحتاجون اليه من أمر الشرائع (والمرأة راعية على بيت زوجها) فتقوم بحفظه عن السارق والهرة وسائر المتلفات ولاتخون فيه ولاتتصدق بما تعلم أنه لا يرضى به (وولده) فتقوم بحضانته وخدمته قال الخطابى اشتركوا يعنى الامير ومن بعده فى الوصف بالراعى ومعناه مختلف فرعاية الامام الاعظم رعاية الشريعة باقامة حدودها والعدل فى الحكم ، ورعاية الرجل أهله سياسته لامرهم وايصال حقوقهم ، ورعاية المرأة تدبير هالأمر البيت والاولاد والخدم والنصيحة

فكلُّكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» متفق عليه . وعن أبي علي طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرجل إذا دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور » رواه الترمذي والنسائي وقالَ الترمذي حديث حسن * وعَنْ أبي هريرة رَضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو

للزوج (فكلكم) حتى من لا أمره ولا زوجة وهو الانسان في نفسه فانه (راع) على جوارحه فيعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلا ونطقا واعتقادا لجوارحه وقواه وحواسه رعاياه ثم لا يلزم من كونه راعيا أن لا يكون مرعيا باعتبار آخر (وكلكم مسئول عن رعيته) هل قام بما يجب لها عليه أولا وجاء في حديث أنس مثل حديث ابن عمر وفي آخره « فاعدد للمسألة جواباً قال وما جوابها قال أعمال البر » أخرجه ابن عدي والطبراني في الاوسط وسنده حسن (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو داود والترمذي (وعن أبي علي) بفتح المهملة وكسر اللام (طلق) بفتح المهملة وسكون اللام (ابن علي) بفتح فكسر كذلك ابن طلق بن عمرو وقيل طلق بن قيس ابن عمرو بن عبد الله بن عمر بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة الربعي الحنفي السحيمي (رضي الله عنه) كان من الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمامة فأسلموا وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثا كما ذكره ابن حزم في أواخر سيرته وليس له في الصحيحين شيء (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل زوجته) كذا في النسخ باثبات التاء وهي لغة واللغة الفصيحة المشهورة التي جاء بها القرآن حذف التاء وهي لغة أهل الحجاز قال المصنف وثبت إلحاق التاء في أحاديث في الصحيح (لحاجته) التي يستحقها عليها (فلتأته) فورا (وإن كانت على التنور) الجملة الشرطية وصلية وهي في محل الحال كما تقدم عن المطول والتنور بفتح الفوقية وتشديد النون الذي يخبز فيه قال في المصباح وافقت فيه لغة العرب لغة العجم وقال أبو حاتم ليس بعربي صحيح والجمع تنانير (رواه الترمذي) في النكاح (و) رواه (النسائي) في باب عشرة النساء (وقال الترمذي حديث حسن) زاد فيما حكى المزي عنه في الاطراف بعد قوله حسن ، غريب (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو) حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه

كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها » رَواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(كنت آمرا) بمد الهمزة مضارع من الأمر والجملة خبر كان ورأيته فى نسخة من الجامع الصغير منونا على أنه وصف خبر مفرد (أحدا) أى من بنى آدم (أن يسجد لأحد) تعظيما له وأداء لحقه (لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) لما له عليها من عظيم الحق الواجب القيام به وسبب هذا الحديث مافى أبى داود عن قيس بن سعد قال « أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان (١) لهم فقلت رسول الله أحق أن يسجد له ، قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت انى أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم فانت يارسول الله أحق ان يسجد لك ، قال أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد لى ؟ فقال لاقال فلا تفعلوا لو كنت » فذكره (رواه الترمذى) أى من حديث أبى هريرة (وقال حديث حسن صحيح) ورواه أحمد من حديث معاذ والحاكم فى المستدرك من حديث بريدة (وعن أم) المؤمنين أم (سلمة) هند بنت أبى أمية سبقت ترجمتها (رضى الله عنها) فى باب التوكل (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما) بتشديد التحتية وهى الشرطية وحاصله للتأكيد وأى مضافة الى (امرأة ماتت) أى فارقت الحياة مؤمنة (وزوجها عنها راض) جملة حالية من الضمير المستكن فى ماتت والظرف متعلق براض قدم اهتماما بشأنه (دخلت الجنة) ظاهره ابتداء مع الفائزين وهو محتمل بأن يغفر الله سيآتها ورضى عنها الخصماء (رواه الترمذى) وابن ماجه والحاكم (وقال) أى الترمذى (حديث حسن) ثم مفهوم الحديث أن من ماتت وهو عنها غير راض لاتدخل الجنة أى مع الفائزين كما تقدم أنه ظاهر المنطوق ، ويحتمل أن يبقى على عمومه ، ويحمل على ما إذا استحلت ذلك وكان مما أجمع على تحريمه وعلم من الدين بالضرورة ، وقد

---

(١) أى عالم لهم وفى النهاية لابن الاثير : هو أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك وهو معرب

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتؤذى امرأةٌ زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجه من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يُوشك أن يفارقك إلينا » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما

علمت ذلك (وعن معاذ بن جبل) الأنصارى تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المراقبة وقوله (عن النبى صلى الله عليه وسلم) متعلق بمحذوف دل عليه المقام حال من المجرور بعن أى ناقلا عن النبى صلى الله عليه وسلم (أنه قال لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا) أى لا يقع منها معه مامن شأنه أن يتأذى به من غير مجوز لذلك شرعا والا فطلب نحو النفقة ممن يتأذى بها لنحو بخله لا يدخل الزوجة فى ذلك (إلا قالت زوجه) بالاضافة إلى الهاء (من الحور) بضم الحاء المهملة وهن نساء أهل الجنة واحدتهن حوراء وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها (العين) بكسر العين المهملة أى نجل العيون وقال البيضاوى جمع عيناء (لاتؤذيه قاتلك الله) جملة دعائية والمراد من المفاعلة فيه أصل الفعل وعبر بها للمبالغة وأنها لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله صارت كالمقاتلة له تعالى فعبر بذلك (فانما هو عندك) فى الدنيا (دخيل) أى ضيف ونزيل وعبرت بذلك لأن مدة المقام بالدنيا وإن طالت فهى يسيرة بالنظر الى الآخرة التى لا أمد لها فعبرت بما يعبر به عن قصير الاقامة وهو الضيف (يوشك) بضم أوله وكسر الشين المعجمة مضارع أوشك ومنه قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

وفى المصباح أوشك من أفعال المقاربة والمعنى الدنو من الشىء وقال الفارابى الايشاك الاسراع لكن قال النحاة استعمال المضارع أكثر من الماضى واستعمال اسم الفاعل منها أقل قال بعضهم وقد استعملوا ماضيا ثلاثيا فقالوا وشك مثل قرب وشكا اه وتقدم فى باب التوبة بعضه (أن يفارقك) منتقلا (الينا) أى فاحسنى اليه وفى تعبيرها بالدخيل إيماء الى ذلك ففى الحديث الشريف « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » (رواه الترمذى) آخر كتاب النكاح (وقال حديث حسن) غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه اه ورواه ابن ماجه فى النكاح أيضاً (وعن أسامة بن زيد) بن حارثة الحب ابن الحب (رضى الله عنهما) الصحابى ابن الصحابى ابن الصحابى

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال« ماتركت بعدى فتنةً هى أضر على الرجال من النساء » متفق عليه

﴿ باب النفقة على العيال ﴾

تقدمت ترجمته فى باب الصبر (١) (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماتركت بعدى) أى بعد وفاتى (فتنة) هى كما فى المصباح المحنة والابتلاء والجمع فتن وأصلها من قولك فتنت الذهب والفضة إذا أدخلتهما النار لتميز الجيد من الردىء (هى أضر على الرجال من النساء) أفاد الحديث أن الافتتان بهن أشد منه بغيرهن ويشهد له قوله تعالى« زين للناس حب الشهوات من النساء» فجعلهن من عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة الى أنهن الأصل فى ذلك ويقع فى المشاهدة حب الرجل ولده الذى هو من امرأته التى هى عنده أشد من حبه لباقى ولده ومن ذلك قصة النعمان بن بشير فى الهبة وقد قال بعض الحكماء ، النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ، ومع نقص عقلهن يحمل الرجل على تعاطى مافيه ذلك كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد ، وقد أخرج مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى فى أثناء حديث « واتقوا النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » اه ملخصا من الفتح للحافظ العسقلانى (متفق عليه) رواه البخارى فى كتاب النكاح ومسلم فى آخر كتاب الدعاء ورواه الترمذى فى الاستئذان والنسائى فى عشرة النساء وابن ماجه فى الفتن

﴿ باب النفقة ﴾

المراد بها سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن (على العيال) بكسر العين المهملة أى من يعولهم من زوجة وبعض وخادم قال ابن النحوى فى الاشارة الى لغات المنهاج النفقة من الانفاق وهو الاخراج والنفقة الدراهم ونحوها من الأموال تجمع على نفقات وعلى نفاق أيضاً وسميت بذلك إما لذهابها بالموت وإما لرواجها من نفقت السوق ، أو من نفق البيع كثر طلابه ، وإما لنفادها من نفق الزاد إذا ذهب لأنها

---

(١) وقد تقدم فى باب الصبر أن حارثة جد أسامة دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فأسلم اه . ش

قال الله تعالى « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » وقال تعالى « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها » وقال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة

عرضة للنفاد اه (قال الله تعالى وعلى المولود له) أي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وفي التعبير بما ذكر إشارة للمعنى المقتضي لوجوب النفقة عليه (رزقهن وكسوتهن) أجرة لهن واختلف في استئجار الأم فجوزه الشافعي ومنعه أبو حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة بنكاح (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه (وقال تعالى لينفق ذو) أي صاحب (سعة) بفتح السين وبه قرأ السبعة وكسرها لغة وقرأ به بعض التابعين (من سعته ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) فانه تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذا عقبه بوعده باليسر بقوله « سيجعل الله بعد عسر يسرا » (قال تعالى وما) شرط أو بمعنى الذي مبتدأ (أنفقتم من شيء) عمومه متناول لليسير والحقير (فهو يخلفه) عوضا إما عاجلا أو آجلا وقيل يخلفه في الدنيا بالقناعة التي هي كنز لا يفنى وبالثواب في الآخرة والجملة جواب الشرط وهل هي الخبر أو الجملة الشرطية والجواب قيد له أو الخبر مجموعهما؟ أقوال ، أرجحها ثانيها ، فان كانت ما موصولة فالجملة خبر المبتدأ

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار) مبتدأ وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة إرادة التنويع فهو كقوله ، فيوم لنا ويوم علينا ، أو إرادة الجنس به كقولهم ، تمرة خير من جرادة ، (أنفقته في سبيل الله) أي في الجهاد باعانة بذلك عليه ويحتمل أن المراد به الأعم أي في طاعة الله (ودينار أنفقته في رقبة) أي فعتقت به كان بقي ذلك من النجم الذي على المكاتب وبه تحصل حريته أو المراد به الجنس أي وما أنفق في عتق الرقبة وتخليصها من الرق أو تصدق به عليها تخلصت به من التلف الذي كان بها من الجوع والظمأ أو العرى

ودينار تصدقتَ به على مسكين ودينار أنفقتَهُ على أهلك أعظمُها أجراً الذى أنفقته على أهلك » . رواه مسلم . وعن أبى عبد الله ثوبان بن بُجْدُدٍ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل » رواه مسلم * وعن

وعلى الاحتمال الثالث فبينه وبين قوله (ودينار تصدق به على مسكين) أى محتاج فيشمل الفقير أيضاً عموم (ودينار أنفقته على عيالك) أى من تعولهم وفى نسخة على أهلك (أعظمها) أى أكثرها (أجرا الذى أنفقته على أهلك) لأن من تلزمه مؤنتهم يقع الانفاق فيهم واجباً وهو أفضل من المندوب بأضعاف مضاعفة ومن لا تلزمه مؤنتهم يكون فى الانفاق عليهم صلة رحمهم وثوابها أعظم مما ذكر بكثير (رواه مسلم * وعن أبى عبد الله) ويقال أبو عبد الرحمن (ثوبان بن بجدد) بضم الموحدة والدال المهملة الأولى وسكون الجيم بينهما والتصريح باسمه فى نسخة (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل وجده مسبيا فأمر به فعتق وقيل شراه وعتقه تقدمت ترجمته (رضى الله عنه)فى باب المجاهدة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل دينار ينفقه الرجل) فى سبيل الخير (دينار ينفقه على عياله) أى الذين يمونهم وقدم هذا فى الذكر اهتماما به لأنه أشرف الانواع كما صرح به فى الحديث قبله (ودينار ينفقه على دابته) التى يركبها أو يحمل عليها (فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه) الذين يركبون معه (فى سبيل الله) الظاهر أن المراد به فى هذين الجهاد ويصح أن يراد به الاعم هنا لأن ثواب الانفاق على الدابة التى تركب أو يحمل عليها فى الطاعة وعلى الاصحاب الذين يجتمعون على الطاعة عظيم وعلى الثانى فقد يشكل التساوى بين الثلاثة فانه إذا أريد مطلق الطاعة يكون الأول أفضلها ويجاب بأنه لا مانع أن الثلاثة وان كانت أفضل من غيرها أن يكون أحدها أفضلها فهو أفضل الافضل ، ثم أفضل مبتدأ خبره دينار وما عطف عليه ، بتقدير تقديم العطف على الربط (رواه مسلم) فى الزكاة والترمذى فى البر وقال حسن صحيح والنسائي فى عشرة النساء وابن ماجه فى الجهاد (وعن) أم

أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله هل لى فى بنى أبى سلمة أجر أن أنفقَ عليهم ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا انما هم بَنِىَّ فقال نعم لك أجر ما أنفقت عليهم » متفق عليه . وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى حديثه الطويل الذى قدمناه فى أول الكتاب فى باب النية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « وإنك لن تنفِقَ نفقة تبتغى بها وجه الله

المؤمنين (أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل) يكتب (لى أجر) أى ثواب أخروى (فى بنى أبى سلمة) تعنى أولادها منه (أن أنفق عليهم) بدل من بنى سلمة بدل اشتمال أى هل يكتب لى أجر فى الانفاق عليهم (و) الحال أنى (لست بتاركتهم هكذا وهكذا) أى يتفرقون لطلب القوت يمينا وشمالا بل أنا كافيتهم ذلك بحسب الطبع لأن شفقة الامومة تحمل على تكلف القيام بما يحتاج اليه الاولاد وقولها (انما هم بنى) بفتح الموحدة وتشديد التحتية هو تعليل لما أفاده الاستفهام التعجبى من ترتب الثواب على الانفاق عليهم المنسوب لشفقة الامومة وشأن اعمال البر أن شوب غيرها بها يسقطها وهذا حالها وحالهم (فقال نعم) أى لك أجر وسكت عن جوابها عن سبب التعجب المذكور علما منه انها اذا اخبرت بترتب الثواب عليه إنما تأتى به لذلك لا غير وحينئذ فلا شوب ولما كان فى قولها هل لى أجر ابهام وكان لو اقتصر على قوله نعم لأوهم أن لها ثوابا زائدا على قدر ما تنفقه عليهم دفعه بقوله (لك أجر ما) هو فى الأصول المصححة من الصحيحين بالاضافة فما موصول أو موصوف صلته أو صفته جملة قوله (أنفقت عليهم) قليلا كان أو كثيرا قال السيوطى فى التوشيح وجوز بعضهم تنوينه على أن ما وقتية « قلت » أو موصولة وثمة مضاف مقدر أى قدر ما أنفقته (متفق عليه) أخرجاه فى كتاب الزكاة (وعن سعد بن أبى وقاص) مالك بن وهيب احد العشرة (رضى الله عنه فى حديثه الطويل الذى قدمناه أول الكتاب فى باب النية) الذى فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم عاده عام حجة الوداع من وجع اشتد به (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وانك لن تنفق نفقه تبتغى بها وجه الله) أى ذات الله تعالى وطلب مرضاته وفيه تعميم للنفقة باعتبار قلتها وكثرتها وجلالتها

الأأجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك » * متفق عليه * وعن أبى مسعود البدرىّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أنفق الرجلُ على أهله يحتسبها فهى له صدقة » متفق عليه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء إثما أن يُضيّع

وحقارتها وباعتبار مصرفها (الا أجرت بها) أى اجرك الله (١) بسببها والسببية صورية والا فلا سبيل للوصول للفضل الا بمحض الفضل (حتى) غاية للعموم المستفاد مما قبله باعتبار المصرف (ما) أى الذى أو شيئا (تجعل) بحذف العائد المنصوب أى تجعله (فى فى امرأتك) اى فمها وإنما غيابه لانه ربما يتوهم أنها لكونها محل قضاء الوطر أنه لا ثواب فيما يسدى اليها من الجميل فأفاد أن كل شىء قصد به وجه الله تعالى أثيب عليه فاعله وأخذ منه أن المباحات اذا اقترن بها النية تنتقل الى درجة الطاعات ويثاب عليها فللوسائل حكم المقاصد (متفق عليه) وتقدم ثمة (٢) بيان من خرجه (وعن أبى مسعود) عقبة بن عمرو (البدرى) نسبة لبدر لكونه سكنها لا أنه شهد وقعتها على ما تقدم فيه وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المجاهدة (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا أنفق الرجل) المسلم كما فى رواية المشكاة بدل قوله الرجل (على أهله) الذين تلزمه مؤنتهم وغيرهم (يحتسبها) عند الله أى بقصد بها وجه الله والتقرب اليه والجملة حالية (فهو) أى المنفق الدال عليه بقوله إذا أنفق (له صدقة) أى عظيمة الثواب لما فيها من أداء الواجب وصلة الرحم الوارد فيه (٣) من الثواب مالا يحصيه إلا المتفضل به (متفق عليه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) كذا هو بحذف الياء وتقدم أن الافصح بناء على كونه منقوصا إثبات الياء (رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء إثما) الباء زائدة فى المفعول به وإثما تمييز محول عن الفاعل والاصل كفى المرء فى عظم الاثم إثم تضييع من يقوت قال ابن رسلان أى لو لم يكن له من الاثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى وفاعل كفا هو قوله (أن يضيع

---

(١) قوله أجرك الله أى بالمد والقصر كما فى المختار . ع

(٢) أى فى باب النية (٣) قوله « فيه » الذى يظهر « فيهما » والله أعلم . ش

من يَقُوتُ » حديث صحيح رواه أبو داود وغيره ورواه مسلم فى صحيحه بمعناه قال : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «مامن يوم يُصبحُ العبدُ فيه إلا مَلَكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا

من يقوت) يقال قاته يقوته إذا أعطاه قوته ويقال فيه أقاته يقيته وروى أن يضيع من يقيت على لغة أقات والمراد أن يمنع من تلزمه نفقته من زوجة وولد ووالد ويعطى غيرهم ولو صدقة اه ولم أر من تعرض لضبط الاقمال هل هو من يضيع أو من التفعيل والدائر على ألسنة المشايخ الثانى (حديث صحيح رواه أبو داود) فى آخر كتاب الزكاة (وغيره) فرواه النسائى فى عشرة النساء والبزار (ورواه مسلم فى صحيحه بمعناه) وأوله عنده أن ابن عمرو قال لقهرمانه : هل أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال لا ، قال فانطلق فأعطهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته) حذف مفعول يملك أى يملك القيام بأمره وقوته مفعول يحبس وقال العلقمى هو من باب التنازع وإعمال الاول وترك الاضمار فى الثانى وقال المظهرى أن يحبس مبتدأ وكفى خبره مقدما عليه مثل بئس رجلا زيد ، أو خبر مبتدأ محذوف (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما) نافية (من) مزيدة لتأكيد النفى (يوم) وهو شرعا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقوله (يصبح العباد فيه) وصف توضيحى (إلا ملكان) مبتدأ (ينزلان) خبر والجملة فى محل الحال مما قبله قال فى فتح البارى وفى حديث أبى الدرداء « مامن يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان بصوت يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى ولاغربت شمسه إلا وبجنبيها ملكان يناديان » فذكر مثل حديث أبى هريرة (فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا) كذا فى نسخ الرياض وهو لفظ مسلم وعند البخارى منفق مال بالاضافة ولبعض رواته منفقا مالا (خلفا) وأبهم الخلف ليتناول المال والثواب وغيرهما قال الحافظ وإبهامه أولى فكم من منفق مات قبل وقوع

ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفاً » متفق عليه . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى

الخلف المالى له فيكون خلفه الثواب المعدله فى الآخرة أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك (ويقول) الملك (الآخر اللهم أعط) عبر بالعطية مشاكلة لما قبلها وإلا فهى لا تكون فى التلف (ممسكا تلفا) يحتمل تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها قال النووى الانفاق الممدوح ماكان فى الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات وقال القرطبى هى تعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدعاء إلا أن يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه باخراج الحق الذى عليه ولو أخرجه اه (متفق عليه وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا) قال أبو داود قال الأكثر عن حماد بن زيد هى المنفقة وقال غير واحد عنه هى المتعففة وكذا قال عبد الوارث عن أيوب اه وعند أبى نعيم فى المستخرج عن حماد واليد العليا يد المعطى وعند النسائى عن طارف المحاربى قال قدمنا المدينة فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول « يد المعطى العليا » قال الحافظ فى الفتح بعد ذكر أحاديث فهذه الأحاديث متظافرة على أن اليد العليا هى المنفقة المعطية وأن السفلى أى فى قوله (خير من اليد السفلى) هى السائلة وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور وقيل السفلى الآخذة سواء كان بسؤال أو بغيره وهذا أباه قوم واستندوا الى أن الصدقة تقع أولا فى يد الله قبل يد المتصدق عليه قال ابن العربى ، التحقيق أن السفلى يد السائل أما يد الآخذ فلا لأن يد الله هى المعطية ويد الله هى الآخذة وكلتاهما عليا وكلتاهما يمين اه وفيه نظر لأن البحث إنما هو فى أيدى الآدميين أما يده تعالى فباعتبار كونه مالك كل شىء نسبت يده الى الاعطاء وباعتبار قبوله للصدقة ورضاه بها نسبت يده الى الآخذ ويده العليا على كل حال أما يد الآدمى فأربعة يد المعطى وقد تظافرت الاخبار بأنها عليا ويد السائل وقد تظافرت بأنها سفلى سواء أخذت أم لا وهذا موافق لكيفية الاعطاء والأخذ غالبا وللمقابلة بين العلو والسفل المشتق منهما ويد المتعفف(١)

---

(١) قوله ويد المتعفف الخ : هذه العبارة لا تظهر صحتها إلا باسقاط «ولو» أو إبدال « بعد » بقبل . ش

وابدأ بمن تعول ؛ وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى

عن الأخذ ولو بعد أن تمد اليه يد المعطى وهذه توصف بالعلو المعنوى ويد الآخذ بغير سؤال وهذه قد اختلف فيها فذهب جمع الى أنها سفلى وهذا بالنظر الى الأمر المحسوس أما المعنوى فلا يطرد فقد تكون عليا فى بعض الصور وعليه يحمل كلام من أطلق كونها عليا وقال ابن حبان اليد المتصدقة أفضل من السائلة لا الآخذة بغير سؤال وعن الحسن البصرى اليد العليا المعطية والسفلى المانعة ولم يوافق عليه وأطلق آخرون من المتصوفة أن اليد الآخذة أفضل من المعطية مطلقا وقد حكى ابن قتيبة ذلك فى غريب الحديث عن قوم ثم قال وما أرى هؤلاء إلا قوما استطابوا السؤال فهم يجنحون للدناءة ولو جاز هذا لكان المولى من فوق من كان رقيقا فأعتق والمولى من أسفل من كان سيدا فأعتق اه ثم قال الحافظ بعد نقل أقوال أخر وكل هذه التأويلات تضمحل عند الأحاديث المتقدمة المصرحة بالمراد فأولى ما فسر الحديث بالحديث ومحصل ما فى الاحاديث المتقدمة أن أعلا الأيدى المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ثم الآخذة بغير سؤال وأسفل ما فى الأيدى السائلة والمانعة اه (وابدأ) فى العطاء (بمن تعول) لأنه إما واجب أو مندوب ففيه أداء حق أو صلة رحم (وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) أى أفضلها ما وقع عن غنى وعدم احتياج الى المتصدق به لنفسه أو لممونه قال الخطابى لفظ الظهر يزاد فى مثل هذا إشباعا للكلام والمعنى أفضلها ما أخرجه الانسان من ماله بعد أن يستبقى منه قدر الكفاية لأهله وعياله ولذا قال أولا « وابدأ بمن تعول » وقال البغوى المراد غنى يستظهر به على النوائب التى تنوبه والتنكير(١) فى غنى للتعظيم قال الحافظ فى الفتح هذا هو المعتمد فى معنى الحديث وقيل المراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن السؤال وقيل عن للسببية والظهر زائد أى خير الصدقة ما كان سببها غنى المتصدق اه وقال القرطبى معنى الغنى حصول ما تدفع به الحاجة الضرورية كالأكل عند الجوع المشوش

---

(١) قوله والتنكير الخ قال الكرمانى قال التوربشتى هو مثل قولهم هو راكب متن السلامة ونحوه من الألفاظ التى يعبر بها عن التمكن من الشىء والاستعلاء عليه والتنكير فى غنى للتفخيم . ش

ومن يستعفف يعفهُ الله ، ومن يستغنِ يغنه الله» رواه البخارى

﴿ باب الانفاق مما يُحب ومن الجيد ﴾

قال الله تعالى « لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيّبات ما كسبتُم ومما أخرجنا لكم من الأرض

الذى الاصبر عليه وسترة العورة ونحوه اه وقال المصنف مذهبنا أن المتصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه ولا عيال له لا يصبرون ويكون هو أيضاً ممن يصبر على الاضافة فان لم تجمع هـذه الشروط كره وأما ما يحتاج اليه ويؤدى الايثار به الى هلاك النفس والاضرار بها أو كشف العورة فلا يجوز الايثار به فاذا سقطت هذه الحقوق الواجبة صح الايثار وكان أفضل بشرطه وبهذا يندفع التعارض بين الاخبار (ومن يستعفف) بفك الادغام أى عن السؤال (يعفه الله) بضم التحتية والفاء اتباعا لحركة الضمير أى يصيره عفيفا أى بمال يغنيه به عن الحاجة أو بقناعة فى نفسه وقيل معناه ومن يسلب العفة وهى الكف عن الحرام يعفه الله أى يصيره عفيفاً (ومن يستغن) بما أعطيه ويقنع به (يغنه الله) عن الاحتياج لما فوقه فان طعام الاثنين يكفى الثلاثة والنفس معك إن أرسلتها استرسلت وإن فطمتها وقفت وانفطمت (رواه البخارى) أى بهـذا اللفظ ولفظ مسـلم أخصر كما يأتى التنبيه عليه فى باب القناعة من الأصل وثمة زيادة فى شرح الحديث فى الشرح

﴿ باب) طاب (الانفاق مما يحب ﴾

أى من محبو به طبعا فما مصدرية أو من الذى أو من شىء يحبه فما موصول اسمى أو نكرة موصوفة والعائد محذوف عليهما (ومن الجيد) عادة أو من الجيد بالنسبة للمدفوع اليه المحبوب عنده (قال الله تعالى لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضا والجنة (حتى تنفقوا مما تحبون) أى من المال أو مما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الاخوان والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله ومن للتبعيض أو للابتداء ويؤيد الأول أنه قرىء بعض فى مكان من (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) من حلاله أو من خياره (ومما أخرجنا لكم من الأرض) أى ومن

ولا تَيَمَّموا الخبيثَ منه تُنفقون » وعن أنس رضى الله عنه قال : « كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثرَ الأنصارِ بالمدينة مالا من نَخْلٍ وكان أحبّ أمواله اليهِ بيرُحاء

طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره وفى الاملاء الحسن : أظن والله أعلم ان أفضل ما يتصدق به الشخص ما كان من كسب يده وقد كان يذهب الواحد من الصحابة رضى الله عنهم يكتسب بنحو عمل ثم يتصدق به أو منه (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا الردىء (منه) أى من المذكور أو مما أخرجنا وتخصيصه بذلك لأن التفاوت فيه أكثر (تنفقون) حال مقدرة من فاعل تيمموا و يجوز أن يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه قال بعضهم من تصدق بنفيس فاز بنفيس « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » (وعن أنس) بن مالك (رضى الله عنه قال كان أبو طلحة) زيد بن سهل (رضى الله عنه أكثر الأنصار) هم أولاد الأوس والخزرج وهو اسم اسلامى سموا به لنصرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة (مالا) تمييز عن نسبة الأكثرية اليه (من نخل) بيان لمال (وكان أحب أمواله اليه) يجوز أن يكون مرفوعا اسم كان وخبرها (بيرحاء) و يجوز العكس و يؤيد الأول قوله الآتى « وإن أحب مالى الى بيرحاء » ففيه أن مراده بيان الاحب اليه لا الحكم عليها بأنها أحب اليه وجاء فى ضبط هذا اللفظ أوجه كثيرة ضبطها فى النهاية فقال يروى بفتح الباء و بكسرها وفتح الراء وضمها وبالمد والقصر فهذه ثمان لغات كذا فى باب الزكاة على الأقارب من الفتح للحافظ ، ونازعه تلميذه شيخ الاسلام زكريا بأن الذى فى عبارة النهاية أنها بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمد فيهما و بفتحهما والقصر فجملتها خمسة لا ثمانية كما وقع لبعض الشراح وكأنه تصرف فى عبارة النهاية اهـ قال الحافظ وفى رواية حماد بن سلمة بريحا بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتية وفى سنن أبى داود باريحا مثله لكن بزيادة الف وقال الباجى أفصحها بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء مقصوراً وكذا جزم به الصاغانى وقال إنه فيعلا من البراح قال ومن ذكره

وكانت مستقبلةَ المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس فلما نزلت هذه الآيةُ « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن الله أنزل عليك لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحبَّ مالى إلىَّ بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برَّها

بكسر الموحدة فظن أنها بئر من آبار المدينة(١) فقد صحف اه وقال القاضى عياض رواية المغاربة إعراب الراء والقصر فى حاء وخطأ هـذا الصورى وقال الباجى أدركت أهل العـلم ومنهم أبو ذر يفتحون الراء فى كل حال زاد الصورى وكذا الباء أى أوله فانتهى الخلاف فى النطق بها إلى عشرة أوجه واختلف فى حاء هل هى اسم رجل أو امرأة أو مكان أضيفت اليه أو هى كلمة زجر للابل فكأن الابل كانت ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير الى اللفظة المذكورة (وكانت مستقبلة) بكسر الموحدة (المسجد) النبوى (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها) أى الحديقة المذكورة (ويشرب من ماء فيها طيب) أى عذب ففيه جواز دخول أهل الفضل للحوائط والبساتين والاستظلال بظلها والاكل من ثمرها والراحة والتنزه وقد يكون ذلك مستحسنا ليترتب عليه الاجر إذا قصد به إجمام النفس (٢) من تعب العبادة وتنشيطها فى الطاعة (قال أنس) أعاد الراوى ذكره لطول الكلام وهذه عادة العرب فى محاوراتها (فلما نزلت هذه الآية) وبينها بقوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة) قاصداً (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن الله سبحانه وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وهذا من أبى طلحة من باب لازم فائدة الخبر (وان أحب مالى (٣) الى بيرحاء و إنها) لكونها أحب إلى وقد وقف حصول البر على الانفاق من المحبوب (صدقة لله تعالى) أى وقف على المتصدق بها عليه ويحتمل صدقة التمليك وهو ظاهر سياق المأجشون (٤) عن اسحاق حيث قال فجعلها أبو طلحة فى ذوى رحمه قاله الحافظ (أرجو برها)

---

(١) أى وأضيفت إلى « حا » فهو مركب اضافى (٢) أى اراحتها كما فى المختار . ش (٣) نسخة أموالى (٤) اسم لراوى الحديث عن اسحاق . ع

وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح ؛ وقد سمعت ماقلت ؛ وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة

أى خيرها (وذخرها) بضم الذال المعجمة وبالخاء الساكنة المعجمة هو ما يعد لوقت الحاجة اليه كما فى المصباح أى انتفاعى بها وقت حاجتى اليها وهو يوم القيامة وسائر أوقات الشدائد وفسره الشيخ زكريا بقوله أى أجرها (عند الله) ظرف تنازعه ماقبله (فضعها يارسول الله حيث أراك الله) تفويض منه اليه فى تعيين مصرفها لا فى وقفيتها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ) بفتح الموحدة وسكون المعجمة وقد تنون مع التثقيل والتخفيف بالكسر والرفع كلمة تقال لتفخيم الأمر والاعجاب به (ذلك) أى المتصدق به (مال رابح) بالمثناة التحتية بعد الالف أو بالموحدة بعدها كما سيأتى. قال الحافظ فى الحديث فضيلة لأبى طلحة لأن الآية تضمنت الحث على الانفاق من المحبوب فترقى هو إلى انفاق أحب المحبوب فصوب صلى الله عليه وسلم رأيه ، وشكر عن ربه فعله ، وكنى عن ذلك بقوله بخ الخ . قال البيضاوى فى التفسير وهذا يدل على أن انفاق أحب الأموال على أقرب الاقارب أفضل وأن الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب اه (وقد سمعت ما قلت) ان كانت ما مصدرية فلا خلاف وان كانت موصولة فالعائد محذوف أى قلته ثم أمره أن يخص بها أهله بقوله (وانى أرى) من الرأى فى الأمر والجملة معطوفة على قوله وقد سمعت (ان تجعلها) صدقة (فى الاقربين) أى لك (فقال أبو طلحة أفعل) بضم اللام على أن الضمير المستتر فيه لأبى طلحة (يارسول الله فقسمها أبو طلحة) فيه (١) تعيين أحد الاحتمالين فى رواية غيره حيث وقع فيها أفعل فقسمها فانه احتمل الأول واحتمل أن يكون أفعل صيغة أمر وفاعل قسمها النبى صلى الله عليه وسلم فانتفى الاحتمال الثانى بهذه الرواية وذكر الحافظ ابن عبد البر أن اسماعيل القاضى رواه عن القعنبى عن مالك فقال فى روايته فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) أى فى قوله فقسمها الخ ش

فى أقاربه وبنى عمه ». متفق عليه (قوله) . صلى الله عليه وسلم مال رابح روى فى الصحيح رابح ورايح بالباء الموحدة وبالياء المثناة أى رايح عليك نفعه و(بير حاء) حديقة نخل وروى بكسر الباء وفتحها

أقاربه وبنى عمه قال وقوله أقاربه أى أقارب أبى طلحة قال ابن عبد البر إضافة القسم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان شائعاً فى لسان العرب على معنى أنه الآمر به لكن أكثر الرواة لم يقولوا ذلك والصواب رواية من قال فقسمها أبو طلحة (فى أقاربه وبنى عمه) من عطف الخاص على العام وجاء فى أحاديث تبيين الاقارب وأوضحها ما فى مراسيل أبى بكر بن حزم فرده على أقاربه أبى بن كعب وحسان بن ثابت وأخيه وابن أخيه شداد بن أوس ونبيط بن جابر فتقاوموه فباع حسان حصته من معاوية بمائة ألف درهم وهذا موافق للاحتمال السابق من كون ذلك تمليكا للأقارب (متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة وفى الوصايا وفى الوكالة وفى التفسير ورواه مسلم فى الزكاة ورواه النسائى فى التفسير (قوله صلى الله عليه وسلم رابح مروى فى الصحيحين رابح ورايح بالباء الموحدة وبالياء المثناة(١) لف ونشر مرتب أو مشوش قال المصنف قال القاضى عياض روايتنا فيه فى كتاب مسلم بالموحدة اه وأما البخارى فرواه بالوجهين ثم معناه بالموحدة واضح من الربح أى ذو ربح وقيل هو فاعل بمعنى مفعول أى مربوح فيه وأما بالتحتية فمعناه رايح عليك أجره وبمعناه قول المصنف (أى رائج عليه) وفى نسخة عليك (نفعه) ولا يخفى ما فيه من إيهام أنه معناه على الوجهين وليس كذلك وقد عبر به فى شرح مسلم على الصواب فقال أما بالموحدة فمعناه ظاهر وأما بالمثناة فمعناه رايح عليك أجره ونفعه فى الآخرة اه قال ابن بطال والمعنى أن مسافته قريبة وذلك أنفس الأموال وقيل معناه يروح بالأجر ويغدو به اه واكتفى بالرواح عن الغدو، وادعى الاسماعيلى أن من رواه بالتحتية فقد صحف اه ملخصا من الفتح وقيل إنما عبر به لأن المراد أنه مال من شأنه الرواح وهو الذهاب والفوات فاذا ذهب فى الخير فهو أولى (وبيرحاء حديقة نخل) وليس اسم بئر (وروى بكسر الباء وفتحها) أى مع فتح

---

(١) قوله وبالياء المثناة لعله يحكى عن صورة الهمزة وإلا فالظاهر أنه بالهمزة وسيجىء قريباً قول الشارح بالموحدة وبالهمزة . ع

﴿ باب ﴾

وجوب أمره أهلَه وأولادَه المميزين وسائرَ من فى رَعيَّته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهىّ عنه * قال الله تعالى « وأْمُرْ أهلك بالصلاة »

الراء وضمها والمد والقصر كما تقدم عن الحافظ بما فيه ، قال المصنف فى هذا الحديث من الفوائد أن النفقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين ، وفيه أن القرابة يراعى حقها فى الصلة وإن لم يجتمعوا إلا فى أب بعيد لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أبا طلحة أن يجعل ذلك فى الأقربين فجعلها فى أبى بن كعب وحسان بن ثابت وانما يجتمعان فى الجد السابع اه

﴿ باب وجوب أمره أهله ﴾

أى زوجته ومستولدته (وأولاده المميزين) المراد منهم ما يشمل بنانه المميزات والتذكير للتغليب وشرف الذكور (وسائر من فى رعيته) من العبيد والاماء (بطاعة الله تعالى) أى امتثال أمره ونهيه وهى غير العبادة والقربة ، والعبادة ما تعبد به بشرط النيه ومعرفة المعبود ، والقربة ماتقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه فالطاعة توجد بدونها فى النظر المؤدى الى معرفة الله إذ معرفته إنما تحصل بتمام النظر والقربة توجد بدون العبادة فى القرب التى لا تحتاج الى نية كالعتق والوقف كذا فى الاضواء البهجة (١) (ونهيهم) هو وما بعده من المصادر مضاف لمفعوله أى نهيه إياهم (عن المخالفة) لأوامر الله تعالى (وتأديبهم) عند فعل مالا ينبغى فعله مما لا حد فيه ولا تعزير ، أما هو فيأتى به ولا تأخذه رأفة فى دين الله (ومنعهم من ارتكاب منهى عنه) بالحيلولة بينهم وبينه وهذا واجب فى المنهى عنه المحرم ، مندوب فى المنهى عنه المكروه ، ومثله فى ذلك التأديب فينبغى حمل الوجوب فى الترجمة على مايشمل الندب بأن يراد به الحق المتأكد * (قال الله تعالى وأمر أهلك بالصلاة) قال السيوطى فى الاكليل : فيه أنه يجب على الانسان أمر

---

(١) على المنفرجة لشيخ الاسلام زكريا . ش

وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وَقُودُها الناسُ والحِجارةُ » * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « أخذ الحسن بن على تمرة من تمرِ الصدَقةِ فجعلها فى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كِخْ كِخْ إرم بها أما علمت أنَّا لا نأكلُ الصدقةَ » متفق عليه

أهله من زوجة وعبد وأمة وسائر عليه بالتقوى والطاعة خصوصاً الصلاة ، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا استيقظ من الليل أقام أهله للصلاة وتلا هذه الآية اه (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بالنصح والتأديب وقرىء وأهلوكم عطفاً على واو قوا فتكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين (نارا) التنوين فيها للتعظيم وبين عظمها بما وصفها به من قوله « وقودها الناس والحجارة »

(وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال أخذ الحسن بن على) بن أبي طالب (رضى الله عنهما تمرة من تمر الصدقة) فى رواية معمر عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم تمراً من تمر الصدقة والحسن فى حجره » أخرجه أحمد (فجعلها فى فيه) زاد أبو مسلم الكجى عن محمد بن زياد فلم يفطن له النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام ولعابه يسيل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم شدقه وفى رواية معمر « فلما فرغ حمله على عاتقه فسال لعابه فرفع رأسه فاذا تمرة فى فيه » (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) زجراً له ليطرحها (كخ كخ) سيأتى ضبطها ومعناه (ارم بها) هذه من زيادة مسلم على البخارى وفى رواية حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أحمد « فنظر اليه فاذا هو يلوك تمرة فخرك خده وقال ألقها يابنى ألقها يابنى » ويجمع بين هذين وبين قوله كخ كخ بأنه كلمه أولا بهما فلما تمادى قال له كخ كخ إشارة إلى استقذاره ذلك ويحتمل العكس بأن يكون أعلمه بذلك فلما تمادى نزعها من فيه (أما علمت) هذا لفظ مسلم وفى رواية للبخارى « أما شعرت » وفى أخرى له فى الجهاد « أما تعرف » (أنا لا نأكل الصدقة) قال المصنف هذه الالفظة تقال فى الشىء الواضح التحريم وان لم يكن المخاطب عالما بذلك وتقديره : عجب كيف خفى عليك هذا مع ظهور تحريمه ، وهذا أبلغ فى الزجر من قوله لا تفعل (متفق عليه)

(وفى رواية) إنا لاتحل انا الصدقة . وقوله كَخ كَخ يقال باسكان الخاء ويقال بكسرها مع التنوين وهى كلمة زَجْرٍ للصبى عن المستقذرات وكان الحسن رضى الله عنه صبيا * وعن أبى حفص عمرَ بن أبى سلمة عبدالله بن عبد الأسد ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت غلاما فى حجْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخرجه البخارى فى الزكاة وفى الجهاد ومسلم فى الزكاة والنسائى فى السير (وفى رواية) هى لمسلم كما فى الفتح (إنالا تحل لنا الصدقة) قال فى الفتح وفى رواية معمر « إن الصدقة لا تحل لآل محمد » وكذا عند أحمد والطحاوى من حديث الحسن ابن على نفسه قال « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها فى فى فأخذها بلعابها فقال إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة » وإسناده قوى وللطبرانى والطحاوى من حديث ابن أبى ليلى نحوه (وقوله) فى الحديث (كخ كخ يقال باسكان الخاء) المعجمة منقلة ومخففة (ويقال بكسرها) منونة وغير منونة وهى بفتح الكاف فى الجميع وكسرها قال الحافظ فيخرج من ذلك ست لغات (قلت) بل ثمان (وهى كلمة زجر للصبى عن المستقذرات) قيل هى من أسماء الأصوات وقيل من أسماء الافعال وأشار البخارى فى باب من تكلم بالفارسية الى أنها عجمية معربة والثانية تأكيد للأولى (وكان الحسن رضى الله عنه صبياً) لأنه ولد بعد الهجرة بسنة * (وعن أبى حفص) بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هو الأسد وهى كنية (عمر بن أبى سلمة) واسم أبى سلمة (عبد الله بن عبد الأسد) بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى الصحابى ابن الصحابيين (ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى ولد زوجته أم سلمة ولدته بالحبشة وأبواه مهاجران إليها فى آخر السنة الثانية من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر حديثا روى البخارى ومسلم منها حديثين روى عنه ابن المسيب وعروة ووهب بن كيسان وغيرهم توفى سنة ثلاث وثمانين وقد ذكرت زيادة فى ترجمته فى كتابى اتحاف السائل بمعرفة رجال الشمائل (قال كنت غلاماً فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح المهملة أى كنفه وحمايته أو المراد به الحضن وهو مابين الابط الى

وكانت يدى تَطِيش فى الصَّحفة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياغلام سمِّ الله تعالى وكل بيمينكَ وكل مما يليك ، فمازالت تلك طِعْمتى بعدُ » متفق عليه .
و (تطيش) تدور فى نواحى الصحفة * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الامام راع ومسئول عن رعيته ؛ والرجل راع فى أهله

الكشح فيكون كقوله تعالى «وربائبكم اللاتى فى حجوركم» (وكانت يدى تطيش فى) نواحى (الصحفة) قال فى المصباح : هى إناء كالقصعة والجمع صحاف مثل كلبة وكلاب قال الزمخشرى الصحفة قصعة مستطيلة (فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم) معلماً ومؤدباً (ياغلام) بضم الميم (سم الله) أمر ندب اتفاقا (وكل بيمينك) ذهب الجمهور الى أنه للندب أيضاً وذهب بعضهم الى وجوبه ويؤيده ما تقدم فى باب الأمر بالمحافظة على السنة « من أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك ، فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد » وفى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم « رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها فدعا عليها فأصابها طاعون فماتت » فحمله الجمهور على الزجر والسياسة (وكل مما يليك) أى ندبا على الأصح وقيل وجوبا لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره قال ابن حجر الهيثمى وانتصر له السبكى ونص عليه الشافعى فى الرسالة ومواضع من الأم وفى مختصر البويطى : يحرم الأكل من رأس الثريد والأصح الكراهة ومحل ذلك ما إذا لم يعلم رضا من يأكل معه وإلا فلا حرمة ولا كراهة لما ورد عن أنس من تتبعه صلى الله عليه وسلم للدباء من حوالى القصعة وقول البعض أنه أكل وحده مردود بأن أنساً أكل معه (ف)تسبب عن ذلك أنها (ما زالت تلك طعمتى) بكسر الطاء المهملة لبيان الهيئة أى صفة أكلى (بعد) بضم الدال أى بعد ذلك الأمر (متفق عليه) رواه البخارى ومسلم فى الاطعمة والنسائى فى المحاربة واليوم والليلة وابن ماجه فى الاطعمة وقوله «سم الله وكل مما يليك » رواه أبو داود فى الوليمة (وتطيش تدور فى نواحى الصحفة * وعن ابن عمر رضى الله عنهما) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله

ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته» متفق عليه * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه

ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها) ذكراً كان أو أنثى رقيقا أو حراً متبرعا أو مستأجراً (والخادم راع فى مال سيده) فيحفظه عن أسباب التلف ولا يخون فيه (ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته متفق عليه) وتقدم الكلام عليه فى باب حق الزوج على امرأته وفى المغنى لابن هشام إذا أضيفت كل إلى المعرفة قالوا يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها نحو كلهم قائم أو قائمون وقد اجتمعا فى قوله تعالى « إن كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » والصواب أن الضمير لا يعود اليها من خبرها إلا مفرداً مذكرا على لفظها نحو (وكلهم آتيه) وقوله (كلكم راع) اه * (وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبدالله بن عمر ابن العاص ، صدوق من صغار التابعين مات سنة ثمانى عشرة ومائة خرج عنه البخارى فى القدر وأصحاب السنن الاربعة (عن أبيه) شعيب وهو صدوق ثبت سماعه من جده من كبار التابعين خرج عنه من ذكر (عن جده) أى جد الاب وهو عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) قال السيوطى فى حواشى سنن أبى داود قال الدار قطنى سمعت أبا بكر النقاش يقول عمرو بن شعيب ليس من التابعين وقد روى عنه عشرون من التابعين قال الدار قطنى : فتتبعتهم فوجدتهم أكثر من عشرين قال ابن الصلاح : قرأت بخط الحافظ أبى موسى الطسى فى تخريج له قال عمرو بن شعيب ليس بتابعى وقد روى عنه نيف وسبعون رجلا من التابعين وهذا وهم فانه روى عن صحابيتين هما الربيع بنت معوذ بن عفراء و زينب بنت أبى سلمة ربيبة النبى صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وقد اختلف الحفاظ فى الاحتجاج بنسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والراجح الاحتجاج بها مطلقا والضمير فى جده لشعيب لا لعمرو ومحمد المذكور فى النسب لا مدخل له فى هذا الاسناد إلا فى حديث واحد لا ثانى له وهو ما أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن الهاد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن محمد بن عبد الله عن عبدالله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرُوا أولادكم بالصلاة وهمْ أبْنَاء سبع سنين واضربوهم عَلَيهَا وَهمْ أبْنَاء عَشر ، وفرّقوا بينهمْ فى المضاجع » حديث حسن رواه أبو دَاود باسنادٍ حسن * وعن أبى ثُريةسَبرةَ بن معبد الجهنى رضى الله عنه

ابن عمر ومرفوعاً (ألا أحدثكم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة » الحديث اه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا أولادكم) وجوبا ، وسواء فى ذلك الذكر والانثى وكذا يجب عليه أمر زوجته وخادمه (بالصلاة) أى وبما تتوقف عليه لأن الأمر بالشىء أمر بما لا يتم بدونه (وهم أبناء سبع) أى تمامها أى وقد ميزوا كما هو الغالب بحيث صار الصبي يأكل وحده ويشرب وحده ويستنجى وحده (واضربوهم عليها) أى على أدائها ان امتنعوا منه ضربا غير مبرح ويتقى الوجه (وهم أبناء عشر) وقد اختلف هل ذلك بعد تمامها أو بالدخول فيها وإنما أمر بالضرب فيها لأنه حد يحتمل فيه الضرب غالباً (وفرقوا بينهم فى المضاجع) فلا يباشر المميز غيره فى المضاجع قال ابن عبد السلام الصبي ليس مخاطبا وأما هذا الخبر فهو أمر للاولياء لأن الامر بالامر بالشىء ليس أمراً بذلك الشىء قال وقد وجد أمر الله للصبيان مباشرة على وجه لا يمكن الطعن فيه وهو قوله تعالى « ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم » اه وآخر الحديث « واذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة » (حديث حسن رواه أبو داود باسناد حسن ورواه الامام أحمد والحاكم فى المستدرك » (وعن أبى ثرية) بضم المثلثة وفتح الراء وبتشديد التحتية ويقال بفتح المثلثة وكسر الراء والأول أكثر وقال فى أسد الغابة والاول أصح وقال المصنف فى التهذيب حكى ابن الاثير فتح الثاء وهو غريب ، كنية (سبرة) بفتح المهملة الأولى وسكون الموحدة (ابن معبد) بفتح الميم والموحدة وسكون المهملة بينهما قال فى أسد الغابة يقال سبرة بن معبد ويقال سبرة بن عوسجة بن سبرة بن خديج ابن مالك بن عمرو بن زهل بن ثعلبة بن نضر بن سعد بن دينار بن رشدان ابن قيس بن جهينة (الجهنى رضى الله عنه) ويكنى بأبى الربيع أيضا روى عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابنَ عشر سنين» حديث حسن رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن ولفظ أبى داود (مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبعَ سنين)

﴿ باب حق الجار والوصية به ﴾

الربيع فى المتعة قال المصنف فى التهذيب يكنى بأبى ثروة على المشهور وقيل كنيته أبو الربيع حكاه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى الاطراف كان له دار بالمدينة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر حديثا روى مسلم منها حديثا واحدا توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا الصبي) المراد به ما يشمل الصبية لأنه فعيل بمعنى فاعل ، وفعيل إذا كان كذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث (الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها) حال كونه (ابن عشر سنين) فهو حال من ضمير المفعول ويجب على الولى إذا ميز الصبي أن يعلمه ما يجب اعتقاده مما يجب ويجوز ويستحيل فى حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم وحق سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام وأن شرائعهم نسخت كلها بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم التى لا تنسخ أبداً وأنه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله النبي الرسول العربى ولد بمكة ومات بالمدينة ويعلمه أحكام الشرائع ليرسخ ذلك عنده فالعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر (رواه) أى هذا الخبر لا بخصوص هذا اللفظ لما يأتى من قوله ولفظ أبى داود الخ (أبو داود والترمذى وقال حديث حسن) كان الأولى تقديم ذكر الترمذى لأنه راوى اللفظ وكأنه قدم أبا داود لعلو رتبة مرويه على مروى من بعده ويعود الضمير من قوله وقال الى أقرب مذكور (ولفظ أبى داود مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين) ليتمرن عليها ويعتادها فلا يتركها إذا بلغ إن شاء الله تعالى

﴿ باب حق الجار ﴾

أى ما يستحقه (والوصية) من الشارع (به) وفى ذلك حصول الالف والتواد الذى به نظام المعاش والمعاد وفى المصباح الجار المجاور فى السكن والجمع جيران وجاوره مجاورة وجوارا من باب قاتل والاسم الجوار بالضم إذا لاصقه فى السكن وحكى

قال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنُبِ والصاحب بالجنْبِ وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » * وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازال جبريلُ يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليه وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله

ثعلب عن ابن الأعرابى الجار هو الذى يجاورك بيتا ببيت اه وأما الجار شرعاً ففى الوصايا لو أوصى لجيرانه ، دفع لأربعين دارا من كل جانب من الجوانب الأربعة (قال الله تعالى واعبدوا الله) أى وحدوه (ولا تشركوا به شيئاً) صنما أو غيره أو شيئاً من الشرك جليا أوخفيا (وبالوالدين إحساناً) أى واحسنوا بهما إحسانا (وبذى القربى) أى وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين) تقدم تعريفهما فى باب ملاطفة اليتيم والمساكين (والجار ذى القربى) الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيما لحفظه (والجار الجنب) البعيد أو الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القربة وحق الاسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب » (والصاحب بالجنب) الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك ، وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر والضيف (وما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء

(وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل) عليه السلام تقدم فى باب المراقبة أنه اسم سريانى قيل معناه عبد الرحمن وقيل معناه عبد الله (يوصينى بالجار) أى بالاعتناء به والاحتفال بشأنه (حتى) من شدة ذلك (ظننت أنه سيورثه) فيكون سبب الارث الجوار كما كان سببه أول الاسلام التحالف والتعاهد حتى نسخ بآية المواريث (متفق عليه) واللفظ للبخارى ولفظ مسلم ليورثنه بالمضارع المؤكد بالنون * (وعن أبى ذر) جندب ابن جنادة وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المراقبة (قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « يأبا ذر إذا طبختَ مرقةً فأكثِرْ ماءها وتعاهَدْ جيرانَكَ » رواه مسلم وفى رواية له عن أبى ذر قال « إنَّ خليلى صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يأبا ذر) يكتب بحذف ألف أبا الاولى تخفيفا وينطق بها كذا قيل والظاهر بحذف ألف حرف النداء لأن ألفه تحذف فى رسم الامام(١) وكذا هنا إلحاقا به (إذا طبخت مرقة) هو الماء الذى طبخ فيه اللحم ونحوه وتوضحها رواية ابن أبى شيبة الآتية ولفظ المرقة هنا مجاز مرسل علاقته الأولى فهو نظير قوله تعالى « إنى أرانى أعصر خمراً » (فأكثر ماءها) ليكثر الائتدام بها فان المراد بها إساغة الخبز وتليينه وذلك يستوى فيه ضيق المرقة وواسعها (وتعاهد) ندبا (جيرانك) أى بالاحسان اليهم منها وفعل البر معهم وفى التعبير بالتعاهد الموضوع للمشاركة فى الفعل أى الى طلب ذلك من كل الجيران مع الباقين (رواه مسلم) وعند ابن أبى شيبة من حديث جابر مرفوعا « إذا طبختم اللحم فاكثروا المرق فانه أوسع وأبلغ بالجيران » ففى الحديث الحض على مكارم الاخلاق والارشاد لمحاسنها لما يترتب عليه من المحبة والألفة ولما يحصل به من المنفعة ودفع الحاجة والمفسدة فقد يتأذى الجار بقتار (٢) قدر جاره وعياله وصغار ولده ولا يقدر على التوصل لذلك فتهيج من صغارهم الشهوة ويقوم على القائم بهم الألم والكلفة وربما كان يتيما أو أرملة فتكون المشقة أعظم وتشتد منهم الحسرة والألم وكل ذلك لينـدفع بتشريكهم فى شىء من الطبخ فلا أقبح من منع هذا اليسير المترتب عليه هذا الضرر الكبير (وفى رواية له) أى لمسلم (عن أبى ذر قال إن خليلى صلى الله عليه وسلم) لاينا فيه حديث « لو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر » لأن الذى لم يكن اتخاذ النبى ﷺ غير ربه خليلا

---

(١) أى فى المصحف المسمى بالامام وهو بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . ش ومحل حذفها هو يأيها . ع

(٢) القتار بضم القاف وبالفوقية قال فى النهاية هو ريح القدر أو الشواء ومنه حديث جابر « لا تؤذ جارك بقتار قدرك » . ش

أوصانى إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف » * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه) . متفق عليه . وفى رواية لمسلم « لا يدخل الجنة من لا يأمن

أما اتخاذ غيره إياه خليلا فلا ، ومثله حديث أبى هريرة « أوصانى خليلى بثلاث أن لا أنام قبل أن أوتر » الحديث (أوصانى إذا طبخت مرقا) أى ذا مرق من لحم وغيره (فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها) أى المرقة المدلول عليها بالمرق (بمعروف) الباء صلة الفعل قبله وجملة إذا طبخت تحتمل أن تكون مفسرة لقوله أوصانى خليلى وأن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل ما قال لك إذ أوصاك ؟ فقال قال إذا طبخت الخ وفى قوله بمعروف إيماء الى أنه ينبغى أن يكون المرسل به الى الجيران شيئا به نفع فى الائتدام فان لم يتيسر إلا القليل فليهده ولا يحتقره ففى الحديث « لا تحقرن من المعروف شيئا » ويكون المهدى اليه مأموراً بقبوله ذلك والمكافأة عليه ولو بالشكر فانه وإن كان قليلا دليل على تعلق قلب المهدى بجاره * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه) كذا فى نسختين من الرياض والذى فى باب إثم من لا تأمن جيرانه بوائقه من صحيح البخارى أن الحديث عن أبى شريح (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن) فيه الحلف من غير استحلاف وتكراره لتأكيد الأمر وهو لذلك مستحب والمراد من الايمان المنفى الايمان الكامل لا أصله المخرج من النار المدخل فى الجنة فذلك لا يزول بهذا (قيل من يا رسول الله) هذا الذى نفى عنه الايمان مراداً (قال) هو (الذى لا يأمن جاره بوائقه) فالموصول خبر لمبتدأ محذوف (متفق عليه) الخبر أخرجه البخارى فى الأدب واللفظ له لكن من حديث أبى شريح كما تقدم (وفى رواية لمسلم) من حديث أبى هريرة رواها عنه فى كتاب الايمان قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل الجنة) أى مع الناجين قال المصنف ومعناه هذا جزاؤه ثم قد يجازى بذلك وقد يعفو عنه فيدخلها ابتداء أو مطلقاً إن استحل أذاه بما علم تحريمه بالضرورة (من لا يأمن

جَارُهُ بوائقَهُ » . (البوائق) الغوائل والشرور * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يانساءَ المسلمات لاتحقِرَنّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاة » متفق عليه * وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لايمنعْ جارٌ جارَهُ أن يغرِزَ خشبة فى جداره » ثم يقول أبو هريرة « مالى أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم » متفق عليه . روى (خشبه) بالإضافة والجمع وروى (خشبة) بالتنوين على الافراد

جاره) وفى نسخة لايؤمن جاره (بوائقه البوائق الغوائل) بالغين المعجمة (والشرور) واحدها بائقة قال فى شرح مسلم وهى الغائلة والداهية * (وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات) من اضافة الموصوف الى صفته وهو مؤول عند البصريين أى يانساء الجماعة المسلمات (لا تحقرن جارة) معروفا (لجارتها ولو فرسن شاة متفق عليه) وتقدم الكلام عليه فى باب بيان كثرة طرق الخير (وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايمنع) بالجزم على أنها ناهية ولبعض رواة البخارى بالرفع نفى بمعنى النهى (جار جاره) من (أن يغرز خشبة فى جداره) أى لا يمنعه من ذلك فى ملكه وإن تضرر هو بذلك كأن يحدث له بها ظلام فى محله ونحو ذلك فان المالك له أن يفعل فى ملكه ما يشاء وإن آذى الجار والمار ، والأكثر على أن الضمير فى جداره يرجع الى المانع أى لايمنعه من غرزه فى جدار نفسه لأن ذلك مما يتسامح به ويتساهل فيه وهو القول القديم للشافعى فى جمع من الأئمة (ثم يقول أبو هريرة) بعد روايته الحديث (مالى) مبتدأ والظرف خبر (أراكم) جملة حالية من الضمير (عنها) أى عن السنة أو الخصلة أو المقالة (معرضين) ان كانت أرى علمية فهو مفعول ثان وان كانت بصرية فحال والظرف متعلق به قدم عليه اهتماما به واختصاصا (والله لأرمين بها) أى بهذه السنة (بين أكتافكم) بالفوقية جمع كتف أى بينكم قال القاضى عياض وقد رواه بعض رواة الموطأ أكنافكم بالنون ومعناه أيضا بينكم والكنف الجانب ومعنى الأول إنى أصرح بها بينكم وأوجعكم بالتقريع بها كما يضرب الانسان بالشىء بين كتفيه (متفق عليه روى خشبه بالاضافة) الى هاء الضمير (والجمع) لخشبة بحذف هاء الوحدة (وخشبة بالتنوين) مع هاء الواحدة (على الافراد) قال الحافظ فى الفتح قال ابن

وقوله (مالى أراكم عنها معرضين) يعنى عن هذه السُّنَّة وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جارَهُ ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم

عبد البر روى اللفظان فى الموطأ والمعنى واحد لأن المراد الجنس وهذا متعين للجمع وإلا فالمعنى قد يختلف باعتبار أن أمر الخشبة الواحدة أخف فى مسامحة الجار بخلاف الخشب الكثير اه قال القاضى روينا قوله خشبة فى صحيح مسلم وغيره من الأصول بالافراد والجمع قال وقال الطحاوى عن روح ابن الفرج سألت أبا زيد والحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى عنه فقالوا كلهم خشبة بالتنوين على الافراد وقال عبد الغنى بن سعيد كل الناس يقوله بالجمع إلا الطحاوى وفى فتح البارى وما ذكرته من اختلاف رواة الصحيح يرد على عبد الغنى إلا أن المراد خاصا من الناس كالذين روى عنهم الطحاوى اه (وقوله مالى أراكم عنها معرضين يعنى عن هذه السنة) قال المصنف فى شرح مسلم جاء فى رواية أبى داود فنكسوا رءوسهم فقال مالى أراكم أعرضتم واختلف العلماء فى معنى هذا الحديث هل هو على الندب الى تمكين الجار من وضع الخشب على جدار جاره أم على الايجاب ؟ وفيه قولان للشافعى ولأصحاب مالك أصحهما فى المذهبين الندب وبه قال أبو حنيفة والكوفيون والثانى الايجاب وبه قال أحمد وأبو ثور وأصحاب الحديث وهو ظاهر الحديث ومن قال بالندب قال ظاهر الحديث أنهم توقفوا عن العمل فقال مالى أراكم عنها معرضين وهذا يدل على أنهم فهموا منه الندب لا الايجاب وإلا لما أطلقوا على الاعراض عنه اه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن) أى إيمانا كاملا (بالله واليوم الآخر) هو يوم القيامة الذى هو محل الجزاء على الأعمال حسنها وقبيحها وسمى باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده وذكره هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه فى حديث جبريل تنبيه وإرشاد لما أشرنا إليه مما يوقظ النفس ويحركها فى الهمة للمبادرة إلى امتثال جزاء هذا الشرط وما هو مثله (فلا يؤذى جاره) كذا هو باثبات الياء وهو محمول على أن لا نافية والمبتدأ مقدر قبله والأصل فهو لا يؤذى جاره أى هذا شأنه ويجوز أن تكون ناهية وتكون الياء فيه للاشباع وإيذاء الجار حرام (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر) إيمانا كاملا (فليكرم

ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » متفق عليه *
وعن أبى شُريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من كَانَ يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره ،

ضيفه) الغنى والفقير بحسن البشر والمبادرة بما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله إلا أن يرضوا وهم بالغون عاقلون وعليه يحمل ما ورد من الثناء على الانصارى وامرأته فى إيثارهما الضيف على أنفسهما ، والضيف لغة يشمل الواحد والجمع من أضفته وضيفته إذا أنزلته بك ضيفاً وضفته وتضيفته إذا نزلت عليه ضيفاً (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل) اللام فيه وفى فليكرم للأمر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء والواو وثم بخلافها فى ليسكت فانها مكسورة لاغير (خيراً) قال الشافعى لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به فاذا ظهر له أنه خير محقق لايترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه أتى به (أو ليسكت) فليطلب الصمت حتى عن المباح لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه وبفرض أنه لايؤدى إليهما ففيه ضياع الوقت فيما لايعنى وقد ورد « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » (متفق عليه) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب من صحيحه ومسلم فى كتاب الايمان وهو من القواعد العظيمة لأنه بين فيه جميع أحكام اللسان الذى هو أكثر الجوارح فعلا وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه إنه ثلث الاسلام وقال بعضهم جميع آداب الخير تتفرع منه ويشار فيه إلى سائر خصال البر والصلة والاحسان لأن آكدها رعاية حق الجوار وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه إنه نصف الاسلام لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق وهذا أفاد الثانى لأن وصلة الخلق تستلزم رعاية جميع حقوقهم (وعن أبى شريح) بضم الشين المعجمة وفتح الراء آخره مهملة قبلها تحتية ساكنة (الخزاعى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب ملاطفة اليتيم (أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره) ذكر حديث أبى هريرة قبل هذا : لأن مافى ذلك من باب الدرء والتخلية وما فى هذا من باب جلب النفع والتحلية ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح وأشار المصنف بالجمع بينهما إلى أن كمال الايمان لا يحصل إلا بالجمع بين الأمرين

من كان يؤمنُ بالله واليَوْم الآخر فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، مَنْ كَانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أوْ لِيسكتْ » رواه مسلم بهذا اللفظ وروى البخارى بعضه . وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «قلتُ يارسولَ الله إنّ لى جَارَيْن فإلى أيّهما أُهْدِى قال إلى أقربهما منك باباً » رواه البخارى * وعنْ عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرُهم لِصَاحبه ؛ وخيرُ الجيران عند الله خيرُهمْ لجاره » رواه الترمذى

فيكف عنه أذاه ويحسن إليه بما تصل إليه قدرته (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت) ولعل حكمة الفصل بين الجمل فى هذه الرواية الايماء إلى أن مضمون كل منهما مطلوب لذاته من غير اعتبار انضمام غيره اليه كان أفضل ولذلك وصل بينهما فى الروايات الأخر (رواه مسلم) فى كتاب الايمان من صحيحه (بهذا اللفظ) ورواه أحمد والترمذى (وروى البخارى بعضه) قلت بل جميعه إلا أن فى اللفظ اختلافا يسيراً فقال فى كتاب الادب من الصحيح فى باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره عن أبى شريح العدوى قال« سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ،ثم فسر الجائزة ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »(وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله إن لى جارين) أى وقد أمرت باكرام الجار مطلقاً ولا أقدر على الاهداء إليهما معاً(فالى أيهما أهدى) ليحصل لى الدخول فى جملة القائمين باكرام الجار (قال إلى أقربهما منك باباً) لانه المراد بالجار ذى القربى على أحد الاقوال وقد قدم فى الذكر على الجار الجنب اهتماما به واعتناء بشأنه ففيه إيماء إلى تقديمه عند المضايقة ، وبابا منصوب على التمييز (رواه البخارى وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله) أى أكثرهم عنده ثواباً أو أكرمهم عنده منزلة قال تعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (خيرهم لصاحبه) فى القيام بما ينفعه والدفع لما يؤذيه (وخير الجيران) ثواباً أو منزلة (عند الله خيرهم لجاره رواه الترمذى

وقال حديث حسن .

﴿ باب بر الولدين وصلة الأرحام ﴾

قال الله تعالى : « واعبدُوا الله ولاَ تُشْرِكوا بِهِ شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامي والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنُب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » وقال تعالى « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »

وقال حديث حسن) ورواه أحمد والحاكم وورد مايعم ذلك فى حديث « الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعباده » .

﴿ باب بر الوالدين وصلة الأرحام ﴾

أى بيان ما ورد فيهما وما يحصل به ذلك (قال تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) لاصنما ولا غيره أو شيئاً من الشرك جلياً كان أو خفياً ، فهو على الاول مفعول به وعلى الثانى مفعول مطلق (وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) تقدم الكلام على الآية فى الباب قبله (وقال تعالى واتقوا الله) بامتثال أوامره واجتناب منهياته أى اجعلوا ذلك وقاية لكم من عذابه (الذى تساءلون به) بادغام إحدى التاءين فى السين وقرىء بالتخفيف على حذف إحداهما أى الذى يسأل بعضكم به بعضاً فيقول أحدكم أسألك بالله (والأرحام) أى واتقوا الأرحام وقرأ حمزة والأرحام بالخفض عطفا على الضمير لقولهم أسألك بالله وبالرحم قاله مجاهد قال ابن عطية وهذه القراءة عند نحاة البصرة لاتجوز لأنه لا يجوز عندهم العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض إلا فى ضرورة كقوله * فاذهب فما بك والأيام من عجب * لأن الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستشكل بعض النحاة هذه القراءة اه قال السفاقسى : الصحيح جواز العطف على الضمير من غير إعادة الجار كمذهب الكوفيين ولا ترد القراءة المتواترة لمذهب البصريين اه قال الثعالبى وهو حسن والرازى نحوه ، قلت القراءة ثابتة ومقبولة على المذهبين لكنها على قول البصريين

وَقال «والذين يصلونَ ما أمرَ الله به أنْ يُوصَلَ» الآية، وقال تعالى: «ووصَّينا الانسان بوالديه إحساناً» وقال تعالى «وقضى ربكَ الاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما

محمولة على أن الواو للقسم والأرحام مقسم به والله تعالى أن يقسم بما شاء والله أعلم * (وقال تعالى والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعنى يصلون بينهم بالايمان بهم ولا يفرقون بين أحد منهم والأكثرون على أن المراد به صلة الرحم (الآية) بالنصب على تقدير أتم الآية، أو بالرفع على تقدير الآية معلومة وتمامها «ويخشون ربهم» أى إنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وانما يكون ذلك على علم ما يخشى به منه «ويخافون سوء الحساب» قال ابراهيم النخعى هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء * (وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) أى برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان أن يحسن بوالديه إحسانا وهذه الآية هى التى فى العنكبوت ونزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه حمنة بنت أبى سفيان لما أسلم وكان بارا بأمه، فقالت أمه ما هذا الدين والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه أو أموت فمكثت كذلك أياما فجاءها سعد فقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دينى فكلى إن شئت أو اتركى فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمر بالبر بوالديه والاحسان اليهما وأن يطيعهما فى الشرك * (وقال تعالى وقضى ربك) أى أمر قاله ابن عباس وقيل معناه أوجب وحكى عن الضحاك أنه قرأ ووصى ربك وقال انهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهى قراءة على وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازى هذا القول بعيد جداً لأنه يفتح باب التغيير والتحريف فى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم فى الدين (ألا تعبدوا إلا إياه) فيه وجوب عبادته والمنع من عبادة غيره إذ هى نهاية التعظيم ولا تليق إلا بالمنعم المتفضل وليس ذلك لسواه (و) أن تحسنوا أو تفعلوا (بالوالدين إحسانا) أى برا بهما وعطفا عليهما وإحسانا اليهما (إما) هما

يبلغنَّ عندك الكِبرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تَنْهَرْهُمَا وقلْ لهما قولا كريما ؛

ان الشرطية وما الزائدة للتأكيد ، ولذا أكد الفعل فى قوله (يبلغن عندك الكبر) مفعول مقدم (أحدهما) فاعل (أو كلاهما) معناه أن يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما عندك فيصير فى الضعف والعجز كما كنت أنت عندهما كذلك أولا (فلا تقل لهما أف) وهى كلمة تضجر وكراهة وقيل أصل هذه الكلمة أنه اذا سقط عليك شىء من تراب أو رماد نفخته لتزيله بقول أف ثم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل الانسان وفى الآية تحريم إيذائهما بالقياس الأولوى وفى أف أربعون لغة ذكرها فى الارتشاف وحاصلها أن الهمزة إما أن تكون مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة فان كانت مضمومة فاثنتان وعشرون لغة وحاصل ضبطها أنها إما مجردة عن اللواحق أو ملحقة بزوائد والمجردة إما أن يكون آخرها ساكناً أو متحركا والمتحركة الآخر إما مشددة أو مخففة وكل منهما مثلث الآخر مع التنوين وعدمه فهذه اثنا عشر لغة فى المتحركة ، والساكنة إما مشددة أو مخففة فهذه أربع عشرة واللاحق لها من الزوائد إما هاء السكت أو حرف المد فان كان هاء السكت فالفاء مثلثة مشددة فهذه سبع عشرة لغة وان كان حرف مد فهو إما واو أو ألف أو ياء والفاء فيهن مشددة والألف إما مفخمة أو بالامالة المحضة أو بين بين ، فهذه خمس أخرى مع السبع عشرة وان كانت مكسورة فاحدى عشرة مثلثة الفاء مخففة مع التنوين وعدمه فهذه ست وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيهما مع التنوين وعدمه فهذه أربع لغات والحادية عشرة أفى بالامالة وان كانت مفتوحة فالفاء مشددة مع الفتح والكسر والتنوين وعدمه والخامسة أف بالسكون والسادسة أفى بالأمالة والسابعة أفاه بهاء السكت فهذه السبعة مكملة للأربعين نقله الأزهرى فى شرح التوضيح قال الحافظ فى فتح البارى وان استعمل القياس فيها بلغت السبعين لغة (ولا تنهرهما) أى تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى ووجه الجمع بينه وبين ما قبله مع أنه يدل على هذا أن ذاك المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير وهذا المنع من إظهار المخالفة فى القول على سبيل الرد (وقل لهما قولا كريما) أى حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب معهما وقيل هو قول

واخفض لهما جناحَ الذلِّ مِنَ الرحمةِ وقلْ رَبِّ ارْحَمْهما كما ربياني صغيرا » وقال تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملتْه أمهُ وهنًا على وهن وفصالهُ في عامين أن اشكرْ لي ولوالديكَ . وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم أيّ العمل أحبّ إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها

يا أباه يا أماه ولا يسميهما باسمهما ولا بكناهما وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل للسيد الفظ الغليظ (واخفض لهما جناح الذل) أي ألن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع من شيء أحباه (من الرحمة) أي الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما إليك الآن كما كنت مفتقرا اليهما قبل (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية وأراد اذا كانا مسلمين أما الكافران فالدعاء منسوخ في حقهما قال تعالى « ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآية وقيل يدعو لهما بالهداية للاسلام فاذا هديا اليه رحما » (وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) أي شدة على شدة وقيل إن المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة وذلك أن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف (وفصاله) أي فطامه (في عامين) أي سنتين) أن اشكر لي ولوالديك (١) قال ابن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات فقد شكر لهما » (وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل الهذلي (رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله) أي أكثر تقربا اليه لكونه أفضل وفي رواية مالك بن مغول أي العمل أفضل وكذا لأكثر الرواة فان كان هذا اللفظ هو المسئول به فلفظ حديث الباب ملزوم عنه وتقدم الجواب عن نحو هذا الحديث مما اختلفت فيه الأجوبة بأنه أفضل الأعمال بأن ذلك باختلاف أحوال السائلين بأن أعلم كلا ما هو اليه أحوج أو هو به أليق ، أو باختلاف الأوقات، أو أنه على تقدير من التبعيضية (قال الصلاة على وقتها) وفي رواية لهما لوقتها قال القرطبي وغيره قوله

---

(١) أن اشكر ، نصب بوصينا ، تقديره ووصينا الانسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك ، تلخيصه ووصيناه بشكرنا وشكر والديه اه كواشي . ش

قلتُ ثمَّ أىّ قال برُّ الوَالدَين ؛ قلت ثم أى قال الجهادُ فى سبيل الله» متفق عليه .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجزى ولدٌ والدًا إلا أن يجدَهُ مملوكا فيشتريهُ فيعتقَه »

لوقتها اللام للاستقبال مثل « فطلقوهن لعدتهن » أى مستقبلات عدتهن وقيل للابتداء كقوله « أقم الصلاة لدلوك الشمس » وقيل بمعنى فى أى فى وقتها وقوله على وقتها قيل على بمعنى اللام ففيه ما تقدم وقيل الارادة الاستعلاء على الوقت وفائدته تحقق دخول الوقت ليقع الأداء فيه اهـ وفى الحديث دليل على أن الصدقة أفضل عبادات البدن بعد الشهادتين ويشهد له الخبر الصحيح « الصلاة خير موضوع » أى خير عمل وضعه الله لعباده لينقربوا اليه (قلت ثم) هى لتراخى الرتبة أى ثم بعد الصلاة (أى) قال الحافظ قيل الصواب أنه غير منون لانه موقوف عليه فى الكلام والسائل منتظر الجواب والتنوين لا يوقف عليه فتنوينه ووصله بما بعده خطأ فيوقف عليه وقفة لطيفة ثم يؤتى بما بعده قال الفاكهانى وحكى ابن الجوزى وابن الخشاب الجزم بتنوينه لأنه معرب غير مضاف وتعقب بأنه مضاف تقديرا والمضاف اليه محذوف لفظا والتقدير ثم أى العمل أحب فيوقف عليه بلا تنوينه اهـ (قال بر الوالدين) قال ابن حجر : والظاهر أن المراد اسداء الخير اليهما مما يلزمه ويندب له مع ارضائهما بفعل ما يريد انه ما لم يكن إثما وليس ضده العقوق بل قد يكون بينهما واسطة كما يفيده حد العقوق بأن يفعل بهما ما يؤذيهما به إيذاء ليس بالهين (قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله) لاعلاء كلمة الله (متفق عليه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجزى) قال المصنف بفتح أوله ولا همز فى آخره أى لا يكافىء (ولد والدا) وان علا ذكراً كان أو أنثى أى لا يقوم بمكافأته فيما له عليه بالاحسان وقضاء الحاجات (الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه) وأخذ أهل الظاهر من مفهوم هذا الخبر توقف عتق القريب إذا ملك على انشاء المالك للعتق ولو أصلا أو فرعا وقال جماهير العلماء يحصل العتق فى الأصل والفرع مطلقا بمجرد الملك سواء المسلم والكافر والقريب والبعيد والوارث وغيره واختلف فيما وراء عمود النسب فقال

رواه مسلم . وعنه أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « منْ كان يؤْمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه ، ومن كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليصلْ رحمهُ ، ومَنْ كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمتْ »متفق عليه . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغَ

الشافعي وأصحابه لا يعتق غيرهما بالملك وقال مالك تعتق الاخوة وقال أبو حنيفة يعتق ذووالارحام المحرمة وتأول الجمهور الحديث المذكور على أنه لما تسبب فى شرائه المتسبب عليه بالعتق أسند اليه (رواه مسلم) والبخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى وقال صحيح وابن ماجه ٥ (وعنه أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى ايماناً كاملا (فليكرم ضيفه) وتقدم ما فى الحديث فى الباب قبله (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) وتقدم الحديث فى الباب قبله قال القاضى عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة قال والأحاديث فى الباب تشهد بهذا ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وبالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ولو قصر عما يقدر عليه وينبغى له لم يسم واصلا وسيأتى بيان الكلام فى حد الرحم المأمور بصلتها (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) بضم الميم واصمت بمعناه مضارعه يصمت بضم الميم قاله المصنف واعترض بأن المسموع والقياس كسرها اذ قياس فعل مفتوح العين يفعل بكسرها ويفعل بضمها دخيل فيه كما نص عليه ابن جنى وإنما يتجه ذلك ان سبرت كتب اللغة فلم تر ما قاله وإلا فهو حجة فى النقل وهو لم يقل هذا قياسا حتى يعترض بما ذكر وإنما قاله نقلا كما هو الظاهر من كلامه فوجب قبوله أى ليسكت عما لم يظهر له فيه الخير كما تقدم بسطه فى الباب قبله (متفق عليه ٥ وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق الخلق) أى أوجدهم واخترعهم من كتم العدم بباهر قدرته (حتى اذا فرغ

منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بكَ من القطيعةِ قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ،

منهم) أى كمل خلقهم لا أنه تعالى كان مشتغلا بهم ثم فرغ من شغلهم تعالى عن ذلك علواً كبيرا فليست أفعاله تعالى بمباشرة ولامناولة ولابآلة ولا محاولة تعالى عمايتوهمه المتوهمون «انما أمره إذا أرادشيئاأن يقول له كن فيكون» (قامت الرحم فقالت هذا (١) مقام العائذ بك من القطيعة) قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر إنما هى معنى من المعانى ليست بجسم انما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض وسمى بذلك الاتصال رحما ، والمعانى لايتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم ولذا سمى العقوق قطعا والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بذلك بأمر الله تعالى اه قال القرطبى فالحديث محمول إما على أن ملكا تكلم بذلك أو على أنه لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام فيكون على وجه الفرض والتقدير قال المصنف والعائذ المستعيذ وهو المعتصم بالشىء الملتجىء اليه المستجير به (قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك (١) وأقطع من قطعك) قال العلماء حقيقة الصلة العطف والرحمة وصلة الله سبحانه عباده لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه باحسانه ونعمه ، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح

---

(١) الاشارة إلى القيام أى قيامى هذا قيام العائذ بك علقمى . ش

(٢) (أصل من وصلك الخ) قال العلقمى قال شيخ شيوخنا قال ابن أبى جمرة الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمونه ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال هو القرب وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه وكان حقيقة ذلك مستحيلة فى حق الله تعالى عرف ان ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده ، قال وكذا القول فى القطع فهو كناية عن حرمان الانسان اه ش

قالت: بلى ، قال فذلك لكِ ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)

صدورهم لمعرفته وطاعته أو إرادته ذلك (قالت) أى الرحم لوكانت متكلمة أو الملائكة المتكلمة بذلك (بلى) أى رضيت به (قال فذلك) بكسر الكاف فيه وفى (لك) لأن المخاطب مؤنث (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا ان شئتم) أى مايدل لذلك وجملة الشرط معترضة وجوابها محذوف لدلالة ماقبلها عليها ومفعول اقرءوا قوله (فهل عسيتم) أى فهل يتوقع منكم ويجوز فتح السين وكسرها وبهما قرىء (ان توليتم) (١) أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الاسلام (أن تفسدوا فى الارض) بأنواع العتو (وتقطعوا أرحامكم) تشاجرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغادر والمقاتلة مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا أحق بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لايلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وان توليتم اعتراض (أولئك) إشارة إلى المذكورين (الذين لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم أرحامهم (فأصمهم) عن سماع الحق (وأعمى أبصارهم) فلا يهتدون الى سبيله وعلى القول الثانى أى قوله أعرضتم وتوليتم عن الاسلام تكون الرحم المذكورة دين الاسلام والايمان التى قد سماها الله تعالى اخوة بقوله « إنما المؤمنون إخوة » وقال الفراء نزلت هذه الآية فى بنى هاشم وبنى أمية قال القرطبي وعليه فالرحم بمعنى القرابة قال المصنف قال القاضى عياض وقد اختلف فى حد الرحم التى تجب صلتها ويحرم قطعها ، فقيل هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعليه لا تدخل أولاد العم والخال * واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى النكاح ونحوه وجواز ذلك

---

(١) قوله إن توليتم : اعتراض بين عسى وخبرها وهو أن تفسدوا فى الارض اه كواشى

متفق عليه . (وفى رواية للبخارى) فقال الله تعالى من وصلك وصلتـه ومن قطعك قطعته » * وعنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من قال أبوك » متفق عليه . (وفى رواية) يارسول الله من أحق بحسن الصحبة ؟ قال أمك ثم أمك ثم أباك ، ثم

فى بنات الأعمام والأخوال ، وقيل هو عام فى كل ذى رحم من ذوى الارحام فى الميراث يستوى فيه المحرم وغيره ويدل عليه قوله عليه السلام « ثم أدناك أدناك » اه قال المصنف والقول الثانى هو الصواب ومما يدل عليه قوله فى الحديث فى أهل مصر « فان لهم ذمة ورحما » وحديث « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه » مع أنه لا محرمية والله أعلم * قال القرطبى ويخرج من هذا القول أن رحم الأم التى لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم والصواب ماذكرناه من أنها قرابات الرجل من جهة طرفى آبائه وإن علوا وأبنائه وان نزلوا أو ما يتصل بالطرفين من الاخوة والاخوات والاعمام والعمات والاخوال والخالات وما يتصل بهم من أولادهم رحم جامعة اه (متفق عليه) رواه البخارى فى كتاب الأدب ومسلم فى كتاب البر والصلة (وفى رواية للبخارى) هى فى كتاب الأدب أيضاً عن أبى هريرة (فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) فالفرق بين اللفظين أن الاول إخبار عما يبدو فى عالم الشهادة للواصل والقاطع والثانى اخبار عما فى الأزل أى قضيت أزلا وصل الواصل وقطع القاطع *(وعنه جاء رجل) قيل هو معاوية ابن حيدة وقد جاء فى سنن أبى داود والترمذى عنه أنه قال « يارسول الله من أبر قال أمك » الحديث وفى آخره « ثم الاقرب فالاقرب » (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى) بفتح الصاد المهملة مصدر صحب (قال أمك) وذلك لضعفها وحاجتها (قال ثم من) أى الأحق بعدها (قال) تأكيدا للقيام بحق الام (أمك قال ثم من) الأحق بعدها (قال) مبالغا فى تأكيد حق الأم (أمك قال ثم من) الأحق بعدها (قال أبوك متفق عليه وفى رواية) لمسلم (يارسول الله من أحق بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أباك ثم

أدناك أدناك » (والصحابة) بمعنى الصحبة ، وقوله (ثم أباك) هكذا هو منصوب بفعل محذوف أى ثم برّ أباك وفى رواية (ثم أبوك) وهذا واضح * وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ثم رَغِم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكِبَرِ أحدهما أو كلاهما

أدناك) ثم (أدناك والصحابة) المذكورة فى الرواية أولا (بمعنى الصحبة) المذكورة فى الرواية الثانية وهى بضم الصاد (وقوله ثم أباك هكذا هو) فى الرواية الثانية (منصوب بفعل محذوف) جوازا (أى ثم بر أباك) وفيه عطف الجملة الطلبية على الجملة الخبرية ويجوز تخريجه على أنه مرفوع بضمة على الألف على لغة القصر (وفى رواية ثم أبوك وهو واضح) أى إنه معطوف على الخبر للمبتدا المحذوف

(وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رغم أنف) قال فى المصباح من باب قتل ومن باب تعب لغة وهو كناية عن الذل كأنه لصق بالرغام وهو التراب هوانا اه وفى ذيل مثلث ابن مالك لتلميذه أبى الفتح اليعلى من المثلث الرغم مصدر رغم أنف فلان (ثم) للتراخى فى الدعاء (رغم أنف ثم رغم أنف من) أى شخص مكلف (أدرك أبويه) أى حياتهما (عند الكبر) بكسر ففتح قال فى المصباح كبر الصغير وغيره يكبر من باب علم كبرا بوزن عنب اه قال العاقولى وفى رواية عنده الكبر بزيادة هاء قال ومعناه على حذفها أن يدرك هو والديه عند كبرهما وان كانا غنيين عنه بمالهما وعن خدمته لهما بمالهما من خادم ومعناه على تلك الرواية أن يدركهما الكبر وهما عنده وفى مؤنته محتاجين اليه اه . والتقييد به لان لابتلاء بهما حينئذ أتم لمزيد حاجتهما لضعفهما فكان القيام بحقهما حينئذ آكد كما قاما بحق الابن حين مزيد حاجته وافتقاره والا فوجدانها ولو حال الشباب لهما مطلوب من الابن العناية بهما ومزيد برهما لكن التقييد بالكبر لمزيد التأكيد لامكان الحاجة وقوله (أحدهما أو كلاهما) بالرفع فيما وقفت عليه من النسخ وهو محتمل لكونه مبتدأ محذوف الخبر أى أحدهما أو كلاهما سواء فى ما ذكر أو فاعلا لمحذوف أى ليستوى أحدهما أو كلاهما فى ذلك وأعربه العاقولى فاعلا للظرف لكونه حالا ثم حبذا كونه خبر مبتدأ محذوف و « كلاهما » معطوف عليه عليهما قال وهذه الجملة بيان لقوله من أدرك والديه ، وقال القرطبى الرواية الصحيحة بالنصب

فلم يدخل الجنة » رواه مسلم * وعنه « أن رجلا قال يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويُسيئون إلى ، وأحلمُ عنهم ويجهلون على ، فقال لئن كنتَ كما قلتَ

فيهما بدل من والديه منصوب بادرك قال وقد وقع فى بعض النسخ رفعهما وهو على الابتداء ويتكلف باضمار خبر والاول أولى وفيه التعقيب به دفع لتوهم قصر المذمة على من قصر فى البر عند اجتماعهما دونه مع أحدهما (فلم يدخل الجنة) عطف على أدرك والعطف بالفاء فيه إشعار بحصول الجنة بالفضل الالهى للبار بأبويه أو أحدهما عقب مفارقة الحياة وذلك بعرض مقامه عليه وتبشيره بما يؤول إليه (رواه مسلم) فى أواخر الكتاب والحديث عند احمد ايضاً فى الجامع الصغير للسيوطى عزوه اليهما ولفظه « رغم انفه ثم رغم انفه ثم رغم أنفه من ادرك ابويه عند الكبر احدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة » وعزوه اللفظ المذكور فيه لمسلم مراده باعتبار المعنى لا بخصوص المبنى : لان الضمائر محذوفة من رواية مسلم وعلى تلك الرواية فمن فاعل لفعل محذوف أو خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف بيان لسؤال تقديره من هو والاتيان بثم فيها إيماء الى صعوبة المقام وإبطائه فكأنه لذلك كالبعيد الحصول فعبر فيه بذلك قال العاقولى معنى ثم فيه استبعاد لغفلته عن نيل مثل هذه السعادة العظيمة * (وعنه أن رجلا) لم أقف على من سماه (قال يارسول الله إن لى قرابة) أى ذوى قرابة أى رحم ونسب ويقال فيها قربى كما فى المصباح (أصلهم ويقطعونى وأحسن اليهم) أى أسدى اليهم الاحسان (ويسيئون الى وأحلم) بضم اللام (عنهم ويجهلون على) يجوز أن تكون الجمل المضارعية معطوفة على أقرانها وهو الاقرب ويحتمل أن تكون فى محل الحال على تقدير مبتدأ محذوف أى وهم يقطعونى لان الواو الحالية لا يجوز دخولها على الجملة المضارعية المثبتة الخالية من قد الاضرورة نحو قوله * علقتها عرضاً وأقتل قومها * وباضمار المبتدأ تخرج عن ذلك وقد جعل منه صاحب التسهيل قوله تعالى « الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله » أى وهم يصدون وحكى الاصمعى ، قمت وأصك عينه ، أى وأنا أصكها (فقال) يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (لئن كنت كما قلت) من اسداء الجميل أى وهم على ما ذكرت

فكأنما تُسِفهم المل ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم مادمتَ على ذلك »
رواه مسلم (وتسفهم) بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء (والمل) بفتح
الميم وتشديد اللام وهو الرماد الحار أى كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيهٌ لما
يلحقهم من الاثم بما يلحق آكل الرماد الحارّ من الألم ولا شيء على هذا المحسن
إليهم

من مقابلته بضده (فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك) متعلق بظهير وكذا قوله
(من الله) ويصح كونه فى محل الحال لكونه فى الأصل وصفاً لظهير قدم عليه
وقوله (ظهير) أى معين وهو كما فى المصباح يطلق على الواحد والجمع وفى التنزيل
« والملائكة بعد ذلك ظهير » والمظاهرة المعاونة اه اسم يزال وقوله (عليهم) خبر
ويجوز أن يكون صفة وقوله معك أو من الله الخبر وقوله (مادمت على ذلك) أى
مدة دوامك على ما ذكر ، أو انه لما كان الاحسان و الحلم معطوفين على الصلة
الشاملة لهما من عطف الخاص على العام أفرد اسم الاشارة . وفى الحديث أن ما
ذكر من الخصال سبب لأعانة صاحبها وتأييده وتوفيقه وتسديده فان المعنى فيه
هو التأييد الألهى واللطف الربانى (رواه مسلم وتسفهم بضم التاء الفوقية وكسر
السين المهملة وتشديد الفاء (وفى المصباح سف الدواء أكله غير ملتوت فأشار الى
أنه تناول الجامدات غير ملتوتات (والمل بفتح الميم و تشديد اللام و هو الرماد
الحار) أى باعتبار المراد فى الحديث وهذا معناه مطلقا فى أحد الاقوال ففى
المصباح الملة قيل الحفرة التى تحفر للخبز وقيل التراب الحار والرماد أى الحار كما
يؤذن به كلام المصنف هنا ، ويحتمل إبقاؤه على اطلاقه ويجوز ارادة ذلك فان
تناول الرماد من المضر وإن لم يكن حاراً) وهو تشبيه لما يلحقهم من الاثم) أى
الذنب نفسه أو من جزائه والثانى أنسب بقوله (وهو العذاب بما يلحق آكل
الرماد الحار من الألم) بجامع التألم والتوجع وهو على الأول من تشبيه معقول
بمحسوس وعلى الثانى من تشبيه محسوس بمحسوس (ولا شيء) بالفتح أى من
التبعات (على هذا المحسن اليهم) فى مقابلته لسيء أعمالهم باحسانه وذكره من
المصنف إطناب اذ لم يقع منه بذلك ما يقتضى اللوم بل زاد فى الاحسان والاستدراك

لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم فى حقه وإدخالهم الأذى عليه والله أعلم

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »

فى قوله (ولكن ينالهم إثم عظيم) دل على عظم تمثيله (١) بما ذكر) بتقصيرهم فى حقهم وإدخالهم الأذى) بالقصر أى المكروه (عليه) لدفع ما قد يتوهم من نفى الملامة عنهم بقرينة نفيها عنه وان كان الفرق كفلق الصبح (والله أعلم) وقال المصنف فى شرح مسلم وقيل معناه إنك بالاحسان اليهم تحزنهم وتحقرهم فى أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم فهم من الخزى والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل ، وقيل ذلك الذى يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق احشاءهم اه وقال العاقولى أراد كأنما يجعل الرماد لهم فى سفوف يسفونه يعنى إذا لم يشكروا فان عطاءك إياهم حرام عليهم ونار فى بطونهم اه * (وعن أنس) بن مالك (رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب) وفى رواية من يسره (ان يبسط) بالبناء للمفعول أى يوسع ، فى المصباح بسط الله الرزق كثره ووسعه وقال المصنف بسطه توسيعه وكثرته وقيل بالبركة فيه ونائب الفاعل أحد الظرفين فى قوله (له فى رزقه) أى مرزوقه مصدر بمعنى المفعول وهو مايه النفع للحيوان والثانى أنسب والظرف الآخر فى محل الحال وهذا الاعراب بعينه جار فى قرينه من الجملة الثانية أعنى قوله (وينسأ) بهمزة آخره أى يؤخر (له فى أثره) بفتح الهمزة والمثلثة أى أجله وسمى الاجل أثراً لأنه يتبع العمر قال زهير

والمرء ماعاش ممدود له أمل * لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من أثر مشيه فى الأرض فان من مات لايبقى له حركة فلا يبقى لقدمه فى الارض أثر (فليصل رحمه) قال ابن التين ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » والجمع بينهما إما بحمل الزيادة على أنها كناية عن البركة فى العمر . بسبب التوفيق إلى طاعة الله وعمارة وقته بما ينفعه ويقربه من مولاه تعالى ، ويقويه ماجاء من أنه صلى الله

---

(١) قوله تمثيله بما ذكر أى تشبيهه بآكل الرماد الحار كما تقدم . ش

متفق عليه . ومعنى (ينسأله فى أثره) أى يؤخرُ له فى أجله وعمره .

عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لاعمار من مضى من الأمم فاعطى ليلة القدر وحاصله أن صلة الرحم سبب للتوفيق لمرضاة المولى وحفظ الأوقات عن الضياع فى غير رضا فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ، أو يحمل الزيادة فى الحديث على حقيقتها وذلك بالنسبة للاجل المعلق المكتوب فى اللوح المدفوع للملك مثلا كتب فيه إن أطاع فلان فعمره كذا والا فعمره كذا والله سبحانه وتعالى عالم بالواقع منهما والأجل المحتوم فى الآية على مافى علم الله سبحانه الذى لاتغير فيه وإلى ذلك الاشارة بقوله تعالى « يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » فالحديث فيه ماأشارت اليه أول الآية من الاجل والمعلق وقوله « عنده أم الكتاب » أشار به إلى العلم الالهى الذى لاتغير فيه ألبتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم وعن الأول بالقضاء المعلق والوجه الاول أليق بلفظ حديث الباب فان الاثر مايتبع الشىء فاذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور وقال الطيبي الاول أظهر واليه يشير كلام صاحب الفائق قال ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم فى الدنيا طويلا فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم ، ومن هذه المادة قول ابراهيم عليه السلام « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » وورد فى تفسيره وجه ثالث أخرج الطبرانى فى الصغير بسند ضعيف عن أبى الدرداء قال « ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من وصل رحمه أنسأ له فى أجله فقال انه ليس زيادة فى عمره قال الله تعالى : « إذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ولكن الرجل تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده » وأخرج فى الكبير من حديث أبى مشجعة بشين معجمة ثم جيم فعين مهملة الجهينى رفعه « ان الله لايؤخر نفسا إذا جاء أجلها وانما زيادة العمر ذرية صالحة » الحديث وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله وقال غيره فى أعم من ذلك وفى وجود البركة فى رزقه وعمله ونحو ذلك (متفق عليه) ورواه أبو داود وابن ماجه كلاهما من حديث أنس أيضاً ورواه أحمد والبخارى من حديث أبى هريرة كذا فى الجامع الصغير (ومعنى ينسأله فى أثره أى يؤخر له فى أجله وعمره) فقوله يؤخر تفسير لقوله ينسأ وقوله فى أجله

وعنه قال « كانَ أبو طلحةَ أكثرَ الأنصار بالمدينة مالا من نخلٍ وكان أحبُّ أمواله إليه بيرُحاء وكانت مستقبلةَ المسجد وكان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يدخلها ويشربُ من مَاءفيها طيِّب فلما نزلت هـذه الآيةُ « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تحبون » قام أبو طَلْحَةَ إلى رسول الله صلى اللهُ عليـه وسلم فقالَ يارَسُولَ الله إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعَالى يقُول لنْ تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون وإن أحبَّ مالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برَّها وذخرها عند الله ،

وعمره تفسير لقوله أثره كما علم مما تقدم وهل التأخير فيهما على حقيقته أو مجـاز مراد منه لازمه من الامداد ودوام الثناء بعده ؟ كل محتمل والعبارة فى الاول أظهر (وعنه قال كان أبو طلحة أكثر) بالمثلثة (الانصار بالمدينة مالا) تمييز عن نسبة الاكثرية اليـه (من نخل) بيان للمـال (وكان أحب أمواله) يجوز الرفع والنصب (اليه بيرحاء (١) وكانت مستقبلة المسجد) بكسر الموحـدة أى مقابلته وراءه (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها) أى الحديقة المذكورة (ويشرب من ماء فيها طيب) يجوز رفع طيب فاعل الظرف لاعتماده على الموصوف وجره صفة لماء (فلما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة) وسار قاصدا (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تبارك وتعالى عما لا يليق به وجملة (يقول) فى محل الخبر (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالى الى بير حاء) يحتمل أن يكون ذلك لعظم نماء أرضها وعظم ثمرها وكثرته وان يكون لمعنى آخر (وإنها) لكونها أحب الى (صدقة لله تعالى أرجو برها وأدخرها عند الله) الجملة الفعلية محتملة لكونها خبرا بعد خبر على حد قوله تعالى « وهذا ذكر مبارك أنزلناه » على أحد الوجوه

---

(١) قال فى النهاية : وفى حديث أبى طلحة أحب أموالى الى بيرحاء بفتح البـاء وكسرها وفتح الراء وضمها والمد فيهما وبفتحهما والقصر وهو اسم مال وموضع بالمدينة ، قال الزمخشرى فى الفائق إنها فيعلى من البراح وهى الارض الظـاهرة اهـ ش

فضعها يارسول الله حيثُ أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخٍ ذلك مال رابحٌ ، وقد سمعتُ ماقلتَ و إنّى أرى أن تجعلها فى الأقربين ، فقال أبو طلحة أفعلُ يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه » متفق . عليه وسبقَ بيان ألفاظه فى باب الانفاق مما يحب * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « أقبل رجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى ، قال فهل من والديك أحد حى ؟

فيه ولكونها حالا حذف عاملها وصاحبها أى أتصدق بها حال كونى أرجو برها (فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ) لتفخيم فعله والثناء عليه (ذلك مال رابح ذلك مال رابح) بالموحدة وبالهمزة والتكرير للتأكيد لأن المقام يقتضى الاطناب (وقد سمعت ما قلت وانى أرى) من الرأى والاجتهاد ففيه دليل لجواز الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ووقوعه (أن تجعلها فى الأقربين فقال أبو طلحة افعل) أى أصرفه لهم متبعا لرأيك (يا رسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه متفق عليه وسبق بيان ألفاظه) وبيان من خرج الحديث زيادة على من ذكره المصنف (فى باب الانفاق مما يحب بالمهملة والموحدة * (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال أقبل رجل) قال الشيخ زكريا هو جاهمة بن العباس بن مرداس أو معاوية بن جاهمة وقال شيخه الحافظ فى الفتح يحتمل أن يكون جاهمة بن العباس فقد روى النسائى وأحمد من طريق معاوية بن جاهمة « ان جاهمة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت الغزو وجئت لاستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها » الحديث ورواه البيهقى بنحوه اه فاقتصر على الأول وجعله احتمالا وقوله (الى نبى الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بأقبل (فقال أبايعك على الهجرة) اى مفارقة وطنى وسكنى المدينة قال القرطبى وهذا كان فى زمن وجوب الهجرة (والجهاد) فى سبيل الله (أبتغى الأجر من الله تعالى) مستأنفة استئنافا بيانيا لبيان سبب المبايعة الحامل عليها (قال فهل من والديك) خبر مقدم (أحد حى) مبتدأ وجىء بأحد

فقال نعم بل كلاهما ، قال فتبتغى الأجرَ من الله تعالى ؟ قال نعم ، قال فارجع إلى والديك فأحسن صُحبتهما » متفق عليه . وهذا لفظ مسلم * وفى رواية لهما جاء رجل فاستأذنه فى الجهاد فقال أحىٌّ والداك ؟ قال نعم ، قال ففيهما فجاهد »

توطئة ليقوم به حى (قال نعم بل) انتقال دل عليه جوابه بنعم من حياة أحدهما إلى الاخبار بحياتهما معا (كليهما) كذا هو منصوب بتقدير وجدت كليهما ويجوز كونه مرفوعا مبتدأ محذوف الخبر أى حيان وكتبت الالف بصورة الياء وقد نبه المصنف فى شرح مسلم على أن محل ذلك كله إذا لم يحضر الصف ويتعين للقتال (قال فتبتغى الاجر من الله تعالى) الهمزة والمعطوف عليه مقدران قبل الفاء العاطفة أى أتفعل ذلك فتبتغى الاجر من الله تعالى (قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما) أسقط الشارع عنه وجوب الهجرة تقديما لحق أبويه فان الهجرة ان كانت واجبة عليه فقد عارضها ما هو أوجب منها وهو حق الوالدين وإن لم تكن واجبة فالواجب أولى لكن هذا إنما يصح ممن يسلم له دينه فى موضعهما أما لو خاف على دينه وجب عليه الفرار به وترك آبائه وأبنائه كما فعل المهاجرون الذين هم صفوة الله من العباد وفى الحديث تقديم البر للوالدين على الجهاد (متفق عليه وهذا لفظ مسلم وفى رواية لهما) وهى كذلك عند البخارى فى الجهاد وعند مسلم فى الأدب ورواها أبو داود والترمذى والنسائى فى الجهاد وقال الترمذى حسن صحيح والبزار كذا من الأطراف للمزى ملخصاً (جاء رجل) كذا فى النسخة بحذف الظرف أى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ثابت فى الصحيحين والظاهر أنه اختصار من المصنف لدلالة ما قبله عليه أو فى الكتاب (فاستأذنه فى الجهاد فقال أحى والداك) الوصف فيه مبتدأ لاعتماده على الاستفهام ووالداك فاعله سد مسد خبره (قال نعم) أى هما حيان (قال ففيهما فجاهد)وقوله ففيهما متعلق بالأمر قدم للاختصاص والفاء الأولى جزاء لشرط محذوف والثانية جزائية لتضمن الكلام معنى الشرط أى إذا كان الأمر كما قلت فاخصص المجاهدة بخدمة الوالدين نحو « فإياى فاعبدون » فحذف الشرط وعوض عنه الظرف المفيد للاختصاص قاله العاقولى وقال ابن رسلان المراد بالجهاد فيهما جهاد النفس فى وصول البر اليهما بالتلطف بهما وحسن الصحبة والطاعة وغير ذلك وتقدم أن الجهاد الأكبر جهاد النفس

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصلُ الذى إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وصلها » رواه البخارى و (قطعت) بفتح القاف والطاء ورحمه مرفوع . وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى

الأمارة بالسوء اه قال المصنف هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما وأنه آكد من الجهاد وفيه حجة لما قال العلماء من أنه لا يجوز الجهاد إلا باذنهما إذا كانا مسلمين أو باذن المسلم منهما فلو كانا مشركين لم يشترط إذنهما عند الشافعى ومن وافقه وهذا كله حيث لم يحضر الصف ويتعين للقتال فحينئذ يجوز بغير إذن اه (وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الواصل) أى الكامل الوصل (بالمكافىء) وقال الطيبي أى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته الذى يكافىء صاحبه بمثل فعله ويعطيه نظير ما أعطاه « قلت » وقد أخرج عبد الرزاق عن عمر موقوفا « ليس الواصل أن تصل من وصلك ولكن الواصل أن تصل من قطعك » (ولكن) قال الطيبي الرواية فيه بالتشديد ويجوز التخفيف (الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها) أى الذى إذا منع أعطى (رواه البخارى) وأحمد وأبو داود والنسائى كلهم من حديث ابن عمر كما فى الجامع الصغير (وقطعت بفتح القاف والطاء) والعين المهملتين (ورحمه مرفوع) على الفاعلية قال العلقمى ضبط هكذا فى أكثر الروايات وفى بعضها بالبناء للمجهول قال السيوطى فى شرح الترمذى المراد بالواصل فى هذا الحديث الكامل فان فى المكافأة نوع صلة بخلاف من إذا وصله قريبه لم يكافئه فان فيه قطعا باعراضه عن ذلك وهو من قبيل « ليس الشديد بالصرعة » وليس الغنى عن كثرة العرض اه ، وتعقبه العلقمى بأنه لا يلزم من نفى الوصل ثبوت القطع فهم ثلاث درجات مواصل ومكافىء وقاطع فالواصل من يبدأ بالفضل والمكافىء من لا يزيد فى الاعطاء على ما يأخذ والقاطع الذى يتفضل عليه ولا يتفضل وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين فمن بدأ (١) فواصل فان جازى فمكافىء وإلا فقاطع اه (وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي

---

(١) قوله فمن بدأ فواصل الخ عبارة العلقمى فمن بدأ حينئذ فهو الواصل فان جوزى سمى من جازاه مكافئا وفى كلا العبارتين صعوبة اه . ش

صلى الله عليه وسلم قال : « الرحم معلَّقة بالعرشِ تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله » متفق عليه * وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها : « أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبىَّ صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعَرْتَ يارسول الله أنى أعتقت وليدتى ؟ قال أوَ فعلتِ ،

صلى الله عليه وسلم قال الرحم) بفتح الراء وكسر الحاء المهملة (معلقة بالعرش) الظاهر الحقيقة ويحتمل أن المعنى أنها لائذة برب العرش كما تقدم حديث بذلك فى الباب (تقول) استئناف بيان (من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله) قال المصنف قال عياض : الرحم التى توصل وتقطع معنى من المعانى ليست بجسم إنما هى قرابة ونسب فيكون ذكر قيامها وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة وصلها وعظيم إثم قطعها قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة يتعلق بالعرش ويتكلم على لسانها بأمر الله تعالى (متفق عليه) اقتصر فى الجامع الصغير على عزوه لمسلم * (وعن ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث) الهلالية (رضى الله عنها أنها اعتقت وليدة) (١) أى أمة قال فى المصباح الوليد الصبى المولود والجمع ولدان بالكسر والصبية والأمة وليدة والجمع ولائد اه (ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم) فيؤخذ منه صحة تصرف الزوجة مطلقا بغير إذن زوجها خلافا للامام مالك حيث منعه فيما زاد على الثلث إلا باذنه (فلما كان يومها) بالرفع وكان تامة (الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت) بفتح العين من باب قتل كما فى المصباح أى أعلمت (يارسول الله أنى أعتقت وليدة) كأن التنكير فيه لتحقيرها وتصغير شأنها من حيث إنها من عملها وفى نسخة وليدتى بالاضافة للياء (قال أو فعلت) أى أعتقتها وفعلت ، فالواو عاطفة على مقدر بعد الهمزة هذا ما مشى عليه فى مواضع كثيرة من الكشاف والبيضاوى فالاستفهام داخل على

---

(١) وفى المختار : الوليد الصبى والعبد والجمع ولدان كصبيان وولدة كصبية والوليدة الصبية والأمة والجمع الولائد اه . ع

قالت نعم ؟ قال أما إنك لو أعطيتِها أخوالك كان أعظم لأجرِك » متفق عليه *

وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما

المتعاطفين وجعل ابن مالك الهمزه مقدمة من تأخير وأن العاطف كان داخلا عليها وأن الأصل وأفعلت فصدرت الهمزة لصدارتها وتقدم التنبية على هذا فى باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف وخالف قوله فعله (قالت نعم قال أما) بتخفيف الميم أداة استفتاح (انك لو أعطيتها) بكسر التاء (أخوالك) أى قرابتك من جهة الأم قا المصنف كذا وقعت هذه اللفظة فى مسلم باللام ووقعت فى رواية الاصيلى أخواتك بالتاء قال القاضى ولعله أصح بدليل رواية الموطأ أعطيتها أختك « قلت » الجميع صحيح ولا تعارض ولعله صلى الله عليه وسلم قال ذلك كله (كان أعظم لأجرك) لما فيه من الصدقة مع صلة الرحم قال الحافظ فى الفتح قال ابن بطال فيه أن هبة ذى الرحم أفضل من العتق ويؤيده ما رواه الترمذى والنسائى وأحمد وصححه وابن خزيمة وابن حبان من حديث سلمان بن عامر الضبى مرفوعا « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » لكن لايلزم من ذلك أن تكون هبة ذى الرحم أفضل مطلقا لاحتمال أن يكون المسكين محتاجا ونفعه متعديا والآخر بالعكس وقد وقع فى رواية النسائى المذكورة فقال «أفلا فديت بها بنت أخيك من رعاية الغنم» فتبين وجه الاولوية المذكورة وهو احتياج القريب الى الخدمة وليس فى الحديث حجة على أن الصلة أفضل من العتق لأنها واقعة عين (١) فالحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال كما قدرته اه (متفق عليه * وعن أسماء) بالمهملة والالف الممدودة (بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما) اسم أمها (٢) قيلة بفتح القاف وسكون التحتية قاله ابن ماكولا وغيره قالوا ويقال أيضا فتيلة بقاف ثم فوقية ثم تحتية مصغرا قال فى فتح البارى . وقول الداودى اسمها أم بكر قال ابن التين لعله اراد كنيتها بنت

---

(١) المراد واقعة حال (٢) قال الكرمانى فى كتاب الهبة وأم أسماء هى قيلة بفتح القاف وسكون التحتانية وقال بعضهم قتيلة مصغر القتلة بالقاف والفوقانية اه . ش

قالت : قدِمتْ علىَّ أمى

عبد العزى ضبطه فى تاريخ دمشق بخط الحافظ أبى محمد وعلم عليه صورة راء وفى مواضع بالزاى كما هنا ابن سعد بن نضر بن مالك بن حسل بكسر المهملة الاولى وسكون الثانية ابن عامر بن لؤى بن غالب وكانت أسماء أسن من عائشة وهى أختها لأبيها وكان عبد الله بن أبى بكر شقيقها سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين لأنها صنعت للنبى صلى الله عليه وسلم ولابيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ما تشدها به فشقت نطاقها وشدت به السفرة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين هاجرت الى المدينة وهى حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أول مولود من المهاجرين ولد فى الاسلام بعد الهجرة قال عروة بلغت أسماء مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر من عقلها شىء روى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قيل ستة وخمسون حديثا « قلت » وذكر ابن الجوزى فى مختصر التلقيح أن لها ثمانية وخمسين حديثاً قال ولها فى الصحيحين اثنان وعشرون حديثا اتفقا على ثلاثة عشر منها وانفرد البخارى بخمسة ومسلم بأربعة اه روى عنها عبد الله بن عباس وابناها عبد الله وعروة وعبد الله بن أبى مليكة وغيرهم ، توفيت بمكة فى جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير ولم تبق بعد إنزاله من الخشبة إلا ليالى يسيرة قيل ثلاث وقيل عشر وقيل عشرون وقيل بضع وعشرون ، وفى تاريخ دمشق عن ابن أبى الزناد كانت أسماء أكبر من عائشة بعشر سنين ، وعن الحافظ أبى نعيم قال ولدت أسماء قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وكان لأبيها أبى بكر حين ولدت له احدى وعشرون سنة ، وفى تاريخ دمشق أنها شهدت غزوة اليرموك مع زوجها الزبير ، وفيه عن خليفة بن خياط أنها ولدت للزبير عبد الله وعروة وعاصما والمنذر والمهاجر وخديجة وأم حسن وعائشة ، وفى طبقات ابن سعد باسناد الصحيحين عن فاطمة بنت المنذر أن اسماء كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها وفيها عن الواقدى كان ابن المسيب من أعبر الناس للرؤيا أخذه عن أسماء وأخذته عن أبيها وفى تاريخ دمشق عن مصعب بن الزبير قال « فرض عمر رضى الله عنه الاعطية ففرض لأسماء ألف درهم » وفى رواية « ففرض للمهاجرين الفا الفا منهن أم عبد وأسماء » اه من التهذيب للمصنف ملخصاً (قالت قدمت) بكسر الدال المهملة (على) أى من مكة الى المدينة (أمى)

وهى مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قدِمتْ علىّ أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال نعم صِلى أمَّك »

تقدم ذكر اسمها ونسبها فى ترجمة بنتها أسماء آنفا) وهى مشركة) وقال المنصف فى التهذيب : وذكر ابن الاثير اختلاف العلماء والروايات فى اسلامها وأكثر الروايات أنها لم تسلم ومثله فى شرح مسلم (فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى معاهدته مع المشركين و تأمينه لهم فى الحديبية كما فى الحديث الآتى فى كلام الحافظ وغيره وأرادت ما بين الحديبية والفتح و قد جاء عن ابن سعد وأبى داوود الطيالسى « أنها قدمت على ابنتها بهدايا زبيب وسمن وقرط فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها فأرسلت الى عائشة سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لتدخلها « الحديث (فاستفتيت رسول الله صلى عليه وسلم) هذا مجمل بينته بقولها (قلت قدمت على أمى) زاد بعض رواة الحديث «مع أبيها» وهو كذلك فى البخارى فى الجزية والادب قال الحافظ واسم ابيها الحارث بن مدرك بن عبيد بن عمرو بن مخزوم ولم أر له ذكرا فى الصحابة وكانه مات مشركا اه وما ذكره فى نسب أمها مخالف لما تقدم عن التهذيب للمصنف فى ترجمة اسماء (وهى راغبة) جملة حالية أى راغبة عن الاسلام وكارهة له وقيل معناه طامعة فيما أعطيها حريصة عليه وفى رواية أبى ذر « قدمت على أمى راغبة فى عهد قريش وهى راغمة مشركة » فالأول بالباء أى طالبة صلتى والثانى بالميم أى كارهة للاسلام ساخطته وفى فتح البارى نقل المستغفرى أن بعضهم أوله فقال وهى راغبة فى الاسلام فذكرها لذلك فى الصحابة ورده أبو موسى بأنه لم يقع فى شىء من الروايات ما يدل على اسلامها (أفأصل أمى) أى أتصدق عليها فأصلها مع كفرها ولا يكون ذلك من موادة الكفار وموالاتهم (قال نعم) وهو كاف عن قوله (صلى امك) وأتى به تأكيدا واهتماما زاد البخارى فى الادب فأنزل الله عز وجل فيها (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين » قال الحافظ فى الفتح روى ابن أبى حاتم عن السدى أنها نزلت فى ناس من المشركين كانوا ألين جانبا للمسلمين وأحسن أخلاقا ، قال الحافظ : قلت لا منافاة بينهما فان

متفق عليه . وقولها (راغبة) أى طامعة فيما عندى تسألنى شيئاً ؛ قيل كانت أمّها من النسب وقيل من الرضاعة ، والصحيح الأول * وعن زينبَ الثَّقفيةِ امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعنها

السبب خاص واللفظ عام فيتناول كل من كان فى معنى والدة أسماء اهـ وفى الحديث جواز صلة القريب المشرك (متفق عليه) ورواه البخارى فى الهبة والجزية والأدب ومسلم فى الزكاة وأبو داود فيها أيضاً كذا لخص من الاطراف للمزى (وقولها) أى أسماء واصفة لأمها (راغبة) بالغين المعجمة والموحدة (أى طامعة فيما عندى تسألنى شيئاً) من الاحسان (قيل كانت أمها من النسب وقيل من الرضاعة والصحيح الاول) حكاية هذا الخلاف هنا مما فات شرح مسلم التنبيه عليه قال الحافظ فى الفتح أخرج ابن سعد وأبو داود الطيالسى والحاكم من حديث عبد الله بن الزبير قال « قدمت قتيلة ، بالقاف والمثناة مصغرة ، بنت عبدالعزى بن سعد بن نضر بن مالك بن حسل ، بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، على ابنتها أسماء بنت أبى بكر فى الهدنة وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية بهدايا زبيب وسمن وقرط فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها وأرسلت إلى عائشة سلى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لتدخلها » الحديث وعرف منه تسمية أم أسماء وأنها أمها حقيقة ومن قال إنها أمها من الرضاعة فقد وهم وأما قول الداودى إن اسمها أم بكر فقد قال ابن التين لعله كنيتها كما تقدم * (وعن زينب الثقفية) بمثلثة وقاف مفتوحتين وفاء مكسورة منسوبة إلى ثقيف بوزن رغيف (امرأة) بهمزة وصل ويقال مرأة بحذفها ويقال مرة بنقل حركة الهمزة إلى الراء زوجة (عبد الله ابن مسعود) الهذلى (رضى الله عنه وعنها) عدل عن قوله عنهما مع انه أخصر لما يوهمه من عوده لابن مسعود وأبيه لكونهما أقرب مذكور وفى تقديمه عليها مع تأخر ذكره إشارة إلى شرف الذكورية ومجدها قال المصنف فى التهذيب اختلف فى اسم امرأة ابن مسعود فقال جماعة اسمها زينب ولعله قول الاكثرين وهى زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفى وقيل اسمها رايطة وقيل ريطة بنت عبد الله هكذا ذكر هذه الاقوال جماعة من العلماء منهم الخطيب البغدادى فى المبهمات وجعل ابن سعد فى الطبقات زينب ورايطة امرأتين لابن مسعود « قلت » وبعض

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصدقن يامعشر النساء ولو من حليّكن قال فرجعت

أهل اللغة ينكر وجود رابطة فى كلام العرب وذكر أبو عمرو الزاهد فى آخر شرح الفصيح عن ابن الاعرابى قال يقال ربطة لاغير ولم يحك عن العرب رابطة وأفصح اللغات عائشة وقد يقال عيشة لغة فصيحة اه ملخصا « قلت » قال الحافظ فى الفتح زينب الثقفية يقال لها رابطة أيضا وقع ذلك فى صحيح ابن حبان ويقال هما ثنتان عند الاكثر وممن جزم به ابن سعد قال الكلاباذى رابطة هى المعروفة بزينب وبه جزم الطحاوى فقال رابطة هى زينب لانعلم لعبد الله امرأة فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرها ، روى لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث منها فى الصحيحين حديثان اتفقا على أحدهما وهو حديث الباب وانفرد مسلم بحديث آخر كذا فى مختصر التلقيح (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقن) أمر لجماعة النسوة كما قال (يامعشر النساء) أى جماعة النساء ومقتضى قول المصباح المعشر والقوم والرهط والنفر لجماعة الرجال دون النساء اه استعمل فى غير موضوعه وكأنه لأنهن لما أمرن بالتصدق وانما يبعث عليه الايقان الذى هو وصف كمل الرجال كما قال صلى الله عليه وسلم « والصدقة برهان » خوطبن بذلك ثم رأيت فى التحفة للشيخ زكريا : المعشر كل جماعة أمرهم واحد وفيه رد على ثعلب حيث خصه بالرجال الا إن أراد بالتخصيص حالة الاطلاق لاحالة تقييده (ولو من حليكن) فلت يحتمل أن يكون مفردا فيكون بفتح المهملة وبسكون اللام وأن يكون جمعاً فيكون بضم المهملة وكسر اللام وتشديد الياء وأصله على وزن فعول كفلس وفلوس فأعل كما فى المصباح وفى المشارق للقاضى عياض تصدقن ولو من حليكن وهو ماتتحلى به المرأة وتتزين به يقال بفتح الحاء وسكون اللام وبضم الحاء وكسرها وكسر اللام وقد قرئ بهما جميعاً اه واختصره صاحب المطالع ولم أقف على من ضبط الرواية فيه ، وفى فتح الاله كأن وجه جعله غاية أن النساء لا يسمحن بالتفريط فيه إلا لمهم انحصر الخلاص فيه كأنه يقول الصدقة أمر مهم جداً فكما تسمحن باخراج حليكن فى الأمر المهم عند فقد غيره فاسمحن باخراجه فيها إذا لم تجدن غيره (قالت فرجعت) بتاء المتكلم

إلى عبد الله بن مسعود فقلت إنك رَجلٌ خفيفُ ذاتِ اليد وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فان كان ذلك يجزىء عنى و إلا صرفتها إلى غيركم فقال ، عبد الله بل ائتيه أنت فانطلقت فاذا امرأة من الأنصار

ويحتمل أن يكون بتاء التأنيث فيكون فيه التفات على طريق السكاكى (الى عبد الله بن مسعود فقلت انك رجل خفيف ذات) زائدة للتأكيد (اليد) أى قليل المال ولم تقله تعييراً له ولا استخفافا بحقه بل توطئة لقولها (وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بالصدقة) أى أمر ندب بدليل الحلى فانه لا زكاة فيه نعم جاء أنه كان زكويا ثم نسخت منه فان كان قبله فيحتمل كونه أمر إيجاب وعلى كل فالامتثال مطلوب ولا يشكل على الوجه الثانى صرفه لأولادها لأنه يجوز للمزكى صرف زكاته الى أولاده الذين لا تلزمه نفقتهم وكذا أصوله كذلك (فأته فاسأله) هل يجزى عنى التصدق عليك وعلى أولادى فأصرفها عليكم أولا ؟ وأفاد هذا قولها عاطفة بالفاء المفيدة لتفصيل المسئول (فان كان ذلك يجزىء) أى يسقط الفرض (عنى) إن قلنا انها زكاة أو يجزىء فى الوقاية من النار لحصول الصدقة المأمور بها إن قلنا إنها تطوع ، أشار اليه الحافظ فى الفتح وجواب الشرط محذوف لدلالة المقام عليه أى دفعتها لكم (وإلا صرفها الى غيركم) قالت (فقال عبد الله بل ائتيه أنت) لعل ذلك منه استحياء أو بيانا انها الأولى بالسؤال لأنه أمر يتعلق بها (فانطلقت فاذا امرأة من الأنصار) قال الحافظ فى الفتح أخرج النسائى عن ابن مسعود قال : انطلقت امرأة عبد الله يعنى ابن مسعود وزينب امرأة أبى مسعود يعنى عقبة بن عمرو الأنصارية « قلت » لم يذكر ابن سعد لأبى مسعود امرأة أنصارية سوى هذيلة بنت ثابت بن ثعلبة الأنصارية فلعل لها اسمين أووهم من سماها زينب انتقالا من اسم امرأة عبد الله الى اسمها اه وإذا للمفاجأة والمفاجأة حضور الشىء معك فى وصف من أوصافه الفعلية كخرجت فاذا الأسد بالباب معناه حضور الأسد معك فى زمان أو مكان وصفك بالخروج وتقدير المكان أولى لأنه الذى يخصك فهو ألصق بك من الزمان وكلما كان ألصق كانت المفاجأة فيه أقوى قال ابن مالك هى حرف وقال المبرد وغيره هى ظرف مكان وقال الزمخشرى كالزجاج ظرف زمان وناصبها فاجأه ورد أن ناصبها الخبر المذكور أو المقدر ولم تذكر فى القرآن إلا

بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتى حاجتُها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقيت عليه المهابةُ فخرج علينا بلالٌ فقلنا له ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرْه أن امرأتين بالباب يسألانك أتجزىء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن ، فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الزيانب ؟ قال امرأة عبد الله

وخبر المبتدأ بعدها مذكوراً (بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى واقفة به (حاجتها حاجتى) من التعبير البليغ (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قد ألقيت عليه المهابة) بفتح الميم مصدر ميمى أى الهيبة وهى الاجلال وكان فيه للاستمرار أى أنه مهاب (١) موقر مع ما كان عليه من عظيم حسن الخلق وبديع التواضع حتى كان أصحابه فى مجلسه يعتريهم من ذلك ما يصيرون به خاضعين خافضين رءوسهم كأن على رءوسهم الطير (فخرج علينا فلال فقلنا له ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا ينافى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له حاجب ولا بواب لان بلالا لم يكن موقفا لذلك وانما صادف وقوفهما وجوده عند النبى صلى الله عليه وسلم فأخرجه اليهما ليسألهما عن حاجتهما (فأخبره بأن) الباء زائدة فى المفعول الثانى للتأكيد (امرأتين) واقفتان (بالباب يسألانك أيجزىء) بضم الياء والهمزة من الاجزاء بمعنى الاسقاط وبفتح الياء وترك الهمزة آخره بمعنى يكفى (الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما) أى ولايتهما وتربيتهما (ولا تخبره) أى اذا لم يسألك عنا (من نحن) أى فأنا نستحي من ذلك (قالت فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الزيانب ؟ قال امرأة عبد الله) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض وفيه حذف ولفظ مسلم الذى ساق المصنف الحديث بلفظه « فساله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من هما ؟ قال امرأة من الانصار وزينب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الزيانب ؟ فقال امرأة عبد الله » ولفظ البخارى « فلما

---

(١) كذا . والصواب مهيب أو مهوب بوزن مبيع ومقول . ع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة » متفق عليه

وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فى حديثه الطويل فى قصة هرقلَ أن هرقلَ قال لأبى سفيان فماذا يأمركم به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت يقول « اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً

صار الى منزله جاءت زينب امرأة ابن مسعود تستاذن عليه فقيل يا رسول الله هذه زينب فقال أى الزيانب ؟ فقيل امرأة ابن مسعود » (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها) كذا فيما رأيت بافراد الضمير وكانه لتعيينها وحكم صاحبتها معلوم من ذكر حكمها لأن المادة واحدة والذى فى مسلم « لهما » بضمير التثنية وحاصل الجواب أن ذلك يجزىء عنهما ولهما عليه) أجران أجر القرابة) فى الأولاد أى أجر صلة الرحم التى تكفل الله لمن وصلها بأن يصله بمالا يقدر غيره سبحانه قدره (وأجر الصدقة) فيهم وفى الزوج وفى الحديث تغليب فان ابن مسعود كان زوجا فقط وفى الحديث إن أحق الناس بصرف صدقة التطوع والزكاة والنذر والكفارة والوقف والوصية وسائر وجوه البر الاقارب وبه أخذ ائمتنا (متفق عليه) واللفظ لمسلم أخرجاه فى الزكاة وأخرجه النسائى فى عشرة النساء وابن ماجه فى الزكاة * (وعن أبى سفيان) بتثليث سينه المهملة والضم أشهر (صخر) بفتح المهملة وسكون الخاء المعجمة بعدها راء (ابن حرب) بفتح الحاء المهملة وسكون الراء بعدها موحدة ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموى (رضى الله عنه) وسبقت ترجمته والكلام على حديثه فى باب الصدق (فى حديثه الطويل) المذكور فى صحيح البخارى فى كتاب بدء الوحى وفى صحيح مسلم فى اثناء كتاب الجهاد (فى قصة هرقل) بمنع الصرف للعلمية والعجمة (أن هرقل قال لأبى سفيان فماذا) أى فما الذى (يأمركم به يعنى) أى هرقل بمرجع الضمير المستتر فى يأمركم (النبي صلى الله عليه وسلم) وهذه الجملة من كلام المصنف احتاج اليها لأنه ذكر هذا القطعة المشتملة على ضمير لم يصرح بذكر مرجعه فى باقى الخبر (قال قلت يقول اعبدوا الله وحده) أى وحدوه (ولا تشركوا به شيئاً) بيان للتوحيد المأمور به وتنكير شىء للعموم فيشمل الشرك الأكبر وهو الكفر والأصغر وهو الرياء فالعبادة

واتركوا مايقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة » متفق عليه وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنكم ستفتحون أرضا يُذكر فيها القيراط » وفى رواية « ستفتحون مصرَ

الكاملة ما قصد بها التقرب لوجه الله سبحانه وتعالى دون ماسواه مطلقا (واتركوا ما يقول آباؤكم) من الكفر (ويأمرنا) من عطف الرديف باعتبار المعنى إذ التوحيد وترك الكفر من جملة ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه خالف بين العبادتين تفننا ولاختلاف نوعهما إذ مدخول القول هو الأصول وما بعد الأمر هو الأخلاق المبنية عليها الملاحظة بعدما تقدمها (بالصلاة والصدق) فى الأقوال والأفعال (والعفاف) عن المحارم (والصلة) للارحام (متفق عليه) وعن أبى ذر) جندب بن جنادة وسبقت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المراقبة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) هو من الأخبار بالمغيبات فهو من جملة الاعجاز وقد وقع كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فلله الحمد (انكم ستفتحون) السين لتأكيد الوعد قال البيضاوى لن يفعل نفى سيفعل، ومايفعل نفى يفعل اه وفى المغنى زعم الزمخشرى أنها أى السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لامحالة ولم أر من فهم وجه ذلك ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل فدخولها على ما يفيد الوعد والوعيد مقتض التوكيد اه (أرضا يذكر) بالبناء للمجهول (فيها القيراط) قال فى المصباح أصله قراط لكنه أبدل من أحد المضعفين ياء للتخفيف كما فى دينار ونحوه ولهذا يرد فى الجمع والتصغير الى أصله فيقال قراريط وقريريط قال بعض الحساب القيراط فى لغة اليونان حبة خرنوب وهو نصف دانق والدانق عندهم اثنا عشر حبة والحساب يقسمون الاشياء أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له ربع وثمن ونصف وثلث صحيحات من غير كسر اه وقال المصنف قال العلماء القيراط جزء من الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به (وفى رواية) هى لمسلم أيضا (ستفتحون مصر) بمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار إرادة البقعة سميت باسم أول من سكنها وهو مصر بن بنصر بن سام ابن نوح وحدها طولا من برقة التى فى جنوب البحر الرومى الى أيلة ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما وعرضا من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الاعلى

وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذِمَّةً ورحماً » وفى رواية « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً ، أو قال ذمة وصهراً » رواه مسلم قال العلماء : الرحم التى لهم كون هاجر أم اسمعيل صلى الله عليه وسلم منهم ، والصهر كون مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

الى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما (وهى أرض يسمى) أى يذكر كثيرا (فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً) يحتمل أن تكون معطوفة على جملة ستفتحون بناء على جواز عطف الانشاء على الخبر ويحتمل الاستئناف وتنكير خيرا للتعميم والتكثير (فان) الفاء فيه للسببية أى بسبب أن (لهم ذمة) أى ذماما أى حقا وحرمة (ورحما أو قال) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وهو شك من الراوى (ذمة وصهرا) بدل قوله ورحما قال فى المصباح قال الخليل : الصهر اهل بيت المرأة قال ومن العرب من يجعل الاحماء والاختان جميعا أصهارا ، وقال الازهرى : الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوى المحارم وذوات الارحام ومن كان من قبل الزوج من ذوى قرابة المحارم فهم أصهار المرأة أيضا وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه وأخيه وعمه فالاحماء ، ومن كان من قبل المرأة فالاختان ويجمع الصنفين الاصهار اه ملخصاً (وفى رواية فاذا) أتى بها لانها تستعمل فى المحقق وقوعه بخلاف إن الشرطية (فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها) بأنواع الاحسان كما يؤذن به حذف المعمول ويومىء اليه قوله فى الرواية السابقة خيرا (فان لهم ذمة ورحما أو قال ذمة وصهراً رواه مسلم) فى الفضائل (قال العلماء الرحم التى لهم) أى فى الحديث (كون هاجر) بفتح الجيم وتبدل الهاء همزة وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة أو والتأنيث المعنوى (أم اسماعيل) بن ابرهيم (صلى الله عليه) وعليه (وسلم منهم) أى من مصر لانها اعطاها الجبار لسارة امرأة ابراهيم عليه السلام لما منعته يد القدرة عنها فاعطتها سارة ابراهيم فحملت منه باسماعيل (والصهر كون مارية أم ابراهيم بن) سيدنا وسيد الخلق اجمعين (رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم) لان المقوقس

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال « لما نزلت هـذه الآية « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ؛ يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ،

صاحب مصر لما كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام لم يسلم وارسل بهدية الى النبي صلى الله عليه وسلم منها مارية وسيرين فحملت مارية بابراهيم وأعطى صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت الانصارى وهذا التفسير عزاه هنا للعلماء لعدم الخلاف فيه ولم يعزه الى احد فى شرح مسلم لان المتفق عليه لا يحتاج الى العزو والله اعلم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هـذه الآية) المبينة بقوله (وأنذر عشيرتك الاقربين) أى قرابتك الادنين (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا) هم ولد النضر بن كنانة على الصحيح (فاجتمعوا فعم) أى دعاهم بما يعمهم (وخص) أى خصص بعضاً بالنداء وبين كيفية التعميم والتخصيص بقوله (فقال يا بنى كعب بن لؤى) بحذف تنوين كعب لفظا وألف ابن خطأ ، ومثله كل ابن وقع بين علمين مالم يقع فى ابتداء سطر (أنقذوا أنفسكم) أى خلصوها (من النار) المترتبة على الكفر والعصيان بالايمان بالله تعالى وطاعته وأداء عبوديته (يا بنى عبد مناف) (١) بكسر دال عبد لأنه مركب إضافى ومناف محول عن منات اسم لصنم قال السهيلى فى الروض الأنف (٢) كانت أمه قـد أخدمته منات وكان صنما عظيما لهم وكان يسمى عبد منات ثم نظر قصى فرآه يوافق عبد مناف بن كنانة فحوله عبدمناف ذكره البرقى والزبير (أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم) لقب به لهشمه الثريد لقومه واسمه عمرو (أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب) قاله المطلب جد الامام الشافعى لما جاء به من المدينة

---

(١) فى المتون المجردة قبل قوله يا بنى عبد مناف «يابنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار » . ش (٢) اسم كتاب وروض أنف بضمتين أى لم يرعها أحد كأنه استؤنف رعيها . ع

يا فاطمةَ أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها » رواه مسلم قوله صلى الله عليه وسلم « ببلالها » هو بفتح الباء الثانية وكسرها والبلال الماء . ومعنى الحديث سأصلها . شبه قطيعتها بالحرارة تُطْفَأُ بالماء، وهذه تبرد بالصلة . وعن أبى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما

مردفا له على راحلته وعليه ثياب بذلة فكان إذا سئل عنه يقول عبدى حتى ألبسه قال ابن أخى فغلب عليه ذلك واسمه كما قال السهيلى شيبة (أنقذوا أنفسكم من النار) وهذا آخر ما عمم فيه وقال مخصصا (يا فاطمة) بالضم قال المصنف كذا وقع فى بعض الأصول وفى بعضها أو أكثرها يا فاطم بحذف الهاء على الترخيم وعليه فيجوز ضم الميم وفتحها كما عرف فى نظائره أى من الانتظار وعدمه (أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا) قال المصنف معناه : لاتتكلوا على قرابتى فانى لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم (غير) استثناء منقطع وترادفها فى هذا المعنى والاستعمال بيد ، ومنه حديث « نحن الآخرون السابقون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا » والمعنى هنا لكن حصل (أن لكم رحما سأبلها ببلالها رواه مسلم) فى كتاب الايمان والنسائى فى الوصايا وذكر الحافظ فى النكت الظراف أن البخارى أخرجه عقب حديث شعيب عن الزهرى فقال تابعه أصبغ عن ابن وهب اه (قوله صلى الله عليه وسلم ببلالها هو بفتح الباء الثانية) أى التى هى أول الكلمة أما الأولى الجارة فمكسورة لا غير (وكسرها) قال فى شرح مسلم ضبطناه بهما وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعة من العلماء وقال عياض رويناه بالكسر قال ورأيت الخطابى أنه بالفتح وقال صاحب المطامع رويناه بكسر الباء وفتحها من بله يبله (والبلال الماء) وفى المصباح وقيل البلال ما يبل به الحلق من ماء ولبن (ومعنى الحديث سأصلها شبه قطيعتها بالحرارة) تشبيها مضمراً فى النفس وأثبت لازم المشبه وهو ماتضمنه قوله (تطفأ) بالبناء للمجهول (بالماء وهذه تبرد بالصلة) قال المصنف ومنه حديث « بلوا الأرحام » أى صلوها من البلل المذهب حرارتها فالتشبيه المضمر فى النفس استعارة مكنية واثبات البلال تخييل » (وعن أبى عبد الله عمرو بن العاص) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه)

قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي وإنما وليي الله وصالحُ المؤمنين ، ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلالها » متفق عليه

في باب بيان كثرة طرق الخير (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهاراً) منصوب على الحال أي حال كونه مجاهراً بالقول (غير مسر) ووقوع المصدر حالا كثير لكن مع ذلك هو سماعي وابن العاص من العرب الذين لهم ذلك فيه أو مفعول مطلق أي يجهر به جهراً وقوله غير مسر صفة مؤكدة (يقول إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء) هذا لفظ مسلم والذي في البخاري « إن آل أبي » قال عمرو يعني ابن عباس شيخ البخاري « في كتاب محمد بن جعفر ـ أي شيخ عمرو ـ بياض » قال السيوطي أي موضع أبيض بغير كتابة اسم للمضاف اليه قال الشيخ زكريا في التحفة المراد بفلان أبو طالب أو أبو العاص ابن أمية والمراد من آله من لم يسلم منهم اهـ وقال السيوطي وفي مستخرج أبي نعيم « أن آل أبي طالب » فقيل الراوي له عنبسة بن عبد الواحد أموي من الناصبة المنحرفين على علي فلا يقبل منه هذا التعبير وقيل هو محمول على غير المؤمنين ، وعلى كونه العاص فانما أبهمه الراوي لخوف مفسدة تترتب على ذكره قال الدلجي لأن الأمر حينئذ كان في ذويه اهـ وفي تعليق المصابيح للدماميني قال ابن العربي في سراج المريدين معنى الحديث آل أبي طالب قال ومعناه أني لست أخص قرابتي ولا فصيلتي الأدنين بولاية دون المسلمين وانما رحمهم معي في الطالبية فسأبلها ببلالها أي أعطيها حقها فان المنع عند العرب يبس والصلة بل (إنما وليي) أي ناصري والذي أتولاه في جميع الأمر (الله وصالح المؤمنين) كذا رأيته بحذف الواو من صالح على أنه مفرد مضاف اكتفى بعمومه ويؤيده آية « فان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » فالحديث على طبق الآية فانها دلت على حصر أوليائه فيمن ذكر قال الكوراني في التفسير المراد بصالح المؤمنين أبو بكر أو عمر أوهما أو علي أو كل من برىء من المؤمنين من النفاق ، أو هم الأنبياء ، وصالح المؤمنين مفرد يراد به الجمع كقوله « السارق والسارقة » وزعم بعضهم أنه يجوز أن يكون أصله صالحو فكتب بغير واو اتباعا للفظ (ولكن) استدراك لما قد يتوهم من عدم مواصلتهم باثباتها بقوله (لهم رحم أبلها ببلالها » متفق عليه) رواه البخاري في الأدب ومسلم في الايمان

واللفظ للبخارى * وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه « أن رجلا قال يارسول الله أخبرنى بعمل يُدخلنى الجنةَ ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيمُ الصلاة وتؤتى الزكاة وتَصِلُ الرحم » متفق عليه

(واللفظ للبخارى) ورواه البزار * (وعن أبى أيوب خالد بن زيد) بن كليب ابن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار (الأنصارى) الخزرجى النجارى المدنى الصحابى الجليل (رضى الله عنه) شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ونزل عنده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجراً وأقام عنده أشهراً حتى بنيت مساكنه ومسجده روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وخمسون حديثاً اتفقا على سبعة منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بآخر وروى عنه البراء بن عازب وجابر بن سمرة وأبو أمامة الباهلى وزيد ابن خالد الجهنى وابن عباس وكلهم صحابة رضى الله عنهم وخلائق من التابعين توفى بأرض الروم غازياً سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين وقبره بالقسطنطينية حرسها الله بمنه (أن رجلا) قال الشيخ زكريا هو أبو أيوب الراوى كما قال ابن قتيبة ولا مانع أن يبهم الراوى نفسه لغرض له وأما تسميته فى حديث آخر عن أبى هريرة عند البخارى بأعرابى فلا ينافى ذلك لجواز التعدد وذلك الأعرابى هو ابن المنتفق قيل واسمه لقيط بن صبرة اه (قال يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة) برفع يدخلنى على أنه صفة عمل وجواب الأمر محذوف أى يثبك الله ويجوز أن يجزم على أنه جواب الأمر وعليه فتنوين عمل للتعظيم والتفخيم ليكون بالوصف مقيداً (فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله ولا تشرك به شيئاً) عطف على ما قبله مفيد لبيان العبادة المعتد بها أو حال باضمار مبتدأ كما تقدم فى الباب نظيره (وتقيم الصلاة) أى تأتى بها مستجمعة لأركانها وشرائطها وسننها (وتؤتى) أى تعطى (الزكاة وتصل الرحم) وخص الرحم بالذكر لقربها من السائل أو نظراً لحاله كأنه كان قاطعا لها فأمر بصلتها لأنها المهم بالنسبة اليه وعطف الصلاة وما بعدها على العبادة من عطف الخاص على العام (متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة

وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة ، فان لم يجد تمرا فالماء فانه طهور ، وقال الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة » * حديث حسن رواه الترمذى وقال

ومسلم فى الايمان ورواه النسائى فى كتاب الصلاة وكتاب العلم قاله الحافظ المزى (وعن سلمان بن عامر) بن أوس بن حجر بن عمرو بن الحارث بن تيم بن ذهل ابن مالك بن سعد بن بكر بن ضبة بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر الضبي (رضى الله عنه) قال مسلم لم يكن فى الصحابة ضبي غيره نزل البصرة وله بها دار بقرب الجامع روى عنه محمد وحفصة ولداسيرين ، روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا انفرد البخارى بحديث واحد ذكره فى مختصر التلقيح واقتصر المصنف فى التهذيب على أن البخارى روى عنه حديثا واحدا (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أفطر أحدكم) أى أراد الفطر من صومه (فليفطر على تمر) اسم جنس جمعى فأقله ثلاثة وهذا عند فقد الرطب وإلا فهو مقدم عليه كما جاء من فعله صلى الله عليه وسلم ذلك (فانه) أى التمر (بركة) لما فيه من حفظ البصر وجمع ما تفرق منه بالصوم ومن أنه اذا وصل المعدة فان وجد فيها فضلة من بقايا الطعام أخرجها والا كان غذاء وقول الاطباء يضعف البصر محمول على كثيره المضر دون قليله (فان لم يجد تمرا فالماء) بالجر أى فليفطر عليه كما جاء كذلك فى رواية عند رواة هذا الحديث (فانه طهور) أى مزيل للخبائث المعنوية والحسية وأخذ من هذا الحديث لاطلاق الماء فيه ، رد ماقيل من تقديم زمزم لمن بمكة على التمر فان جمع بينهما فحسن والترتيب المذكور للاستحباب فلو أفطر بالماء مع وجود التمر حصل أصل سنة الافطار على الماء (وقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم عطف على قال الأول فهو من جملة ما رواه سلمان (الصدقة على المسكين صدقة) أى ثوابها ثواب صدقة واحدة (وعلى ذى الرحم) أى القرابة من الاب أو الام وان بعد (ثنتان صدقة وصلة) أى فيها ثوابان جليلان ثواب الصدقة وثواب صلة الرحم (حديث حسن) هذا التحسين من المصنف ومايأتى بعد من الترمذى فلا تكرار ، وذلك لأن تحسينات الترمذى ليست مسلمة له كما علم من سر كلامهم (رواه الترمذى وقال

حديث حسن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « كانت تحتى امرأة وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها فأبيت ، فأتى عمر رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبى صلى الله عليه وسلم طلقها »رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى الدرداء رضى الله عنه « أن رجلا أتاه فقال إن لى امرأة و إن أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد

حديث حسن) وكذا رواه احمد والنسائى وابن ماجه والدارمى وروى الحديث عنه أبو داود أيضا وابن عدى الا أن قوله « فانه بركة » انفرد به عنهم الترمذى كما فى المشكاة وفى الجامع الصغير بعد ذكر الحديث الأول باللفظ المذكور هذا رواه ابن عدي (١) وابن خزيمة وابن حبان وبعد ذكر الحديث الثانى (٢) ورواه الحاكم فى المستدرك (وعن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال كانت تحتى امرأة) لم أقف على من سماها (وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها) أمره بذلك لكراهته لها والظاهر أنها دينية أو خشى أن تجره الى ضرر فى دينه (فأبيت) أى لما لها من الحب عندى (فأتى عمر النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له) أى ابائى وامتناعى من طلاقها بعد أمره لى به (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) من باب زيادة البر بالوالد (طلقها) والظاهر أنه طلقها لأنه لا يتخلف عن امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكأن السكوت عن ذلك للعلم به من أحواله وكمال اتباعه المانع ذلك من خطور البال لمخالفة أمره صلى الله عليه وسلم (رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى الدرداء) عويمر تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب ملاطفة اليتيم (أن رجلا أتاه فقال ان لى امرأة وان أمى تأمرنى بطلاقها) أى وأنا لا أريد ذلك لمحبتها أولسبب اخر (فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الوالد) يشمل الأبوين

---

(١) قوله (ابن عدى الخ) هو هكذا فى النسخ والذى فى الجامع الصغير رواه حم عنه وابن خزيمة وحب (٢) قوله (وبعد ذكر الحديث الثانى الخ) الذى فى الجامع الصغير رواه حم ت ن ه ك . ع

أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضِعْ ذلك الباب أو احفظه» رواه الترمذى وقال حديث صحيح * وعن البراء بن عازب . رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الخالة بمنزلة الأم »

وان علوا (أوسط أبواب الجنة) قال أبو موسى المدنى أى خيرها يقال هو من أوسط قومه أى من خيارهم قال العراقى والمعنى أن بره مؤد الى دخول الجنة من أوسط أبوابها وقال العاقولى المعنى أحسن ما يتوصل به الى دخول الجنة بر الوالدين وكلام العراقى أقرب فيكون فى الحديث مضاف الى المبتدأ وآخر فى الخبر (فان شئت فأضع ذلك الباب) أى بعدم برها وترك امتثال أمرها (أواحفظ) بذلك وإن لم يكن واجباً البر بالطلاق لكنه بر لها وإجلال لأمرها فامتثله وما ذكرته من أن ما ليس واجباً اصالة لا يصير واجباً بأمرهما هو ماعليه الجمهور فقالوا إن أمرا بمباح فى أصله صار مندوبا أو بمندوب زاد تأكد ندبه ، وادعى القرطبي فى المفهم أنه إذا أمراه أو أحدها بأمر وجبت طاعتهما فيه وإن لم يكن فى أصله واجباً بل كان من المباحاة ثم نقل المقابل عن البعض ثم قال والصحيح الأول لأن الله تعالى قرن طاعتهما والاحسان اليهما بوجوب عبادته وتوحيده وكذا جاء فى السنة فذكر حديث ابن عمر المذكور ثم قال فان قيل يرتفع حكم الله الأصلى بحكم غيره الطارىء « قلت » إنما ارتفع حكمه تعالى بحكمه لانه أوجب علينا طاعتهما والاحسان اليهما وكان من ذلك امتثال أمرهما فوجب لأنه لا يحصل ما أمر الله به إلا بالامتثال ولأن مخالفتهما فى أمرهما عقوق اه وفيه مالا يخفى وقوله « فان شئت » مدرج فى آخر الخبر من كلام أبى الدرداء والحديث (رواه الترمذى وقال حديث صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه أحمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك * (وعن البراء) بالتخفيف والمد (ابن عازب) بالمهملة والزاى والموحدة (رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال) فى عمرة القضاء لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وتبعته بنت حمزة تنادى ياعم ياعم فتناولها على فأخذها بيده وقال لفاطمة دونك بنت عمك احمليها فاختصم فيها على وزيد وجعفر فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الام) الحديث قال العلقمى أى فى هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها فى الحنو والشفقة

رواه الترمذى وقال حديث صحيح * وفى الباب أحاديث كثيرة فى الصحيح مشهورة، منها حديث أصحاب الغار وحديث جريج وقد سبقا وأحاديث مشهورة فى الصحيح حذفتها اختصارا ومن أهمها حديث عمرو بنَ عَبَسَة رضى الله عنه الطويلُ المشتملُ على جمل كثيرة من قواعد الاسلام وآدابه سأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى فى باب الرجاء قال فيه « دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة يعنى فى أوّل النُّبُوَّة ، فقلتُ لهُ ما أنْتَ ؟ قال نَبىٌّ ،

والاهتداء لما يصلح الولد فلا حجة فيه لمن قال ، الخالة ترث ، وفى حديث مرسل للباقر « الخالة والدة وانما الخالة أم » وهو بمعنى قوله بمنزلة الأم أى لا أنها أم حقيقة اه والمصنف أورده فى الباب اعتباراً بعموم لفظه فى طلب أنواع البر واسداء المعروف لها كما تسدى ذلك للأم ويطلب البر لها (رواه الترمذى وقال حديث صحيح) ورواه أبو داود من حديث على بن أبى طالب كما فى الجامع الصغير (وفى الباب) أى البر والصلة (أحاديث) جمع حديث على غير قياس أو جمع أحدوثة بمعنى حديث كأراجيز جمع أرجوزة قاله فى المفاتيح فى شرح المصابيح كما تقدم أول الكتاب بمزيد (كثيرة فى الصحيح) أى للبخارى لأنه صار علماً بالغلبة فى لسان المحدثين عليه ويحتمل أنه يريد فى الصحيح من الحديث المقابل للحسن والضعيف (مشهورة منها حديث أصحاب الغار) الثلاثة (وحديث جريج وقد سبقا) سبق حديث الغار فى باب الاخلاص وحديث جريج فى باب فضل ضعفة المسلمين (وأحاديث مشهورة فى الصحيح حذفتها اختصاراً) وقد ذكر كثيرا منها المنذرى فى ترغيبه (ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة) بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة (الطويل) صفة حديث (المشتمل على جمل كثيرة) بالمثلثة تأكيد لمدلول جمل وتنوينه (من قواعد الاسلام) أى أصولها وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته (وآدابه) جمع أدب وهو كالسنة فى الطلب وإن تفاوت تأكيداً كما فى الروضة وتقدم تعريف الأدب أول الكتاب (وسأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى فى باب الرجاء قال فيه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة) وقوله (يعنى فى أول النبوة) هذا مدرج لبيان زمن دخوله ووصوله (فقلت له ما أنت) المسئول عنه وصفه فلذلك أجابه صلى الله عليه وسلم بقوله (قال نبى)

فَقلتُ وما نبيٌّ قالَ أرْسلنى اللهُ فقلتُ بأىِّ شىء أرْسلكَ ؟ قالَ أرسلنى بِصلة الأرْحام وكسْر الأوثان وأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لايُشْرَكُ به شىء» وذَكر تمام الحديث والله أعلم .

﴿ باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم ﴾

أى أنا نبي ومراده به الرسول فهو من اطلاق النبي بالمعنى الشامل للرسول كما يدل عليه قوله أرسلنى الله (قلت وما نبي) أى ما حقيقة هذا اللفظ ومدلوله (فقال) بيان لما يؤخذ منه ذلك (أرسلنى الله) حذف المرسل لأجله للتعميم وليسأل عنه السائل فيصل اليه بعد الطلب فيكون أقر عنده (فقلت بأى شىء أرسلك ؟ قال) أرسلنى (بصلة الأرحام) أى بالأمر بها والحث عليها وذلك داع لدوام الاتصال وترك التقاطع والانفصال (وكسر الأوثان) جمع وثن قيل هى الأصنام وقيل أعم أى إزالتها (وأن يوحد) بالبناء للمفعول (الله) حال كونه (لا يشرك به شىء وذكر) عمرو (تمام الحديث) فى باب الرجاء إن شاء الله تعالى والله أعلم *

﴿ باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم ﴾

المراد من العقوق عقوق الوالدين أو أحدهما وهو من الكبائر مأخوذ من العق وهو لغة القطع والمخالفة وشرعا قيل ضابطه أنه يعصيه فى جائز وليس هذا الاطلاق بمرضى وقال بعضهم طالما بحثت عن ضابطه فلم أجده والذى آل اليه كلام أئمتنا أن ضابطه أن يفعل معه ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين لكن هل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى أن ماتأذ به كثيراً وهو عرفا بخلاف ذلك كبيرة ، أو بالنسبة للعرف فما عده أهله مما لايتأذى به كثيراً ليس بكبيرة وان تأذى كثيرا كل محتمل ولم يبينوه والذى يظهر أن المراد الثانى بدليل أنه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم يلزمه طاعته وان تأذى بذلك كثيرا فعلمنا أنه ليس المناط وجود التأذى الكثير بل أن يكون ذلك من شأنه أنه يتأذى به كثيرا وقطيعة الرحم ضد صلته وتقدم فى الباب قبله ما تعرف منه وكذا تقدم فيه فى حديث أبى هريرة أوائل الكلام على ما يتعلق بقول المصنف *

قال الله تعالى « فَهَلْ عَسَيتُمْ إِنْ تَوَلَّيتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ » وقال تعالى «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » وقال تعالى « وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا »

(قال الله تعالى « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » وقال تعالى والذين ينقضون عهد الله) أى ما عهده الله اليهم من التكاليف والأحكام (من بعد ميثاقه) أى ما أوثقوه به من الاقرار والقبول * وفى رسالة الاستعارة للخوجة أبى القاسم السمرقندى جوز صاحب الكشاف كونه أى الأمر الذى أثبت للمشبه من خواص المشبه به استعارة تحقيقية فى بعض المواد كما فى قوله تعالى « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » استعير الحبل المضمر فى النفس للعهد بجامع الوصلة على سبيل الكناية واستعير النقض لابطاله أى إبطال العهد على سبيل التصريح بجامع مطلق الابطال اه (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) بدل من الضمير المجرور والمراد به الرحم ومولاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويفسدون فى الأرض) بالظلم وتهييج الفتن (أولئك لهم اللعنة) البعد من الله سبحانه (ولهم سوء الدار) عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار وتقدم الكلام فى الباب قبله على قوله (وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) فيه استعارة مكنية يتبعها استعارة تخييلية (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) والكاف فى كما يحتمل أن تكون للتعليل كما فى قوله تعالى « كما هداكم » على أحد الاقوال وحينئذ فيحتمل أن يكون لبيان سبب دعائه لهما ويحتمل أن يكون

وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قالَ : قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثاً — قلنا بلى يارسولَ اللهِ ، قال الاشراكُ باللهِ ، وعقوقُ الوَالدين ،

للتنظير والمراد رحمة تامة بالغة كما بالغا جهدهما فى تربيتى حال صغرى وانقطاعى ، ثم كان اللائق بالترجمة تقديم هذه الآية لان فيها النهى عن العقوق بالتصريح وبالقياس الأولوى وباللازم من الامر بالبر والاحسان اليهما إذ الامر بالشىء نهى عن ضده والآيتان فى القطيعة إلا أن يقال إنهما شاملان للعقوق لأنه من قطع الارحام ومن قطع ما أمر الله به ان يوصل فذكر له من الكتاب دليلا شاملا لتحريمه وتحريم غيره من القطيعة ثم ذكر مايخصه اهتماماً به

(وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث) سبقت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب النية أول الكتاب (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا) حرف استفتاح وأتى بها ليتنبه المخاطب من غفلته ليتوجه لسماع مايلقى اليه فيقر فى قلبه ولذا إنما يؤتى بها فيمايهتم بأمره (أنبئكم بأكبر الكبائر) جمع كبيرة والصحيح بل الصواب ان من الذنوب صغائر وكبائر وان للكبيرة حدا فالمختار انها ما ورد فيه وعيد شديد فى الكتاب أو فى السنة وان لم يكن فيه ، وهو بمعنى قول إمام الحرمين كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وقلة الديانة ومن أحسن ما ألف فيها وأجمع كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لشيخ شيوخنا المحقق شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى رحمه الله (قلنا بلى يارسول الله) فائدته مع عدم الاحتياج اليه الاشارة إلى عظيم الاذعان لرسالته وما ينشأ منها من بيان الشريعة وإلى استجلاء شىء من كمالاته وعلومه التى أوتيها بعد رسالته (قال الاشراك بالله) أى الكفر بأنواعه (وعقوق الوالدين) أو أحدهما وجمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا أو يجر اليه وتقدم تعريفه أول الباب «فان قلت» أكبر الكبائر لايكون الا واحدا وهو الشرك فكيف تعدد هنا؟ وأيضا فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا وذكر هو «قلت» ادعاء أن الاكبر لايكون إلا واحدا إنما هو إن أريد الحقيقة اما ان أريد الاكبر النسبى فهو يكون متعددا ولا شك أن الاكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار اليها وإلى أمثالها النبى صلى الله

وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقولُ الزُّور وشهادةُ الزور فما زال يكرِّرُها حتى قلنا ليتهُ سكتَ » متفق عليه وعن عبدِالله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما عن

عليه وسلم بقوله « اتقوا السبع الموبقات » الحديث وحينئذ فالأكبر هنا لتعدده في الجواب مرادا به الامر النسبي وانما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث لأنه علم من أحاديث أخر أن ذلك من أكبر الكبائر على أنه صلى الله عليه وسلم كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين وعليه يحمل اختلاف الاحاديث نحو « أفضل الاعمال الصلاة » وأخرى « أفضل الاعمال الجهاد » وأخرى « أفضل الاعمال بر الوالدين » وغير ذلك من نظائر له لا تخفى (وكان متكئا فجلس) تنبيها على عظم ثم وقبح شهادة الزور فيفيد تأكيد تحريمه وتعظيم قبحه وسبب الاهتمام به حتى جلس بعد اتكائه سهولة وقوع الناس فيه وتهاونهم به فان الاشراك يذبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرفه عنه الطبع ، والحوامل على الزور كثيرة جدا كالعداوة والحسد فاحتيج إلى الاهتمام بشأنه لأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف ما معه فقاصرة عليه (فقال ألا وقول الزور) يحتمل كون الواو استئنافية لعظم قبح هذا الذنب ومزيد اثمه ، ويحتمل أنها عاطفة على محذوف أي اتركوا ما ذكر من الكبائر وقول الزور وهو الكذب على الغير (وشهادة الزور) قال ابن دقيق العيد يحتمل أن يكون من الخاص بعد العام لكن ينبغي أن يحمل على التوكيد فانا لو حملنا القول على اطلاقه لزم كون الكذبة الواحدة كبيرة وليس كذلك قال ولا شك أن عظم الذنب ومراتبه متفاوتة بتفاوت مفاسده ومنه قوله تعالى « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » (فما زال يكررها) أي هذه الكلمة باعتبار المعنى اللغوي ، أو الشهادة لانها أقرب مذكور وقول الزور بمعناه (حتى قلنا ليته سكت) أي شفقة عليه وكراهية لما يزعجه وخشية أن يجري على لسانه ما يوجب نزول البلاء عليهم وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه (متفق عليه) رواه البخاري في مواضع من صحيحه أولها الشهادات ورواه مسلم في الايمان ورواه الترمذي في مواضع من جامعه منها البر ومنها الشهادات وقال حسن صحيح (وعن عبدالله ابن عمرو بن العاصي) باثبات الياء كما هو الأفصح كما تقدم (رضي الله عنهما عن

النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « الكبائر الاشراكُ بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمينُ الغَمُوسُ » رواه البخارى (اليمينُ الغموسُ) التى يحلفها كاذباً عامداً سميتْ غموساً : لأنها تغمس الحالفَ فى الاثم * وعنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « منَ الكبائر شتمُ الرجل والديه ، قالوا يارسول الله وَهلْ يشتم الرَّجُلُ والديه ؟ قال نَعَمْ يسبُّ أبا الرَّجل فيسبُّ أباهُ وَيسب أمَّهُ فيسب أمهُ » متفق عليه

النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر) أى منها والاقتصار عليها كأنه لاقتضاء المقام ذكرها لتقصير بعض الحاضرين فى شأنها أو لكونها أعظم الكبائر اثما وأشدها جرما (الاشراك) أى الكفر (بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس) التى حرم الله قتلها عدوانا (واليمين الغموس) بالغين المعجمة والسين (رواه البخارى) واحمد والترمذى والنسائى كما فى الجامع الصغير (اليمين الغموس) المذكور فى الخبر (التى يحلفها) أى الحالف نظيره قوله تعالى « اعدلوا هو » أى العدل (كاذبا عامدا) حال من فاعل يحلف (سميت غموسا) بفتح الغين (لانها تغمس الحالف فى الاثم) لأنه حلف كاذبا على علم ومنه فغموس فعول بمعنى فاعل كما فى المصباح * (وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الكبائر) أى بعضها ولا ينافى ما تقدم ، وما بعده أنه من أكبرها لأنه لا يخرج بذلك عن كونها بعضا منها (شتم الرجل) أى المكلف ومثله المكلفة (والديه) بفتح الدال أى أمه وأباه ويلحق بهما فى ذلك من له عليه ولادة من أصوله ولو قرىء بكسر الدال على الجمع لشملهم الا أن تمنع منه الرواية ويدل على الشبه قوله يسب أبا الرجل الخ (قالوا يا رسول الله وهل يشتم) بكسر التاء فى المصباح أنه من باب ضرب (الرجل والديه) استفهام استبعاد أن يصدر ذلك من ذى عقل ولب فان من كان ذلك شأنه تدعوه معرفة حقهما إلى القيام ببرهما وشكرهما فضلا عن الوقوع فى شتمهما فهو استبعاد لوقوع ذلك الموصوف بالرجولية المعربة عن الكمال (قال نعم) أى يشتم لكن بالتسبب فيه لا بالمباشرة (يسب أبا الرجل فيسب) أى المسبوب أبوه (أبا) أى أبا الساب (ويسب أمه فيسب أمه * متفق عليه) قال السيوطى فى المرقاة قال

وفى رواية « إن من أكبر الكبائر أن يَلْعَنَ الرَّجلُ والديه ، قيلَ يَارَسُولَ الله كيفَ يَلعنُ الرجلُ والديه قالَ يَسُبُّ أباالرجل فيسب أباه ويسب أمهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ » * وَعن أبى محمد جبير بن مُطْعم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ «لا يَدخلُ الجنة قاطعٌ» قال سفيانُ فى روايته : « يعنى قاطع رحم »

النووى فيه تحريم الوسائل والذرائع (وفى رواية) أى لهما أيضا عنه وقد رواها كذلك البخارى فى الأدب ومسلم فى الايمان ورواها أبو داود فى الأدب والنسائى فى الزينة وقال صحيح ذكره الحافظ المزى لكن لم يذكر أن فى أوله (إن من أكبر الكبائر) أى النسبية وهى كذلك متعددة كما تقدم ، أما أكبر الكبائر فالشرك بالله (أن يلعن الرجل والديه) هذا إسناد مجازى لأنه سبب للعنهما كما بينه بقوله (قيل يارسول الله كيف يلعن الرجل والديه) وهو السبب فى وجوده والقائم بمصالحه عند كمال ضعفه وحاجته (قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه) كأن حكمة تقديم الاب فى الذكر أن الغالب عدم ذكر النساء حتى فى مقام المدح ولذا قيل سترة الحرم من الكرم *(وعن أبى محمد) ويقال أبو عدى (جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة وسكون التحتية بعدها راء (ابن مطعم) بصيغة الفاعل من أطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القرشى النوفلى (رضى الله عنه) أسلم عام خيبر وقيل يوم فتح مكة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون حديثا اتفقا على ستة منها وانفرد البخارى ومسلم بحديث روى عنه سليمان ابن صرد الصحابى وابناه محمد ونافع وسعيد بن المسيب وآخرون قال الزبير بن بكار وكان من حكماء قريش وساداتهم توفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وقال قتيبة سنة تسع وخمسين اه من التهذيب للمصنف (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل الجنة قاطع) أى مع الفائزين الناجين أو أبدا إن كان مستحلا للقطيعة مع علمه بتحريمها (قال سفيان) هو ابن عيينة (فى روايته) لهذا الحديث فان الحديث عندهما من طريقه ومن طريق عقيل ومن طريق مالك ومن طريق عبد الرزاق أربعتهم عن الزهرى عن جبير ذكره الحافظ المزى فى الاطراف (يعنى) النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (قاطع) المجمل المحتمل لمعان قاطع (الرحم)

متفق عليه * وعن أبى عيسى المغيرة بن شعبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قالَ : « إن اللهحرم عليكم عقوق الأمهات ، وَمَنْعًا وهاتِ

وكأنه لعظم اثمة ومزيد الاعتناء به لاينصرف هذا اللفظ الا اليه ادعاء * (وعن أبى عيسى) ويقال أبو عبد الله ويقال أبو محمد (المغيرة) قال ابن السكيت وآخرون من أهل اللغة بضم الميم وكسرها والضم أشهر (ابن شعبة) بن أبى عامر بن مسعود بن أبى معتب بالعين المهملة المفتوحة ابن مالك بن منصور بن عكرمة بن خصفة بفتح المعجمة والصاد المهملة والفاء ابن قيس بن عيلان بالمهملة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الثقفى الكوفى (رضى الله عنه) أسلم عام الخندق وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة وستة وثلاثون حديثاً اتفقا على تسعة منها وانفرد البخارى بحديث ومسلم بحديثين روى عنه أبو أمامة الباهلى والمسور ابن مخرمة وفزة المزنى الصحابيون ومن التابعين جماعات ولاه عمر البصرة مدة ثم نقله عنها فولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل فأقره عثمان عليها ثم عزله وشهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه يوم اليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وكان على ميسرة النعمان بن مقرن واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان وشهد الحكمين واستعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها حتى توفى بها سنة خمسين وقيل احدى وخمسين وهو أول من وضع ديوان البصرة اه ملخصاً من التهذيب (عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله حرم عليكم عقوق الامهات) اقتصر عليهن مع تحريم عقوق الآباء أيضا لأن الاستخفاف بهن أكثر لضعفهن وعجزهن بخلاف الآباء ولينبه على تقديم برهن على بر الأب فى التلطف والخير ونحو ذلك ، وقيل هو من تخصيص الشيء بالذكر اظهاراً لعظم توقعه ، والامهات جمع أمهة وهى لمن يعقل بخلاف الام فانه أعم (ومنعا) لما يجب أداؤه من الحق (وهات) الاستكثار من حق الغير بغير حق أى حرم عليكم طلب ماليس لكم أخذه ، ثم منعا بالتنوين وفى رواية بغير التنوين وهو بسكون النون مصدر منع يمنع وأماهات بكسر التاء أمر من الايتاء والاصل آت بهمزة ممدودة قلبت ألفا قال الحافظ والحاصل من النهى منع ما أمر باعطائه وطلب مالا يستحق ويحتمل أن يكون النهى عن السؤال مطلقاً ويكون ذكرها مع ضده ثم أعيد مطلقاً تأكيداً للنهى عنه

وَوَأْدِ البنات ، وكرهَ لكم قيل وقالَ

ثم ما ذكر من أن منعا مكتوب بالالف كذا فى الاصل لكن قال ابن مالك فى التوضيح انه من المكتوب على لغة ربيعة ومنع بحذف الالف على لغتهم لأنهم يقفون على المنون المنصوب بالسكون فلا يكتبون الالف وقيل حذفها لأن تنوين منعا أبدل واوا وأدغم فى الواو فصار اللفظ يعنى بعد قلبها واوا مشددة كاللفظ بقول وشبهه فجعلت صورة الخط مطابقة للفظه ويمكن أن يكون الأصل ومنع حق فحذف المضاف وبقيت هيئة الاضافة اه (ووأد) بسكون الهمزة أى دفن (البنات) بأن يدفن أحياء يقال وأد بنته وأدا من باب وعد دفنها حية فهى موؤدة كذا فى المصباح ، وإنما خص البنات بتحريم وأدهن لأنه هو الواقع فتوجه النهى اليه لا ان الحكم مخصوص بالبنات بل هو حكم عام ، يقال أول من وأد البنات قيس بن عاصم التميمى كان أغار عليه بعض أعدائه فأخذ بنته فاتخذها لنفسه ثم اصطلحا فخير بنته فاختارت زوجها فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت الا دفنها حية فتبعته العرب على ذلك وكانوا فيه فريقين منهم من يفعله خشية الافتقار ومن يفعله خشية العار ومن العرب من لا يفعل ذلك وكان صعصعة بن ناجية التميمى وهو جد الفرزدق أول من فدى الموؤدة وذلك أنه كان يعمد إلى من يراد فعل ذلك منها فيفديها منهم بمال فينفق عليها وقد بقى كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الاسلام فأسلما ولهما صحبة وكانوا فى الوأد على طريقين « أحدهما » أن يأمر امرأته عند الوضع أن تطلق بجانب حفيرة فان وضعت ذكرا أبقاه والا ألقاها فيها « وثانيهما » أن يصبر على البنت الى أن تصير سداسية ثم يأخذها وقد زينتها أمها فيأتى بها إلى حفرة كان حفرها قبل فيقول لها انظرى قعرها ويرميها من ورائها ويطمها بالتراب (وكره لكم قيل وقال) قال الحافظ فى الفتح فى رواية الشعبي كان ينهى عن قيل وقال كذلك كثر فى جميع المواضع بغير التنوين ووقع فى رواية الكشميهنى هنا « قيلا وقالا » والاشهر الاول وفيه تعقب على من زعم انه جائز ولم يقع فى الرواية وقال الجوهرى « قيل وقال » اسمان يقال كثر القيل والقال كذا جزم باسميتهما واستدل له بدخول أل عليهما وقال ابن دقيق العيد لو كان اسمين كالقول لم يكن لعطف أحدهما على الآخر فائدة وأشار إلى ترجيح الأول ، وقال المحب الطبرى فيه أوجه ،

وكثرة السؤال

« أحدها » أنهما مصدران والمراد من الحديث الاشارة إلى كراهة كثرة الكلام لانها تؤول إلى الخطأ وكرر المصدر مبالغة فى الزجر : « وثانيهما » المراد حكاية أقوال الناس والبحث عنها ليخبر غيره فيقول قال فلان وقيل لفلان فالنهى عنه إما للزجر ، وهو الاستكثار منه وإما لشىء مخصوص وهو ما يكرهه المحكى عنه « قلت » وعليه فهما بفتح اللام حكاية للفعل الماضى وكذا على الوجه الثالث الآتى واقتصر على الأول منهما ابن أقبرس فى شرح الشفاء فقال يريد به المنع من التبرع بنقل الاخبار فعاد لما فيه من هتك الستار وكشف الاسرار ، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ذلك ليس من محسنات الاسلام بقوله « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » وفيه من جهة المعنى موافقة لقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا) الآية لأن الله تعالى ستار ويخص من هذا نقل الاخبار النافعة لا سيما إذا كانت صحيحة عن ثقة اه (ثالثها) أن ذلك لا كثار الزلل إذ هو مخصوص بمن ينقل لا عن تثبت ولكن تقليدا لمن سمعه ولا يحتاط اه وقول المصنف معناه الخ شامل للآخرين وفى المشكاة قوله (قيل وقال) بناهما على كونهما فعلين محكيين متضمنين للضمير والاعراب على أنهما مصدران ولذا دخل عليهما أل فيما يعرف القيل من القال اه بمعناه وفى المصباح القيل والقال اسمان من قال يقول لا مصدران قاله ابن السكيت ويعربان بحسب العوامل وفى الارتشاف هما فى الأصل فعلان ماضيان جعلا اسمين واستعملا استعمال الاسماء وأبقى فتحهما ليدل على ما كانا عليه قال ويدل عليه ما فى الحديث (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال) بالفتح وحكى الوجهين فى التهذيب ولا يستعمل القيل والقال إلا فى الشر اه (وكثرة السؤال) أى سؤال المال لنفسه من غير حاجة والسؤال عن المشكلات والمعضلات من غير ضرورة وعن أخبار الناس وحوادث الزمان ، وسؤال الانسان بخصوصه عن تفصيل أحواله فقد يكره ذلك فالأولى حمل السؤال فى الخبر على مايعم الجميع وذلك لأنه اسم جنس محلى بأل فيعم أما سؤال المال للغير فالظاهر اختلافه باختلاف الأحوال ولنفسه لحاجة فلا كراهة بشرط عدم الالحاح وذل نفسه زيادة على ذل السؤال والمسئول ، فان فقد شرط حرم قال

وَإضاعةَ المال » متفق عليه قوله (منعاً) معناه منع ماوجب عليه (وهات) طلب ماليس له ووأد البنات دفنهن فى الحياة (وقيل وقالَ)

الفاكهانى يتعجب ممن كره السؤال مطلقا مع وجوده فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وصالحى السلف من غير نكير ، قال العلقمى لعل من كرهه أراد أنه خلاف الأولى ولايلزم من وقوعه وتقديره تغير صفته ، وينبغى حمل السؤال منهم أنه كان عن حاجة وفى قوله من غير نكير نظر ففى الأحاديث الكثيرة ذم السؤال وفيها كفاية فى انكار ذلك (واضاعة المال) أى بانفاقه فى غير وجهه المأذون فيه شرعا سواء كانت دينية أو دنيوية والمنع من اضاعته لأن الله تعالى جعله قياماً لمصالح العباد وفى تبذيره تفويت لتلك المصالح إما فى المبذر أوفى حق الغير ويستثنى كثرة الانفاق فى وجوه البر لتحصيل ثواب الآخرة ما لم يفوت حقاً آخر أهم ، قال التقى السبكى فى الحلبيات الضابط فى اضاعة المال ألا يكون لغرض دينى ولادنيوى فاذا انتفيا حرم قطعا وإن وجد أحدهما وجوداً له حال وكان الانفاق لائقا بالحال ولا معصية فيه جاز قطعاً وبين الرتبتين وسائط كثيرة لا تدخل تحت الضابط فعلى الفقيه أن يرى فيما لا ينتشر منه رأيه وأما ما ينتشر فقد تعرض له أحكام فالانفاق فى المعصية كله حرام ولا نظر لما يحصل فى مطاويه من اللذة الحسية وقضاء الشهوة النفسية وأما انفاقه فى مباحاة الملاذ فهو موضع اختلاف وظاهر قوله « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » أن الزائد غير اللائق بحال المنفق إسراف ، ثم قال ومن بذل كثيراً فى غرض يسير عده العقلاء مضيعاً بخلاف عكسه والله أعلم * (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الزكاة والاستقراض والأدب ومسلم فى الأحكام ، قال الطيبى وهذا الحديث أصل فى معرفة حسن الخلق وهو يستتبع جميع الأخلاق الجميلة (قوله منعا) أى بالتنوين (معناه منع ماوجب عليه) أى أداؤه (وهات) أى معناه فى المشهور (طلب ما ليس له) أى أخذه وتقدم قول آخر أنه نهى عن مطلق السؤال ، ثم هو محتمل لدخوله فى النهى بأن يكون خطابا لاثنين كأن ينهى الطالب عما لايستحقه وينهى المطلوب منه عن اعطاء ما لا يستحقه الطالب لئلا يعينه على الاثم قاله الحافظ فى الفتح وعليه فيكون المعنى « وكره لكم هات سؤالا وإجابة للسائل بهما » (وقيل وقال) ظاهره أنهما فى

معناه الحديث بكل ما يسمعه فيقول قيل كذا وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته ولا يظنها وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع (وإضاعة المال) تبذيره وصرفه فى غير الوجوه المأذون فيها من مقاصد الآخرة والدنيا وترك حفظه مع إمكان الحفظ (وكثرة السؤال) الالحاح فيما لا حاجة إليه ، وفى الباب أحاديث سبقت فى الباب قبله كحديث

الحديث بالبناء على الفتح ويحتمل أن يكونا مرفوعين أى والمراد منهما شىء واحد ولذا قال (معناه الحديث) اسم مصدر من التحديث (بكل ما يسمعه) من أقوال الناس (فيقول قيل كذا) مما قصد به بيان المحكى ولم يتعلق الغرض بتعيين من صدر عنه ذلك (وقال فلان كذا) مما تعلق الغرض فيه بهما معاً (مما لا يعلم صحته ولا يظنها) بيان لما يسمعه (وكفى بالمرء) الظاهر أن الباء مزيدة فى المفعول للتأكيد و (إثما) تمييز وليس مفعولا ثانيا لأن المتعدى اليهما كفى بمعنى وفى نحو قوله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » لا بمعنى حسب بل قد يكون حينئذ لازما نحو « كفى بالله » ومتعديا لواحد كالحديث وقوله (أن يحدث) فاعل كفى أى تحديثه (بكل ما سمع) من غير تثبت واحتياط وقدمت فى حديث « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » فى باب النفقة على العيال عن المظهرى أن : أن يحبس مبتدأ وكفى خبره مقدما عليه أو خبر مبتدأ محذوف وظاهر جريان ذلك هنا أيضاً (وإضاعة المال تبذيره) فى المصباح بذرت الكلام فرقته وبذرته بالتثقيل مبالغة وتكثير ومنه اشتق التبذير فى المال لأنه تفريق فى غير القصد اه (وصرفه فى غير الوجوه المأذون فيها) من اتلاف أو فى معصية وقوله (من مقاصد الآخرة والدنيا) بيان للوجوه المأذون فيها (وترك حفظه) معطوف على تبذيره لأوليته ، أو على صرفه لقربه وإنما يكون ترك الحفظ إضاعة للمال إذا كان (مع امكان الحفظ) أما إذا عم الحريق أو النهب وما تمكن من حفظه فضاع عليه بذلك فلا يدخل فى الاضاعة (وكثرة السؤال الالحاح) فيه (فيما لا حاجة اليه) من مال أو علم وظاهره أنه لا منع من سؤال خال عن الالحاح لما لا يحتاج اليه وقد تقدم بيان حكم ذلك والالحاح بالمهملتين الاقبال على السؤال مواظبا (وفى الباب) أى تحريم العقوق والقطيعة (أحاديث سبقت فى الباب المعقود (قبله) أى قبل الباب المذكور فى قوله وفى الباب (كحديث

« وَأقطَعُ منْ قَطعكِ » وحديث « من قطعنى قَطعه الله »

﴿ باب برّ أصدقاء الأب والأم والأقارب وَالزوْجة وسائر من يندب إكرامه ﴾

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أبر البر أن يَصل الرجل وُدأبيه » * وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمرَ رَضى الله عنهما « أنَّ رَجُلاً منَ الأعراب

وأقطع) بصيغة المتكلم (من قطعك) أى من قوله تعالى للرحم « وأقطع من قطعك » (وحديث من قطعنى قطعه الله) *

﴿ باب فضل أصدقاء الأب والام ﴾

جمع صديق وهو كما فى المصباح الصادق وهو من الصداقة واشتقاقها من الصدق فى الود والنصح والجمع أصدقاء وامرأة صديق وصديقة أيضا (والزوجة) كذا فى النسخ بالتاء وهى لغة ضعيفة والأفصح والزوجين بحذفها على أنه أولى ليعم كلا منهما بالتصريح وإلا فاكرام الزوجة أقرباء زوجها مقيس على إكرامه أقرباءها بالأولى لتأكد حقه عليها ووجوب احترامها له (وسائر) باق أو جميع فيكون من عطف العام على الخاص للتعميم (من يندب اكرامه) من شيخ ومريد وملك عادل *

(عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبر البر) أى أكمل وأبلغه (أن يصل الرجل) ومثله المرأة كما تقدم مراراً وإفراده بالذكر لشرفه (وداًبيه) بضم الواو وتشديد الدال المهملة وهو الحب وعقب هذا الحديث قبل ذكر مخرجه بما بعده لانه حديث واحد وفى الثانى بيان وقت صدور التحديث بابن عمر بالحديث (وعن عبد الله بن دينار) هو أبو عبد الرحمن القرشى العدوى المدنى مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب سمع ابن عمر وأنساً وجماعة روى عنه ابنه عبد الرحمن ويحيى الانصارى وسهيل وربيعة الرأى وموسى بن عقبة وهؤلاء تابعيون وخلائق غيرهم اتفقوا على توثيقه توفى سنة سبع وعشرين ومائة (عن) قصة (عبد الله بن عمر رضى الله عنهما) هى (أن رجلا من الاعراب) بفتح الهمزة

لقيهُ بطريق مكة فسلم عليه عبدُ الله بن عمرَ وحملهُ على حمار كانَ يركبه وأعطاهُ عمامة كانت على رَأسه قال ابن دينار فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب وهمْ يَرضوْن باليسير ، فقال عبد الله بن عمر إن أبا هذا كانَ وُدًّا لعمر بن الخطاب رضىَ الله عنه وإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « إن أبر البر صلة الرجل أهل وُد أبيه » .

أهل البدو من العرب الواحد أعرابى بالفتح أيضاً وهو الذى يكون صاحب نجعة كذا فى المصباح ولم أقف على من سماه (لقيه) الضمير المستتر يعود للرجل والبارز لابن عمر (بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه) للتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة كما فى الزوائد بعد (وأعطاه عمامة كانت على رأسه) أى حينئذ يشد بها رأسه فى السفر والظاهر أنها غير ما يعتم به فى الحضر كما تؤذن به الرواية بعد وهى تبين أيضا أن ما وقع كان بعد تعرفه بالرجل الاعرابى (قال ابن دينار فقلنا) يحتمل أن يكون هو وباقى من مع ابن عمر وهو الظاهر من الضمير ويحتمل أنه وحده وعبر بذلك إما لتأكيد الاضمار بصدور ذلك عنه أو لأمر آخر (أنهم الاعراب ويرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه) بضم الواو مصدر ود من باب تعب أى ذا ود عمر أو وده أو مودوده ، وأطلق عليه المصدر مبالغة . قال الحافظ وضم الواو فى المصدر هو المشهور وحكى القراء فتحها فيه وحكى كسرها فيه فهو مثلث «قات» وقد حكاه ابن مالك فى كتاب الأعلام فى المثلث وسكت عليه ، عبر بقوله لعمر الخ دون قوله لوالدى إشارة إلى أن لبره مقتضيات الأول أنه ودأبيه . الثانى أنه ود شيخه . الثالث أنه ود رأس الصالحين ودلالة لفظ عمر على هذين أظهر (وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) الجملة المصدرية يحتمل كونها معطوفة على ان هذا الخ ويحتمل أن تكون فى محل الحال والثانى أقرب والرابط الواو (إن أبر البر) أى أبلغه (صلة الرجل أهل) أى أصحاب (ودأبيه) أى حبه وان لم يكونا أقربا للفرع ولا للأصل فان برهم بر ذى الود لهم من الأبوين وما أحسن ماقيل

أهوى العقيق ومن أقام بحبه ٭ وأهيله وهواهم لى مغنم

وفى رواية عن ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهم أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمارٌ يتروَّح عليه إذا ملَّ رُكوب الراحلة ، وعمامةٌ يشد بها رأسهُ فبينا هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابى فقالَ ألست فلانَ بنَ فلانٍ ؟ قالَ بلى ، فأعطاهُ الحمارَ فقالَ اركب هذَا . والعمامةَ قال اشدُدْ بها رأسكَ فقالَ له بعضُ أصحابهِ غفر الله لك

ماذاك إلا أن بدرى منهم * ولأجل عين ألف عين تكرم

(وفى رواية) أخرى (عن ابن دينار عن) قصة (ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار) هو الذكر من الحيوان الناهق والانثى أتان وحمارة نادر والجمع حمير وحمر بضمتين وأحمرة كذا فى المصباح (يتروح) بتشديد الواو أى يستريح (عليه إذا مل) أى إذا سئم وضجر (ركوب الراحلة) أى المركب من الابل ذكراً كان أو أنثى . قال فى المصباح وبعضهم يقول الناقة التى تصلح أن ترحل (وعمامة يشد بها رأسه فبينا) الألف فيه للاشباع كافة لبين عن الاضافة فالجملة بعده مستأنفة ومثلها بينما (هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به أعرابى فقال) يعنى ابن عمر (ألست فلان بن فلان) استفهام تقرير وفلان قال ابن السراج كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالب ويستعمل من غير أل فى غير الآدمى ومنه حديث أبى يعلى الموصلى بسند صحيح على شرط مسلم عن ابن عباس قال « ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالوا يارسول الله ماتت فلانة يعنى الشاة » قال المصنف هكذا فى الاصل المصحح فلانة من غير أل فهو صريح فى جواز ذلك وعدم تعين أل فيه فى غير الآدميين خلافا للجوهرى (قال بلى فأعطاه الحمار فقال اركب هذا والعمامة) فـ(قال اشدد) بضم الدال (بها رأسك فقال له بعض أصحابه) منهم ابن دينار كما دلت عليه الرواية السابقة وقد يبهم الراوى نفسه لغرض (غفر الله لك) فيه تنبيه على أدب العتاب أن يقدم الدعاء للمخاطب ثم يعاتب وهذا أخذ من قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم » قال القاضى عياض فى الشفاء يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب القرآن فى قوله وفعله ومعاطاته

أعطيتَ هَذَا الأعرابى حماراً كنت تروَّحُ عليه وعمامة كنت تَشُدُ بها رأسك ، ! فقال إنى سمعتُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن من أبر البر صلةُ الرجل أهل وُد أبيه ، بعد أن يولى وإن أباه كان صديقاً لعمر رضى الله عنه » روى هذه الروايات كلها مسلم * وعن أبى أُسيد بضم الهمزة وفتح السين مالك بن ربيعة

ومحاوراته وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة والسؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغنى عن الجميع ويتبين مافيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب اه (أعطيت) يحتمل أن يكون بتقدير همزة الاستفهام الانكارى ويحتمل أن يكون اخباراً لبيان لازم الخبر والاول أقرب أى أعطيت (هذا الاعرابى حماراً كنت تروح) بتشديد الواو والرفع وحذفت من أوله احدى التاءين تخفيفاً أى تتروح (عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك فقال) دفعا لانكار ما أنكروه عليه مما حاصله وضع الشىء فى غير موضعه ببيان الحامل على ذلك (إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من أبر البر) لاينافى اثبات من هنا اسقاطها فى الأول لأنها مرادة أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد أنه أبر بالنسبة للمخاطب به ذلك الوقت كما تقدم قريباً (صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى) بضم التحتية وتشديد اللام المكسورة أى بعد أن يموت قال العاقولى والمعنى من جملة بر الرجل بوالده يود أصحاب أبيه وأهل وده بعد موته وأقول ان المعنى ان من جملة بره صلة أهل ود أبيه بعد موته (وان أباه) أى أبا المعطى (كان صديقاً لعمر رضى الله عنه) أى فلذا وصلته (روى هذه الروايات كلها مسلم) فروى الرواية الأولى المذكورة عن ابن دينار فذكره وروى الترمذى فى البر والصلة من طريق آخر الى الوليد عن دينار حديث « إن أبر البر صلة الولد أهل ودأبيه » من دون القصة وقال صحيح وروى الرواية الثانية عنه عن الحسن الحلوانى ثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد ثنا أبو الليث ابن سعيد جميعاً عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد بن عبد الله بن دينار فذكره ورواه أبو داود من طريق الحر الى يزيد فذكر الحديث دون القصة * (وعن أبى أسيد — بضم الهمزة وفتح السين —) المهملة وسكون التحتية بعدها دال مهملة (مالك بن ربيعة) وقيل هلال بن ربيعة ومالك أكثر ابن البدن — بالموحدة والمهملة المفتوحتين والنون —

الساعدى رضى الله عنه قال « بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما

هكذا نقله ابن هشام عن ابن اسحق وابن عقبة عن الزهرى ورواه اسماعيل بن ابراهيم ابن عقبة عن عمه وموسى عن الزهرى بالبدى ـ بالياء فصحف وانما الصحيح بالنون ابن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى الخزرجى (الساعدى) نسبة لجده ساعدة وهو مشهور بكنيته شهد (رضى الله عنه) بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن اسحق وغيره وعمى قبل قتل عثمان رضى الله عنه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون حديثا له فى الصحيحين أربعة أحاديث اتفقا على واحد منها وللبخارى وحده حديثان ولمسلم كذلك واحد توفى أبو أسيد سنة ستين قاله المدائنى قال أبو نعيم إنه وهم وقيل سنة خمس وستين ، وقال الواقدى وخليفة : سنة ثلاثين قال ابن عبد البر وهذا وهم فقيل انه آخر من مات من البدريين وكان عمره خمساً وسبعين سنة اهـ ملخصا من أسد الغابة مما ذكره فى الأسماء والكنى فى ترجمته وسكت عن تعيين محل وفاته وفى كتاب در السحابة فى مواضع وفاة الصحابة للصفاقى أنه مات بالمدينة (قال بينا نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة) لم أقف على من سماه (فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى) المأمور أنا به (شىء أبرهما به) أى لابرهما به (بعد موتهما قال نعم الصلاة) أى الدعاء (لهما) كما يدل عليه قوله تعالى « وقل رب ارحمهما » (والاستغفار) من عطف الخاص على العام اهتماما أى وتدعو بالمغفرة (لهما وانفاذ) بالذال المعجمة (عهدهما) أى من وصية وصدقة وغير ذلك (من بعدهما) تنازعه المبتدآت قبله ويحتمل أن المتعلق كائنات فيشمل الجميع (وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما) قال الطيبى التى ليست بصفة للمضاف اليه بل المضاف الصلة الموصوفة بأنها خالصة لحقهما ورضاهما لأمر آخر ولفظ البيهقى « وصلة رحمهما التى لا رحم لك إلا من قبلهما فقال ما أكثر هذا وأطيبه يا رسول الله قال ما عمل به فانه يصل اليهما » قال العاقولى

وإكرام صديقهما » رواه أبو داود * وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما غرت على أحد من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما غرتُ على خديجة رضى الله عنها ؛ وما رأيتها قط ولكن كان يُكثر ذكرَها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها

وفى الحديث تنبيه على اغتنام فضيلة الصلة وأنها طاعة لايكون إدراكها إلامن جهتهما فانه لو فرض أن إنسانا تولد من تراب مثلا ولم يولد له لم يكن لذلك الانسان سبيل إلى دخول الجنة من صلة الرحم فانه لارحم له فاذا كان الوالدان سبباً فى مثل هذه الطاعة وجب رعايتهما وحفظهما فيها (واكرام صديقهما) وبمعناه حديث ابن عمر فى الباب (رواه أبوداود) فى الأدب وكذا أخرجه فى الأدب بنحوه * (وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما غرت) بكسر الغين فى المصباح غار الرجل على امرأته غضب فيها والمرأة على زوجها تغار من باب تعب غيراً وغيرة بالفتح وغاراً قال ابن السكيت ولا يقال غيرا ولا غيرة بالكسر وأغار الرجل امرأته تزوج عليها فغارت عليه اه (على أحد من النساء) يعنى ضرائرها أمهات المؤمنين رضى الله عنهن (ماغرت على خديجة) وذلك لما رأت لها عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد المكانة الدال عليه اكثار ذكرها والتنويه بشكرها بعد فقدها ، وكانت عائشة أحب سائر زوجاته الموجودات معها اليه صلى الله عليه وسلم وبينت هذا المعنى بقولها (وما رأيتها قط) ظاهره لم يقع نظرها عليها وذلك لتقدم وفاتها على تمييز السيدة عائشة فانه كان سنها عند عهده صلى الله عليه وسلم بها ست سنين وكان ذلك قبل الهجرة بسنتين وقيل ثلاث وقيل خمس وتوفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بقريب من ذلك ويحتمل أن يكون مرادها ما رأيتها عنده صلى الله عليه وسلم ضرة معى ويعضد هذا قولها عند الشيخين «ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين» قال المصنف أى قبل بنائه بها أما العقد بها فكان موتها قبله بنحو سنة ونصف (ولكن) أى وجه الغيرة أنه صلى الله عليه وسلم (كان يكثر ذكرها) أى وفيه دليل على المحبة قال صلى الله عليه وسلم « من أحب شيئاً أكثر من ذكره » (وربما ذبح الشاة ثم يقطعها) يحتمل كون الاسناد فيها حقيقة وذلك من مزيد تواضعه وكمال فضله فقد كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكون فى مهنة أهله ويحتمل أن يكون مجازا أى يأمر

أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة ؛ فربما قلت له كأن لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد » متفق عليه « وفى رواية وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها مايسعهن » وفى رواية « كان إذا ذبح الشاة يقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة »

بذلك ويقطعها مضارع من باب التفعيل للتكثير (أعضاء) جمع عضو بكسر أوله وضمه وهو كل لحم وافر بعظمه (ثم يبعثها فى صدائق) جمع صديقة كصحيفة أى فى ذوات صداقة (خديجة) يفعل ذلك حفظا لعهدها وزيادة فى برها (فربما) يحتمل التقليل والتكثير والأول أقرب (قلت له كأن) بتخفيف النون واسمها ضمير منوى أى كأنه (لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة) أى فذلك المقتضى لمزيد الوداد وأما وجود من يساويها فى هذا الوصف فى المقتضى لهذا الشأن (فيقول إنها كانت وكانت) أى يثنى عليها بأفعالها وفعالها وجاء فى حديث آخر « أن عائشة قالت أو ليس قد أبدلك الله خيرا منها فقال لا والله آمنت بى حين كفر بى قومى ونصرتنى حين خذلنى قومى ، وأعطتنى مالها حين منعنى قومى » أو كما قال (وكان لى منها ولد) بفتحتين وهو اسم جنس يصدق على الواحد والجمع وجميع ولده صلى الله عليه وسلم منها إلا ابراهيم فمن مارية قيل وإلا سقط اسمه عبد الله من السيدة عائشة ولم يثبت هذا وإنما كنيت بابن أختها عبد الله بن الزبير (متفق عليه) أخرجاه فى فضائل خديجة وأخرجه فيه الترمذى وقال حسن صحيح وأخرجه فيه وفى الوفاة النسائى وأخرجه ابن ماجه فى الجنائز كذا فى الاطراف للمزى (وفى رواية) هى فيهما الى قوله خلائلها (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانه (كان ليذبح الشاة) اللام هى الفارقة بين أن المخففة والنافية (فيهدى فى خلائلها) أى صدائقها جمع خليلة وهى الصديقة (مايسعهن) أى يكفيهن (منها) وفى صحيح مسلم وان كان ليذبح الشاة ثم يهديها الى خلائلها (وفى رواية لمسلم) قالت (كان إذا ذبح يقول ارسلوا بها) يحتمل كون الباء للتبعيض كقوله تعالى « يشرب بها عباد الله » قال فى المعنى أثبت هذا المعنى الأصمعى والفارسى والقتبى وابن مالك قيل والكوفيون اه ملخصاً ويحتمل كونها مزيدة ويؤيده ماتقدم فى حديث مسلم «ثم يهديها» والاول أقرب بلغة الجميع وحفظ العهد أنسب (إلى أصدقاء خديجة) أى

وفى رواية قالت استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال اللهم هالة بنت خويلد »

أصحاب صداقتها وأصدقاء جمع صديق وتقدم أنه يقال على المذكر والمؤنث ويقال فيها أيضاً صديقة (وفى رواية) لهما عن عائشة رواها البخارى فى فضل خديجة ومسلم فى الفضائل كذا فى الاطراف للمزى وتعقبه الحافظ فى النكت عليه بما حاصله أن البخارى لم يقل فيه ثما ولا أخبرنا اسماعيل بن محمد فلذا جزم الحميدى فى جميعه بأنه ذكره تعليقا قال الحافظ وقد وصله أبو عوانة عن محمد بن يحيى ثنا اسماعيل ابن خالد عن على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة اه (استأذنت) طلبت الاذن (هالة) بتخفيف اللام (بنت خويلد) بن أسد بن عبد العزى ابن قصى (أخت) أم المؤمنين (خديجة رضى الله عنها) وهالة هذه أم العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لخديجة أخت غيرها اسمها هالة قاله ابن الاثير فى أسد الغابة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق باستأذنت (فعرف استئذان خديجة) أى تذكر عند استئذانها خديجة وكانت نغمتها تشبه نغمة خديجة وأصل هذا أن من أحب محبوبا أحب محبوباته وما يتعلق به ويشتهيه وما أحسن ماقيل :

أحب من أجلكم من كان يشبهكم * حتى لقد صرت أهوى الشمس والقمرا
أمر بالحجر القاسى فألثمه * لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

وقال آخر :

أشبهت غزالى فصرت أحبهم * إذ صار حظى منك حظى منهم

(فارتاح لذلك) افتعال من الراحة أى حصلت له راحة نفسانية بسماع صوت هالة لتذكره عهد خديجة قال المصنف أى هش لمحبتها وسربه لتذكره بها خديجة وأيامها وفيه دليل حسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير فى حياته وبعد موته ، وفى المطالع ارتاح أى هش ونشطت نفسه ، وقيل حن اليها وقيل سربها ومنه يرتاح للندى ويرتاح أى يسر فيهش (فقال اللهم هالة بنت خويلد) قال القرطبى يجوز فيه الرفع خبر مبتدأ أى هذه هالة فأكرمها والنصب على اضمار فعل أى أكرم هالة ونحوه مما لايليق بالمعنى وهذه الاخبار فيها فضل خديجة والصحيح

قولها (فارتاح) هو بالحاء وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى فارتاع بالعين ومعناه اهتم به * وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « خرجت مع جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه فى سفر فكان يخدمنى فقلت له لاتفعل فقال إنى قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً آليت أن لا أصحب أحدا منهم إلا خدمته » متفق عليه *

أنها أفضل أمهات المؤمنين لما لها من السوابق الجليلة والايادى الجميلة وقد أقرأها الحق السلام على لسان جبريل الامين ولم ير ذلك لغير الانبياء إلا لها وللصديق الاكبر أما عائشة فهى أكثر علما وأفضل مما عداها من باقى الأمهات بلا خلاف (قولها فارتاح هو بالحاء) المهملة (وفى الجمع بين الصحيحين) لأبى عبد الله محمد ابن أبى نصر فتوح (الحميدى) بالتصغير نسبة لجده الاعلى حميد الاندلسى القرطبى (فارتاع بالعين) أى المهملة (ومعناه اهتم به) أى باستئذانها فرحاً وسروراً لمكانها من خديجة * (وعن أنس رضى الله عنه قال خرجت مع جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه) يحتمل أن يكون من قول أنس فيكون فيه أداء الفضل لاهله من أهله ويحتمل أن يكون ممن بعده (فى سفر فكان يخدمنى) وهو أسن منى (فقلت له لاتفعل) أى لسنك المقتضى لتوقيرك (فقال) مبيناً لسبب تواضعه لانس مع صغر سنه عنه (إنى قد رأيت الانصار) علم بالغلبة على أولاد الاوس والخزرج وهو اسم اسلامى كما تقدم أول الكتاب (تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم) أى معه (شيئاً) عظيما لا تقوم العبارة بتفصيله فلذا أجمل فى مقاله (آليت) بالمد أى أقسمت من الالية وهى اليمين (أن لا أصحب أحدا منهم) وإن كان أصغر منى (إلا خدمته) إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم وإحسانا للمنتسب الى خدمته والمحسن اليه صلى الله عليه وسلم قال المصنف ففى الحديث دليل اكرام المحسن والمنتسب اليه وإن كان اصغر منه وفيه تواضع جرير وفضيلته واكرامه للنبى صلى الله عليه وسلم واحسانه الى من انتسب الى من أحسن اليه صلى الله عليه وسلم (متفق عليه) والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

﴿باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم﴾

قال الله تعالى : «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرا»

﴿ باب إكرام آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

المراد منهم آله الذين يحرم عليهم الصدقات كالزكاة وهم عند إمامنا الشافعي رضى الله عنه مؤمنوا ومؤمنات بنى هاشم والمطلب أى المنتمون لذلك من جانب الآباء أما المنتمون من جانب الأمهات فليسوا من آله فى منع الزكاة والصدقة الواجبة منهم أما فى الاكرام للقرابة بالمصطفى فهم كذلك لأن القرابة والنسبة الى ذلك الجناب الشريف مشتركة بين الجميع وزوجاته ، قال فى الكشاف وفى الآية دليل على أن أزواجه من أهل بيته فالمراد من أهل بيته المنتسبون اليه بنسب وزوجاته (وبيان فضلهم) أى بذكر ما جاء فيه »

(قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم والرجس كل مستقذر والمراد به هنا الاثم وقيل الشيطان ووسوسته وقيل الشرك وقيل جميع المعاصى والجملة تعليل لأمر أزواجه ﷺ ونهيهن على الاستئناف ولذا عمم الحكم فقال (أهل البيت) نصب على النداء والمدح (ويطهركم) عن المعاصى (تطهيرا) من الرجس وقيل بالهدى والتوفيق واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها قال البيضاوى وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما روى أنه عليه السلام « خرج ذات غدوة عليه مرط ومرجل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضى أنهم أهل البيت لا أنه ليس غيرهم اه وقال الكواشى المراد من أهل البيت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم « قلت» هذا قول ابن عباس وعكرمة قال ابن أقبرس نقل ابن عطية عن الجمهور أنهم على وفاطمة والحسنان قال ومن حجة الجمهور قوله « عنكم » ولو كان للنساء خاصة

وقال تعالى « ومن يُعظِّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » وعن يزيد ابن حيَّان : « قال انطلقت أنا وحصين بن سَبْرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنهم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لَقِيْتَ يا زيدُ خيراً كثيرا رأيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه

لكان عنكن « قلت » وقد أجيب عن هذا الاستدلال قال الكواشى وقال عنكم دون عنكن لأنه صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب ، أولأنهن فى بيته وقال ابن أقبرس للقائل باختصاص ذلك بأزواجه أن يقول لا يمتنع أن يخاطبن بخطاب المذكر تعظيما لهن وإجلالا ومنع قول من قال المراد بالبيت الكعبة وبأهله المسلمون وقيل هم كل من حرمت عليهم الصدقة اه والمصنف أورد الآية فى هذا الباب لأن آله من جملة أهل بيته * (وقال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) تقدم الكلام عليها فى باب تعظيم حرمات المسلمين * (وعن يزيد) بفتح التحتية أوله وبعد الزاى تحتية ساكنة آخره دال مهملة (ابن حيان) بفتح المهملة وتشديد التحتية آخره نون هو التيمى الكوفى قال الحافظ ثقة من الرابعة من أواسط التابعين روى عنه مسلم وأبو داود والنسائى (قال انطلقت أنا وحصين) بضم المهملة الاولى وفتح الثانية وسكون التحتية آخره نون (ابن سبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة (وعمرو بن مسلم) بصيغة الفاعل من الاسلام (الى) أبى عمرو وقيل أبو عامر وقيل أبو سعد وقيل أبو سعيد وقيل أبو حمزة وقيل أبو نسيئة (زيد بن أرقم) بالقاف ابن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة ابن كعب الخزرج بن الخزرج بن ثعلبة الانصارى الخزرجى (رضى الله عنه) غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة واستصغره يوم أحد وكان يتيما فى حجر عبد الله بن رواحة وسار معه فى غزوة مؤتة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون حديثا اتفقا على أربعة وللبخارى حديثان ولمسلم ستة روى عنه أنس بن مالك وخلائق من التابعين نزل الكوفة وتوفى بها سنة ست وخمسين وقال محمد بن سعد وآخرون سنة ثمان وستين وله مناقب كثيرة (فلما) جلسنا منتهين (اليه فقال له حصين لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا) هذا إجمال لأنواعه بين أشرفها بقوله (رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه) أى من فيه والحديث رواية

وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيدُ خيراً كثيرا حدِّثنا يا زيدُ ماسمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا ابن أخى لقد كَبِرتْ سنى وَقَدِمَ عهدى ونسيت بعض الذى كنت أعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفونيه

هوما أضيف الى النبي ﷺ أومن دونه ولو من التابعين قولا أوفعلا (وغزوت معه) أى جاهدت فى سبيل الله وفيه شرف العمل مع الصلحاء ولذا شرعت الجماعة فى الصلوات لتعود بركة الصالحين على المقصرين فيقبل الجميع فضلا (وصليت خلفه) أى معه جماعة ولما كان تفصيل ما حواه من الخير يعسر قال مؤكدا للجملة الأولى المجملة (لقد أوتيت خيرا كثيرا) وهذا تذكير منه لنعمة الله عليه وتحريض على أداء شكرها قدر طاقته وأن لا يغفل عنه وهو محمول على أنهم أمنوا الفتنة عليه لما علموه عنده من كمال الايمان ومزيد العرفان المانعين من الافتتان وقوله (حدثنا يازيد) فيه طلب العلو فى الاسناد وأخذ العلم من أهله وفيما ذكر قبله تقديم الوسائل الى المطالب وفيه ما ذكره المحدثون من استحباب الثناء على المحدث بالأوصاف اللائقة به والدعاء له قبل طلب التحديث منه (ما سمعت) أى بما سمعت (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شفاها واحتمال تقدير مضاف مجرور أى من حديثه ولو بالواسطة بعيد (قال يا ابن أخى) خاطبه بذلك لصغره بالنسبة اليه (والله لقد كبرت) بكسر الموحدة (سنى) أى لقد كبرت قال ابن طريف فى كتاب الأفعال كبر الأمر والذنب كبراً عظم والكبر الاسم وفى القرآن «كبر مقتاً عند الله» وكبر الصبي كبرا ومكبرا وفى القرآن «بداراً أن يكبروا» اه وظاهر أن مانحن فيه من الثانى (ونسيت بعض الذى كنت أعى) أى أحفظ قال فى المصباح وعيت الحديث وعيا من باب وعد حفظته وتدبرته وقوله (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بأعى وفيه أن الكبر مظنة النسيان وضعف القوة الحافظة وهو كذلك ومن ثم كره التحديث بعد الثمانين خوفا من الاختلاط من حيث عدم الشعور كما وقع من جماعة لم يتنبه لهم إلا بعد الوقوع فى ذلك وفرع على ما ذكر قوله (فما حدثتكم) العائد محذوف أى حدثتكموه (فاقبلوا) أى فاقبلوه والضمير لربط الجملة بالمبتدأ وكأنه حذفه فيهما تخفيفا (ومالا فلا تكلفونيه) وعلى ما تضمنه قوله هنا

ثم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيبا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمِد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّرَ ، ثم قال (أما بعدُ) ألا أيها الناسُ

من نهيه عن تكليفه لتحديث ما لم يحدث به يحمل ما أخرجه ابن ماجه فى باب التوقى فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال « قلنا لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد » ويؤيده أن الدميرى فى الديباجة حمله على الاكثار فقال : كره الاكثار من التحديث كثير من السلف مخافة ما فيه من الزلل ، روى عن عمر قال « أقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم » وكان مالك يقول وأنا أيضاً أقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه (ثم قال) محدثا لنا (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء) أى عنده (يدعى) أى الوادى الذى فيه الماء (خما) بضم المعجمة وتشديد الميم كما سمى بدر باسم البئر التى به ولذا قال فى النهاية وهو موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين هناك وبينهما مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم اه ولعل المسجد موضع قيامه حال خطبته وقال المصنف فى شرح مسلم خم اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم اه وقوله (بين مكة والمدينة) حال من ثانى مفعولى يدعى (فحمد الله) أى وصفه بنعوت الكمال (وأثنى عليه) بتنزيهه عن سائر ما لا يليق به وما حملناه عليه مما تصير به الجملتان مؤسستين أولى من جعلهما بمعنى والثانية مؤكدة للأولى (ووعظ) أى أمر بالطاعة ووصى بها يقال وعظه يعظه وعظاً وعظة ومنه قوله تعالى « إنما أعظكم بواحدة » اى آمركم وأوصيكم (وذكر) بتشديد الكاف أى ذكرهم ما قد غفلوا عنه بمزاولة الأهل والعيال من التوجه للخدمة وأداء حق العبودية (ثم قال أما بعد) بضم الدال لحذف المضاف اليه لفظا ونية معناه وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه كثيرا حتى قال الحافظ فى أبواب الجمعة من فتح البارى أن الحافظ عبد القادر الرهاوى بضم الراء أخرجها من قوله صلى الله عليه وسلم عن أربعين صحابيا وهى للانتقال من أسلوب كالثناء على الله سبحانه هنا إلى أسلوب آخر أى مما ذكر بعدها (ألا أيها الناس) بحذف حرف النداء إيجازاً

فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيَ رسولُ ربي فأجيبَ وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى

تنبهوا (فانما أنا بشر) والقصر فيه لرد ما قد يتوهمه قاصر عند ظهور الخوارق على يده صلوات الله وسلامه عليه من كونه إلها أو كونه ملكا ، لا لقصر صفاته على ذلك وأيضا أتى به ليبنى عليه ما يناسبه من الانتقال الذى هو شأن هذا النوع ويسمى الانسان بشرا لظهور بشرته أى ظاهر جلده يطلق على الواحد والجمع وتثنية العرب قال تعالى « قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا » (يوشك) بضم التحتية وكسر الشين المعجمة مضارع أوشك من أفعال المقاربة أى يقارب وقال الفارابى : الايشاك الاسراع ، قال الازهرى فى التهذيب قال النحاة استعمال المضارع اكثر من استعمال الماضى واستعمال اسم الفاعل منها أقل كذا فى المصباح وقوله (أن يأتى رسول ربى) فى تأويل مصدر اسم يوشك أى يقرب اتيان رسول ربى يعنى ملك الموت داعيا إلى النقلة إلى الله سبحانه مخيرا بينها وبين البقاء فى الدنيا فانه لا يموت النبي حتى يخير بينهما (فأجيبه) بالنصب عطفا على يأتى ويجوز قراءته بالرفع باضمار مبتدأ مالم تمنعه رواية (وأنا تارك فيكم ثقلين) بفتح المثلثة والقاف قال المصنف قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما وقيل لثقل العمل بهما زاد فى النهاية ويقال لكل خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما اه (أولهما كتاب الله) يعنى القرآن (فيه الهدى) هو كقوله تعالى « فيه هدى » على الوقف على قوله « لاريب » والابتداء بقوله « فيه هدى » فيكون التقدير كما قال البيضاوى « لاريب فيه ، فيه هدى » ففيه خبر مقدم وهدى مبتدأ مؤخر والهدى فى الاصل مصدر كالسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة على البغية لانه حصل مقابل الضلال فى قوله تعالى « لعلى هدى أو فى ضلال » ولم يقيد الهدى بالمتقين كما فى آية البقرة إيماء إلى عموم هدايته أى دلالته لكل مسلم وكافر كما قال فى الآية الأخرى « هدى للناس » والتقييد بالمتقين فى آية البقرة لأنهم المهتدون المنتفعون بنصبه ثم فى قوله « فيه الهدى » تجريد كقوله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » والتجريد أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله لأجل المبالغة فى كمالها فيه ويكون بالباء الموحدة نحو « لئن لقيت

والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغَّبَ فيه ثم قال وأهل بيتى أذكركم اللهَ فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ، فقالَ لهُ حُصينٌ : ومَنْ أهلُ بيته يازيدُ ؟ أليس نساؤهُ منْ أهل بيته ؟ قال نساؤه من أهل بيته

زيداً لتلقين به بحراً » وبمن نحو لتلقين منه أسداً وبقى كالآية والحديث (والنور) أى الاشراق والاضاءة (فخذوا بكتاب الله) الباء فيه مزيدة للتأكيد نبه عليه فى المصباح فقال أخذ الخطام وأخذ بالخطام على الزيادة أمسكه (واستمسكوا به) اطلبوا من أنفسكم الامساك به شبه تمسك الخلق به بالتمسك بالحبل الوثيق فى الاعتصام وعدم الانفصام (فحث) بتشديد المثلثة من باب قتل أى حرض (على كتاب الله) أى على الأخذ به والتمسك بحبله (ورغب) بتشديد المعجمة أى زاد العباد رغبة (فيه ثم قال وأهل بيتى) بالرفع أى وثانى المتروك فيكم المدعى حرمته أهل بيتى (أذكركم الله) بتشديد الكاف من التذكير وهو الوعظ أى آمركم بطاعة الله وبالقيام (فى أهل بيتى) ثم كرر ذلك ثانيا تأكيدا فقال (أذكركم الله فى أهل بيتى) وفيه تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث عليه وناهيك به ثم هو هكذا فى النسخ التى رأيت مكررا مرتين وفى الشفاء فى حديث الباب لكن من غير طريق مسلم «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله وأهل بيتى ثلاثا» قلت وهذا الانسب خصوصاً وفى الحديث «كان إذا تكلم صلى الله عليه وسلم تكلم ثلاثا» وحينئذ فعدم ذكر الثالثة إما من الناسخ أو من الرواة اختصاراً أو منه صلى الله عليه وسلم لعروض ماهو أهم من التكرار ثالثة والله أعلم ه (فقال له حصين) فى الشفاء «فقلنا له» وهو محتمل لتواردهم عليه ويحتمل صدوره من حصين وأسنده اليهم فى تلك الرواية لكونه مرادا لهم (ومن أهل بيته يازيد أليس) استفهام تقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بمضمونه أى اما تقر بمضمون قولنا أليس (نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته) أعاده بلفظه ليحصل كمال المناسبة بين السؤال والجواب وخير الجواب ماكان من لفظ السؤال كما ذكره البيضاوى فى التفسير ولو راعى زيد الاختصار لقال

ولكن أهلُ بيته من حرم الصدقة بَعدهُ ، قال ومن هم ؟ قال هم آلُ علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم » رواه مسلم وفى رواية « ألا

بلى ، قال المصنف قال فى هذه الرواية نساؤه من أهل بيته وقال فى الرواية الأخرى أى لمسلم « فقلت من أهل بيته نساؤه ؟ قال لا » فهاتان الروايتان ظاهرهما التناقض والمعروف فى معظم الروايات فى غير مسلم أنه قال « نساؤه ليس من أهل بيته » فتأول الرواية الاولى على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمرنا باحترامهم وإكرامهم وسمائهم ثقلا ووعظ فى حفظ حقوقهم فنساؤه داخلات فى ذلك ولا يدخلن فيمن حرم عليهم الصدقة وقد أشار إلى هذا بقوله « نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته » الخ فاتفقت الروايتان قال وفى قوله فى الرواية الاخرى من أهل بيته نساؤه دليل لابطال قول من قال هم قريش كلها لان بعض أزواجه قرشيات اه (١) (ولكن أهل بيته) أى المرادون عند الاطلاق كما فى الآية والخبر (من حرم عليهم الصدقة) أى الواجبة (بعده) قال ابن أقبرس هو أحد الاقوال وتعارضه الادلة الدالة على دخول نسائه فى أهل بيته كما تقدم فى الكلام على الآية (قال ومن هم) أى الذين تحرم عليهم الصدقة (قال هم آل على وآل عقيل) بفتح المهملة وكسر القاف (وآل جعفر) أولاد أبى طالب (وآل عباس) وبقى عليه باقى أولاد بنى هاشم من آل حمزة وأولاد أبى لهب وكون آله مؤمنى بنى هاشم فقط قول الحنفية وهو أحد قولى الامام مالك والثانى وهو مذهب إمامنا الشافعى أنهم مؤمنو بنى هشام والمطلب ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم « نحن وبنو المطلب كشىء واحد » (قال) أى حصين (كل هؤلاء حرم الصدقة) بالنصب أى منع الصدقة أى الواجبة من زكاة ونذر وكفارة (قال نعم » رواه مسلم) فى الفضائل ورواه النسائى فى المناقب (وفى رواية) هى لمسلم قال مسلم بعد إيراد الطريق الأولى واسناد الطريقة الثانية الى يزيد بن حيان ما لفظه وساق الحديث بنحو حديث أبى حيان أى الراوى فى الأولى عن يزيد غير أنه قال (ألا) أداة استفتاح يؤتى بها لتنبيه

---

(١) أى والبعض الآخر لسن بقرشيات فبطل هذا الرأى . ع

وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله وهو حبل الله ، من اتبعهُ كانَ على الهدى ومن تركه كان على ضلالة » * وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه موقوفا عليه أنه قال : « ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته » رواه البخارى (معنى) ارقبوهُ راعوهُ واحترموهُ وأكرموهُ والله أعلم

السامع لما بعدها اهتماما أى ألا أنبهك (وانى تارك فيكم ثقلين) وفى نسخة الثقلين (أحدهما كتاب الله وهو حبل الله) قال المصنف قيل المراد بحبل الله عهده وقيل السبب الموصل الى رضاه ورحمته وقيل نوره الذى يهدى به « قلت » وهو على هذه الوجوه استعارة مصرحة شبه ما ذكر فى الأقوال الثلاثة بالحبل بجامع الوصل فأطلق عليه اسمه (من اتبعه) مؤتمراً بأوامره منتهياً عن نواهيه (كان على الهدى) الذى هو ضد الضلالة (ومن تركه) فأعرض عن أمره ونهيه (كان على الضلالة) وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه فقال « لا ، أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها وترجع الى أبيها وقومها ، : أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده » اه وتقدم عن المصنف الجمع بين قوله فى حديث الباب فى نسائه إنهن من أهل بيته ونفى ذلك فى هذه الرواية وقوله فى هذه « وعصبته » إن أرادالأدنين اختص ببنى هاشم وإن أراد مطلقا دخل الجميع وخرج ما عدا بنى هاشم والمطلب لما يدل عليه فيكون عليه عاماً مخصوصاً والله أعلم * (وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه موقوفاً عليه) الموقوف ما أضيف الى الصحابى من قول أو فعل (انه قال ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته) أداء لبعض واجبات حقه (رواه البخارى * ومعنى ارقبوا) أى مع المفعول كما يدل عليه ذكر الضمير فى الأفعال المفسر بها وهى (راعوه) قال فى النهاية المراعاة الملاحظة (واحترموه وأكرموه) أى افعلوا ذلك معه بمراقبة أهل بيته وتعظيمهم وودادهم وحبهم والدخول فى عقد ولائهم مع ولاء سائر من أمرت الشريعة بموالاته من الصحابة الأكرمين والعلماء العاملين والأولياء الكاملين أحيانا الله وأماتنا على محبتهم وحشرنا فى زمرتهم بمنه آمين

﴿ باب ﴾

توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورَفْع مجالسهم وإظهار مرتبتهم

قال الله تعالى « قل هلْ يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون » وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدرى الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله

﴿ باب توقير ﴾

بالقاف من الوقار وهو التبجيل أى تعظيم (العلماء) أى بالعلوم الشرعية وآلاتها المطلوبة أى وإن لم يكونوا من ذوى السن والمراد علماء السنة والجماعة لما ورد من الوعيد فى تعظيم ذى البدعة وكذا يعتبر هذا فى قوله (والكبار) بكسر الكاف أى فى السن وإن لم يكونوا أهل علم (وأهل الفضل) من الكرم والمروءة والشجاعة وغيرها من خصال الكمال التى بها تتفاضل الرجال (وتقديمهم على غيرهم) ممن لم يكونوا كذلك وظاهر تعبيره أنهم عند اجتماعهم يرتبون بترتيبهم فى الذكر فيقدم ذو العلم على ذى السن وهو على من بعده (ورفع مجالسهم) وإن كانوا هم ينبغى لهم أن لا يطلبوا رفعها تواضعا واتباعا لحديث « كان ﷺ يجلس حيث ينتهى به المجلس » (واظهار مرتبتهم) أداء لحق ذى الحق « (قال الله تعالى قل هل) استفهام انكارى ما (يستوى الذين يعلمون) أى قام بهم العلم المطلوب تعلمه (والذين لايعلمون) اى لم يقم بهم ذلك فالفعل فيه فى الموضعين منزل منزلة اللازم قال البيضاوى الآية نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول أى لقوله « أمن هو قانت » الخ أى كما لايستوى العالم والجاهل لايستوى القانت والعاصى « (وعن أبى مسعود عقبة) بالقاف (ابن عمرو البدوى) نسب اليها لكونه سكنها والافلم يشهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم بما فيه من الخلاف (الانصارى) وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب المجاهدة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم) أى اكثرهم قراءة (لكتاب الله) جملة خبرية لفظاً طلبية معنى أى ليؤمهم ويدل

فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة . فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرةً فان كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنًّا

عليه حديث « إذا كنتم ثلاثة فليؤمكم أكبركم » وحديث مالك بن الحويرث « وليؤمكما أكبركما » وليس المراد بها الاخبار المحض لان ما أخبر صلى الله عليه وسلم عن حصوله فلا بد منه و كثيراً ما يؤم غير الاقرأ فدل على ما ذكرنا (فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة) قال القرطبي : تأول أصحاب الحديث بأن الاقرأ فى الصدر الاول هو الأفقه لانهم كانوا يتفقهون مع القراءة فلا يوجد قارىء إلا وهو فقيه قال وكان من عرفهم تسمية الفقهاء بالقراء اه فلا يشكل على ماقال إمامنا الشافعى وشيخه مالك من تقديم الافقه على الاقرأ لان حاجة الصلاة إلى الفقه أتم منها إلا القراءة وأخذ الامام أبو حنيفة بظاهر الخبر فقدم الأقرأ على الافقه وهو المعبر عنه بأعلمهم بالسنة قاله الشيخ زكريا فى شرح الاعلام وقال القرطبي : السنة هى أحاديث السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة أى فان كانوا فى القراءة سواء الخ مما انفرد بها الاعمش ومحلها عندنا وعند الشافعى فيما كان أول الاسلام عند عدم التفقه كان المقدم الأقرأ وإن كان صبياً كما جاء فى حديث عمرو بن سلمة « فلما تفقه الناس فى الكتاب والسنة قدم الفقيه بدليل تقديم النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وقد نص على أن أقرأهم أبى » فلو كان المقدم الأقرأ مطلقا لقدم على الصديق قال فى قوله يؤم القوم أقرؤهم حجة لمنع إمامة المرأة للرجال لان القوم هم الرجال لأنهم بهم يقوم الامر كما تقدم (فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة) إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى دار الاسلام ويراعى ذلك فى أولادهم وفيه فضل الهجرة ، والاولى وان انقطعت ففضيلتها باقية) فان كانوا فى الهجرة سواء فاقدمهم سنا) أى فى الاسلام كما تدل عليه الرواية الثانية « سلماً » أى اسلاما فيقدم الشاب القديم المدة فى الاسلام على الشيخ الحديثها فيه وهذه لفضيلة السبق الى الاسلام قال بعض العلماء إنما رأت الأئمة هذا الترتيب لأنها خلافة النبي صلى الله عليه وسلم إذ هو إمام فى الدنيا والآخرة فهى بعده للاقرب اليه منزلة والاشبه به رتبة ومحل هذا الترتيب ما إذا لم يوجد الوالى بمحل ولايته والا فيقدم حتى على الاقرأ والافقه فان لم يتقدم الوالى

ولا يؤمَّن الرجُلُ الرجلَ فى سلطانه ، ولا يقعدُ فى بَيْته على تكرمته إلاَّ بإذْنه» رواه مسلم . وفى رواية له « فأقدمهمْ سِلْماً » بَدَلَ سِنا أى إسلاما * وفى رواية « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة فان كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة فان كانوا فى الهجرة سواء

قدم من يصلح للامامة وان كان غيره أصلح منه لأن الحق فيها له كما يدل عليه قوله (ولا يؤمن الرجل الرجل) مثلا (فى سلطانه) فرب الدار مقدم على الضيف والمعير على المستعير والسيد على عبده غير المكاتب (ولا يقعد على تكرمته) فى القاموس هى الوسادة (الا باذنه) وجه المنع من هذا ما فيه من التصرف فى حق الغير بغير إذن وإذا منع من التكرمة بغير الاذن مع التساهل فيها والتخفيف فيها فالمنع من باقى حقوق الغير بغير إذنه أولى (رواه مسلم) فى كتاب الصلاة من خمس طرق مدارها على الأعمش ومن طريق أخرى عن شعبة كلاهما عن اسمعيل ابن رجاء عن أوس بن ضمعج عن أبى مسعود وأخرجه أبو داود والنسائى فى كتاب من طريقهما وأخرجه ابن ماجه فى الصلاة كذا لخص من الأطراف للحافظ المزى وقال الحافظ السيوطى فى الجامع أخرجه الطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه اه (وفى رواية له فأقدمهم سلما) بكسر السين وسكون اللام (بدل سنا) وفسر السلم بقوله (أى اسلاماً) « قلت » لعله مأخوذ من السلم بمعنى الصلح لما فيه من الاستسلام لاستسلام المسلم وانقياده لأحكام مولاه وهو كذلك بكسر السين وفتحها يذكر ويؤنث كما فى الصحاح (وفى رواية) هى لمسلم من حديث أبى مسعود أيضاً وكان على المؤلف حيث عزا ما قبلها له عزو هذه له لئلا يتوهم أنها لغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله) أى أرسخهم قدما فى ذلك (و) يقدم من الاقرأ (أقدمهم قراءة) وإن اختلفوا فى تقدم الهمزة وتأخرها (فان كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة) منصوب على التمييز (فان كانوا فى الهجرة سواء) أى وفى الأقربية والا فالاقرأ مقدم على الاقدم هجرة كما فى الحديث قبله فحينئذ يحمل المراد من الحديث على ما إذا تساووا فى قدم الهجرة والاقرئية واختلفوا فى تقدم السن فى الاسلام أو اتحدوا فيه وتفاوتوا فى

فليؤمهم أكبرهم سنا » والمراد بسلطانه محل ولايته أو الموضع الذى يختص به و (تكرمته) بفتح التاء وكسر الراء وهى ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما وعنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح منا كبنا فى الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ،

كبره وصغره (فليؤمهم أكبرهم سناً) لأنه أقرب الى التوجه الى المولى وأكثر عروضاً عن الدنيا وتوجهاً الى الدار الآخرة وتتمة الحديث قوله « ولا يؤمن الرجل فى أهله وعياله » والفعل فيه مبنى للمجهول مؤكد بالنون الثقيلة (والمراد بسلطانه محل ولايته) من بلد إن كان أميراً (أو الموضع الذى يختص به) من مسجد إن كان إماما راتباً فيه أو بيته وأهله مطلقا فأمير البلد وصاحب المنزل وإمام المسجد أحق بالامامة من الغير وإن كان الغير أفقه وأقرأ (وتكرمته بفتح التاء) الفوقية وسكون الكاف (وكسر الراء وهى ماينفرد به) أى عن أهل منزله كرامة له (من فراش وسرير ونحوهما) ولا يخالف ما تقدم من أنها الوسادة عن القاموس لامكان حمل كلامه على أنه ذكر فرداً مما ينفرد به عنهم لأن الكرامة خاصة بها وإن كان ذلك ظاهر كلامه وقال الشيخ زكريا فى شرح الاعلام وقيل مائدته (وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح منا كبنا فى الصلاة) أى يسويها بيده الكريمة حتى لايخرج بعضها عن بعض (ويقول) حال التسوية كما هو ظاهر السياق (استووا ولا تختلفوا) بأن يتقدم منكب بعضكم على منكب بعض ، يؤخذ منه ان الامام إذا سوى الصفوف باليد يسن له أن يقول ما ذكر ، وجمعه صلى الله عليه وسلم بين الفعل والقول كما هنا وانتصاره على القول فقط كما فى أحاديث أخر مختلف باعتبار حال المخاطبين فاذا علم صلى الله عليه وسلم اكتفاءهم بالقول لفقههم وسرعة امتثالهم اقتصر عليه ، وإلا لكثرتهم أو لاختلاطهم بحديثى الاسلام محتاجين لمزيد التعلم جمع بينهما (فتختلف) بالنصب لأنه جواب النهى (قلوبكم) أى أهويتها وإرادتها ، وفى فتح الاله « فان قلت » هذا ينافى خبر « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » إلى أن قال « ألا وهى القلب » قلت لا منافاة لأن حديث الباب دال على

ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » رواه مسلم * وقوله صلى الله عليه وسلم (ليلنى) هو بتخفيف النون وليس

أن اختلاف القلوب ناشىء عن مخالفة الأعضاء هذا الأمر الذى أمرت به بخصوصها، والثانى على أن مخالفتها لما أمرت به ناشىء عن فساد القلب وخلوه عن نور الهدى واليقين * وحاصله أن فساد القلب ينشأ عنه فساد الأعضاء وفسادها ينشأ عنه اختلاف أهوية القلوب واختلافها ينشأ عنه اختلاف الكلمة المؤدى الى مالا يتدارك خرقه من الفتن وضعف الدين اه (ليلنى) أى ليقرب منى فى الصلاة (منكم أولو الأحلام) جمع حلم بالكسر كأنه من الحلم وهو الاناة والتثبت فى الأمر وذلك من شعار العقلاء وقال المصنف أولو الأحلام هم العقلاء وقيل البالغون (والنهى) بضم النون العقلاء فعلى قول من يقول أولو الأحلام العقلاء اللفظان بمعنى عطف أحدهما على الآخر تأكيداً وعلى الثانى معناه البالغون العقلاء وعليه اقتصر المصنف فيما يأتى قال أهل اللغة وواحد النهى نهيه بضم النون وهى العقل ورجل نه ونهى وقوم نهين وسمى العقل نهية لأنه ينتهى إلى ماأمر به ولا يتجاوزه وقيل لأنه ينهى عن القبائح قال أبو على الفارسى ويجوز أن يكون مصدراً كالهدى وأن يكون جمعاً كالظلم قال والنهى فى اللغة الثبات والحبس ومنه النهى بكسر النون وفتحها المكان الذى ينتهى اليه الماء فيستنقع قال الواحدى فرجع القولان فى اشتقاق النهية إلى قول واحد وهو الحبس والنهية تنهى وتحبس عن القبيح (ثم الذين يلونهم) كالصبيان سواء المراهقون وغيرهم فهم فى درجة واحدة (ثم الذين يلونهم) وهم الخنثى (رواه مسلم) وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم فى كتاب الصلاة وفيه كما قال المصنف تقديم الافضل فالافضل إلى الامام لانه أولى بالاكرام ولانه ربما احتاج الامام إلى استخلاف فيكون هو أولى ولانه يتفطن لتنبيه الامام عن السهو مالا يتفطن له غيره وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها ويتعلموها ويعلموها الناس ولا يختص هذا التقديم بالصلاة بل السنة تقديم أهل الفضل فى كل مجمع إلى إمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والافتاء واستماع الحديث ونحوها ويكون الناس فيها على مراتبهم فى العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاية فى ذلك الباب والاحاديث متعاضدة على هذا وفيه تسوية الصفوف والاعتناء بها والحث عليها (وقوله ليلنى هو بتخفيف النون) أى هى للوقاية (وليس

قبلها ياء وروى بتشديد النون مع ياء ما قبلها (والنهى) العقول (وأولو الأحلام) هم البالغون وقيل أهل الحلم والفضل * وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليلنى منكم أولو الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم — ثلاثا — وإياكم وهيشات الأسواق »

قبلها ياء) أى قد حذفت للجازم (وروى بتشديد النون مع ياء قبلها) كذا جعلها هنا رواية وعبارته فى شرح مسلم ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون على التوكيد اه وهو من زيادات هذا الكتاب على شرح مسلم فليلحق بطرته وينبه عليه ثم تنبهت لكون كلام شرح مسلم فى حديث ابن مسعود وكلامه هنا فى حديث أبى مسعود ولم يذكر فى الاخير شيئاً فى شرح مسلم بعد ماقدمه مما نقله عنه فى حديث ابن مسعود وظاهر أن الرأى لامجال له فى هذا الشأن وجوز ابن حجر الهيتمى اثبات الياء ساكنة مع تخفيف النون وقال ان ذلك لغة صحيحة (والنهى العقول) سكت عن كون النهى جمعاً أو مفرداً وان كان تفسيره بالجمع يومىء إلى الاول لما علمت مافيه عن الفارسى من الاحتمالين ، (وأولو الاحلام هم البالغون) اقتصر عليه ليكون العطف على أصله فى المغايرة وتقدم انه قيل إنهم العقلاء وأنه عليه من عطف الرديف (وقيل أهل الحلم) أى الاناة والتثبت فى الأمر (والفضل) أى العلم وعليه فيكون عطف أولى النهى عليه من عطف العام على الخاص وحكاية هذا القول مزيدة على شرح مسلم ٥ (وعن عبد الله بن مسعود) الهذلى الصحابى الجليل تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الصبر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلنى) بحذف الياء وتخفيف النون كما ضبطه المصنف فى شرح مسلم (منكم أولو الاحلام والنهى) يجوز فى الظرف أن يكون لغوا معلقا بالفعل وأن يكون مستقرا حالا من الفاعل مقدما عليه (ثم الذين يلونهم ثلاثا) أى كرر ذلك ثلاث مرات والتكرار باعتبار صفوف المأمومين فالاولون البالغون والثانون الصبيان والثالثون الخناثى (وإياكم) منصوب على التحذير وكرره لمزيد التأكيد فقال (وإياكم) أى احذروا أنفسكم (وهيشات) بفتح الهاء وسكون التحتية والشين المعجمة (الاسواق) أى اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الاصوات واللغط والفتن التى فيها قاله المصنف وقال القرطبى « هيشات

رواه مسلم * وعن أبي يحيى وقيل أبي محمد سهل بن أبي حثمة « بفتح الحاء المهملة وإسكان الثاء المثلثة » الأنصاري رضي الله عنه قال « انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صُلْحٌ فتفرقا فأتى محيصةَ إلى عبد الله ابن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة

الاسواق » قال أبو عبيدة هوشاذ والهوشة الفتنة والهيج والاختلاف يقال هوش القوم إذا اختلفوا (رواه مسلم * وعن أبي يحيى وقيل أبي محمد سهل) بفتح المهملة وسكون الهاء (ابن أبي حثمة بفتح الحاء المهملة وإسكان المثلثة) واسم أبي حثمة عبد الله بن ساعدة وقيل عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي بن خيثم بن مخدعة ابن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس (الانصاري الخزرجي) الاوسي الحارثي (رضي الله عنه) وهو مدني توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين وقد حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون حديثا اتفقا على ثلاثة منها ، روى عنه نافع بن جبير وعبد الرحمن بن مسعود والزهري وقيل لم يسمع منه اه ملخصا من التهذيب للمصنف (قال انطلق عبد الله بن سهل) بن زيد بن عامر ابن عمرو بن مخدعة بن حارثة الانصاري الحارثي (ومحيصة) بتشديد التحتية وتخفيفها لغتان مشهورتان فيه وفي حويصة الآتي ، قال المصنف ذكرهما القاضي أشهرهما التشديد (ابن مسعود) بن كعب بن عامر بن عمرو بن مخدعة بن حارثة ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الانصاري (الى خيبر) البلدة المعروفة ذكر الحازمي أن أراضي خيبر يقال فيها خيابر بفتح المعجمة وخروجهما اليها ليختارا منها (وهي يومئذ صلح) أي مع النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد فتحها وإقرار أهلها عليها صلحا (فتفرقا) لحوائجهما (فأتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط) أي يتخبط ويضطرب (في دمه قتيلا) حال من فاعل يتشحط (فدفنه ثم قدم) بكسر الدال (المدينة) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله عليه وسلم مأخوذة من دان إذا أطاع وهي محل الدين في الحديث « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » (فانطلق عبد الرحمن بن سهل) أخو المقتول (ومحيصة

وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال كبر كبر ، وهو أحدث القوم فسكت فتكلما فقال أتحلفون وتستحقون قاتلكم»

وحويصة) بتشديد الياء على المشهور فيهما كما تقدم (ابنا مسعود) ابنا ابن عم أبى المقتول (إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن) قال الشيخ زكريا فى شرح الاعلام وفى رواية ، محيصة (يتكلم) فيجوز أن يكون كل منهما ذهب يتكلم وكان حويصة أكبر منهما والجملة فى محل الحال (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم للمتكلم (كبر كبر) بتشديد الموحدة أى راع الكبر بضم الكاف كذا فى شرح الاعلام لكن فى مسلم بعد قوله كبر الكبر فى السن قال المصنف معناه يريد الكبر فى السن والكبر منصوب باضمار يريد أو نحوها وفى نسخة المكبر اه ومقتضى ضبطه فى النسخة الاولى أن يكون بالكسر والفتح قال فى المصباح كبر الصغير وغيره يكبر من باب تعب كبرا بوزن عنب وكبر الشيء كبر من باب قرب عظم فهو كبير أيضا اه وظاهر أن ما نحن فيه من المادة الاولى ثم رأيت العاقولى بين وجه ما فى الاعلام كما يأتى عنه قريبا (وهو) أى عبد الرحمن (أحدث القوم) سنا وأسن منه محيصة وأسن منهما حويصة (فسكت فتكلما) بأن يذكر الاصغر الاكبر ما نسيه قال المصنف واعلم أن حقيقة الدعوى إنما هى لاخيه عبد الرحمن لاحق فيها لابنى عمه وانما أمر صلى الله عليه وسلم أن يتكلم الاكبر وهو حويصة لانه لم يكن المراد بكلامه حقيقة الدعوى بل سماع صورة القصة وكيف جرت واذا أراد حقيقة الدعوى تكلم عبد الرحمن ويحتمل أن يكون وكلهما فى الدعوى وقال العاقولى هذا ارشاد وتأديب لانهما ابنا عم أبيه وقد حضرا معه لنصره وإذا لم يوقرهما بأن يجعل الكلام اليهما فقد أضاع حقهما اذ لا نصيب لهما فى الارث ولا ترك لهما مجالا فى القول والانسان انما يتسلى بأحد هذين مال يأخذه أو كلام ينصت اليه فيه ويذعن له ، ويؤخذ منه استحباب تقديم الكبير سنا لان حويصة أسن من عبد الرحمن ورتبة فانه فى عداد والده والكبر بالضم يقال فلان كبر فى قومه إذا كان أقعدهم سنا اه وله نظائر فانه يقدم بذلك فى الامامة وولاية النكاح ندبا وغير ذلك (فقال أتحلفون) أى خمسين يمينا كما جاء فى رواية (وتستحقون قاتلكم) أى يثبت حقكم عليه وهل هو قصاص أو دية ؟ فيه خلاف بين العلماء وعرضه اليمين عليهم محمول على أن المراد إن علموا

وذكر تمام الحديث . متفق عليه (وقوله) صلى الله عليه وسلم (كبر كبر) معناه يتكلم الأكبر * وعن جابر رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعنى فى القبر ثم يقول أيهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ فاذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد »

ذلك أو ظنوه إذ لا يجوز الحلف الا عند وجود ذلك وعرضه على الثلاثة مع أنها للوارث وهو الاخ وأما الآخران فلا ميراث لهما مع وجوده للعلم بأنها لا تجب على غير الوارث فأطلق الخطاب لهم ومراده من يختص به اليمين والاطلاق لكونه معلوماً عند المخاطبين كما سمع صورة الواقعة من القوم وان الدعوى مختصة بالاخ قاله المصنف (وذكر تمام الحديث) مما لا يتعلق به غرض الترجمة وهو تقديم أهل الفضل والسن (متفق عليه) أخرجه البخارى فى خمسة أماكن من صحيحه ومسلم فى الحدود وأبو داود والترمذى وابن ماجه فى الديات والنسائى فى القضاء (وقوله صلى الله عليه وسلم كبر كبر) بالتكرير للتأكيد (معناه يتكلم) أى ليتكلم (الاكبر) أى فى السن كما ذكره المصنف فى شرح مسلم ، أو فى الرتبة كما تقدم عن العاقولى وغيره * (وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان) للحاجة من كثرة القتلى وقلة العمال (يجمع بين الرجلين من قتلى أحد) بضمتين الجبل المعروف بالمدينة وكان غزوته سنة أربع من الهجرة على قول الاكثر قال الحافظ فى الفتح روى أصحاب السنن عن هشام بن عامر الانصارى قال « جاءت الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقالوا أصابنا قرح وجهد فقال صلى الله عليه وسلم احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة فى القبر » صححه الترمذى وأما دفن الرجل مع المرأة فروى عبد الرزاق باسناد حسن عن واثلة بن الاسقع « أنه كان يدفن الرجل والمرأة فى القبر الواحد فيقدم الرجل ويجعل المرأة وراءه وكان يجعل بينهما حائل من تراب ولاسيما اذا كانا أجنبيين » اه وقوله (يعنى فى القبر) بيان للمجموع فيه وخرج به الكفن فكان كل يفرد بكفنه (ثم يقول أيهما أكثر أخذا) أى حفظا (للقرآن فاذا أشير) أى بكثرة الاخذ (إلى أحدهما) أى الرجلين (قدمه فى اللحد) إلى جهة القبلة من غيره ولو أسن منه تعظيما له أو تشريفاً

رواه البخارى *وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «أرانى فى المنام أتسوك بسواك فجاءنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواكَ الأصغرَ ، فقيل لى كبر ، فدفعته إلى الأكبر منهما » . رواه مسلم مسنداً ورواه البخارى تعليقاً*

لما خص به من أكثرية الأخذ للقرآن وظاهر منه بالأولى تقديم الآخذ لشىء من القرآن على من لم يأخذ بالمرة (رواه البخارى) فى الجنائز وفى المغازى ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه فى الجنائز أيضا وقال الترمذى حسن صحيح * (وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أرانى) قال الحافظ فى الفتح بفتح الهمزة من الرؤية ووهم من ضمها (فى المنام) مصدر ميمى أى النوم والظرف فى محل الحال وجملة (أتسوك) بتشديد الواو فى محل المفعول الثانى (بسواك) الباء فيه للاستعانة (فجاءنى رجلان) فى المنام (أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر) لعلة أو لمعنى رآه صلى الله عليه وسلم فيه من علم أو نحوه (فقيل لى كبر) بتشديد الموحدة والقائل جبريل كما جاء كذلك فى رواية ابن المبارك (فدفعته إلى الأكبر منهما) قال ابن بطال فيه تقديم ذى السن فى السواك و يلتحق به الطعام والشراب والمشى والكلام قال المهلب هذا مالم يترتب القوم فان ترتبوا فالسنة تقديم الأيمن وهو صحيح و يؤيده تقديم الأعرابى على الصديق فى دفع الشراب اليه وفيه أن استعمال سواك الغير باذنه غير مكروه إلا أن المستحب غسله ثم استعماله (رواه مسلم) فى الرؤيا وفى آخر الكتاب (مسنداً) عن نصر بن على عن أبيه عن صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر (ورواه البخارى تعليقاً) بصيغة الجزم فقال وقال عفان ثنا صخر بن جويرية بالاسناد المذكور قال الحافظ فى الفتح قال الاسمعيلى أخرجه البخارى بلا رواية « قلت » وقد وصله أبو عوانة فى صحيحه عن محمد بن اسحاق الصنعانى وغيره عن عفان وكذا أخرجه أبو نعيم والبيهقى من طريقه والتعليق حذف أول السند واحدا فأكثر ولو لجميع السند مأخوذ من تعليق

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذى الشيبة وحاملِ القرآن غيرِ الغالى فيه والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط» حديث حسن رواه أبو داود*وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرفْ شرفَ كبيرِنا »

الجدار) * (وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله) أى من تعظيمه وتبجيله (إكرام ذى) أى صاحب الشيبة) المسلم الذى شاب شعره أى ابيض ونفذ عمره فى الاسلام والايمان فتعظيمه وتقديمه فى الصلاة بشرطه على غيره وفى المجامع والمجالس وفى القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته عند مولاه سبحانه (وحامل القرآن) أى قارئه سمى حاملا لما يحمل فى حفظه من الدرس والمشقة فى تفهمه والعمل باحكامه وتدبره فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الاحمال الثقيلة (غير) بالنصب على الاستثناء وبالجر على الوصفية (الغالى) بالمعجمة (فيه) المتجاوز الحد فى التشدد والعمل به وتتبع ماخفى منه واشتبه عليه من معانيه والكشف عن دقيق علله التى لايصل فيها عقله بما يبتدعه فى الدين ليضل ويضل غيره ويجاوز حدود قراءته ومخارج حروفه ومده (والجافى عنه) أى التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه فان هذا من الجفاء وهو البعد عن الشىء قال فى النهاية وانما قال ذلك لأن من أخلاقه التى أمر بها القصد فى الأمر ، والغلو التشديد فى الدين ومجاوزة الحد والتجافى البعد عنه » قلت »لاسيما من أعرض عنه بكثرة النوم والبطالة والاقبال على الدنيا والشهوات وما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ باحكامه ولا يعمل بها فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً (واكرام ذى) أى صاحب (السلطان) أى الملك والتسلط (المقسط) بضم الميم أى العادل فى حكمه بين رعيته (حديث حسن رواه أبو داود) فى الادب من سننه * (وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه) شعيب (عن جده) أى جد أبيه أى ان أباه رواه عن جده وهو عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا) أى من أهل سنتنا وهدينا وطريقتنا (من لا يرحم صغيرنا)أى الصغير من المسلمين بأن يشفق عليه ويرحمه ويحسن اليه ويلاعبه (ويعرف شرف كبيرنا)أى بما يستحقه

حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى حديث حسن صحيح * وفى رواية أبى داود « حق كبيرنا » *وعن ميمون بن أبى شبيب رحمه الله « أن عائشة رضى الله عنها مرَّ بها سائل فأعطته كِسْرَةً ومرَّ بها رجل عليه ثيابٌ وهيئة فأقعدتهُ فأكل فقيل لها فى ذلك فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلوا الناس منازلهم »

من التعظيم والاجلال والتبجيل وتوضحه رواية أحمد « ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا » ولأحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه « ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » (حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى) فى أبواب البر واللفظ له عن ابن عمر (وقال الترمذى حديث صحيح) الذى فى الجامع وقال حسن صحيح وكذا فى نسخة من الرياض والظاهر أنه حسن باعتبار طريق صحيح باعتبار آخر لأنه رواه من طريقين ينتهيان إلى عمرو بن شعيب وفى رواية له عن أنس مرفوعا « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يوقر كبيرنا » وقد نبه المصنف على أن اللفظ المذكور للترمذى فقال (وفى رواية أبى داود حق كبيرنا) أى عبر بحق بدل شرف وقد أخرجه باللفظ المروى عن الترمذى وأحمد والحاكم فى مستدركه * (وعن ميمون) بفتح الميم الاولى وسكون التحتية (ابن أبى شبيب) بفتح المعجمة وكسر الموحدة بوزن حبيب وهو الربعى أبو نصر الكوفى قال الحافظ فى التقريب صدوق كثير الارسال من الثالثة مات سنة ثلاث وثمانين فى وقعة الجماجم (أن عائشة رضى الله عنها مر بها سائل) أى متعرض بالسؤال لطلب الاحسان (فأعطته كسرة) بكسر الكاف وسكون المهملة وهى هنا القطعة المكسورة من الخبز والجمع كسر كسدرة وسدر (ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة) هى فى اللغة الحالة الظاهرة والمراد هنا حالة حسنة (فأقعدته فأكل) قال السخاوى فى المقاصد ولفظ أبى نعيم فى الحلية « فمر رجل غنى ذو هيئة فقالت ادعوه فنزل فأكل ومضى وجاء سائل فأمرت له بكسرة فأكل فقالت ان هذا الغنى لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يرضاه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » (فقيل لها فى ذلك) بحذف الفاعل لغرض من أغراض حذفه (فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلوا الناس منازلهم)

رواه أبو داود لكن قال ميمون لم يدرك عائشة

هو حض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض فى المجالس وفى القيام والمخاطبة والمكاتبة وغير ذلك من الحقوق كما تقدم عن المصنف قال الامام مسلم فلا يقصر بالرجل العالى القدر عن درجته ولا يرفع متضع القدر فوق منزلته ويعطى كل ذى حق حقه من قوله تعالى « وفوق كل ذى علم عليم » وهذا فى بعض الأحكام أو أكثرها وقد سوى الشرع بينهم فى القصاص والحدود وأشباهها مما هو معروف اه قال العلماء فى الحديث إن العالم إذا فعل شيئا يخفى أمره وسئل عن ذلك يستدل بالحديث النبوى إذ هو من أقوى الحجج الشرعية وهو أبلغ من ذكر الحكم بلا دليل (رواه أبو داود) فى الأدب من سننه قال السخاوى ورواه ابن خزيمة فى صحيحه والبزار وأبو يعلى فى مسنديهما والبيهقى فى الأدب والعسكرى فى الأمثال ومداره عندهم على ميمون (لكن قال) أبو داود (ميمون لم يدرك عائشة) أى فى الحديث منقطع قال السخاوى فى كتاب الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وتعقب ابن الصلاح ما ذكر عن أبى داود بأن ميمونا أدرك المغيرة وهو قد مات قبل عائشة وأشار الى أنه على شرط مسلم لاكتفائه بالمعاصرة مع إمكان التلاقى وأقره النووى على ذلك وفيما أشار اليه نظر فان الاكتفاء بالمعاصرة محله فى غير المدلس وميمون قد قال فيه عمرو ابن الفلاس ليس بقوى فى شىء من حديثه (١) سمعت ولم أخبر أن أحدا منهم يزعم أنه سمع الصحابة اه وصرح غيره بأنه روى عن جمع من الصحابة لم يدركهم منهم معاذ وأبو ذر وعلى فلذا قال أبو حاتم ان روايته عنها مرسلة بل صرح أيضا بأن روايته عن عائشة غير متصلة وكذا قال البيهقى حديثه عنها مرسل وقال أبو نعيم انه ضعيف ثم ذكر السخاوى تصحيح بعض المحدثين لروايته عن أبى ذر وعن معاذ والمغيرة ثم قال وهذا كله مشعر بادراك ميمون لعائشة ، ثم إن الجواب عن أبى داود ممكن بأن يكون مراده أنه لم يدرك السماع منها وجزم ابن القيم بفساد التعقب المشار اليه أى بالرواية عن المغيرة وغيره بأن ميمونا كان

---

(١) لعله ليس يقول فى شىء من أحاديثه سمعت الخ . ع

وقد ذكر مسلم فى أول صحيحه تعليقا فقال وذُكِرَ عن عائشة قالت : « أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نُنْزِلَ الناس منازلهم » وذكره الحاكم أبو عبد الله فى كتابه معرفة علوم الحديث قال وهو حديث صحيح * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «قَدِمَ عُيينةُ بن حصن

بالكوفة فسماعه من المغيرة لا ينكر لأنه كان معه بها بخلاف عائشة فانها كانت بالمدينة قال وأئمة هذا الشأن لهم أمر وراء المعاصرة على أن الحافظ العراقى قال لم يأت فى خبر قط إدراك ميمون للمغيرة : إنما أخذه ابن الصلاح من رواية مسلم فى المقدمة عنه عن المغيرة حديثا استشهادا وقال فيه إنه حديث مشهور ثم أشار السخاوى الى أن من ذكر رواية موقوفا عليها (وقد ذكره مسلم فى أول صحيحه تعليقا) وهو فى مسلم قليل جدا (فقال وذكر) بالبناء للمفعول (عن عائشة) قال المصنف هو بالنظر الى أن لفظه ليس جازما لا يقتضى حكمه بصحته وبالنظر الى أنه احتج به وأورده إيراد الأصول لا إيراد الشواهد يقتضى حكمه بصحته (قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل) بضم النون الأولى وسكون الثانية مضارع أنزل وفى رواية بضم الاولى وفتح الثانية وتشديد الزاى وهى المشهورة (الناس منازلهم وذكره الحاكم أبو عبد الله) ابن الربيع بفتح الموحدة وتشديد التحتية (فى كتابه معرفة علوم الحديث) فى النوع السادس عشر (قال وهو حديث صحيح) وعبارته صحت الرواية عن عائشة رضى الله عنها وساقه بلا إسناده وكذا صححه ابن خزيمة لانه أخرجه فى كتاب السياسة من صحيحه وتعقب التصحيح بما تقدم من انقطاعه وباختلاف رواته فى رفعه تارة ووقفه على عائشة أخرى قال السخاوى فى الجواهر هذا حديث حسن وفى المقاصد وبالجملة فحديث عائشة حسن ، قال أبو أحمد العسكرى فى الامثال وهذا الحديث مما أدب به النبى صلى الله عليه وسلم أمته فى ايفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء واكرام ذى الشيبة واجلال الكبير وما أشبهه * (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم عيينة) بضم العين وفتح التحتية الاولى وسكون الثانية بعدها نون فهاء (ابن حصن) بكسر المهملة الاولى ابن حذيفة بن بدر بن عمرو بن حوبة بن لوذان ابن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن مفيض بن ربيع بن غطفان بن سعد

فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمرُ رضى الله عنه وكان القراءُ أصحابَ مجلس عمر ومشاورته كُهُولا كانوا أو شباناً ،

ابن قيس عيلان بالمهملة الفزارى أسلم بعد الفتح وقيل قبله وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم والاعراب الجفاة ثم ارتد وقاتل مع طليحة الاسدى فأسرته الصحابة وحملوه إلى الصديق فاسلم فأطلقه والمراد أنه قدم المدينه (فنزل على ابن أخيه الحر) بضم المهملة وتشديد الراء (ابن قيس) والحر صحابى أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك ، وهو الذى خالف ابن عباس فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه فقال ابن عباس هو الخضر فسألا أبيا فذكر حديثا مرفوعا كما قال ابن عباس وحكاية الخلاف بينهما فى كتاب العلم من صحيح البخارى وقيل المخالف لابن عباس عوف البكالى وهو كذلك فى مسلم قال العلائى كان للحر ، ابن شيعى وابنة حرورية ، وامرأة معتزلية وجارية مرجئية فقال لهم الحر أنا وأنتم كما قال تعالى « كنا طرائق قددا » (وكان) أى الحر (من النفر) بفتح النون والفاء وهو كما فى المصباح جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة وقيل إلى سبعة ولا يقال فيما زاد على العشرة اهـ « قلت » فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه (الذين يدنيهم) بضم التحتية الاولى أى يقربهم (عمر رضى الله عنه) منه لعلمهم وعملهم (وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه) المقدمين فيه (و) أصحاب (مشاورته) مصدر شاورته فى الامر قال فى المصباح شاورته فى كذا واستشرته فيه راجعته لأرى رأيه فيه ، فأشار على بكذا أى أرانى ماعنده من المصلحة ، والاسم المشورة وفيها لغتان سكون الشين وفتح الواو وضم الشين وسكون الواو ويقال هى من شار الدابة إذا عرضها فى المشوار وقيل من شرب العسل شبه حسن النصيحة بشرب العسل اهـ (كهولا) خبر مقدم لقوله (كانوا أو شباناً) عطف على كهولا وهو بضم الشين المعجمة وتشديد الموحدة الأولى جمع شاب كفارس وفرسان ويجوز أن يقرأ شباب بفتح المعجمة وتخفيف الموحدة الأولى جمع شاب أيضا كما فى مصدر شب فيكون على تقدير مضاف أو على تقدير المبالغة كزيد عدل قال فى الفتح الأولى رواية الأكثر والثانية رواية الكشميهنى والشباب قبل الكهولة وقد تقدم بيان الاسنان

فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وَجْهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه ، فاستأذن له عمر رضى الله عنه فلما دخل قال هِىْ يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزْلَ ، ولا تحكمُ فينا بالعدل ؛ فغضب عمرُ رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (خُذِ العفو وأمرْ بالعُرف وأعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين ، والله

ونظمها الدماميني فى باب تعظيم حرمات المسلمين وفيه تقديم أولى الفضل على من عداهم وإن كانوا دونهم فى السن أو فى النسب والحسب (فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخى لك وجه) أى تقدم (عند هذا الأمير) يعنى عمر (فاستأذن لى عليه) أى اسأل لى منه الاذن فى الدخول عليه (فاستأذن له فأذن عمر رضى الله عنه فلما دخل) معطوف على مقدر أى دخل فلما دخل (قال هى) بكسر الهاء وسكون التحتية كلمة تهديد ، وقيل ضمير وثم محذوف أى هى داهية (يا ابن الخطاب) بفتح المعجمة وتشديد المهملة (فو الله ما تعطينا الجزل) أى ما يجزل لنا من العطاء وأصل الجزل ماعظم من الحطب (ولا تحكم فينا بالعدل) هو خلاف الجور يقال عدل على القوم من باب ضرب عدلا (فغضب عمر) لما نسبه اليه من الجور (حتى هم) بتشديد الميم أى أراد (أن يوقع) بضم التحتية (به شيئاً) أى من العقوبة أو شيئا من الايقاع وذلك لجفاه وسوء أدبه معه (فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) أى والأصل فى أحكام التكاليف اشتراك أمته معه حتى يدل دليل على التخصيص والاقتداء فيما لم يدل دليل على الخصوص مطلوب قال تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وقوله « خذ العفو » أى ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل أو ما يسهل من صدقاتهم وقوله « وأمر بالعرف » أى بالمعروف المستحسن من الأفعال وقوله « وأعرض عن الجاهلين » أى فلا تمارهم ولا تكافئهم مثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق آمرة للرسول باستجماعها (وإن هذا من الجاهلين) أى المأمور بالاعراض عنهم (ووالله) الواو الأولى عاطفة على فقال له الحر والثانية للقسم

ماجاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى » رواه البخارى وعن أبى سعيد سَمُرَة بن جُنْدُب رضى الله عنه قال : «لقد كنتُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فكنت أحفظ عنه فما يمنعنى من القول الا أن ههنا رجالا هم أسنّ منى »

(ما جاوزها) وفى نسخة ما جازها (عمر رضى الله عنه) أى بالمخالفة لها (حين تلاها عليه) بل وقف عندها فأعرض عن مكافأة جهله (وكان وقافا) بتشديد القاف (عند) أوامر (كتاب الله) يعنى القرآن كناية عن امتثالها والقيام بأداء ما أمر بأدائه وترك مانهى عنه (رواه البخارى) فى كتاب التفسير والاعتصام من صحيحه وهذا الحديث ذكره المصنف فى أواخر باب الصبر وتقدم شرحه ثم وفيه بعض فوائد زائدة على ما هنا * (وعن أبى سعيد) وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو سليمان وقيل أبو محمد حكاها فى التهذيب (سمرة) بفتح السين وضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم والدال المهملة وبفتح الدال بينهما نون ساكنة ابن هلال بن حريج بمهملة مفتوحة فراء مكسورة فتحتية ساكنة فجيم ابن مرة ابن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين بخاء وشين معجمتين ابن لاى بن عاصم بن شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الفزارى الصحابى (رضى الله عنه) توفى أبوه وهو صغير فقدمت به أمه المدينة فتزوجها أنصارى وكان فى حجره حتى كبر فقيل أجازه النبي صلى الله عليه وسلم فى المقاتلة يوم أحد وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات ثم سكن البصرة وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار الى الكوفة وعلى الكوفة إذا سار الى البصرة ، وكان الحسن وابن سيرين وفضلاء البصرة يثنون عليه ، روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث اتفقا منها على حديثين وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بأربعة ؛ توفى بالبصرة سنة تسع وقيل ثمان وخمسين وقال البخارى توفى سمرة بعد أبى هريرة يقال آخر سنة تسع وخمسين ويقال سنة ستين (قال لقد كنت على عهد) أى زمن حياة (رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما) تقدم ما يؤخذ منه أن سنه كانت عند وفاة النبي ﷺ نيفا وعشرين سنة فالمراد من الغلام الصغير فى السن (فكنت أحفظ عليه) معطوف على كنت الأول (فما يمنعنى من القول) أى من التحديث (إلا أن ههنا رجالا هم أسن منى) أخذ منه علماء الأثر

متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه » رواه الترمذى وقال حديث غريب

* باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة

قولهم يكره أن يحدث إذا كان فى البلد من هو أولى به لزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن أو نحو ذلك ، بل يدل عليه ، وهذا بخلاف باقى العلوم فلا يكره تعاطيها المفضول المتأهل مع وجود الاعلم بها منه (متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب) بتشديد الموحدة (شيخا) أى داخلا فى سن الشيخوخة وهو ما بعد الخمسين (لسنه) أى لأجل كبره (إلا قيض) بتشديد التحتية والضاد المعجمة أى قدر (الله له من يكرمه عند سنه) أى كبره ففيه إيماء الى وعد من أكرم شيخا أمنه الله تعالى بأن يطول عمر المكرم حتى يبلغ ذلك السن ويقدر الله له من يقوم بكرامته فيدان بما دان به (رواه الترمذى وقال غريب) فى الجامع الصغير على الحديث علامة الحسن

باب زيارة أهل الخير

أى قصدهم تشوقا اليهم قال فى المصباح زاره يزوره قصده شوقا اليه فهو زائر وزور وزوار مثل سافر وسفر وسفار ، ونسوة زور أيضا وزور مثل نوح وزائرات اه والمراد من أهل الخير حزب الله المنقطعون اليه اللائذون به الحائزون لشرف العلم والعمل به مع الاخلاص فيه ومن شبه بقوم فهو منهم وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم أمانا الله على محبتهم وحشرنا كذلك فى زمرتهم (ومجالستهم) أى ليحفظ نفسه ذلك الزمن عن المخالفة لمولاه فان ذلك أقل ثمرات مجالستهم ويراعى فى ذلك الأدب ويحفظ نفسه من الخواطر بين يدى أهل الله تعالى (وصحبتهم) أى المصاحبة معهم (ومحبتهم) أى تعاطى ما يوصل اليها والمصادر مضافة لمفعولها والفاعل محذوف (وطلب زيارتهم ودعائهم) مصدران مضافان لفاعليهما واستحباب طلبه زيارتهم له لتعود بركتهم على منزله ومن به وطلبه لدعائهم له لأنه أقرب الى الاجابة وأرجى الى الحصول (وزيارة) معطوف على زيارة

المواضع الفاضلة

قال الله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لاأبرح حتى أبلغ مَجْمَعَ البحرين أو أمضى حقباً » إلى قوله تعالى

المضاف اليه الباب أى وزيارته (المواضع الفاضلة) وفضلها بكونها مساجد أو بكونها مأثورات عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أحد من الصحابة أو عن متعبدات الأولياء الصالحين فالمكان بالمكين ٠

(قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه) أى واذكر إذقال موسى لفتاه يوشع ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذا سمى فتاه وقيل لعبده (لا أبرح) لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر عليه وقوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) من حيث إنها تستدعى ذا غاية عليه ، ويجوز أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول مما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا تستدعى خبراً ، ومجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق وعند لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن ، وقرىء مجمع بكسر الميم الثانية على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (أو أمضى حقباً) أى أسير زمناً طويلا والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضى الحقب وهو الدهر ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل سبعون سنة ، وكان الخضر فى أيام أفريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقى الى أيام موسى (فلما بلغا مجمع بينهما) أى مجمع البحرين وبينهما ظرف وأضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) أى نسى موسى أن يطلب حاله ويتعرفه ويوشع أن يذكر ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر وكان ذلك العلامة من الله تعالى لموسى على مكان الخضر وكان الحوت مشوياً فوثب فى ذلك المكان فى البحر معجزة لموسى أو الخضر (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا وسربا مفعول ثان وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتاه آتنا غداءنا) أى ما نتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر

« قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلمنِ مما علّمتَ رُشْدًا »

وقال تعالى «واصبِرْ نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشى يريدون وجهه »

غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة (قال أرأيت إذ أوينا) أى أرأيت مادهانى إذ أوينا (الى الصخرة) يعنى التى وعد عندها موسى بلقاء الخضر (فانى نسيت الحوت) اى فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه (وما انسانيه إلا الشيطان ان اذكره) اى وما انسانى ذكره إلا الشيطان فان اذكره بدل من مفعول انسانى وهو اعتذار عن نسيانه لشغل الشيطان له بوسواسه والحال و إن كانت عجيبة لاينسى مثلها لكنه لما جرت بمشاهدة امثالها عن موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستقبال وانجذاب شراشره الى جانب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الأخرى يعد من النقصان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه أو موسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى واتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (قال ذلك) اى امر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لأنه امارة المطلوب قال البكرى وحذف الياء على التشبيه بالفواصل وسهل ذلك ان الياء لا تضم ههنا وقرىء باثباتها وهو الجيد اه (فارتدا) فرجعا (على آثارهما) فى الطريق التى ذهبا منها (قصصا) يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة (فوجدا عبداً من عبادنا) الجمهور انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس (آتيناه) بالمد اعطيناه (رحمة) هى الوحى والنبوة (من عندنا وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب (قال له موسى هل اتبعك) ففى هذا دليل لزيارة اهل الخير فى اماكنهم ومصاحبتهم ومجالستهم والتواضع معهم قال السيوطى فى الاكليل فى احكام التنزيل فى الآية : إنه لابأس بالاستخدام واتخاذ الرفيق والخادم فى السفر واستحباب الرحلة فى طلب العلم واستزادة العالم من العلم وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه فى المرتبة اه ملخصاً * (وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) تقدم

* وعن أنس رضى الله عنه قال « قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلقْ بنا إلى أم أيمنَ رضى الله عنها نزورُها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلمَ يزورُها ،

الكلام عليها فى باب فضل ضعفة المسلمين * (وعن أنس رضى الله عنه قال قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد) ظرف للقول (وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا إلى أم أيمن) هى بفتح الهمزة والميم وسكون التحتية بينهما مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنها) صارت اليه بالارث من أبيه قاله بعض وقال القرطبي كانت لأمه آمنة فورثها عنها ونقله الدميرى عن أبى بن شيخ وقال فى الديباجة عتقها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم قال وقال الواقدى كانت لعبد المطلب وصارت للنبي صلى الله عليه وسلم ميراثا أى بأن وهبها لابنه عبد الله ثم ورثها النبي إذ من البين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرث عبد المطلب لوجود أولاده ، وفى فتح البارى فى أواخر كتاب الهبة قال ابن شهاب : كان من شأن أم أيمن انها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما توفى أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر فأعتقها صلى الله عليه وسلم ثم أنكحها زيد بن حارثة وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين بن مالك ابن سلمة بن عمرو بن النعمان رضى الله عنهما وهى أم أيمن غلبت عليها كنيتها كنيت بابنها أيمن بن عبيد وهى بعد أم أسامة بن زيد تزوجها زيد بن حارثة بعد عبيد الحبشى فولدت له اسامة يقال لها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه وتعرف بأم الظباء وشربت هى وأم أيمن بركة مولاة أم حبيبة جاءت بها من أرض الحبشة بوله صلى الله عليه وسلم قال السهيلى أم أيمن بركة المذكورة أى فى الترجمة هى التى هاجرت فى حر شديد من مكة الى المدينة وليس معها أحد فبينا هى كذلك إذ سمعت حفيفا فوق رأسها فالتفتت فاذا دلو أدلى لها من السماء فشربت منها فلم تظمأ بعدها أبداً وكانت تتعمد الصوم فى حمارة القيظ لتعطش فلا تعطش (نزورها) جملة مستأنفة (كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها) كرامة لها وكان يقول أم أيمن أمى ، وكان صلى الله عليه وسلم يكرمها ويبرها مبرة

فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني لا أبكي أني لا أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها » رواه مسلم

الأم ويكثر زيارتها وكان عندها كالولد ولذا تصخب عليه أي ترفع صوتها عليه وتذمر أي تغضب وتضجر فعل الوالدة بولدها قاله القرطبي وقال المصنف في هذه الجملة زيارة الصالحين وفضلها وزيارة الصالح لمن هو دونه وزيارة الانسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ودصديقه وزيارة جماعة من الرجال المرأة واستصحاب العالم والكبير في العيادة والزيارة اه (فلما انتهيا اليها بكت) تذكراً لعهد المصطفى صلى الله عليه وسلم وزيارتها برؤيتها لكثرة ملازمتها له وعدم مفارقتها له في الغالب (فقالا لها ما يبكيك أما) استفهام تقريري (تعلمين أن ما) أي الذي (عند الله) مما أعد لنبيه مما لا تستطيع العبارة الاعراب عن أدناه فضلا عن أقصاه (خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم) قال تعالى « وللآخرة خير لك من الأولى » (قالت إني لا أبكي أني) أي لأني (لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لا أبكي لجهلي بأخيرية ما عند الله له وأنا أعلم ذلك كما جاء عنها عند ابن ماجه قالت « إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله » (ولكن) استدراك لما قد يتوهم من انتفاء مقتضى البكاء عند علمها بشرف مقامه المنتقل اليه بأن البكاء سبباً آخر هو قولها (أبكي أن) أي لأن (الوحي قد انقطع من السماء) أي لانقطاع الوحي من السماء عن الأرض بموته صلى الله عليه وسلم فان بفتح الهمزة على اضمار حرف التعليل كما ضبطه القرطبي قال وانقطاع الوحي سبب اختلاف مذاهب الناس ووقوع التنازع والفتن وحصول المصائب والمحن ولذا نجم بعده النفاق وفشا الارتداد والشقاق ولولا أن الله تعالى تدارك الدين بثاني اثنين لما بقي منه أثر ولاعين اه (فهيجتهما) بتشديد التحتية (على البكاء) أي أثارتهما عليه بذكرها ما يدعو اليه (فجعلا) من أفعال الشروع أي فشرعا (يبكيان معها) قال المصنف فيه البكاء حزنا على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا الى أفضل ما كانوا عليه (رواه مسلم) في باب فضل أم أيمن ورواه ابن ماجه ومن العجيب قول الترمذي في

* وعن أبي هرير ، رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مَدْرَجَتِه ملَـكا فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هـذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربُّها عليه ؟ قال لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى ، قال فأنى رسول الله اليـك بأن الله قد أحبك كما أحببتَه فيه »

الديباجة انفرد به المصنف وهو حديث صحيح رجاله حفاظ ثقات مخرج لهم فى الصحيحين أو فى أحدهما اه * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخاً له) أى فى الدين وقوله (فى قرية أخرى) فى محل الحال من المفعول لتخصيصه بوصف الظرف (فأرصد الله تعالى على مدرجته) أى محل درجه أى فى طريقه (ملـكا فلما أتى) أى مر الرجل (عليه قال) ظاهره أن الملك خاطبه وشافهه (أين تريد) واستفهم عنه مع إطلاع الله له على ذلك إن كان ليبنى ما بشره الله به مما يأتى على جوابه وهو (قال أريد أخاً لى) كائنا (فى هذه القرية) قال العاقولى هو جواب على المعنى الخافى من السؤال لأن قوله أين تريد يقتضى ان يقول له قرية كذا فيقول ما تفعل بها فيقول أريد أخاً لى فقدمه وأجابه من الأول على بما يؤول اليه السؤال (قال هل لك عليه من نعمة) اى عطية وإحسان (تربها عليه) بضم الراء والموحدة المشددة أى تسعى فى صلاحها بتربيتها وحفظها بالزيارة (قال لا) أى لا نعمة لى أربها بزيارته قال القرطبي أى لم أزره لغرض من أغراض الدنيا اه وهو تفسير مراد لا بيان لمعنى اللفظ كما هو واضح ثم استثنى استثناء منقطعاً قوله (غير) أى لـكن (أنى أحببته فى الله) فى تعليلية ومنه حديث « عذبت امرأة فى هرة حبستها » الحديث (قال فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك) الظرفان متعلقان برسول (كما أحببته فيه) الـكاف فى محل المفعول المطلق قال ابن أبى شريف فى شرح المسايرة فى قولهم فى تعريف النبي انه انسان أوحى اليه بشرع خرج بقوله « شرع » الوحى بغيره فيكون لغير النبي أى كحديث الباب وقوله تعالى فى حق مريم « فأوحينا » أرسلنا « اليها روحنا » الى أن قال الملك « إنما أنا رسول ربك » الآية والأصح عدم نبوتها وفى المواهب اللدنية قال القرافى كما نقله عنه ابن مرزوق : يعتقد كثير أن النبوة مجرد الوحى وهو باطل لحصوله لمن

رواه مسلم (يقال) أرصده لكذا إذا وكّله بحفظه (والمدرجة) بفتح الميم والراء الطريق ومعنى (تربها) تقوم بها وتسعى فى صلاحها * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مناديان طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى بعض النسخ غريب وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنما

ليس بنبي كمريم وليست نبية على الأصح مع قوله تعالى « فأرسلنا اليها روحنا » « وان الله يبشرك » وفى مسلم فذكر حديث الباب وليس بنبوة لأنها عند المحققين إيحاء الله لبعض بحكم إنسانى يختص به كقوله « اقرأ باسم ربك » فهذا تكليف يختص به فى الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل « قم فأنذر » كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره أيضاً فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول أخص مطلقا اه (رواه مسلم) والمراد من محبة الله تعالى للعبد إرادته الخير والتوفيق له واللطف به وفى الحديث ما يدل على عظم فضل الحب فى الله والتزاور فيه وأنه من أعظم الأعمال وأفضل القرب إذا تجرد عن هوى النفس قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » (يقال أرصده لكذا إذا وكله بحفظه) فمعنى أرصده الله على مدرجه ملكا أى جعله يرتقبه وينتظره ليبشره قال العاقولى ويقال أرصدته إذا قعدت له على طريقه (والمدرجة بفتح الميم والراء) وسكون الدال المهملة بينهما وبعد الراء جيم ثم هاء (الطريق) أنسب منه قول القرطبي موضع الدروج وهو المشى وإن كان المآل الى واحد (ومعنى تربها تقوم بها وتسعى فى صلاحها) أى فيتعاهده بسبب ذلك * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله) مخلصاً فى ذلك لله سبحانه (ناداه مناديان) أى من الملائكة (طبت) أى انشرحت بمالك عند الله تعالى من جزيل الأجر فى ذلك ، أو طهرت من الذنوب بغفرانه لك بذلك (وطاب ممشاك) أى عظم ثوابه (وتبوأت من الجنة منزلا) أى اتخذت منها داراً تنزله (رواه الترمذى وقال حديث حسن وفى بعض النسخ) حديث غريب * وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنما)

مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يُحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير

أداة حصر على الراجح كما تقدم أول الكتاب (مثل) بفتحتين الشأن العجيب والأمر الغريب ويقال بكسر فسكون ومثيل بوزن رغيف أى نظير (الجليس الصالح وجليس السوء) كذا وقفت عليه فى الرياض بتوصيف الأول وإضافة الثانى وكأن حكمة ذلك مع التفنن فى التعبير الاشارة الى مجانبة الجليس السيء حيث أطلق عليه لفظ المصدر وهو السوء بالفتح مبالغة فى التنفير أما السوء بالضم فاسم مصدر ويجوز ضم وفتح السين فيما ذكر كقولك رجل سوء وفى نسخة من الرياض توصيف الصاحب بوصفه فى كليهما (كحامل المسك) أعم من أن يكون صاحبه أو غيره (ونافخ الكير) وهو بكسر الكاف وسكون التحتية معروف وحقيقته البناء الذى يركب عليه الزق والزق هو الذى ينفخ فيه فاطلق على الزق اسم الكير مجازاً لمجاورته له وقيل واقتصر عليه فى القاموس الكير نفس الزق ، وأما البناء فاسمه الكور وهذا فيه لف ونشر مرتب ثم فصل ثمرة ذينك الحالين فقال (فحامل المسك إما أن يحذيك) بضم التحتية أوله وسكون الحاء المهملة وبالذال المعجمة أى يعطيك وزنا ومعنى (وإما أن تبتاع) مضارع من باب الافتعال للمبالغة أى تطلب البيع (منه) وفيه جواز بيع المسك والحكم بطهارته لانه صلى الله عليه وسلم مدحه ورغب فيه ففيه الرد على من كرهه وهو منقول عن الحسن البصرى وعطاء وغيرهما ثم انقرض هذا الخلاف واستقر الاجماع على طهارته وجواز بيعه (واما أن تجد) من الوجدان بكسر الواو والوجود لغة لبنى عامر (منه ريحا طيبة) أى فجليس الاخيار إما أن يعطى بمجالستهم من الفيوض الالهية أنواع الهبات حياء وعطاء وإما أن يكتسب من المجالس خيراً وآدابا يكتسبها عنه ويأخذها منه ، وإما أن يكتسب حسن الثناء بمخالطته (ونافخ الكير) هو بكسر الكاف وسكون التحتية قال الحافظ فى الفتح وفيه لغة أخرى كور بضم الكاف والمشهور بين الناس أنه الزق الذى ينفخ فيه لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير حانوت الحداد قال ابن التين وقيل الكير هو الزق والحانوت هو الكور وقال صاحب المحكم الزق الذى ينفخ فيه الحداد ويؤيد

إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » متفق عليه (يحذيك) يعطيك * وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تُنكحُ المرأةُ لأربع ، لمالها ولحسبها

الأول مارواه عمر بن شبة فى أخبار المدينة أن عمر رضى الله عنه رأى كير حداد فى السوق فضربه برجله حتى هدمه اه (إما أن يحرق ثيابك) بناره ان وصلت اليها (وإما أن تجد منه ريحا منتنة) بضم الميم وكسر المثناة الفوقية وقد تكسر الميم اتباعا للتاء ، وضم التاء اتباعا للميم قليل قاله فى المصباح أى قبيحة متغيرة أى فجليس الصاحب السيء إما أن يحترق بشؤم معاصيه قال تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وقال تعالى « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » وإما أن يدنس ثناءه بمصاحبته وقد ورد « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » ففى الحديث بيان نتائج كل من صحبة الاخيار والاشرار وفى الحديث ضرب المثل وتقدم معناه فى الأصل وهو المراد فى الحديث ، ثم خصص بالقول السائر الممثل مضربه بمورده قال البيضاوى الشرط فى ضرب المثل أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى يتعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف وفائدته كشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة وانما يضرب بما فيه غرابة اه ملخصاً من مواضع منه ولعل حكمة ذكر الظرف بعد « تجد » الاول دون الثانى مافى الاول من الكرامة فناسب اكرام المحكى عنه به وما فى الثانى من ضدها فترك دفعا للمكافحة لما يكره (متفق عليه) قال الحافظ المزى فى الاطراف أخرجاه فى البيوع وتعقبه الحافظ العسقلانى بان البخارى انما أخرجه فى الذبائح نبه عليه القطب الحلبي فى شرحه ووجدته كذلك قلت وقد أخرجه البخارى فى أوائل البيوع بتفاوت يسير فصح ماقاله المزى (ويحذيك يعطيك) وزنا ومعنى * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنكح) بالبناء للمفعول أى تتزوج (المرة لأربع) أى من الخصال (لمالها) بدل مطابق بدل مفصل من مجمل باعادة العامل اهتماما (ولحسبها) بفتح المهملتين وبالباء الموحدة اى نسبها

ولجمالها ؛ ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك » متفق عليه (ومعناه) أن الناس يقصدون فى العادة من المرأة هذه الخصال الأربع فاحرص أنت

بان تكون طيبة الاصل وفى المصباح الحسب مايعد من المآثر وقال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان فى الانسان وان لم يكن لآبائه شرف ورجل حسب كريم بنفسه قال وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الانسان إلا إذا كانا فيه وفى آبائه وقال الازهرى الحسب الشرف الثابت له ولآبائه قال وقوله عليه السلام « تنكح المرأة لحسبها » أحوج أهل العلم إلى معرفة الحسب لأنه مما يعتبر فى مهر المثل فالحسب الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لانهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه ومما يشهد لقول ابن السكيت قول الشاعر

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن * له حسب كان اللئيم المذمما

فجعل الحسب فعال الشخص مثل الشجاعة والجود وحسن الخلق ومنه قوله « حسب المرء دينه » اه وصحف من ضبطه فى الحديث بالنون بدل الموحدة لأن ذلك مذكور فى قوله (ولجمالها) هو كما قال سيبويه رقة الحسن (ولدينها) وأعاد الجار فى المتعاطفات إيماء إلى أن كل واحد منهما مما يقصد على انفراده واستقلاله (فاظفر) أيها المسترشد (بذات الدين) أى بصاحبته وهو أبلغ من صاحبته لانها كناية (تربت يداك) أى افتقرت وأسند إلى اليدين لأن التصرف يقع بهما غالباً ولم ترد العرب بهذه الكلمة وأمثالها معناها الاصلى من الدعاء بل إيقاظ المخاطب للمذكور بعده وحث وتحريض عليه ليعتنى به وقيل معناه افتقرت ان لم تفعل ما أرشدتك اليه ، وقد ورد ما يؤيده أخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يؤذيهن ، ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامرأة جذماء سوداء ذات دين أفضل » (متفق عليه) رواياه فى النكاح ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن أبى هريرة (ومعناه أن الناس يقصدون) بكسر المهملة الاولى (فى العادة من) نكاح (المرأة هذه الخصال الاربع زاد فى شرح مسلم « وآخرها عندهم ذات الدين » (فاحرص أنت) تفسير لقوله

على ذات الدين واظفر بها ، واحرص على صحبتها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ »

اظفر بضميره المستكن فيه (على ذات الدين) وعطف قوله (واظفر بها واحرص على صحبتها) إطنابا للتأكيد قال الرافعى فى المجلس الثالث عشر من أماليه يرغب فى النكاح لفوائد دينية ودنيوية والفوائد المتعلقة بمطلق النكاح تحصل بنكاح أى امرأة كانت ثم قال فمن الدواعى القوية اليه الجمال وقد نهى عن تزوج المرأة الحسناء وليس المراد النهى عن رعاية الجمال على الاطلاق ، ألا ترى أنه قد أمر بنظر المخطوبة ليكون النكاح عن موافقة الطبع ، ولكنه محمول على ما إذا كان القصد مجرد الحسن واكتفى به عن سائر الخصال أو على الحسن التام البارع لانه يخاف بسببه من الافراط فى الادلال المورث للوحشة والمنازعة والاطماع الفاسدة فالمنهل العذب كثير الزحام ومن شدة الصبوة والميل لا يؤمن منها تولد امور مضرة ولانها قد تصرفه عن كثير من الطاعات فى غالب الاوقات ، ومن الدواعى الغالبة المال وهو غاد ورائح ، واذا كان كذلك فلا يوثق بدوام الالفة سيما اذا قل وقد قيل « من عظمك عند استغلالك استقلك عند اقلالك » واما اذا كان الداعى الدين فهو الحبل المتين الذى لا ينفصم فكان عقده أدوم وعاقبته أحمد اه ملخصا * (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل صلى الله عليه وسلم ما يمنعك أن تزورنا) زيارة (أكثر مما تزورنا) فأكثر مفعول مطلق ويجوز أن يكون منصوبا على نزع الخافض ، قال الحافظ فى الفتح روى الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس قال : « احتبس جبريل عن النبى صلى الله عليه وسلم » وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال : « أبطأ جبريل فى النزول أربعين يوما ، فقال له يا جبريل ما نزلت حتى اشتقت اليك ، فقال أنا كنت اليك أشوق ولكنى مأمور ، فأوحى الله الى جبريل قل له وما نتنزل الآية » وعند ابن اسحاق عن ابن عباس « أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف فمكث صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له فى ذلك وحيا فلما نزل

فنزلت (وما نتنزّلُ الا بأمر ربّك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) » رواه البخارى * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكلْ طعامك إلا تقى » رواه أبو داود والترمذى بأسناد لا بأس به

قال أبطأت فذكره » اه (فنزلت) أنث باعتبار انها كلمات (وما نتنزل) قال البيضاوى التنزل على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ماتقتضيه حكمته (إلا بأمر ربك) قال الحافظ فى الفتح الأمر هنا بمعنى الاذن بدليل سبب النزول المذكور ويحتمل الحكم أى ننزل مصاحبين لأمره تعالى عباده بما شرع لهم ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك ، عند من يجيز حمل اللفظ على جميع معانيه اه (له ما بين أيدينا وماخلفنا) كذا فى الصحيح الاقتصار على ذلك ، والمراد ما أمامنا وما خلفنا من الأزمنة والأمكنة فلا ننتقل من شىء الى شىء إلا بأمره ومشيئته (رواه البخارى) فى التفسير وكذا رواه الترمذى * (وعن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان (الخدرى) بضم المعجمة وسكون المهملة تقدمت ترجمته (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصاحب إلا مؤمناً) فيه نهى عن مولاة الكفار ومودتهم ومصاحبتهم قال تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » الآية (ولا يأكل طعامك إلا تقى) فيه الأمر بملازمة الأتقياء ودوام مخالطتهم وترك الفجار فهو نهى له بالمعنى عن إكرام غير التقى وإسداء الجميل اليه ، وفى مرقاة الصعود للسيوطى هذا الحديث فى طعام الدعوة دون طعام الحاجة ، وإنما حذر من مصاحبة من ليس بتقى وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة فى القلوب يقول لاتؤالف من ليس من أهل التقوى والورع ولاتجالسه ولاتطاعمه ولاتنادمه اه (رواه أبوداود) فى الأدب من سننه (والترمذى) فى الزهد من جامعه (باسناد لا بأس به) فرواه أبوداود عن عمرو بن عون ورواه الترمذى عن سويد بن نصر كلاهما عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح عن سالم بن غيلان عن الوليد بن قيس عن أبى سعيد قال سالم

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الرجل على دين خليله فلينظرْ أحدكم من يخالِلْ » رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح وقال الترمذى حديث حسن

أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به وقال الترمذى إنما نعرفه من هذا الوجه وأشار الى أنه غريب * (وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله) ويروى «المرء بخليله» والخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل وقد يكون بمعنى مفعول (فلينظر أحدكم من يخالل) أى فلينظر أحدكم بعين بصيرته الى أمور من يريد صداقته وأحواله فمن رآه ورضى دينه صادقه ، ومن سخط دينه فليجتنبه ومن رآه يرى له مثل ما يرى له صحبه ، روى ابن عدى فى الكامل من حديث أنس «لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى له» فأقل درجات الاخوة والصداقة النظر بعين المساواة ، والكمال رؤية الفضل للأخ (رواه أبو داود) فى أبواب الأدب من السنن (والترمذى باسناد صحيح وقال الترمذى حديث حسن) قال الحافظ السيوطى فى المرقاة هذا الحديث أحد الأحاديث التى انتقدها الحافظ سراج الدين القزوينى على المصابيح وزعم أنه موضوع « قلت » قال الحافظ العلائى نسبة هذا الحديث الى الوضع جهل قبيح بل هو حسن كما قال الترمذى فان موسى بن وردان وثقه العجلى وأبو داود وقال فيه الامام أحمد لا أعلم إلا خيراً وقال أبو حاتم والدارقطنى لا بأس به ولم يتكلم فيه أحد ، وزهير بن محمد هو المروزى وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما واحتج به الشيخان فى الصحيحين وذلك يدفع ما تكلم به فيه فتفرده يكون حسناً غريباً ولا ينتهى إلى الضعف فضلا عن الوضع اه وقال الحافظ العسقلانى فى رده عليه قد حسنه الترمذى وصححه الحاكم وقد أورده ابن عدى فى ترجمة زهير ونقل عن أبى زرعة الدمشقى قال قلت لمحمد بن سرى حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن زهير به موصولا فقال لم يصنع صاحبك شيئاً حدثنا يحيى بن حمزة به مرسلا وقال وقد رواه هشام ابن عمار عن الوليد بن مسلم عن زهير به وزهير بن محمد استشهد به البخارى ولكن قالوا ان فى رواية الشاميين عنه مناكير ، كأنه لما دخل الشام حدث من حفظه فوهم فرواياتهم عنه غير معتبرة وهذا الحديث مما اشترك فيه

وعن أبي موسى الأشعريّ رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المرء مع من أحب » متفق عليه * وفى رواية قال : « قيل للنبي صلى الله عليه سلم الرجل يحب القوم ولمَّا يَلْحَقْ بهم » قال المرء مع من أحب ؟

وعن أنس رضى الله عنه « أن أعرابياً

الشاميون وغيرهم وموسى المذكور وثقه جماعة وضعفه بعضهم فحديثه من هذه الحيثية من قبيل الحسن اه وبه يعلم مافى قول المصنف باسناد صحيح إلا أن يريد به المقبول مجازاً فيشمل الحسن اه والله أعلم * (وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء) بفتح الميم وسكون الراء وبالميم بعده أى الشخص (مع من أحب) وكونه معه لايستلزم مساواته له فى منزلته وعلو مرتبته لان ذلك متفاوت بتفاوت الاعمال الصالحة والمتاجر الرابحة قال فى الفتح : المعية تحصل بمجرد الاجتماع فى شىء ما ولا تلزم فى جميع الاشياء فاذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية وان تفاوتت الدرجات اه (متفق عليه) أى من حديث أبى موسى ورواه أحمد والشيخان والنسائى من حديث أنس والترمذى من حديثه وزاد « لهما اكتسب » والشيخان من حديث ابن مسعود كذا يؤخذ من الجامع الصغير (وفى رواية) للبخارى فى أبواب الادب عن أبى موسى الاشعرى (قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل) أل فيه للجنس (يحب القوم) أى من أهل الصلاح (ولما يلحق بهم) قال أهل العربية: « لما » تنفى الماضى المستمر فدل على نفيه فى الماضى وفى الحال بخلاف لم فانها للنفى فى الزمن الماضى مطلقا (قال المرء مع من أحب) هو عام فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدا من المؤمنين كان معه فى الجنة بحسن النية لانها الاصل والعمل تابع لها ولا يلزم من كونه معهم كونه فى منزلتهم ولا أن يجزى مثل جزائهم من كل وجه * (وعن أنس رضى الله عنه أن أعرابيا) هو يختص بسكان البوادى من العرب وغيرهم أما العرب فأولاد اسمعيل عليه السلام وفى البخارى وهو فى مسلم أيضاً بلفظ « إن رجلا » وفى الفتح للحافظ أنه ذو الخويصرة اليمانى الذى بال فى المسجد وحديثه بذلك مخرج عند الدار قطنى ومن زعم أنه أبو موسى أو أبو ذر فقد وهم لانهما وان اشتركا فى معنى الجواب وهو أن المرء مع من أحب

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم متى الساعة ؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعددت لها ؟ قال حُب الله ورسوله ، قال أنت مع من أحببت » متفق عليه * وهذا لفظ مسلم وفى رواية لها « ماأعددتُ لها من كثيرِ صوم ولا صلاةٍ ولا صدقة ولكنى أُحبّ الله ورسوله * وعن ابن مسعود

إلا أنهما اختلفا فى السؤال فان كلا من أبى موسى وأبى ذر سأل عن « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم » وهذا سأل « متى الساعة »اه (قال يارسول الله متى الساعة) أى القيامة وعبر عنها بذلك لانها تظهر فى أدنى لحظة (قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعددت لها) أى حتى تسأل عنها إذ هى زمن الجزاء ويوم الدين، قال العاقولى وقوله ماأعددت لها من أسلوب الحكيم لأنه سأل عن الوقت فقيل له مالك ولها إنما يهمك التزود لها والعمل بما ينفعك فيها فطرح الرجل ذكر أعماله لانه كان لايرى لها قدراً ونظر إلى مافى قلبه من خصوص محبة الله سبحانه ورسوله فقدمه بين يديه (قال حب الله و) حب (رسوله) يجوز رفعه نظراً لصدر جملة السؤال . ونصبه نظراً لعجز جملته وقد قرىء بالوجهين « العفو » فى قوله تعالى « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » نظراً لما ذكر ، والمراد من حب الانسان لله ورسوله طاعتهما والانقياد لأحكامهما (قال أنت مع من أحببت) واللفظ عام لكون كل محب مع محبوبه من خير أو شر ومعية الله مع الانسان بالنصر والاعانة والتوفيق (متفق عليه) أخرجه البخارى فى أبواب الادب (وهذا لفظ مسلم) فى أبواب البر والصلة (وفى رواية لهما) أى عن أنس أيضاً قال (ما أعددت لها من) صلة لتأكيد النفى واستغراقه (كثير) بالمثلثة (صوم ولا) كثير (صلاة ولا) كثير (صدقة) يحتمل أن يراد من المثبت من ذلك الغرض فيكون كقول البوصيرى * ولم أصل سوى فرض ولم أصم * أى سواه ويحتمل أن يكون بعض النوافل إلا أنها غير كثيرة وفى العبارة توجيه (ولكنى) فى نسخة من مسلم ولكن استدراك مما يوهمه الكلام السابق من نفى تقديم ما يرجو ثمرته فى آخرته أى ولكن لى أعظم الذخائر هو أنى (أحب الله ورسوله) قال صلى الله عليه وسلم « فأنت مع من أحببت » * (وعن ابن مسعود

رضى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف تقول فى رجل أحب قوما ولم يَلْحَقْ بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » . متفق عليه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « قال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارُهم فى الجاهلية خيارُهم فى الاسلام إذا فَقِهُوا ، والأرواحُ جنودٌ مجندةٌ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »

رضى الله عنه قال جاء رجل) قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى هو أبو ذر (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول فى رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم) عند ابن حبان « ولا يستطيع أن يعمل بعملهم » (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب متفق عليه) أخرجاه فى الأبواب المذكورة وأخرجه أبو نعيم وزاد « وله ما اكتسب » * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الناس) أى باعتبار الافراد (معادن) أى أصولا للخير والشر بحسب ماجعلهم الله مستعدين له والمعادن جمع معدن بكسر الدال لأنه موضع العدن أى الاقامة اللازمة وسمى المعدن بذلك لأن الناس يقيمون فيه شتاء وصيفا قاله الجوهرى (كمعادن الذهب والفضة) وجه الشبه اشتمال المعدن على الجواهر المختلفة نفاسة وخسة وكل معدن يخرج منه ما فى (١) أصله وكذا كل إنسان يظهر منه ما فى أصله من خسة أو شرف (خيارهم فى الجاهلية) أى أشرافهم فيها وهى ما قبل الاسلام سموا به لكثرة جهالاتهم (خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا) بكسر القاف أى علموا وبضمها وتقدم فى باب الأمر بالمحافظة على السنة أن الضم هو المشهور ومعناه صار الفقه سجيتهم أى فقد وصل بما حازه فى شرف الاسلام والفقه فيه الى ما كان عنده من الشرف والكرم والسماحة ونحوها فى الجاهلية وهذه القطعة من الحديث تقدم الكلام عليها فى باب التقوى فى آخر حديث أبى هريرة « قيل يارسول الله من أكرم الناس؟» الحديث (والأرواح جنود مجندة) معطوف على جملة الناس معادن ، أى جموع مجتمعة وأنواع مختلفة (فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) قال السيوطى قال الخطابى قوله الأرواح الخ يحتمل أن يكون

---

(١) فى نسخة ما هو أصله . ع

رواه مسلم . وروى البخارى (قوله الأرواح الخ) من رواية عائشة رضى الله عنها
* وعن أُسير بن عمرو ويقال ابن جابر وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة

إشارة الى معنى التشاكل فى الخير والشر فالخير يحن الى شكله والشرير الى نظيره فتعارف الأرواح بحسب الطباع التى جبلت عليها من خير أو شر فاذا اتفقت تعارفت وإن اختلفت تناكرت « قلت » وحكاه المصنف فى شرح مسلم عنه وعن غيره ويحتمل أن يراد الاخبار عن بدء الخلق فى حال الغيب على ما جاء « ان الأرواح خلقت قبل الاجسام فكانت تلتقى وتأتلف فلما حلت بالأجسام تعارفت بالأمر الأول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من العهد المتقدم فتميل الأخيار الى الأخيار والأشرار الى الأشرار » قال ابن الجوزى يستفاد من الحديث ان الانسان إذا وجد من نفسه نفرة عن ذى فضل وصلاح فينبغى أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى فى إزالته فيتخلص من الوصف المذموم وكذا عكسه وقال ابن عبد السلام المراد بالتعارف والتناكر التقارب فى الصفات والتفاوت فيها لأن الشخص إذا خالفتك صفاته أنكرته والمجهول ينكر لعدم العرفان فهذا من مجاز التشبيه شبه المنكر بالمجهول والملائم بالمعلوم (رواه مسلم) بجملته (وروى البخارى قوله والارواح إلى آخره من رواية عائشة) أى فهذا اللفظ لها لكن من طريقين * (وعن أسير بن عمرو ويقال ابن جابر وهو بضم الهمزة) وذكره الحافظ العسقلانى بالتحتية بدلها قال وقيل أصله أسير فسهلت الهمزة (وفتح السين المهملة) وسكون التحتية بعدها راء قال الحافظ فى التقريب مختلف فى نسبه فقيل كندى وقيل غير ذلك وقيل له رؤية وقيل إن ابن جابر آخر تابعى وفى أسد الغابة هو ابن عمرو الكندى السلولى وقيل الدريكى وقيل الشيبانى له صحبة مخضرم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين قاله ابن معين وقيل كان له أحد عشر سنة قال ابن معين أبو الخيار الذى يروى عن ابن مسعود اسمه أسير بن عمرو أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وعاش إلى زمن الحجاج روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثين أحدهما فى تلقيح النخل والآخر فى الحجامة وقال ابن المدينى أهل البصرة يقولون أسير بن جابر ويروون عنه عن عمر بن الخطاب حديث أويس القرنى وأهل

قال « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس رضى الله عنه فقال له أنت أويس بن عامر ؟ قال نعم ، قال من مراد ثم من قَرَنٍ ؟ ، قال نعم ، قال فكان بك برصٌ فبرأتَ منهُ إلا موضعَ درهم ؟ قال نعم ، قال لك والدة ؟ قال نعم ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن

الكوفه يسمونه أسير بن عامر اه ملخصاً (قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن) هم الجماعات الغزاة الذين يمدون جيوش الاسلام فى الغزو واحدهم مدد (سألهم أفيكم أويس بن عامر ؟) كذا رواه مسلم وهو المشهور وقال ابن ماكولا ويقال أويس بن الخليص اه قال وكنيته أبو عمرو قال قائل قتل بصفين وسيأتى بيان الخلاف فى ذلك عند ذكر ترجمته فما زال كذلك (حتى أتى على أويس رضى الله عنه) وهو تصغير أوس وهو الذئب وبه سمى الرجل وقيل سمى بمصدر أست الرجل أوسا إذا أعطيته فالأوس العطية قاله القرطبي وفى كلامه التردى على غير الصحابى وفيه خلاف الأصح جوازه كما فى التقريب للنووى وعن بعض الحنفية يقال فيما دون الصحابة : رحمة الله ، ولا يقال فيه : رضى الله عنه تميزاً لهم بذلك عن باقى الامة كامتياز المعصوم بالدعاء له بالصلاة فقال له أنت أويس ابن عامر) بتقدير همزة الاستفهام وحذفت تخفيفاً بدليل قوله (قال نعم) وكذا الهمزه مقدرة بعده فى أول كل سؤال (قال من مراد) اسم قبيلة قال ابن الكلبي واسم مراد جابر بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان ابن سبأ (ثم من قرن) بفتح القاف والراء وبالنون من مراد وهو قرن ابن ردماد بن ناجية بن مراد ، وما ذكرنا من انه بطن من مراد واليه ينسب : هو الصواب ولا خلاف فيه ، وفى صحاح الجوهرى انه منسوب إلى قرن المنازل المعروف ميقات إحرام اهل نجد قال المصنف وهذا غلط فاحش (قال نعم وكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم) أبقى ليذكر ما كان به من هذا الداء ثم عوفى فيبعثه ذلك على الزيادة فى الشكر (قال نعم قال لك والدة قال نعم) ظاهره انها كانت موجودة ذلك الحين (قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد أهل اليمن) إضافة امداد لاهل يجوز أن تكون

من مراد ثم من قَرَن كان به برصٌ فبرىء منه إلا موضع درهم لهُ والدة هو بها بَرٌّ لو أقسمَ عَلَى اللهِ لأبرَّهُ فان استطعتَ أنْ يَستغفرَ لك فافعل ، فاستغفرْ لى ، فاستغفرَ لهُ ، فقال له عمرُ أين تريد ؟ قال : الكوفة ، قال : ألاَ أكتبُ لك إلى عاملها ؟ قال : أكونُ فى غَبْرَاء الناس أحَبَّ إلى ، فلما كانَ مِنَ العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم

بيانية والاقرب كونها لامية والظرف محتمل لكونه لغواً متعلقاً بيأتى ولكونه مستقراً حالا من اويس او صفة لامداد ، وكونه حالا انسب بمابعده وعليه فيكون (من مراد) حالا منه مترادفة أو حالا منه متداخلة (ثم من قرن وكان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم) سيأتى فى الرواية الآتية إلا موضع الدينار او الدرهم بالشك (له والدة و) اسمها . . . (هو بها بر) بفتح الباء الموحدة اي بالغ فى البر والاحسان اليها (لو أقسم على الله) أى أقسم عليه بحصول أمر (لأبره الله) بحصول ذلك المقسم على حصوله (فان استطعت أن يستغفر لك فافعل) لايفهم من هذا أفضليته على عمر ولا أن عمر غير مغفور له للاجماع على أن عمر أفضل منه لأنه تابعى والصحابى أفضل منه إنما مضمون ذلك الاخبار بأن أويسا ممن يستجاب له الدعاء وارشاد عمر إلى الازدياد من الخير واغتنام دعاء من ترجى اجابته وهذا نحو مما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم به من الدعاء له والصلاة عليه وسؤال الوسيلة له وان كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ولد آدم وكذا مايأتى من قوله لعمر « أشركنا فى دعائك ياأخى » ثم سأله عمر ذلك بقوله (فاستغفر لى فاستغفر له) ففيه طلب الدعاء من الصالحين وان كان الطالب أفضل (فقال له عمر أين تريد فقال الكوفة) هى البلدة المعروفة بالعراق وسميت بذلك لاستدارة بنائها (قال ألا) بتخفيف اللام أداة استفتاح (أكتب لك إلى عاملها) أى ليقوم من بيت مال المسلمين منها بكفايتك (قال أكون) أى كونى (فى غبراء الناس أحب إلى) فالاصل أن أكون فحذف ان فارتفع الفعل أو أطلق وأريد منه المصدر فهو نظير قولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه بوجهيه المذكورين (فلما كان من العام المقبل) بضم الميم وكسر الموحدة اسم فاعل وهو بالنسبة لعام ملاقاة عمر له (حج رجل من أشرافهم) أى أشراف أهل الكوفة ولعل إضافته اليهم لسكناه بينهم والافسيأتى

فوافق عمرُ فسألهُ عنْ أويس فقال تركتهُ رثَّ البيت قليلَ المتاع قالَ سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمدَاد منْ أهل اليمن من مراد ثم من قَرَن ، كان بهِ بَرَص فبرىء منهُ إلا موضعَ درهمٍ له والدةٌ هو بهـا برٌّ لَوْ أقسمَ عَلَى اللهِ لَأبرَّهُ فانِ استطعتَ أنْ يستغفر لك فافعـل ، فأتى أويساً فقال استغفر لى قال

ماقد يؤخذ منه أنه من مراد وسكت عن بيانه وتعيينه المصنف والقرطبي وكأنه لعدم وقوفهما عليه ، والمراد بشرفه ظهوره وغناؤه (فوافق عمر) يحتمل أن يكون فاعل وافق ضميراً يعود إلى رجل وأن يكون الفاعل عمر ومفعول الفعل ضمير متصل بالفعل محذوف وهذا أقرب ليوافق قوله (فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت أى رث متاعه وهو : المتاع الدون أو الخلق البالى وقال المصنف هو بمعنى قوله بعده قليل المتاع ويجوز أن لايقدر مضاف بمعنى أن بيته الذى هو به خلق بال (قليل المتاع) قال فى المصباح : المتاع فى اللغة كل ما ينتفع به كالطعام والبر وأثاث البيت وأصل المتاع مايتبلغ به من ذلك ، وتقليله من المتاع زهد فى الدنيا وإعراض عنها (قال) أى عمر (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم وفى نسخة بالافراد خطابا لعمر ويناسبه قوله فان استطعت (أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره فان استطعت أن يستغرلك فافعل) هذا كله مرفوع كما تقدم مع الكلام عليه وهو من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاخبار عن الامر قبل وقوعه وذكره باسمه وصفته وعلامته واجتماعه بعمر فكان كما أخبر عنه وفيما فعل عمر رضى الله عنه تبليغ الشريعة ونشر السنة والاقرار بالفضل لاهله والثناء على من لايخشى عليه عجب بذلك ليقينه وكمال إيمانه ، والخطاب باستطعت من النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وهو حكى لفظ خطابه صلى الله عليه وسلم له وليس مدرجا فى آخر الخبر خطابا لذلك الشريف كما قد يتوهم فان كون المصطفى صلى الله عليه وسلم يأمر عمر مع كونه أفضل من أويس بأن يطلب منه الدعاء أبلغ فى إظهار فضله وإثارة رغبة المخاطب لطلب الدعاء منه فلهذا قال (فأتى) أى ذلك الرجل (أويساً فقال استغفر لى ، قال)

أنتَ أحدثُ عهداً بسفر صالح فاستغفرْ لى ، قال لقيتَ عمرَ ؟ قالَ نَعَمْ فاستغفر لهُ فقطن لهُ الناسُ فانطلق على وجهه » رواه مسلم * وفى رواية لمسلم أيضاً عن أُسَيرِ ابن جابر رضى الله عنه « أنَّ أَهْلَ الكوفة وَفَدوا على عمرَ رضى الله عنه وفيهم رجلٌ ممن كان يسخرُ بأويس فقالَ عمرُ هلْ ههنا أحد من القَرَنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « إن رجلا يأتيكم

أى أويس (أنت أحدث عهداً بسفر صالح) أى أقرب ، وعهدا منصوب على التمييز كقوله تعالى « هم أحسن أثاثا » وأشار إلى فضل السفر الصالح وأن القادم منه أرجى لاجابة دعائه فلذا سأل منه أويس الدعاء بقوله فاستغفر لى وقد ورد «إذا لقيت الحاج فمره فليستغفر لك» وفى حديث آخر «إن الله يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج حتى يرجع إلى بيته « فقال) أى الرجل (استغفر لى قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى) وكأن الرجل طلب من أويس ثالثا الدعاء فقطن أنه عرف بمقامه (فقال لقيت عمر) بتقدير همزة الاستفهام (قال نعم فاستغفر له) لانه علم أنه أعلمه بعلى مقامه وأنه لما علم ذلك لايتركه حتى يدعو له ودعا له بطلب المغفرة لو رود ذلك فى حديث عمر (فقطن) بكسر الطاء المهملة (له الناس (وأقبلوا عليه (فانطلق على وجهه) خارجا لان فى ذلك اشغالا له عن شأنه المتوجه هو اليه من افراد الحق بالقصد والانقطاع اليه عن الخلق (رواه مسلم) انفرد به عن باقى الستة ذكره فى الفضائل وقال فى آخر الحديث قال ابن المنير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة (وفى رواية لمسلم أيضا عن أسير بن جابر) المروى عنه الحديث الاول (رضى الله عنه) زيادة فى الحديث (أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس) لعله الذى عبر عنه فى الرواية السابقة بقوله من أشرافهم ولعل سخرياه منه لغنى ذلك الرجل وغروره بما هو فيه من الجاه والمال واحتقار أويس لرثاثته وقلة متاعه زهدا فى الدنيا وإطراحا لها وإعراضاً عن زهرتها والسخرياء الاستهزاء وسخر من باب تعب كما فى المصباح (فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين) بفتح القاف والراء نسبة لقرن بطن من مراد كما تقدم (فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم

من اليمن يقالُ له أويس لايدع باليمن غير أمٍّ له قد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » * وفى رواية له عن عمر رضى الله عنه قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن خير التابعين رجل يقال له أوَيْس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم »

من اليمن يقال له أويس لايدع) أى يترك (باليمن غير أم له) وهذا مما زادت به هذه الرواية على ماقبلها (قد كان به بياض) هو الذى عبر عنه فى الرواية السابقة بقوله برص (فدعا الله فأذهبه) ليس ذلك منه اعتراضاً على مولاه وعدم رضاه بقضاه ولكن لعله دعاه لذلك أمر آخر مطلوب من بر والدته وأن لايقذر مخالطته وتستنكف من خدمته وهو شديد العناية بها (الا موضع الدينار أو) شك من الراوى (الدرهم) والشك فى ذلك عند مسلم فى طريق زهير بن حرب بهذا اللفظ فيحتمل كون الشك منه أو من أحد شيوخه والطريق المجزوم فيها بأنه موضع الدرهم السابقة رواها مسلم عن شيوخه إسحق بن إبراهيم الحنظلى ومحمد ابن المثنى وابن بشار قال واللفظ لابن المثنى والطريقان مختلفان فى رجال الاسناد إلى أسير (فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) أى فليطلب منه ذلك كما قال فى الرواية الآتية « فمروه فليستغفر لكم » ثم إن كان اللفظان من عمر فيحتمل على أنه تارة باللفظ وتارة بالمعنى ويحتمل أنه تعدد ذكره منه صلى الله عليه وسلم فتارة ذكر بلفظ إحدى الروايتين وأخرى بلفظ الأخرى وفيه على الاحتمال الأول دليل جواز الرواية بالمعنى بشرطه (وفى رواية له) أى لمسلم (عن عمر رضى الله عنه قال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه) فيه دليل لعدم اعتبار الاستعلاء والعلو فى الأمر خلافا لبعض الأصوليين (فليستغفر لكم) كأن حكمة الاتيان بالمؤكد فى صدر الجملة ما قد يعترى الناظر له فى التردد فى أخيريته على التابعين فأكد ذلك لذلك قال المصنف فى شرح مسلم وهذا الحديث صريح فى أنه خير التابعين وقد قال أحمد وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أن سعيداً

(قوله) غَبْرَاء الناس بفتح الغين المعجمة و إسكان الباء و بالمدوهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لايعرف عينه من أخلاطهم ،

أفضل فى العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه لافى الخير عنـد الله تعالى اه قال فى الارشاد عن أحمد بن حنبل قال أفضل التابعين سعيد بن المسيب قيـل فعلقمة والأسود فقال سعيد وعلقمة والأسود ، وعنه لا أعـلم فى التابعين مثل أبى عثمان الهنـدى وقيس بن أبى حازم وعنه أفضلهم قيس وأبو عثمان وعلقمة ومسروق وعن عبد الله بن حنيف الزاهد قال أهل المدينة يقولون أفضل التابعين ابن المسيب وأهل الكوفة يقولون أويس القرنى وأهـل البصرة يقولون الحسن البصرى والله أعلم » ومثله فى التقريب له باختصار ، قال السيوطى فى شرح التقريب واستحسنه أى ماقال ابن حنيف ابن الصلاح ، وقال العراقى الصحيح بل الصواب ما ذهب إليه أهل الكوفة لما ثبت فى صحيح مسلم وأشار إلى الحديث قال فهذا قاطع للنزاع قال وأما تفضيل أحمد لابن المسيب وغيره فلعله لم يبلغه الحديث أو لم يصح عنده أو أراد الافضلية فى العلم لا الخيرية قال السخاوى فقد فرق بينهما بعض شيوخ الخطابى فيما حكاه الخطابى عنه وأما قوله لعل أحمد لم يبلغه الحديث أو لم يصح عنده فانه أخرجه فى مسنده من الطريق التى خرجها مسلم منها بلفظ « إن خير التابعين رجل يقال له أويس » لكن قد أخرجه فى المسند أيضاً بلفظ « إن من خير التابعين » فقال حدثنا أبو نعيم ثنا شريك فذكره بذلك قال السخاوى وكذا رواه الجماعة عن شريك فزال الحصر اه (قوله غبراء الناس بفتح الغين) المعجمة (واسكان الباء) الموحدة (وبالمد) قال القرطبى هذه الرواية الجيدة فيه (وهم فقراؤهم وصعاليكهم ومن لا تعرف عينه من أخلاطهم) قال القرطبى والغبراء الأرض يقال الفقراء بنوا الغبراء كأن الفقر والحاجة ألصقهم بها قال القرطبي وقد روى غبر بضم الغين وتشديد الموحدة جمع غابر كشاهد وشهد ويعنى به بقايا الناس ومتأخريهم وهم ضعفاء الناس لان وجوه الناس يتقدمون للامور ويصحبون بها ويتفاوضون فيها ويبقى الضعفاء لا يلتفت إليهم ولا يؤبه بهم فأراد أويس أن يكون خاملا بحيث لا يلتفت اليه طالبا للسلامة وظافراً بالغنيمة اه والمعنى الأول يؤول إلى هـذا أيضاً والصعاليك بمهملتين أوله جمع

و(الامداد) جمع مددوهم الأعوانُ والناصرُونَ الذينَ كانوا يمدونَ المسلمينَ فى الجهاد * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن لى ؛

صعلوك بضم الصاد المهملة الفقير كما فى الصحاح وقوله من لا يعرف عينه أى لخموله وعدم ظهوره والامداد جمع مدد بفتح أوليه وهم الاعوان والناصرون الذين كانوا يمدون من الامداد أى اتصال المدد المسلمين فى الجهاد وقضية ترتيب المتن تقديم بيان الامداد على ما قبله لانه كذلك فيه : « فائدة » قال القرطبي كان أويس من أولياء الله المخلصين المحققين الذين لا يؤبه بهم ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسم أخبر عنه ووصفه بوصفه ونعته بنعته وعلامته لما عرفه أحد وكان موجوداً فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدقه ولم يلقه ولا كاتبه فلم يعد من الصحابة وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه من التابعين حيث قال « إنه خير التابعين » وقد اختلف فى زمن وفاته فروى عن عبدالله بن مسلم قال « غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ومعنا أويس القرنى فلما رجعنا مرض علينا فحملناه فلم يستمسك فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه :فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فاذا لا قبر ولا أثر » وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال « نادى رجل من الشام يوم صفين أفيكم أويس القرنى ؟ قلنا نعم ، قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أويس خير التابعين باحسان ، وعطف دابته فدخل مع أصحاب على قال عبد الرحمن فوجد فى قتلى أصحاب على» وله أخبار كثيرة وكرامات ظاهرة ذكرها أبو نعيم وأبو الفرج بن الجوزى فى كتابيهما اه كلام القرطبي وقد أفرد بعض فضلاء زبيد بعضها جزأ فى مناقبه وقفت عليه وهو حسن * (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة) فيه استئذان التلميذ لأستاذه والمريد لشيخه فى مهماته إذا كان مع من ذكر فى أمر جامع بهم يجمعهم طاعة الله ليكون على ذهنه إذا تفقده قال تعالى « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » (فأذن لى) فى ذلك ودعا لى بالمغفرة ، قال ابن رسلان روى الثعلبي

وقال لاتنسانى يا أُخَيَّ من دعائك ، فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا » وفى رواية قال « أشركنا ياأخى فى دعائك » حديث صحيح رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح *

عن ابن أبى حمزة الثمالى واسمه ثابت بن أبى صفية « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يقضى الحاجة لم يخرج من المسجد حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم » (وقال لا تنسانى يا أخى) بفتح الياء المشددة وكسرها قراءتان فى السبع فى يابنى وظاهر أنهما على ضم الهمزة والتصغير وعليه اقتصر الشربينى الخطيب فى شرح جمع الجوامع وفى شرح جمع الجوامع المحلى بعد ذكر الحديث وأخى بضم الهمزة مصغر لتقريب المنزلة أى لا للتحقير وبفتحها روايتان اه (من دعائك) فيه دليل على استحباب طلب المقيم من المسافر ووصيته له بالدعاء فى مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر وان كان يعرف أنه يدعو له فلا بأس أن يذكره بالدعاء له لاسيما إن كان سفره عبادة كحج أو عمرة أو غزو فتتأكد الوصية كما تقدم وفى الحديث « يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » والعمرة فى معنى الحج وهذا الحديث يؤيده (وفى رواية) هى لأبى داود قال بعد إيراد الحديث كما تقدم من طريق شعبة قال شعبة ثم لقيت عاصما بعد بالمدينة فحدثته (فقال) فى حديثه (أشركنا) بفتح الهمزة أى اجعلنا شركاء معك (يا أخى) بالوجهين (فى) صحالح (الدعاء حديث صحيح رواه أبوداود) فى باب الدعوات آخر كتاب الصلاة (والترمذى) فى الدعوات من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) لعل صحته لغيره وإلا ففى سند أبى داود والترمذى عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب ليس من رجال الصحيح إنما روى له البخارى فى كتاب خلق الأفعال وفى سند الترمذى أيضاً سفيان بن وكيع وهو الراوى وقد تكلم فيه من قبيل دخوله فى صنعة الوراقة وقد رواه ابن ماجه فى الحج من سننه عن أبى بكر بن شيبة عن وكيع عن سفيان عن عاصم أيضاً والله أعلم * (وقال عمر فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلمة) أراد بها معناها اللغوى وهو الجمل المفيدة وهل هو

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يزور قُباء راكباً وماشيا

مجاز مرسل من اطلاق اسم الجزء على الكل أو استعارة مصرحة شبه الكلام بالكلمة فى توقف فهم المراد على تمام كل منهما فأطلق عليه اسمها وجهان ذكرهما شيخنا الشيخ المحقق عبد الرحمن الحسانى والمشهور فى كتب النحو الأول منهما وعليه اقتصر بن رسلان فى شرح السنن (ما يسرنى أن لى بها) أى بدلها فالباء فيه بمعنى البدل ومنه قول الحماسى * فليت لى بهم قوما إذا ركبوا * (الدنيا) وما فيها قال ابن رسلان فيه فضل الدعاء بظهر الغيب واستجابابه للحاج إذا حضر فى الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء لنفسه ولاخوانه فى الله تعالى بأعيانهم ومن سأله الدعاء ووعده فيتعين ويتأكد عليه الدعاء له اه وهذا الحديث دليل قول المصنف فى الترجمة وطلب الدعاء منهم ، وذكر لدليل ندب زيارة المواضع المأثورة قوله (وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء) بضم القاف وتخفيف الباء وبالمد وهو مذكر منون مصروف فى اللغة الفصيحة المشهورة وحكى صاحب المطالع وغيره فيه لغة أخرى وهى القصر حكاها فى المطالع عن الخليل وأخرى وهى التأنيث وترك الصرف والمختار ماقدمت وهو الذى قاله الجمهور ونقله صاحب المطالع عن أبى عبيد البكرى وعن أبى على القالى كذا فى التهذيب للمصنف وجمعت هذا كله من عبارة المغنى للشيخ محمد طاهر الهندى الفتنى قباء بالمد والتذكير والصرف أشهر من أضدادهن وبضم القاف وخفة الموحدة وفى المصباح هو بضم القاف ويقصر ويمد و يصرف ولايصرف وفى عبارته إيهام تساوى الوجوه وقد علمت الأشهر منها قال السمهودى هو قرية حوالى المدينة قال ابن جبير مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة ، وفى خط المداعى إنما سميت قباء ببئر كانت هناك تسمى قبارا فتطيروا منها فسموها قباء كما نقله ابن زبالة ، قال الباجى على ميلين من المدينة ونقله النووى عن العلماء وفى مشارق عياض ثلاثة أميال وهو معنى قول الحافظ ابن حجر على فرسخ من المدينة قال السمهودى وقد اختبرت ذلك فرأيته على فرسخ من باب جبريل إلى باب مسجد قباء اه (راكبا وماشيا) أى تارة وتارة و يحتمل

فيصلي فيه ركعتين » . متفق عليه* وفى رواية « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قُباء كل سبت راكباً وماشيا وكان ابن عمر يفعله »

باب فضل الحب فى الله

(والحث عليه و إعلام الرجل من يحبه أنه يحبّه ،

أن يكون باعتبار بعض المسافة والأول أقرب لقربه (فيصلى فيه) أى فى مسجده (ركعتين * متفق عليه) وقد ورد فى فضل الصلاة فى مسجد قباء أحاديث كثيرة أوردها السمهودى فى فضل مسجد قباء من تاريخة ، منها مارواه الترمذى عن أسد بن ظهير الانصارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة» قال الترمذى حديث حسن غريب ولا نعرف لأسيد شيئا يصح غير هذا الحديث ثم أورد السمهودى أحاديث فى كونها فيه كعمرة (وفى رواية) هى للبخارى والنسائى من حديث ابن عمر : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت» وعند ابن حبان فى صحيحه كل يوم سبت قال السمهودى فيرد به على من قال السبت الاسبوع (راكبا وماشيا) أى للصلاة فيه كما تقدم فيما قبله (وكان ابن عمر يفعله) قال السمهودى ولابن أبى شيبة عن شريك عن عبد الله بن عمر مرسلا «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتى قباء يوم الاثنين » وعن ابن أبى عروبة قال « كان عمر بن الخطاب يأتى مسجد قباء يوم الاثنين ويوم الخميس الحديث ففيه استحباب زيارته ومثله سائر الأماكن المأثورة فى الحرم المكى وغيره *

باب فضل الحب

بضم المهملة وتشديد الموحدة وهو كما فى القاموس الود كالحباب والحب بكسرها وفى المصباح أن الحب بالضم اسم مصدر حابب من باب قاتل (فى الله) أى لأجله لا لغرض آخر فى تعلياية (والحث) بتشديد المثلثة أى التحريض (عليه وإعلام) عطف على فضل مصدر مضاف إلى فاعله وهو (الرجل من يحبه أنه يحبه على تقدير الباء وحذف الجار من أن وأن وكى المصدريات مقيس بغير خلاف

وماذا يقول له إذا أعلمه)

قال الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحَماء بينهم » إلى آخر السورة ، وقال تعالى « والذين تبوّؤا الدار والإيمانَ

(وماذا يقول) أى المحبوب (له) أى للرجل المعلم (إذا أعلمه)

(قال الله تعالى محمد رسول الله) جملة مبينة للمشهود به فى الآية قبلها ، ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ (والذين معه) معطوف عليه وخبرهما (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله تعالى « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » « تراهم ركعا سجدا » لأنهم مشتغلون بالصلاة فى أكثر أوقاتهم « يبتغون فضلا من الله ورسوله ورضوانا » الثواب والرضا « سيماهم فى وجوههم من السجود » يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلا من سامه إذا علمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن فى الجار « ذلك » إشارة إلى الوصف المذكور أو إشارة مبهمة يفسرها كزرع « مثلهم فى التوراة » صفتهم العجيبة الشأن المذكورة فيها « ومثلهم فى الانجيل » عطف عليه أى ذلك مثلهم فى الكتابين ، ثم التوراة والانجيل اسمان أعجميان قال البيضاوى ومن زعم عربيتهما واشتقاقهما فهو متكلف وقوله « كزرع » تمثيل مستأنف أو تفسير ، ومثلهم فى الانجيل مبتدأ وكزرع خبره (أخرج شطأه) أى فراخه يقال اشطأ الزرع إذا فرخ (فآزره) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الايزار وهو الاعانة (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره ، وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس (ليغيظ بهم الكفار) علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان ولما قال المصنف (إلى آخر السورة) تكلمنا على خاتمتها بجملتها (وقال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان) عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة

من قبلهم يُحبون من هاجر إليهم » * وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «ثلاث من كُنَّ فيه وَجَدَ بهن حلاوةَ الايمانِ ، أن يكونَ اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما

والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الأول وعوض عنه اللام ، أو تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء بارداً * وقيل سمى المدينة بالايمان لأنها مظهره ومصيره: (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل عليهم

(وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث) أى من خصال أو ثلاث خصال أو خصال ثلاث (من كن) أى وجدن فهى تامة و (فيه) ظرف لغو متعلق به كذا أعربه الحافظ فى الفتح ويجوز أن تكون كان ناقصة والظرف الخبر (وجد) من الوجدان بكسر الواو فى المصدر (بهن حلاوة الايمان) قال المصنف المراد من حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين وإيثار ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك معصيته وكذا الرسول اه وقال الحافظ فيه استعارة تخييلية شبه رغبة المؤمن فى الايمان بشىء حلو وأثبت له لازم ذلك الشىء وأضافه اليه ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة إنما عبر بالحلاوة لأن الله تعالى شبه الايمان بالشجرة فى قوله (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) فالكلمة هى كلمة الاخلاص والشجرة أصل للايمان وأغصانها اتباع الاوامر واجتناب النواهى وزهرها ما يهم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات وحلاوة الثمر جنى الشجرة وغاية كماله تناهى نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها (أن يكون الله ورسوله أحب) بالنصب خبر يكون (اليه مما سواهما) قال البيضاوى المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعاً له ويلتذ بذلك التذاذاً عقليا اذ الالتذاذ العقلى ادراك ما هو كمال وخير من حيث

وأن يُحب المرء لا يُحبه إلا لله ، وأن يَكْرَه أن يعودَ فى الكفر بعد أن أنقذه اللهُ منه كما يكرَهُ أن يُقْذَفَ فى النار »

هو كذلك وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة وشاهد هذا الحديث من القرآن قوله تعالى « قل إن كان آباؤكم » إلى أن قال (أحب اليكم من الله ورسوله) ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله (فتربصوا) قال المصنف انما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية وأما قوله للذى خطب فقال ومن يعصهما فقال بئس خطيب القوم أنت ، فليس من هذا لان المراد فى الخطب الايضاح وأما هنا فالمراد الايجاز فى اللفظ ليحفظ وثم أجوبة أخرى قال الحافظ فى الفتح من محاسنها أن تثنية الضمير هنا ايماء الى أن المعتبر المجموع المركب من الجهتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى وأما أمر الخطيب بالأفراد فلأن كلا من العصيان مستقل باستلزام الغواية إذ العطف فى تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين فى الحكم ويشير اليه قوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فأعاد أطيعوا فى الرسول دون أولى الأمر لأنهم لا استقلالهم فى الطاعات كاستقلال الرسول اه ملخصا من كلام البيضاوى والطيبى (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) قال يحيى بن معاذ حقيقة الحب فى الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء (وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه) الانقاذ أعم من العصمة منه ابتداء بأن يولد على الفطرة ويستمر أو بالاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان كما وقع لكثير من الصحابة وعلى الأول فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثانى فان العود فيه على ظاهره وعدى العود بفى دون إلى لتضمنه معنى الاستقرار كأنه قيل ويستقر فيه ومثله قوله تعالى « وما يكون لنا أن نعود فيها » (كما يكره أن يقذف فى النار) الكاف فى محل المفعول المطلق واستدل به على فضل من أكره على الكفر فصبر وترك التقية حتى قتل قال الحافظ وأخرجه البخارى فى الأدب فى فضل الحب فى الله بلفظ « وحتى أن يقذف فى النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله تعالى منه » وهو أبلغ من لفظ حديث الباب لأنه سوى فيه بين الأمرين وهنا جعل الوقوع فى نار الدنيا

متفق عليه * وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله ، إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عز

أولى من الكفر الذى أنقذه الله بالخروج منه من نار الآخرة (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه قال المصنف هو حديث عظيم من أصول الدين * (وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة) أى سبعة أنفس فلذا صح الابتداء به ويجوز أن يعتبر مسوغ آخر ومفهوم العدد ليس بحجة على الصحيح عند الأصوليين فلا يشكل عليه أن الذين يظلون تحت العرش يوم القيامة فوق السبعين وقد جمع فى ذلك جزأ الحافظ السخاوى وكذا الحافظ السيوطى (يظلهم الله فى ظله) أضافه اليه تشريفا قيل المراد بظله كرامته أو حمايته كما يقال أنا فى ظل فلان وهو قول عيسى بن دينار وقواه عياض وقيل المراد فى ظل عرشه ويدل عليه حديث سلمان « سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه » فذكر الحديث وإن أريد ظل العرش استلزم كونه فى كنف الله وكرامته من غير عكس فهو أرجح وبه جزم القرطبي ويؤيده التقييد بيوم القيامة فى رواية ابن المبارك فترجح أن المراد ظل العرش لا ظل طوبى أو ظل الجنة خلافا لمن زعمه لأن ذلك إنما يكون بعد دخول الجنة وهو عام لكل داخلها ، ومقصود الحديث ما اختص به أصحاب تلك الخصال (يوم لا ظل إلا ظله) وجه الكرماني الحصر فى السبعة المذكورة بما ملخصه أن الطاعة إما أن تكون بين العبد والرب أو بينه وبين الخلق « فالأول » باللسان وهو الذكر ، أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد، أو بالبدن وهو الناشىء فى العبادة « والثانى » إما عام وهو الامام العادل ، أو خاص بالقلب وهو التحاب ، أو بالمال وهو الصدقة ، أو بالبدن وهو العفة (امام عادل) اسم فاعل من العدل والمراد به صاحب الولاية العظمى ويلحق به من ولى شيئا من أمر المسلمين فيعدل فيه ويؤيده رواية مسلم من حديث ابن عمر ورفعه « إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » وأحسن ما فسر به العادل أنه الذى يتبع أمر الله بوضع كل شىء فى موضعه بغير افراط ولا تفريط وقدمه فى الذكر لعموم النفع به (وشاب) بتشديد الموحدة اسم فاعل (نشأ فى عبادة الله) زاد ابن زيد فى روايته حتى توفى على ذلك ، وعند سلمان « أفنى شبابه ونشاطه فى عبادة الله » وفيه إيماء الى فضل من لم يزاول المعصية أصلا على من أقلع وتاب

وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله ،

منها (ورجل قلبه معلق فى المسجد) ظاهره أنه من التعليق كأنه شبه بالشىء المعلق فى المسجد كالقنديل مثلا إشارة الى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجا عنه ويدل عليه رواية الحوفى « كأنما قلبه فى المسجد » ويحتمل أن يكون من العلاقة شدة الحب ويدل عليه رواية أحمد (متعلق بالمساجد) ورواية الكشميهنى بزيادة فوقية بعد الميم وكسر اللام زاد سلمان من حبها وزاد مالك اذا خرج منه يعود اليه (ورجلان تحابا) بتشديد الموحدة وأصله تحاببا أى اشتركا فى جنس المحبة وأحب كل منهما صاحبه حقيقة لا ظاهراً فقط وفى فى قوله (فى الله) تعليلية (اجتمعا عليه) هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى (اجتمعا على ذلك) والمشار اليه ومرجع الضمير هو الحب المدلول عليه بقوله تحابا (وتفرقا عليه) المراد أنهما داما على المحبة ولم يقطعاها لعارض دنيوى سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينهما الموت وعدت هذه الخصلة واحدة مع أن متعاطيها اثنان لانها لا تتم الا باثنين ولما كان المتحابان بمعنى واحد كان عد أحدهما مغنيا عن الآخر لأن الغرض عد الخصال لا عد جميع المتصف بها وهذا مقصود الترجمة (ورجل دعته امرأة ذات منصب) أى أصل وشرف (وجمال) وصفها بالاوصاف التى جرت العادة بمزيد الرغبة لمن تحصل فيه وقل من يجتمع فيها ذلك من النساء والمراد دعته الى نفسها كما زاد ابن المبارك فى روايته وعن البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة « فعرضت نفسها عليه » والظاهر أنها دعته الى الفاحشة وبه جزم القرطبى ولم يحك غيره ، وقال بعضهم يحتمل أنها دعته إلى التزويج تخشى أن يشغله عن عبادة مولاه الافتتان بها أو خاف أن لا يقوم بحقها لشغله بالعبادة عن التكسب لها والأول أظهر ويؤيده وجود الكناية فى قوله إلى نفسها ولو كان المراد التزويج لصرح به والصبر عن الموصوفة بما ذكر من أكبر المراتب لكثرة الرغبة فى مثلها وعسر تحصيلها سيما وقد أغنت عن مشاق التوصل اليها بمراودة ونحوها (فقال انى أخاف الله) زاد فى رواية كريمة « رب العالمين » والظاهر أنه يقول بلسانه ليزجرها وتعتبر بقلبها ويحتمل أنه بقلبه قاله عياض قال القرطبى انما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شمالهُ ماتنفقُ يَمِينُهُ ؛ ورجل ذكرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناه »

ومتين تقوى وحياء (ورجل تصدق) بلفظ الماضى قال الكرمانى جملة حالية بتقدير قد (بصدقة) نكرها ليشمل كل ما تصدق به من قليل وكثير ، وظاهره يشمل المفروضة والمندوبة لكن نقل المصنف ان اظهار المفروضة أولى من اخفائها (فأخفاها حتى لا تعلم) بضم الميم وفتحها (شماله ما تنفق يمينه) هكذا فى معظم الروايات فى البخارى وغيره ووقع فى صحيح مسلم مقلوبا حتى لا تعلم يمينه ماتنفق شماله وقد بسط الحافظ فى الفتح فى بيان من وهم بذلك وماف البخارى هو الصواب وهو وجه الكلام لأن السنة فى الصدقة إعطاؤها باليمين والقصد من الحديث الحث على المبالغة فى اخفاء الصدقة بحيث ان شماله مع قربها من يمينه وتلازمها لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها فهو على هذا من مجاز التشبيه ويؤيده أنه جاء فى رواية تصدق بصدقة كأنما أخفى يمينه عن شماله ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف أى حتى لا يعلم ملك شماله (ورجل ذكر الله) أى بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر (خاليا) أى عن الخلق لانه حينئذ يكون أبعد من الرياء أو المراد خالياً عن الالتفات الى غير الله ولو كان فى ملأ ويؤيده رواية البيهقى ذكر الله بين يديه ويؤيد الاول رواية ابن المبارك « حماد بن زيد وذكر الله خلاء » أى فى موضع خال وهى أصح (ففاضت عيناه) أى فاضت الدموع منهما وإسناد الفيض اليهما مبالغة كأنها هى التى فاضت قال القرطبى وفيض العين بحسب حال الذاكر وما ينكشف له فبكاؤه خشية من الله تعالى حال أوصاف الجلال وشوقا اليه سبحانه حال أوصاف الجمال ، قال الحافظ فى الفتح وذكر الرجال فى هذا الحديث لا مفهوم له فيما ذكر الا إن أريد بالامام العادل الامامة العظمى والا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم ويخرج خصلة ملازمة المسجد لأن صلاتها فى بيتها أفضل من المسجد وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن

« فائدة » أورد الحافظ السخاوى فى جزئه المسمى بالخصال الموجبة للظلال (١) تسعة وثمانين خصلة ذكر أدلة ذلك وما ورد فيه فى آخره أن الأديب

---

(١) فى شرح الموطأ للسيوطى (جزء ثالث ص ١٢٨ و ١٢٩) بعض هذه الأبيات

معمر بن عبد القوى المالكى نظمها على ترتيب لها فى جزئه فقال

أناس روينا فى الصحيحين سبعة * يظلهم الرحمن فى برد ظله
وقد حازهم زين الهدى شيخ وقته * أبو شامة فى النظم منه بقوله
محب عنيف ناشىء متصدق * وباك مصل والامام بعدله
وزاد عليه شيخ الاسلام عدة * ثلاثة سبعات رواها بنقله
وأبرزها نظما فقال ونظمه * هو الدر لا نظم يكون كمثله
وزد سبعة إصلال (١) غاز وعونه * و إنظار ذى عسر وتخفيف حمله
وحامى غزاة حين ولوا وعون ذى * غرامة حق مع مكاتب أهله
وزد مع ضعف سبعتين إعانة * لا خرق مع أخذ لحق وبذله
وكره وصبر ثم مشى لمسجد * وتحسين خلق ثم مطعم فضله
وكافل ذى يتيم وأرملة وهت * وتاجر صدق فى المقال وفعله
وحزن وتصبير ونصح ورأفة * تربع بها السبعات من فيض فضله
وقد زاد فيما بعد ستا ولم تقع * منظمة منه كسابق قوله
وفى نظمها حكم لغير كنفسه * محب لسيف الله شيعة عدله
وترك الزنا ترك الرياء ورشوة * وأول إنعام نهاية كله
فأربعة صار الجميع وقبلها * ثلاثون فاقرا العلم تحظ بنيله
وزاد عليها حافظ العصر شيخنا * وعلامة الاسلام جامع شمله
عنيت السخاوى الذى كل عالم * يروى صداه من تفيض فضله
ثمانية من بعد خمسين خصلة * تتبعها فيما رواه وأصله
فدونكها نظما ليحسن حفظها * فأحسن تعليم يكون بسهله
فأولها فى العد من هو ساكت * بحلم وذو ثبت بعلم وعقله
ومن حفظ القرآن فى حال صغره * وقاد كبيرا فى الأنام بحمله
مراقب شمس للمواقيت تاجر * أمين بلا مدح وذم لرحله
عيادة مرضى ثم تشييع ميت * ومن لم يخف فى الله لوما لعدله

عد فيها سبعين وفيه ان السيوطى ألف كتابا يسمى تمهيد الفرش فى الخصال المؤدية لظل العرش ثم لخصه فى مختصر يسمى بزوغ الهلال فى الخصال الموجبة للظلال اه

(١) فى القاموس صلصل : أوعد وتهدد وقتل سيد العسكر وفى شرح الموطأ اظلال . ع

متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى ،

وقبض يد عن غير حق وغضه * لطرف عن المحظور قصدا لحله
وترك غريم ثم فضل لمعسر * وإشباع ذى جوع يتوق لأكله
وواصل رحم ثم رحمة أيم * بأيتامها تعنى بيتم وشغله
وصانع طعم لليتيم وموقن * عليه رقيقا فى ارتحال وحله
محب لخلق الله يبغى جلاله * مؤذن فراج لكرب وكله
ومحيي طريقا للنبي ومكثر * صلاة عليه فى النهار وليله
وحامل قرآن قراءة أصفيا * كذا أنبياء الله أكرم بأهله
وإفراد ابراهيم بالذكر منهم * على ونجلاه فطوبى لنجله
مريض وذو جوع وصوم وهائم * ثلاثة عشر من مرحب حوله
مصل بقرآن أتى بعد مغرب * واطفال اتباع النبي وسبله
ونجل رسول الله ذكرنا به * وغير حسود والعقوق لأصله
وتارك مشى بالنميمة ظاهر * برىء ومذكور بذكر المواله
منيب لدى ذكر الاله وغاضب * بحرمته ثم المحب لأجله
وعمار بيت الله جل جلاله * ومستغفر الأسحار يا طيب قوله
ومذكور رب الناس ذاكره كذا * شهيد ومن فى أحد فاز بقتله
معلم أبناء وأخبار ديننا * أمانة أمر بالجميل وفعله
وهى وداعى الخير واختم بخاتم * النبيين حب الله اكرم رسله
عليه صلاة الله ثم سلامه * وآل وأصحاب كرام بوصله
وقد كملت تسعين تعجز واحدا * مبينة جاءتك من فيض فضله
ونسأل مولانا الكريم إلهنا * يصيرنا ممن يظل بظله

اه (متفق عليه) ورواه أحمد والنسائى كلهم من حديث أبى هريرة وأبى سعيد ورواه مسلم أيضاً عن أبى هريرة وأبى سعيد معا كذا فى الجامع الصغير * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول) فيه رد على من يكره أن يؤتى بالمضارع فى القول المحكى عنه تعالى لأن كلامه قديم أزلى والجواب أن الاتيان به للدلالة على أنه مستمر أبدى (يوم القيامة أين المتحابون لجلالى) والسؤال عنهم

اليوم أظلهم فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى » رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا

مع علمه بمكانهم وغيره من أحوالهم لينادى بفضلهم فى ذلك الموقف ويصرح به واللام فيه للتعليل أى تحابوا لجلاله وعظمته لالغرض سوى ذلك من دنيا أو نحوها وروى بجلالى قال العاقولى أى فى جلالى فالباء بمعنى فى ، وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة وأنهم فى حبهم لله قائمون بحق تعظيمه والخوف منه مطرقين إجلالا لهيبته ، فجمع بينهما هذا الوصف العظيم لا كما يجمع حب أهل المتحابين على شهواتهم الخسيسة الباعثة على ترك الهيبة والقاء جلباب الحياء هيهات كم بين المحبتين اه (اليوم أظلهم فى ظلى) قال القاضى عياض إضافة الظل اليه تعالى إضافة ملك قال الحافظ ولو قال إضافة تشريف لكان أولى والمراد ظل العرش وجاء فى غير مسلم ظل عرشى قال القاضى ظاهره أنه فى ظله من الحر والشمس ووهيج الموقف وأنفاس الخلق قال وهذا قول الاكثر وقال عيسى بن دينار معناه أمنه من المكاره وأنه تعالى يكرمه ويجعله فى كنفه وستره ومنه قولهم « السلطان ظل الله فى أرضه » وقيل الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم يقال هذا عيش ظليل أى طيب (يوم لاظل إلا ظلى) أى لايكون فى ذلك اليوم من له ظل مجازا كما فى الدنيا رواه مسلم) واحمد وهو من الاحاديث القدسية وقد جمع منها الحافظ العلائى أربعين حديثا وفى روايته طريقتان احداهما كما ذكر المصنف « والثانية » أن يقال عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى أنه قال ، والفرق بين الحديث والقرآن من وجوه انتفاء الاعجاز وجواز روايته بالمعنى وعدم تعلق ثواب بقراءة ألفاظه وجواز مسه وحمله مع الحدث وقراءته مع الجنابة وغير ذلك * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) أقسم لتأكيد الامر وتحقيقه والقسم يندب لذلك (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا) أى يؤمن كل منكما صاحبه بوائقه كما جاء فى الحديث (ولا تؤمنوا) قال المصنف هكذا فى جميع الاصول والروايات بحذف النون وهى لغة معروفة صحيحة اه وفى التسهيل وحذفها لغير ناصب وجازم نادر قال المرادى فى شرحه وقال بعض النحويين إنه ضرورة قال العاقولى وأما إثبات النون فى بعض نسخ المصابيح فمن اصلاح الناظرين وحذف النون

حتى تحابوا أوَلاَ أدُلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم * وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد اللهُ له على مدرجته ملكا » وذكر الحديث إلى قوله « إن الله قد أحبك كما أحببته فيه » . رواه مسلم وقدسبق فى الباب قبله . وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الأنصار : « لايحبهم إلا مؤمن ؛

نظراً لحذفها فيما قبله فاتبعه ما بعده مشاكلة وإعادة ليعلق عليه حكماً آخر والمراد لاتؤمنوا ايماناً كاملا ولا يؤمن بعضكم بعضاً (حتى تحابوا) بحذف احدى التاءين تخفيفاً وتشديد الموحدة والاصل تتحابوا لان المحب يأمن من محبوبه (أولا أدلكم) الهمزة للاستفهام والواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة أى أتتركوا التحاب ولا أدلكم (على شيء إذا فعلتموه تحاببتم) فالاستفهام وارد على الهيئة المجموعية (أفشوا) بقطع الهمزة المفتوحة (السلام بينكم) فيه الحث على إفشاء السلام وبذله للمسلم من عرفت ومن لم تعرف ،والسلام أول أسباب التآلف ، ومفتاح استجلاب المودة وفى افشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع مافيه من رياضة النفس والتواضع وإعظام حرمات المسلمين (رواه مسلم) فى كتاب الايمان من صحيحه ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه قاله المنذرى فى الترغيب * (وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا وذكر) أى أبو هريرة (الحديث) المذكور فى الباب قبله (الى قوله ان الله قد) للتحقيق (أحبك) أى أراد بك خيراً (كما أحببته فيه رواه مسلم وقد سبق فى الباب قبله) لكن لما تعلق غرض الترجمة بقوله منه إن الله قد أحبك الخ أورده (وعن البراء) بتخفيف الراء والمد (ابن عازب) صحابى ابن صحابى ولذا نبه عليه بقوله (رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى) حق (الانصار) هم أولاد الاوس والخزرج وتقدم أنه اسم اسلامى سموا به لنصرهم الاسلام ومبالغتهم فيها (لا يحبهم الا مؤمن) لأن لهم فى الاسلام الايادى الجميلة من النصر والسعى فى اظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم

ولا يبغضهم الا منافق ، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » متفق عليه * وعن معاذ رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى إدريس الخولانى رحمه الله قال : « دخلت مسجد دمشق

فى مهمات دين الاسلام حق القيام وحبهم النبى صلى الله عليه وسلم وحبه اياهم وبذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارا للاسلام (ولا يبغضهم) مع ذلك (الا منافق) ومحل ذلك إن أبغضهم من الحيثية المذكورة أما إذا كان بغضه لأحد منهم لخصام أو لامر اقتضاه معه بخصوصه فلا (من أحبهم) أى لله تعالى (أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) كما يدين الفتى يدان (متفق عليه * وعن معاذ) بضم الميم و بالعين والذال المعجمة هو ابن جبل (رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل المتحابون) بتشديد الموحدة أى المتحابيون (فى جلالى) فى تعليلية كما تقدم (لهم منابر من نور) يجلسون عليها وفى حديث الطبرانى عن أبى أيوب مرفوعا « المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش » والمنابر جمع منبر بكسر فسكون ففتح من النبر وهو العلو (يغبطهم النبيون والشهداء) الغبطة تمنى مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه فدل هذا الحديث القدسى على أن لهؤلاء العباد منازل شريفة عظيمة فى الآخرة ولا يلزم من تمنى الانبياء أن يكون أولئك أفضل من الانبياء لانه قد يكون لك مائة فرس من العتاق ثم ترى لاخيك فرسا فتشتهى أن تشتريه منه أو تشترى مثله وهذا من هذا القبيل ويجوز أنه لم يقصد النظر إلى معنى الغبطة أصلا وانما أريد بيان فضلهم وشرفهم عند الله فقط (رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى ادريس) اسمه عايذ الله بتحتية ومعجمة ابن عبد الله (الخولانى) نسبة الى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث ابن مرة بن يشخب قبيلة نزلت الشام كذا فى لب اللباب للاصبهانى ، ولد أبو ادريس (رحمه الله) عام حنين وهو من كبار التابعين روى عنه الزهرى توفى سنة ثمانين قال سعيد بن عبد العزيز كان عالم الشام بعد أبى الدرداء (قال دخلت مسجد دمشق)

فاذا فتى براق الثنايا وإذا الناس معه فاذا اختلفوا فى شىء أسندوه اليه وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل رضى الله عنه فلما كانَ مِنَ الغدِ هجَّرتُ فوجَدْتهُ قَدْ سبقنى بالتهجير ووجدته يصلى فانتظرْته حتى قضى صَلاَته ثم جئتهُ منْ قِبَلِ وَجْهه فسلمت عليه ثم قلت وَالله إنى لأحبك ، فقالَ آلله ،

بكسر الدال المهملة وفتح الميم وحكى فى المطالع كسرها أعظم بلاد الشام (فاذا فتى براق) بتشديد الراء (الثنايا) أى أبيض الثغر حسنه وقيل معناه كثير التبسم (واذا الناس معه) اتباع له لكونه صحابياً عالماً فقيهاً (فاذا اختلفوا فى شىء أسندوه اليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقيل هو معاذ بن جبل) هو الانصارى الذى قال فى حقه صلى الله عليه وسلم « أعلم أمتى بالحلال والحرام معاذ » وقال السيوطى قال الباجى قال أحمد بن خالد وهو أبو حازم وفى هذا القول نظر وإنما هو عبادة ابن الصامت فقد رواه شعبة عن يعلى عن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أبى ادريس الخولانى « قال لقيت عبادة بن الصامت » فذكر الحديث وقال ابن عبد البر زعم قوم أن هذا الحديث خطأ وأن مالكاً وهم فيه وأسقط من إسناده أبا مسلم الخراسانى وزعموا أن أبا ادريس رواه عن أبى مسلم عن معاذ وقال آخرون وهم فيه أبو حازم قال وهذا كله تخرص وقد روى عن أبى ادريس من وجوه شتى غير طريق أبى حازم أنه لقى معاذاً وسمع منه فلا شىء فى ذلك على مالك ولا على أبى حازم اهـ قلت وحديث أبى مسلم عن معاذ رواه ابن حبان فى صحيحه بنحو حديث أبى ادريس (فلما كان) أى حصل (من الغد هجرت) أى إلى المسجد (فوجدته قد سبقنى بالتهجير) لمسارعته إلى طريق البر واهتمامه به (ووجدته يصلى) نافلة (فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه) فيه تنبيه على أن الأدب لمن ورد على مشغول بالله تعالى أن لا يشغله ويلهيه عما هو فيه فقد ورد « من أشغل مشغولا بالله أدركه المقت فى الوقت » وفيه أن الادب قصد الانسان من قبل وجهه كما يستحب الدخول إلى البيت من باب السلام لانه من جهة وجه البيت (فسلمت عليه ثم قلت والله إنى لأحبك) القسم للتأكيد وكأنه طلباً لاقباله عليه (فقال آلله) بهمزة الاستفهام الممدودة المعوض بها عن حرف القسم فلذا وجب جر

فقلت آللهِ ، فقال آللهِ فقلت آلله ، فأخذَنى بحَبْوة ردائى فجبذنى إليه فقال أبشر فإنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: « قال الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فِىّ والمتجالسين فى والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى » حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ بإسناده الصحيح

مابعدها (قال) أبو ادريس (آلله) ضبطه المصنف بالهمزة المقصورة وهو مجرور لنيابة الهمزة مناب حرف القسم (فقال) أى تأكيداً للقسم (آلله فقلت الله فأخذ بحبوة ردائى) يحتمل أن تكون الاضافة بيانية ويحتمل أن تكون بمعنى اللام والحبوة من الاحتباء (فجبذنى اليه) قال فى النهاية الجبذ لغةفى الجذب وقيل هو مقلوب منه وفى المصباح جبذه جبذاً من باب ضرب مثل جذبه قيل مقلوب منه لغة تميمية وأنكره ابن السراج وقال ليس أحدهما مأخوذا من الآخر لان كل واحد يتصرف فى نفسه (فقال أبشر) بقطع الهمزة وكسر الشين ويجوز وصل الهمزة وفتح الشين وضمها قال فى المصباح : بشر بكذا يبشر من باب فرح وزنا ومعنى وهو الاستبشار أيضاً ويقال بشرته أبشره من باب قتل فى لغةتهامة وتكون البشرى فى الخير السار واستعمالها فى الشر قليل للنهكم اه وحذف المبشر به لدلالة الحديث عليه وهو قوله (فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى وجبت محبتى) من الوجوب وهو الثبوت أى ذلك كائن لا محالة (للمتحابين فى) أى من أجلى لا لعرض ولا لغرض (والمتجالسين فى والمتزاورين فى) تفاعل من الزيارة (والمتباذلين فى) تفاعل من البذل قال الباجى أى الذين يبذلون أنفسهم فى مرضاتى من الانفاق على عدوه (١) وغيرذلك مما أمروابه والمراد أن فاعل كل من هذه الأمور من الجانبين كما يدل عليه صيغة التفاعل إذا كان لوجه الله تعالى لا لعرض فان ولا لغرض ، فانه تجب له محبة مولاه وهذا أعظم الجزاء وأشرف الحباء فيدل على شرف هذا وقد ورد « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » كما تقدم (حديث صحيح رواه مالك فى الموطأ باسناد صحيح) فانه رواه فيه عن أبى حازم عن أبى ادريس الخولانى قال

---

(١) هكذا فى الاصل فى جميع النسخ فليحرر . ع

(قوله) هجّرت أى بكرت وهو بتشديد الجيم . قوله (آلله فقلت الله) الأول بهمزة ممدودة للاستفهام والثانى بلا مد * وعن أبى كريمة المقداد [1] بن معد يكربَ

الحافظ المنذرى فى الترغيب وأخرجه ابن حبان فى صحيحه وصححه (وقوله هجرت أى بكرت) ومنه حديث لو يعلم الناس ما فى التهجير لاستبقوا اليه (وهو بتشديد الجيم) قال فى النهاية : التهجير التبكير إلى كل شىء والمبادرة اليه يقال هجر تهجيراً فهو مهجر وهى لغة حجازية (قوله آلله فقلت الله الاول بهمزة ممدودة والثانى بلا مد) قال الشيخ نفيس الدين العلوى ومن خطه نقلت سماعا فى الموطأ بالمد فيهما ثم إن المصنف سكت عن بيان اعرابهما قال النحاة والعبارة للرضى فى شرح الكافية اذا حذف حرف القسم الاصلى أعنى الباء فان لم يبدل منه فالمختار النصب بفعل القسم ويختص لفظ الله بجواز الجر مع حذف الجار بلا عوض «قلت» عبارة الجامع الصغير تومىء الى وجوب الجر حينئذ ويختص لفظ الله بتعويض لفظها أو همزة الاستفهام من الجار وكذا عوض من الجار فيها قطع همزة الله فى الدرج وكأنها حذفت للدرج ثم ردت عوضاً من الحروف وجار الله جعل هذه الاحرف عوضا من الواو ولعل ذلك لاختصاصها بلفظ الله ثم قال وإذا دخلت همزة الاستفهام على الله فاما أن تبدل همزة الله ألفا صريحة وهو الا كثر وتسهل كما هو القياس فى الرجل ونحوه ولا تحذف للبس ولا تبقى للاستثقال قال ودليل كون هذه الثلاثة ابدالا معاقبتها لحرف القسم ولزوم الجر معها دون النصب مع أن النصب بلا عوض أكثر اه ملخصا وفى شرح الجامع الصغير : المغاربة كما قال أبو حيان يعبرون عن هذه الهمزة بهمزة الاستفهام والمراد الصورة لا معنى الاستفهام قال وقد قرىء «ولا نكتم شهادة الله » بتنوين شهادة وقطع الهمزة فلذا سموها ألف القطع وليس المراد الاقطع همزة الوصل التى مع لام التعريف فى الاسم المعظم لان هناك ألف قطع جىء بها عوضا من حرف القسم لكنهم يتسامحون فيعبرون عنها بألف القطع كذلك اه (وعن ابى كريمة) بوزن حليمة وقيل أبو يحيى (المقداد) بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة (١)(ابن معد يكرب) بكسر الدال وفتحها وسكون الياء تخفيفا

---

(١) المقداد بالدال كذا فى النسخ وصوابه « المقدام » بالميم . ع

رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قالَ : « إذَا أحَب الرجل أخاه فليخبرْهُ أنه يحبه » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن معاذ رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله إنى لأحبك ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول

ويجوز فى كرب لغات منع الصرف وإضافة الاول اليه مصروفا وممنوعاً وأصل معنى معد يكرب فى لغة قحطان أو حمير ، وجه الفلاح ، وفى لغة غيرهم معنى معديكرب يامن جاوز الحد ، نبه على الاول السهيلى وعلى الثانى الشيخ خالد الازهرى فى شرح التوضيح ، ابن سناد بن عبد الله بن وهب بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور ابن عفير السكندى (ورضى الله عنه) كذا نسبه ابن عبدالبر وقيل غير ذلك وهو أحد الوفد الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة بالشام، توفى سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وتسعين سنة ، روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وأربعون حديثا كذا فى المستخرج المليح لابن الجزرى (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الرجل أخاه) فى الله لله تعالى (فليخبره) ندبا وعند بعضهم فليعلمه (أنه يحبه) على تقدير الجار . وحكمته أنه سبب لمزيد الحب وتأكيده (رواه أبو داود والترمذى وقال) الترمذى (حديث حسن صحيح) ورواه أحمد بسند صحيح والبخارى فى الادب المفرد ولفظه كما قال السخاوى فى المقاصد أنه أحبه ورواه ابن حبان والحاكم وصححاه (وعن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده) تأنيسا وتلطفا معه (وقال يا معاذ والله) أتى به للتأكيد المطلوب لاجله القسم (انى لاحبك ثم أوصيك يا معاذ) وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمور ديانته حيث حصل له هذا المقام الاسنى من المصطفى ، وذكره توطئة وبعثاله على امتثال أمره بعده قال بعضهم لما صحت محبة معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم جازاه بأعلامنها كما هو عادة الكرام ولا أكرم منه صلى الله عليه وسلم ولذا اكده بان واللام (لاتدعن) أى لاتتركن (فى دبر) بضم المهملة والموحدة أى عقب (كل صلاة) أى مفروضة (تقول) أى أن تقول أو قولك فهو كما تقدم نظير قولهم « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » وهو فى محل

اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى باسناد صحيح * وعن أنس رضى الله عنه : « أن رجلا كان عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فمر رجل به فقال يا رسول الله إنى لأحب هذا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعلمته ؟ قال لا ؛ قال أعلمه ، فلحقه فقال إنى أحبك فى الله فقال أحبّكَ اللهُ الذى أحببتنى له » رواه أبو داود باسناد صحيح .

﴿باب علامات حب الله تعالى العبد

المفعول لتدع (اللهم أعنى) بقطع الهمزة (على ذكرك) الشامل للقرآن وسائر الاذكار (وشكرك) أى شكر نعمتك الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية التى لا يمكن احصاؤها (وحسن عبادتك) أى بالقيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع واخلاص واستغراق وتوجه تام (حديث صحيح رواه أبوداود والنسائى باسناد صحيح) بل قال الحاكم فى موضعين من مستدركه انه على شرط مسلم وتعقبه الحافظ فى تخريج الاذكار النووية فقال أما قوله إنه صحيح فسلم وأما قوله على شرطهما ففيه نظر ، فلم يخرجا لبعض رواته وأخرج الحديث أيضا أحمد والطبرانى فى كتاب الدعاء وابن حبان فى صحيحه . (وعن أنس رضى الله عنه قال إن رجلا كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فمر رجل) وهو عند النبى صلى الله عليه وسلم (فقال يا رسول الله انى لاحب هذا) كأن الداعى الى التأكيد التردد الناشىء مما يدل عليه حاله (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعلمته) بتقدير همزة الاستفهام قبله (قال لا قال أعلمه) أى ندبا ويحتمل أن يكون أمر ذلك بخصوصه على سبيل الوجوب لتهاجر كان بينهما أو تقاطع (فلحقه فقال إنى أحبك فى الله) أى لله تعالى (فقال) أى ذلك المعلم (أحبك الذى أحببتنى له) عدل اليه عن الاتيان بالاسم الجامع إعلاما بسبب حبه تعالى لذلك وإيماء اليه قال العاقولى والجملة دعائية أخرجها مخرج الماضى تحققاً له وحرصاً على وقوعه (رواه أبو داود باسناد صحيح)

﴿ باب علامات حب الله تعالى العبد ﴾

والحث على التخلق بها والسعى فى تحصيلها ﴾

قال الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يُحْبِبْكُمُ الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف

بالنصب مفعول المصدر ويجوز جره باللام المقوية للعامل لضعفه (والحث) عطف على علامات والتحريض (على التخلق بها) أى بتلك الخصال للمحبوب (والسعى فى تحصيلها) ليستدل به بوجودها على وجوده فان شأن العلامة الاطراد

(قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى) أى تدعون محبته نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه أى ان كنتم كذلك فاتبعونى فعلامة حبه تعالى العبد توفيقه لاتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وقوله (يحببكم الله) جواب الشرط المقدر أى ان تتبعونى يحببكم الله (ويغفر لكم ذنوبكم) ولا يخفى ما فى هذه الآية من الوعد للمتبعين بالمحبة من المولى وغفران الذنب وهذه تقدم الكلام عليها فى باب المحافظة على السنة وآدابها وفى باب النهى عن البدع وزاد هنا خاتمة الآية أى قوله (والله غفور رحيم) وهو كالدليل لما تضمنه قوله « ويغفر لكم ذنوبكم » (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم) بالكفر (عن دينه) قال البيضاوى وهذا من الكائنات التى أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد فقتل العنسى رئيس بنى مدلج الذى تنبأ ليلة قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، قتله فيروز وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فسر به المسلمون وأتى الخبر بذلك أواخر ربيع ، ومسيلمة رئيس بنى حنيفة وادعى النبوة ، قتله وحشى قاتل حمزة ، وبنو أسد قوم طليحة بن خالد تنبأ فبعث اليه النبى صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد ففر إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وقد ارتد فى عهد الصديق سبع ، فزارة قوم عيينة بن حصن ، وغطفان قوم قرة بن سلمة ، وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل ، وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة ، وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر(١)

---

(١) المعروف أنها بنت الحارث بن سويد وكانت فى بنى تغلب من تميم وكانت راسخة فى النصرانية الخ . ع

يأتى اللهُ بقوم يحبُّهم ويحبونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى قال : منْ عادى لى وَليا

المتنبئة زوجة مسيلمة ، وكندة قوم الاشعث بن قيس ، وبنو بكر بن وائل قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده ، وفى إمرة عمر غسان قول جبلة ابن الايهم تنصر وسار إلى الشام (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قيل هم أهل اليمن لما روى أنه عليه السلام « أشار إلى أبى موسى وقال هم قوم هذا » وقيل سلمان لما روى « أنه سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان ، قال هذا وذووه » وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس ، والراجع إلى من محذوف ، والتقدير فسوف يأتى الله بقوم مكانهم (أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين لهم ، جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو أو التنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين حافظون لهم أو لمقابلة (أعزة على الكافرين) أى شداد متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه وقرىء بالنصب على الحال (يجاهدون فى سبيل الله) صفة أخرى لقوم أو حال من الضمير فى أعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دين الله أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم يخرجون مع المسلمين فى الجهاد خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعلمون ما يلحقهم به لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفى تنكير لائم مبالغتان (ذلك) أى ما تقدم من الاوصاف (فضل الله يؤتيه) يمنحه ويوفق له (من يشاء) من خلقه (والله واسع) كثير الفضل (عليم) بمن هو أهله * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال) هكذا أورده هنا بصيغة الماضى وفى الاربعين «يقول» بصيغة المضارع وعلله بعض الشراح بقوله مضارعاً لان المضارع يدل على الحال الخاص (من عادى لى وليا) من الولى بسكون اللام وهو القرب والدنو فهو القريب من الله لتقربه اليه

فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ،

بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، أو من الموالاة ضد المعاداة فهو من تولى الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصرة ، وقدم الظرف للاختصاص أى من اتخذ وليا لا لغيرى عدواً (فقد آذنته) بالمد أى أعلمته (بالحرب) أى إنى محارب له عنه أى مهلكه بأخذه على غرة ، وهذا وعيد شديد لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى ويلزم من ثبوت محاربته تعالى لاعداء أوليائه ثبوت موالاته لمن والاهم (وما تقرب إلى عبدى) إضافته إضافة تشريف (بشىء) أى بأداء شىء (أحب إلى مما افترضته عليه) أى من أداء ما افترضته عليه عينا كان أو كفاية ، وإنما كان أحب اليه من النفل لانه أكمل من حيث إن الامر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه بخلافه فان الامر به غير جازم يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ، ولانه كما قيل جزء من سبعين جزءاً من الفرض (وما يزال عبدى يتقرب إلى) بعد أداء فرائضه (بأداء (النوافل) من صلاة وصيام وحج وصدقة (حتى أحبه فاذا أحببته) ورضيت عليه وأوردت به الخير (كنت سمعه) يجوز أن يكون على تقدير مضاف فيه وفيما عطف عليه أى حافظ سمعه وهو القوة المرتبة فى العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الاصوات بتموج الهواء وقوله (الذى يسمع به) صفة توضيحية جىء بها للتأكيد ويجوز أن تكون مخصصة احترازاً من اليد والرجل الشلاوين أى حافظه عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما فى معناهما (وبصره الذى يبصر به) هو قوة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين يدرك بها الألوان ونحوها ، ويؤخذ من تقديم السمع عليه أنه أفضل منه ، ولأنه شرط النبوة وقيل إنه من باب الترقى لأن متعلق البصر الأنوار ومتعلق السمع الريح وهو يرى من بعيد أى حفظه عما يحرم النظر اليه من الصور المحرمة (ويده التى يبطش بها) فلا يبطش إلا فيما يحل (ورجله التى يمشى بها) فلا يمشى إلا فيما يحل ، وحاصل ذلك حفظ جوارحه وأعضائه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق فى الطاعات فلا يسمع ولا يبصر إلا

وإنْ سألنى أعطيتُه ، ولئن استعاذنى لأُعيذنّه » رواه البخارى

ما ورد به الشرع وكذا اليد والرجل ، ويجوز أن يكون مجازاً عن نصره وتأييده فكأنه تعالى نزل نفسه منزلة جوارحه التى يدرك بها ويستعين بها تشبيها وزيادة فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشى ، (١) هذا والاتحادية والحلولية قبحهم الله يزعمون أن هذا فى حقيقته وأنه تعالى عما يقولون علوا كبيراً حال فيه ومتحد به (وإن سألنى أعطيته) بتاء الضمير وحذف المفعول الثانى لدلالة قوله « سألنى » عليه أى أعطيته سؤله (ولئن استعاذنى لأعيذنه) وأكد هذه الجملة بالقسم ونون التوكيد اهتماما بمضمونها لأنه درء مفسدة وذلك جلب مصلحة والأول أهم والعناية به أتم (رواه البخارى) منفردا به عن باقى الكتب الستة ورواه ابن حبان فى صحيحه وأبو نعيم فى حليته والبيهقى فى الزهد قال السخاوى بعد أن تكلم على رجال إسناده ولذا قال الذهبي وقد أورد الحديث فى الميزان فى ترجمة خالد بن محمد أنه غريب جدا انفرد به خالد ولولاهبة الجامع الصحيح لعدوه من منكرات خالد وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك ولم يرو هذا المتن الا بهذا الاسناد قال السخاوى وهذا الحصر متعقب فقد قال ابن حبان عقب إيراده لهذا الحديث ما نصه « لا يعرف له الا طريقان وهما هشام الكنانى عن أنس وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة » قال وكلا الطريقين لا يصح وانما الصحيح ماذكرنا أى طريق خالد عن شريك بن عبد الله عن أبى ثمر عن عطاء وهو ابن يسار عن أبى هريرة ، قال السخاوى وحصره فى الطريقين مردود فقد رواه الطبرانى عن أبى أمامة من طريق على بن يزيد قال السخاوى وهو ضعيف بل قال ابو حاتم الرازى ان الحديث منكر ، وروى الطبرانى أيضا من طريق حذيفة نحوه وسنده حسن ، وأخرجه ابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب بنحوه وسنده ضعيف ، وأخرجه أبو يعلى بسند ضعيف عن ميمونة أم المؤمنين ، وأخرجه الطبرانى عن ابن عباس بنحوه اه ملخصا ، وهو أصل فى السلوك والتقرب الى الله تعالى والتعرف اليه والوصول الى معرفته ومحبته لأن المفترض اما باطن وهو الايمان أو ظاهر وهو الاسلام أو مركب منهما وهو الاحسان المتضمن لسلوك

---

(١) كذا ولعله وفى بعض الروايات زيادة فبي يسمع الخ أو لعله وبى يمشى تؤيد هذا الخ : ع

(معنى آذنته) أعلمته بأنى محارب له . وقوله (استعاذنى) روى بالباء وروى بالنون * وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل إن الله تعالى يُحب فلاناً فأحبَّه فَيُحبه جبريلُ ؛ فينادى

السالكين ـ كالاخلاص والزهد والتوكل والمراقبة (معنى آذنته) بالمد (أى أعلمته بأنى محارب له) فى العبارة تسامح إذ هذا معنى آذنته بالحرب لا معنى آذنته فقط والأمر سهل (وقوله استعاذنى روى بالباء) أى استعاذ مستعيذا بحولى وقوتى فى الحفظ من كل مؤذ كما يؤذن به حذف المعمول (وروى بالنون) (فائدة) قال السخاوى روينا فى الزهد للبيهقى من طريق عثمان الحيرى أنه سأل عن معنى هذا الخبر فقال كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وبصره فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى اه (وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله العبد) بأن أراد له الخير والهداية والانعام عليه والرحمة (نادى جبريل) الظاهر أنه نداء بالكلام النفسى المنزه عن الصوت وغيره من سمات الحدوث ومذهب الشيخ أبى الحسن أن لا يشترط الصوت فى المسموع خلافا للماتريدى ؛ وجبريل اسم عبرانى للملك المعظم ومعناه بالعربية كما تقدم عبد الرحمن وهو أمين الوحى قيل إنه أفضل الملائكة (ان الله يحب فلانا) يحتمل أن يكون بفتح الهمزة مفعول نادى ويحتمل كسرها باضمار قول ويؤيد هذا مايجىء فى الرواية الآتية « فدعا جبريل فقال إنى أحب فلانا » وعبر بالمضارع إيماء الى دوام ذلك الفضل لذلك المحبوب واستمراره وفى الحديث « ان الله كريم يستحى أن ينزع السر من أهله » وفى الحديث عن عبد الله بن عمر مرفوعا « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بموت أهله » (فأحببه) بفك الادغام كما هى لغة الحجاز ويجوز ، ان لم يصد عنه رواية ، الادغام وهى لغة تميم (فيحبه جبريل) قال المصنف محبته محتملة أن يراد استغفاره وثناؤه عليه ودعاؤه له ، وأن يراد بها ظاهرها المعروف من الخلق وهو ميل القلب الى المحبوب وشوقه إلى لقائه وسبب حبه إياه كونه مطيعاً لمولاه محبوبا له (فينادى) بالبناء للفاعل أى جبريل ويشهد له قوله فى الرواية الثانية « ثم ينادى فى السماء فيقول » ويجوز أن يكون مبنياً

فى أهلِ السماء إنَّ الله يُحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضعُ لهُ القبول فى الأرْض » متفق عليه * (وفى رواية لمسلم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى إذَا أحَب عبداً دعا جبريل فَقالَ إنى أحِب فلاناً فأحبَّهُ فيحبهُ جبريل ، ثم ينادى فى السماء

للمفعول وقوله إن الله يحب نائب فاعله وبقرينة ماقرينة للمفعول (١) أى يوضع (فى أهل السماء) أى فى الملائكة الساكنين بها (إن الله يحب فلاناً) نداؤه بذلك تنويه به وتشريف له فى الملأ الأعلى ، وليحصل من المنزلة المنيفة على الحظ العظيم وهذا نحو قوله تعالى فى الحديث القدسى « أنا مع عبدى اذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم » (فأحبوه) الفاء فيه للتفريع (فيحبه) أهل السماء الفاء عاطفة على جملة ينادى والوجهان السابقان فى محبة جبريل يجريان هنا من غير فرق (ثم يوضع له القبول فى الأرض) المراد بالقبول الحب فى قلوب أهل الدين والخير له والرضا به واستطابة ذكره فى حال غيبته كما أجرى الله عادته بذلك فى حق الصالحين من سلف هذه الأمة ومشاهير الأئمة (متفق عليه * وفى رواية لمسلم) أورد مسلم الروايتين المذكورتين أواخر كتاب البر والصلة ووقع للحافظ المزى أنه ذكر أن مسلماً خرج الحديث فى الأدب من صحيحه فاعترضه الحافظ فى النكت الظراف بما لفظه « كتاب الأدب فيما عندنا من صحيح مسلم بعد كتاب اللباس وبعد كتاب الأدب كتاب الطب وبعده كتاب الرؤيا وبعده كتاب القضاء وهو كبير وبعده كتاب البر والصلة وحديث : إذا أحب الله عبداً ، بجميع طرقه فى أثناء كتاب البر والصلة » اه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا أحب عبداً) يحتمل كون التنوين فيه للتعظيم وعظمته باضافته إلى مولاه وتأهيله لخدمته والقيام بعبوديته (دعا جبريل فقال إنى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى) أى جبريل (فى) أهل (السماء) ويحتمل ألا يكون مضاف مقدر ويكون بيانا لمحله حال ندائه لكن يشهد

---

(١) وبقرينة الخ . كذا بالأصول ولعله ويقربه بناء مابعده للمفعول . ع

فيقولُ إن الله يُحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع لهُ القبول فى الأرض ؛ وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقولُ إنّى أبغِضُ فلاناً فابغَضْهُ فيُبْغِضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يُبغِض فلاناً فأبْغِضُوه ثم توضَعُ لهُ البغضاء فى الأرْض » * وعنْ عائشةَ رضى الله عنها « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعَثَ رَجلاً على سَرِية

للاول قوله « فيحبه أهل السماء » وقوله فى قرينه « ثم ينادى فى أهل السماء » (فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه) فيحبه أهل السماء (ثم يوضع له القبول فى الارض وإذا أبغض عبداً) التنوين فيه للتحقير والمراد من البغض المسند اليه تعالى غايته من إرادة الخذلان والاعراض والابعاد (دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل) الابغاض بالنسبة اليه وإلى الملائكة محتمل للحقيقة أى الكراهية القلبية والنفرة النفسية وللمعنى المجازى أى دعاؤهم عليه بالطرد وأنواع المقت (ثم ينادى فى أهل السماء فيقول ان الله أبغض فلانا فأبغضوه) الفعل فى جميع ما ذكر من الأبغاض من باب الافعال من البغض قال فى المصباح بغض الشىء بالضم بغاضة فهو بغيض وأبغضته ابغاضا فهو مبغض والاسم البغض قالوا ولا يقال بغضته بغير ألف اه (فتوضع له البغضاء) بالمد هى شدة البغض (فى الأرض) وحديث الباب رواه النسائى وأيضاً كما ذكره الحافظ المزى ولم يرو فيه للبخارى مع أنه الاول عنده فى أبواب الملائكة * (وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا) قيل هو كلثوم بن الهدم بكسر الهاء وسكون الدال المهملة ونظر فيه بأنه مات فى أول قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فيما ذكره الطبرى وأصحاب المغازى قبل أن يبعث السرايا وهذا قالت فيه عائشة انه بعث (على سرية) بفتح أوليه وتشديد التحتية وهى القطعة من الجيش فعيلة بمعنى فاعلة لأنها تسرى فى خفية وجمعها سرايا وسريات كعطية وعطايا وعطيات كذا فى المصباح وفى المواهب اللدنية قال فى الفتح السرية هى التى تخرج بالليل والنهارية التى تخرج بالنهار قال وقيل سميت سرية لأنه يخفى ذهابها وهذا يقتضى أنها أخذت من السر ولا يصح ذلك لاختلاف المادة وهى قطعة من الجيش

فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختمُ بقلْ هوَ اللهُ أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « سلوهُ لأى شىء يصنعُ ذَلكَ فسألوه فقال لأنها صفةُ الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرُوه أنَّ الله تعالى يُحِبّه »

تخرج ثم تعود اليه وهى من مائة الى خمسمائة يقال له منسر بالنون والمهملة فان زاد على الثمانمائة سمى جيشا فان زاد على الأربعة آلاف سمى جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا اه قال الحافظ فى الفتح ثم رأيت بعض من تكلم على العمدة فسر المبهم فى الحديث بأنه كلثوم بن زهدم وعزاه لابن منده لكن رأيت بخط رشيد بن العطار نقلا عن صفة التصوف لابن طاهر عن ابن منده فسماه كرز بن هدم والله أعلم (فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم) لكونه إمامهم (فيختم بقل هو الله أحد) يدل على أنه يقرأ بغيرها ففيه دليل جواز الجمع بين سورتين غير الفاتحة فى ركعة واحدة (فلما رجعوا)أى عادوا من السرية (ذكروا ذلك) أى ما ذكر من ختمه بسورة الاخلاص (لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه) أصله اسألوه فنقلت حركة الهمزة الى السين المهملة فحذفت همزة الوصل لذهاب المعنى الذى جىء بها لأجله (لأى شىء يصنع ذلك) أى ليرتب جزاءه على حسب نيته وقصده ، ففيه إيماء الى أن الأعمال بمقاصدها (فقال لأنها صفة الرحمن) فقد اشتملت على ما يجب له سبحانه من التوحيد وما يجوز فى حقه من توجيه الخلق حوائجهم اليه وقصدهم إياه فى سائر أمورهم وما يستحيل فى حقه من كونه مولدا من شىء أو يتولد منه شىء تعالى عما لا يليق به مما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ، وقال الدمامينى يحتمل ان يراد بقوله إنها صفة الرحمن أن فيها ذكر صفته كما إذا ذكر وصف فعبر عن ذلك الذكر بأنه الوصف وان لم يكن ذلك الذكر نفس الوصف ويحتمل أن يراد به غير ذلك إلا أنه لا يختص ذلك « بقل هو الله أحد » ولعلها خصت به لاختصاصها بصفاته تعالى دون غيرها (فأنا أحب) تقديم المبتدأ للتأكيد لتكرار الاسناد وللاهتمام (أن أقرأ بها) أى محبته للدال على صفته تعالى (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لمن أخبره عنه بمرداه أو لغيره من بعض الحاضرين (أخبره) على وجه البشارة (أن الله يحبه)

متفق عليه

﴿ باب ﴾

(التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين)

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا »

قال الدماميني يحتمل أن يريد لمحبته قراءة هذه السورة ويحتمل أن يكون لما يشهد به كلامه فى محبته لذكر الرب واعتقاده اه وقد دل تبشيره بذلك على الرضا بفعله وعبر عنه بصيغة المضارع ايذانا بدوام هـذا الشأن واستمراره قال ناصر الدين ابن المنير وفى الحديث أن المقاصد بغير أحكام الفعل لأن الرجل لو قال ان الحامل له على اعادتهـا أمر غـير ما ذكره لأجابه بما يناسبه فلما ذكر أن الداعى لذلك محبتها وظهرت صحة قصده لذلك صوبه وقال فيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس والاستكثار منه ولا يعد ذلك هجرانا للبعض (متفق عليه) أخرجه البخارى فى التوحيد ومسلم فى الصلاة ورواه النسائى فى كتاب الصلاة أيضا وفى اليوم والليلة قاله الحافظ المزى

﴿ باب التحذير من إيذاء الصالحين ﴾

يحتمل أن يراد به المعنى الاعم أى المسلمين كما حمل عليه الولد الصالح فى قوله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » الحديث ويشهد لهذا ، الآية الأولى ويحتمل أن يراد به المعنى الخاص وهو القائم بما عليه من حق الله سبحانه أو لأحد من عباده (والضعفة) جمع ضعيف (والمساكين) المراد منه ما يشمل الفقراء والمراد التحذير من إيذاء من لا ناصر له الا الحق سبحانه من صالح ومسكين وضعيف لا يؤبه به ولا يقام للتعرض وظاهر أن الكلام فى الايذاء بغير حق كما فى الآية فلا يرد نحو حد لانه مأمور به * (قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جناية استحقوا بها (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) ظاهرا قيل إنها نزلت فى المنافقين يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى أهل

وقال تعالى : « فأما اليتيمَ فَلَا تقهر . وأما السائل فلاتنهر » (وأما الأحاديث) فكثيرة ، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه فى الباب قبل هذا « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » * ومنها حديث سعد بن أبى وَقَّاص رضى الله عنه السابق فى باب ملاطفة اليتيم وقوله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبتَ ربك » * وعن جُندَبِ بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة الصبح فهوَ فى ذمة الله

الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات (وقال تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) تقدم الكلام عليها فى باب ملاطفة اليتيم والمسكين (واما الاحاديث) المرفوعة فى ذلك (فكثيرة منها حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الباب الذى قبل هذا) وقوله (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) بيان لحديث فيكون المراد من حديث بعضه أو بدل بعض من كل (ومنها حديث سعد بن أبى وقاص) بتشديد القاف وبالصاد المهملة آخره واسمه مالك بن أهيب الزهرى أحد العشرة (رضى الله عنه السابق فى باب ملاطفة اليتيم * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم) أى بلال وسلمان وصهيب (فقد أغضبت ربك) ولا يخفى ما فى هذه الجملة المؤكدة بالقسم من مزيد الاهتمام بشأن أولئك ومثلهم سائر المؤمنين لحرمة الايمان وشرفه * (وعن جندب) بضم الجيم وفتح الدال المهملة وسكون النون بينهما آخره موحدة (ابن عبدالله) بن سفيان البجلى العلقى بفتح المهملة وباللام وبالقاف نسبة إلى علقة بن عبقر بن انمار سكن جندب (رضى الله عنه) الكوفة ثم تحول عنها إلى البصرة وقد تقدمت ترجمته فى باب تحريم الظلم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعون حديثا اتفقا على سبعة منها وانفرد مسلم بخمسة منها وروى عنه الحسن وأبو عمران الجونى ، مات بعد الستين رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة الصبح) أى جماعة كما فى رواية أخرى لمسلم قال العلقمى فهى مقيدة لبقية الروايات المطلقة (فهو فى ذمة الله) بكسر الذال المعجمة وتشديد الميم قيل ضمانه وقيل أمانه وكأنها إنما خصت بذلك لأنها أول النهار الذى هو وقت انتشار الناس فى حوائجهم المحتاجين فيه وفى دوامه إلى أمن

فَلَا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فانه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم » رواه مسلم

﴿ باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى ﴾

قال الله تعالى : « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم »

بعضهم من بعض لا لأفضليتها لأن الأصح أن العصر هى الوسطى فهى أفضل منها (فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء) أى لا تتعرضوا له بغير حق فذلك سبب طلبه سبحانه ما وقع منكم من نقض عهده وخيانة أمانه فهو من باب وضع المسبب موضع السبب (فانه) تعليل للنهى (من يطلبه) أى الله تعالى (من ذمته) أى من أجل خيانته لأمانته، ويصح أن يكون من للتبعيض وظاهر جريان هذين الوجهين فى « من » المذكورة أولا (بشيء يدركه) إذ لا مهرب ولا مفر منه تعالى (ثم) بعد إدراكه (يكبه) بضم الكاف يقال كبه فأكب وهو من غرائب اللغة إذ المعروف أن الهمزة يتعدى بها اللازم وهنا صار بها المتعدى قاصراً أى يلقيه (على وجهه فى نار جهنم) فيه غاية التحذير عن التعرض لمن صلى الصبح المستلزم ذلك لصلاة بقية الخمس وأن فى التعرض له بسوء غاية الاهانة والعذاب (رواه مسلم) ورواه الترمذى الا أنه قال فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته ، وليس فيه قوله فانه الخ كذا يستفاد من الجامع الصغير والعجب أنه لم يورد فيه حديث مسلم واقتصر على حديث الترمذى المذكور ، وفى الجامع الكبير « من صلى الغداة فهو فى ذمة الله فايا كم أن يطلبنكم الله بشيء من ذمته » رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس مرفوعا وفيه « من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله تعالى فلا تخفروا الله فى ذمته فانه من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه » رواه أحمد عن ابن عمر مرفوعا(١) اه والحديث هذا قد تقدم مع شرحه فى باب تعظيم حرمات المسلمين

﴿ باب إجراء أحكام الناس على ظواهرهم وسرائرهم ﴾

بالرفع مبتدأ خبره مقدر تقديره موكولة أو مفوضة (إلى الله تعالى * قال الله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدعوهم لا تتعرضوا لهم

---

(١) فى نسخة « موقوفا » بدل مرفوعا . ع

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رَسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ : « أمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويُقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة

بشيء من القتل والحصر وإطلاق الآية شامل لمن كان كذلك حقيقة أو ظاهراً لا باطنا قال السيوطى فى الاكليل لم يكتف فى تخلية السبيل بالتوبة من الشرك حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة واستدل به الشافعى على قتل تارك الصلاة وقتال مانع الزكاة واستدل به من قال بتكفيرهما * (وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت) بالبناء لغير الفاعل حذف فاعله تفخيماله وتعظيما والمفهوم منه أن الله تعالى هو الذى أمر كما يفهم من قول الصحابى أمرنا ، أن الآمر له هو النبي صلى الله عليه وسلم وإنما عدل اليه تعويلا على شهادة العقل انه تعالى هو الآمر لايحتاج إلى تصريح باسمه ، ولا يذهب الوهم إلى غيره إذا لاأحد يأمره سوى الله تعالى أى أمرنى الله (أن أقاتل الناس) أى بأن أقاتلهم لأن الأمر يتعدى إلى ثانى مفعوليه بحرف الجر وحذفه كثير شائع قالوا والمراد بالناس هنا عبدة الأوثان لاأهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية قال الدلجى فى شرح الاربعين ويحتمل أن يكون قبولها منهم كان بعد هذا الامر المتناول لقتالهم أيضاً (حتى يشهدوا أن) أى أنه (لاإله) أى لامستغنى بذاته عما سواه ومفتقر اليه كل ما عداه موجود (إلا الله و) يشهدوا (أن محمدا رسول الله) وفى رواية «حتى يقولوا لاإله إلاالله » اكتفاء بها عن أختها مع إرادتها كما فى «سرابيل تقيكم الحر » أى والبرد أى حتى يؤمنوا بأنه تعالى واحد لاشريك له وأن محمداً رسول الله (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) بشروطهما وأركانهما على وفق الأمر الالهى وعطفهما على ماقبلهما تنزيلا لهما منزلته فى كون فعلهما غاية للقتال وللامر به إيذانا بأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية ومن ثم قدمهما على مقرهما لدخولهما تحت نطاق حق الاسلام بشهادة احدى روايتى أبى هريرة فانه لم يذكرهما فيها لانهما من حقه ولم يخصهما فى روايته الاخرى بل قال ويؤمنوا بما جئت به ، ولم يذكر الصوم والحج إما لكونهما لم يفرضا حينئذ ، وإما لكونهما لاقتال على تركهما إذ تارك الصوم يحبس ويمنع الفطر والحج على التراخى ، وحتى هنا جارة لان ماقبلها غير ما بعدها وهو

فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى » متفق عليه * وعن أبى عبد الله طارق بن أشيم رضى الله عنه

غاية للقتال ومتضمن لمعنى الشرط فالكف عن قتالهم مشروط بذلك منتف بانتفائه كأنه قيل إن شهدوا وصلوا وآتوا الزكاة كففت عنهم بشهادة الآية السابقة (فاذا فعلوا ذلك) غلب فيه الفعل على القول إذ الشهادة قول إلا أن يقال هى عمل اللسان فهو فعل أى فان أتوا بذلك (عصموا) أى منعوا وحقنوا (منى دماءهم) جمع دم وأصله دمو (وأموالهم الا بحق الاسلام) استثناء مفرغ من عام والعصمة متضمنة لنفيه ليصح تفريغ الاستثناء إذ هو شرطه أى لانهدر دماؤهم ولاتستباح أموالهم بسبب من الاسباب الا بحقه كفعل الواجبات وترك المنهيات فانها واجبة بحقه وقد التزمها المسلمون بأسلامهم فان فعلوا واجتنبوا بنية صالحة فمؤمنون أو تقية وخوفا حقنوا ذلك وعصموه (وحسابهم على الله) أى اليه (تعالى) ما يخفون وما يسترون من عقائدهم لاما يظهرون بل يعاملون بما يقتضيه وحاصله تفويض أمر بواطنهم اليه سبحانه لانه الذى يتولى خبايا أسرارهم وخفايا ضمائرهم من إيمان وكفر ونفاق ، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فانما أمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم ولفظ على وان كانت مشعرة بالايجاب فهو على سبيل التشبيه البليغ أى هو كالواجب عليه تعالى بمقتضى إخباره بوقوعه حذراً من الخلف فى إخباره تعالى شرعاً بمقتضى وعده ، فلا يخلف الميعاد خلافا لقول المعتزلة بوجوبه عليه عقلا (متفق عليه) ورواه الاربعة عن أبى هريرة وهو متواتر كذا فى الجامع الصغير للسيوطى وفى قطف الازهار المتناثرة فى الاخبار المواترة للسيوطى أخرج الشيخان عن ابن عمر وأبى هريرة ومسلم عن جابر بن عبدالله وابن أبى شيبة فى المصنف عن أبى بكر الصديق وعمر وابن أويس وجرير البجلى والطبرانى عن أنس وسمرة بن جندب وسهل بن سعد وابن عباس وأبى بكر وأبى مالك الاشجعى والبزار عن عياض الانصارى والنعمان بن بشير اه * (وعن ابى عبد الله طارق) بالمهملة والراء والقاف (ابن أشيم) بالشين المعجمة والتحتية بوزن أحمد ، ابن مسعود الاشجعى الكوفى والد سعد بن طارق وأبى مالك (رضى الله عنه)روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما قاله البرقى أربعة أحاديث روى عنه مسلم حديثاً واحداً قال العامرى

قالَ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال لا إله إلاالله وكفر بمايُعبَد من دون الله حرُمَ مالهُ ودمهُ وحسابه على الله تعالى » رواه مسلم * وعن أبي مَعْبَدِ المقداد بن الأسود رضى الله عنه

فى الرياض المستطابة يقال لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره وروى عنه الاربعة خلا أبى داود لكن قال المصنف فى التهذيب روى عنه مسلم فى صحيحه حديثين ثم رأيت الحافظ المزى ذكر فى أطرافه كما قال المصنف فخرج من أحاديث مسلم عنه حديث الباب وقال أخرجه مسلم فى الايمان وحديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من أسلم يقول قل اللهم اغفرلى وارحمنى واهدنى وارزقنى » وقال أخرجه مسلم وابن ماجه فى الدعوات (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لاإله إلا الله) أى مع قرينتها وهى محمد رسول الله ففيه اكتفاء تقدمت الاشارة اليه فى شرح الحديث قبله (وكفر بما يعبد من دون الله) أى أى معبود كان (حرم ماله وروحه) بضم راء الفعل ورفع الاسمين بعده وقوله (وحسابه على الله) جملة مستأنفة مسوقة لبيان تعلق أحكام الشريعة بالظاهر دون ما يخفيه ويسره ذو العقيدة الفاسدة أو يخفيه ذو الاعمال القبيحة فيفوض أمر ذلك إلى المولى سبحانه (رواه مسلم) منفرداً به عن باقى الكتب الستة * (وعن أبى معبد) بفتح الميم والموحدة وسكون العين المهملة بينهما آخره دال مهملة وقيل كنيته أبو الاسود وقيل أبو عمرو حكاها المصنف فى تهذيبه (المقداد بن الاسود رضى الله عنه) هو المقداد ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن دهير بفتح الدال المهملة وكسر الهاء ابن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بفتح الشين المعجمة ابن هون وقيل ابن أبى هون بن فاسن ويقال ابن قاس ويقال قائس بن درثم بن القيم بن أهود بن بهز بن عمرو بن الحاف بن قضاعة البهرانى الكندى الصحابى فهو المقداد بن عمرو حقيقة وإنما قال المصنف كغيره المقداد بن الاسود لانه كان فى حجر الاسود بن عبد يغوث الزهرى فتبناه اليه ويقال المقداد الكندى لانه أصاب دماء فى بهز فهرب منهم إلى كندة فحالفهم ثم أصاب فيهم دما ثم هرب إلى مكة فحالف الاسود بن عبد يغوث فهو بهرانى ويقال كندى ويقال زهرى ، قديم

قال : « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتَ إن لقيتُ رجلا من الكفار فاقتتلنا فضربَ احدى يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة فقال أسلمتُ لله

فى الاسلام والصحبة من السابقين إلى الاسلام قال ابن مسعود . أول من أظهر الاسلام بمكة سبعة منهم المقداد ، وهاجر الى الحبشة ثم عاد لمكة ثم هاجر الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد ولم يثبت أنه شهد بدراً ولم يكن فارس مع رسول الله ﷺ غيره وكذا الزبير فى قول ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وأربعون حديثا اتفقا على واحد منها وانفرد مسلم بثلاثة منها ، روى عنه من الصحابة على وابن مسعود وابن عباس وآخرون وجمع كثير من التابعين توفى بالجرف على عشرة أميال من المدينة ، وحمل على رقاب الرجال الى المدينة وقيل توفى بها فى خلافة عثمان سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان وأوصى الى الزبير وشهد فتح مصر ومناقبه كثيرة «منها» قوله ﷺ « أمرنى الله أن أحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا قال على منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان » قال الترمذى حديث حسن (قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت) بفتح التاء أى أخبرنى (إن لقيت) بتاء المتكلم (رجلا من الكفار فاقتتلنا فضرب احدى يدى بتشديد الياء ويدى مثنى الياء الأولى علامة الجر والثانية مضاف اليه (بالسيف فقطعها ثم لاذ منى بشجرة) لاذ بالذال المعجمة قال المصنف أى اعتصم وقال القرطبى أى استتر يقال لاذ يلوذ لواذا إذا استتر ، والملاذ مايستتر به ، وفى المصباح لاذ يلوذ ومصدره اللواذ بكسر اللام وقيل بتثليثها أى التجأ وبين ما تجوز عنه بقوله (فقال أسلمت لله) أى دخلت فى دين الاسلام وتدينت به وفيه دليل على أن كل من صدر عنه ما يدل على الدخول فى دين الاسلام من قول أو فعل حكم له بذلك بالاسلام وانه ليس مقصوراً على النطق بكلمتى الشهادة وقد حكم صلى الله عليه وسلم باسلام بنى خزيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد بما يقولون صبأنا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فلما بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم قال « اللهم إنى أبرأ اليك مما صنع خالد ثلاث مرات رافعاً يديه إلى السماء ثم وداهم » ويحتمل أن يكون قوله هنا « فقال أسلمت لله » على أنه رواية بالمعنى وأنه عبر به بعض الرواة عن

أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال لاتقتله ، فقلت يارسول الله قَطَعَ إحدى يدىَّ ثم قال ذلكَ بَعْدَ مَاقَطَعَهَا ؟ فقال لاتقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله ، و إنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال » متفق عليه . ومعنى (إنه بمنزلتك) أى معصوم الدم محكوم بإسلامه ومعنى

قوله فقال لا إله إلا الله كما جاء مفسراً كذلك فى رواية أخرى اه ملخصاً قاله القرطبي (أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها) أى وأحمل ذلك منه على الخشية لا على الحقيقة (فقال لا تقتله) لجريان الأحكام الشرعية على مقتضى الظاهر (فقلت يا رسول الله قطع إحدى يدى ثم قال ذلك) متعوذاً به من القتل (بعد ما قطعها ، فقال لا تقتله) ثم قال مبينا حكمه إن قتل القائل الكلمة المذكورة (فان قتلته) أى بعد نطقه بذلك (فانه) بعد الاتيان بكلمة الشهادة (بمنزلتك) من عصمة الدم والحكم باسلامه (قبل أن تقتله وإنك بمنزلته) فى اهدار الدم (قبل أن يقول كلمته التى قال) بحذف العائد أى قالها أى فتصير غير معصوم الدم ولا يحرم القتل بعد قتلك له قال ابن القصار يعنى لولاعذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك وما فسرت به الحديث تبعاً للمصنف كما يأتى هو ما قاله الامام الشافعى وابن القصار المالكى وغيرهما وقال المصنف إنه أحسن ماقيل فيه وأظهره وقيل إنه بمنزلته فى اخفاء الايمان أى أنه ممن كان يخفى إيمانه بين الكفار وأخرج مكرها كما كنت أنت بمكة إذا كنت تخفى إيمانك ، قال القرطبي ويعضد هذا التأويل بمازاده البخارى فى هذا الحديث من أنه عليه السلام قال للمقداد إذا كان مؤمن يخفى إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه تقتله ؟ كذلك كنت تخفى إيمانك بمكة اه قال القاضى وقيل معناه انك مثله فى مخالفة الحق وارتكاب الاثم وان اختلفت أنواع المخالفة والاثم فيسمى اثمه كفرا وإثمك معصية وفسقا قال القرطبي قوله « وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال » ظاهر فى الكفر وليس ذلك بصحيح لأنه إنما قتله متأولا بقاءه على كفره ولا يكون كبيرة وإذا لم يكن كبيرة لم يصح لأحد وان كان ممن يكفر بالكبائر أن يقول هذا كفر بوجه فدل ذلك على أنه متأول (متفق عليه) أخرجه البخارى فى المغازى ومسلم فى الايمان ورواه أبو داود فى الجهاد والنسائى فى السير (ومعنى انه بمنزلتك أى معصوم الدم محكوم باسلامه ومعنى

(إنك بمنزلته) أى مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلته فى الكفر والله أعلم

* وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما : « قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقةِ من جهينة فصبَّحنا القوم على مياههم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، فلما غشيناه قال لاإله الا الله ، فكف عنه الانصارى وطعنته برمحى حتى قتلته ، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم

إنك بمنزلته أى مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلته فى الكفر) والله أعلم أى لما تقدم عن القرطبي من تأويله وعدم قصده المعصية * (وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما) سبقت ترجمته أوائل الكتاب (قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة) بضم المهملة وتخفيف الراء وبالقاف موضع معروف (من) بلد (جهينة) كذا قال ابن رسلان ولا ينافى ما يأتى للمصنف أنه اسم للقبيلة فلعلها سميت باسم مكانها بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية بعدها نون قبيلة من قضاعة نزلوا الكوفة والبصرة كذا فى لب اللباب للاصفهانى (فصبحنا القوم) أى أتيناهم صباحا قال فى الصحاح ويقال صبحته إذا أتيته صباحاً ولا يراد بالتشديد هنا التكثير اه (على مياههم) بكسر الميم وتخفيف التحتية جمع ماء (ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم) الواو عاطفة على محذوف يدل عليه رواية أبى داود عن أسامة قال فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلا منهم (فلما غشيناه) بكسر الشين المعجمة أى قربنا منه (قال لا إله إلا الله فكف) بتشديد الفاء أى أمسك (عنه الأنصارى) لاتيانه بكلمة التوحيد (وطعنته برمحى حتى قتلته) عند أبى داود وضربناه حتى قتلناه قال شارحه ابن رسلان رواه مسلم فطعنته فيجمع بينهما بأن طعنه ثم طعنه غيره حتى قتلوه وفيه دليل على أنه لا يقتصر فى القتال على ضربة واحدة ثم ينتقل إلى غيره بل يكرر الضرب هو وغيره على العدو حتى يقتلوه (فلما قدمنا) بكسر الدال أى (المدينة بلغ ذلك رسول الله ﷺ) فى الرواية الآتية لمسلم « فجاء البشير الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبر الرجل فدعاه » يعنى أسامة صرح فى رواية أبى داود بأنه الذى ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال المصنف يحتمل الجمع بأن أسامة وقع فى نفسه من ذلك شىء بعد قتله ونوى أن يسأل عنه فجاء البشير فأخبر به قبل مقدم أسامة وبلغ النبي أيضا بعد قدومهم فسأل أسامة

فقال لى ياأسامة أقتلته بعد ماقالَ لاإله إلا الله ؟ ! ! قلت يارسول الله إنما كان متعوذا ، فقال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ! ! فما زال يكرّرها علىّ حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » متفق عليه * وفى رواية فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أقالَ لاَ إله إلا الله وقتلته ! !

فذكره وليس فى قوله فذكرته ما يدل على أنه قاله ابتداء قبل تقدم علم النبى ﷺ اه (فقال لى) منكرا مافعلته وموبخا عليه (ياأسامة أقتلته بعد ماقال) أى بعد قوله (لاإله إلا الله) أى وهى العاصمة لدم قائلها قلت أيارسول الله انما كان متعوذاً منصوب على الحالية أى وإنماعاذ وأرادحقن دمه بالتلفظ بها لاالاسلام حقيقة ولعل أسامة قام عنده ما علم به ذلك حتى أقدم على قتله فكان متأولا باستصحاب كفره وعدم النفع بما أتاه لانه لم يكن عن حقيقة ولم يتمكن من السؤال عن حكم ذلك فوقع فى ذلك وهو غير آثم باعتبار أن ذلك هو الحكم بالنسبة اليه ولكن لما وردت الشريعة باجراء الاحكام على الظواهر لم يكن ذلك التأويل مؤثراً فى جواز قتله فى نفس الأمر له فقرر النبي صلى الله عليه وسلم المنع من ذلك بأبلغ وجه وآكده ليزيل ما فى نفسه من تلك الشبهة وليبين وجوب الانكفاف عمن كان كذلك فكان تأويله مانعا من القود لأنه قتله بظن كفره كما يدل عليه قوله « إنما قالها خوفا من السيف » بخلاف الكفارة وسكوته صلى الله عليه وسلم من باب تأخير البيان الى وقت الحاجة ، وفى وجوب الدية قولان للعلماء (فما زال يكررها) أى هذه الجملة (على) منكراً وموبخاً (حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك) معناه لم يكن تقدم إسلامى بل ابتدأته الآن ليمحو عنى ما تقدم وقال هذا الكلام من عظم ما وقع فيه قاله المصنف ، قال ابن رسلان وكأنه استصغر ما كان منه قبل من الاسلام والعمل الصالح فى جنب ما ارتكبه من هذه الجناية لما حصل فى نفسه من شدة إنكار النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لذلك ، وفى حاشية الكشاف تمنى اسلاما خاليا عن الاثم لا عدم الاسلام فلا اشكال اه (متفق عليه) رواه البخارى فى المغازى وفى الديات ومسلم فى الايمان ورواه أبو داود فى الجهاد والبزار كذا من الأطراف للمزى ملخصا (وفى رواية) هى عند مسلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقال لاإله إلا الله وقتلته) مدخول

قلتُ يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح ، قال أفلا شققتَ عنْ قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!! فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ » (الْحُرَقة) بضم الحاء المهملة وفتح الراء بطنٌ منْ جُهَيْنَة القبيلة المعروفة ، وَقوله (متعوذاً) أى معتصما بها من القتل لامعتقداً لها * وعن جُنْدَب بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين

همزة الانكار قوله وقتلته ، أى أقتلته مع قوله ذلك (قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح) أى لا إيمانا حقيقيا (قال أفلا شققت) أى اعتقدت ذلك وجزمت به فلا شققت (عن قلبه) لتعلم أنه كذلك ، أو لا تعى ان الايمان الحقيقى خفى محله القلب لا يطلع عليه إلا الرب والاحكام إنما تناط بالظواهر فاذا كنت غير مكلف بها فهلا شققت عن قلبه واطلعت على ما فيه من صدق أو نفاق (حتى تعلم أقالها) أى قلبه وتكلم بها فى نفسه وفاعل قال ضمير يعود على القلب (أم لا) وفيه دليل لأهل الحق على ثبوت الكلام النفسى خلافا للمعتزلة وفيه دليل على جريان الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة الخفية (فما زال يكررها حتى تمنيت انى ما أسلمت يومئذ) وهذه الجملة رواها ابوداود أيضاً (الحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء) الخفيفة وبالقاف كذلك (بطن من جهينة القبيلة المعروفة) قال ابن عبد البر فى كتاب الأنباء فى أصول الأنساب فى بطون قضاعة مالفظه وجهينة ابن زيد بن أسود بن أسلم بن عمر بن الحاف بن قضاعة وهط عقبة بن عامر الجهنى والحرقة فى جهينة هم بنو حميس بن عامر بن مودعة بن جهينة اه ﴿ فائدة ﴾ للنسب مراتب ، القبيلة فالشعب فالفخذ فالفصيلة فالبطن فالعشيرة (وقوله متعوذا) بصيغة الفاعل (أى معتصما بها من القتل لا معتقداً لها) فتوهم أسامة أن الرافع للقتل المانع منه الايمان الحقيقى ولم يتحققه فيه ، والحال أن المانع منه الاسلام ولو ظاهراً (وعن جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ بعث بعثاً) بفتح الموحدة وسكون المهملة وبالمثلثة اى جيشاً تسمية بالمصدر والجمع بعوث وبعاث كذا فى المصباح وفى المواهب البعث طائفة من الجيش تبعث لأمر (من المسلمين) فى محل الصفة (الى قوم من المشركين) هم الحرقة كما فى الحديث السابق ويحتمل أن يكونوا أهل الميفعة وهى بكسر الميم وسكون التحتية

وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله ، وإن رجلا من المسلمين قصد غفلته وكنا نتحدث أنه أسامةُ بنُ زيد فلما رَفع عليه السيف قال : لاإله إلا الله ؛ فقتله ، فجاء البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله وأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيفَ صنعَ فدعاهُ فسألهُ فقال لم قتلته ؟ فقال يارسول الله أوجع فى

وفتح الفاء بعدها عين مهملة قال فى القاموس بلدان بساحل اليمن وكان الأمير على السرية اليهم عبد الله بن غالب الليثى ذكر القسطلانى فى المواهب لما ذكرها بالفظه « قالوا وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيل بن مرداس بعد أن قال لا إله إلا الله فقال صلى الله عليه وسلم ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب » وفى الاكليل انه فعل ذلك فى سرية كان أميراً عليها سنة ثمان وهى الحرقة اه واستفيد منه تسمية المقتول فى تاريخ عام خروجه للحرقة (وأنهم) أى البعض (التقوا) لما تقدم من شراد الكفار لما أنذروا بالمسلمين (وكان رجل من المشركين إذا شاء) أى أراد (أن يقصد) بكسر الصاد المهملة (الى رجل من المسلمين قصد له) عداه أولا بالى وثانيا باللام وذلك من وجوه استعمالاته وثالثها تعديه بنفسه كما فيما بعده قال فى المصباح قصدت الشىء وله واليه قصدا من باب صرف طلبته بعينه اه أى إنه لمعرفته بالحرب كان إذا طلب انسانا بعينه قصده ولانهاية لجرأته (فقتله وان رجلا من المسلمين قصد غفلته) أى طلبها (وكنا نتحدث انه أسامة بن زيد ابن حارثة الحب بن الحب (فلما رفع عليه السيف قال) اى قبل وصوله اليه (لاإله إلا الله) أى مع قرينتها وهى محمد رسول الله لأنه لا يتم الايمان الا بهما فاقتصر على كلمة التوحيد اكتفاء بدلالتها عليها (فقتله فجاء البشير) أى المبشر (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله) أى عما وقع فى الجيش من الأمور ليبين حكم ما فعل منها مما لم يتقدم فيه منه بيان (وأخبره) متدرجا من أمر الى آخر (حتى أخبره خبر الرجل) أى أسامة (كيف صنع) تقدم الجمع بينه وبين ما فى الرواية الثانية من كونه أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم (فدعاه فسأله فقال لم قتلته) أى ما الباعث لك (فقال يارسول الله أوجع) أى أوقع الوجع والنكاية (فى

المسلمين وقتل فلانا وفلانا ، وسمى لهُ نفراً ؛ وانى حملتُ عليه فلما رأى السيف قال لاإله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته ؟ قال نعم ، قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة . قال يارسول الله استغفر لى ، قال وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة . فجعل لايزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله الا الله إذا جاءت يوم القيامة » رواه مسلم * وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود

المسلمين) وحذف الوجع به تفهيما ولتذهب النفس فيه كل ممكن وبين بعضه بقوله (وقتل فلانا وفلانا وسمى له نفرا) بفتح النون والفاء وتقدم أنه ما بين الثلاثة إلى التسعة من الرجال وقيل إلى السبعة ولايقال فيما زاد على العشرة نفر (و إنى حملت) بفتح أوليه أى جهدت (عليه) قال فى الصحاح حمل عليه فى الحرب حملة قال أبو زيد يقال حملت على بنى فلان اذا أرشت بينهم وحمل على نفسه فى السير اذا أجهدها فيه اه (فلما رأى السيف قال لاإله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلته) أى مع قوله لها (قال نعم قال فكيف تصنع بلاإله إلا الله يوم القيامة) أى من يشفع لك ومن يحاج عنك و يجادل إذا جىء بكلمة التوحيد وقيل له كيف قتلت من قالها وقد حصل له ذمة الاسلام وحرمته (فقال يارسول الله استغفرلى) أى هذ الذى وقعت فيه (قال) محذرا من الوقوع فى مثله وموبخا منه المرة بعد المرة تأكيدا ودفعا لمايقوم عنده شبهة استصحاب كفره المجوز لقتله بحمل لفظه بالشهادتين على الخوف لا على الحقيقة (فكيف تصنع بلا اله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة فجعل) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايزيد على أن يقول كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ولايلتفت لقول أسامة استغفر لى وذلك لاهتمامه بالامر واعتنائه به (رواه مسلم) فى كتاب الايمان من صحيحه (فائدة) رأيت بخط محدث اليمن نفيس الدين العلوى ما لفظه ، ذكر أبو الشيخ فى عواليه أن الله سبحانه وتعالى أنزل توبة أسامة اه (وعن عبد الله بن عتبة) بضم العين المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة ثم هاء (ابن مسعود) الهذلى فهو ابن أخى عبد الله بن مسعود من أبناء المهاجرين له رواية : سمع عمه وعمر وعنه ابناه الفقيه

قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول « ان ناساً كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الوحى قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ؛ فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه ، وليس لنا من سريرته شىء ؛ الله يحاسبه ؛ ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة » رواه البخارى

عبيد الله والزاهد عون وابن سيرين قال ابن سيرين قال ابن سعد ثقة رفيع كثير الفتيا والحديث ، توفى بالكوفة سنة أربع وسبعين كذا فى الكاشف (قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول إن ناسا) أصله أناس على الصحيح فحذف فاؤه تخفيفا (كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عصره وزمنه (وأن الوحى قد انقطع) بموت النبى صلى الله عليه وسلم (وانما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا) إيمانا وعدالة (أمناه) بهمزة بغير مد وميم مكسورة ونون مشددة من الأمن أى صيرناه عندنا أمينا، وفى رواية « ومن يظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه » (وقربناه وليس لنا) أى لاتعلق لنا (من سريرته) أى ما أسره وأخفاه (شىء) اسم ليس وأحد الظرفين السابقين خبرها وثانيهما حال من اسمها لتقدمه عليه وهو نكرة (الله يحاسبه) جملة مستأنفة وهو هكذا فيما وقفت عليه باثبات ضمير المفعول وفى الفتح للحافظ بحذفه وقال كذا لأبى ذر عن الحموى بحذفه وللباقين الله محاسبه بميم أوله وهاء آخره وهو يقتضى أن إثبات الضمير مع الفعل ليس عند البخارى لكن رأيته كذلك فى أصل مصحح معتبر فلعله رواية لم يطلع عليها الحافظ (ومن أظهر لنا سوءا) فى رواية الكشميهنى شرا (لم نأمنه ولم نصدقه وان قال إن سريرته حسنة) وفى رواية لابى ذر اس « ومن يظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم » قال المهلب هذا إخبار من عمر عما كان الناس عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما صار بعده ويؤخذ منه أن العدل من لم توجد منه ريبة وهو قول أحمد واسحاق كذا قال وإنما هو فى حق المعروفين لا من لا يعرف حاله أصلا (رواه البخارى) فى أوائل الشهادات من صحيحه قال الحافظ فى النكت الظراف أغفل هذا الحديث المزى وهو فى جميع روايات البخارى اه

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله باب الخوف)

فهرس الجزء الثالث من شرح رياض الصالحين

صفحة

٢ (باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم)

٥ مشروعية تقبيل الأولاد للشفقة والرحمة

٩ إذا صلى أحدكم للناس فليخفف

١٣ صفات الانسان جنين ثم طفل الخ منظومة

١٣ جندب بن عبد الله (ر ض)

١٥ المسلم أخو المسلم لا يظلمه الخ

٢٤ أنصر أخاك ظالما أو مظلوما الخ

٢٥ حق المسلم على المسلم الخ

٢٩ (باب ستر عورات المسلمين والنهى عن إشاعتها لغير ضرورة)

٣٣ (باب قضاء حوائج المسلمين)

٣٤ من نفس عن مؤمن كربة الخ وهو حديث جليل

٣٩ (باب الشفاعة)

٤١ (باب الاصلاح بين الناس)

٤٤ أم كلثوم بنت عقبة (ر ض) وحديث ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس الخ

٤٦ خروج النبى (ص) للاصلاح بين بني عمرو وصلاة أبى بكر (رض) بالناس وهو حديث

صفحة

طويل فيه حكم التصفيق والتسبيح والخلافة فى الصلاة

٥٣ (باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين)

٥٤ حارثة بن وهب (ر ض)

٥٦ الحديث الذى فيه « هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا

٦٨ حديث احتجاج الجنة والنار

٦٠ الحديث الذى فيه « ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وان الله ينورها لهم بصلاتى عليهم »

٦٤ لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة الخ وهو حديث عظيم طويل

٦٤ نظم العشرة الذين تكلموا فى المهد

٧٣ (باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والاحسان اليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم)

٧٥ حديث سعد (رض) فى سبب نزول ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية

٧٨ عائذ بن عمرو (رض) والحديث الذى فيه يا أبا بكر لعلك أغضبتهم الخ

صفحة

٨٠ أنا وكافل اليتيم فى الجنة الخ
٨٢ ليس المسكين الذى ترده التمرة الخ
٧٤ حكم مراعاة الأغنياء فى الولائم وتخصيصهم بالدعوة
٨٨ المسكينة التى قسمت التمرة بين ابنتيها
٩١ أبو شريح خويلد بن عمرو (رض)
٩٣ مصعب بن سعد بن أبى وقاص (رض) من التابعين وحديث هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم
٩٤ أبو بكر البرقانى من الحافظ المحدثين
٩٤ (أبو الدرداء) (رض)
٩٦ (باب الوصية بالنساء)
٩٩ عبد الله بن زمعة (رض) وخطبة النبى (ص) فى عاقر الناقة والوصية بالنساء الخ
١٠٣ عمرو بن الأحوص (رض) وشيء من خطبة الوداع
١٠٦ معاوية بن حيدة (رض)
١١٠ (باب حق الزوج على امرأته)
١١٥ طلق بن على (رض)
١١٨ (باب النفقه على العيال)
١٢٦ (باب الانفاق مما يحب ومن الجيد)
١٢٧ قصة أبى طلحة (رض) بعد نزول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
١٣١ (باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من فى رعيته

صفحة

بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه)
١٣٣ عمر بن أبى سلمة (رض)
١٣٥ عمرو بن شعيب من التابعين
١٣٧ (باب حق الجار والوصية به)
١٤٥ باب بر الوالدين وصلة الأرحام
١٥٥ إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى الحديث
١٥٧ من أحب أن يبسط له فى رزقه الحديث ومبحث التعارض بين قوله وينسأله فى أثره أى يؤخر له فى أجله وقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
١٦٤ أسماء بنت أبى بكر (رض)
١٧٢ حديث ستفتحون مصر وفيه (فاستوصوا بأهلها خيرا) الخ
١٧٤ حديث لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين الخ
١٧٧ أبو أيوب الانصارى (رض)
١٧٨ سلمان بن عامر (رض)، وفطر الصائم على التمر فالماء
١٧٩ طاعة الوالدين في تطليق المرأة
١٨٢ (باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم)
١٨٤ حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
١٨٧ جبير بن مطعم (رض)
١٨٨ المغيرة بن شعبة (رض) وحديث

صفحة

ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات الخ وتفسيره فى المتن والشرح وتاريخ وأد البنات

١٩٣ (باب بر أصدقاء الاب والأم والاقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه)

١٩٣ عبد الله بن دينار من التابعين وقصة ابن عمر (رض) إذا أعطى رجلا حمارا وعمامة الخ

١٩٦ أبو أسيد بن ربيعة الساعدى (رض)

٢٠٢ (باب اكرام آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم)

٢٠٣ يزيد بن حبان وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم وقصة انطلاقهم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنهم وفى الحديث خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم

٢١٠ باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم

٢١٠ الترتيب فى إمامة الصلاة والتقديم فى صفوف الجماعة

٢١٦ سهل بن أبى حثمة وعبد الله وعبد الرحمن ابنا سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود ومقتل عبد الله بن سهل بخيبر

صفحة

٢٢٠ إكرام ذى الشيبة وحامل القرآن وذى السلطان العادل

٢٢١ إنزال الناس منازلهم

٢٢٣ عيينة بن حصن والحر بن قيس

٢٢٦ سمرة بن جندب (رض)

٢٢٧ (باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم ودعائهم وزيارة المواضع الفاضلة)

٢٣٠ زيارة أبى بكر وعمر لأم أيمن رضى الله عنهم والبكاء للذكرى

٢٣٢ محبة الاخوان فى الله تورث حبه تعالى

٢٣٣ مثل الجليس الصالح وجليس السوء الحديث

٢٣٥ تنكح المرأة لأربع الحديث

٢٣٨ سبب نزول «وما نتنزل إلا بأمر ربك» الآية

٢٣٩ الرجل على دين خليله الحديث وبيان الخلاف فى حسن اسناده

٢٤٠ المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت. الاحاديث

٢٤٢ الناس معادن الخ والارواح جنود مجندة الخ

٢٤٣ أسير بن عمرو، قيل إنه صحابى، وحديث عمر (رض) فى المنقبة العظيمة لأويس القرنى (رض) والحديث من المعجزات النبوية

صفحة

٢٤٨ الخلاف فى من هو أفضل التابعين
٢٥٠ فائدة فى ترجمة أويس القرنى (رض)
٢٥١ قول النبي (ص) لعمر (رض) لا تنسانى يا أخى من دعائك
٢٥٢ زيارة النبي (ص) لمسجد قباء كل سبت
٢٥٣ (باب فضل الحب فى الله والحث عليه واعلام الرجل من يحبه انه يحبه وماذا يقول له اذا أعلمه)
٢٥٥ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
٢٥٧ سبعة يظلهم الله فى ظله
٢٥٩ (فائدة) فى الخصال الموجبة لظل الله يوم القيامة وهى تسعة وثمانون وقد نظمت فى ثلاثة وأربعين بيتا
٢٦٤ قصة ابى ادريس الخولانى (رح) ومعاذ بن جبل (رض)
٢٦٧ بحث حذف حرف القسم
٢٦٧ المقدام بن معد يكرب (رض)

صفحة

٢٦٩ اللهم اعنى على ذكرك الخ
٢٦٩ مايقول لمن اعلمه أنه يحبه
٢٦٩ (باب علامات حب الله تعالى العبد والحث على التخلق بها والسعى فى تحصيلها)
٢٧١ من عادى لى وليا . الحديث
٢٧٣ الكلام فى سند هذا الحديث
٢٧٤ اذا حب الله العبد نادى جبريل الخ
٢٧٧ الرجل الذي كان يختم بقل هو الله أحد
٢٧٨ (باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين
٢٨٠ (باب اجراء احكام الناس على الظاهر وسرائرهم الى الله تعالى) وفيه أحاديث عظيمة فى النهى عن قتل من قال لا إله الا الله ولو عند رفع السيف عليه
٢٨٢ طارق بن أشيم (رض)
٢٨٣ المقداد بن الاسود
٢٩٠ عبد الله بن عتبة من التابعين

﴿ تم الفهرس ﴾

كتاب

دليل الفالحين

لطرق رياض الصالحين

تأليف

العالم العلامة مفسر كلام الله تعالى وخادم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ رحمه الله تعالى

« وقد وضع »

بأعلى كل صفحة ما يخصها من كتاب « رياض الصالحين » للامام الرباني العارف
بالله تعالى شيخ الاسلام والمسلمين وملاذ الفقهاء والمحدثين أبي زكريا يحيى محيي
الدين النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ تغمده الله تعالى برحمته

الجزء الرابع

يطلب من مكتبة
محمود توفيق
الكتبي بشارع جوهر القائد (السكة الجديدة سابقا)

مطبعة حجازي بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ بابُ الخوف ﴾

قالَ اللهُ تعالى «و إيَّايَ فَارْهَبُون» وقال تعالى « إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيد » وقالَ تعالى « وكَذَلكَ أخْذُ رَبِّك إذا أخذ القرى وهيَ ظالمةٌ إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شديدٌ إنَّ فى ذلك لآية لمن خاف عذاب

﴿ باب الخوف ﴾

أى من الله عز وجل قال الشيخ زكريا فى شرح الرسالة هو فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته ، وسببه تفكر العبد فى المخلوقات كتفكره فى تقصيره وإهماله وقلة مراقبته لما يرد عليه ، وتفكره فيما ذكره الله عز وجل فى كتابه من إهلاك من خالفه وما أعد له فى الآخرة ، وقد يعبر عن الخوف بالفزع والروع والرهبة والخيفة والخشية (قال الله تعالى و إياى فارهبون) أى خافون خوفا معه تحرز فيما تأتون وتذرون ، قال البيضاوى وهو آكد فى إفادة التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعولية والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئاً فارهبون : وفى الآية أن المؤمن ينبغى ألا يخاف أحداً إلا الله سبحانه وتعالى (وقال تعالى إن بطش ربك لشديد) البطش هو الأخذ بعنف وشدة بالمأخوذ بحسب إرادته تعالى (وقال تعالى وكذلك) أى ومثل ذلك الأخذ للأمم الماضين (أخذ ربك إذا أخذ القرى) أى أهلها وقرىء إذ لأن المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة (إن أخذه أليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (إن فى ذلك) أى ما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب

الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق »

الآخرة) يعتبر بها عظة لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد للمجرمين فى الآخرة ، أو ينزجر به عن موجبه لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقم بالفاعل المختار ، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت فى تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها (ذلك) إشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس والتعبير له الجمع للدلالة على ثبات معنى الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة(١) (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والأرض واتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول ، لو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الأيام كذلك (وما نؤخره) أى اليوم (إلا لأجل معدود) إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على خلاف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فانه غير معدود (يوم يأت) أى الجزاء أو اليوم كقوله « حتى تأتيهم الساعة » على أن يوم بمعنى حين أو الله تعالى كقوله « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » ونحوه (لاتكلم) أى لاتتكلم (نفس) بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل ان نصبه باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف (إلا باذنه) أى باذن الله كقوله « لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن » وهذا فى موقف وقوله « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » فى موقف آخر أو المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الأعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (و) منهم (سعيد) وجبت له الجنة بمقتضى الوعد ، والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكروا لأنه معلوم مدلول عليه بقوله « لا تكلم نفس » أو الناس (فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى أول

---

(١) عبارة البيضاوى : والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع اليوم وأنه من شأنه لا محالة ، وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله « يوم يجمعكم ليوم الجمع » ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة . ع

وقال تعالى « ويحذركم الله نفسه » وقال تعالى « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » وقال تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت

النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم فالمراد تشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير (وقال تعالى ويحذركم الله نفسه) أى يغضب عليكم من فعل ماحظر وملابسة ما منع (وقال تعالى يوم) بدل من إذا الظرفية المتضمنة معنى الشرط المذكور فى آخر الآية قبله (يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) أى زوجته (وبنيه) بدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب ثم بالصاحبة والولد لأنهما أقرب(١) والأخ من الأبوين والأخ إيذانا أنه لايقف لأحد منهم (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) أى يشغله عن شأن غيره أى اشتغل كل بنفسه والجملة حال وهو دليل جواب اذا المحذوف ، وقيل يفر حذرا من تبعاتهم فيقول الأخ لم تواسنى ، والأبوان قصرت فى برنا ، والصاحبة أطعمتنى الحرام وفعلت والولد لم تعلمنى ولم ترشدنى قال الكواشى وهذا عام فى كل كافر فى كل موطن من مواطن القيامة وخاص بالمؤمن فى بعض مواطنها (وقال تعالى يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة) تحريكها للأشياء على الاسناد المجازى أو تحريك الأشياء فيها فأضيفت اليها إضافة معنوية بتقدير(٢) واضافة المصدر الى الظرف على إجرائه مجرى المفعول به (شيء عظيم) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنهم لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم وينقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرىء معلوما ومجهولا أى تذهلها الزلزلة ، والذهول الذهاب عن الأمر بدهشة

---

(١) وفى البيضاوى : وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه ، بل من أبويه ، بل من صاحبته وبنيه اهـ

(٢) كذا ولعله بتقدير فى . ع

وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » وقال تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » الآيات * وقال تعالى « وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قالوا إنّا كنا قبلُ فى أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من

والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة أو مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) أى جنينها قال المصنف فى آخر كتاب الايمان من شرح مسلم وقد اختلف العلماء فى وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور فقيل عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وقيل هو يوم القيامة وليس فيها حمل ولا ولادة وتقديره تنتهى به الأهوال والشدائد الى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعت حملهن كما تقول العرب أصابنا أمر يشيب فيه الولد يريدون شدته اه (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم (وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضافه الى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه، ومقام مفخم للمبالغة (جنتان) جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لاجتناب المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية (الآيات) إلى أواخر السورة وفيه أن هذه الآيات من آيات الوعد المثيرة للرجاء لا من آيات الوعيد الباعثة للخوف ، وكأن المصنف عقب الآيات الأول بها إيماء الى أنه ينبغى أن يكون للمؤمن خوف يمنعه من العصيان ورجاء يبعثه على الطاعة وعمل البر وقدم تلك على هذه لأنها أدلة الباب وأساس بنيانه وإيماء الى أن الخوف من باب التخلية والرجاء من باب التحلية بالمهملة والأول مقدم وختم بما هو من قبيل الأول لمناسبته بالباب فقال (وقال تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يسأل بعض أهل الجنة بعضاً عن أحواله وأعماله (قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين) خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من المعاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام تفوذ السموم (إنا كنا من

قبل ندعوه إنه هو البرُّ الرحيم »والآيات فى الباب كثيرة جدًا معلومات والغرض الاشارة إلى بعضها وقد حصل * وأما الأحاديث فكثيرة جدا فنذكر منها طرفا وبالله التوفيق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرْسَل الملك

قبل) أى من قبل ذلك فى الدنيا (ندعوه) نعبده أو نسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن وقرىء بفتح الهمزة أى لأنه (الرحيم) الكثير الرحمة (والآيات) الواردة (فى الباب) أى فى باب الخوف (كثيرة جداً) بكسر الجيم أى قطعا (والغرض) أى المطلوب (الاشارة الى بعضها) تبركا وتشرفا (وقد حصل وأما الأحاديث) المرفوعة (فكثيرة جداً فنذكر منها طرفا) أى جانبا والظرف حال لأنه كان وصفا لطرف قدم عليه ومن فيه للبيان (وبالله) لا بغيره (التوفيق) وهو لغة جعل الأسباب موافقة للمسببات وشرعا خلق قدرة الطاعة فى العبد (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق) فى أقواله وأفعاله وأحواله (المصدوق) فيما يأتيه من الوحى والجملة اعتراضية لاحالية لتعم الأحوال كلها (أن أحدكم) أى الواحد منكم (يجمع) بالبناء للمفعول أى يقدر (خلقه) أى ما يخلق منه (فى بطن أمه) صفة خلق أو حال منه أى مادة خلقه الحاصلة أو حاصلة (أربعين يوما) ظرف لمتعلق الظرف المحذوف (نطفة) وهى الماء القليل والمراد هنا المنى لأنه ينطف أى يسيل ، ومعنى جمعه فيها مكثه أربعين ليلة منتشراً فى بشرة المرأة بعد أن انتشر تحت كل ظفر وشعر منها ثم ينزل منها دم فى الرحم فذلك جمعه وهو وقت كونه علقة ولا ينتقل عن كونه منيا قبل الأربعين (ثم يكون) أى يصير خلقه (علقة) هى دم جامد لأنها إذذاك تعلق بالرحم (مثل ذلك) بالنصب صفة علقة وذلك اشارة الى خلقه ، أى علقة مماثلة لخلقه فى أنهما يكونان أربعين يوما (ثم يكون) أى يصير خلقه (مضغة) أى قطعة من اللحم قدر ما يمضغ (مثل ذلك) أى أربعين يوما وفيها يصورها الله تعالى ويجعل الأعضاء والسمع والبصر وغيرها « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » (ثم) إذا تمت وصارا بن مائة وعشرين يوما (يرسل) بالبناء للمفعول أى يرسل الله (الملك) فى الطور الرابع ولا مخالفة بين حديث الباب

فينفخ فيه الروحَ ، ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أو سعيد ،

وحديث مسلم عن حذيفة بن أسيد مرفوعا « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها، ثم يقول أذكر أم أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ثم يكتب أجله ورزقه » لأن لتصرف الملك أوقاتا أحدها حين كونه نطفة ثم انتقلا به علقة وهو أول علم الملك بأنه ولد وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذ ربه يكتب رزقه وأجله وعمله وخلقته وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق أعضائه وذلك فى الأربعين الثالثة فينفرد بالتصوير بعد أن يكتب ذلك ثم ينقله فى وقت آخر لأن التصوير بعد الاربعين الأولى غير موجود عادة أشار اليه المصنف فى شرح مسلم وقد استفاض بين النساء أن النطفة إذا قدرت ذكراً تتصور بعد الاربعين الأولى بحيث يشاهد منه كل شىء حتى السرة فتحمل رواية ابن مسعود على البنات أو الغالب (فينفخ فيه) أى فينفخ الملك فى ذلك المخلوق (الروح) بعد كمال الجسم وخلقه ، وفيه دليل على حدوث الروح والنفخ بالمعجمة وبالمهملة والنفث يستعملان بمعنى ، إلا أن الأولين يستعملان على طريق الخير والشر والثالث فى الثانى فقط (ويؤمر) أى ذلك الملك عطف على ينفخ (بأربع كلمات) أى يؤمر بكتابة الأحكام المقدرة له على جبهته أو بطن كفه ، أو ورقة تعلق بعنقه قاله مجاهد واعلم أن الكتابة التى فى أم الكتاب تعم الأشياء كلها وهذا خص به كل انسان إذ لكل سابقة وهى ما فى اللوح ، ولاحقة تكتب ليلة القدر ، ومتوسطة أشير اليها فى الحديث (بكتب) بدل كل من قوله بأربع ويروى بالمضارع على الاستئناف (رزقه) ما ينتفع به ، حلالا كان أو حراما مأكولا أو غيره (وأجله) أى مدة عمره أو الوقت الذى ينقرض فيه (وعمله) من صلاح وضده (وشقى أو سعيد) خبر لمبتدأ تقديره هو وعدل اليه عن شقاوته وسعادته بحكاية صورة المكتوب ، والتقدير وأنه شقى أو سعيد ، وكأن العدول فيه لأن التفصيل الآتى وارد عليهما ذكره الطيبى والسعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات وتقابلها الشقاوة وقدمت ليعلم أنها كالخير من عند الله تعالى وحول الانسان أطواراً

فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعملُ بعمل أهل الجنة حتى مايكونُ

فى بطن أمه والقدرة صالحة لخلقه جملة فى لمحة لدفع المشقة عن الأم لأنها غير معتادة فربما ظنته علة فدرج فى حال إلى آخر لتعتادها ولاظهارها قدرة الله سبحانه ليعبدوه ويشكروه إذ قلبهم من أخس الأشياء ومستقذرها إلى أحسن صورة ، محل بالعقل ولارشاد الناس إلى كمال قدرته تعالى على الحشر والنشر إذ من قدر على خلق إنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة قادر على اعادته ونفخ الروح به ولغير ذلك * ثم اعلم أن الآيات القرآنية تشهد أن التصوير من الله تعالى وفى بعض الروايات إضافته إلى الملك الموكل بالرحم ، والحمل على ظاهر التنزيل أولى وجمع بعض بأن الملك الموكل بالرحم من أعوان اسرافيل وبيده الصور وهو ناظر إلى إسرافيل واسرافيل ناظر إلى الصورة المنقوشة فى العرش فقد ورد «ان الله تعالى جعل لكل ماخلق صورة مخصوصة فى ساق العرش وتلك الصورة حكاية عما فى علم الله الأزلى فيأخذ اسرافيل الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها إلى الرحم وملك الأرحام يلقيها الى الجنين فيصوره بتلك الصورة » فحيث أسند التصوير إليه تعالى فلأنه المقدر للصورة حقيقة ، الموجد لها وحيث أسند للملك فلأنه المباشر لها حسبما رأى فى نسخة اسرافيل (فو الذى) هو من جملة المرفوع كما يدل عليه ظاهر رواية الصحيحين هذه وغيرها وأما مارواه الخطيب البغدادى فى المدح من أن من هنا إلى الآخر من كلام ابن مسعود فلا يعارض مافى الصحيحين بل مافيهما مقدم عليه وبفرض ثبوت مافيه فالذى توقف عليه إنما هو هذه المبانى وإلا فقد جاء هذا المعنى مرفوعا فى أحاديث كثيرة بينتها أواخر شرح الاذكار الفاء فصيحة وهى العاطفة على مقدر وقيل الواقعة جوابا لشرط مقدر وقد بسطت الكلام فى تحقيق هذه الفاء وأحوالها فى كتابى المسمى بايقاظ النائم من سنة نومه ببعض فوائد قوله تعالى «واذ استسقى موسى لقومه » أى فاذا كانت السعادة والشقاوة مكتوبتين فو الذى (لا إله غيره) أكده بالقسم لتأكيد أمر القضاء (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى) اى إلى أن ينتهى الى أمد (مايكون) مانافية ويكون مرفوع إجراء لحتى وما بعدها مجرى الحكاية الحالية قاله الكازرونى شارح الأربعين قال والنصب فيه وفى الجملة

بينه وبينها إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملَ بعمل أهل النار فيدخلُها وإن أحدكم ليعملُ بعمل أهل النار حتى مايكونُ بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل الجنة فيدخلها » متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام

الثانية خطأ (بينه وبينها) أى الجنة (الا ذراع) أراد به التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه الجنة (فيسبق) أورد الفاء لتدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى فى قوله (عليه الكتاب) لتضمنه معنى يغلب أى يغلب عليه ما كتب عليه قبل النفخ من الشقوة (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) بفصل القضاء السابق المحتوم لشقوته (وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون) أى إلى أن لايبقى (بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) من الاناية والاستغفار وعمل الابرار (فيدخلها) فالخاتمة نسخت السابقة ، وبذر السعادة والشقاوة قداختفى فى الاطوار الانسانية ولا يظهر إلا اذا انتهى إلى الغاية الايمانية أو الطغيانية ففى الحديث إيماء إلى عدم الاغترار بصور الأعمال والركون اليها بل بالخاتمة ، وقدجاء فى بعض روايات الحديث زيادة « وإنما الأعمال بالخواتيم » فلا يقطع لأحد معين بدخول الجنة إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها فعليك أن لاتتكل على عمل ولا تعجب به واسأل الله حسن الخاتمة واستعذ به من سوئها ولا تقل قوله تعالى « انا لانضيع أجر من أحسن عملا » مخبر بأن من أخلص عمله أمن من سوئها لأنا نقول يجوز أن يكون ذلك معلقا على شرط القبول وحسنه ثم قال القاضى عياض الثانى كثير وأما الأول فقليل لأن الله كريم يستحى أن ينزع السر من أهله ، وفيه اثبات القدر وهو مذهب أهل الحق وأن جميع مافى الكون بقضاء وقدر من نفع أو ضر (متفق عليه) وكذا رواه أصحاب السنن الأربعة * (وعنه قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم) قال المصنف : اختلف أهل العربية هل جهنم اسم عربى أم عجمى ؟ فقيل عربى مشتق من الجهومة وهى كراهة المنظر وقيل من قولهم بئر جهنام أى عميقة فعلى هذا لم تصرف للعلمية والتأنيث وقال الأكثرون هى عجمية معربة وامتنع صرفها للعلمية والعجمة (يومئذ) أى يوم إذ يقوم العباد للحساب (لها سبعون ألف زمام) جملة حالية والزمام لغة مايجعل

مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » رواه مسلم ، وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أهوَن أهل النار عذابا يوم القيامة لرجلٌ يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغهُ مايرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » متفق عليه * وعن سمرة ابن جندب رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم

فى أنف البعير يشد عليه المقود فيحتمل أن يكون ذلك على حقيقته وأن تكون تمثيلا لعظمها وفرط كبرها بحيث انها تحتاج فى الاتيان بها إلى هذه الأزمة (مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) رواه مسلم فى باب الجنة والنار ورواه الترمذى فى جامعه فى باب صفة جهنم * (وعن النعمان بن بشير) بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة (رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أهون أهل النار) أى الكفار لأنهم أهلها الملازمون لها الخالدون أبداً أما العصاة من مؤمنى الأمة المحمدية الذين سبق فى العلم الأزلى تعذيبهم بها فليسوا أهلها لخروجهم ودخولهم الجنة (عذابا يوم القيامة رجل) هو أبو طالب (على أخمص) بفتح الهمزة (قدميه) أى المتجافى من الرجل عن الارض (جمرتان يغلى) بالتحتية والغين المعجمة مبنى للفاعل والغليان معروف وهو شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة ايقادها يقال غلت القدر تغلى غليانا قاله المصنف (منهما دماغه) بكسر الدال المهملة ومعرف قال القسطلانى فى المواهب : جاء فى رواية حتى يسيل دماغه (مايرى) بفتح التحتية أى يعتقد (أن أحداً أشد منه عذابا) لقوة ما يلقاه منه (وإنه لأهونهم عذابا متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم فى صفة النار كذا قال المزى والذى رأيته أنه منه فى كتاب الايمان (وعن سمرة) بفتح المهملة وضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم والدال المهملة وبفتحهما والنون ساكنة بينهما آخره موحدة تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب توقير العلماء (أن النبى صلى الله عليه وسلم) قال الشافعى فيما نقل البيهقى عنه : يكره أن يقال فى حقه صلى الله عليه وسلم النبى أو الرسول بغير إضافة وإنما يقال رسول الله أو نبى الله بها ولا يرد نحو قوله تعالى (يأيها النبى) لأن خطاب الله تعالى لنبيه تشريف بأى صيغة كانت اهـ وكأن القوم لم ينظروا لذلك لعدم حضور مايوهمه لفظ الرسول أو النبى فى

قال « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته » رواه مسلم (الحجزة) معقد الازار تحت السرة (والترقوة) بفتح التاء وضم القاف هى العظم الذى عند ثغرة النحر، وللانسان ترقوتان فى جانبى النحر. وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يقوم الناسُ لرب العالمين حتى يغيبَ أحدُهم فى رَشحه إلى أنصاف أذنيه ».

الذهن كما استقر فيه من شرفه وعظمته مع مافيه من كثرة الدوران المقتضى للتخفيف فى اللفظ (قال منهم) أى من أهل النار ومرجع الضمير دل عليه حال التكلم أو سياق الكلام، وفى رواية أخرى لمسلم بزيادة « ان » فى أوله والتأكيد مناسب للوعيد والتشديد (من تأخذه النار إلى كعبيه) وهو العظم الناتىء عند مفصل الساق من القدم (ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه) وهو مجمع عظم الساق والفخذ (ومنهم من تأخذه إلى حجزته) بضم الحاء المهملة وإسكان الجيم وبالزاى (ومنهم من تأخذه إلى ترقوته) أى وباقى الجسد الذى لم يأخذه العذاب يغلى بما أخذه منه العذاب (رواه مسلم) فى صفة النار (الحجزة) بضبطها السابق وكان عليه ذكر ذلك (معقد الازار) والسراويل كما فى شرح مسلم له (تحت السرة) المراد ما يحاذى ذلك من جنبيه (والترقوة بفتح التاء) المثناة الفوقية (وضم القاف) وسكون الراء وفتح الواو تفعلة وجمعها تراقى (هى العظم الذى عند ثغرة النحر) الثغرة بضم المثلثة وسكون المعجمة بعدها راء مهملة التى فى وسطه قال فى شرح مسلم الترقوة بين ثغرة النحر والعاتق (وللانسان ترقوتان فى جانب النحر) قال فى المصباح: قال بعضهم ولا تكون الترقوة لشىء من الحيوان إلا للانسان خاصة (وعن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس) أى من قبورهم (لرب العالمين) أى لامره وجزائه، قال كعب يقومون ثلاثمائة عام (حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه) قيل سبب هذا العرق تراكم الاحوال وتزاحم حر الشمس والنهار كما جاء فى الرواية « إن جهنم تدير أهل المحشر فلا يكون لاهل الجنة طريق إلا الصراط » فيكون الناس فى ذلك

متفق عليه (والرشح) العرق * وعن أنس رضى الله عنه قال : « خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قطُّ فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فغطى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين »

العرق على قدر أعمالهم ، فمنهم من يلجمه ويصيره كالجام ويمنعه من الكلام ويصل لأذنه ومنهم دون ذلك حتى انه يكون للبعض الى كعبه * فان قلت إذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل الى كعب الآخر قلنا يجوز أن يخلق الله ارتفاعا فى الارض تحت أقدام البعض ، أو يقال يمسك الله عرق كل انسان عليه بحسب عمله فلا يصل الى غيره منه شيء كما أمسك جرية البحر لموسى وقومه حتى اتبعهم فرعون ، قاله ابن ملك فى شرح المشارق (متفق عليه) والسياق لمسلم (الرشح) بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالحاء المهملة (العرق) بفتح أوليه المهملتين * (وعن أنس رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى وعظ وسميت خطبة لانهم كانوا يلقونها عند الخطب والمهام ، وحذف المفعول للتعميم أو للجهل بأعيانهم (خطبة ما سمعت مثلها قط) لكمال بلاغتها وقط بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة فى اللغة الفصحى ظرف لاستغراق ما مضى من الزمان نحو ما فعلته قط قال ابن هشام وقول العامة لا أفعله قط لحن (فقال) أى من جملتها أو يحتمل أن يكون ذلك هو المقول كله (لو تعلمون ما أعلم) أى من أهوال الآخرة وما أعد فى الجنة من نعيم وفى النار من العذاب الاليم (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً) قيل إن كان الخطاب للكافرين فليس لهم ما يوجب الضحك أصلا وان كان للمؤمنين فعاقبتهم الجنة أبداً وإن دخلوا النار فما يوجب البكاء بالنسبة الى ما يوجب الضحك شيء يسير فينبغى أن يكون الأمر بالعكس « قلنا » الخطاب للمؤمنين لكن خرج هذا الحديث فى مقام ترجيح الخوف على الرجاء قال الكازرونى ففى الحديث الحث على البكاء والتحذير من اكثار الضحك (فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم) فيه استحباب تغطية الوجه عند البكاء وقد ورد الأمر به حال العطاس وكأنه ستر لما يعرض حينئذ فى بشرة الوجه (ولهم خنين) فى المشارق للقاضى عياض أنه بالمهملة للقابسى والعذرى وبالمعجمة الكافة وهو الصواب وهو تردد فى البكاء بصوت أغن وقال أبو زيد الخنين كالحنين اهـ وفى

متفق عليه . وفى رواية « بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال : عُرضت على الجنةُ والنارُ فلم أر كاليوم فى الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ، فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومٌ أشدُّ منه ، غطوا رؤسهم ولهم خنين » (الخنين) بالخاء المعجمة هو البكاء

شرح مسلم للمصنف هو بالمعجمة فى معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالمهملة وممن ذكر الوجهين صاحب التحرير وآخرون وسيأتى معناه (متفق عليه) أخرجه البخارى فى التفسير واللفظ له ومسلم فى فضائل النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه الترمذى فى التفسير وقال حسن صحيح غريب ورواه النسائى فى الرقائق مختصرا « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » اهما خصامن الأطراف للمزى وللحافظ العسقلانى تعقب عليه فى بعضه فى كتابه النكت الظراف (وفى رواية) هى لمسلم (بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحابه شيء فخطب فقال عرضت على الجنة والنار) قال القاضى عياض قال العلماء : يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما كما فرج له عن بيت المقدس حين وصفه ويحتمل أن يكون عرض وحى ، وعلم من أمورهما تفصيلا مالم يعلمه قبل ذلك ومن عظم شأنهما مازاده علماً بأمرهما وخشية وتحذيرا ودوام ذكر فلذا قال لو تعلمون الخ قال القاضى والتأويل الأول أولى والتنبيه بألفاظ الحديث لما جاء فى الأحاديث مما يؤيده كتأوله العنقود وتأخره مخافة أن تلحقه النار وفيه أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم وهو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (فلم أر كاليوم فى الخير والشر) قال المصنف معنى الحديث لم أر خيراً أكثر مما رأيته اليوم فى الجنة ولا شرا أكثر مما رأيته فى النار (ولو تعلمون ما أعلم) مما رأيته (اليوم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أى لحصل من الاشفاق البليغ ما يقل ضحككم ويكثر بكاءكم ، وفيه دليل على أنه لا كراهة فى استعمال لو فى مثل هذا (فما أتى) أى جاء (على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه) فى إزعاجهم بالموعظة وتأثيرهم بها (غطوا) بتشديد الطاء المهملة أى ستروا (رءوسهم) بالغطاء (ولهم خنين) جملة حالية (الخنين بالخاء المعجمة) المفتوحة وبنونين أولاهما مكسورة خفيفة وبينهما تحتية ساكنة (هو البكاء

مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف * وعن المقداد رضى الله عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ تدنى الشمس يوم القيامة من الخَلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، قال سُليم بن عامر الراوى عن المقداد فوالله ما أدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أم الميلَ الذى تُكتحلُ به العينُ فيكونُ الناس على قدر أعمالهم فى العرَق

مع غنة وانتشاق الصوت) وفى شرح مسلم ومعناه بالمعجمة صوت وهو نوع من البكاء دون الانتحاب قالوا وأصل الخنين خروج الصوت (من الانف) كالخنين بالمهملة وقال الخليل هو صوت فيه غنة وقال الاصمعى : إذا تردد بكاؤه وصار فى كونه غنة فهو خنين وقال أبوزيد : الخنين هو شدة البكاء (وعن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تدنى) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم بأنه الله تعالى (الشمس يوم القيامة من الخلق) ألفيه للجنس أى من المخلوقين (حتى تكون) تصير (منهم كمقدار) أى مثل مقدار (ميل) وذلك تشديد فى الهول والكرب (قال سليم) بضم المهملة وفتح اللام وتخفيف التحتية (ابن عامر) وهو الجنائزى بالجيم والنون وهمزة بعد ألف ثم زاى الحمصى (الراوى عن المقداد) فهو تابعى يروى عن أبى الدرداء وعوف بن مالك والمقداد ثقة بقى إلى بعد عشر ومائة روى عنه مسلم والاربعة كذا فى الكاشف للذهبى (فوالله ما أدرى مايعنى) أى النبى صلى الله عليه وسلم (بالميل أمسافة الأرض) أى أراد المسافة التى هى عند العرب مقدار مد البصر من الأرض وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع قال فى المصباح : والخلف لفظى فانهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعا والمحدثون يقولون أربع وعشرون أصبعا فاذا قسم الميل على رأى المحدثين أربعا وعشرين كان المتحصل أربعة آلاف ذراع اهـ (١) (أم) أراد (الميل الذى تكتحل به العين) قال فى المصباح : قال الاصمعى العامة يقولون لما يكتحل به ميل وهو خطأ وإنما هو ملمول وقال الليث : الميل الملمول الذى يكحل به البصر والله أعلم (فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق) أى اختلافهم فى مكان العرق

---

(١) أى بتصرف كما يفهم من مراجعة المصباح . ع

فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما ، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه » رواه مسلم * وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » متفق عليه (ومعنى يذهب إلى الأرض) ينزل ويغوص * وعنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وَجبةً فقال : هل تدرون ماهذا ؟

منهم بحسب اختلافهم فى العمل صلاحا وفسادا ثم فصله كذلك زيادة فى البيان فقال (فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه) بفتح الحاء المهملة وكسرها وهما معقد الازار والمراد هنا ما يحاذى ذلك الموضع من جنبيه (ومنهم من يلجمه العرق إلجاما) أى يصل إلى فيه وأذنيه فيكون له بمنزلة اللجام من الحيوانات كما قال الراوى (وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه رواه مسلم * وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق) بفتح التحتية والراء (الناس) من شدة كرب يوم القيامة وأهوالها (يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم) بضم التحتية من ألجم الماء إذا بلغ فاه (حتى يبلغ آذانهم) وهذا لبعض الناس لتفاوت الناس فى ذلك كما تقدم فى الحديث قبله واستثنى من ذلك الانبياء والشهداء ومن شاء الله من المؤمنين والمؤمنات ثم أشد الناس عرقا الكافر ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم (متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم فى باب صفة الجنة والنار (ومعنى يذهب فى الارض أى ينزل فيها ويغوص) فى المصباح يقال نزل من علو إلى أسفل ينزل نزولا ، وما ذكره المصنف فى الحديث وجه وفسر الشيخ زكريا يذهب بقوله يجرى ولا مانع من جريانه على وجه الارض هذا القدر دون مازاد عليه مع ارتفاعه وبلوغه الى آذانهم لانه ممكن والقدرة صالحة له * (وعنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة) بفتح الواو وسكون الجيم وبالموحدة أى سقطة قال فى المصباح يقال وجب الحائط ونحوه سقط (فقال هل تدرون ماهذا)

قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى الى قعرها فسمعتم وجبتها » رواه مسلم . وعن عدى ابن حاتم رضى الله عنه

أى المسموع وظاهره أنهم سمعوها أيضا كرامة ولامانع فقد سمعوا حنين الجذع وتسبيح الحصا فى يده وغير ذلك لكن قوله أولا إذ سمع النبى ﷺ ربما يومىء إلى اختصاصه ﷺ بذلك والله أعلم (فقلنا الله ورسوله أعلم) فيه بيان أن الادب إذا سئل الانسان عما لا علم له به أن يكل العلم فيه إلى الله سبحانه ولا يتكلم فيما لا علم له به وليس من التكلم بلا علم ما يستنبطه أهل العلم ويستخرجونه بما عندهم من جودة الذهن وحسن الفكر بل هو من التكلم بالعلم قال تعالى «لعلمه الذين يستنبطونه منهم » (قال هذا حجر) أى صوت حجر (رمى) بالبناء للمفعول (به فى النار من) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بمن الجارة وهو فى مسلم بلفظ منذ وهى هنا بمعنى من لانها جارة لاسم الزمان الماضى فما فى الرياض ان كان من المصنف فرواية بالمعنى (سبعين خريفا) أى عاما والمقام يقتضى حمله على حقيقته ويحتمل أنها كناية عن الكثرة بما فوق وما دون (فهو يهوى) بكسر الواو أى ينزل فى النار الآن اسم للزمان الحال وهو ظرف خبر مقدم لقوله (حين انتهى الى قعرها) وجملة انتهى مضاف اليها وفتحت «حين» لاضافتها الى جملة صدرها مبنى فهو مرفوع وتقديره الآن حين انتهى بها الى قعر النار (فسمعتم وجبتها) بفتح الواو وسكون الجيم هكذا هو فى أصل مصحح ويحتمل أن يكون بكسر الجيم وبالتحتية فالموحدة ومعناه الاضطراب أى صوت اضطراب النار من نزول الحجر اليها قال فى المصباح ، وجب القلب وجيبا ووجبا رجف ، ثم قوله فسمعتم وجبتها ليس هو عند مسلم فى حديث حتى انتهى الى قعرها إنما هو عنده باسناد آخر للحديث وفيه « وقال هذا وقع فى أسفلها فسمع وجبتها » فيكون ذكر فسمعتم وجبتها مدرجا فى الحديث الذى ذكره المصنف لأنه ليس عنده باسناد ذلك الحديث إنما هو باسناد آخر والله أعلم (رواه مسلم) فى باب صفة الجنة والنار ، (وعن عدى) بفتح العين المهملة وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية (ابن حاتم) بالمهملة فالفوقية (رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى الكلام على الحديث فى باب بيان كثرة طرق الخير

قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » متفق عليه * وعن أبي ذر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرى مالا ترون ، أطّت السماء وحق لها أن تئط ، مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى ،

(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد) من مزيدة فى الفاعل لتأكيد العموم فيه لوقوعه بعد النفى (الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) قال فى المصباح ترجم فلان كلامه إذا بينه وأوضحه ، وترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم واسم الفاعل ترجمان وفيه لغات أجودها فتح التاء وضم الجيم ثم ضمهما ثم فتحهما والجمع تراجم والتاء والميم فيه أصليتان فترجم بوزن دحرج اه والمراد هنا أنه تعالى يكلمه بلا واسطة (فينظر أيمن منه) أى جانبا أيمن منه (فلا يرى) أى يبصر (الا ما قدم) من صالح العمل (وينظر أشأم منه) بالشين المعجمة والهمزة من الشوم وهو من أسماء الشمال (فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء) بكسر الفوقية وبالمد أى قبالة (وجهه فاتقوا النار) أى اجعلوا صالح العمل وقاية بينكم وبينها (ولو) كان (بشق) بكسر الشين المعجمة أى نصف (تمرة متفق عليه * وعن أبي ذر) بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أرى) أى أبصر أو أعلم (مالا ترون) أى تبصرون أو تعلمون (أطت السماء وحق) بضم الحاء المهملة وتشديد القاف أى ويحق (لها أن تئط) أى لما فيها من أعمال البر وعمالها كما قال (ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك) قال الدلجى موضع بالتنوين وقوله أربع أصابع ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفى الا وملك حال من فاعل الظرف أعنى موضعا أى وفيه ملك (واضع) بالتنوين ويجوز تركه (جبهته ساجدا) حال من الضمير قبله لكون المضاف بعض ما أضيف اليه (لله تعالى) واستدل به على فضل السماء على الارض وهو المختار عند أصحابنا الشافعية فهى محل الطاعة ولم يقع

والله لو تعلمون ماأعلم لضحتكم قليلا ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى » رواه الترمذى وقال حديث حسن (وأطت) بفتح الهمزة وتشديد الطاء وتئط بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة والأطيط صوت الرحل والقتب وشبههما ، ومعناه

عليها عصيان وامتناع ابليس من السجود كان وهو خارج عنها ويؤخذ منه فضل مواضع أعمال البر من الارض على مواضع غيره وقد أشار اليه إمامنا الشافعى بقوله :

انى نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

(والله) أتى به تأكيداً لما بعده (لو تعلمون ما أعلم) من عظم جلال الله تعالى وشدة انتقامه (لضحكتم قليلا) خوفا من سطوة المولى سبحانه (ولبكيتم كثيراً) كذلك ، وفى قوله قليلا أولا وكثيراً ثانيا إيماء الى أن المطلوب من العبد أن لاينتهى به الخوف الى اليأس و القنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده من الخوف ماينزجر به عن المخالفة ويكون تارة فى مظهر الجمال وتارة فى مظهر الجلال (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) أى لشدة ما كان يحصل لكم من الوجل (ولخرجتم الى الصعدات) أى الطرقات (تجأرون) بسكون الجيم وبعدها همزة مفتوحة أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة الى الله تعالى ، وبالجملة فى موضع الحال أى رافعى أصواتكم متضرعين (الى الله تعالى رواه الترمذى وقال حديث حسن) قال ابن أقبرس أخرجه مرفوعا وأخرجه أيضا فى الزهد ويروى عن أبى ذر موقوفا وأخرجه ابن ماجه اه وكذا ذكر السيوطى فى تخريج الشفاء أن ابن ماجه أخرجه أيضاً (وأطت بفتح الهمزة وتشديد الطاء) المهملة (وتئط بفتح التاء) أى الفوقية (وبعدها همزة مكسورة) مكتوبة بصورة الياء على القاعدة (والاطيط) بفتح الهمزة وكسر الطاء الأولى (صوت الرحل) بالحاء المهملة هو مايشد على البعير ويوضع عليه الحمل ويسمى بالكور قال فى النهاية وقد تكرر ذكر الرحل مفرداً وجمعاً وهو له كالسرج للفرس اه (والقتب) بفتح القاف والفوقية وبالموحدة قال فى المصباح القتب للبعير جمعه اقتاب كسبب وأسباب وعليه فيكون من عطف الرديف (وشبههما) من ذى الصوت (ومعناه) أى معنى هذا الكلام

أن كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت والصعدات بضم الصاد ، والعين الطرقات ، ومعنى تجأرون تستغيثون . وعن أبى برزة براء ثم زاى نضلة بن عبيد الأسلمى رضى الله عنه

(ان كثرة من فى السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت) أى حصل الصوت منها كما يحصل من الرحل اذا ركب عليه أجرى المصنف الكلام على ظاهره قال ابن الأثير فى النهاية وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط ، انما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى زاد الدلجى بعد حكايته قوله فافرغ هذا الكلام فى قالب الاستعارة التمثيلية تقريبا وتقريراً لعظمة الله تعالى وقال ابن أقبرس وهذا عندى على طريق الاستعارة بالكناية شبهت السماء بذى الصوت من الابل ثم ذكر شيئاً من لوازم الابل والاقتاب المركوب عليها وهو الصوت المعبر عنه بقوله اطت لينتقل الذهن منه اليه وأنت خبير بما بين الكلامين يعنى كلامه وكلام النهاية من الحسن اه وما ذكره من أن الاستعارة المكنية لفظ المشبه به مراداً به المشبه مذهب فيها ومذهب الخطيب وعليه الجمهور أنها التشبيه المضمر فى النفس وقرينتها الاستعارة التخييلية أى اثبات لازم المشبه به للمشبه والله أعلم (والصعدات بضم الصاد والعين) وبالدال المهملة (الطرقات) بضم أوليه جمع طريق (ومعنى تجأرون تستغيثون) مضارع من الاستغاثة بالمثلثة سؤال الغوث (وعن أبى برزة) بموحدة ثم (راء ثم زاى) ثم هاء (نضلة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ابن عبيد بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية هذا هو الصحيح المشهور فى اسمه واسم أبيه ويقال نضلة بن عمرو ويقال نضلة بن عبد الله قال الحاكم فى تاريخ نيسابور وقيل اسمه عبد الله بن نضلة وقيل نضلة بن دينار قال وقيل كان اسمه نضلة بن دينار فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال دينار شيطان (الاسلمى) من ولد اسلم بن أقصى بن حارثة (رضى الله عنه) وابو برزة كنية انفرد بها لا يعرف فى الصحابة من يكنى بها غيره كما قاله الحافظ ابو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على البغدادى فى التنبيه على الغريبين وذكره الحاكم فى الكنى المفردة ومعناه ليس فى الناس من يكنى بها غيره ومراده من قبله والا فقد كنى

قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن عمله فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « يومئذ تحدث أخبارها ثم قال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال فانَّ أخبارها أن تشهد

بها بعده أبو برزة الفضل بن محمد الحاسب ، أسلم أبو برزة قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وأربعون حديثا اتفقا على حديثين وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بأربعة ، نزل البصرة وولده بها ثم غزا خراسان وقيل انه رجع البصرة وبها توفى وقيل توفى بخراسان فى خلافة معاوية أو يزيد وقيل توفى سنة ستين وقيل سنة أربع وستين اه ملخصا من التهذيب للمصنف (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد) أى من موقفه للحساب الى جنة أو نار (حتى يسأل) بالبناء للمفعول (عن عمره) بضم أوليه ويسكن ثانيه تخفيفا أى حياته وبقائه فى الدنيا (فيما أفناه) فى طاعة أم معصية فما استفهامية فيه وفيما بعده واثبات ألفها مع كونها مجرورة قليل والكثير حذفها (وعن عمله فيما عمله) لوجه الله تعالى خالصا فيثاب عليه أو رياء وسمعة فيعاقب عليه إن شاء الله تعالى (وعن ماله من أين اكتسبه) أمن حلال ذلك أو حرام (وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) فى طاعة مولاه أم فى سواه ويستثنى من ذلك الأنبياء وبعض صالحى المؤمنين كالذين يدخلون الجنة بغير حساب (رواه الترمذى) فى أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) وطريقه واحد ، فالتقدير على ما قرره الحافظ العسقلانى فى مثله كما تقدم حسن أو صحيح (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « يومئذ تحدث أخبارها » ثم قال أتدرون ما اخبارها) المحدثة بها (قالوا الله ورسوله أعلم) أى علما وليس مرادهم ان عندهم به علم والله ورسوله أعلم بذلك منهم فأفعل فيه بمعنى أصل الفعل ويحتمل كونه على ظاهره وسكوت العالم إما أدبا أو لزيادة استبصار ووقوف على مالم يعلم (قال فان اخباراه ان تشهد) بلسان قالها كما هو الظاهر ولا مانع

على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنعم وصاحبُ القرن قد التقم القرن » واستمع الإذن متى يؤمرُ بالنفخ فينفخُ ، فكأن ذلك

منه لأنه ممكن وهو أبلغ فى الزام الحجة (على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها) الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذى الاعمال المكفرة ويحتمل عموم الخبر لهم ويكون شهادتها بذلك تذكيراً لمزيد إنعام الله عليه حيث سامحه بسوء عمله ولم يعاقبه عليه بل أثابه من فضله وقوله (تقول عمل كذا وكذا فى يوم كذا وكذا) تفصيل للشهادة وبيان لكيفيتها و« كذا » كناية عن مقدار الشىء وعدته وتكون كناية عن الاشياء فتقول فعلت كذا وقلت كذا ، فان قلت فعلت كذا وكذا فلتعدد الفعل والاصل ذا ثم أدخل عليه كاف التشبيه بعد زوال معنى التشبيه والاشارة وجعل كناية عما يراد به وهو معرفة فلا يدخله أل قاله فى المصباح (فهذه أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر (رواه الترمذى) فى الزهد والتفسير من جامعه (وقال حديث حسن) ورواه النسائى فى التفسير . (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم) بفتح العين من النعمة بفتح النون وهى المسرة والفرح قال فى المصباح نعم عيشه ينعم من باب تعب اتسع ولان أى كيف أتسع فى الدنيا وألتذ بها ؟ قال المظهرى أى كيف أطيب عيشاً وقد قرب أمر الساعة وكأنه خاف على أصحابه منها وقد علم أنها لا تقوم إلا على أشرار الناس أو حث لأصحابه على الوصية لمن بعدهم بالتهيؤ لها (وصاحب القرن) أى الصور يعنى الملك الموكل به وهو اسرافيل (قد التقم القرن) أى وضع فاه عليه قال المظهرى فى المفاتيح يقال التقمت اللقمة أى ابتلعتها يعنى وضع الصور فى فمه (واستمع) أى أصغى (الاذن) يحتمل أن يكون مفعولا به أى يستمعه وينتظره وأن يكون مفعولا له (متى يؤمر بالنفخ) أى بنفخ الصور (فينفخ) أى عقب الأمر فحينئذ يصعق من فى السموات والأرض أى يموت (فكأن ذلك) أى المذكور من

ثقل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » رواه الترمذى وقال حديث حسن (القرن) هو الصور الذى قال الله تعالى « ونُفخ فى الصور » كذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم

قرب الساعة وهى إنما تقوم على الأشرار (ثقل) بفتح المثلثة وضم القاف أى عظم ومصدره ثقل بوزن عنب كما فى المصباح أى فكأنه ثقل (على أصحاب رسول الله ﷺ فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (لهم قولوا حسبنا) أى محسبنا وكافينا من أحسبه الشىء أى كفاه وهو خبر والمبتدأ هو (الله ونعم الوكيل) أى الموكول اليه والمخصوص بالمدح مضمر بعد الواو والجملة الفعلية خبره والأصح وقوع الجملة الانشائية خبرا بلا تأويل وفى الكلام عطف خبرية على مثلها قال فى المفاتيح والدليل على أن حسبك بمعنى محسبك وقوعه صفة للنكرة فى نحو مررت برجل حسبك ، فلو لم يصح لكان اسم فاعل (١) واضافته على معنى الانفصال لما وصف به النكرة لأنه مضاف لمعرفة (رواه الترمذى) فى أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن) ورواه النسائى فى التفسير من طريق عن أبى هريرة بنحوه (القرن) بفتح القاف وسكون الراء مضاف لمعرفة (الصور) بضم الصاد المهملة وسكون الواو وبالراء (الذى قال الله تعالى) أى فيه (ونفخ فى الصور كذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم) قلت رواه احمد والترمذى وأبو داود والحاكم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الصور قرن ينفخ فيه » وفى الترمذى بيان سببه قال « قال اعرابى يا رسول الله ما الصور ؟ قال قرن ينفخ فيه » قال ابن رسلان قوله « الصور قرن » هو على هيئة البرق دائرة رأسه كعرض السموات والأرض ولأبى الشيخ فى كتاب العظمة من حديث أبى هريرة « إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر » وفى رواية لأبى الشيخ « فأطرق صاحب الصور وقد وكل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة

---

(١) فى العبارة ركاكة وعبارة البيضاوى : ويدل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك اه . ع

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) رواه الترمذى وقال حديث حسن (وأدلج) بإسكان الدال ومعناه سار من أول الليل والمراد التشمير فى الطاعة والله أعلم * وعن عائشة

أن يؤمر قبل أن يرتد اليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» واسنادهما جيد اه * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف) أى خاف البيات (أدلج) أى هرب فى أول الليل (ومن أدلج بلغ المنزل) الذى يأمن فيه البيات قال العاقولى هذا مثل طالب الآخرة وكون الشيطان على طريقه فان تبتل بالطاعة وصبر مدة أيامه القلائل وأمن فيه الشيطان وقال المظهرى أى من خاف الله فليهرب من المعاصى الى طاعته تعالى (ألا) أداة استفتاح (إن سلعة الله) بكسر السين المهملة وجمعها سلع فهى كسدرة وسدر والسلعة المتاع (غالية) بالمعجمة أى رفيعة القيمة (ألا إن سلعة الله هى الجنة) وهى عزيزة لا يليق بثمنها إلا بذل النفس والمال (رواه الترمذى) فى باب الزهد (وقال حديث حسن) وروى عن مطرف عن أبى سعيد وقيل عن ابن عباس اه (وأدلج باسكان الدال) المهملة وبالجيم معناه (سار من أول الليل) وهو أنسب بالحديث لكونه أدل على مزيد الاهتمام والاعتناء وأمكن فى القصد للبعد عن العدو وماذكره المصنف هو ما فى النهاية وزاد فيها وادلج بالتشديد اذا سار من آخره والاسم منها الدلجة بالضم والفتح ومنهم من يجعل الادلاج اى بوزن اكرام مصدر أدلج بالتخفيف لليل كله ولم يفرق بين أوله وآخره وأنشدوا لعلى

* اصبر على السير والادلاج فى السحر * اه (قلت) وجرى على هذا الأخير صاحب المصباح وعبارته أدلج ادلاجا مثل أكرم اكراما سار الليل كله فهو مدلج وان خرج آخر الليل فقد ادلج بالتشديد اه وكأن المصنف جرى على القول المذكور فى الأصل لأنه أنسب بالحديث لما ذكرنا (والمراد التشمير فى طاعة الله) أى انه تمثيل لذلك كما سبق عن العاقولى والا فلا مسافة حسية تقطعها بسيرك ليلا انما هى المجاهدات المورثة بالفضل الالهى للمشاهدات (وعن عائشة

رضى الله عنها قالت « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ! ! قال ياعائشة الأمر أشدُّ من أن يَهُمهم ذلك : وفى رواية « الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض » متفق عليه (غرلا) بضم الغين المعجمة أى غير مختونين

رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس) عام مخصوص فقد جاء فى صحيح مسلم « أول من يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ثم أكسى » الحديث (يوم القيامة حفاة) بضم أوله المهمل وبالفاء جمع حاف وهو الذى لا حذاء فى رجله ولا خف (عراة) بالضبط المذكور جمع عار وهو الذى لا ثوب ببدنه (غرلا) أى غير مختونين والفائدة فى خلق الجلدة المقطوعة من الذكر والعلم عند الله تعالى — التنبيه على احكام خلقته إذ خلقه للأبد لا للفناء اذ لم ينقص من أعضائه بل أعيد كاملا أو أنه التزم عوده كما كان قاله المظهرى والثلاثة منصوبة على الحال من الفاعل (قلت يارسول الله الرجال والنساء جميعا) منصوب على الحال من الرجال الفاعل بمحذوف دل عليه ما قبله أى الحشر حال كونهم مجموعين وقولها (ينظر بعضهم الى بعض) يحتمل ان يكون حال من ذلك أو من ضمير جميعا المستكن فيه وان تكون مستأنفة لبيان السؤال عن جميعهم فى الحشر (فقال يا عائشة الأمر) اى هول الأمر وشدته (أشد من أن يهمهم) بفتح التحتية وضم الهاء أو بضم التحتية وكسرها قال فى المصباح : يقال أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هما من باب قتل مثله (ذلك) أى النفوس انما تنظر لذلك عند الاستراحة وهم فى هول يذهل به الخليل عن خليله كما تقدم أول الباب (وفى رواية) هى للصحيحين أيضاً كما فى المشكاة وهى عند النسائى وابن ماجه كما فى الجامع الكبير (الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) جاء فى رواية ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا « قالت عائشة ينظر بعضهم الى بعض قال شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم الى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون » (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم فى أبواب صفة الجنة والنار (غرلا بضم الغين المعجمة) وسكون الراء (أى غير مختونين) فى المصباح

﴿ باب الرجاء ﴾

قال الله تعالى : « قُلْ ياعبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم »

الغرلة مثل القلفة وزنا ومعنى وغرل غرلا من باب تعب اذا لم يختتن فهو أغرل والأنثى غرلاء والجمع غرل من باب أحمر اه والله أعلم

﴿ باب الرجاء ﴾

بفتح الراء وبالمد هو ضد الخوف وعرف بأنه تأمل الخير وقرب وقوعه ويطلق على الخوف ومنه قوله تعالى «مالكم لاترجون لله وقاراً» وقال الراغب فى مفرداته قبل مالكم لا تخافون ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان وفى الرسالة القشيرية الرجاء تعليق القلب بمحبوب فى المستقبل والفرق بينه وبين التمنى أن التمنى يصاحبه الكسل ولا يسلك صاحبه طريق الجد وضده صاحب الرجاء وقدم المصنف الخوف عليه لأنه باعتبار نتائجه من باب التخلية بالخاء المعجمة اذ ينتج ترك المخالفة والرجاء من باب التحلية بالمهملة اذ يبعث على صالح العمل اذ لولا الرجاء لما وجد عمل ، أما تمنى الثواب لامع صالح العمل فذلك أمنية وليس من الرجاء فى شىء ، وفى الحديث عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك

(قال الله تعالى قل ياعبادى) اضافتهم اليه إضافة تشريف وتكريم ليذهب عنهم ما عراهم من خشية المعصية وبعد المخالفة وتخصيصهم بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن (الذين أسرفوا على أنفسهم) أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعصية (لاتقنطوا من رحمة الله) لاتيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى «ان الله لا يغفر أن يشرك به» الآية والتعليل بقوله (انه هو الغفور الرحيم) للمبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة

وقال تعالى : « وهل يجازى إلا الكفور » وقال تعالى : « انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى » وقال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » *

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له

وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد وما روى من خصوص نزولها بعياش أو الوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتنوا أو فى وحشى لاينفى عمومها اذ العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (وقال تعالى وهل يجازى الا الكفور) أى هل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران أو الكفر وفيه ايماء الى أن المؤمنين لايجازون كذلك للغفران الكائن لهم بشرف الايمان (وقال تعالى) مخبرا عن موسى وهارون (انا قد أوحى الينا أن العذاب) وهو عبارة عن الالم مع الامانة (١) (على من كذب وتولى) وفيه ايماء الى سلامة من آمن من ذلك ولا ينافيه ما ورد من تعذيب قوم من أهل التوحيد لانه ليس لاهانتهم بل لتطهيرهم مما حصل لهم من دنس المخالفة حتى يتأهلوا لدخول الجنة والحلول بها جعلنا الله من أهل الجنة بمحض الفضل والمنة (وقال تعالى ورحمتى وسعت كل شيء) المؤمن والكافر قال البيضاوى وهذا فى الدنيا وأما فى الآخرة فقوله « فسأكتبها للذين يتقون » الآية (وعن عبادة بن الصامت) الانصارى الخزرجى تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الأمر بالمعروف (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد) أى علم (أن لا إله) أى لامعبود بحق فى الوجود (الا الله) بالرفع بدلا من محل اسم لاقبل دخولها ولايجوز الابدال من محله بعد دخولها لانها لاتعمل فى المعارف وفى اعرابها بسط ذكرته فى باب فضل الذكر وباب التشهد من شرح الاذكار (وحده) أى منفردا بالالوهية وغيرها من اوصاف الكمال (لاشريك له) فى ذلك

---

(١) قوله مع الأمانة كذا ولعله بعد الامانة . ع

وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدُ الله ورسولهُ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »

ولا فى شىء من أوصافه ولا من أفعاله بل كل ماعى الوجود خلق الله وحده والمراد من صدق بمضمون ذلك وأذعن له بجنانه ونطق به بلسانه فان منع من النطق مانع من خرس أو معاجلة منية فهو مؤمن وإلا فنقل المصنف فى أول شرح مسلم الاجماع على كفره وعورض بأن الغزالى نقل فيه عن جمع انه مؤمن عاص بترك النطق بها (و)شهد (أن محمداً عبده) هو اشرف أوصافه فلذا ذكره به فى الكتاب فى أشرف المواطن كمقام الاسراء وانزال الكتاب عليه ولذ اقدمه على قوله (ورسوله) وفيه إيماء الى ماجنح اليه ابن عبد السلام فى تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على الرسالة لتعلقها بالخلق وذلك لأنه قدم العبودية لكونها إضافة إلى الحق له بها شرف على الخلق والرسالة ليست كذلك وان كان الأصح عند الجمهور تفضيل الرسالة لوجود التعلق بالحق فيها كالنبوة وزيادتها بالابلاغ للخلق (وأن عيسى) اسم معرب يسوغ كما فى البيضاوى قال واشتقاقه من العيس وهو بياض تعلوه حمرة ، تكلف لا طائل تحته (عبد الله) خصه بالذكر رداً على النصارى فى إنكارهم ذلك وقولهم إنه ابن الله تعالى الله عن ذلك (ورسوله) إلى بنى اسرائيل (وكلمته) سمى به لأنه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم الأوامر قال الشيخ أكمل الدين فى شرح المشارق : وسماه كلمة مبالغة لأنه تكلم فى غير أوانه وأضيف إلى الله تعالى تعظيما (وروح منه) سماه روحا لأنه أحيا به الأموات فكان كالروح وأحيا به القلوب من موت الجهالة ، أو لأنه حدث من نفخ الروح كما قال تعالى « فنفخنا فيها من روحنا » قيل كان النافخ جبريل وإضافته إلى الله تعالى لأنه كان بأمره وفى تفسير البيضاوى أى ذى روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة (والجنة والنار) بالنصب عطفاً على ما قبله أى وشهد أنهما (حق) أى ثابتان موجودان وأفرد الخبر مع تثنية المخبر عنه إما لأنه مصدر أو لارادة كل واحدة منهما (أدخله الله الجنة على ما فيه من العمل) أى على أى عمل كان سيئاً أو حسنا وهو حال نحو رأيت فلانا على أكله أى آكلا ، وفيما نحن فيه لا يجوز أن يقدر عاملا لأن العمل غير حاصل وقت الدخول فيقدر مستحقا بما يناسب

متفق عليه وفى رواية لمسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » . وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل

عملهمن الثواب والعقاب يعنى من مات على الايمان لاتخرجه الكبائر عن إيمانه فيدخل الجنة ، أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار فمفوض إلى مشيئة الله تعالى قال الطيبي فى شرح المشكاة لايتصور هذا فى حق العاصى الذى مات قبل التوبة إلا إذا دخل الجنة قبل استيفاء العقوبة « فان قلت » ماذكرت يستدعى أن لايدخل أحدمن عصاة المؤمنين النار « قلت » اللازم عموم العفو وهو لايستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عنهم بعد دخولها قبل استيفاء العذاب فليس بحتم عندنا أن يعذب بالنار أحد من الأمة بل الواجب العفو عن الجميع بموجب وعده حيث قال « إن الله يغفر الذنوب جميعا » (متفق عليه) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء ومسلم فى الايمان ورواه النسائى فى اليوم والليل وفى التفسير من سننه كذا قاله المزى فى الاطراف (وفى رواية لمسلم) أى عن عبادة بن الصامت أيضاً رواه الامام أحمد والترمذى قاله فى الجامع الصغير وقال الحافظ المزى أخرجه مسلم والترمذى فى الايمان وأخرجه النسائى فى اليوم والليلة وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ويلزم من شهادته برسالته صلى الله عليه وسلم شهادته برسالته بسائر الأنبياء لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بذلك (حرم الله عليه النار) أى الخلود فيها وأول الحديث كما فى مسلم عن الصالحى قال « دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال لى مهلا لم تبك فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لانفعنك ، ثم قال والله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى ، سمعته يقول من شهد الخ » . (وعن أبى ذر) الغفارى (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل) فيه دليل على عدم كراهة استعمال المضارع فيه لأن المراد به الدلالة على دوام ذلك وعدم انقطاعه خلافا لمن كرهه من السلف لما يدل عليه من التجدد والحدوث

« من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفرُ ، ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعاً ومن أتانى يمشي أتيته هَرْوَلة

وأوصاف الله تعالى قديمة أزلية والحديث من الأحاديث القدسية (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله أى جزاءها مكرراً عشراً لا أنه يكرر نفس الحسنة كذلك ، وقد نبه الشيخ زكريا فى سورة النساء من حاشيته على البيضاوى على أن هذا أقل مراتب المضاعفة ولذا قال (أو أزيد) وأو فيه يحتمل أن تكون بمعنى بل ، أى بل أزيد من ذلك كما قال تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة » وقال تعالى « انما يوف الصابرون أجرهم بغير حساب » وقال تعالى «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » قال البيضاوى وهذا أى العشر أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذا قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها) قضية العدل (أوأغفر) فضلا وإحسانا وانظر الى ما انطوى عليه هذا الحديث من اللطف فى جانب الحسنة إضافتها لاجانى بها باللام الدالة على الاختصاص تشريفا وتكريما، وفى جانب السيئة ترك ذلك إيماء الى قبح المعصية وان حقها ان تباعد وتزايل حتى لاتنسب لأحد (ومن تقرب منى) أى من فضلى ورحمتى (شبراً) بالمبالغة فى المجاهدة وأداء واجب الألوهية (تقربت منه) أى بفضلى وتوفيقى (ذراعا ومن تقرب منى) بذلك (ذراعا) وهو دون ما قبله (تقربت منه باعا) ففيه ان الجزاء على قدر العمل وبحسبه والباع والبوع بضم الموحدة وفتحها طول ذراعى الانسان وعضده وعرض صدره قال الباجى وهو قدر أربعة أذرع (ومن أتانى يمشى) وأسرع نحوطاعتى (أتيته هرولة) أى صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه الى مزيد مشى فى وصوله لمراده والمقصود ان جزاءه يكون على حسب عمله وتقربه ، والهرولة بفتح الهاء وسكون الراء وهى اسراع فى المشى دون الخبب ، قال المصنف : هذا الحديث من أحاديث الصفات ومستحيل إرادة ظاهره لما فيه من باب التمثيل كما سيأتى قال القرطبى ان قيل مقتضى

ومن لقينى بقُراب الأرض خطيئة لايشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة » رواه مسلم (ومعنى الحديث) مَن تقرَّب إلىَّ بطاعتى تقربت اليه برحمتى وإنْ زَادَ زدتُ وإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيته هرْولة أى صَببتُ عليه الرَّحمة وسبقته بها ولم أحوجهُ إلى المشى الكثير

ظاهر الخطاب ان جزاء الحسنة بمثلها إذ الذراع شبران والباع ذراعان وتقدم فى الكتاب والسنة أن أقل مايجازى على الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف لاتحصى ، فما وجه الجمع ؟ «قلنا» هذا الحديث ماسيق لبيان مقدار عدد الأجور أو عدد تضاعيفها وإنما سيق لتحقيق أن الله تعالى لايضيع عمل عامل قليلا كان أو كثيرا وان الله يسرع الى قبوله والى مضاعفة الثواب عليه اسراع من جىء اليه بشىء فبادر لأخذه وتبشبش له بشبشة من سرته ووقع منه الموقع، ألاترى الى قوله « وان أتانى يمشى أتيته هرولة » وفى لفظ آخر أسرعت اليه ولا تتقدر الهرولة والاسراع بضعف المشى وأما عدد الأضعاف فيؤخذ من حديث آخر لامن هذا الحديث اه وما ذكره من أن الباع ذراعان مخالف لما نقله المصنف عن الباجى من أنه أربعة أذرع (ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة) تمييز لقراب الأرض أى بما يقارب ملأها من الخطايا لو كان جسما وجرما وقوله (لايشرك بى شيئاً) جملة فى محل الحال من فاعل لقى (لقيته بمثلها مغفرة » رواه مسلم) فى كتاب الدعوات ورواه ابن ماجه فى فضائل التسبيح (ومعنى الحديث) ان قوله تعالى فيه « من تقرب منى شبرا » الى قوله « أتيته هرولة » ليس على ظاهره لاستحالته على الباقى لمافيه من اعتوار الحركة وغيرها عليه تعالى عن ذلك ، بل معناه (من تقرب الى بطاعتى تقربت اليه برحمتى وان زاد زدت) ظاهره أن قوله وان زاد زدت تفسير للمراد من قوله ومن تقرب منى ذراعا وفيه مالايخفى بل الظاهر أنها أومأت الى جزاء العامل على عمله الصالح وان قل فالجملة الأولى لبيان عظم الثواب على كثرة العمل ومزيد المجاهدة والثانية لبيان حصول ثواب العمل وإن قل « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » والله أعلم (وإن أتانى) أى أقبل على طاعتى (يمشى) أى يجد ويجتهد (وأسرع فى طاعتى) حسب طاقته فيها ولم يقدم عليها علائقه أتيته هرولة أى صببت عليه الرحمة صباً وسبقته بها ولم أحوجه الى المشى الكثير

فى الوصول إلى المقصود (وقراب الأرض) بضم القاف ويقال بكسرها والضم أصح وأشهر ، ومعناه ما يقارب ملأها والله أعلم * وعن جابر رضى الله عنه قال « جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان قال من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار» رواه مسلم *

فى الوصول الى المقصود) قال القرطبي هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب الى الله تعالى تدل على أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قل عمله بل يقبله ويثيبه مضاعفا ولا يفهم من الحديث الخطأ بنقل الأقدام إلامن ساوى الحمر فى الأفهام اه (وقراب الأرض بضم القاف ويقال) فيما نقله القاضى عياض وغيره (بكسرها) مصدر قارب الأمر إذا دناه يقال لو أن لى قراب هذا ذهبا أى ما يقارب ملأه ولوجاء بقراب الأرض بالكسر أيضاً بما يقاربها اه (والضم أفصح وأشهر) مقتضى كلامه فى شرح مسلم أن الكسر غريب وعبارته فيه بضم القاف على المشهور فيخالف ما هنا من أن الكسر مشهور إلا أن الضم أشهر منه ولا مخالفة تأمل (ومعناه مايقارب ملأها) بكسر الميم (والله أعلم * وعن جابر رضى الله عنه قال جاء أعرابى) واحد الأعراب وهم سكان البادية من العرب (الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما الموجبتان) قال أى النبى ﷺ (من مات لا يشرك بالله شيئاً) أى من الشرك الجلى أو من المعبودات أى وحد الله تعالى وأفرده بالعبودية (دخل الجنة) قال المصنف هذا مما أجمع عليه المسلمون ابتداء مع الفائزين إن لم يمت مصراً على الكبائر وإن مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة وإن شاء أدخله إياها ابتداء بفضله (ومن مات يشرك به شيئاً) من الشرك الجلى أو من المعبودات (دخل النار) وخلد فيها ولم يخرج منها أبداً لافرق بين كتابى ، وعابد وثن ، وسائر الكفرة ، ولافرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الاسلام ولا من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده أو غير ذلك ، أما الشرك الخفى من الرياء والسمعة فلا يقتضى أن يؤبد فى النار إذا مات صاحبها على الايمان (رواه مسلم)

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ ردفه على الرّحل قال يا معاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك قال يامعاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار قال يارسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا قال إذا يتكلوا ، فأخبر بها

فى كتاب الايمان (وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ومعاذ) كذا وقفت عليه فى نسخ الرياض بالرفع وهو مبتدأ خبره قوله (ردفه) بفتح الراء وكسر المهملة وقوله (على الرحل) متعلق بالخبر والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها وهو قوله (قال يامعاذ قال لبيك) بتشديد الموحدة ، إجابة بعد إجابة وقيل قربا منك وطاعة لك ، وقيل أنا مقيم على طاعتك ، وقيل محبتى لك ، وقيل غير ذلك (وسعديك) أى ساعدت طاعتك مساعدة لك بعد مساعدة فهما مثنيان مراداً منهما التكثير (قال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك يارسول الله وسعديك ثلاثا) ظرف لمكرر مقدر ، وتكرير نداء معاذ لتأكيد الاهتمام بما يخبره به وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه ، وثبت فى الصحيح « انه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لهذا المعنى » قال المصنف (قال ما من) مزيدة لتأكيد عموم النفى (عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقا) حال أى حال كونه صادقا فى ذلك أو مفعول مطلق أى شهادة صدقا أو شهادة صدق فأقيم المضاف مقامه فانتصب إنتصابه (من قلبه) وهذا القيد لاخراج شهادة اللسان إذا لم يطابقها الجنان كالمنافقين (الاحرمه الله على النار) أى الخلود فيها فلا ينافى تعذيب بعضهم (قال) أى معاذ (يارسول الله ألا أخبر بها الناس) إدخالا للسرور عليهم وحثا على صدق الايمان وتحريضا على الاخلاص (فيستبشروا قال إذا يتكلوا) أى يتركوا الاعمال ويتكلوا على ذلك فيفوتهم بذلك عالى المنازل فى العقبى وهو صلى الله عليه وسلم لمزيد اهتمامه بأمته واعتنائه بشأنهم لا يريد لهم إلا المنازل العلى فأشار إلى معاذ بالترك لأنه رأى الثمرة المترتبة عليه أتم من المترتبة على الاعلام (فأخبر بها) أى بالبشارة المدلول عليها بقوله

معاذ عند موته تأثما » متفق عليه (قوله تأثما) أى خوفا من الاثم فى كتم هذا العلم * وعن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما شك الراوى ولا يضر الشك فى عين الصحابى لأنهم كلهم عدول قال لما كانت غزوة تبوك أصاب الناسَ مجاعةٌ فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضِحَنا فأكلنا وادهنّا

يستبشرون (عند موته تأثما) مفعول له أى خروجا من إثم كتم ما للناس اليه حاجة من الشريعة وقد جاء الوعيد الشديد فى الكتم قال تعالى « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى » الآية (متفق عليه) أخرجاه فى الايمان (قوله تأثما أى خوفا من الاثم) الكائن أو كائنا (فى كتم هذا العلم) أى كتم هذا القدر منه (وعن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما) وقوله (شك الراوى) أى وهو الأعمش كما فى صحيح مسلم ، بيان : لأن أو للتردد والشك فى عين الراوى منهما (ولا يضر الشك فى عين الصحابى لأنهم كلهم عدول) من خالط الفتن ومن اعتزلها لأنهم فيها بين مجتهد مصيب فله أجران أو مخطىء فله أجر وإذا كانوا كذلك فلا غرض فى تعيين الراوى منهم وقد قال علماء الاثر إذا قال الراوى حدثنى فلان أو فلان وهما ثقتان احتج به بلا خلاف لأن المقصود الرواية عن ثقة سمى وقد حصل وهذه قاعدة ذكرها الخطيب البغدادى فى الكفاية وذكرها غيره وهى فى غير الصحابى ففى الصحابى أولى لعدالتهم أجمعين قاله المصنف فى شرح مسلم (قال لما كان يوم) المراد به هنا الزمن أى زمن (غزوة تبوك) تقدم ضبطه وبيان جواز صرفه وعدمه ووجه تسميته بذلك وبيان تاريخ الغزوة فى باب التوبة أول الكتاب (أصاب الناس مجاعة) قال فى النهاية مفعلة من الجوع اه ومقتضى قول الصحاح وقد جاع يجوع جوعا ومجاعة أنه مصدر ميمى والجوع ضد الشبع (قالوا يارسول الله) استئناف بيانى كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ ؟ فقال قالوا يارسول الله (لو أذنت لنا) أى فى نحر دوابنا المأكولة كما يدل عليه مابعده ، ولو فيه للتمنى فلا جواب لها ، ويحتمل كونها الشرطية والجواب محذوف أى لو أذنت لنا فى نحرها (فنحرنا نواضحنا) جمع ناضح أصله البعير الذى يستقى عليه الماء قال فى المصباح ثم استعمل فى كل بعير وان لم ينضح عليه ومنه حديث « أطعمه ناضحك » أى بعيرك « قلت » وما هنا محتمل لذلك (فأكلنا) لحومها (وادهنا) من شحومها وقال

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم افعلوا ، فجاء عمر رضى الله عنه فقال يارسول الله ان فعلتَ قلَّ الظَّهرُ ولكن ادعهم بفضل أزمادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك البركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم

صاحب التحرير ليس المقصود منه ماهو المعروف من الادهان إنما معناه لو اتخذنا من شحومها لارتفقنا بذلك أو لكان خيراً أو لكان صوابا أو رأيا مبينا أو مصلحة ظاهرة وما أشبه ذلك وعلى كونها شرطية محذوفة الجواب جرى المصنف فى شرح مسلم ثم قال وقولهم «لو أذنت لنا» هذا من أحسن أدب خطاب الكبار والسؤال منهم وهو أجمل من قولهم للكبير افعل كذا بصيغة الأمر وفيه أنه لا ينبغى للعسكر أن يضيعوا دوابهم التى يستعينون بها فى القتال بدون إذن الامام ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة أو خاف مفسدة ظاهرة اه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا) وذلك مراعاة لمصلحتهم وتقديم الأهم فالأهم وارتكاب أخف الضررين دفعاً لأشدهما (فجاء عمر فقال يا رسول الله إن فعلت قل الظهر) أى الدواب سميت بذلك لكونها يركب على ظهورها أو لكونها يستظهر بها ويستعان بها على السفر واسناد فعلهم وهو نحرها اليه مجاز عقلى لكونه عن أمره فهو كقولهم بنى الأمير المدينة وفى الخبر جواز الاشارة على الأئمة والرؤساء وأن للمفعول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه (ولكن) استدراك عن معنى الكلام السابق أى لا تنظر لمصلحتهم بذلك لئلا يقل الظهر ولكن انظر اليها بوجه آخر وهو قوله (ادعهم بفضل أزوادهم) متعلق الظرف أى يأتون به والجملة فى محل الحال والفضل بفتح الفاء وسكون الضاد مصدر فضل يفضل كنصر ينصر وجاء كنعت ينعت وهو البقية أى بالباقى من أزوادهم وزاد المسافر طعامه المتخذ لسفره (ثم ادع الله عليها بالبركة) أتى بثم إشارة الى تراخى اجتماعه وانضمامه عن أمرهم بذلك ـ الذى عندها يكون الدعاء (لعل الله أن يجعل فى ذلك) قال المصنف كذا وقع فى الأصول التى رأينا وفيه محذوف تقديره يجعل فى ذلك بركة أو خيراً فحذف المفعول به لأنه فضلة وأصل البركة كثرة الخير وثبوته وتبارك الله ثبت الخير عنده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم) بفتح أوليه وهى هنا لكونها بعد الطلب للوعد فهو وعد منه

فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذُرة ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النّطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك لتصويبه له قال (فدعا بنطع) فيه أربع لغات مشهورة أشهرها كسر النون مع فتح الطاء وبفتحها وبفتح النون وكسرها مع سكون الطاء فيهما حكاه المصنف فى شرح مسلم ولم يبين معناه وكأنه لوضوحه قال فى المصباح هو المتخذ من الأديم معروف اه (فبسطه) أى نشره (ثم دعا بفضل) أى بقية (أزوادهم قال) أى الصحابى الراوى (فجعل الرجل يجيء بكف) أى بملئه (ذرة) بتخفيف الراء نوع من الحبوب معروف قال (ويجيء الآخر) بفتح الخاء المعجمة أى غير من قبله (بكف تمر) بفتح المثناة الفوقية والاضافة فيه وفيما قبله بيانية من إضافة المميز الى تمييزه كخاتم حديد إذ المراد بالكف هنا ملؤه كما قدرنا (ويجيء الآخر بكسرة) بكسر الكاف القطعة المكسورة من الشيء ومنه كسرة الخبز وجمعها كسر كسدرة وسدر كذا فى المصباح (حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير) حتى فيه غاية لمقدر ، أى جمعوا حتى اجتمع (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة) فى الاتيان بالفاء إيماء الى مزيد اهتمامه صلى الله عليه وسلم بشأن أمته وبما ينفعهم (ثم قال خذوا فى أوعيتكم) أى واجعلوه أى المأخوذ فى أوعيتكم فتعلق الظرف محذوف والأوعية بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر العين المهملة جمع وعاء وهو ما يوعى فيه الشيء أى يجمع (قال فأخذوا فى أوعيتهم حتى) عاطفة على عموم الآنية (ما) تركوا (فى العسكر) وهو الجيش قال ابن الجواليقى فارسى معرب كذا فى المصباح (وعاء إلا ملؤه قال فأكلوا) أى بعد ملء الأواعى (حتى شبعوا وفضل فضلة) تقدم أنه يجوز فتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع وكسرها فى الماضى وفتحها فى المضارع وهما كما قال المصنف لغتان مشهورتان ، وأما فضل كعلم يفضل كينصر فمن باب التداخل (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجبُ عن الجنة » رواه مسلم * وعن عتبان بن مالك رضى الله عنه وهو ممن شهد بدرا قال كنت أصلى لقومى بنى سالم وكان يحول بينى و بينهم وادٍ إذا جاءتِ الأمطار فيشق على اجتيازه قِبَلَ مسجدهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إنى أنكرت بصرى

أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله) فيه بيان كيفية إتيانه بشهادته لنفسه بالرسالة ؛ وجاء أنه أذن فقال « وأشهد أن محمدا رسول الله » قال وفيه انه صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه الايمان برسالته ونبوته (لا يلقى الله بهما عبد) بعد موته (غير شاك) يجوز رفعه صفة لعبد وهو الذى رأيته فى أصل مصحح ونصبه حالا منه لتقدم النفى عليه والمراد به اخراج المنافقين ممن قال ذلك بلسانه غير موقن بمضمونه بجنانه (فيحجب) بالنصب أى فيمنع (عن الجنة) بل لابد من دخولها إما ابتداء مع الناجين أو بعد اخراج من النار (رواه مسلم) فى كتاب الايمان (وعن عتبان بن مالك) بن عمرو بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ابن الخزرج الانصارى الخزرجى السالمى (رضى الله عنه) قال المصنف كابن الاثير فى أسد الغابة (وهو ممن شهد بدراً) قال ابن الأثير ولم يذكره ابن إسحاق فى البدريين وذكره غيره ولم يخرج له الشيخان غير هذا الحديث الواحد ، مات فى خلافة معاوية وكان قائما بديات قومه الى أن مات رضى الله عنه (قال كنت أصلى لقومى بنى سالم) أى لأجلهم والمراد أنه يؤمهم كما صرح به أبو داود الطيالسى إماما بهم (وكان يحول بينى وبينهم واد إذا جاءت الأمطار) أى يحول السيل الكائن فيه عند مجىء الأمطار (فيشق على اجتيازه) أى الجواز فيه والمرور به (قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة (مسجدهم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إنى أنكرت بصرى) كذا ذكره جمهور أصحاب الزهرى وهو عند البخارى ومسلم فى بعض طرقه وعند مسلم من طريق أخرى « اصابنى فى بصرى بعض الغى » وعند الطبرانى « لما ساء بصرى » قال الحافظ وهو ظاهر فى انه لم يعم إذ ذاك لكن اخرج البخارى من طريق أخرى عن محمود بن الربيع انه كان يؤم قومه وهو اعمى وانه قال يارسول الله إنها تكون الظلمة والسيل وأنا

وإن الوادى الذى بينى وبين قومى يسيل إذا جاءت الأمطارُ فيشق علىَّ اجتيازه فوَددت أنكَ تأتى فتصلى فى بيتى مكاناً أتخذهُ مصلى ، فقالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأفعل ، فغدا

رجل ضرير البصر « قلت » وعند مسلم فى رواية انه عمى ، وقد جمع المصنف فى شرح مسلم بأنه أراد به بعض الشىء فى تلك الرواية العمى ، وهو ذهاب البصر جميعهُ ويحتمل أنه أراد به ضعفه وذهاب معظمه وسماه عمى فى الرواية الأخرى لقربه منه ولمشاركته فى فوات بعض ما كان حاصلا فى حال السلامة قال الحافظ ابن حجر ويجمع بأن قوله أنه كان يؤم قومه وهو أعمى أراد أن عماه كان حين أتى محمودا له وسمع فيه حديثه لا حين سأل عتبان النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فيه له وأنا ضرير البصر كقوله « أنكرت بصرى » قال الحافظ وجمع ابن خزيمة بأن قوله أنكرت بصرى يطلق على من فى بصره سوء وإن أبصر بصراً ما وعلى من صار أعمى لا يبصر شيئاً اه والأولى أن يقال أطلق عليه العمى لقربه منه ومشاركته له فى فوات بعض ما كان يعهده حال الصحة وبهذا تأتلف الروايات ، انتهى كلام الحافظ (وإن الوادى الذى بينى وبين قومى يسيل) اسناد السيل الى الوادى اسناد مجازى من اسناد ما للحال الى المحل (إذا جاءت الأمطار فيشق) بضم الشين المعجمة أى يصعب (على اجتيازه فوددت) بكسر الدال الأولى أى تمنيت وحكى الفراء فتح الدال فى الماضى والواو فى المصدر والمشهور فى المصدر الضم وحكى أيضاً الكسر فهو مثلث وتقدم التنبيه عليه فى باب فضل أبى صدقاء الأب (أنك تأتى فتصلى) هو باسكان الياء ويجوز النصب لوقوع الفاء بعد التمنى (مكانا) ظرف وقوله (أتخذه مصلى) صفة لمكان وعند البخارى فأتخذه ويجوز فيه ماجاز فى يصلى من الرفع والنصب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأفعل) فى البخارى بزيادة إن شاء الله قال الحافظ هو للتعليق لا لمحض التبرك كذا قيل ويجوز أن تكون للتبرك لاحتمال اطلاعه بالوحى على الجزم بوقوع ذلك « قلت » ويؤيده ادخال حرف التنفيس عليه وتقدم فى الكاشف أنها فى مثله للتأكيد قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى « أولئك سوف يؤتيهم أجورهم » مالفظه وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لامحالة وإن تأخر ، لكن اعترضه فى التقريب بأن سوف للتأخير وأما جزم وقوعه فمن خارج وهو قرينة إخباره به سبحانه (فغدا

علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه بعد ما اشتدّ النهار واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحبُّ أنْ أصلى منْ بيتك فأشرتُ لهُ إلى المكان الذى أُحبُّ أنْ يُصلّى فيه ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثمّ سلم وسلمنا حينَ سلم فحبستُهُ على خزيرة تُصنع له فَسمعَ أهل الدار أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فثاب رجالٌ منهُمْ

على رسول الله صلى الله عليه وسلم) زاد الاسماعيلى بالغدو وعند الطبرانى فى بعض طرقه أن السؤال وقع يوم الجمعة و أن الوصول اليه كان يوم السبت (وأبو بكر رضى الله عنه) لم يذكر جمهور الرواة عن الزهرى غيره حتى إن فى رواية الأوزاعى « فاستأذنا فأذنت لهما » لكن عند مسلم فى طريق « فأتانى ومن شاء الله من أصحابه » وللطبرانى فى طريق آخر « فجاءنى فى نفر من أصحابه » وجاء فى رواية ومعه أبو بكر وعمر ، ويحتمل الجمع بأن أبا بكر صحبه وحده ابتداء ثم عند الدخول اجتمع عمر وغيره فدخلوا معه (بعد ما اشتد النهار) قال فى النهاية : أى على وارتفعت شمسه (واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحب أن أصلى من بيتك) هذا لفظ احدى روايات البخارى وهو بين فى المراد أى إنه لم يجلس حتى صلى بخلاف ما وقع منه فى بيت مليكة حيث جلس وأكل ثم صلى لأنه هناك دعى الى الطعام فبدأ به وهنا الى الصلاة فبدأ بها ، ثم هو هكذا عند رواة البخارى ووقع عند الكشميهنى وحده فى بدلها (فأشرت له الى المكان الذى أحب) أى أريد (أن يصلى فيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شرع فى الصلاة (وكبر وصففنا) المفعول محذوف أى أنفسنا ويمكن أن لا حذف والمراد فحصل منا التصاف (وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا حين سلم) ففيه صحة الجماعة فى النافلة المطلقة وإن كانت لا تشرع فيها (فحبسته) عند البخارى فحبسناه أى منعناه من الرجوع (على خزيرة) يأتى ضبطها ومعناها ، ففيه إكرام الضيف (تصنع له) فى محل الصفة لما قبله (فسمع أهل الدار) أى المحلة لقوله صلى الله عليه وسلم « خير دور الأنصار دار بنى النجار أى محلتهم » والمراد أهلها (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فثاب رجال منهم) ثاب بالمثلثة وبعد الالف

حتى كثر الرجالُ فى البيت فقال رجلٌ ما فَعَلَ مالك لاَ أراهُ فقالَ رُجل ذلك منافق لايحبُّ الله ورسوله ، فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لاتقلْ ذلك ، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى فقال الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله ما نرى وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين ،

موحدة اى اجتمعوا بعد أن تفرقوا قال الخليل المثابة مجتمع الناس بعد افتراقهم ومنه قيل للبيت مثابة وفى المحكم يقال ثاب إذا رجع وثاب إذا أقبل « قلت » وكلا المعنيين هنا محتمل (حتى كثر الرجال فى البيت فقال رجل منهم) قال الحافظ لم يسم هذا المبتدى (مافعل مالك لاأراه) اى ابن الدخيشن أو الدخشن بالدال والخاء والشين المعجمتين والنون شك فيه الراوى عند البخارى هل هو مصغر أو مكبر وعند أحمد رواة البخارى بالميم بدل النون قال الطبرانى عن احمد ابن صالح الصواب الدخشم بالميم قال الحافظ وهى رواية أبى داود الطيالسى وكذا لمسلم فى بعض طرقه (فقال رجل) قيل هو عتبان واستدل قائله لتسمية المبهم به بمالا دليل فيه على دعواه (ذلك منافق لايحب الله ورسوله) تقدم ان محبة العبد لله ولرسوله المراد منها انقياده لأحكامهما والدخول بالرضا تحت طاعتهما (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقل ذلك) أى إنه منافق (ألا تراه) أى ماتعلمه (قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى) فيه شهادة منه صلى الله عليه وسلم بالايمان له قال ابن عبد البر لم يختلف فى شهود مالك بدراً وهو الذى أسر سهيل ابن عمرو ثم ساق الحديث باسناد حسن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن تكلم فيه « أليس قد شهد بدراً » قال الحافظ العسقلانى وفى مغازى ابن اسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث مالكا ومعن بن عدى فحرقا مسجد الضرار فدل على أنه برىء من النفاق أو كان قد أقلع عن ذلك أو النفاق الذى اتهم به نفاق العمل لانفاق الكفر ، وإنما أنكر عليه الصحابة لترددهم للمنافقين ولعل له عذراً فى ذلك كما وقع لحاطب (فقال الله ورسوله أعلم أما) بتشديد الهمزة (١) أداة متضمنة لمعنى الشرط (نحن فو الله لانرى) أى نعلم (وده ولا حديثه إلا إلى المنافقين) الظاهر أنه متعلق بوده و « الى » فيه بمعنى اللام

---

(١) كذا فى أصله وصوابه بتشديد الميم إذ الهمزة لاتشدد . ع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله» متفق عليه (وعتبان) بكسر العين المهملة ، واسكان التاء المثناة فوق و بعدها باء موحدة (والخزيرة) بالخاء المعجمة والزاى هى دقيق يطبخ بشحم

فان الود يتعدى بها ومفعول حديثه محذوف (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقوله (يبتغى بذلك) أى القول (وجه الله) لاخراج من نافق بها لحقن دمه وحفظ ماله فلا يكون كذلك والمراد من تحريمها على المؤمن الحقيقى تحريم خلوده فيها كما تقدم أو تحريم الدخول فى طبقة الكفار الخاصة بهم لا الطبقة المعدة لعصاة المؤمنين أو المراد تحريم دخولها بشرط حصول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيء والله أعلم (متفق عليه) رواه البخارى فى مواضع من صحيحه وهذا سياقه فى بعضها ورواه مسلم فى كتاب الايمان بنحوه (وعتبان بكسر العين المهملة) قال فى شرح مسلم هذا هو الصحيح المشهور الذى لم يذكر الجمهور سواه قال صاحب المطالع : وقد ضبطناه من طريق ابن سهل بالضم أيضا اهـ وكذا قال فى المغنى نقل عن الزركشى بكسر العين وقد تضم ومقتضى قول الحافظ فى الفتح بكسر العين ويجوز ضمها جوازهما معا والله أعلم (واسكان المثناة الفوقية بعدها باء موحدة) وبعد الالف نون (والخزيرة بالخاء المعجمة) المفتوحة (والزاى) المكسورة وحكى فى المطالع أنها رويت فى الصحين بحاءين وراءين مهملات (هى دقيق يطبخ بشحم) وقال ابن قتيبة يصنع من لحم صغار ثم يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيه لحم فهو عصيدة وكذا ذكره يعقوب وزاد من لحم بات ليلة ، قال وقيل حساء من دقيق فيه دسم وحكى فى الجمهرة ونحوه قال فى النهاية وزاد وقيل اذا كان من دقيق حريرة واذا كان من نخالة فخزيرة وحكى الأزهرى عن أبى الهيثم أن الحريرة من النخالة وكذا حكاه البخارى فى الاطعمة عن النضر ابن اسماعيل قال عياض والمراد بالنخالة دقيق لم يغربل قال الحافظ فى الفتح : ويؤيد هذا التفسير قوله فى رواية الأوزاعى عند مسلم خبسناه على جشيشة بجيم ومعجمتين

وقوله ثاب رجال بالثاء المثلثة أى جاؤا واجتمعوا * وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « قُدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبْى فاذا امرأة من السبى تسعى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدَها فى النار؟ قلنا لا والله ، فقال : اللهُ أرحم بعباده من هذه بولدها » متفق عليه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله

قال أهل اللغة أن تطحن الحنطة قليلا ثم يلقى فيها شحم أو غيره اه (وثاب رجال بالثاء المثلثة) وآخره باء موحدة (أى جاؤا واجتمعوا) تقدم بسطه (وعن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال قدم) بالبناء للمفعول (على النبى ﷺ بسبى) أحد الظرفين نائب الفاعل والآخر فى محل الحال والسبي بفتح المهملة وسكون الموحدة مصدر سبي كرمى يرمى والمراد منه اسم المفعول أى المسبي (فاذا) فجائية (امرأة) مبتدأ وقوله (من السبي) فى محل الصفة له والخبر جملة (تسعى) هذه رواية البخارى بالسين المهملة من السعى ورواية مسلم تبتغى بالموحدة والفوقية من الابتغاء وهو الطلب قال القاضى عياض ورواية مسلم وهم والصواب ما فى رواية البخارى قال المصنف كلاهما صواب لا وهم فيه فهى ساعية وطالبة ومبتغية لابنها (إذا) ظرفية مضمنة معنى الشرط أى كل وقت (وجدت صبيا) الظاهر أن المراد به ما يشمل الأنثى أى رضيعاً (فى السبي أخذته فألزقته ببطنها) رحمة له (فأرضعته) لذلك (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون) يحتمل أن تكون بفتح الفوقية أى أتعتقدون وأن يكون بضمها أى أتظنون (هذه المرأة) مفعول أول على الأول وثان على الثانى والمرأة نعت واسم الاشارة بدل ، أو عطف بيان عليه (طارحة) حال على الوجه الثانى و (ولدها) مفعول طارحة و (فى النار) متعلق بطارحة (قلنا لا) أى لا نرى ذلك وأكد عدم اعتقاد ذلك بالقسم فقال (والله فقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (الله) وفى نسخة من البخارى « والله لله » بادخال لام القسم عليه وفى أخرى لله من غير قسم قبله فاللام حينئذ إما للتوكيد أو جواب قسم مقدر (أرحم بعباده من هذه بولدها متفق عليه) أخرجه البخارى فى الأدب ومسلم فى التوبة (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله

الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى تغلب غضبى وفى رواية غلبت غضبى وفى رواية سبقت غضبى » متفق عليه . وعنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء

الخلق كتب فى كتاب) أى من صحف الملائكة والافأقضية الله قديمة أزلية (فهو) ضمير الشأن والخبر جملة ان مع اسمها وخبرها (عنده فوق العرش) ظرفان فى محل الحال حذف عاملها أى أعنيه حال كونه عنده عندية شرف ومكانة فوق العرش (ان رحمتى تغلب غضبى وفى رواية) أى لها (سبقت غضبى) قال المصنف قال العلماء غضب الله ورضاه يرجعان الى معنى الارادة فارادته الاثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضاه ورحمته ، وإرادته عقاب العاصى وخذلانه يسمى غضبا، وإرادته سبحانه صفة له قديمة يريد به جميع المراد قالوا والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثر منه اه (متفق عليه) رواه البخارى فى الرقاق ومسلم فى التوبة (وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء) قال الدمامينى فى تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح اعلم أنه يجوز عند المتكلمين فى تأويل ما لا يسوغ نسبته الى الله تعالى على حقيقته اللغوية وجهان ، أحدهما الحمل على الارادة فيكون من صفات الذات ، والآخر الحمل على فعل الاكرام فيكون من صفات الفعل كالرحمة فانها فى اللغة مشتقة من الرحم وحاصلها رقة طبيعية وميل جبلى وهذا مستحيل من البارى سبحانه ، فمنهم من يحملها على إرادة الخير ومنهم من يحملها على فعل الخير ثم بعد ذلك يتعين أحد التأولين فى بعض السياق لمانع يمنع من الآخر مثالها ههنا فيتعين تأويلها بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الاشعرى فيتسلط الخلق عليها ، ولا يصح تأويلها هنا بالارادة لانها من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالارادة فى قوله تعالى « لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» لانك لو حملتها على الفعل لكانت العصمة بعينها فيكون استثناء الشى من نفسه وكأنك قلت لا عاصم إلا العاصم فتكون الرحمة الارادة به والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات كأنه قيل لا يمتنع من المحذور الا من أراد الله له السلامة اه هذا وقد جاء فى رواية لمسلم « كل رحمة طباق ما بين

فأمسك عنده تسعةً وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشيةَ أن تصيبه » وفى رواية « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخّر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة »

السماء والأرض »(فأمسك عنده تسعة وتسعين) جزءاً فى رواية وأنه أخر عنده تسعة وتسعين رحمة(وأنزل فى الأرض جزءا)واحدا وفى رواية «وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة » (فمن ذلك الجزء) « من » يحتمل أن تكون تعليلية وأن تكون بمعنى الباء أو الابتداء أو التبعيض (يتراحم الخلائق) فى رواية « فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها» (حتى ترفع الدابة حافرها هو للفرس وللحمار بمنزلة الظلف من البقر والخف من الجمل (عن ولدها خشية) مفعول له (أن تصيبه) وخص ذو الحافر بالذكر قال ابن أبى جمرة لأنه أشد الحيوان المألوف الذى يرى المخاطبون حركته مع ولده ، ولما فى الفرس من الخفة والسرعة فى التنقل ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها الى والدها (وفى رواية) لهما من حديث أبى هريرة كما يقتضيه قول المصنف بعد « متفق »ولكن رأيته فى باب التوبة من مسلم ولم أره فى أبواب الأدب من البخارى (إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس) الظرف محتمل للحالية لوصف النكرة والوصفية لنكارتها (والبهائم) جمع بهيمة قال البيضاوى : والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات أربع قال القرطبى : سمى بهذا لأنه بهم عن أن يبين قال الراغب: البهيمة مالا نطق له من الحيوان ثم خص فى التعارف بما عد السباع والطير ثم استعملت فى الازواج الثمانية اذا كان فيها الابل وسمى بذلك لابهامه الأمر وكتمه (والهوام)بتشديد الميم جمع هامة وهى الحشرات وفى الفتح الهوام بتشديد الميم جمع هامة وهى مايدب من الاحناش (فبها) أى بتلك الرحمة (يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش) بفتح الواو وهو مالا يستأنس من دواب البر كذ افى المصباح وهو اسم جنس فلذا أعاد الضمير عليه مؤنثا فقال (على ولدها وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)ففيه ايماء الى مزيد الكرم وتقوية الرجاء فى فضل

متفق عليه . . ورواه مسلم أيضا من رواية سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : « إن لله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسع وتسعون ليوم القيامة » وفى رواية « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء الى الأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير

المولى سبحانه (متفق عليه) أخرجه البخارى بالرواية الأولى فى الأدب ومسلم بروايته فى التوبة (وفى رواية مسلم) فى باب التوبة (أيضا) انفرد بها عن البخارى وغيره (من رواية سلمان الفارسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى) دون غيره كما يؤذن به تقدم ماحقه التأخير وهو الخبر الظرف على الاسم وهو قوله (مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم) بمعنى المجرد والعدول الى التفاعل للمبالغة أى يرحم (بها الخلق بينهم ، وتسع) وفى نسخة مصححة من مسلم وتسعة بالتاء بالتاء آخره (وتسعون ليوم القيامة) يحتمل أن تكون الواو عاطفة ويكون تسع مبتدأ خبره محذوف تقديره منها ، دل عليه ذكره فى الجملة قبلها والظرف حال سوغه خصوص المبتدأ بتقديم خبره الظرف عليه ، ويحتمل ان يكون الظرف الخبر والأول أنسب بمقام التفصيل (وفى رواية) هى لمسلم فى باب التوبة أيضاً (ان الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة) أى مائة نوع من الأنعام والافضال كما تقدم الايماء عليه فى كلام البدر (كل رحمة طباق) بكسر الطاء المهملة قال فى النهاية أى غشاء (مابين السماء والأرض) أى ما يملأ ذلك لو كان جسما من كبره وعظمه (فجعل منها فى الأرض رحمة فبها) أى بسببها ويحتمل أن تكون للتبعيض كهى فى قوله تعالى « يشرب بها عباد الله » ويؤيده أنها تعود فى الآخرة وتكمل بها المائة فما ظهر فى الدنيا بعض ثمراتها والبعض الى الآخرة أى فببعضها (تعطف) بكسر الطاء (الوالدة على ولدها) قال فى المصباح : عطفت الناقة على ولدها عطفا من باب ضرب حنت عليه ودر لبنها اه (والوحش والطير) قال أبو عبيدة وقطرب : والطير يقع على الواحد والجمع ، وقال ابن الأنبارى : الطير جماعة وتأنيثها أكثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقل ما يقال للانسان (١) طائرة وفى المصباح أنه جمع طائر مثل صاحب وصحب وراكب وركب

---

(١) هكذا بالأصل ولعله للأنثى . ع

بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال « أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى ذنبى فقال الله تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال أى

وجمع الطير طيور وأطيار (بعضها) مبتدأ قوله (على بعض) أى يعطف وحذف مع كونه كونا الدلالة ماقبله عليه، ويجوز إعراب « بعضها » بدلا مما قبله بدل بعض من كل (فاذا كان) أى وجد (يوم القيامة) وأتى باذا الشرطية لتحقق الأمر (أكملها) أى التسعة والتسعين المدخرة عنده (الله بهذه الرحمة) قال المصنف : هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين قال العلماء لأنه إذا حصل للانسان من رحمة واحدة فى هذه الدار المبنية على الأكدار ، الاسلام والقرآن والصلاة والرحمة فى قلبه وغير ذلك مما أنعم الله به عليه فكيف الظن بمائة رحمة فى الدار الآخرة وهى دار القرار ودار الجزاء والله أعلم (وعنه) أى عن أبى هريرة لا عن سلمان كما قد يتوهم من كونه أقرب (عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه تعالى قال إذا أذنب) أى أثم (عبدى ذنباً فقال اللهم اغفر لى ذنبي) فى الاتيان بالفاء إيذان بوجوب المبادرة الى التوبة عقب المخالفة (فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى) إضافة تشريف هذا من كمال الكرم ومزيد الفضل أنه من فضله عليه بعفوه عنه أضافه اليه إضافة تشريف وتكريم (ذنبا فعلم أن له ربا) كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك فى نسخة مصححة من مسلم وفى أخرى منه باثباتها وهو فى صحيح البخارى بلفظ « فقال ربه : أعلم عبدى أن له ربا » وعلى هذا المعنى يحمل ماحذف منه الفاء والهمزة أى أعلم أن له ربا ؟ والاستفهام ليس على حقيقته ، ولا يجوز أن يكون مما حذف فيه العاطف لأنه لا يحذف إلا الواو فقط عند أمن اللبس (يغفر الذنوب جميعا) أى الكثيرة فما بالك بالذنب الواحد ! (ثم عاد) أى بعد التوبة منه اليه أو إلى ذنب آخر (فأذنب فقال أى) بفتح الهمزة المقصورة وحكى الكسائى أنها قد تمد أيضاً كما قاله المرادى قال : وحكى بعضهم أنه قد تمد إذا بعدت المسافة فيكون المد لها

رب اغفرلى ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن لهُ ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، قد غفرت لعبدى فليفعل ما شاء » متفق عليه ، وقوله تعالى ؛ فليفعل ماشاء ، أى مادام يفعل هكذا يُذنب ويتوب أغفر له فان التوبة

دليلا على البعد وسكون الياء حرف نداء قيل للتعدية وعليه فأتى بها لكونه كالبعيد من حيث أنه لايراه أحد سوى المصطفى صلى الله عليه وسلم من العباد فى الدنيا بالعين الشحمية وقيل إنها للقرب كالهمزة وعليه فالنداء بها لكونه أقرب الى كل من حبل الوريد ونادى ثانيا باى لما يومىء اليه العود الى الذنب من البعد وقلة الاهتمام بالديانة وعقب النداء بقوله (رب) بكسر الموحدة الدالة على الياء المضاف اليها المحذوفة ويحتمل أن يكون بفتحها دلالة على الألف المحذوفة المنقلبة اليها الياء تخفيفا ويحتمل أن يكون بضمها وهذه الوجوه الثلاث من جملة اللغات الست الجائزة فى المضاف للياء من مثله وكان النداء للفظ الرب توسلا الى التكميل والتخليص من نقص المخالفة فان الرب هو الذى يربى الشيء ويبلغه الى كماله (اغفرلى ذنبي فقال الله تبارك وتعالى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب) أى إن شاء الله فيه للجنس فيساوى لكونه مفردا محلى بأل الجنسية الذنوب فى العموم والشمول (ويأخذ) أى يعاقب (بالذنب) وأتى به مظهرا تقبيحاله وتنبيها على داعى الأخذ وهو المخالفة (ثم عاد فأذنب ذنبا فقال أى رب اغفرلى ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدى) أى لتوبته الصحيحة المشير اليها « قوله اللهم اغفرلى » أو بمحض الفضل وان لم يتب والأول أقرب وسيأتى فى كلام المصنف ما يقويه (فليفعل ماشاء) أى من الذنب المعقب بالتوبة الصحيحة ففيه أن التوبة الصحيحة لا يضر فيها نقض بالذنب ثانيا بل مضت على صحتها ويتوب من المعصية الثانية وهكذا (متفق عليه) والسياق لمسلم أخرجه فى التوبة وأخرجه البخارى بنحوه فى التوحيد (وقوله فليفعل ماشاء أى مادام يفعل هكذا) أى مدة دوامه يفعل ذلك « ما » فيه مصدرية ظرفية وهو ظرف لقوله اغفرله وقوله « هكذا » فيه إجمال بينه بقوله (يذنب ويتوب) أى فلا يتوهم منه إباحة المخالفة واكتساب الآثام (اغفرله) وبين حكمة ذلك بقوله (فان التوبة)

تهدم ماقبلها . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفِرُ لهم » رواه مسلم * وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يُذنبون فيستغفرون فيَغفِر لهم » رواه مسلم * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « كنا قُعودا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم معنا

الصحيحة الجامعة لشروطها ومعتبراتها (تهدم) بكسر الدال المهملة أى تسقط (ما قبلها) أى من الذنب . (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) أى بقدرته والقسم أتى به لتأكيد المقام وتقويته عند السامع (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله) أى عقب الذنب فورا (فيغفر لهم رواه مسلم * وعن أبى أيوب الأنصارى) واسمه زيد بن خالد وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب بر الوالدين وصلة الأرحام قال حين حضرته الوفاة كنت كتمت عنكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم رواه مسلم) وأحمد والترمذى كما فى الجامع الصغير ورواه مسلم أيضا بلفظ «لو أنكم لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لكم لجاء الله بقوم لهم ذنوب يغفرها لهم » وبهذا اللفظ أورده الصغانى فى المشارق ورمز بالقاف التى هى للمتفق عليه وقد رواه أحمد عن ابن عباس بلفظ لولم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون ليغفر لهم قال ابن ملك : ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب بل كان صدوره لتسلية الصحابة وإزالة شدة الخوف عن صدورهم لأن الخوف كان غالبا عليهم حتى فر بعضهم الى رؤس الجبال للعبادة وبعضهم اعتزل النساء وبعضهم النوم وفى الحديث تنبيه على رجاء مغفرة الله تعالى وتحقق أن ما سبق فى علمه كائن لأنه سبق فى علمه تعالى انه يغفر للعاصى فلو قدر عدم عاص لخلق الله من يعصيه فيغفر له » (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا قعوداً) بضم أوله جمع قاعد (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا) بفتح العين من مع فيها على الظرفية ، هذه هى اللغة المشهورة ويجوز تسكينها فى لغة حكاها صاحب المحكم والجوهرى وغيرهما وهى للمصاحبة قال

أبو بكر وعمرُ فى نفر فقام رسول الله صلى الله عليه من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا ففزعنا فقمنا فكنت أول من فَزِع فخرجت أبتغى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم » حتى أتيتُ حائطاً للانصار وذكر الحديث بطوله إلى قوله « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذْهب فمن لَقِيتَ وراء هذا الحائط يشهدُ أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة »

صاحب المحكم مع اسم معناه الصحبة (أبو بكر وعمر فى نفر) بفتح أوليه جمع الرجال من الثلاثة الى التسعة وقيل الى السبعة (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا) أى من بيننا باقحام المضاف وزيد لظهور كونه بينهم (فابطأ علينا) أى تأخر مجيئه عنا كما فى المصباح (وخشينا أن يقتطع) بالبناء للمفعول أى يؤخذ (دوننا) ولعل ذلك كان قبل نزول قوله تعالى «والله يعصمك من الناس» أوبعده وخافوا أن يصيبه من الضرر ما دون القتل (ففزعنا) بكسر الزاى الفزع يأتى بمعنى الروع ويأتى بمعنى الهبوب للشىء والاهتمام به وبمعنى الاغاثة قال القاضى عياض فتصح هذه المعانى الثلاثة أى ذعرنا باختباسه صلى الله عليه وسلم عنا ألا تراه كيف قال وخشينا أن يقتطع دوننا ويدل على الوجهين الأخيرين قوله أى خفنا أى حصل لنا خوف وحذف المعمول لأن القصد حصول الفعل دون تعلقه بمعمول (فقمنا فكنت أول من فزع أى) خاف (فخرجت أبتغى) اطلب (رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائط الأنصار) حتى فيه للغاية لمقدر تقديره فسرت، والحائط البستان وجمعه حوائط قال المصنف : سمى حائطا لأنه لاسقف له (وذكر الحديث بطوله) أى مما لايتعلق غرض الترجمة به فلذلك حذفه ويؤخذ منه كما تقدم التنبيه عليه جواز تقطيع الحديث إذا كان لا تعلق للمأتى به بالمحذوف بأن لا يكون غاية ولا استثناء ولا نحو ذلك (الى قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مخاطبا لأبى هريرة (اذهب فمن لقيته) بكسر القاف (وراء هذا الحائط) أى البستان (يشهد أن لاإله إلاالله) أى مع قرينتها التى لا يعتد بها إلا معها وهى محمد رسول الله كما تقدم نظيره (مستيقنا بها قلبه) أى موقنا بها قلبه والسين فيها للمبالغة لأن كثرة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا وخرج بها المنافق (فبشره بالجنة) إما ابتداء ان مات عقب الاسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الاسلام بمدة ولم يفعل معصية أوفعلها وكانت

رواه مسلم * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى ابراهيم صلى الله عليه وسلم « ربِّ إنَّهنَّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فانهُ منى — الآية » وقالَ عيسى صلى الله عليه وسلم « إن تعذبهم فانهمْ عبادُك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » فرفع يديه وقال اللهم أمتى أمتى

صغائر وله حسنات لم تغلب عليها المعاصى أو كانت كبائر فتاب منها أو بعد إدخال النار مدة إن مات على صغائر زائدة على حسناته أو على كبيرة ولم يتب منها ويجوز أن يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء قال تعالى « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وحذف المصنف ما أشار به عمر من ترك هذا التبشير مخافة مما يترتب عليه من ترك صالح العمل المقتضى لفوات المراتب العلية فى الجنة فوافقه صلى الله عليه وسلم على ذلك لعدم تعلق غرض الترجمة به (رواه مسلم وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا) أى قرأ (قول الله تعالى فى قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب) أى يارب بكسر الموحدة وحذف حرف النداء لمزيد الشهرة المستغنى به عن النداء الكائن للبعيد عادة (إنهن) يعنى الأصنام (أضللن) أى أوقعن فى الضلال (كثيرا من الناس) وإسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله « وغرتهم الحياة الدنيا » (فمن تبعنى) على دينى (فانه منى) أى بعضى لاينفك عنى فى أمر الدين (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة ، قال البيضاوى : وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك الا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره اه وهذا مذهب الاشعرى وذهب الماتريدى الى استحالة ذلك عقلا وعدم امكانه أصلا قال لان ذنبه لقبحه منع من جواز العفو (وقال) مصدر معطوف على قول الله تعالى قال القاضى عياض قال هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كأنه قال وتلا (عيسى صلى الله عليه وسلم إن تعذبهم فانهم عبادك) أحقاء بالتعذيب لانك المالك المتصرف (وان تغفر لهم) أى للمؤمنين منهم (فانك أنت العزيز الحكيم) تاخيصه ، إن تعذب فعدل وان تغفر ففضل .(فرفع) صلى الله عليه وسلم (يديه وقال اللهم أمتى أمتى) أى ارحمهم أو الحظهم أو نحو ذلك فهو مفعول به بعامل محذوف ويجوز أن يكون مبتدأ أى

وبكى فقال الله عز وجل ياجبريل اذهب إلى محمد — وربك أعلم — فاسأله مايبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله تعالى ياجبريل اذهب إلى محمد فقُل انا سنرضيك فى أمتك ولا نَسُوءُكَ »رواه مسلم * وعَن معاذبن جبلٍ رضى الله عنه قال: « كنتُ رِدْفَ

أمتى عبادك فنعمتك فيهم فضل وعقابك عدل (وبكى) خضوعا لله وتذللا له (فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد) وقوله (وربك أعلم) جملة معترضة أتى بها لدفع توهم ان الاستفهام منه تعالى على حقيقته وهو استكشاف ما يجهله المستفهم بل علمه تعالى محيط بجميع المعلومات قبل وجودها فيه وفيه وبعد انقضائها وقوله (فسله مايبكيك) معطوف على جملة اذهب وهو هكذا فى الاصول «سله» بحذف همزة الوصل والهمزة عين الفعل ، والاصل اسأله فنقلت حركة الهمزة الى السين فحذفت همزة الوصل لعدم الحاجة اليها والهمزة المنقول حركتها لالتقاء الساكنين والاستفهام معلق للسؤال عن الجملة بعده (فأتاه جبريل) اظهاراً لشرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه بالمحل الاعلى عند مولاه فيسترضى ويكرم بما يرضيه (فأخبره صلى الله عليه وسلم بما قال) أى من قوله أمتى أمتى (وهو) أى الله (أعلم) أى بما قال نبيه صلى الله عليه وسلم (فقال الله تعالى ياجبريل اذهب الى محمد فقل إنا سنرضيك فى أمتك) هو موافق لقوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » (ولانسوءك) قال صاحب التحرير : هو تأكيد للمعنى أى لا نخزيك لأن الارضاء قد يحصل فى حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقى النار فقال تعالى نرضيك ولا ندخل عليك خزيا بل ننجى الجميع (رواه مسلم) قال المصنف فى الحديث أنواع من الفوائد ، منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم ، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله شرفا بقوله سنرضيك فى أمتك وهذا من أرجى الاحاديث لهذه الامة ، ومنها بيان عظمة النبى صلى الله عليه وسلم (وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت ردف) بكسر الراء وسكون الدال المهملة هذه الرواية المشهورة وهى التى ضبطها معظم الرواة وحكى القاضى

النبي صلى الله عليه وسلم عَلَى حمارٍ فقالَ يَامُعَاذُ أتدرى ماحق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قُلت الله ورَسوله أعلم ، قال فانَّ حق الله على العبادِ أن يعبدوه وَلا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لايعذِّب من لايشرك به شيئا فقلت يارسول الله أفلا أبشر الناس قال لاتبشرهم فيتكلوا »

عياض أن أبا على الطبرى الفقيه الشافعى أحد رواة الكتاب ضبطه بفتح الراء وكسر الدال قال والرديف هو الراكب خلف الراكب يقال منه ردفته أردفه بكسر الدال فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا ركبت خلفه قال القاضى عياض ولا وجه لرواية الطبرى الا أن يكون فعل هذا باسم فاعل مثل عجل ان صحت روايه الطبرى اه(النبي صلى الله عليه وسلم على حمار) جاءفى رواية أخرى لمسلم على حمار يقال له عفير بضم المهملة وفتح الفاء وسكون التحتية قال المصنف وهو يقتضى أن يكون فى مرة غير المرة المتقدمة فى الحديث السابق فان الرجل يخص البعير قال ويحتمل أن يكونا قصة واحدة « قات » وتجوز بالرحل عما يرحل عليه على مطلق الدابة والله أعلم (فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله) قال صاحب التحرير : اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لامحالة والله سبحانه هو الحق الموجود الأزلى الباقى الابدى والموت والجنة والنار حق أى إنها واقعة لا محالة فحق الله على العباد مايستحقه عليهم وحقهم عليه معناه محقق لا محالة اه ملخصاً وقال غيره قول الرجل حقك واجب على : أى متأكد قيامى به قاله المصنف (قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على العباد) أى واجبه الثابت عليهم (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) من المعبودات (وحق العباد) بالنصب عطفا على ما قبله ويجوز الرفع على الابتداء والواو عاطفة للجملة أو مستأنفة (على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) أى وإدخال بعض عصاة المؤمنين النار ليس من العذاب لأن العذاب فيما قال بعضهم : الالم مع الاهانة والاذلال والله تعالى إذا أدخل المؤمن النار فهو لتطهيره حتى يتأهل لمنازل الاخيار (فقلت يارسول الله أفلا أبشر الناس ؟) أى أسكت عن نشر ذلك فلا أبشر الناس (قال لاتبشرهم فيتكلوا) رجح صلى الله عليه وسلم مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحث على الاكثار من صالح

متفق عليه * وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الكافر إذا عمل حسنةً أطعم بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فان الله يدّخرُ له حسناته فى الآخرة و يعقبه رزقاً فى الدنيا على طاعته » وفى رواية « ان الله لا يظلم

العمل على التبليغ لما قد يؤدى اليه من التعطيل (متفق عليه) رواه البخارى فى التوحيد ومسلم فى الايمان (وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال المسلم) الحقيقى (اذا سئل فى القبر) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به وهما الملكان الموكلان بذلك منكر ونكير والمسئول عنه للعلم به أى سئل عن ربه ونبيه (يشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم (متفق عليه) رواه البخارى فى التفسير ومسلم فى صفة النار ورواه النسائى فى الجنائز (وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الكافر) بأى نوع من أنواع الكفر (إذا عمل حسنة) أى طاعة لا تتوقف على نية كاعتاق وتصدق واطعام محتاج أما المتوقفة عليه كالصيام والصلاة فلا تصح منه لفقد شرط النية المتوقفة عليه من الاسلام وإنما حكم بصحة غسل الكتابية من نحو الحيض لخلت لحليها للضرورة ، ولذا تجب إعادته اذا أسلمت (أطعم) بالبناء للمجهول (بها طعمة) بضم الطاء وسكون العين المهملتين وهو الرزق وجمعه طعم كغرفة وغرف قاله فى المصباح (من الدنيا) فى محل الصفة لطعمة فيكون ذلك حظه من عمله الذى جاء به (وأما المؤمن) ظاهره وان كان فاسقا ويحتمل تخصيصه بكامل الايمان (فان الله يدخر له حسناته فى الآخرة) أى ثوابها الى الآخرة وقد يجزى بها مع ذلك فى الدنيا أيضا كما قال (ويعقبه) بضم التحتية أى يعطيه مع ذلك (رزقا فى الدنيا على طاعته) ولا مانع من جزائه بها فيهما وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده قاله المصنف (وفى رواية) هى لمسلم أيضا (ان الله لا يظلم

مؤمناً حسنةَ يُعطى بها فى الدنيا ويُجزَى بها فى الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ماعمل لله تعالى فى الدنيا ، حتى إذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » رواه مسلم * وعن جابر رضى الله عنه قال — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَثَلُ الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات » رواه مسلم

مؤمنا حسنة) أى لا يترك مجازاته بشىء من حسناته والظلم يطلق بمعنى النقص وحقيقة الظلم محالة فى حقه تعالى (يعطى) بالبناء للمفعول (بها فى الدنيا) أحد الظرفين نائب الفاعل والآخر فى محل الحال (ويجزى بها) أى ثوابا مع ذلك (فى الآخرة) وجملة يعطى الخ استئنافية جواب ما يقال ماذا يكون له بها (وأما الكافر فيطعم) بالبناء للمفعول أى يرزق (بحسنات ما عمل بها) الباء الأولى للسببية والثانية للبدل أى بدلها وقوله (لله) فى محل الحال من فاعل عمل ، وفيه تنبيه على أن جزاء الكافر على عمله بالحسنة الدنيوية إنما هى فيما إذا كان العمل الصالح لله لا لرياء أو سمعة ، وفيه إيماء الى احباطهما ثواب العمل وصفة الثواب دنيا وأخرى (حتى إذا أفضى) أى صار (الى الآخرة) أى وقد مات على كفره (لم يكن له حسنة يجزى بها) أما إذا أسلم الكافر على مثل هذه الحسنات فيثاب عليها فى الآخرة على المذهب الصحيح (رواه مسلم) فى آخر أبواب صفة الجنة والنار * (وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل) بفتح أوله وثانيه تقدم معناه (الصلوات الخمس كمثل) الكاف زائدة (نهر) بسكون الهاء ويجوز فتحها وهما لغتان فى كل ما كان هكذا وعينه حرف حلق كشعر ونحر (جار) جاء فى رواية عند أحمد بزيادة « عذب » قال فى النهاية : الماء العذب هو الطيب الذى لا ملوحة فيه (غمر) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم أى يغمر من دخله ويغلبه (على باب أحد) أشار به الى سهولته وقرب تناوله (يغتسل منه كل يوم خمس مرات) زاد فى رواية أحمد فما يبقى ذلك من الدنس وما فيه استفهامية والدنس الوسخ أى كما أن الغسل المكرر كذلك يذهب الدنس الحسى كذلك الصلوات الخمس مذهبة للدنس المعنوى (رواه مسلم) فى كتاب الصلاة

(الغمر : الكثير) * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لايشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه » رواه مسلم * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبّة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة ؟ قلنا نعم ، قال أترضون أن تكونوا ثلُث أهل الجنة ؟ قلنا نعم ، قال والذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة »

والامام احمد فى مسنده بزيادة نبهت عليها (الغمر الكثير) كما فى النهاية * (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن) زائدة لتأكيد العموم المستفاد من (رجل مسلم) لكونه نكرة فى سياق النفى وذكره لشرفه وإلا فالمرأة كذلك فى ذلك (يموت فيقوم) بالرفع عطفا على يموت ويجوز النصب لأنه فى جواب النفى (على جنازته أربعون رجلا) أى يصلون عليه (لا يشركون بالله شيئاً) من الاشراك (إلا شفعهم الله فيه) أى بأن يغفر له ولا ينافيه حديث الطبرانى وأبى نعيم فى الحلية عن ابن عمر مرفوعا «مامن رجل يصلى عليه مائة إلا غفر له » إما لأن العدد لا مفهوم له وعلى الاعتداد بمفهومه فما فى الصحيح مقدم على غيره وإن جمع فيحمل ما عند الطبرانى على أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بما فيه فأخبر به ثم تفضل الله على عباده بحصول ذلك العدد المذكور فى الصحيح فأخبر به ﷺ ثانيا (رواه مسلم) فى الجنائز (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى قبة) بضم القاف وتشديد الموحدة من الخيام بيت صغير مستدير وهو من بيوت العرب قاله فى النهاية (نحوا من أربعين) يجوز أن يكون « نحوا » حالا والظرف قبله خبر كان ويجوز عكسه (فقال أترضون أن تكونوا ربع) بضم أوليه وكذا ثلث (أهل الجنة ؟ قلنا نعم قال) أى بعد أن أخبر بثبوت ذلك (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده) أتى بالقسم وباسمه صلى الله عليه وسلم مظهرا تأكيدا للامر وتفخيما له (إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) قال العلماء

وذلك أن الجنة لايدخلها إلانفس مسلمة» «وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر » متفق عليه * وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يومُ القيامة دفع الله إلى كل مسلم

كل رجاء جاء عن الله تعالى أو عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو كائن البتة وانما أتى فيه بصيغة الرجاء دون صيغة الجزم على عادة الملوك فى وعد ما يقطعون بفعله يقولون عسى تعطى ذلك وهم جازمون قال القرطبي وهذه الطماعية قد حققت له بقوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وبقوله «إناسنرضيك فى أمتك» كما تقدم لكن عللوا هذه البشرى بالطمع أدباً مع الحضرة الالهية ، ووقوفا مع أحكام العبودية ، قال المصنف والحكمة فى قوله « ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر » ولم يقل أولا شطر أهل الجنة أن ذلك أوقع فى نفوسهم وأبلغ فى إكرامهم فان إعطاء الانسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وأن ذلك فيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه حملهم على تحديد شكره تعالى وحمده على كثرة نعمه قال المصنف وقد جاء فى الحديث الآخر « إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا » فهذا دليل على انهم يكونون ثلثى أهل الجنة ولا يشكل ذلك على حديث الباب بل يكون صلى الله عليه وسلم اخبر بما فى حديث الباب أولا ثم زاده الله فى العطاء فأخبر به بعد ، وله نظائر كحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين وفى رواية سبع وعشرين » ثم بين وجه ذلك بقوله (وذلك) أى التبشير المشار اليه (أن الجنة) أى لان الجنة (لايدخلها الانفس مسلمة) هذا نص صريح فى أن من مات على الكفر لايدخل الجنة أصلا وهذا النص على عمومه باجماع المسلمين (وما أنتم فى أهل الشرك) من سائر الامم ومنهم يأجوج ومأجوج (الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو) شك من الراوى (كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر) يعنى الابيض (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم فى الايمان ورواه الترمذى وابن ماجه فى الجنة (وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان) أى وجد (يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم

يهوديا أو نصرانيا فيقال هذا فكاكك من النار » وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم » رواه مسلم (قوله) دفع إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقال هذا فكاكك من النار ، معناه ماجاء فى حديث أبى هريرة « لكل أحد منزل فى الجنة ومنزل فى

يهوديا أو نصرانيا) يحتمل ان يقال انهما مقيدان لمطلق الكافر الوارد فى رواية أخرى لمسلم عن أبى موسى مرفوعا « اذا كان يوم القيامة أعطى كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار » ويحتمل أن لايقيد بل هو من ذكر بعض الافراد وهى لاتقيد (فيقول) أى الله عز وجل (هذا فكاكك من النار) وعند مسلم فى الحديث الذى ذكرناه عنه هذا فداؤك من النار « قال المصنف » الفكاك بفتح الفاء وكسرها والفتح أفصح وأشهر وهو الخلاص والفداء وفى (رواية) هى لمسلم أيضا (عنه) أى عن ابى موسى (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) أى عظيمة كما يؤخذ من قوله (أمثال الجبال يغفرها الله لهم) اقتصر المصنف على هذا القدر من الحديث لحصول غرض الترجمة وهى الرجاء به وتتمته « ويضعها على اليهود والنصارى » فهو بمعنى الحديث الذى قبله قال المصنف ومعناه ان الله يغفر ذنوب المسلمين بفضله ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بعملهم ، وهذا التأويل لا بد منه لقوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » فقوله يضعها مجاز أى يضع مثلها عليهم بذنوبهم لكن لما أسقط تعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم صار وافى معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الاثم الباقى وهو آثامهم ، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فيسقط عن المسلمين بعفو الله ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها (رواه مسلم . قوله دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أونصرانيا) ليس هو على ظاهره من وضع أعمال المؤمنين على الكافرين لأن الله تعالى يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » لكن (معناه ما جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه لكل أحد) أى سواء كان مسلماً أو كافراً (منزل من الجنة ومنزل من

النار فالمؤمنُ إذا دخل الجنة خلفهُ الكافر فى النار » لأنه مستحق لذلك بكفره ومعنى فكاكك أنك كنت معرّضا لدخول النار وهذا فكاكك ، لأن الله تعالى قدر للنار عدد يملؤها فاذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم صاروا فى معنى الفكاك للمسلمين والله أعلم * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول يدنى المؤمنُ يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كَنَفه فيقرّره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول رب أعرف ، قال فانى قد سترتُها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته » متفق عليه

النار فالمؤمن إذا دخل الجنة) أى منزله فيها (خلفه الكافر فى النار لأنه مستحق لذلك) أى دخول النار (بكفره ومعنى فكاكك) من النار (انك كنت معرضاً لدخول النار) أى لو كنت خذلت (وهذا فكاكك) أى بمنزلته صورة (لأن الله تعالى قدر للنار عددا يملؤها فاذا دخلها الكافرون بذنوبهم وكفرهم صاروا فى معنى الفكاك للمسلمين) من حيث إن بهم تم عدد أهل النار فأمنها المسلمون ، قال المصنف قال عمر بن عبد العزيز والشافعى : هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء ولله الحمد اه * (وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى) بالبناء للمفعول أى يقرب (المؤمن يوم القيامة من ربه) قرب مكانة لا قرب مكان قال المصنف هو دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة والله تعالى منزه عن المسافة (حتى يضع عليه كنفه) بفتح الكاف والنون أى ستره (فيقرره بذنوبه) ويسترها عن سائر أهل المحشر (فيقول ألا تعرف ذنب كذا) تقدم أنه من ألفاظ الكنايات ويكنى به عن المجهول وما لا يراد التصريح به (فيقول رب أعرف ، قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا) بأن لم يطلع عليها أحد من الناس ، ويحتمل سترها حتى عن الملكين مبالغة فى الستر (وأنا أغفرها لك اليوم) عطف على الجملة المحكية بالقول (فيعطى صحيفة) أي كتاب (حسناته متفق عليه)

(كنفه) ستره ورحمته . وعن ابن مسعود رضى الله عنه (أن رجلا أصاب من امرأة قُبْلَةً فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى « أقم الصلاة طرفى النهار وزُلفا من الليل إن الحسنات يُذهبن السيئات »

أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم في صفة الجنة والنار (كنفه) بفتح أوليه كما تقدم (ستره ورحمته) قال فى شرح مسلم ستره وغفره اه فالرحمة هنا مجاز عن الاحسان (وعن) عبد الله (بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا) عند ابن أبى خيثمة زيادة من الأنصار يقال له معتب وقد جاء اسمه كعب بن عمرو وهو أبو اليسر بفتح التحتية والسين المهملة الأنصارى أخرجه الترمذى والنسائى والبزار عن أبى اليسر بن عمرو نفسه وذكر بعض الشراح أن اسمه نبهان التمار وقيل عمرو بن غزية وقيل عامر بن قيس وقيل عباد قال الحافظ بعد ذكر قصتى نبهان وعمرو ومن أخرجهما فان ثبت حمل أيضاً على التعدد قال الحافظ العسقلانى : وظن الزمخشرى أن عمرو بن غزية اسم أبى اليسر فجزم به فوهم وعباد اسم جد أبى اليسر فلعله نسب ثم سقط شيء وأقوى الجميع أنه أبو اليسر اه ملخصاً (أصاب من امرأة قبلة) أخرج قصته الترمذى ومن معه عنه قال « أتته امرأة وزوجها قد بعثه صلى الله عليه وسلم فى بعث فقالت له بعنى تمراً بدراهم قال وأعجبتنى فقلت لها إن فى البيت تمراً أطيب من هذا فانطلق بها معه فغمزها وقبلها ثم فزع حتى قالت له اتق الله ، فخرج فلقى أبا بكر فقال تب ولا تعد ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم » الحديث (فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى أقم الصلاة) كذا هو بحذف الواو فى الصحيحين والتلاوة باثباتها (طرفى النهار) أى غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لأنه مضاف اليه (وزلفا من الليل) أى ساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه إذا قربه وهو جمع زلفة ، قال المصنف ويدخل فى صلوات طرفى النهار الصبح والظهر والعصر وفى « زلفا من الليل » المغرب والعشاء وقرىء زلفا بضمتين وبضمة فسكون كبسر باللغتين فى بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (إن الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفى الحديث « إن الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر » قال الامام الرازى : وفى تفسير الحسنات قولان قال ابن عباس معناه الصلوات الخمس مكفرة سائر

فقال الرجل ألى هذا يارسول الله ؟ قال لجميع أمتى كلّهم) متفق عليه . وعن أنس رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبتُ حدا فأقمه على ، وحضرتِ الصلاةُ فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة قال يارسول الله إنى أصبتُ حدا فأقم فىَّ كتابَ الله ، قال هل حضرت معنا الصلاة ؟ قال نعم ، قال قد غُفر لك » متفق عليه

الذنوب إذا اجتنبت الكبائر ، وقال مجاهد الحسنات قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وقد حكاهما المصنف فى شرح مسلم (فقال الرجل ألى هذا يا رسول الله) يعنى خاص بى أى إن صلاتى تذهب معصيتى ، وظاهر هذا أن القائل هو السائل وعند أحمد والطبرانى من حديث ابن عباس « فقال يا رسول الله ألى خاصة أم للناس عامة ، فضرب عمر بصدره فقال لا ونعمة عين بل للناس عامة ، فقال صلى الله عليه وسلم صدق عمر » وهذا من اجتهاد عمر الموافق للصواب لكن جاء عند مسلم فى رواية « فقال معاذ يارسول الله أله وحده أم للناس » ووقع مثله عند الدارقطنى قال الحافظ : ويحمل على تعدد السائلين وقوله « ألى » بفتح الهمزة استفهام والظرف بعده خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر ، وقدم عليه خبره لافادة التخصيص (قال لجميع أمتى كلهم) والمكفر بالحسنات صغائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى كما قاله المصنف (متفق عليه) أخرجه البخارى فى التفسير ومسلم فى التوبة (وعن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل) قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى هو أبو اليسر (إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصبت حداً) أى مقتضيه والمراد من الحد ما فيه التعزير ، أو توهم أن فيه حداً مخصوصاً (فأقمه على وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة) أى أتمها معه صلى الله عليه وسلم (قال يا رسول الله إنى أصبت حداً فأقم فى كتاب الله قال حضرت معنا الصلاة قال نعم قد غفر لك) قال المصنف هذا المقتضى للحد فى كلامه معناه معصية من المعاصى الموجبة للتعزير وهى هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غيره موجبة له لما كفرتها الصلاة فقد أجمع العلماء على أن المعاصى الموجبة للحد لا يسقط الحد بالصلاة وهو معنى

(وقوله) أصبت حدا معناه معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعى الحقيقى كحد الزنى والخمر وغيرهما فان هذه الحدود لاتسقط بالصلاة ولا يجوز للامام تركها . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمدُه عليها » رواه مسلم (الأكلة) بفتح الهمزة وهى المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة والله أعلم * وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى

قول المصنف هنا (قوله أصبت حداً معناه معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعى الحقيقى كحد الزنا والخمر وغيرهما فان هذه الحدود لا تسقط بالصلاة) أى بعد تعيينها كما يعلم من الوجه الآتى (ولا يجوز للامام تركها) قال المصنف فى شرح مسلم وهذا هو الصحيح فى تفسير هذا الحديث وحكى القاضى عن بعضهم أن المراد به الحد المعروف قال وانما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحد ولم يستفسره صلى الله عليه وسلم عنه إيثارا للستر بل استحب تلقين الرجوع عن الاقرار بموجب الحد صريحا (متفق عليه) أخرجه البخارى فى المحاربين ومسلم فى التوبة (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليرضى) المراد منه فى حقه تعالى غايته من القبول أو ارادته (عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها) يحتمل أن يكون قبل أن لام التعليل أى لأجل أو بسبب أكله ويحتمل أن يكون أن ومدخولها بدلا من العبد بدل اشتمال والمرضى منه هو الحمد على الأكل والشرب ويحمد روى بالرفع والنصب قال بعض شراح الشمائل والظاهر من حيث العربية الأول ، أى يرضى أكله المسبب للحمد مع أن نفعه لنفسه فكيف بالحمد على ما لا نفع له فيه بوجه (أو يشرب الشربة فيحمده عليها) يعنى يرضى لاحدهذين الفعلين أيا كان وليس هو بشك من الراوى خلافا لزاعمه ، وفى الحديث حصول أصل سنة الحمد بأى لفظ اشتق من مادة ح م د بل بما يدل على الثناء على الله تعالى (رواه مسلم) فى باب الحمد ورواه أحمد والترمذى فى جامعه وشمائله والنسائى كلهم من حديث أنس (الاكلة بفتح الهمزة وهى المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء) وبضمها إسم للقمة قال بعض شراح الشمائل ويرجحه ملاءمته للشربة « قلت » بل هو ملائم للفتح (والله أعلم وعن أبى موسى) وهو الاشعرى (رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى يبسُط يدَه بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسُط يده بالنهار ليتوبَ مسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »رواه مسلم * وعن أبى نجيح عمرو بن عَبَسة (بفتح العين والباء) السُّلمى رضى عنه قال « كنت وأنا فى الجاهلية

صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط) بضم السين (يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل) قال المصنف معناه يقبل التوبة من التائبين نهارا وليلا (حتى تطلع الشمس من مغربها) ولا يختص به قبولها بوقت وبسط اليد استعارة فى قبول التوبة قال المازرى المراد به قبول التوبة وانما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب اذا رضى أحدهم الشىء بسط يده لقبوله واذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر يفهمونه وهو مجاز فان اليد بمعنى الجارحة محال عليه تعالى (رواه مسلم) فى باب التوبة وكذا أحمد (وعن أبى نجيح) ضبطه صاحب المغنى بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية بعدها حاء مهملة وقيل كنيته أبو شعيب (عمرو ابن عبسة بفتح العين) المهملة (والباء) الموحدة ثم سين مهملة على وزن عدسة قال المصنف فى التهذيب هذا الضبط لاخلاف فيه بين أهل الحديث والأسماء والتواريخ والسير والمؤتلف وغيرهم من أهل الفنون ورأيت جماعة ممن ضبط ألفاظ المهذب يزيد فيه نونا وهو غلط فاحش ومنكر ظاهر نبهت عليه لئلا يغتر به وعبسة هو ابن عامر بن خالد بن عاصرة بن عتاب ويقال ابن غفار بن امرىء القيس بن بهثة بموحدة مضمومة ثم هاء ساكنة ثم مثلثة ابن سليم بن منصور ابن عكرمة بن خفصة بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة ابن قيس عيلان بالمهملة ابن مضر بن نزار (السلمى) الصحابى الصالح أسلم عمرو (رضى الله عنه) رابع أربعة وحديث هجرته هو الحديث المذكور وقدم المدينة بعد الخندق فسكنها ثم نزل الشام ، روى له عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا روى مسلم منها الحديث المذكور ، روى عنه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو أمامة وسهل بن سعد وجماعة من التابعين ، سكن حمص وتوفى بها اه ملخصا (قال كنت وأنا فى الجاهلية هى ما قبل الاسلام سموا به لكثرة جهالاتهم والجملة حال

أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فاذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جُرَآء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت ؟ قال أنا نبي ، فقلت وما نبي ؟ قال أرسلني الله فقلت بأي شيء

من اسم كان وخبر كان جملة (أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء) ينفعهم عند الله تعالى (وهم يعبدون الأوثان) جملة حالية من اسم ليس والأوثان جمع وثن قيل هو والصنم بمعنى وعليه اقتصر المصباح في مادة وثن وزاد في مادة صنم قوله وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية والوثن المتخذ من حجر أو خشب وقال ابن فارس : الصنم مايتخذ من خشب أو نحاس أو فضة اه (فسمعت برجل بمكة) الباء الثانية ظرفية (يخبر أخبارا) بفتح الهمزة أي أخبارا عجيبة الشأن عظيمة الموقع فالتنوين فيه للتعظيم (فقعدت على راحلتي) أي ركبت عليها مسافرا (فقدمت) بكسر الدال (عليه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا) حال من ضمير خبر المبتدأ المحذوف تقديره كائن أي هو حال كونه مستخفيا أي مستترا من الكفار الاشرار (جرآء) بضم الجيم وتشديد الراء (١) بعدها همزة ممدودة جمع جريء من الجرأة وهي الاقدام والتسلط وسيأتي فيه بسط عند ذكر المصنف الاختلاف في ضبطه وهو حال مترادفة أو متداخلة وقوله (عليه قومه) الظرف متعلق به وقومه فاعله لأنه وصف اعتمد على ذي الحال (فتلطفت) أي ترفقت في الأمر مع قرشي (حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت) قال البيضاوي كما تقدم نقله عنه « ما » يسأل به عن كل شيء مالم يعرف فاذا عرف خص العاقل اذا سئل عن تعيينه وإن سئل عن وصفه قيل مازيد فقيه أم طبيب اه ولما كان مسئول عمرو عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنت ؟ ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم له (قال أنا نبي) وكذا قال المصنف في شرح مسلم قال ماولم يقل من لانه سأله عن صفته لاعن ذاته ومالصفات من يعقل اه (فقلت ومانبي) أي ماحقيقة النبي المميزة له عن سواه (قال أرسلني الله) أي أرسل الله إياي (قلت بأي شيء أرسلك) لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بحذف معمول ارسل ، استفهمه

---

(١) قوله وتشديد الراء صوابه « فتح الراء » . ع

أرسلك ، قال أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحَّدَ اللهُ لا يُشرك به شيء قلت فمن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضى الله عنهما فقلت إنى متبعك ، قال إنك لن تستطيع ذلك يومَك هذا ، ألا ترى حالى وحالَ الناس ، ولكن ارجع إلى اهلك فاذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى قال فذهبت إلى أهلى وقَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ

عمرو عنه وسأل بيانه (فقال أرسلنى بصلة الارحام ، وكسر الاوثان ، وأن يوحد الله) بالمضارع المبنى للمفعول وكذا فى قوله (لا يشرك) بالرفع ونائب فاعله شيء من قوله (به شيء) قال المصنف هذا فيه دلالة ظاهرة على الحث على صلة الارحام لأن الله تعالى قرنها بالتوحيد ولم يذكر له جزئيات الامور وانما ذكر مهمها وبدأ بالصلة « فان قلت » ما الحكمة فى أنه أتى بالمصدر فى الأولين وبأن والفعل فى الثالث « قلت » الاشارة إلى تجديد ذلك الثالث كل آن ذكرا بقول لا إله إلا الله فقد ورد الامر بالاكثار منها مع ما فيه من التفنن لجمع التعبير المورث للكلام نظرية وتحسينا (قلت فمن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ومعه يومئذ) المراد باليوم فيه مطلق الحين أى حينئذ (أبو بكر وبلال رضى الله عنهما) وكان الاقتصار عليهما مع تقدم إسلام خديجة على إسلامهما إذ هى أول الناس إسلاما وإسلام على أيضا قيل إنه أسلم قبل الصديق وإن كان الراجح خلافه لأنهما كاملان فى الرجولية والبلوغ فقد كان على حينئذ صبيا (فقلت انى متبعك) أى على إظهار الاسلام هنا واقامتى معك (قال انك لا تستطيع ذلك يومك هذا) أى فى هذا الزمن الحاضر وذلك لضعف شوكة الاسلام فيخاف عليك من أذى كفار قريش (ولكن ارجع الى أهلك) قال القاضى عياض ليس معناه أنه رده دون إسلام وانما رده عن صحبته واتباعه لأنه كان فى أول الاسلام وقبل قوته نخاف عليه لغربته أن تهلكه قريش أو تفتنه اه وحينئذ فتقدير الكلام كما أشار اليه المصنف « لكن قد حصل أجرك فابق على اسلامك وارجع إلى قومك واستمر على اسلامك حتى تعلمنى ظهرت » فاذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى) فيه معجزة للنبى هى اعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر (فذهبت) أى رجعت (إلى أهلى وقدم) بكسر الدال (رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) منصوب على التوسع

وكنت فى أهلى فجعلت أتخبّرُ الأخبارَ وأسألُ الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل المدينه فقلت مافعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا الناس اليه سراعٌ وقد أراد قومُه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينةَ فدخلت عليه فقلت يارسول الله أتعرفنى ؟ قال نعم أنت الذى لقيتنى بمكة قال فقلت يارسول الله أخبرنى عما علمك الله

كدخلت المسجد أو على حذف الجار (وكنت فى أهلى) أى مقيما فيهم (فجعلت) من أفعال الشروع أتخبر الاخبار) أى أتكلف الوقوف عليها وأعانى ذلك (وأسأل الناس حين قدم المدينة) أى وقت قدوم لها (حتى قدم نفر من أهل المدينة) غاية لتخبره وسؤاله والنفر كما تقدم مرار بفتح أوليه ما بين الثلاثة والتسعة وقيل السبعة من الرجال ومعنى قوله من أهل المدينة أى المقيمين بها القاطنين فيها (فقلت مافعل هذا الرجل) أتى باسم الاشارة الموضوع لان يستعمل فى المشار اليه الحاضر اليه تفخيما لشأن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن حقه لكمال مجده أن لا يغيب عن النفوس بل لاتزال مشاهدة بعين لبها لجمال كماله (الذى قدم المدينه ؟ فقالوا الناس اليه سراع) بكسر السين أى مسرعين (وقد أراد قومه) أى كفار قريش (قتله) بالواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم فى كتب السير (فلم يستطيعوا ذلك)بل رد الله كيدهم فى نحرهم وحفظ نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك (فقدمت المدينة) أى امتثالا لقوله « فاذا سمعت بى ظهرت فأتنى» (فدخلت عليه فقلت يارسول الله أتعرفنى ؟ قال نعم) وسؤاله لطول مدة غيبته ثم هو نسخ الرياض هكذا ووقع فى مسلم بلفظ قال بلى قال المصنف فى شرحه فيه صحة الجواب ببلى وإن لم يكن قبلها نفى وصحة الاقرار بها وهو صحيح فى مذهبنا وشرط بعض أصحابنا أن يتقدمها نفى أو نهى وبه يعلم أن ماهنا إن لم يكن فى بعض نسخ مسلم اختلاف ـ من تحريف الكتاب « قلت » ولمن اعتبر تقدم النفى ان يقول تقدير الكلام أما تعرفنى؟ ويكون قرينة تقديرها له فى الجواب بلى والله اعلم (قال فقلت أخبرنى عما علمك الله) العائد ضمير نصب محذوف أى علمكه قال المصنف هكذا هو وهو صحيح ومعناه أخبرنى عن حكمه وصفته وبينه لى اه

وأجهله ، أخبرنى عن الصلاة قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس (قيد رمح) فانها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح

« قلت » ويحتمل أن يكون عن للتعليل كما قيل به فى قوله تعالى « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » أى لأجله وقوله (وأجهله) يحتمل أن يكون أتى به على وجه الاطناب ويحتمل أن يكون الاحتراز عما علمه منه صلى الله عليه وسلم فى اجتماعه السابق به (أخبرنى عن الصلاة) أى النافلة (قال صل الصبح ثم اقصر) بضم الصاد أى اقعد (عن الصلاة) أى النفل المطلق الذى لا سبب له أو له سبب متأخر (حتى تطلع الشمس حتى ترتفع (١)) يحتمل أن يكون بدلا مما قبله ويحتمل أن يكون غاية بعد غاية لتحريم النفل المذكور . قال المصنف : فيه أن النهى عن الصلاة بعد الصبح لا يرتفع بنفس الطلوع بل لا بد من الارتفاع والمراد ارتفاعها كرمح فى رأى العين ثم النافلة تحرم من صلاة الصبح الى ارتفاعها على من صلى الصبح أما من لم يصلها فلا تحرم عليه إلا من طلوع الشمس لا قبل ، الى الغاية المذكورة (فانها) أى الشمس (تطلع) بضم اللام (حين تطلع) أى وقت طلوعها (بين قرنى شيطان) سيأتى بيان معناه وتنكير شيطان لتحقيره وقرناه ناحيتا رأسه قال المصنف وسمى شيطانا لتمرده وعتوه وكل مارد عات شيطان والأظهر انه مشتق من شطن إذا بعد لبعده من الخير والرحمة وقيل من شاط إذا هلك واحترق أى فالمصلى حينئذ كالساجد للشيطان (وحينئذ يسجد لها الكفار) أى وحين تطلع بين قرنيه ، قال القاضى عياض : هذا يدل على صحة تأويل من جعله على ظاهره وأن الشيطان يفعل ذلك ويتطاول لها ليخادع نفسه أن السجود له (ثم صل) أى ما شئت من النفل (فان الصلاة مشهودة محضورة) أى يحضرها الملائكة فهى أقرب الى القبول وحصول الرحمة ، قال فى فتح الاله أى تحضرها ملائكة النهار لتكتبها وتشهد بها لمن صلاها فهى بمعنى رواية « مشهودة مكتوبة » خلافا لمن زعم أن بينهما فرقا أو أن هذه أحسن (حتى يستقل) من القلة لا من الاقلال الذى هو الارتفاع وهو غاية لقوله صل (الظل بالرمح) المغروس

---

(١) فى نسخ المتن « قيد رمح » فلتراجع نسخ مسلم . ع

ثم اقصُرْ عنِ الصلاَة ، فانه حينئـذ تُسْجرُ جهنم ،

بالأرض وهـذا من باب القلب كطينت الطين بالقصر وعرضت الناقة على الحوض أى حتى يستقل الرمح بالظل أى يبلغ ظله أدنى غاية النقص ، ففيـه محسن القلب من المبالغة المتولدة عنه لافادة كون الرمح صار بمنزلة الظل فى القلة والظل صار بمنزلة الرمح فى عدم وجود شىء فى الأرض إلا بمقدار مركزه وذلك لأن الظل الشاخص يكون أول النهار طويلا الى جهة المغرب ثم ما زاد يتناقص الى أن يصل الى غايته وذلك وقت الاستواء أو يزول بميل الشمس الى ناحية المغرب وتحول الظل الى جهة الشرق وهـذا هو وقت الزوال الذى به يدخل وقت الظهر ويزول وقت النهى والظل الموجود عند الاستواء يسمى ظل الزوال لوجوده عنده فى أكثر البلاد قبل ظهور الزيادة وأقول لايحتاج الى هذا التكلف لأن الباء للالصاق والرمح كناية عن الشاخص والتقدير حتى يقل الظل الملصق بالشاخص أى ينتهى الى غاية قلته أو حتى ينتهى أى يرتفع الظل الملصق بالشاخص عما حواليه حتى لا يبقى على الأرض منه الاقدر لا يظهر ببادى الرأى وما ذكر هو ما فى نسخ مسلم المعتمدة وفى بعض نسخه حتى يستقل الرمح بالظل ، وقال القاضى عياض معنى قوله يستقل الظل بالرمح أى يكون ظله قليلا كأنه قال حتى يقل ظل الرمح والباء زائدة جاءت لتحسين الكلام وقد جاء فى رواية أبى داود حتى يعدل الرمح ظله قال الخطابى هذا إذا قامت الشمس وتناهى قصر الظل ، ولا أدرى موافقة هذا ليعدل ولعل معنى يعدل هنا يكون مثله فى الظل لايزيد كما لا يزيد الرمح فى طوله أو يكون يعدل بمعنى يصرف كان الرمح صرف ظله عن النقص الى الزيادة ومن الميل الى المغرب الى الميل الى المشرق وأضافها الى الرمح لانه سبب فالمصنف لايرتضى هـذا الكلام منه وقال القاضى عياض : كلام عجيب فى تفسير الحديث نبهت عليه لئلا يغتر به اه وفى هذه الجملة حجة على مالك فى تجويزه الصلاة عند الاستواء مطلقا مستدلا بأنه لم يزل يرالناس يصلون حينئذ يوم الجمعة وما استدل به لاينهض له لان يوم الجمعة مستثنى (ثم اقصر عن الصلاة فانه حينئذ تسجر) أى تهيج بالوقود (جهنم) وتسجر بتقدير أن المصدرية قبله اسم إن على حد قوله تعالى « ومن آياته يريكم البرق » أو اسمها ضمير شأن وما قيل انه لاتحذف لان القصد به التعظيم وهو يفوت بحذفه مردود بأن سبب

فاذا أقبلَ الفيء فصل فان الصلاة مشهودة محضورةٌ حتى تصلى العصرَ ثم اقصُرْ عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنَيْ شيطانٍ وحينئذ يسجد لها الكفار

دلالته على التعظيم ابهامه وحذفه أدل على الابهام ومن ثم حذف فى قوله تعالى « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » (فاذا أقبل الفيء) أى إلى جهة المشرق والفيء مختص بما بعد الزوال وأما الظل فيقع على ماقبل الزوال وبعده وفى التهذيب للمصنف نقلا عن ابن قتيبة فى أدب الكاتب انما سمى « بعد الزوال » فيئا لانه ظل فاء من جانب إلى جانب أى رجع والفيء الرجوع (فصل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر)قال المصنف فيه دليل على أن النهى لايدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الانسان وانما يكره لكل بصلاته حتى لوأخرها عن أول الوقت لم يكره التنفل اه ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرر أنها من الاصفرار يكره لمن صلى ولغيره (ثم اقصر عن الصلاة) أى النافلة التى لاسبب لها أولها سبب متأخر (حتى تغرب فانها تغرب بين قرنى شيطان) فى تنكيره مامر (وحينئذ يسجد لها الكفار) هذه حكمة النهى وليست بعلة لعدم اطرادها والالنهى عن ذات السبب وفى مكة أيضا وقال العزبن عبد السلام التعليل بذلك لايظهر لأن تعظيم الله فى وقت يسجد فيه لغيره أولى لما فيه من إرغام اعدائه، ولوصح التعليل فأى فرق بين ذى السبب وغيره اه « وأجيب » بأنها حكمة فلا يلزم اطرادها ووجه اختصاصها بغير ذى السبب وبوقتى الطلوع والغروب أن إنشاء صلاة لاسبب لها فى هذا الوقت فيه نوع تشبه بالكفار فى عبادتهم للشمس حينئذ وقد نهينا عن التشبه بهم بل وعما يؤدى اليه أويوهمه ولا شك أن إيقاع ذلك حينئذ يستلزم ذلك بخلاف ذات السبب كالعيد والضحى بناء على دخول وقتهما بالطلوع فان ظهور السبب الحامل عليها ينفى ذلك وقد ذكر ابن الاثير ما يؤيد ذلك وهو أن كلا من هذين وقت لظهور سلطانها وانفصالها ، فكره لئلا يتوهم تعظيم شأنها كما هى عادة الملوك عند قدومهم وانفصالهم « فان قلت » انما يتضح ذلك إذا كان السبب غير نفس الطلوع أما إذا كان هو الطلوع كما فى المثالين المذكورين فكيف يظهر ما ينفى ذلك « قلت » الظهور وعدمه انما هو بالنسبة الى نية المصلى فحيث نوى سببا انتفى

قال فقلت يانبى الله فالوضوء حدثنى عنه ، فقال مامنكم رجل يُقَرِّبُ وضوءه فيتمضمض ويستنشقُ فيستنثرُ إلا خرّت خطايا وجهه وفيه ، وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله

ذلك عند من علم بنيته وحيث لافلا ، وبه يتضح الجواب عما يقال الصلاة عندنا للقبلة وسجود الكفار انما هو لجهة الشمس فكيف يتأتى التشبه أو إيهامه ؟ وجوابه ماتقدم أن نية الصلاة حينئذ لالسبب يوهم أن للشمس باعتبار ظهور سلطانها وانفصالها حينئذ دخلا فى ذلك فامتنعت لذلك وإنما حرمت النافلة من بعد صلاتى الصبح والعصر قبل طلوعها وغروبها مع انتفاء الحكمة أو العلة لان ماقارب الشىء أعطى حكمه كما حرمت مباشرة مابين سرة الحائض وركبتها لانه حريم الفرج ، وأيضا فعباد الشمس ربما تهيؤا لتعظيمها من أول ذينك الوقتين فيرصدونها الى أن تظهر فيخروا لها سجدا فلو أبيح التنفل حينئذ لكان فيه تشبه بهم أو إيهامه أو التسبب اليه (قال فقلت يا رسول الله فالوضوء حدثنى عنه) أى من حيث الفضيلة بدليل الجواب (فقال ما منكم رجل يقرب وضوءه) بفتح الواو أى يحتضر ما يتوضأ به وخص بالذكر لأنه يترتب عليه من الثواب ما لا يترتب على من يزاول مشقة فى تحصيل الماء واحضاره (فيتمضمض) سكت عما يسن قبلها من نحو التسمية لعلمه أنه يعلم ذلك أو لأن الغرض ذكر ما فيه ثواب عظيم من أعمال الوضوء لا سيما ماختلف فى وجوبه كالمضمضة (ويستنشق) الواو بمعنى ثم (فيستنثر) أى يجذب الماء بخياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما فى أنفه من الأذى (إلا خرت خطايا وجهه وفيه(١) «خرت» بالخاء المعجمة على المختار كما يأتى أى سقطت صغائر خطاياه ثم يحتمل أن يراد خطايا جميع وجهه وإن لم يظهر إلا بعضه لأنه أقذر مافيه فخرت خطاياه الآتى بعد، كناية عن مزيد التطهير ويحتمل أن يراد بعضه لذكر كله الآتى فعطف (وخياشيمه) بيان لذلك البعض المبهم والخياشيم جمع خيشوم وهو أقصى الأنف وقيل عظام رقاق فى أصل الأنف بينه وبين الدماغ وقيل غير ذلك (ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله) أى بقوله عز وجل «إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» وفائدة قوله كما أمره الله الايماء الى

---

(١) لفظ (وفيه) لعله مقدم من تأخير والأولى ذكره قبل لفظ (وخياشيمه) فليتأمل

إلاَّ خرَّتْ خطايا وجهِهِ من أطراف لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلاَّ خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فان هو

وجوب الترتيب فى الوضوء عند من يوجبه كما منا الشافعى المأخوذ وجوبه من الآية لما فيه من الفصل بالمسح بين مغسولين والعرب سيما الفصحاء منهم لا توسط أجنبيا بين متجانسين إلا لحكمة وهى هنا وجوب الترتيب لا ندبه لأن الآية لبيان واجبات الوضوء والايماء الى المبادرة بامتثال هذا الأمر والمسارعة اليه عند من لا يقول بوجوب الترتيب لأن كونه أمر الله يحمل العاقل على امتثاله والاتيان به على الوجه الأكمل وذكر هذا فى أول فروضه فيه للتنبيه على أنه مراعى فى باقيها فلم يحتج لتكريره (إلا خرت خطايا وجهه) « إن قلت » الوجه لا يتصور منه خطايا فى العادة إلا باعتبار منافذه وقد غفرت خطايا منفذين فلم يبق إلا خطايا البصر « قلت » يحتمل أن يراد هنا بعضه الباقى وهو العينان ويحتمل أن يراد الثلاثة وفائدته أن الأولين لو لم يطهرا بأن غسل وجهه أولا كفرت خطاياهما وإن لم يغسلا بواسطة غسل ظاهر الوجه (من أطراف لحيته) عبر بها للغالب وإلا فمن لا لحية له كالأمرد والمرأة كذلك (مع الماء ثم) فى العطف بها دلالة لوجوب الترتيب (يغسل يديه الى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من) أطراف (أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء) ذكره للغالب أيضاً (ثم يغسل قدميه الى الكعبين) فيه دليل لمذهب العلماء كافة أن الواجب غسل الرجلين وقالت الشيعة الواجب مسحهما وقال ابن جرير هو مخير وقال بعض الظاهرية يجب الغسل والمسح حكاه المصنف فى شرح مسلم (إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء) وما بعد إلا الأولى مستثنى من مقدر هو خبر ما أى ما منكم رجل متصف بذلك كائنا على حال من الأحوال إلا على حال خروج خطايا وجهه ، وما واسمها مقدران فيما بعد ثم الأولى وفيما بعد ثم الثانية وهكذا كما دل عليه العطف أى ثم ما منكم رجل متصف بغسل وجهه كائنا على حال إلا على حال خروج خطايا وجهه وهكذا (فان) شرطية (هو) أى المتوضىء الدال عليه سياق الكلام وسباقه ورافعه فعل الشرط محذوف

قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذى هو له أهل وفرّغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يومَ ولدته أمه فحدث عمرُو بن عبسةَ بهذا الحديث أبا أمامةَ صاحبَ رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلم فقالَ لهُ أبو أمامةَ ياعمرُو بن عبسةَ انظر ما تقولُ فِى مقامٍ واحدٍ يعطَى هذا لِرَجُلٍ !!!

يفسره (قام) ولحذفه برز ضميره المستكن فيه (فصلى فحمد الله) أى أثنى عليه بالصفات الثبوتية (وأثنى عليه) بالتنزيه عما لا يليق به وقيل هما بمعنى والعطف للتأكيد (ومجده) بتشديد الجيم أى وصفه (بالذى هو) سبحانه (له أهل) من أوصاف المجد وهو العز والشرف كما فى المصباح وقدم الخبر أى له على المبتدأ لافادة الاهتمام والاختصاص (وفرغ قلبه لله تعالى) هو بتشديد الراء للمبالغة فى تنظيف القلب وتنزيهه من دنس التعلق بغير المولى سبحانه والركون الى سواه ومن سائر الشواغل والخواطر لله تعالى دون غيره ولو ثوابا لأن ربط القصد به ينافى مقام الكمال المشار اليه بقوله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وجواب إن الشرطية مقدر أى فلا ينصرف خارجا من شىء من الأشياء (إلا انصرف) خارجا (من خطيئته) أى صغائره فيصير متطهراً منها (كهيئته) أى طهارته من كل خطيئة (يوم ولدته أمه) وقصرنا التشبيه على ماذكرنا لقيام الأدلة عليه وكون التطهير من الذنوب بمعنى إزالتها بعد وقوعها ومن المدلول بمعنى عدم وجودها لا ينافى التشبيه وقدرنا الجواب نفيا لأنه فى سياق النفى بما وإلا ، لا لوجوبه لجواز قرأت إلا يوم كذا (فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو أمامة كنيته واسمه صدى بضم المهملة الأولى وفتح الثانية وتشديد التحتية ابن عجلان وتقدمت ترجمته فى باب التقوى (فقال له أبو أمامة ياعمرو) يجوز ضمه وفتحه لوصفه بقوله (ابن عبسة) المتعين فيه النصب لكونه مضافا (أنظر) بضم الظاء أى تفكر وتأمل (ماتقول فى مقام) بفتح الميم أى مكان (واحد يعطى هذا) الثواب العظيم (لرجل) وليس ذلك منه استبعاداً ولا استعجابا من سعة الفضل إنما هو استكشاف لليقين وحذراً

فقال عَمْرو يا أبا أمامة لقد كبِرت سنى ودَقّ عظمى واقترَبَ أجلى وما بِى حاجةٌ أنْ أكذِبَ على الله تعالى وعَلَى رسوله صلى الله عليه وسلم لوْ لم أسمعهُ منْ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرةً أو مرّتين أو ثلاثًا حتى عدّ سبعَ مرّاتٍ ما حدثتُ به أبداً ، ولكنى سمعتهُ أكثر من ذلك » رواه مسلم (قوله) جُرآء عليه قومه هو بجيم مضمومة وبالمدّ على وزْن عُلماء أىْ جاسرون مستطيلون غير

من وهل (١) عمرواً فى ذلك (فقال عمرو يا أبا أمامة لقد كبرت) بكسر الباء الموحدة أى تقدمت (سنى) أى عمرى قال فى المصباح السن واحد الأسنان وقد يعبر بالسن عن العمر « قات » وعليه فتأنيث الفعل لأنها بمعنى المدة (ودق عظمى) أى نحف ونحل (واقترب أجلى) أى قرب والاتيان بالتاء مبالغة فى ذلك (وما بى حاجة) أى داعية (أن أكذب على الله تعالى ولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى أو إلى أن أكذب (لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا) منصوبات على الظرفية (حتى عد سبع مرات) أى بأن قال أو أربعاً إلى أن قال أو سبع مرات (ما حدثت به أبداً ولكنى سمعته أكثر من ذلك) قال المصنف هذا الكلام قد يستشكل من حيث إن ظاهره أنه لا يرى التحديث إلا بما سمع أكثر من سبع مرات ومعلوم أن من سمع مرة واحدة جاز له الرواية بل تجب عليه إذا تعين لها وجوابه أن معناه لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به وذكر المراتب بيانا لصورة حاله ولم يرد أن ذلك شرط والله أعلم (رواه مسلم) قبيل باب صلاة الخوف وبعضه عند النسائى وابن ماجه (قوله جرآء عليه قومه هو بجيم مضمومة وبالمد على وزن علماء) لأن واحده جرىء كعليم وعلماء (٢) وشرفاء (أى جاسرون مستطيلون) من الاستطالة لكن فى شرح مسلم من الجرأة وهى الاقدام والتسلط وقضيته أن يكون جاسرون متسلطون وكذا هو فى المشارق للقاضى عياض أى جرآء متسلطون عليه (غير

---

(١) أى من غلطه ونسيانه يقال وهل كفرح معناه غلط ونسى (٢) لعل هنا سقط وشريف

هائبينَ هـذهِ الروايةُ المشهورةُ * ورواه الحميدى وغيره حرآء عليه بكسر الحاء المهملة وقال معناه غضاب ذوو غم وهم قـدْ عيلَ صبرُهم به حتى أثَّر فى أجسامهم من قولهم حرى جسمه يحْرى إذا نقص منْ ألمٍ أو غم ونحوه والصحيح أنه بالجيم (قوله) صلى الله عليه وسلم بين قرْنىْ شَيطانٍ أى ناحيتىْ رأسه والمرادُ التمثيلُ معناه أنه حينئذٍ يتحرَّكُ الشيطان وشيعتهُ ويتسلَّطون

هائبين) أى له لعدم معرفتهم بعظيم قـدره اعمى بصائرهم عن مشاهدة أنواره

لكن نور الله جل فلا يرى الابتوفيق من الله الصمد

(هذه الرواية المشهورة) وعليها اقتصر عياض فى المشارق ولم يحك الثانية وفى شرح مسلم هكـذا فى جميع الأصول (ورواية الحميدى) أى فى الجمع بين الصحيحين (وغيره) ولم يذكر فى شرح مسلم هذه الرواية عن غير الحميدى (حرآء عليه بكسر الحاء المهملة) أما الراء المهملة والمدففيهما معا فلذا سكت عنه المصنف (وقال معناه غضاب) بكسر الغين المعجمة (ذووغم) هو الحزن على فوات أمر (وهم) هو الخوف من أمر يترقب وقوعه (قد عيل صبرهم به) قال فى النهاية فى أثناء كلام له يجوز أن يكون من عاله يعوله اذا غلبه ومنه قولهم عيل صبرك اه أى غلبهم صبرك عنه (حتى أثر) أى الصبر (فى أجسامهم) مأخوذ من قولهم (حرى جسمه يحرى) قال فى شرح مسلم كضرب يضرب (اذانقص من ألم أوغم ونحوه) والصحيح أنه) أى قوله جرآء لاحرى جسمه يحرى كما قد يتوهم من قربه (بالجيم ، قوله ﷺ بين قرنى شيطان أى ناحيتى رأسه) كما تقدم (والمراد) منه (التمثيل) وبينه بقوله (معناه) أى المراد منه فى الحديث (أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطون) فشبه تحركهم وانتشارهم وتمكنهم من الأذى واستعير للحاصل من ذلك قوله بين قرنى شيطان فهى استعارة تمثيلية وقال القاضى عياض قيل ان ذلك استعارة وكناية عن أضراره لما كانت ذوات القرون تتسلط بقرونها على الأذى استعير لشيطان اه وفى شرح مسلم قيل المراد بقرنى شيطان (١) حزبه وأتباعه وقيل قوته وغلبته

---

(١) لعله الشيطان فسقطت اداة التعريف من تحريف النساخ . ع

وقولهُ يقرِّبُ وضوءهُ معناه يُحضرُ الماء الذى يتوضأ به . وقوله إلاَّ خرَّتْ خطاياه هو بالخاء المعجمة أى سقطَتْ . ورَواه بَعْضهم جرَتْ بالجيم والصحيحُ بالخاء وهو رواية الجمْهُور . وقوله فيستنثرُ أى يستخرجُ ما فى أنفهِ من أذى . والنَّثرة طَرَفُ الأنْفِ * وعنْ أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ « إذا أرَاد اللهُ رحمةَ أمةٍ قَبَضَ نبيَّها قبلها

وانتشار فساده وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى قالوا ومعناه أنه يدنى رأسه الى الشمس فى هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له فى الصورة وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها عن ذلك وهذا الاخير هو الظاهر لما فيه من السلامة من تأويل الخبر عن ظاهره الذى لا يعارضه معارض (وقوله يقرب وضوءه معناه يحضر الماء الذى يتوضأ به) ويطلق الوضوء لغة على الماء المغسول به أعضاء الوضوء بضم الواو وعلى الباقى فى الاناء بعد تمام الوضوء (وقوله إلا خرت خطاياه هو بالخاء المعجمة أى سقطت ورواه بعضهم) هو ابن أبى جعفر أحد رواة مسلم كما نقله عنه القاضى عياض (جرت) أى (بالجيم) وتخفيف الراء معناه على هذا ظاهر (والصحيح بالخاء) أى المعجمة (وهو رواية الجمهور) قال فى شرح مسلم وكذا نقله القاضى عياض عن جميع الرواة الا ابن أبى جعفر (وقوله فيستنثر أى يستخرج ما فى أنفه من أذى) بعد أن يجذب الماء بالنفس الى الخيشوم والانتشار افتعال من النثرة (والنثرة) بفتح النون وسكون المثلثة (طرف الأنف * وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله رحمة أمة) أى الاحسان اليهم واللطف بهم ولا يصح تأويلها هنا بارادة ذلك لأن الارادة لا تتعلق بالارادة كما سبق عن الدمامينى (قبض) بفتح الموحدة أى توفى (نبيها قبلها) ليكون صبرهم على المصاب به واحتسابهم ذلك زيادة فى أجورهم قال تعالى « وبشر الصابرين الآية » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته فى » أو كما قال دل مجموع الحديث والآية على أن المؤمن إذا صبر على مصيبته على فقد المصطفى صلى الله عليه وسلم واحتسب

فجعله لها فَرَطاً وسلفاً بين يديها . وإذا أرادَ هلكةَ أمّةٍ عذّبها ونبيُّها حيٌّ فأهلكها وهوَ ينظرُ . فتقرُّ عينُهُ بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره» رواه مُسلم

ذلك عند مولاه أجر كما أن الانسان إذا ذكر مصابه بمن تقدم له من القرابة فاحتسب عند ذلك يؤجر فكذا ما ذكرنا وهو ظاهر والله أعلم (فجعله لها فرطا) الفرط بفتح الفاء والراء والفارط الذى يتقدم الوراد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من أمور الاستقاء أى إنه المهيء لمصالحها فى عقباها من مزيد رحمته (وسلفا) قال فى النهاية قيل هو من سلف المال كأنه قدأسلفه وجعله ثمنا للأجر والثواب الذى يجازى به على الصبر عليه وقوله (بين يديها) ظرف مستقر متعلق بمحذوف صفة لهما أى كائنتين بين يدى الأمة أوحال من مفعول جعله أى كائنا بين يديها أو ظرف لغو ق بجعل وإذا أراد هلكة) بفتح حروفه مصدر هلك الشيء هلكا من باب ضرب وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وتثليث اللام وأهلكه بوزن أتعبه والهلكة بوزن القصبة مثل الهلاك أى فى كونه مصدراً كذا فى المصباح أى وإذا أراد هلاك (أمة عذبها ونبيها حى) جملة حالية من فاعل عذب والمراد منه الرسول لأنه الذى له أمة لكونها مأمورة بالتسلى بخلاف النبي هذا هو المشهور (فأهلكها وهو) أى نبيها (ينظر) هلاكها والجملة الاسمية حالية (فأقر) أى الله تعالى (عينه) أى عين نبيه لتلك الأمة (بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره) أى وقت تكذيبهم له وعصيانهم أمره (رواه مسلم) فى باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم فقال وحدثت عن أبى أسامة قال المازرى والقاضى : هذا الحديث من الأحاديث المنقطعة فى مسلم لجهل الذى حدثه عن أبى أمامة قال المصنف قلت ليس هذا حقيقة انقطاع وانما هو رواية مجهول « قلت » هو وإن كان كذلك إلا ان المحدثين المتقدمين يعبرون عنه بالمنقطع وبعضهم بالمرسل قال العراقى فى ألفيته

ورسموا منقطعا عن رجل * وفى الأصول رسمه بالمرسل

قال الشيخ العراقى فى شرحها (١) قلت وفى كلام غير واحد من أهل الحديث أنه

---

(١) هذا الشرح قد طبعناه والحمد لله فسهل الحصول عليه

﴿ بابُ فضلِ الرجاء ﴾

قال الله تعالى إخباراً عَنِ العَبْدِ الصالحِ « وأفوِّض أمرِى إلى الله إنَّ اللهَ بصيرٌ بالعبادِ فَوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مكروا » * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله عز وجل : أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدِى بى

متصل فى سنده مجهول وحكاه الرشيد العطار فى الغرر المجموعة عند الأكثرين واختاره شيخنا الحافظ ابو سعيد العلائى فى كتاب جامع التحصيل قال المصنف وقد وقع فى حاشية بعض النسخ المعتمدة قال الخلودى حدثنا محمد بن المسيب الأرغيانى حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى بهذا الحديث عن أبى أسامة باسناده اه وفى النكت على الأطراف للحافظ وقع لنا أن مسلماً لم يسمعه من ابراهيم إنما سمعه من محمد بن المسيب عن ابراهيم وأخرجه البزار فى مسنده عن ابراهيم بن سعيد وأخرجه أبو نعيم من طريق أبى يعلى وغيره عن إبراهيم بن سعيد اه

﴿ باب فضل الرجاء ﴾

اى ما جاء فيه من الكتاب والسنة (قال الله تعالى إخباراً) اى مخبراً ويجوز ان يكون منصوبا على المصدرية بكون الاخبار من انواع القول (عن العبد الصالح) هو مؤمن آل فرعون (وأفوض أمرى الى الله) أى أسلمه الى الله تعالى ليعصمنى من كل سوء (إن الله بصير بالعباد) فيجزيهم وكأنه جواب بوعد (١) المفهوم من قوله (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وقال البيضاوى وقيل الضمير لموسى * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى) قال ابن الجوزى أى فى الرجاء وأمل العفو قال القارى فى شرح الحصن الحصين ويؤيده ما أخرجه البيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمر الله بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت وقال أما والله يارب إن كان ظنى بك لحسن فقال الله ردوه أنا عند ظن عبدى بى » ذكره السيوطى فى البدور السافرة وعليه

---

(١) وفى نسخة توعد فلينظر. ع

وَأنا معهُ حيثُ يَذْكُرنى وَاللهِ للهُ أفرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ منْ أحَدِكم يجد ضالتهُ بالفلاةِ ومن تقربَ إلى شبراً تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربْتُ إليه باعاً وإذا أقبلَ إلى يَمشِى أقبلتُ إليه أهرولُ » متفق عليه . وهذا لفظُ إحدى روايات مسلم وتقدم شرحُه فى البابِ قبله * وَرُوِىَ فى الصحيحين : وأنا معه حين يذكرنى بالنون وفى هذه الرواية حيث بالثاء وكلاهما

فالظن بمعناه أى الطرف أى الراجح وقيل بمعنى اليقين والمعنى أنا عند يقينه بى وعلمه بأن مصيره الى وحسابه على وأن ماقضيت له به من خير أو شر فلا مرد له لدى « فائدة » الظن فى الشرع ينقسم الى واجب كحسن الظن بالله تعالى والى حرام كسوء الظن به تعالى قال تعالى « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردا كم » وبكل من ظاهره غير العدالة ، ومندوب وهو حسن الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين ، وجائز كظن السوء بمن وقف مواقف التهم (وأنا معه) أى بالرحمة والتوفيق والاعانة والنصر (حيث ذكرنى) بين الملأ أو فى الخلاء (والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته) الذى هو فى غاية الاحتياج اليها والاضطرار كما بينته رواية أخرى فى الصحيح (بالفلاة) هى كما فى المصباح الارض التى لاماء فيها وجمعها فلا . قال المصنف قال العلماء فرح الله هو رضاه قال المازرى الفرح ينقسم الى وجوه منها السرور ، والسرور يقارنه الرضى بالمسرور به والمراد هنا ان الله يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واحد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضى بالفرح تاكيدا لمعنى الرضى فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره (ومن تقرب الى) أى الى فضلى ورحمتى بصالح العمل (ذراعا تقريب منه باعا وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت اليه أهرول متفق عليه) رواه البخارى فى باب الرجاء ومسلم فى باب التوبة (وهذا لفظ احدى روايات مسلم وتقدم شرحه) أى شرح قوله ومن تقرب إلى الخ الموهم ظاهره المكان وجواز الأعراض على البارى سبحانه (فى الباب قبله) بماحاصله أنه مؤول بأن المراد بالتقرب اليه التقرب الى فضله وإحسانه بصالح العمل والمراد بتقربه تعالى من العامل اسباغ فضله عليه زيادة على قدر عمله (وروى فى الصحيحين أى فى رواية أخرى (وأنا معه حين يذكرنى بالنون) فيكون منصوباً على الظرفية الزمانية (و) روى فى هذه الرواية بالثاء (أى المثلثة) (وكلاهما) أى المرويين

صحيح . وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته بثلاثة أيام : « لايموتن أحدكم إلاوهو يحسن الظن بالله عز وجل » رواه مسلم*

صحيح زاد فى شرح مسلم بعد قوله صحيح ظاهر المعنى وأفرد الخبر باعتبار لفظ كلا وهو الأصح قال تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » ويجوز مطابقة معناها وقد اجتمع الاستعمالان فى قوله :

كلاهما حين جد الجرى بينهما * قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

(وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام كما صرح به فى مسلم (يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) قال المصنف وفى رواية « وهو يحسن الظن بالله » قال العلماء : هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة وقد سبق أنا عند ظن عبدى بى قال العلماء : معنى إحسان الظن بالله أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه قال وفى حال الصحة يكون خائفا راجيا وسيأتى الخلاف فى أنهما هل يكونان متساويين حينئذ أولا ، وإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصى والقبائح والحرص على إكثار الطاعة وصالح العمل وقد تعذر ذلك أو معظمه فى هذه الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار الى الله تعالى والاذعان له ويؤيده حديث « يبعث كل عبد على ما مات عليه » قال العلماء : معناه يبعث على الحال التى مات عليها قال القرطبى نهى أن يموتوا على غير حالة حسن الظن وذلك ليس بمقدورهم بل المراد الأمر بتحسين الظن ليوافى الموت وهو عليه اه ونظيره قوله تعالى « ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وفى الديباجة للدميرى فى مروج الذهب عن فتيا ابن مسكين ، قال دخلت على الشافعى أعوده فى مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ قال أصبحت من الدنيا ، راحلا ولاخوانى مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولا أدرى الى الجنة تسير روحى فأهنيها ، أم الى النار فأعزيها وأنشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : قال الله تعالى : يا ابنَ آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولاأبالى ، يا «ابن آدم لو بلغتْ ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشركُ بى

اه ومما يعزى للرافعى قوله

إذا أمسى فراشى من تراب وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنونى أحبائى وقولوا لك البشرى قدمت على كريم

(وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحد معين عدل اليه ليعلم من يتأتى نداؤه وآدم عربى مشتق من أديم الأرض أى وجهها وأصله أأدم بهمزتين وزن أفعل فأبدلت الثانية ألفا ومنع الصرف للعلمية والوزن ، وقيل أعجمى وعليه فمنع صرفه للعلمية والعجمة وأضيف اليه المنادى للعموم لأن إضافة المفرد تفيده فالنداء هنا لا يختص به منادى دون آخر (إنك ما دعوتنى ورجوتنى) أى مدة دعائك إياى نفعا وصلاحا وتأميلك خير ما عندى (غفرت لك ما كان منك) أى محوت ما كان من الذنوب منك كذنب الكفر بالايمان وغيره بالاستغفار (ولا أبالى) بما كان منك منها عظم أولا وذلك لحسن رجاء العبد والله عند حسن ظن عبده به (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) أى ما يملأ ما بينها وبين الأرض لو كان جسما (ثم استغفرتنى) أى سألتنى غفران ذلك (غفرت لك) إياها وذلك لأنه تعالى كريم يقيل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال بالغ فى الكثرة جىء به تنبيها على أن كرمه وفضله ورحمته لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما ذكر (يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض) أى ما يقارب ملأها (خطايا) جمع خطيئة ، قال فى الصحاح وكان الأصل خطائىء على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت ياء لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء ألفا ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين اه (ثم لقيتنى لا تشرك بى) جملة فى محل الحال

شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرةً » رواه الترمذى وقال حديث حسن

عنان : بفتح العين قيل هو ما عن لك منها أى ظهر إذا رفعت رأسك وقيل هو السحاب . وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضمُّ أصحُّ وأشهر وهو ما يقارب ملأها

من الفاعل (شيئا) أى من الشرك أومن المعبودات (لأتيتك بقرابها مغفرة) أى لغفرتها لك وذلك لأن الايمان به تعالى شرط فى العفو عن الذنب غير الشرك لأنه أصل يبنى عليه قبول الطاعة والعفو عن المعصية بخلاف الشرك اذلا أصل معه يبنى عليه العفو عنه ولابد أن يضم الى الايمان بالله تعالى الايمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به هذا والمراد من « أتيتك» غايته من المغفرة أوارادتها لاستحالته عليه وأتى به مشاكلة والحديث من الأحاديث القدسية (رواه الترمذى وقال حديث حسن) زاد فى الجامع بعد قوله حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه قال الحافظ العلائى فى الأربعين (قلت » يعنى غريبا من جهة أنس وقد روى من حديث ابن عباس وأبى ذر ثم أخرج حديث ابن عباس من طريق الطبرانى وحديث أبى ذر من طريقين وقال بعد إخراجه رواه الحافظ أبو عوانة فى صحيحة « قلت » وذكر السخاوى فى تخريج الأربعين الحديث التى جمعها المصنف ان لحديث أنس طريقا آخر غير طريق الترمذى عند ابن فنجوية (١) بنحو الحديث المذكور وقال بعد تخريجه سنده ضعيف والأول أصح (عنان السماء بفتح العين) المهملة وبنونين خفيفتين (قيل هو ما عن) بتشديد النون (لك منها أى ظهر اذا رفعت رأسك وقيل هو السحاب)هو ما اقتصر عليه صاحب المصباح المنير وعبارته العنان قيل السحاب وزنا ومعنى الواحدة عنانة(وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرها والضم أصح وأشهر وهو مايقارب ملأها) تقدم الكلام من المصنف أوائل باب الرجاء وتقدم ما يتعلق به من الشرح ثمة

---

(١) بضم الجيم وفتح الياء وكذا كل ماوازنه لكراهتهم ختم الاسم بلفظ « ويه » .ع

باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعلم أن المختار للعبد فى حال صحته أن يكون خائفاً راجياً ويكون خوفه ورجاؤه سواء وفى حالِ المرَض يَتَمَحَّضُ الرجاء . وقواعد الشرع من نُصُوص الكتاب والسنةِ وغير ذلك متظاهرة على ذلك

* قال الله تعالى : « فلا يأمن مكر الله إلا القومُ الخاسرون » وقال الله تعالى « إنه لاييأسُ من روح الله إلا القوم

﴿ باب الجمع بن الخوف ﴾

من الله تعالى (والرجاء) لفضله واحسانه(اعلم أن المختار للعبد) أى المكلف حراً كان أو رقيقا ذكراً كان أو غيره (فى حال صحته) أى سلامته من المرض (أن يكون خائفا راجيا) ليزجره الخوف عن المخالفة ويبعثه الرجاء على اكتساب العمل الصالح (ويكون خوفه ورجاؤه سواء) لأن الغالب فى القرآن ذكر الترغيب والترهيب مقترنين وهذا أصح الوجهين عند الأصحاب وقيل يكون خوفه أكثر ومحل الخلاف مالم يغلب عليه القنوط فيغلب على نفسه باب الرجاء ومالم يغلب عليه سعة الرجاء ويخشى انحلال ربقة التكليف فيغلب حينئذ باب الخوف (وفى حال المرض يتمحض الرجاء) لما تقدم فى حديث «لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » (وقواعد الشرع) جمع قاعدة وهو قانون كلى يتعرف منه أحكام جزئياته والشرع ما شرعه الله من الاحكام لعباده مما ينتظم به أمر معاشهم ومعادهم وتسمى القاعدة قانونا وضابطا وأصلا ويرادف الشرع من حيث المصدق الاسلام والدين والملة ، وان كانت متخالفة من حيث الاعتبار (من نصوص الكتاب) أى القرآن (والسنة) وهو ما أضيف اليه صلى الله عليه وسلم من قوله أوصفة أوفعل أو تقرير (وغير ذلك) كالاجماع (متظاهرة على ذلك) أى المذكور والتظاهر بالهاء كأن بعضها يشد ظهر الدليل الآخر (قال تعالى فلا يأمن مكر الله) قال البيضاوى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب (إلا القوم الخاسرون) أى الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (وقال تعالى إنه لاييأس) أى يقنط (من روح الله) أى من رحمته التى يحيى به العباد (إلا القوم

الكافرون » وقال تعالى : « يوم تبيضُّ وجوه وتسود وجوه » وقال تعالى: « إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم » وقال تعالى :« إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » وقال تعالى : « فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيهْ نار حاميهْ » والآيات فى هذا المعنى كثيرة معلومة فيجتمع الخوف والرجاء فى آيتين مفترقتين أو آياتٍ أو آيةٍ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد »

الكافرون) بالله وصفاته فان العارف لايقنط من رحمته تعالى فى شىء من الأحوال (وقال تعالى يوم تبيض وجوه) وهو يوم القيامة تبيض وجوه المحقين سروراً ونوراً (وتسود وجوه) هى وجوه المبطلين تسود خزياً ودحوراً (وقال تعالى إن ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لأهل طاعته (رحيم) بهم (وقال تعالى إن الأبرار) المؤمنين الصادقين (لفى نعيم) جنة (وإن الفجار) الكفار (لفى جحيم) نار محرقة (وقال تعالى فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيآته (فهو فى عيشة راضية) فى الجنة أى ذات رضى برضاها أى مرضية له (وأما من خفت موازينه) بأن رجحت سيآته على حسناته (فأمه) مسكنه (هاوية) وبينها سبحانه مهولا لشأنها بقوله (وماأدراك ماهيه نار حاميه) نسأل الله العافية (والآيات فى هذا المعنى) أى الجمع بين الرجاء والخوف (كثيرة فجمع الخوف والرجاء فى آيتين مقرونتين) كآية « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » (أو آيات) وذلك كثير فى التنزيل (أو آية) كقوله « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم المؤمن ماعندالله) من العقوبة (ماطمع بجنته أحد) وذلك لما يشهده من جلال الحق سبحانه ويخشاه من انتقامه وهو العدل فى جميع ذلك (ولو يعلم الكافر ما عند الله) من الرحمة (ماقنط) من القنوط بالضم وهو الاياس (من رحمة الله) قال فى المصباح : قنط يقنط من باب ضرب يضرب وتعب

رواه مسلم * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدّمونى قدمونى ، وإن كانت غير صالحة قالت : ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء الا الانسانَ وَلَوْ سمعهُ لصعقَ » رواه البخارى * وعن ابن مسعود رضى الله عنة قال : قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الجنةُ أقربُ إلى أحدكم من شِراكِ نعله

فهو قانط وقنوط وقنط وحكى الجوهرى لغة ثالثة من باب قعد اه أى ما يئس من جنته أحد بل كان يرجوها لما يعلمه من كثرة الرحمة وسعتها (رواه مسلم) وفى الجامع الصغير رواه الترمذى وهو منه عجيب كان حقه حيث ماهو فى الصحيح عزوه اليه وفى المشارق رمز متفق عليه وتعقبه شارحه الكازرونى بأن الحديث لمسلم انفرد به عن البخارى * (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا وضعت الجنازة) أى بين يدى الرجال ليحملوها (واحتملها الرجال على أعناقهم) قيد إذ لايتولى حمل الجنازة ولو امرأة إلا الرجال إن وجدوا لضعف النساء غالباً فيكره لهن حملها ويكره للرجال كراهة شديدة تمكينهن منها بل أطال بعضهم فى الانتصار لحرمته نعم الأولى لايتولى حمل المرأة من المغتسل الى النعش وتسليمها لمن فى القبر وحل ثيابها إلا النساء على أعناقهن (فان كانت صالحة) يحتمل أن المراد مطلق الصلاح وهو الايمان أو الصلاح الذى هو امتثال الاوامر واجتناب النواهى (قالت قدمونى قدمونى) اشتياقا الى ماأعده الله لها من نعيم القبر ونضارته (وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها) اضافته وما بعده اليها بضمير الغيبة على خلاف القياس من ويلى لأنه حكاية كلامها وكراهة ان الويل يضاف لنفس المتكلم وهو كلمة جزع وتحسر والمعنى يا حسرته وندامته هذا وقتك فاحضرينى والويل الهلاك (أين تذهبون بها يسمع) الظاهر أنه بمعنى يستمع (صوتها كل شىء) عمومه متناول للجماد ولا بعد فى خلق قوة الاستماع فى الجماد (الا الانسان) وحكمة استثنائه قوله (ولو سمعه لصعق) بكسر العين أى مات لشدة ذلك الصوت الناشىء عن شدة ما يرى مما أعد له من الويل والثبور (رواه البخارى) فى الجنائز * (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله) بكسر الشين المعجمة

والنارُ مثل ذلكَ » رواه البخارى .

﴿ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وَشَوْقاً إليْهِ ﴾

قال الله تعالى « ويخرّون للأذقَانِ يبكونَ

وتخفيف الراء وآخره كاف أحد سيور النعل التى تكون فى وجهها ويطلق على كل سير وقى به القدم (والنار مثل ذلك) أى فى الاقربية قال ابن بطال : فيه ان الطاعة موصلة الى الجنة وأن المعصية مقربة الى النار وان الطاعة والمعصية قد يكونان فى أيسر الاشياء وفى هذا المعنى حديث « ان الرجل ليتكلم بالكلمة » الحديث فينبغى للمرء أن لايزهد فى قليل من الخير أن يأتيه ولافى قليل من الشر أن يجتنبه فانه لايعلم الحسنة التى يرحمه الله بها ولا السيئة التى يسخط الله عليه بها وقال ابن الجوزى معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية اه من فتح البارى (رواه البخارى) ورواه أحمد أيضاً كما فى الجامع الصغير

﴿ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى ﴾

الخشية الخوف المقرون باجلال وذلك للعلماء بالله تعالى كما قال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » أماتنا الله على محبتهم (وشوقا اليه) معطوف على محل المجرور بمن إذهو مفعول له وقد صرح النحاة بأن المفعول له عند اجتماع شروط نصبه لايجب النصب بل يجوز جره حينئذ وماهنا كذلك ويجوز العطف بالنصب على محل ذلك ، قال الله تعالى « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » فزينة معطوف على محل لتركبوها على أحد الاقوال فى اعراب الآية وأشار المصنف بالترجمة الى أن الداعى للبكاء إما أن يكون خشية لما علم العارف من عظم جلال مولاه وإما شوقا كشف له مما تقصر العبارة عن بيان أدناه فضلا عن أقصاه (قال الله تعالى) مبينا حال من اطلع على الكتب السابقة وعرف حقيقة المصطفى وما أنزل عليه فى تلك الكتب (ويخرون للأذقان يبكون) أى لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لأنه أول

ويزيدُهمْ خشوعاً » وقال تعالى: «أفمنْ هـذا الحديث تعجبونَ وتضحكونَ ولا تبكون » * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ علىَّ القرْآنَ ، فقلتُ يارسولَ اللهأقرأعليكَ وعليك أنزلَ ؟ ! قال إنى أحِب أن أسمعَـه من غيرى ، فقرأتُ عليه سورةَ النساء حتى جئتُ إلى هذه الآية « فـكيفَ إذا جئنا منْ كل أمة بشهيدٍ وجئنا بكَ على هؤلاء شهيدا »

مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرورية (ويزيدهم) أى سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى (وقال تعالى أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) إنكاراً (وتضحكون) استهزاء (ولا تبـكون) تحزناً على كشف مافرطتم * (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ على القرآن فقلت يارسول الله أقرأ (١) عليك) بتقدير همزة الاستفهام قبله أى أأقرأ عليك (وعليك) أى لا على غيرك (أنزل) الجملة حالية من ضمير المخاطب والرابط الواو ، فهم ابن مسعود انه أمر بالقراءة ليتلذذ بقراءته لا ليختبر ضبطه فلذا سأل متعجبا وإلا فلا مقام للتعجب (قال انى أحب أن أسمعه من غـيرى) لـكونه أبلغ فى التفهيم والتدبير لأن القلب حينئذ يخلص لتعقل المعانى والقارىء مشغول بضبط الألفاظ وأدائها حقها ، ولأنه اعتاد سماعه من جبريل والعادة محبوبة بالطبع ولهذا كان عرض القرآن على الغير سنة ، قالوا ومن فوائد هذا الحديث التنبيه على أن الفاضل لا يأنف من الأخذ عن المفضول قال ابن النحوى وقراءته عليه يحتمل أن يراد بها علم الناس بحاله أوخشى صلى الله عليه وسلم أن يغلبه البـكاء عنها (فقرأت عليه سورة النساء) فيه رد على من قال ينبغى أن يقال السورة التى يذكر فيها كذا (حتى جئت) أى وصلت (الى هذه الآية) وعطف عليها عطف بيان قوله (فـكيف) أى فـكيف حال الـكفار (إذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وجئنا بك على هؤلاء) أى الأشخاص المعينين من الـكفرة (شهيداً) وزعم المغنى أن كل نبى شهيد على أمته وكذا تفعل

---

(١) كذا بقطع الهمزة فى الشرح وفى المتن ونسخة البخارى آقرأ بالمد . ع

قالَ حسبك الآن ، فالتفتُ إليه فاذا عيناه تَذْرِفَان »

بك وبأمتك يا محمد رده الطيبي بقوله تعالى «ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» فالشهادة لهم لا عليهم وقال ابن النحوى وهؤلاء هم سائر أمته يشهد عليهم أى لهم ، فعلى بمعنى اللام وقيل أراد به أمته الكفار وقيل اليهود والنصارى وقيل كفار قريش وفيما يشهد به البلاغ أو بالايمان أو بالأعمال أقوال اه (قال حسبك) أى يكفيك ذلك (الآن فالتفت اليه) أى لأنظر الداعى الى الأمر بالكف عن القراءة بعد الأمر بها (فاذا عيناه تذرفان) بذال معجمة ساكنة وكسر الراء أى تسيل دموعهما قال ابن النحوى فى شرح البخارى يقال ذرف الدمع وذرفت العين دمعها قال فى تفسير السمرقندى من حديث محمد بن فضالة عن أبيه ﷺ أنه عليه السلام أتاهم فى بنى ظفر فجلس على الصخرة التى فى بنى ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر قارئا يقرأ حتى أتى على هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » بكى حتى اخضلت لحيته وقال يا رب هذا على من أنا بين أظهرهم فكيف بمن لم أرهم ﷺ وللثعلبي « فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال حسبنا الله » وفى تفسير ابن الجوزى « شهيداً عليهم مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » قال ابن النحوى وبكاؤه عند هذه الآية لأنه لا بد من أداء الشهادة والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد فلما كان صلى الله عليه وسلم هو الشاهد وهو السامع بكى على المفرطين منهم وقيل بكى لعظم ماتضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب وقيل بكى فرحا بقبول شهادة أمته وتزكيته لهم ذلك اليوم اه وقال بعض الشراح الشمائل بكاؤه عليهم لفرط رأفته ومزيد شفقته حيث عز عليه عنتهم ويؤخذ من قوله حسبك الآن جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة قال الحرانى : إنما قال صلى الله عليه وسلم للقارىء حسبك الآن حفيظة (١) على حسن تردية بالصبر فى هيئته فان كان ينكف عن السماع الذى يغلب تأثيره فى ظاهره (٢) الهيئة فكانت سنته العلمية أن يتردى رداء السكون ويصون ظاهر

(١ ، ٢) كذا فى جميع الأصول ولعل فى العبارة تحريفا فلتراجع عبارة الحرانى . ع

متفق عليه * وعن أنس رضى الله عنه قال : « خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً ماسمعت مِثْلها قط ، فقالَ لوْ تعلمونَ ما أعلمُ لَضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا

أعضائه عن الخروج عن الاحساس فى الهيئة كما كان لاتبدو عليه فى أقواله وأعماله عند ما ترهقه الارهاقات حركة فكان لا يزول عن ظاهر رداء الصبر ولا يخرج عن حسن السمت وهيئة السكون وقد كان عيسى عليه السلام إذا ذكر الساعة يخور كما تخور البقرة فكان أثر السماع يظهر فى كثير من الأنبياء والأولياء وكان المصطفى ساكناً فيه حتى يفيض سكونه على جلسائه وكان قليلا ما يخرج حاضروه عن هيئة السكون كما قال العرباض «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب » الحديث فقلما كان يغلب عليهم السماع لما يصل اليهم من بركة ترديه برداء الصبر ولزوم حسن السمت فأنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن انفعال النفس لما تسمع الأذن لابد منه ، لكن ينبغى الستر والتثبت وعدم إظهار الحركة والصرخة فكان على من على سنته فى الوجد التثبت وحسن السمت والصبر على جميع مواجيده التى لا يجدها سواه وكان يدعو حاضريه لذلك فعلمنا التأسى به (متفق عليه) أخرجه البخارى فى التفسير ومسلم فى كتاب فضائل القرآن وأخرجه الترمذى والنسائى فى التفسير ﴿فائدة﴾ قال ابن النحوى فى شرح البخارى روى عبد بن حميد فى تفسيره أن عبد الله بن مسعود لما قرأ هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم : «من سره أن يقرأ القرآن غضاً طرياً فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » اه * (وعن أنس رضى الله عنه قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم خطبة) بضم الخاء المعجمة فى الوعظ وهى فعلة بمعنى مفعول نحو نسخة بمعنى منسوخ وجمعها خطب (ما سمعت مثلها قط) من كمال البلاغة ومزيد التذكير والتنبيه على ما يحتاج اليه (فقال لو تعلمون ما أعلم) أى من إجلال الله سبحانه وعظمته (لضحكتم قليلا) لما تشهدون من مظهر الرحمة المنبثة من فضله فى الأكوان ففيه إيماء إلى أن الكمال عدم غلبة الخوف بحيث يؤدى إلى الانقطاع عن الرجاء (ولبكيتم كثيراً) والاسمان منصوبان على المفعولية المطلقة ويحتمل نصبهما على

قال فغطّى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وُجوهَهم لهمْ خنينٌ »متفق عليه ، وسبق بيانه فى باب الخوف * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ يلجُ النَّارَ رجلٌ بكى من خشية الله تعالى حتى يَعُودَ اللَّبنُ فى الضَّرْع ولاَ يجتمع غبارٌ فى سبيلِ الله

الظرفية الزمانية أى فى قليل وكثير من الزمان (قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين) جملة حالية من فاعل غطى والرابط الضمير (متفق عليه وسبق بيانه) مع شرحه (فى باب الخوف * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله) من فيه تعليلية أى لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم إلا تحلة القسم وقال العاقولى لعل المراد به العارف به تعالى وهو العالم العامل لقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وبالجملة فلابد من نوع معرفة ليتصور الخشوع والبكاء لأن البكاء ممن لا يعرفه بوجه ممتنع انتهى وأشار إلى سبب البكاء وما ذكرته أولى لأن الموصوف بما ذكرته القائم به من أهل الجنة ابتداء بالوعد الكريم وظاهر الخبر إن لم يحمل على ذلك معارض لما جاء فى الأخبار من دخول قوم من عصاة المؤمنين النار وقوله (حتى يعود اللبن فى الضرع) أى يدخل من مسامه إليه أى وذلك محال عادة فتعلق ولوج الخائف الوجل من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهى بعود اللبن الى الضرع ، والمراد بالولوج الدخول فيها فلا ينافى وجوب المرور عليها المفسر به الورود ، أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصى فأمره الى مولاه إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه وإن شاء حبسه بالنار قدر ماسبق فى علمه ثم أدخله الجنة لايمانه بمحض فضله ، وما ذكرت من أن المراد عود اللبن الى الضرع من مسامه ليكون محالا عاديا وإلا فقد صرح الفقهاء بأن اللبن إذا تنجس أمكن تطهيره بأن تسقاه نحو الشاة ثم يخرج من ضرعها طاهراً وكذا إذا تنجس العسل يسقاه النحل ثم يمجه طاهراً (ولا يجتمع غبار فى سبيل الله) المراد جهاد أعداء الدين

ودخانُ جهنم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعنه قال قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « سَبعةٌ يُظلُّهم اللهُ فى ظِلِه يوم لاظلَّ إلاّ ظِله إمامٌ عادلٌ . وشابٌ نشأ فى عبادَة الله تعالى ، ورجلٌ قلبهُ معلقٌ بالمساجد ، وَرَجُلانِ تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه . ورجلٌ دعته امرأة ذاتُ مَنْصِب وجمالٍ فقال إنّى أخافُ الله ، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شمالهُ ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » متفق عليه * وعن عبد الله ابن الشخير

لوجه الله تعالى (ودخان جهنم) ظاهره ان الجهاد فى سبيل الله مقتض لسلامة المجاهد من العذاب بالوعد الذى لا يخلف فيحمل على ما إذا مات فيه أو بعده ولم يقترف موبقا يصده عن ذلك (رواه الترمذى) فى كتاب الجهاد (وقال حديث حسن صحيح * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله) هى ما تعبد به بشرط معرفة المتقرب اليه فالطاعة توجد بدونهما فى النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى إذ معرفته ربما تحصل بتمام النظر والقربة توجد بدون العبادة فى القرب التى لا تحتاج الى نية كالعتق والوقف (١) (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال) بكسر الصاد (فقال) أى بقلبه لنفسه لينزجر عن العصيان ويحتمل أن يكون بلسانه لينزجر طالبه منه ولامانع أن يأتى بهما نظير ما قاله الفقهاء فيما يسن للصائم إذا خوصم من قوله إنى صائم (إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) خشية من الله تعالى (متفق عليه) وقد تقدم مع شرحه فى باب فضل الحب فى الله (وعن عبدالله بن الشخير) بشين وخاء معجمتين مكسورتين والخاء مشددة وآخره راء الصحابى هو عبد الله بن الشخير بن عوف ابن كعب بن وقدان بن الجرش وهو معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن

---

(١) لم نجد فى جميع النسخ التى بأيدينا جملة ورجل قلبه معلق بالمساجد . ع

رضى الله عنه قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز « كأزيز المِرْجَلِ من البكاء » حديث صحيح

صعصعة العامرى الكعبي الجرشى البصرى والد مطرف بن يزيد روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ستة أحاديث قال ابن الجوزى فى مختصر التنقيح ذكره البرقانى وقال له نحو ستة أحاديث اهـ انفرد مسلم بالرواية عنه عن البخارى فروى له حديثين وأورد له المزى فى الأطراف تسعة أحاديث وقد ذكرته فى رجال الشمائل بأبسط من هذا (رضى الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ولجوفه) أى صدره وداخله ، وجوف كل شيء داخله والجوف البطن وما انطبقت عليه الكتفان والاضلاع (أزيز) بفتح الألف وكسر الزاى الأولى صوت البكاء أو غليانه فى الجوف وفيه أن الصوت الغير المشتمل على الحروف لا يضر فى الصلاة (كأزيز المرجل) بكسر فسكون ففتح ، مذكر ، والقدور كلها مؤنثة إلا المرجل وهو قدر من نحاس أو حجر أو يختص بالنحاس أو كل قدر . ورجحه الحافظ ابن حجر قال الزمخشرى سمى بذلك لأنه إذا نصب أقيم على رجل (من البكاء) أى من أجله وذلك ناشيء عن عظيم الرهبة والخوف والاجلال لله سبحانه وذلك مما ورثه من أبيه ابراهيم عليه السلام فقد ورد أنه كان يسمع من صدره صوت كغليان القدر من مسيرة ميل اهـ وفيه دليل على كمال خوفه وخشيته وخضوعه لربه قال الحرانى ومن هذا الحديث ونحوه استن أهل الطريق الوجد والتواجد فى أحوالهم وعرفوا به فى أوقاتهم ، وهذا الحال إنما كان يعرض للمصطفى صلى الله عليه وسلم عند تجلى الصفات الجلالية والجمالية معا يعنى الجلال الممزوج بالجمال وإلا فغير الممزوج بالجمال لا يطيقه أحد من البشر بل ولا واحد من الخلائق وكان إذا تجلى لقلبه الجمال المحض يمتلىء نوراً وسروراً وملاطفة وإيناساً وتبسطا وكل وارث من أمته له نصيب من هذين التجليين فتجلى الجلال يورث الخوف والقلق والوجل المزعج ، وتجلى الجمال يورث الأنس والسرور (حديث صحيح) فيه دليل على جواز تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه لمن تمكن منه وفيه أهلية ذلك خلافا لابن الصلاح فى منع

رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل باسناد صحيح * وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيّ بن كعب رضى الله عنه : « إن الله عزّ وجلّ أمرنى أن أقرأ عليكَ (لمْ يَكن الذين كفروا) قال وسمانى لك ؟ قال نعمْ ، فبكى »

ذلك وقد تقدم ذلك (رواه أبو داود) فى كتاب الصلاة من سننه (والترمذى فى الشمائل) فى باب البكاء (باسناد صحيح) والنسائى فى الصلاة بنحوه * (وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى) بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية (ابن كعب) بسكون العين المهملة آخره موحدة وهو الانصارى سيد القراء تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب بيان كثرة طرق الخير (إن الله عز وجل أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا) أى السورة بكمالها (قال) أى أبى للنبى صلى الله عليه وسلم (وسمانى لك) الواو عاطفة على مقدر أى أمرك بذلك وسمانى ، وسببه احتمال أن يكون الله تعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقرأ على رجل من أمته ولم ينص على خصوص أبى ، فأراد تحقق ذلك فيؤخذ منه الاستئذان ويوضح ذلك لفظ البخارى « هل نص على باسمى أو قال اقرأ على واحد من أصحابك فاخترتنى أنت » (قال نعم) أى سماك لى وعند الطبرانى عن أبى بن كعب قال نعم باسمك ونسبك فى الملأ الأعلى (فبكى) إما فرحا وسروراً بذلك أو خشوعاً وخوفاً من التقصير فى شكر تلك النعمة أو استحقاراً لنفسه وخشية وتعجباً وهذا شأن الصالحين إذا فرحوا بشىء خلطوه بالخشية وقيل الفرح والسرور دمعته باردة ولذلك يقال أقر الله عينه قاله ابن النحوى قال أبو عبيد المراد بالعرض على أبى ليعلم منه القراءة « قلت » ويؤيده أن عند أحمد بن حنبل من حديث على بن زيد عن عمار بن أبى دحية البدرى « لما نزلت لم يكن قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يأمرك أن تقرئها أبياً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أمرنى أن أقرئك هذه السورة فبكى وقال يارسول الله وقد ذكرت ثمة قال نعم » ويستثبت فيها ليكون عرض القرآن سنة وللتنبيه على فضيلة أبى وتقدمه فى حفظ القرآن وليس

متفق عليه * وفى رواية « فجعل أبىٌ يبكى » * وعنه قال « قال أبو بكرٍ لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا إلى أُمِّ أيمن نزورُها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورُها فلما انتهينا إليها بكتْ فقالالها مايُبْكيك أَمَا تَعْلَمينَ أنَّ ماعندَ الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

المراد أن يتذكر منه صلى الله عليه وسلم شيئاً بذلك العرض وحكمة تخصيص هذه السورة لو جازتها وجمعها لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته والاخلاص وتطهير القلوب وكان الوقت يقتضى الاختصار قاله المصنف والقرطبي فى شرحيهما على مسلم ويؤخذ من الحديث مشروعية التواضع فى أخذ الانسان العلم من أهله وان كان دونه (متفق عليه) أخرجه البخارى فى فضائل أبى وفى التفسير ومسلم فى كتاب فضائل القرآن من كتاب الصلاة من صحيحه (وفى رواية) أى لمسلم فى الكتاب المذكور من صحيحه (فجعل أبى يبكى) وهذه أبلغ من الاولى للاتيان بالجملة المضارعية الدالة على التجدد والحدوث . (وعنه) أى أنس (قال قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد) ظرف لقال (وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى وانتظام أمر الخلافة (انطلق بنا الى أم أيمن نزورها) جملة مستأنفة لبيان المقصود بالانطلاق اليها وقوله (كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها) فيه ايماء الى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى كل أفعاله مما لم يقم الدليل على تخصيصه صلى الله عليه وسلم به (فلما انتهينا اليها بكت) لتذكرها برؤيتهما النبي صلى الله عليه وسلم لملازمتهما له وعدم مفارقتهما إياه فى الغالب ونظيره بكاء الصحابة لما سمعوا أذان بلال بالشام مرة بأمر عمر رضى الله عنهما حين قدومهما تذكراً لأيام المصطفى صلى الله عليه وسلم (فقالا لها ما يبكيك) بضم التحتية (أما تعلمين أن ما عند الله) مما تقصر العبارة عن تعريف أدناه فضلا عن أعلاه (خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون خير بغير ألف مصدراً ويحتمل أن يكون أفعل تفضيل فيدل على أنه كان له فى الدنيا خير وهو كذلك لما يشرعه من الأحكام ، ويهدى من الأنام ، ويوصل المنقطعين الى حضرة المولى ، ويقرب المبعدين الى الفيض الأعلى ، وعليه فحذف معمول أفعل أى مما فى الدنيا للتعميم

قالت إنى لا أبكى أنى لا أعلمُ أن ماعند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبكى أن الوَحْى قَدِ انْقَطَعَ من السماء . فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها » رواه مسلم وقد سبق فى باب زيارة أهل الخير * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعهُ : قيل له فى الصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ،

وإيماء الى أن ما عند الله لا يليق أن تقابل به الدنيا لفنائها وانقطاعها (قالت انى لا أبكى أنى لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بتقدير لام التعليل قبل أن أى لا أبكى لعدم علم ذلك ، وأعادت الجملة بلفظها مع اغناء اسم الاشارة عنها استعذابا لذكر المحبوب فمن أحب شيئا أكثر ذكره (ولكن) استدراك مما يفهمه كلامها السابق مع ما قبله الموهم انحصار سبب البكاء فى عدم العلم بذلك أى ليس البكاء لذلك ولكن (أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء) تقدم فى باب المحبة فى الله عن المواهب وغيرها ان المخصوص بالنبى الوحى بالشريعة اما مطلق الوحى فيكون لغير الأنبياء فيحمل قولها على ذلك (فهيجتهما) اى حملتهما (على البكاء فجعلا يبكيان معها) ففيه البكاء على فقد الاخيار وان ذلك لا يعارض التسليم للاقدار (رواه مسلم وقد سبق) مع شرحه (فى باب زيارة اهل الخير * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما اشتد) بالشين المعجمة اى قوى وعظم (برسول الله ﷺ وجعه) زاد فى رواية لما اشتكى شكوه (١) الذى توفى فيه رواه البخارى كما فى الاطراف وذلك لتضاعف أجره واعلاء أمره كما يدل عليه حديث « أشد الناس بلاء الانبياء » الحديث (قيل له فى الصلاة) أى من يقيمها للقوم ويؤم بهم فيها (فقال مروا) بضم الميم وأصله أؤمروا بهمزتين أولاهما للوصل وثانيتهما فاء الكلمة فحذفت تخفيفا ومثله خذوا (أبا بكر) أى الصديق وسكت عن وصفه بذلك لتبادره اليه وحذف المأمور به أى باقامة الصلاة لدلالة قوله (فليصل بالناس) على ذلك أورده الحافظ المزى بلفظ للناس باللام محل الباء أى ليصل إماما لأجلهم ليعقدوا صلاتهم بصلاته وفى الاتيان بالفاء الدالة على التعقيب إيماء الى كمال مبادرته لامتثال أمر المصطفى

---

(١) الشكو المرض كما فى القاموس . ع

فقالت عائشةُ رضى الله عنها إن أبا بكر رجل رقيقُ القلب إذا قرأ غلبه البكاءُ قال مروه فليصل » * وفى رواية عن عائشة قالت : « قلت إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناسَ من البكاء » متفق عليه * وعن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه

صلى الله عليه وسلم وعدم توانيه ، وأخذ منه أفضلية الصديق على باقى الصحابة الذين هم أفضل من جميع الأمة وأنه الخليفة من بعده ولذا قال عمر رضى الله عنه « رجل اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لديننا ألا نرضاه لدنيانا ! » (فقالت عائشة) لتصرف ذلك عن أبيها خوفا من تطير الناس به إن مات صلى الله عليه وسلم ولما تعلمه من كراهتهم للواقف موقفه لما جبلوا عليه من كمال محبته صلى الله عليه وسلم (إن أبا بكر رجل رقيق) أى رقيق قلبه واسناده اليه باعتبار ذلك لما غلب عليه من شهود مظهر الجلال (اذا قرأ) أى القرآن (غلبه البكاء) أى فلا يتمكن من اظهار القراءة المأمور بها الامام وليس مرادها أن ذلك يقع منه بسببه ظهور حرفين لأنه مبطل للصلاة ان لم يكن عن غلبة بحيث لا يمكن دفعه ولو كان كذلك لما أمر به ثانيا بقوله (قال مروه فليصل . وفى رواية) أى لها (عن عائشة) أى من سندها بخلاف ماقبله فهو من سند ابن عمر (قالت) أى للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يؤم الناس أبو بكر (قلت إن أبا بكر إذا قام مقامك) أى اماما بالناس والمقام بفتح الميم اسم مكان من القيام (لم يسمع الناس من البكاء) من فيه تعليلية أى بسببه ، وايراد المصنف لهذا الحديث فى الباب لأن النبي صلى الله عليه وسلم رضى ذلك الأمر من الصديق وأبقاه على تقديمه فهو دليل على كونه محبوبا قال تعالى « انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (متفق عليه) أخرجوه فى كتاب الصلاة واللفظ للبخارى ورواه النسائى فى عشرة النساء من سننه كما فى الاطراف (وعن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف) الزهرى قال الحافظ فى التقريب قيل له رواية وسماعه من ابن عمر أثبته يعقوب بن أبى شيبة مات سنة خمس وقيل سنة ست وتسعين خرج عنه الشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه (أن عبد الرحمن بن عوف) بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشى الزهرى أحد العشرة أسلم قديما ومناقبه شهيرة مات

سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك ومن مناقبه التى لا توجد لغيره كما قال المصنف فى التهذيب أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وراءه فى غزوة تبوك حين أدركه وقد صلى بالناس ركعة وحديثه فى مسلم وغيره . قال وقولنا لا توجد لغيره من الناس احترازاً من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلف جبريل حين أعلمه بالمواقيت اه وما أفهمه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف غير عبد الرحمن يشكل عليه ما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح والنسائى عن عائشة قالت : « صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر فى مرضه الذى مات فيه قاعداً » وأخرجه الترمذى وقال حسن صحيح من حديث أنس قال : « صلى النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر قاعداً فى ثوب متوشحا به » قال الحافظ السيوطى بعد إيراد ذلك وأحاديث أخر بمعناه وإيراد حديث تأخر أبى بكر واقتدائه بالنبي صلى الله عليه وسلم واقتداء الناس بأبى بكر ما لفظه هذه الأحاديث قد جمع بينها ابن حبان والبيهقى وابن حزم وقال ابن حبان لا معارضة بين هذه الأحاديث فانه صلى الله عليه وسلم صلى صلاتين لا صلاة واحدة ، لأن فى خبر عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم خرج بين رجلين تريد بأحدهما العباس والآخر عليا وفى خبر آخر عنها أنه صلى الله عليه وسلم خرج بين بريدة وثوبة قال فهذا يدلك على أنهما صلاتان لا صلاة واحدة قال البيهقى فى المعرفة : والذى نعرفه بالاستدلال بسائر الأخبار أن الصلاة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أبى بكر هى صلاة صبح يوم الاثنين وهى آخر صلاة صلاها حتى مضى لسبيله ، هى غير التى صلاها أبو بكر خلفه قال ولا يخالف هذا ما ثبت عن أنس فى صلاتهم يوم الاثنين فكشف النبي صلى الله عليه وسلم الحجرة ونظر اليهم وهم صفوف فى الصلاة وأمرهم بإتمامها وارخائه الستر فان ذلك إما كان فى الركعة الاولى ثم انه وجد فى نفسه خفة فخرج فأدرك معه الركعة الثانية ثم ذكر ما يدل له من كلام موسى بن عقبة . قال البيهقى فالصلاة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مأموم صلاة الظهر وهى التى خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الفضل بن عباس وغلام له . قال وبذلك جمع بين الاخبار . وقال ابن حزم وهما صلاتان متغايرتان بلا شك إحداهما التى رواها الاسود عن عائشة وعبيد الله عنها وعن ابن عباس صفتها أنه صلى الله عليه وسلم صلى الناس خلفه وأبو بكر عن يمينه فى موقف المأموم يسمع الناس تكبيره

أُتِى بطعام وكان صائما فقال : قُتِلَ مصعبُ بنُ عمير رضى الله عنه وهو خير منى فلم يوجد له مايكفَّنُ فيه إلا بردةٌ إن غُطى بها رأسُه بدت رجلاه وان غطِّى بها رجلاه بدا رَأسُهُ ، ثم بُسِطَ لَنَا مِنَ الدنْيا مابسط أوْقالَ أُعطينامِنَ الدُّنياماأعْطِينَا

والثانية التى رواها مسروق وعبيد الله عن عائشة وحميد عن أنس صفتها أنه صلى الله عليه وسلم كان خلف أبى بكر فى الصف مع الناس فارتفع الاشكال جملة ، قال ومرضه ﷺ كان نحو اثنى عشر يوما فيه ستون صلاة أو نحو ذلك اه ملخصا وحينئذ فليست هـذه الفضيلة من خصائص ابن عوف بل كما هى له فهى لجدنا الصـديق رضى الله تعالى عنه أيضا روى له عن النبى صلى الله عليه وسـلم خمسـة وستون حديثا اتفقا منها على حديثين وانفرد البخارى بخمسة وفضائله شهيرة طوينا عن نشرها خوف التطويل (أتى) بالفوقية مبنى للمجهول خبر إن أى إنه جىء اليه (بطعام) لعل تنوينه للتعظيم كما يومىء اليه آخر القصة (وكان صائماً) جملة فى محل الحال وأتى بها لبيان كماله وأنه مع توفر الداعى لتناول الطعام تركه لما صرفه عنه مما يخاف منه أن يكون مؤخراً له عن الدرجات العلا (فقال قتل) بالبناء للمجهول (مصعب) بضم الميم وسكون الصاد المهملة وفتح العين المهملة وبالباء الموحدة (ابن عمير) بضم العين المهملة وسكون التحتية ابن هشام بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى العبدرى وكان من فضـلاء الصحابة وخيارهم . ومن السـابقين الى الاسـلام وكان قتله يوم أحـد قتله عبد الله ابن قتيبة وهو يظنه النبى ﷺ (رضى الله عنه) جملة دعائية (وهو خير منى) هذا من تواضعه وكمال فضله وإلا فأفضل الصحابة العشرة الذين منهم ابن عوف (فلم يوجد له ما يكفن فيه) الفعلان مبنيان للمجهول (إلا بردة) بضم الموحدة وبالرفع بدل من ما ويجوز نصبه على الاستثناء وهو عربى فصيح وإن كان الاول أفصح وقوله (إن غطى) بضم المعجمة وكسر المهملة المشددة أى ستر (بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه) جملة شرطية فى محل الصفة لبردة وأتى بقوله وان غطى بها رجلاه مع دلالة ماقبله عليه واستلزامه اياه لان المقام للاطناب (ثم بسط) بالبناء للمجهول أى وسع (لنا فى الدنيا ما بسط) الموصول نائب الفاعل والظرفان فى محل الحال منه (أو) شك من الراوى فى انه قال مابسط أو (قال ماأعطينا)

قد خشينا أنْ تكونَ عُجِّلَتْ لنا طيِّباتُنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام » رواه البخارى * وعن أبى أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شىء أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين قطرةِ دموع من خشية الله وقطرةِ دم تهراق

وقوله (قد خشينا أن تكون حسناتنا) اى أعمالنا الصالحة الحسنة (عجلت لنا) أى عجل لنا جزاؤنا فلا نقدم على ثواب مدخر جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له خشى أن يكون ماهو فيه من اليسار من جزاء طاعته التى فعلها مع أن ذلك اليسار من أسباب عمله الصالح ومتجره الاخروى الرابح كما علم من انفاقه فى سبيل الله تعالى وتصدقه على عباد الله ومع ذلك لعدم نظره لعمله واعتداده خشى أن يكون مايدخره سواه من إسباب أبعاده عن مولاه (ثم جعل يبكى) خوفا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الاعمال فى المال وجعل هنا من افعال الشروع وقوله (حتى ترك الطعام) غاية لبكائه أى تمادى به الى أن أدى به لذلك (رواه البخارى) فى الجنائز وفى المغازى من صحيحه كما فى الاطراف (وعن أبى أمامة) بضم الهمزة (صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه) صدى بضم المهملة الاولى وفتح الثانية كما تقدم مع ترجمته فى باب التقوى (عن النبى ﷺ قال ليس شىء) أحب بالنصب خبر ليس وهو من الفعل المبنى للمجهول أى ليس شىء أكثر محبوبية (الى الله تعالى) أى ليس شىء أكثر ثوابا عنده وأعظم مكانة من فضله (من قطرتين) بفتح القاف وهى كما فى المصباح النقطة (وأثرين) بفتح الهمزة والثاء المثلثة هى ما بقى من الشىء دلالة عليه (قطرة دموع) أى قطراتها وأفردت لاضافتها الى الجمع ثقة بذهن السامع (من) الاقرب أنها سببية ويحتمل كونها ابتدائية أى دمعا مبتدأ من (خشية الله) أى ناشئة منها وهى تكون من المعرفة الناشئة من العلم والعمل به قال تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » (وقطرة دم) قال العاقولى : إفرادا لدم يدل على أن إهراقه أفضل من الدموع (تهراق) بضم الفوقية وفتح الهاء وذلك لانه مضارع

فى سبيل الله ، وأما الأثران فأثر فى سبيل الله تعالى وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى » رواه الترمذى وقال حديث حسن * وفى الباب أحاديث كثيرة منها حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه « وعظنا رسُول صلى الله عليه وسلم موعظة ذَرِفت منها العُيُونُ » وقد سبق فى باب البدع

﴿باب﴾

فضل الزهد فى الدنيا

الرباعى ولا نظر للهاء فيه لأنها زائدة وقد استثناه ابن هشام فى الجامع الصغير مما يفتح فيه حرف المضارعة من الخماسى فانه مضموم فيه وإن كان الماضى خماسيا لانه رباعى . وإنما زيدت فيه الهاء على غير قياس . قال ابن فلاح :ويؤيد بقاءه على حكم الرباعى قطع الهمزة فيه ولو خرج إلى الخماسى لغير إلى همزة الوصل والجملة الفعلية فى محل الصفة لقطرة وقوله (فى سبيل الله) أى فى الجهاد للكفار لاعلاء كلمة الله متعلق بالفعل المذكور وقوله قطرة الخ بيان للقطرتين وكان الظاهر أما القطرتان فقطرة دموع الخ كما يدل عليه قوله (وأما الاثران)ولعله مقدر كذلك بشهادة العطف (فأثر فى سبيل الله تعالى) أى ما يبقى بعد الاندمال من ضربة سيف أو طعنة رمح (وأثر فى فريضة الله تعالى) وذلك لبلل فى أعضاء الوضوء وأثر السجود (رواه الترمذى) فى كتاب الجهاد من جامعه(وقال حديث حسن) زاد فيه بعد قوله حسن قوله غريب وكأن المصنف سكت عنه لعدم ضرره فى حسن الحديث لانها غرابة نسبية لاغرابة مطلقة . (وفى الباب) أى باب البكاء من خشية الله (أحاديث كثيرة) وصف توكيدى وإلا فصيغة الاحاديث من جموع الكثرة الدالة عليها (منهاحديث العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة) يحتمل أن تكون منصوبة على المصدرأى وعظنا وعظا بليغا كما يدل عليه العدول عن « وعظا » اليها . ويحتمل أن تكون منصوبة بحذف الخافض (ذرفت) بوزن علم أى دمعت (منها العيون وقد سبق فى باب البدع) وتقدم ثمة شرحه

﴿باب فضل الزهد فى الدنيا﴾

الظرف لغو متعلق بالزهد . قال السيد الشريف فى التعريفات الزهد فى اللغة ترك

والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قال الله تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلا أونهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »

وقال تعالى :

الميل الى الشيء وفى الاصطلاح هو بغض الدنيا والاعراض عنها . وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة وقيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك اه وتقدم المراد من الدنيا فى حديث انما الأعمال بالنيات (والحث) بالمثلثة المشددة أى التحريض (على التقلل منها) عبر بباب التفعيل المؤذن بالتكلف لما أن ذلك خلاف داعى الطبع البشرى قال تعالى « بل تؤثرون الحياة الدنيا » وقال تعالى « وتحبون المال حبا جما » أى فيتكلف الاستقلال منها وإن كان ذلك خلاف طبعه ليسلم من تبعات ذلك (وفضل الفقر) أى غير المذموم وهو الفقر مما زاد على الكفاية والحاجة ه (قال الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا) أى صفتها العجيبة الشأن فى سرعة نقصها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها (كماء) أى كمطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) أى بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والانعام) من الكلأ (حتى إذا أخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) عذابنا (ليلا أونهارا فجعلناها) أى زرعها (حصيدا) كالمحصود بالمناجل (كأن) مخففة أى كأنها (لم تغن) لم تكن (بالأمس كذلك نفصل) نبين (الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون بها قال البيضاوى الممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح ، لا الماء وإن وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب اه (وقال تعالى) علوا معنويا

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياحُ وكان الله على كل شيء مقتدرا . المالُ والبنونَ زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحاتُ خير عند ربك ثواباً وخير أملا » وقال تعالى : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد

أى تنزه عما لا يليق به (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أى اذكر لقومك ماتشبه الحياة فى زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة وقوله (كماء) خبر محذوف أى هو كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير ، وعليه اقتصر المحلى فى تفسيره والمفعول الاول مثل (أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه ، أو نجع فى النبات حتى روى ورف (١) . وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته (فأصبح) أى صار النبات (هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه والمشبه به كما فى الذى قبله الحالة المتفرقة فى الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر براقا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شيء) من الاشياء (مقتدرا) قادراً (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) أى يتزين بها الانسان فى الدنيا وتفنى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر . زاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله كما ورد تفسيرها بذلك فى الاخبار وقال البيضاوى : هى أعمال الخيرات التى تبقى لا ثمرتها أبد الآباد . ويندرج فيه ما فسرت به من الصلوات الخمس وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين عندية مكانة وشرف (ثوابا) عائدة (وخير أملا) أى مايأمله الانسان ويرجوه عند الله تعالى لأن صاحبها ينال بها فى الآخرة ماكان يأمل بها فى الدنيا (وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والأود) قال بعضهم

---

(١) قوله نجع أى فى النبات أى ظهر أثره فيه ورف ، يقال رف رفيفا أى برق لونه وتلألأ وقوله وعلى هذا أى على هذا التفسير الثانى وهو قوله أونجع الخ . ع

كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور»

اللعب فعل يدعو إليه الجهل ، يروق أوله ولا ثبات له ، واللهو صرف الهم عن النفس بفعل مالا يجوز اه وقال البيضاوى بين سبحانه وتعالى أن الدنيا أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا إتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ، ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم منها وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ، وهذا كما قال المحلى فى الاشتغال بالدنيا أما الطاعات وما يعين عليها فليست منها — ثم قرر حال الدنيا وشأنها بقوله (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) وهو تمثيل للدنيا فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا ولأن المؤمن إذا رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها ، والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجابا ، ثم هاج أى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما فتاتا يضمحل بالرياح . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسيره : فان الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء وكذا الانسان يكون فى أول عمره شابا غضا طريا لين الاعضاء بهى المنظر ثم يكتهل فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه السير ، كما قال الله تعالى « الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد) أى لمن انهمك فى الدنيا ، تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على ما يوجب الكرامة فى العقبى ثم أكده بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) لمن لم ينهمك فى الدنيا أى ليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا أحد هذين (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى لمن أقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها قال ابن كثير هى متاع فان عاد لمن ركن اليها فانه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراها

وقال تعالى : « زُيِّنَ للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » وقال تعالى « يأيها الناس إن وعد الله حق

وهى حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « موضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة اه قاله المحلى (وقال تعالى زين للناس حب الشهوات) أى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه من لعب ولهو وزينة وتكاثر ، زينها الله ابتلاء أو الشيطان (من النساء والبنين والقناطير) أى الأموال الكثيرة (المقنطرة) المجتمعة والقناطير جمع قنطار أو جمع قنطرة واختلف فى قنطار هل هو فعلال أو فنعال والقنطار المال الكثير بعضه على بعض قاله الربيع بن أنس . وقيل مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم قاله سعيد بن جبير وعكرمة وقيل ملء مسك ثور ذهباً أو فضة قاله أبو نصرة وسمى قنطاراً من الأحكام يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه القنطرة . وقيل ما بين السماء والأرض من مال قاله صاحب الحكم والمقنطرة قيل انها مأخوذة من القنطار للتأكيد كبدرة مبدرة وقيل لغيره فقال الضحاك أى المحصنة وقال قتادة أى الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال يمان هى المدفوقة وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (من الذهب والفضة) قال فى لباب التفاسير سمى الذهب ذهبا لسرعة ذهابه فى الانفاق والزكاة والفضة فضة لأنها تفرق بضرب الدراهم وتفرق بالانفاق والفض التفريق اه والظرف فى محل الحال بيان للقناطير (والخيل المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها ، أو المطهمة أى المجملة (والانعام) جمع نعم بفتح أوليه وهى الابل والبقر والغنم سميت به لعظم الانتفاع بها (والحرث) أى الزرع (ذلك) أى ما ذكر (متاع الحياة الدنيا) أى ما يتمتع به فيها وهو فان مضمحل لا يقابل ما ادخره فى الآخرة وقد عم ذلك بقوله (والله عنده حسن المآب) أى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عند الله تعالى من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المحدجة الفانية (وقال تعالى يأيها الناس إن وعد الله حق) لا خلف فيه قال أبو حيان فى النهر

فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولايغرنكم بالله الغَرور » وقال تعالى : «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمونَ ، ثمَّ كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين » وقال تعالى : «وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ لهْوٌ ولعبٌ وإن الدار الآخرة لهِي الحيوانُ

شامل لجميع ما وعد به من ثواب وعقاب وغير ذلك «قات» وكأن اقتصار البيضاوى على قوله بالحشر والجزاء لانهما الاهم ، بل اقتصر الحافظ ابن كثير على الاول وهو مستلزم للجزاء لان ذاك لذلك (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (ولا يغرنكم بالله الغرور) قال مالك عن زيد بن أرقم هو الشيطان أى بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقد عقب تعالى هذه الآية بما يدل على عداوة الشيطان لنا بقوله « إن الشيطان لكم عدو » الآية وقرىء بالضم وهو مصدر أو جمع كقعود (وقال تعالى ألهاكم) أى أشغلكم وأصله الصرف إلى اللهو منقول من لها إذا غفل (التكاثر) بالأموال والاقوال (حتى زرتم المقابر) الى أن متم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم فزيارة المقابر عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى له أن لا يكون جميع همته ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا وينتهوا عن غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتوكيد وفى ثم دلالة على أن الثانى أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون ما بين أيديكم على الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم ما لا يوصف ولا يكيف فحذف الجواب ولذا اقتصر المصنف على ذلك ، قال البيضاوى : ولا يجوز أن يكون قوله «لترون الجحيم» جوابا لأنه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه تفخيما اه (وقال تعالى وما هذه الحياة الدنيا) قال فى النهر : الاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لامرها (إلا لهو ولعب) أى كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى دار الحياة

لو كانوا يعلمونَ » والآياتُ فى البابِ كثيرة جداً مَشْهُورَة ، وأما الأحاديثُ فأكثرُ من أنْ تحصر فننبه بطرَفٍ منها على ماسواهُ * عن عمْرِو بن عوف

الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها ، أوجعلت هى فى ذاتها حياة مبالغة ، والحيوان مصدر حى سمى به ذو الحياة مبالغة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا ، وهو أبلغ من الحياة لما فى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليهما هنا . وفى « فتح الرحمن بكشف ما تلبس فى القرآن » للشيخ زكريا : قدم اللعب فى الأنعام والقتال والحديد وعكس فى الأعراف والعنكبوت لأن اللعب زمن الصبا واللهو زمن الشباب وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب فناسب إعطاء المقدم للأكثر والمؤخر للأقل اه (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (والآيات فى الباب كثيرة مشهورة) لا منافاة بين ما دل عليه جمع السلامة من القلة ، وقوله كثيرة لأن تلك بالنظر الى الأحاديث فيه وإن كانت الآيات فيه فى نفسها كثيرة ويحتمل أن يكون أشار بذلك الى أن محل كون جمع السلامة من جموع القلة كما عده النحاة حيث لم يكن معرفا وإلا فلا ، بل هو من ألفاظ العموم كما قاله الأصوليون (وأما الأحاديث) فى الباب (فأكثر من أن تحصر) لكمال كثرتها وفى ذلك منه إيماء الى الاعتناء بما عقد له الباب لاعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما يدل عليه كثرة الاخبار فيه (فننبه) النون فيه للعظمة تحدثا بنعمة الله تعالى عليه بالعلم والتأهيل له (بطرف) بفتح أوليه المهملين أى بقطعة وجانب (منها) ويجوز أن يقرأ بضم أوله وفتح ثانيه على أنه جمع طرفة بالضم قال فى المصباح : الطرفة أى بالضم والسكون مايستطرف جمعه طرف كغرفة وغرف اه والأول أنسب بقوله (على ماسواها) وهو والظرف قبله متعلقان بالمضارع (عن عمرو) ويقال فيه عمير بالتصغير كما نبه عليه فى الفتح (ابن عوف الأنصارى) زاد المزى فى وصفه قوله «البدرى حليف بنى عامر بن لؤى» وخرج بقوله الأنصارى عمرو بن عوف المزنى راوى حديث تكبيره صلى الله عليه وسلم خمسا فى الجنازة وأحاديث أخر غير ذلك . قال الحافظ فى الفتح بعد قول البخارى الأنصارى : المعروف عند أهل المغازى أنه من المهاجرين وهو موافق لقوله هنا وهو حليف لبنى عامر بن لؤى لانه يشعر بكونه من أهل مكة ، ويحتمل أن يكون وصفه بالانصار

الأنصاريّ رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين يأتى بجزيتها فقدِمَ بمالٍ من البحرَين فسمعت الأنصارُ بقدوم أبى عُبيدةَ فوافوا صلاةَ الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالمعنى الأعم ولا مانع أن يكون أصله من الاوس أو الخزرج فنزل مكة وحالف بعض أهلها فبهذا الاعتبار هو أنصارى مهاجرى ثم ظهر كأن لفظة الانصارى وهم تفرد بها شعيب عن الزهرى ورواه أصحاب الزهرى كلهم عنه بدونها فى الصحيحين وغيرها وهو معدود من أهل بدر اتفاقا وقول المزى البدرى لانه (رضى الله عنه) شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخرج ابن الاثير فى أسد الغابة عن ابن اسحق قال ممن شهد بدرا عمرو بن عوف مولى سهيل بن عمرو وقال هكذا جعله ابن اسحق مولى وجعله غيره حليفا قيل لانه سكن المدينة ولا عقب له وليس له فى الكتب الستة سوى هذا الحديث (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة) قيل اسمه عامر بن عبد الله وقيل عبدالله بن عامر (بن الجراح) والاول أصح أحد العشرة المبشرة بالجنة (رضى الله عنه) وعنهم . والجراح بفتح الجيم وتشديد الراء آخره حاء مهملة (الى البحرين) أى البلد المشهورة بالعراق وهى بين البصرة وهجر . وفى كتاب أسامى البلدان قال الزهرى إنما ثنوا البحرين لان فى ناحية قراها بحيرة على باب الاحسا وقرى هجر بينها وبين البحر الاخضر عشرة فراسخ وهذه البحيرة ثلاثة أميال فى مثلها ولا يفيض ماؤها، وماؤها را كدزعاف اه (يأتى بجزيتها) أى بجزية أهلها وكان غالب أهلها إذذاك مجوسا . وذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد قسمة الغنائم بالجعرانة أرسل العلاء الى المنذر بن ساوى عامل الفرس على البحرين يدعوه الى الاسلام فأسلم وصالح مجوس تلك البلاد على الجزية من المجوس (فقدم بمال من البحرين) قال فى كتاب الصلاة من التوشيح نقلا عن مصنف ابن أبى شيبة كان قدر المال مائة ألف وأنه أول خراج حمل الى النبي صلى الله عليه وسلم اه (فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة) أى بالمال (فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الحافظ يؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون الجميع فى كل الصلوات إلا لأمر يطرأ وكانوا يصلون فى مساجدهم اذ كان لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه فلأجل ذلك عرف صلى الله عليه وسلم

فلما صلىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا لهُ فتبسمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ رآهمْ ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدةَ قدم بشيء من البحرين ؟ قالوا أجلْ يارسول الله ، فقال : أبشروا وأملوا ما يسرّكمْ فوالله ما الفقر أخشى عليكم

أنهم اجتمعوا لأمر ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر وهو احتياجهم للمال للتوسعة عليهم . ويحتمل أن يكون وعدهم بأن يعطيهم منه اذا حضروا وقد وعد جابراً بعد هذا أن يعطيه من مال البحرين فوفى له أبو بكر (فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف) أى ذاهبا الى مقصده (فتعرضوا له) أى قصدوا له قال فى الصحاح يقال تعرضت أسألهم اه (فتبسم صلى الله عليه وسلم حين رآهم) يحتمل أن يكون تبسمه لما ظهر من مقتضى الطبع من طلب الدنيا مع أن قضية حالهم وشرفهم وكون المصطفى صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم مع كمال إعراضه عنها ترك ذلك (ثم قال أظنكم سمعتم أن أباعبيدة قدم بشيء) يحتمل أن يكون تنويه للتعظيم باعتبار كثرة كميته ، ويحتمل أن يكون للتحقير لحقارة الدنيا فى جانب ما أعد الله للمؤمنين فى الدار الآخرة (من البحرين) يحتمل أن يكون مستقراً صفة لشيء ويحتمل أن يكون لغواً متعلقاً بالفعل (فقالوا أجل) هو فى المعنى مثل نعم ، لكن نعم يحسن أن تقال جواب الاستفهام وأجل أحسن من نعم فى التصديق (يارسول الله) وأتوا به تلذذا بالخطاب والا فقد حصل بقولهم أجل الجواب (فقال أبشروا) أمر معناه الاخبار بحصول المقصود (وأملوا) قال فى تحفة القارى بفتح الهمزة وتشديد الميم (فوالله ما الفقر) بالنصب مفعول مقدم لقوله (أخشى عليكم) وتقدم المفعول اهتماما بنفى خشية الفقر عليهم عكس الآباء مع أولادهم فان الوالد الشفيق يخشى على ولده الضيعة بعده والنبي صلى الله عليه وسلم لهم مثل الوالد ولم يخش عليهم الفقر قال الطيبي لأن الأب الدنيوى يخشى على ولده الفقر الدنيوى والأب الدينى يخشى على ولده الفقر الدينى ، قال الحافظ فى الفتح : يجوز رفع الفقر بتقدير ضمير أى ما الفقر أخشاه عليكم والأول هو الراجح وخص بعضهم جواز ذلك بالشعر اه وأصله للزركشى وتعقبه فيه الدمامينى بأن ضعف ذلك مذهب كوفى قال فى التسهيل : ولا يختص بالشعر خلافا

ولكنى أخشى أنْ تُبسَط الدنيا عليكم كما بُسطتْ على مَنْ كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتُهلِكَكم كما أهلكتْهم »

للكوفيين « فان قلت » تقديم المفعول هذا يؤذن بأن الكلام فى المفعول لا فى الفعل كقولك ما زيداً ضربت فلا يصح أن يعقب المنفى باثبات ضده فيقول ولكن أكثر منه لأن المقام فى المفعول إهل هو زيد أو عمرو مثلا لا فى الفعل هل هو إكرام أو إهانة : والحديث قد وقع فيه استدراكٌ باثبات ضد الفعل المنفى فقال ولكن أخشى الخ فكيف يأتى هذا «قلت» المنظور اليه فى الاستدراك هو المنافسة فى الدنيا عند بسطها عليهم فكأنه قال ما الفقر أخشى عليهم ولكن المنافسة فى الدنيا فلم يقع الاستدراك إلا فى المفعول كقولك ماضربت زيدا ولكن عمرا ضربت ثم لا يضر لأنه فى الحقيقة استدراك بالنسبة الى المفعول لا الى الفعل اه ولكن أخشى أن تبسط) أى توسع (الدنيا عليكم) هو ما فتحه الله عليهم من الدنيا بعده حتى إن أحدهم لا يجد للمال موضعا يحطه فيه (كما بسطت على من كان قبلكم) ما موصول اسمى أو نكرة موصوفة أى دنيا يعود الضمير النائب عن الفعل المستتر فى بسطت عليه على من كان قبلكم أى الامم وسقطت كان من بعض نسخ البخارى (فتنافسوها كما تنافسوها) الاول مضارع حذفت احدى تائيه تخفيفا والاصل فتتنافسوها وفى بعض نسخ البخارى حذف الضمير المنصوب من الفعل الثانى ، قال المصنف والتنافس المسابقة الى الشىء وكراهة أخذ الغير له وهو أول درجات الحسد اه ومعناه مافى تحفة القارى من أنه الرغبة فى الشىء والانفراد به (فتهلكم) أى فى الدين (كما أهلكتهم) فى ذلك وإسناد الاهلاك إليها مجاز عقلى من باب الاسناد الى السبب اذ التنافس فيها سبب قد يجر لفساد الدين وهلاكه قال الحافظ فى الفتح لان المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه فتمتنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية الى الهلاك اه وقد وقع عند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا « تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون » ونحو ذلك قال فى الفتح وفى الحديث اشارة إلى أن كل خصلة من المذكورات مسببة عما قبلها وفى الحديث « واتقوا الشح فانه أهلك من قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » قال ابن بطال فيه أن زهرة الدنيا ينبغى لمن

متفق عليه * وعنْ أبى سعيد الخدْرى رضى الله عنه قال : « جلسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وجلسنا حولهُ فقالَ إن مما أخاف عُليكم بعدى مايُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » متفق عليه *

فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها عنه وفى تفسير البيضاوى والخازن أى زينتها وبهجتها أى فلا يطمئن الى زخرفها ولا ينافس بها أيضا اه (متفق عليه) رواه البخارى واللفظ له فى الجزية وفى المغازى من صحيحه ورواه مسلم فى آخر صحيحه فى باب تحريم الظلم السابق ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه أيضا فرواه الاول فى باب الزهد والثالث فى الفتن ومدار الحديث عندهم على الزهرى * (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر) بكسر الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة قال فى الصحاح نبرت الشىء أنبره نبرا رفعته ومنه سمى المنبر (وجلسنا حوله) لسماع أقواله وتلقى مواعظه وحول منصوب على الظرفية قال فى الصحاح يقال قعدوا حوله وحواله وحواليه ولا يقل حواليه بكسر اللام وقعد حياله وبحياله بالكسر أى بازائه وأصله الواو اه (فقال إن مما أخاف عليكم بعدى) أى بعد موتى وقدمه اهتماما بأمره على الاسم وهو قوله (مايفتح) بالبناء للمفعول (عليكم من زهرة الدنيا) قال فى المصباح زهرة بوزن تمرة لا غير أى لايجوز فتحها بخلاف واحدة الزهر ففيها ذلك أيضا ويرده مافى تفسير البيضاوى من قوله وقرأ يعقوب زهرة بالفتح وهى لغة فى الزهرة اه ومثله فى تفسير النهر الا أنه لم يعين اسم القارىء وعبارته « وقرىء زهرة بفتح الهاء وسكونها نحو زهرونهر » «قلت» إن ثبت مافى المصباح من منع الفتح فى لغة فيحمل على أنه جمع زاهر كما جوزه البيضاوى فيها أيضا قال وهى متاعها وزينتها وفى تفسير البيضاوى والخازن أى زينتها وبهجتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا يتأنس بها اه « قلت » وعليه فعطف قوله (وزينتها) على الزهرة من عطف الخاص على العام وخشيته صلى الله عليه وسلم من ذلك لئلا يتعلق حبه بالقلب ويأخذ بهجته بالبصر فيوقع فى الاسباب المؤدية الى فساد الدين مما تقدم فى الحديث قبله (متفق عليه) ورواه البخارى فى الصلاة وفى الجهاد وفى الزكاة وغيرها ومسلم فى

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الدنيا حُلوة خضرةٌ وإن اللهَ تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيفَ تَعملونَ ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » رواه مسلم * وعن أنَسٍ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قالَ « اللهم لاعيش إلاعيش الآخرة »

باب (١) ورواه النسائى فى الجهاد * (وعنه) أى أبى سعيد الخدرى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الدنيا خضرة) بفتح المعجمة الأولى وكسر الثانية (حلوة) أى جامعة بين الوصفين المحبوبين للبصر والذوق فهى كالفاكهة التى راق منظرها وحلا مذاقها (وان الله مستخلفكم فيها) بكسر اللام أى بمنزلة الخلفاء عنه فى التصرف فيها أى فلا تتصرفوا بما لم يأذن لكم به (فينظر كيف تعملون) فيجازيكم على ما يبدو منكم من حسن وضده فى عالم الشهادة الذى ظهر كما سبق فى علم الغيب الأزلى (فاتقوا الله) أى من ميلكم الى زهرتها وحلاوتها وخضرتها مما يطلب منكم من الوقوف عند ما أبيح لكم دون ما حظر عليكم والفاء فيه فصيحة أى إذا علمتم أن ما تعملون فيه بمرأى من الله تعالى فاتقوه فى ذلك (واتقوا النساء أى احذروهن أن يحملكم الافتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف أو أن يخدعنكم بكيدهن فتقعوا فى شىء من أغراضهن الممنوع منها شرعا (رواه مسلم) فى آخر الدعوات ورواه النسائى أيضاً فى عشرة النساء والحديث قدمه المصنف فى باب التقوى وتقدم شرحه ثمة بأبسط مما هنا * (وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) فى أشد أحواله لما رأى تعب أصحابه لحفر الخندق (اللهم) أى يا ألله (إن العيش) الحياة الدائمة (عيش الآخرة) فلا يحزن الانسان لما يصيبه فى هذه الدار فانه منقض وأجره باق دائم وقاله فى أسر الأحوال أيضاً لما رأى كثرة المؤمنين فى يوم عرفة فى حجة الوداع لبيك

---

(١) بياض فى جميع النسخ فراجعنا ذخائر المواريث للنابلسى فوجدناه ينص على أنه رواه مسلم فى كتاب الزكاة عن أبى الطاهر وعن على بن حجر وعن يحيى بن عباس فراجعنا مسلما فوجدنا ذلك فى باب تخوف مايخرج من زهرة الدنيا فى كتاب الزكاة . ع

متفق عليه * وعنه عنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يتبعُ الميتَ ثلاثٌ، أهلُهُ ومالُهُ وعملُهُ ، فيرجِعُ اثنان ويبقى واحد ، يرجعُ أهله وماله ويبقى عمله » متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤتى بأنعَم أهلِ الدنيا من أهل النار

إن العيش عيش الآخرة أى شأن العاقل أن لا يفرح بما يسره من الدنيا لانقضائها وأن يكون اهتمامه بما يفرح به فى آخرته لأن حياتها الدائمة الأبدية (متفق عليه) وقد تقدم هذا الحديث مع شرحه (وعنه) أى عن أنس (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الميت) من منزله الى مدفنه فى الغالب (ثلاث) من الأشياء وحذف التاء منه لحذف المعدود وأبدل من ثلاث بدل مفصل من مجمل ، قوله (أهله وماله) أى الذى كان ماله قبل موته أى بعضه كعبيده وما يصحب مع أهله للنفقة على مؤن دفنه (وعمله) أى جميع ماعمله فى الدنيا كما يومىء اليه إضافة المفرد ويحتمل أن يراد ما عمله مما يتعلق به جزاء دون ما كفر لنحو توبة أو عمل صالح أو فضل إلهى فيكون عاما أريد به خاص (فيرجع اثنان ويبقى واحد) ذكره مجملا ثم مفصلا ليكون أوقع فى النفس وأقر فيها فقال (يرجع أهله) بعد دفنه (وماله) كذلك أو ما يبقى مما هيىء لمؤن الدفن بعد تمامه (ويبقى عمله) معه مرتهناً هو به قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة » اللهم وفقنا لمرضاتك بمنك وكرمك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الرقاق ومسلم فى الزهد وكذا رواه الترمذى فى الزهد من جامعه وقال حسن صحيح والنسائى فى ذلك من سننه ومداره عند الجميع على سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن أنس كذا يؤخذ من الأطراف * (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى) بالبناء للمفعول ونائب الفاعل الظرف بعده والفاعل اما الله تعالى لأنه الموجه للجميع وإما الملائكة لأنهم المنتصبون فى ذلك بأمره (بأنعم أهل الدنيا) أى بأكثرهم نعمة فيها من لذات الدنيا وزهراتها (من أهل النار) فى محل الحال نائب الفاعل وفيه إيماء الى أن من أنعم الله عليه فى الدنيا بالنعم فى ظاهره من أهل الايمان

يوم القيامة فيصبغُ فى النار صَبْغَةً ثم يقال يابنَ آدمَ هل رأيت خيراً قطُّ ، هل مر بكَ نعيم قطّ؟ فيقولُ : لا والله يارب ، ويؤتى بأشدِّ الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة

وصالح الاعمال ليسوا كذلك (يوم القيامة) ظرف للفعل أى بعد فصل القضاء والحكم بين العباد (فيصبغ) أى يغمس (فى النار صبغة) بفتح الصاد أى غمسة ولعل التنوين فيه للتقليل فيكون أبلغ فالتعقيب بالنسبة للاتيان كذلك هنا «وفى» قرينة (ثم) لعل الاتيان بها ايماء الى أنه يهان باهماله كذلك مدة و(يقال) له بعدها تبكيتا والقائل إن كان خزنة جهنم فالأمر ظاهر وإن كان الحق سبحانه بلا واسطة فلادلالة فيه على شرف لهم لأن خطابه تعالى لهم على سبيل الاهانة والاذلال ، ثم رأيت حديث النسائى مصرحا بالشق الثانى (هل مر بك نعيم قط) بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة ظرف للزمان الماضى (فيقول) عقب السؤال بلا تراخ كما تؤذن به الفاء (لا والله) الجواب مقدر بعدلا ، أغنى عن التصريح به دلالة ما قبله عليه والقسم بعد لتأكيد نفى ذلك وكأن ذلك منه لغلبة العذاب عليه حتى يذهل عما مضى له فى الدنيا من النعيم فيقول ذلك ، وإلا فالآخرة لايقع فيها الكذب من أحد ، ويحتمل أنهم عدوا جميع ما ذاقوه من النعيم فى جنب ما أصابهم من أقل العذاب كالعدم فصيروه فى حكم المعدوم فقالوا ذلك وقوله (يارب) بحذف الياء اكتفاء بدلالة الكسرة عليها أتى به للتعطف والترحم (ويؤتى بأشد الناس بؤساً) بالهمز أى شدة قاله المصنف : قال فى المصباح ، ويجوز التخفيف أى لغة (فى الدنيا) يحتمل أن يكون ظرفا مستقراً صفة لبؤس وأن يكون لغوا متعلقا به وقوله (من أهل الجنة) فى محل النصب بيان لأشد وهو المؤمن ولو عاصياً (فيصبغ) أى يغمس (صبغة فى الجنة) وسمى ما ذكر صبغة لظهور أثره عليهم ظهور أثر المصبوغ قال تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة» ثم قوله فيصبغ الخ ثابت فى صحيح مسلم ساقط فيما وقفت عليه من نسخ الرياض ولعله من قلم الناسخ سهواً ولعل حكمة تقديم شأن أهل النار لكونه من باب الانذار وهو كالتخلية على مايتعلق بأهل الجنة الذى هو من باب البشارة لكونه كالتحلية بالمهملة والظاهر

فيقالُ يا ابنَ آدم هل أيت بؤساً قطّ ، هلْ مر بكَ شدةٌ قط ، فيقول لاَ والله ما مرّ بى بؤسٌ قَط ولا رأيت شدة قط » رواه مسلم * وعن المُستَورد بن شداد رضى الله عنه

أن تقديم المفعول المطلق هنا على نائب الفاعل وتأخيره ثمة للتفنن فى التعبير (فيقال له) أى عقب إذاقته لأول مايلقاه من النعيم الذى هوجزء يسيرمما أعد له من النعيم كما تؤذن الفاء والمبادرة بذلك للتشريف (هل رأيت) أى وجدت (بؤساً) أى شدة (قط هل مربك بؤس قط) يحتمل أن يكون بمعنى ماقبله وكررتأكيداً واطنابا لزيادة التذكير بالنعمة التى آل اليه أمرها حتى هان عليه ما لاقاه فى الدنيا فى جانبها يقال ما يأتى ويحتمل أن لا يكون كذلك بأن المسئول عنه أولا ماوجد مشقته وشدته وثانيا ما نزل به مما لم يكن كذلك لما عارضه من خفى لطف إلهى (فيقول لا والله) وصرح بالمحذوف بعد لا النافية الدال عليه سياق الكلام بقوله (ما مر بى بؤس) أى شدة (قط ولا رأيت شدة قط) لأن المقام للاطناب شكراً لما أبيح من تلك المنة التى يقصر عن بيان أدناها البيان (رواه مسلم) فى التوبة من صحيحه وكذا رواه النسائى فى الجهاد من سننه كذا قال الحافظ المزى فى الأطراف وتعقبه الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف عليه بأنهما حديثان وكان عليهما افرادهما وذلك بين من سياقهما ولفظ حديث مسلم عن يزيد عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس ما ذكر ولفظ حديث النسائى عن بهز عن حماد « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله عزوجل يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول ربى خير منزل ، فيقول عز وجل سل وتمنى فيقول أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات لما رأى من فضل الشهادة ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول تباركت وتعالى يا ابن آدم كيف منزلك الحديث » فهذان حديثان مختلفان فى السياق والمعنى وان اتحد إسنادهما ، وقد أخرج الثانى الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى * (وعن المستورد) هو بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح الفوقية وكسر الراء آخره دال مهملة (ابن شداد) بفتح المعجمة وتشديد المهملة الاولى ابن عمرو بن حنبل بن الاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشى الفهرى رضى الله عنه وأمه دعد بنت جابر بن حنبل بن

قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «ما الدُّنيا فى الآخرة إلا مِثْلُ مايجعلُ أحدُكم إصْبَعُه فى اليمّ فَلْيَنظُرْ بِمَ يَرجعُ» رواه مسلم * وعنْ جابر رضى الله عنه « أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسُّوق

الاحب أخت كرز بن جابر ، ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان غلاما قاله الواقدى وقال غيره إنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم سماعا وأتقنه ، سكن الكوفة ثم مصر ، روى عنه أهل الكوفة وأهل مصر كذا فى أسد الغابة ، قال الجوزى : روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعة أحاديث قال البرقى فى هذه السبعة التى جاءت عنه منها أربعة لاهل مصر وحديثان لاهل الكوفة وحديث لاهل الشام اه روى عنه مسلم هذا الحديث وأخرج عنه حديثا آخر ولم يرو له البخارى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا) أى ما مثلها أو نعيمها زمانها (فى الآخرة)أى فى جانبها أو بالنظر اليها (الا مثل أومايجعل أحدكم اصبعه)قال فى المصباح : فيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الموحدة والعاشرة أصبوع كعصفور والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء وهى التى ارتضاها الفصحاء اه وقد نظمتها بقولى

وفى أصبع عشر بتثليث همزة وباءله والعاشر اصبوع فاعلم

(فى اليم) بفتح التحتية وتشديد الميم البحر (فلينظر) أى أحدكم (بم) أصله بما حذفت الالف أى بأى شىء (يرجع) بالتحتية والضمير راجع لاحد أى بمايرجع أحدكم أصبعه لا لاُصبع لانها مؤنثة كما فى المصباح ثم قال وفى كلام ابن فارس مايدل على تذكير الاصبع وقال الصغانى : يذكر ويؤنث والغالب التأنيث قال فى المفاتيح يجوز فى « مثل » أن يقرأ وبالرفع الفتح على أنه مبنى لأن « ما » فى مايجعل مصدرية يعنى نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وزمانها الى نعيم الآخرة ليس إلا مثل نسبة الماء اللاصق بأصبع أحدكم إذا غمسها فى اليم أى البحر (رواه مسلم) فى صفة الدنيا والآخرة من صحيحه ورواه الترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح ورواه النسائى فى الزهد * (وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بالسوق) داخلا من بعض طرق العالية كما فى صحيح مسلم وحذفه المصنف اختصارا لعدم تعلق غرضه قال فى المصباح: يذكر ويؤنث وقال ابو اسحاق

وَالناسُ كَنفَيْهِ فمر بجدْيٍ أسَكَّ ميتٍ فتناوَلهُ فأخذَ بأذنِهِ فقال أيكم يُحب أن يأخذَ هذا له بِدرْهم ؟ فقالوا مانحب أنه لنا بشيء ومانصنع به ؟ قال أتحبون أنه لكم ؟ قالوا والله لوْ كان حيًّا لكان عَيْبًا

السوق التى يباع فيها مؤنثة وهو أفصح وأوضح وتصغيرها سويقة والتذكير خطأ لانه قيل سوق نافقة ولم يقل نافق بغير هاء اه سميت بذلك لسوق الناس بضائعهم اليها ، أو لانهم يقومون فيها على سوقهم أو لتصاكك السوق فيها من الازدحام (والناس كنفيه) جملة فى محل الحال من ضمير مر وفى شرح مسلم للمصنف قوله والناس كنفيه وفى بعض النسخ كنفتيه ، معنى الأول جانبه والثانى جانبيه اه ولم يظهر وجه تفسير ما حذفت التاء منه بالمفرد وما أثبت فيه تاء بالمثنى وفى النهاية انهما كذلك بمعنى والله أعلم . وفى المصباح الكنف بفتحتين الجانب وجمعه أكناف كسبب وأسباب (فمر بجدى) هو ولد المعز كذا فى المفاتيح وفى المصباح قال ابن الأنبارى هو الذكر من أولاد المعز والانثى عناق وقيده بعضهم بكونه فى السنة الاولى والجمع أجدو جداء كدلو وأدل ودلاء والجدى بالكسر لغة رديئة اه (أسك) أى صغير الاذن من السكك بفتحتين وهو صغيرها كذا فى المفاتيح ويأتى مثله فى الأصل وقال العاقولى : الأسك مصطلم الأذنين مقطوعهما (ميت فتناوله) فيه دليل على أن لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لاينجس (فأخذ بأذنه) كأن الأخذ بها لمزيد الحقارة والأذن بضمتين ويجوز تخفيفها بتسكين الثانية (ثم قال) كأن الاتيان بثم لبيان أنه عرض بين الأخذ والتكلم ماتأخر بسببه التكلم ، ويحتمل أن تكون استعيرت فى موضع الفاء وعدل اليها تفننا ودفعا لثقل التكرار فى الجملة (أيكم يحب أن هذه له بدرهم) أحد الظرفين فى محل الخبر ، والآخر فى محل الحال والأولى اعراب الأول خبرا والثانى حالا كما يومىء اليه ما بعده قال العاقولى هو استفهام ارشاد وتنبيه ليلقوا السمع لمايوجهه اليهم من الخطاب الخطير فى ضمن التمثيل بهذا المعنى الحقير (فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء) أى من الأشياء التى هى أقل من الدرهم فضلا عنه (وما نصنع به) وهو نجس لموته قد انقعطت الاطماع بذلك عن الانتفاع به (قال) تأكيدا للمقام (تحبون) أى أتحبون (أنه لكم) أى من غير شيء (قال والله لو كان حيا كان عيبا) أى معيبا أو ذا عيب ويجوز إبقاؤه على ظاهره من غير تأويل ولا تقدير ويكون فى الجملة مبالغة أنه لكمال قيام العيب به ولصوقه

إنه أسك فكيف وهو ميت ! فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » رواه مسلم (كنفيه) أى عن جنبيه ، والأسك الصغير الأذن *

صار كأنه عيب وحذفت اللام من جملة لو حملا على جواب إن كما أثبتت اللام فى جواب إن حملا على جواب لو فى قولهم ، وإلا لكان كذا ، أى لو كان حيا لترك مع رجاء الانتفاع به لكونه معيبا وقوله (انه أسك) تفسير العيب فكيف وهو ميت (لا ينتفع به فقال والله للدنيا) بفتح اللام صدر بها جملة جواب القسم المركبة من مبتدإ هو الدنيا وخبر هو قوله (أهون على الله من هذا عليكم) وأهون أفعل من الهون بضم الهاء وسكون الواو قال فى المصباح هان يهون هونا بالضم وهوانا ذل وحقر وفى التنزيل « أيمسكه على هون » قال أبو زيد والكلابيون يقولون على هوان ولم يعرفوا الهون وفيه مهانة أى ذل وضعف اه والمعنى أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من هذا عندكم فعلى بمعنى عند قال فى المصباح تأتى على بمعنى عند قال الشاعر : غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها (١) قال الأصمعى : معناه من عنده ثم قال العلماء : الأنبياء والأصفياء والكتب الالهية والعبادات فى الدنيا وليست منها فلا تدخل فى الهوان (رواه مسلم) فى الزهد من صحيحه ورواه أبو داود فى الطهارة من سننه (قوله كتنفيه أى عن جانبيه) تقدم فى المصباح الكنف الجانب وكأن التأنيث باعتبار معنى الجهة والأسك الصغير الاذن : قال فى المصباح السكك أى بفتحتين مصدر من باب تعب وهو صغر الأذنين وبه يتأيد ما تقدم عن المفاتيح ويحتمل قوله «مصطلمهما» أن ذلك خلقى لا ان ذلك طارىء بقطعهما كما يعطيه لفظ الاصطلام إذ معناه كما فى الصحاح أيضاً القطع ثم رأيت الصحاح قال : السكك بالتحريك صغر الأذن يقال كل سكاء تبيض وكل شرقاء تلد فالسكاء التى لا أذن لها والشرقاء التى لها أذن وإن كانت مشقوقة ويقال سكه يسكه إذا اصطلم أذنيه اه ومنه يعلم أن العاقولى اشتبهت

---

(١) لم أجد هذه الكلمة فى المصباح والذى فى الصحاح : وعلى حرف خافض وقد يكون اسما يدخل عليه حرف جر قال مزاحم :

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها * تصل عن قيظ بزيزاء مجهل

أى غدت من فوقه لأن حرف الجر لا يدخل على حرف الجر اه بتصرف وإذا فهى بمعنى فوق لا عند فليتأمل . ع

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : « كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحدٌ فقال يا أبا ذرٍ ، قلت لبيك يا رسول الله، قال ما يسرني أن يكون عندي مثلُ أحد هذا ذهباً يمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينارٌ إلا شيء

عليه مادة بمادة لحمل الأسلك على أنه من باب المضاعف المضموم العين المفسر بالاصطلام وإنما هو من باب علم كما تقدم في المصباح وغيره فهو الصغير الأذن كما قاله المصنف وغيره (وعن أبي ذر) بفتح المعجمة وتشديد الراء كنية جندب بن جنادة (رضي الله عنه قال كنت أمشي مع النبي ﷺ فيه كمال تواضعه ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه على أحد منهم (في حرة) بفتح الحاء المهملة وتشديد الراء هي أرض ذات حجارة سود والجمع حرار بكسر أوله (بالمدينة) علم بالغلبة على دار هجرته صلى الله عليه وسلم (فاستقبلنا أحداً) بضمتين الجبل المعروف بالمدينة (فقال يا أبا ذر) فيه تكنية العالم تلميذه وتابعه تأنيساً وتكريماً وهو من كمال فضله وحسن خلقه ﷺ (قلت) في نسخ البخاري المصححة فقلت بالفاء أوله (لبيك يا رسول الله) فيه الجواب بذلك زيادة في الأدب (قال ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا) والاتيان به للتعظيم كقوله تعالى « ذلك الكتاب » وقوله (ذهبا) تمييز لمثل وجاء في رواية البخاري في باب الاستئذان من صحيحه « فلما أبصر أحداً قال ما أحب أن يحول لي ذهباً » قال الحافظ بعد ذكر اختلاف ألفاظ رواياته وقد اختلف ألفاظ هذا الحديث ومخرجه متحد ، فهو من تصرف الرواة ويمكن الجمع بين قوله مثل أحد ، وبين قوله يحول أحد ، بحمل المثلية على شيء يكون وزنه من الذهب وزن أحد ، والتحويل على أنه إن انقلب ذهبا كان على قدر وزنه أيضاً ، وذهبا على تلك الرواية الثانية جعله ابن مالك مفعولا ثانيا لحول ، ومفعوله الأول ضمير أحد واستدل به على مجيء حول بمعنى صير وعمله عملها وهو استعمال كثير يخفى على أكثر النحاة ، ورده الحافظ بقوله بعد أن ذكر أن اختلاف ألفاظه من تصرف الرواة ما لفظه : فلا يكون حجة في اللغة (تمضي عليّ ثالثة) أي ليلة ثالثة وإنما قيد بالثلاث لأنه لا يتهيأ تفريق قدر أحد من الذهب في أقل منها غالباً ، لكن يعكر عليه رواية يوم وليلة فالأولى أن يقال الثلاث أقصى ما يحتاج اليه في تفريق مثل ذلك ، والليلة الواحدة أقله (وعندي منه دينار) جملة حالية (إلا شيء) كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ

أرصده لِدَين إلا أنْ أقول به فى عبادِ الله هكذا وهكذا وهكذا عنْ يمينهِ وعنْ شمـاله ومنْ خلفه ؛ ثم سارَ فقالَ

الرياض بالرفع، وقد ذكر الحافظ فى الفتح أن فيه روايتين الرفع والنصب قال وهما جائزان لأن المستثنى منه مطلق عام والمستثنى مقيد خاص فاتجه النصب ، وتوجيه الرفع أن المستثنى منه فى سياق النفى ، والشىء فسر فى رواية بالدينار ووقع فى رواية غير أبى ذر « وعندى منه دينار أو نصف دينار » وفى رواية أخرى « وأدع منه قيراطا قال قلت قنطاراً قال قيراطا » وفيه « ثم قال يا أباذر إنما أقول الذى هو أقل » (أرصده لدين) قال الدمامينى بفتح الهمزة والصاد مضمومة أو مكسورة (١) أى أعده وأحفظه وهذا الارصاد أعم من أن يكون لصاحب دين غائب حتى يحضر أو لأجل وفاء دين مؤجل حتى يحل فيوفى (إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه) هو استثناء بعد استثناء فيفيد الاثبات ، فيؤخذ منه أن نفى محبة المال مقيدة بعدم الانفاق فيلزم محبة وجوده مع الانفاق فمادام الانفاق فى سبيل الله موجوداً لا يكره وجود المال وإذا انتفى الانفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شىء آخر ولو قدر أحد أو أكبر مع استمرار الانفاق وقوله عن يمينه الخ هكذا اقتصر على ثلاث وحمل على المبالغة لأن العطية لمن بين يديه هى الأصل قال فى الفتح والذى يظهر لى أن ذلك من تصرف الرواة وأن أصل الحديث مشتمل على الجهات الأربع ثم ذكر أنه وجده كذلك فى رواية باثبات الأربع قال وقد أخرجه فى الاستئذان فاقتصر على اثنتين وعدى الى الأولين بحرف المجاوزة لأن المنفق منهما كالمنحرف عن المنفق المار على عرضه ، ونظيره جلست عن يمينه وعدى الثالث بحرف الابتداء إيماء الى كمال المبالغة فى الكرم حتى كأنه ابتدأ به من جهة الخلف بعد أن أتمه من جهة الامام وجاوز به من عن جانبيه ، وقال الحافظ قوله من خلفه بيان للاشارة وخص عن باليمين والشمال لأن الغالب فى الاعطاء صدوره باليدين اه وما قلناه أظهر فتدبر (ثم سار فقال) فى رواية

---

(١) الذى فى القاموس وغيره ، أن الذى بمعنى أعد هو أرصد الرباعى فيكون قوله أرصده بضم الهمزة وكسر الصاد . ع

ألا إن الأكثرين هم الأقلّون يوم القيامة إلاّ منْ قال : هكذا وهكذا وهكذا عنْ يمينهِ وعنْ شماله وعن خلفه ؛ وقليلٌ ماهم ، ثم قالَ لى مكانَكَ لاتَبرحْ حتى آتيكَ ، ثم انْطلَقَ فى سَوَاد الليّل حتى توارى

للبخارى ثم قال وبهـا يتبين أن أحد العاطفين استعير فى محل الثانى (ألا) أداة استفتاح يؤتى بها لتنبيه السامع لما بعدها اهتماما به (إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة) هكذا عند البخارى الأقلون بالهمزة فى الاستقراض والاستئذان من صحيحه ووقع عنده فى الرقاق منه المقلون بالميم محل الهمز قال الحافظ والمراد الاكثار من المال والاقلال من ثواب الآخرة وهذا فى حق من لم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعد من الانفاق بقوله (إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه) فى رواية عند احمد « الا من قال هكذا وهكذا وهكذ فحثى عن يمينه ومن بين يديه وعن يساره » فاشتملت الروايتان على الجهات الاربع وان كان كل اقتصر على ثلاث منها وقد جمعها عبد العزيز بن رفيع فى روايته ولفظه « إلا من أعطاه الله خيرا أى مالا فنفح بنون وفاء ومهملة أى أعطى كثيرا بلا تكلف يمينا وشمالا وبين يديه ووراءه » وبقى من الجهات فوق واسفل والاعطاء من قبل كل منهما ممكن لكن حذف لندوره وقد فسر بعضهم الانفاق من وراء بالوصية وليس قيدا فيه بل قد يقصد الصحيح الاخفاء فيدفع لمن وراءه مالم يدر به من أمامه . وقوله هكذا صفة لمصدر محذوف أى لمن أشار اشارة مثل هذه الاشاره (وقليل ماهم) ماصلة مزيدة لتأكيد القلة ويحتمل أن تكون موصوفة ولفظ قليل هو الخبر وهم المبتدأ والتقدير وهم قليل وقدم الخبر اهتماما بمضمونه كما يؤذن به تأكيده ففيه التحريض على الانفاق لاصحاب الاموال ليندرج فى القليل الذى هو الجليل والله الموفق (ثم قال لى مكانك) بالنصب أى الزمه وقوله (لاتبرح) تأكيد له ودفع لتوهم أن الأمر بلزوم المكان ليس عاما فى الازمنة (حتى آتيك) غاية للزوم المكان المذكور (ثم انطلق فى سواد الليل حتى توارى) فيه اشعار بأن القمر كان قد غاب حتى توارى أى غاب شخصا « قلت » ويحتمل أن يكون التوارى بسبب زيادة البعد حتى خفى عن البصر سيما ونور القمر يغيب فيه الشخص عن العين فى بعد لايتوارى عنها فى مثله فى الشمس لضعف ضوئه

فسمعتُ صوتاً قد ارتفع فتخوَّفت أنْ يكونَ أحدٌ قدْ عرضَ للنبى صلى الله عليه وسلم فأردْتُ أنْ آتيهُ فذكرتُ قولَهُ لاَ تَبْرَحْ حَتى آتِيكَ ؛ فلم أبْرحْ حتى أتانى ، فقلتُ لقدْ سمعتُ صوتا تخوفت منه فذكرتُ لهُ ، فقالَ وهلْ سمعتهُ ؟ قلتُ نعَم ؛ قالَ ذاكَ جبريلُ أتانى فقال من مات من أمَّتكَ لايشركُ بالله شيئاً دخل الجنَّة

(فسمعت صوتا قد ارتفع) فى رواية لغطا ، وهو اختلاط الاصوات (فتخوفت أن يكون) أى من أن يكون (أحد قد عرض) أى تعرض بسوء (للنبى صلى الله عليه وسلم فاردت أن آتيه) أى أتوجه اليه كما جاء فى رواية أن أذهب أى اليه ولم يرد أن يتوجه لحال سبيله بدليل رواية الباب (فذكرت قوله لاتبرح فلم ابرح حتى أتانى) فى رواية فانتظرته حتى جاء وفى الحديث الوقوف عند أمره ﷺ ولزوم طاعته قال فى الفتح : ففيه أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأى ولو كان فيما يقتضيه الرأى توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفعها أولى اه (فقلت) جاء فى رواية للبخارى زيادة يارسول الله (لقد سمعت صوتا تخوفت منه) اللام هى المؤذنة بالقسم المقدر الداعى اليه تأكيدمقام الاخبار (فذكرت له) المفعول محذوف أى ما سمعت وقد جاءمصرحابه فى بعض رواياته بلفظ فذكرت له الذى سمعت (فقال وهل سمعته) المعطوف عليه محذوف أتذكر ذلك وهل سمعته ومفعول سمع محذوف لدلالة ما قبله أى وهل سمعت صوتا وظاهر أن الاستفهام للتثبت والتقرير لتقدم اخباره بالسماع فجوز أن يكون التبس عليه صوت نحو ريح حينئذبصوت متكلم فقال ذلك لذلك (قلت نعم) أى من غير تردد (قال ذلك) أى الذى كنت أخاطبه (جبريل) أو ذلك الصوت الذى سمعته صوت جبريل ففيه على الثانى مضاف مقدر (أتانى فقال من مات من أمتك لايشرك بالله شيئا) أى من الشرك الجلى أما الخفى وهو نحو الرياء فغير مانع من دخول الجنة (دخل الجنة) فقيل المراد اما ابتداء أو بعد المجازاة على المعصية وقيل المراد دخلها ابتداء وقد حمله كذلك البخارى على من تاب عند الموت وهذا مافهمه أبو ذر والاول أولى للجمع بين الادلة ،جواب الشرط ، رتب دخول الجنة على الموت بغير اشراك بالله فقد

قلتُ وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق » متفق عليه وهذا لفظ البخارى * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كانَ لى مثلُ أحدٍ ذهباً لسرَّنى ألاَّ تمر علىَّ

ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر وبعدم دخول الجنة لمن عملها ولذا وقع الاستفهام بقول أبى ذر (قلت وإن زنى وان سرق) بتقدير همزة الاستفهام قبله قال ابن مالك حرف الاستفهام مقدر أول هذا الكلام ولابد من تقديره (قال وان زنى وإن سرق) أى يدخلها وإن زنى وإن سرق ، إن وصلية والواو الداخلة عليها قيل عاطفة على مقدر وقيل حالية واقتصر على ذكر هذين لأن أحدهما متعلق بحق الله سبحانه والآخر بحق العباد فكأنه يقول إن من مات على التوحيد دخلها وان تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده وزيادة شرب الخمر فى رواية للاشارة الى فحش تلك الكبيرة لانها تؤدى إلى خلل فى العقل الذى به شرف الانسان على البهائم وبوقوع الخلل فيه قد يزول التوقى الذى يحجز عن ارتكاب بقية الكبائر وأسقط المصنف تكرار استفهام أبى ذر لذلك ، وجوابه ﷺ عن ذلك مرتين أخريين زاد فى الثالثة « وإن رغم أنف أبى ذر » لعدم تعلق غرض الترجمة به (متفق عليه وهذا لفظ البخارى) فى الرقاق من صحيحه وقد أخرجه فى مواضع أخرى منه وأخرجه مسلم فى الزكاة ورواه الترمذى فى الايمان من جامعه وأخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة ومداره عندهم على زيد بن وهب (١) عن أبى ذر كذا يؤخذ من الاطراف للمزى (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كان لى) أى وجد فهى تامة فاعلها (مثل أحد) والظرف حال منه ويجوز أن تكون ناقصة والظرف خبراً مقدما (ذهبا) تمييز مثل (لسرنى ألا تمر على

---

(١) قال فى الخلاصة : زيد بن وهب الجهنى أبو سليمان هاجر فمات النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ثم قال : وثقه ابن معين وابن خراش ، قال الاعمش إذا حدثك زيد فكانك سمعته من الذى حدثك عنه ، قال ابن سعد توفى بعد الجماجم . ع

ثلاثُ لَيالٍ وعِنْدِى منهُ شىءٌ إلا شىءٌ أرصدُهُ لدينٍ » متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « انظروا إلى من أسفَلَ منكم

ثلاث ليال وعندى منه شىء الاشىء) بالرفع مستثنى من شىء ورفع لكونه مستثنى من كلام منزل منزلة المنفى وهو أنه فى حيز جواب لو ، إذ هو فى تقدير النفى كما أشار إليه الحافظ فى الفتح (أرصده) فى محل الصفة للمستثنى أى أعده (لدين) أى لادائه عند مجىء الدائن أو عند حلول أجل الدين كما تقدمت الاشارة لذلك ، وفى الحديث الحث على الانفاق فى وجوه الخير والحض على ذلك فى الحياة وفى الصحة وترجيحه على انفاقه عند الموت وقد تقدم منه حديث « أن تصدق وأنت صحيح شحيح » وأنه صلى الله عليه وسلم كان فى أعلى درجات الزهد فى الدنيا بحيث أنه لا يحب أن يبقى بيده شىء منها لانفاقه فيمن يستحقه أو لارصاده (١) لمن له حق وإما لتعذر من يقبل ذلك منه لتقييده فى رواية عند البخارى بقوله أجد من يقبله وفيه تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع وفيه الحث على وفاء الدين وأداء الامانة وجواز استعمال لو عند تمنى الخير وتخصيص الحديث الوارد بالنهى عن استعمال ما يكون فى أمر غير محمود شرعا وفيه غير ذلك (متفق عليه) اخرجه البخارى مع الحديث قبله فى باب واحد (وعنه) أى أبى هريرة رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من) الاقرب انه موصول ويجوز أن تكون نكرة موصوفة (أسفل) بالنصب على أنه ظرف مستقر صلة للموصول أو صفة له ، وإعرابه خبراً الضمير محذوف هو العائد لمن يأباه أن شرط حذف العائد الا يصلح ما بقى لكونه صلة ، وما هنا صالح له ، وأن شرطه أن يكون مبتدأ مخبراً عنه بمفرد أو ذلك خاص بصلة أى لاستطالتها بالاضافة ، وقراءة « على الذى احسن » برفع احسن على أن التقدير الذى هو أحسن شاذ ، وفى بعض نسخ مسلم إثبات هو قبل أسفل هو العائد وهو مبتدأ والظرف مستقر فى محل الخبر والجملة صلة . والمراد أسفل فى امور الدنيا كما يبينه الحديث

---

(١) قوله (أولارصاده الخ) كذا ، ولعله « الا لارصاده لمن له حق أو لتعذر الخ » . ع

ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدرُ ألاّ تزدروا نعمة الله عليكم »

بعده ويدل عليه فهو أجدر الخ ، أما فى أمور الدين فينظر الانسان لمن هو أعلى منه فيها جداً أو استقامة ليدأب كذلك ، وفى الحديث « رحم الله عبداً نظر فى دنياه لمن هو دونه فحمد الله وشكره ، وفى دينه لمن هو فوقه فحمد (١) واجتهد » قال فى الفتح وقد وقع فى نسخة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً ، من نظر فى دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به ، ومن نظر فى دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، وأما من نظر فى دنياه الى من هو فوقه وأسف على ما فاته فانه لا يكتب شاكراً ولا صابراً » اه (ولا تنظروا الى من) أى الذى أوشخص (هو فوقكم) أى فى ذلك على سبيل استعظام ما ناله واستكثاره (فهو) أى قصر النظر عمن فوقه أو هو مع ما قبله (أجدر) أى أحق (ألا تزدروا) أى بألا تحقروا وتستصغروا افتعال من الازدراء قلبت فاؤه (٢) دالا لتجانس الزاى فى الجهر (نعمة الله عليكم) ثم ما أذن به أفعل من التفضيل المؤذن بثبوت أصله عند النظر المذكور باعتبار ما ركز فى الطباع السالمة من الآفة من شكر نعم الله وإن قلت ، وعدم احتقارها قال ابن جرير وغيره : هذا الحديث جامع لأنواع الخير وذلك لأن الانسان إذا رأى من فضل عليه فى الدنيا طلبت نفسه من ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله وحرص على الازدياد ليلحق من فضل عليه فيها أو يقاربه هذا هو الموجود فى غالب الناس قال بعض السلف : صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال فى حزن أرى داراً واسعة ودابة فارهة ولا عندى شىء من ذلك ، فصحبت الفقراء فاسترحت . وفى معناه ما أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعه « أقلوا الدخول على الأغنياء فانه أحرى أن لا تزدروا نعمة الله » أورده فى الفتح وأما إذا نظر فى الدنيا الى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير وكذا إذا نظر الى من هو فوقه فى الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه وألا ينظر لعمله ولا يعجب به ويزداد فى الجهد فى

---

(١) لعله فجد (٢) الصواب تاؤه بدل فاؤه . ع

متفق عليه وهذا لفظ مسلم * وفى رواية البخارى « إذا نظر أحدكم إلى من فُضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه »

العمل والدأب فيه والله الموفق وسيأتى له مزيد إن شاء الله تعالى (متفق عليه) أى فى الجملة وإلا فالحديث المذكور رواه مسلم فى الزهد من صحيحه من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وكذا رواه الترمذى وابن ماجه فى الزهد من جامعه وقال الترمذى صحيح وحديث البخارى باللفظ الآتى بعده هو الذى اتفقا عليه فرواه مسلم عقب هذا الحديث عن يحيى بن يحيى وقتيبة قال حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ، والبخارى فى أواخر الرقاق من صحيحه عن اسماعيل عن مالك عن أبى الزناد به فى الحديث الآتى هو المتفق عليه أما الأول فانفرد به مسلم عن البخارى وقد صنع كذلك المزى فى الاطراف فرمز على حديث الباب برمز مسلم دون رمز البخارى ورمز على الحديث الثانى برمز البخارى دون مسلم وكأن المصنف اعتمد آخر كلامه فقال (وهذا لفظ مسلم وفى رواية البخارى) الظاهر فى اختصاص البخارى فى اللفظ الثانى بل إنه عند مسلم أيضاً عقب الحديث الذى قبله من غير فاصل ولكن سبحان من لا يسهو وقد حرر السيوطى فى الجامع الصغير ذلك فرمز فى الحديث الأول لمسلم فقط وفى الثانى للمتفق عليه (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه) بضم الفاء وبالمعجمة مبنى للمجهول (فى المال والخلق) بفتح الخاء المعجمة أى الصورة المدركة بحاسة البصر قال فى الفتح : ويحتمل أن يدخل فى ذلك الأولاد والاتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا قال ورأيته فى نسخة معتمدة من الغرائب للدارقطنى بضم الخاء واللام « قلت » إن ثبتت تلك الرواية فتحمل على أن المراد الأخلاق الدنيوية لأنها المأمور فيها بما يأتى (فلينظر الى من هو أسفل منه) أى فى ذلك قال ابن بطال هذا الحديث جامع لمعانى الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها إلا وجد من هو فوقه فاذا طلبت نفسه اللحاق به فيكون أبداً فى زيادة تقرب به من ربه ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالا منه فاذا تفكر فى ذلك علم أن نعمة الله وصلت اليه دون من فضل هو عليه بذلك من غير أمر أوجبه فيلزم نفسه

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعس عبدُ الدّينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى منها رضى وإن لم يعط لم يرض » رواه البخارى . وعنه : « لقد رأيت سبعين من أهل الصّفة مامنهم رجلٌ عليه رداء إما إزار وإما كساء

الشكر فيعظم اغتباطه بذلك فى معاده وقال غيره : فى هذا الحديث دواء كل داء لأن الشخص إذا نظر الى من هو فوقه لم يأمن من أن يؤثر فيه الحسد ودواؤه أن ينظر الى من هو أسفل منه ليكون ذلك باعثا له على الشكر (وعنه) أى عن أبى هريرة (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تعس) بكسر العين المهملة ويجوز الفتح أى خر لوجهه والمراد هنا هلك قال ابن الانبارى التعس الشر وقيل البعد (عبد الدينار والدرهم والقطيفة) بالقاف والطاء المهملة والتحتية والفاء بوزن صحيفة هى الثوب الذى له خمل (والخميصة) بالخاء المعجمة وبالميم والصاد المهملة بالوزن المذكور هى الكساء المربع أى عبد كل مما ذكر وقد جاء التصريح بالمضاف مع كل فى رواية للبخارى بلفظ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة » رواه كذلك فى كتاب الجهاد أى طالب ماذكر الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده قال خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا كالأسير الذى لا يجد مخلصا ولم يقل مالك ولا جامع الدنيا : لأن المذموم من الملك والجمع الزيادة على الحاجة وقال غيره جعله عبدا لها لشغفه وحرصه فمن كان عبداً لهواه لم يصدق فى حقه « إياك نعبد وإياك نستعين » فلا يكون من اتصف بذلك صديقا قاله فى الفتح (إن أعطى) بالبناء للمفعول مما ذكر (رضى وإن لم يعط لم يرض) هذان الشرطان وجوابهما مسوقان لبيان سبب شدة حرصه على ذلك (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه (وعنه لقد رأيت) أى أبصرت (سبعين من أهل الصفة) يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم غير السبعين الذين استشهدوا ببئر معونة وكانوا من أهل الصفة أيضا لكنهم استشهدوا قبل إسلامه ما منهم رجل) جاز الابتداء به مع نكارته لتقدم الخبر الظرفى عليه أو لكونه فى سياق النفى أو لوصفه بجملة (عليه رداء) ولا مانع من تعدد المسوغات لأنها معرفات لا مؤثرات والرداء مايستر أعالى البدن فقط وقوله (إما إزار وإما كساء) أى إما أزار وهو مايستر

قد ربطوها فى أعناقهم ، فمنها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته » رواه البخارى * وعنه قال قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الدّنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »

أسافل البدن فقط ، وإما كساء وهو بالمد معروف وقوله (قد ربطوا فى أعناقهم) جملة فى محل الصفة لكساء (فمنها) أى الأكسية المدلول عليها بقوله واما كساء (مايبلغ نصف الساقين) لقصره (ومنها ما يبلغ الكعبين) لطوله والكعب العظم الناتىء عند مفصل الساق والقدم سمى به لنتوئه (فيجمعه) أى ما ذكر من الكساء بقسميه (بيده) ليستر العورة (كراهية) مفعول له (أن تبدو) بالواو أى تظهر (عورته) من صغر الكساء وقصره واقتصارهم على ذلك زهداً فى زهرات الدنيا وإقبالا على العبادة وعمارة الدار الآخرة (رواه البخارى) فى المساجد من صحيحه قال البخارى فى مؤلفه فى أهل الصفة ، وفى لفظ أبى نعيم عنه : « رأيت سبعين منهم يصلون فى ثوب فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من هو أسفل من ذلك فاذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته وبعضه عند الحاكم عنه ولفظه « لقد كان أصحاب الصفة سبعين رجلا ما لهم أردية » وقال صحيح على شرطهما والمراد أن ذلك قدر ما رآه كما تقدم قال أبو نعيم : الظاهر من أحوالهم والشاهد من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وإيثارهم القلة واختيارهم لها فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الطعام لونان اه وقد ألف فى أهل الصفة الحافظ أبو نعيم كما نقله الحافظ فى الفتح فى أبواب المساجد والسخاوى وغيرهما (وعنه) أى أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن) أى بالنسبة لما أعد له من النعيم (وجنة الكافر) أى بالنسبة لما أعد له من العذاب أو يقال المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة فكأنه فى السجن والكافر عكسه فهى كالجنة له قاله الشيخ أكمل الدين وأشار إلى أنه من التشبيه البليغ أى حذفت أداته وحمل المشبه على المشبه به مبالغة وادعاء أنه من أفراده لا استعارة لأن شرطها طى ذكر المشبه أو المشبه به وأشار بعضهم إلى أنه على حقيقته وأن المؤمن لما عليه فى الدنيا من التكاليف وتوالى المحن والمكابدات للهموم والغموم والاسقام وغير ذلك فى سجن ، وأى سجن أعظم من ذلك ، ثم هو فى السجن لا يدرى بماذا يختم له من

رواه مسلم * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال . « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى

عمل، كيف وهو يتوقع أمراً لاشىء أعظم منه ويخاف هلاكا لاهلاك فوقه ، فلولا أنه يرتجى الخلاص من هذا السجن لهلك حالا ولكن لطف الله بما وعده على صبره وبما كشف له من حميد عاقبة أمره ، والكافر منفك عن تلك التكاليف آمن من تلك المخاوف مقبل على لذته منهمك فى شهوته فهو كالأنعام ، وعن قريب يستيقظ من هذه الأحلام ويحصل فى السجن الذى لايرام نسأل الله العافية اه وفى الحديث تحريض للمؤمن على الأعراض عنها وعدم النظر لها نظر محبة لأن ذلك شأن السجن (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه قال السيوطى فى الجامع الصغير رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة والطبرانى والحاكم فى المستدرك(١) عن ابن عمر وأخرجه أحمد والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر (٢) بلفظ «الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة» اه «لطيفة» حكى القرطبى فى كتاب جمع الحرص بالقناعة عن سهل (٣) الصعلوكى الفقيه الخراسانى وكان ممن جمع رياسة الدين والدنيا أنه كان فى بعض مواكبه ذات يوم إذ خرج عليه يهودى من إيوان حمام وهو بثياب دنسة وصفة نجسة فقال ألستم تزعمون أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأنا عبد كافر وترى حالى وأنت مؤمن وترى حالك فقال له على الفور إذا صرت غداً إلى عذاب الله كانت هذه الجنة لك وإذا صرت أنا إلى النعيم ورضوان الله صار هذا سجنى ، فعجب الخلق من فهمه وسرعة جوابه اه (وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى) بتشديد التحتية إحداهما ياء التثنية ويروى بتخفيف الياء على الافراد والمنكب بوزن مسجد مجتمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه كذا فى المصباح وأخذه صلى الله عليه وسلم بمنكبيه

---

(١) هنا سقط يعلم بمراجعة الجامع الصغير والأصل هكذا « فى المستدرك عن سليمان والبزار عن ابن عمر » (٢) صوابه عن ابن عمرو كما فى الجامع الصغير (٣) لعله أبى سهل . ع

فقال كن فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل ، وكان ابن عمر يقول إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ،

ليقبل بقلبه على ما يلقيه إليه ويستيقظ إن كان فى غفلة لذلك عما هو فيه مع مافيه من التأنيس والتنبيه والتذكير إذ محال عادة أن ينسى من فعل معه هـذا مايقال له ، وهذا لايفعل غالباً إلا مع من يميل إليه الفاعل دليل على محبته صلى الله عليه وسلم ونظير هذا قول ابن مسعود « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بين كفيه » (فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) زاد الترمذى « وعد نفسك من أهل القبور » ورواه أحمد والنسائى أوله « اعبد الله كأنك تراه وكن فى الدنيا » الخ (وكان ابن عمر) راوى الخبر (يقول) أى عقب روايته له كما يؤذن به سياق المصنف وهو كالرديف لما قبله قال الأعمش راويه عن مجاهد عن ابن عمرو قال قال لى ابن عمر وفى لفظ آخر عنه قال مجاهد ثم قال لى ابن عمر وكذا جاء فى رواية غير الأعمش (إذا أمسيت) أى دخلت فى المساء وهو لغة من الزوال إلى نصف الليل (فلا تنتظر) أى بأعمال المساء (الصباح وإذا أصبحت) أى دخلت فى الصباح فالفعلان تمام والصباح من نصف الليل الى الزوال كما ذكره السيوطى (فلا تنتظر) أى بأعمال النهار (المساء) وذلك أن لكل منها عملا يخصه فاذا أخر عنه فات ولم يستدرك كماله وان شرع قضاؤه ، فطلبت المبادرة بعمل كل وقت فى وقته ، أو المراد اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء الى الصباح وكذا عكسه بل انتظر الموت كل وقت واجعله نصب عينيك ، وعقب به المصنف ما قبله لان الحديث للحض على ترك الدنيا والزهد فيها كما سيأتى بيانه فى الأصل وهذا للحض على تقصير الامل فذاك متوقف على هذا لانه المصلح للعمل والمنجى من آفات التراخى والكسل فان من طال أمله ساء عمله ، فعلم أن هذا سبب للزهد فى الدنيا وقولهم انه هو مرادهم ان بينهما تلازما صيرهما كالشىء الواحد فهو مجاز والا فالحقيقة ما قلنا ، فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله رغب وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لنسيان الآخر ومقدماتها من الموت وما بعده من الأهوال (وخذ من صحتك) أى أعمالا صالحة تستعين فى تحصيلها بها مبتدأة منها منتهية أو مدخرة (لمرضك) أى لمدته التى تشتغل عنها فى المرض

ومن حياتك لموتك » رواه البخارى ، قالوا فى شرح هـذا الحديث (معناه)

أى فلا تغفل عنها فى زمن تمكنت فيه منهاوهوزمن الصحة لئلا تغبن فى صفقتك (و) خذ (من حياتك لموتك) يحتمل أن يكون أعم مما قبله بأن يراد الاكثار منها ولو فى زمن المرض المتمكن فيه منها فيكون فيه ترق وزيادة فى التحريض على اغتنام الطاعة وعدم التوانى فيها مع إمكانها ولو شقت وصعبت على النفوس لمرض أو غيره ويحتمل أن يكون بمعنى ما قبله أى من زمن صحتك مدة حياتك فيكون تأكيدا لماقبله واهتماما بهوزيادة تحريض عليه . وبالجملة فرأس مال المؤمن صحته وحياته وأيام حياته زمن تجارته فلا ينبغى له أن يفرط فيها مع التمكن منها ليحصل له من ربح التجارة ونفعها مايدوم نفعه عليه عند حاجته اليه لنحو مرض وفى الحديث « إذا مرض العبد أو سافر يقول الله لملائكته اكتبوا ما كان يعمله صحيحا مقيما » وهذا فيه توسل لدوام فضل المولى سبحانه بحسن العمل وفى الحديث « تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » وقلت فى هذا المعنى :

أيها السالك المريد تنبه * من منامك وغفلة قبل فوتك
خذ لسقمك من الشباب وبادر * ومن الوقت قبل فوت لموتك

(رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن حبان فى صحيحه وقد صرح الاعمش فيه بتحديث مجاهد له فى الصحيح بخلاف رواية ابن حبان ولذا قال مكثت مدة أتوهم أن الاعمش سمع هذا الحديث من ليث ودلسه حتى رأيت ابن المدينى رواه عن الطفاوى فصرح بقول الأعمش سمعت مجاهدا ذكره السخاوى فى تخريج الاربعين الحديث التى جمعها المصنف ثم نقل أنه أنكر الاتصال وقال انما رواه الأعمش بالعنعنة وكذا رواه عنه أصحابه وكذا أصحاب الطفاوى عنه وتفرد ابن المدينى بالتصريح قال ولم يسمعه الأعمش عن مجاهد وانما سمعه من ليث عنه فدلسه يعنى فرجع الحديث الى ليث وسكت عن رده وكانه لوضوحه بأن الصحيح مافى الصحيح فلا عبرة بما يخالفه (قالوا) أى شراح الحديث المدلول عليهم بالسياق (معناه) أى معنى الحديث من حيث الجملة

لاتركنْ إلى الدنيا ولا تتخذْها وَطَناًولا تحدِّثْ نفسكَ بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتناء بها ، ولاَ تَتعلق منها بمـا لاَ يتعلق به الغريب فى غير وطنه ،

(لاتركن) بفتح الكاف وبضمها لأنه جاء من بابى علم ونصر كما فى مفردات الراغب زاد فى الصحاح أن الذى حكاه من باب علم أبو زيد قال وما حكى أبو عمرو ركن يركن بالفتح فيهما فانما هو على الجمع بين اللغتين اه أى لا تمل وتسكن (الى الدنيا) وتطمئن بها (ولا تتخذها وطنا) يحتمل أن يكون من عطف الجزء على الكل اهتماما وذلك لان السكون اليها والطمأنينة بها انما يكون مع توطنها ويحتمل أن يكون من عطف المغاير فالاولى للنهى عن النظر لزهراتها على وجه الاعجاب بها والميل اليها والثانية للنهى عن استيطانها والاقامة بها وذلك لان من توطن مكانا سعى فى عمارته . وعمارتها خلاف شأن الحازم لأنه مفارق لها إلى دار لايفارقها الأبد فحقه الاحتفال بتلك لابهذه وهـذا راجع لقوله « كن فى الدنيا كأنك غريب » لأن شأن الغريب عدم الركون لغير وطنـه وترك التوطن بسواه وقـوله (ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولابالاعتناء بها) راجع لقوله أوعابر سبيل لأن شأن من دخـل بلدا فى أثناء سفره ألا يحدث نفسه بالمقام بها لأنه ينقطع بذلك عن الرفق (١) فتلحقه المشاق ولا بالاعتناء بتلك البلد لأن المرء لايعتنى بحسب طبعه إلا بما يعود نفعه عليه من وطنه وقوله (ولا تتعلق منها) ظرف مستقر صفة لمحذوف أى بشىء منها أو بمعنى (٢) متعلق بالفعل أى تعلقاً مبتدأ منها فمن للتبعيض أو للابتداء (بما) أى بالذى (لايتعلق به الغريب فى غير وطنه) مما لاتدعو اليه ضرورته من زاد ومركوب فكـذا شأن الحازم الا يتعلق فى سفره إلى مولاه بشىء من الدنيا إلا براحلته التى يتوصل بها إلى مرضاة ربه وهى نفسه فيشتغل بما يتوصل به إلى أن يؤديها حقها ويكفيها عن الغير وكذا يكتسب مايقوم به من تجب عليه مؤنتهم وزاده (٣) الذى هو امتثال الأوامر واجتناب النواهى ويعرض عما عداه

---

(١) بضم ففتح جمع رفقة . ع (٢) (قوله أو بمعنى متعلق الخ) كذا ، ولعل الصواب (أو لغو متعلق الخ) . ع(٣) معطوف على قوله (براحلته) . ع

ولاتشتغل فيها بما لايشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب الى أهله و بالله التوفيق*

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل إذا عملتُه أحبَّنى الله وأحبنى الناس ، فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله

(ولا تشتغل فيها بما لايشتغل به الغريب الذى يريد الذهاب) أى العود(إلى أهله) فان شأنه ألا يستكثر من المتاع لأن ذلك يتعبه فى مقصده وينقله عن مطلبه بخلاف من أضرب عن العود فذلك لايحتفل بأمر السفر، فالحازم لايتخذ من الدنيا مايثقله فى سفره إلى مولاه . والغافل عن ذلك معرض عن آخرته مقبل على زهرة دنياه وهذا راجع لمجموع الحديث وذلك لانه إذا كان المسافر المذكور . وان كان يقيم بتلك البلاد ، شانه الاعراض عما ينقله فى سفره ، فالعابر بها من غير إقامة أولى بذلك والله أعلم * (وعن أبى العباس) بتشديد الموحدة وبعد الألف مهملة (سهل بن سعد الساعدى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الدلالة على الخير (قال جاء رجل) لم أقف على تسميته (إلى النبى صلى الله عليه وسلم) أى جاء ساعيا اليه (فقال يارسول الله دلنى) سؤال من الدلالة أى نبهنى (على عمل) التنوين فيه للتعظيم وعظمه انما هو بحسب ثمرته كما يومىء اليه قوله (إذا عملته)أى مريدا به وجه الله (أحبنى الله) بارادة الثواب (وأحبنى الناس) أى مالوا إلى ميلا طبيعياً لايدخل تحت الاختيار والجملة الشرطية صفة عمل (فقال ازهد فى الدنيا) أى أعرض عما لاتدعو اليه الضرورة مما زاد عنها من المباح احتقاراً له وارباء بنفسك عنها بغضا له فحب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفا من النار وطمعاً فى الجنة أو ترفعاً عن الالتفات إلى ماسوى الله تعالى ولا يكون ذلك إلا بعد انشراح الصدر بنور اليقين (يحبك الله) جواب الشرط المقدر لوقوعه جواب الأمر كما هو الرواية ويجوز من حيث الصناعة أن يكون مستأنفاً وفيه ايماء إلى شرف الزهد لعظم ثمرته التى هى محبة المولى ثم المراد من كون حبها مذموما حبها كذلك ايثار لشهوة نفس ونحوها لأنه يشتغل عن الحق سبحانه ، أما حبها لفعل الخير واعانة محتاج

وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة *

وإغاثة ملهوف واطعام بائس فعبادة بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « نعم المال الصالح مع الرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به معروفا » (وازهد فيما عند الناس) من نحو مال وجاه باعراضك عنه ورفضك إياه (يحبك الناس) أى بسبب ذلك ومتى نازعتهم فى ذلك بغضوك (١) ونازعوك إياه فانهم بطباعهم يتهافتون عليه تهافت الذباب على النتن ، والكلاب على الجيف ، ومن ثم شبه الشافعى رضى الله عنه الدنيا بها والناس بالكلاب بقوله

وما هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(حديث حسن) قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تخريج الأربعين التى جمعها المصنف بعد كلام ذكره فى اسناد الحديث ما لفظه فالظاهر أن الحديث الذى أوردناه آنفا لا يصح ولا يطلق على اسناده انه حسن اه قال السخاوى كأنه أشار بهذا الكلام الى شيخه أى الحافظ الزين العراقى فانه حسنه فى أماليه وسبقه اليه الشيخ يعنى النووى (رواه ابن ماجه) فى سننه (وغيره) قال السخاوى فى تخريج الأربعين المذكورة وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير وابن حبان فى روضة العقلاء له والحاكم فى الرقائق من مستدركه وقال انه صحيح الاسناد وليس كذلك (بأسانيد حسنة) فرواه ابن ماجه عن أبى عبيدة بن السفر عن شهاب بن عباد ورواه ابن حبان عن محمد بن احمد بن المسيب عن يوسف بن سعيد بن مسلم ورواه الحاكم عن أبى بكر محمد بن جعفر الآدمى عن أحمد بن عبيد بن ناصح ورواه الطبرانى عن على بن عبدالعزيز البغوى عن أبى عبيد القاسم ابن سلام أربعتهم عن خالد بن عمر القرشى وأخرجه الحافظ السخاوى من طريق محمد بن كثير المصيصى قالا وتقاربا فى اللفظ ثنا سفيان الثورى عن أبى حازم المدنى عن سهل وكذا أخرجه العقيلى والبيهقى والقضاعى فى مسند الشهاب من طريق

---

(١) الأفصح تعديته بالهمز فيقال أبغضه يبغضه . ع

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : « ذكر عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه ماأصاب الناسُ من الدنيا فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظَل اليومَ يلتوى مايجد دقَلاً يملأُ به بطنه » رواه مسلم

البغوى وقال الحاكم إنه صحيح الاسناد وليس كذلك فخالد مجمع على تركه ضعفه أحمد وابن معين والبخارى فى آخرين ونسبه أحمد وابن معين وآخرون الى وضع الحديث وابن كثير أيضاً ليس عمدة ضعفه أحمد جداً وقال مرة حدث بمناكير لا أصل لها ، وقال مرة لم يكن عندى بثقة ، وضعفه النسائى ولينه البخارى قال السخاوى بعد نقل كلام الحافظ السابق فى منع تحسين الحديث مالفظه ويساعد شيخنا قول أبى جعفر العقيلى ليس له من حديث الثورى أصل ، ولعل ابن كثير أخذه عن خالد ودلسه لأن المشهور به خالد كذا قال وخالفه الخطيب فذكر الحديث عن الثورى وقال : أشهر طرقه عن الثورى ابن كثير لكن وافقه ابن عدى على أنه منكر من حديث الثورى اه وبه يعلم أن الحديث له عند من ذكر سند واحد وهو الثورى الى منتهاه لا أسانيد ولعله باعتبار الطرق الموصلة اليه وأن سند الحديث ليس بحسن لما علمت والله أعلم (وعن النعمان) بضم النون وسكون المهملة (ابن بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية ابن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى (رضى الله عنهما) له ولأبويه صحبة وتقدمت ترجمته فى باب الأمر بالمحافظة على السنة (قال ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ماأصاب الناس) أى حاذوه وحصلوه (من الدنيا) أى المال والخول والجاه وغير ذلك من الاعراض المحدجة فما موصولة عائدها محذوف ومن بيانية (فقال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل) مضارع ظل التى هى لاتصاف اسمها بخبرها نهارا (اليوم) ظرف لقوله (يلتوى) وقوله ما يجد دقلا يملأ به بطنه) جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لسبب التوائه طول يومه (رواه مسلم) فى آخر صحيحه وابن ماجه فى الزهد من سننه ورواه مسلم أيضاً فيه ورواه الترمذى فى الزهد من سننه فى شمائله (١) لكن من حديث النعمان نفسه أنه قال « ألستم فى طعام وشراب ما شئتم ، لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل

---

(١) (قوله من سننه فى شمائله) كذا بالاصول . ع

(الدقل) بفتح الدال المهملة والقاف ردىء التمر * وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفّ لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى »

ما يملأ بطنه » وقال الترمذى صحيح ورواه أبو عوانة (الدقل بفتح الدال المهملة والقاف) آخره لام (ردىء) بالهمز فعيل من الرداءة (التمر) قال فى الصحاح : أردأ التمر وما ذكره الشيخ هو ما فى النهاية وعبارتها ، الدقل هو ردىء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً اه (وعن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد) بفتح الكاف وكسر الموحدة فى الافصح أى حيوان وعبرت به لأنه من الاجزاء الرئيسة فى البدن (إلا شطر شعير) لا يخفى ما اشتمل عليه هذا الخبر من مزيد اعراضه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا بالمرة وعدم النظر اليها لأنه اذا كان هذا حالها وهى أحب أمهات المؤمنين اليه صلى الله عليه وسلم وقد دانت له الارض شرقا وغربا وجىء بثمراتها فضة وذهبا ولم يوجد عندها الا ماذكر ففيه أعظم دليل على مزيد اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها (فى رف) بفتح الراء وتشديد الفاء قال فى النهاية : هو خشب يرفع عن الارض الى جنب الدار يوقى به ما يوضع عليه وجمعه رفوف أو رفاف وفى الفتح للحافظ قال الجوهرى : الرف شبه الطاق فى الحائط وقال عياض الرف خشب يرفع عن الارض يوضع فيه ما يراد حفظه « قلت » والأول أقرب للمراد اه وقولها (لى) فى محل الصفة لرف (فأكلت منه) من ابتدائية أو تبعيضية وقولها (حتى طال على) غاية لمحذوف أى وداومت على الاكل منه حتى طال على (فكلته) بكسر الكاف (ففنى) أى ففرغ وقد وقع نظير ذلك فى قصة أخرى رواه مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم « أطعم رجلا وسقا من شعير فأكلوا منه مدة حتى كالوه ففنى ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لو لم يكل لأكلتم منه ولكفاكم » قال المصنف انما فنى عند كيله عقوبة لأن كيله مضاد للتسليم ومتضمن للتدبير ، وتكلف للاحاطة باسرار الله تعالى قال التلمسانى فى شرح الشفاء : ولا يخالف هذا حديث « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » لان ما أمر به صلى الله عليه وسلم عند ارادة المناولة فيكون

متفق عليه (قولها) شطر شعير أى شىء من شعير كذا فسره الترمذى * وعن عمرو بن الحارث أخى جُوَيْرِيَة بنتِ الحارث أم المؤمنين

استعمال آلة النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته وما أمر به مطردة للشيطان ، وأى مطردة له أكثر من تناوله صلى الله عليه وسلم بيده المباركة وأيضا فان تكثير الطعام القليل من أسرار الله تعالى الخفية وشرط السر اخفاؤه وقال الحافظ فى الفتح : أجيب بأن الكيل عند المبايعة محبوب من أجل تعلق حق المتبايعين ولذا يندب ، وأما الكيل عند الانفاق فالباعث عليه الشح فلذا كره وقال القرطبي سبب رفع النماء عند الكيل والله أعلم الالتفات بعين الحرص مع معاينة ادرار نعم الله تعالى ومواهب كراماته وكثرة بركاته والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذى وهبها والميل الى الاسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادات ، ويستفاد منه أن من رزق شيئا أو أكرم بكرامة أو لطف به فى أمر فالمتعين عليه موالاة الشكر وتنزيه المنة لله تعالى ولا يحدث فى تلك الحالة تغييرا اه (متفق عليه) رواه البخارى فى الخمس وفى الرقاق من صحيحه ورواه مسلم فى آخر صحيحه ورواه ابن ماجه فى الأطعمة (وقولها شطر شعير أى شىء) قليل كما يومىء اليه السياق (من شعير كذا فسره الترمذى) وكأنه مستند الحافظ فى قوله فى الفتح المراد بالشطر هنا البعض والشطر يطلق على النصف وعلى ما يقاربه وعلى الجهة وليست مرادة هنا ويقال أرادت نصف وسق قال الحافظ الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤثر بما عنده ففى الصحيحين « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه ما فتح الله عليه من خيبر أو غيرها من تمر وغيره يدخر قوت أهله سنة ثم يجعل ما بقى فى سبيل الله ثم كان مع ذلك إذا طرأ عليه طارىء ونزل به ضيف يشير على أهله بايثارهم فربما أدى ذلك الى نفاد ما عنده أو معظمه » وقد روى البيهقى عن عائشة قالت « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه » اه * (وعن عمرو) بفتح المهملة (ابن الحارث) بن أبى ضرار بكسر المعجمة وتخفيف الراء الأولى الخزاعى المصطلقى (أخى) بالجر عطف بيان لعمرو وفى بعض نسخ البخارى أخوه بالرفع خبر مبتدا ، هو (جويرية) بضم الجيم وتخفيف الواو وسكون التحتية الأولى وكسر الراء وتخفيف التحتية بعدها هاء (بنت الحارث أم المؤمنين) فى الاحترام

رضى الله عنهما قال: « ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا كان جعلها لابن السبيل صدقة » رواه البخارى * وعن خبّاب بن الأَرَتّ رضى الله عنه قال: « هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووجوب الاكرام (رضى الله عنهما) قال الحافظ فى التقريب : هو صحابى قليل الحديث بقى الى بعد الخمسين أخرج البخارى عنه هذا الحديث الواحد وانفرد به عن مسلم (قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة) أى باقيين على الرق قال الحافظ فى الفتح : وفيه دلالة على أن من ذكر من أرقاء النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتقه (ولا شيئا) فى رواية الكشميهنى ولا شاة والأولى أصح وهى رواية الاسماعيلى نعم روى مسلم وأبوداود والنسائى وغيرهم عن عائشة ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشىء (إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها) قال السهيلى فى الأعلام (١) : أهداها له رفاعة الضبيبي من لخم اه وسيأتى فى الملح والمنثورات أن الذى أهداها له « فروة بن نفاثة » بالنون والفاء والمثلثة على الأشهر الحذامى وإنما اسمها الدلدل وليس له بغلة غيرها (وسلاحه) وبيان ما خلفه صلى الله عليه وسلم من السلاح والكراع مذكور فى كتب السير (وأرضا) هى نصف أرض فدك وثلث أرض وادى القرى وسهم من خمس خيبر وضيعة من أرض بنى النضير (جعلها) أى الثلاث المذكورة كما فى تحفة القارى (لابن السبيل صدقة) أى لم يترك مالا غير ما ذكر مما جعله صدقة على المسلمين (رواه البخارى) فى مواضع من صحيحه منها فى الوصايا وفى فرض الخمس وفى المغازى ورواه الترمذى فى الشمائل والنسائى (وعن خباب) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة الأولى (ابن الأرت) بفتح الهمزة والراء وتشديد المثناة الفوقية وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه) ونسبه فى باب الصبر (قال هاجرنا) أى فارقنا أوطاننا لنصرة الدين الحنيفى (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وكان ذلك منهم من

---

(١) التعريف والاعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام للعلامة السهيلى خير كتاب ألف فى المبهمات وقد وفقنا الله تعالى الى طبعه فأصبح فى متناول طالبيه . ع

نلتمس وجه الله تعالى فوقع أجرُنا على الله تعالى ، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا منهم مُصعب بن عمير رضى الله عنه قتل يوم أحد وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجليه

مكة إلى المدينة وكونهم معه ليس المراد مصاحبتهم له فى السفر لأنه لم يصحبه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلا الصديق وعامر بن فهيرة بل المراد المعية فى مفارقة الوطن الى وطن آخر لنصرة الدين وقوله (نلتمس) أى نطلب بهجرتنا (وجه) أى ذات (الله تعالى) جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً للحامل على الهجرة وفى الصحاح الالتماس الطلب ، وفى الجملة بيان نعم الله تعالى عليهم أن أهلهم للهجرة وحركهم لها ومن عليهم بالاخلاص فيها ليجنوا ثمرة الاجتهاد ويحبوا بالمراد (فوقع) أى كتب(١) وجاء فى رواية للبخارى فى المغازى فوجب وذلك لايجاب الله تعالى ذلك على ذاته وبوعده (٢) الصادق وإلا فلا يجب على الله شىء (أجرنا) أى إثابتنا وجزاؤنا (على الله) ويصح أن يراد منه ثمرة العلم ولو دنيوية على الله (فمنا) أى فبعض المهاجرين (من مات) حال كونه (لم يأكل) أى لم يصب وعبر عنها بالأكل لأنه المقصود من إصابة المال (من أجره شيئا) قال فى الفتح وهذا كناية عن الغنائم التى تناولها من أدرك زمن الفتوح ولما كان المراد بالأجر عرفه فليس مقصوراً على أجر الآخرة (منهم مصعب) بضم الميم بصيغة المفعول (ابن عمير) بصيغة التصغير العبدرى يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى « قصى » يكنى أبا عبد الله من السابقين الى الاسلام والى الهجرة قال البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرءان القرآن أخرجه البخارى وذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله مع أهل العقبة الأولى يقرئهم ويعلمهم (رضى الله عنه قتل يوم أحد) بضم أوليه وقعة مشهورة كانت سنة أربع من الهجرة على الصحيح وكان قتل مصعب بها شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ (وترك نمرة) بفتح النون وكسر الميم ثم راء وهى إزار من صوف مخطط أو بردة (فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت) أى ظهرت (رجلاه وإذا غطينا رجليه) أى بالنمرة

---

(١) فى نسخة «ثبت» ش (٢) قوله (وبوعده) لعل الواو من زيادة النساخ . ع

بدا رأسُه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطى رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من الاذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدُبها » متفق عليه (النمرة) كساء ملون من صوف وقوله (أينعت) أى نضجت وأدركت وقوله (يهد بها) هو بفتح الياء وضم الدال وكسرها لغتان أى يقطفها ويجتنيها وهذه استعارة لما فتح الله

المذكورة (بدا رأسه) هذه الجملة مسوقة لبيان مزيد صغرها ففيه مزيد تقلله من الدنيا (فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغطى) بالتحتية مبنى للمفعول(١) مرفوعه قوله (رأسه وذلك لشرفه) على باقى الأعضاء (ويجعل على رجليه شيء من الاذخر) هو نبت معروف طيب الرائحة (ومنا) أى وبعضهم (من أينعت) بفتح الهمزة والنون وسكون التحتية بينهما ويأتى معناها فى اد صل (له ثمرته) والفاء فى قوله (فهو يهد بها) تفريعية ومدخولها معطوف على جملة الصلة (متفق عليه) رواه البخارى فى الجنائز والهجرة من صحيحه ومسلم فى الجنائز ورواه أبو داود فى الوصايا والترمذي فى المناقب وقال حسن صحيح والنسائى فى الجنائز (النمرة) تقدم ضبطها على الأفصح ويجوز كسر النون وفتحها مع سكون الميم فيهما (كساء) قال فى الصحاح : هو واحد الأكسية (ملون) أى ذو ألوان وخطوط من (صوف) زاد فى الفتح أو بردة (وقوله أينعت) قال فى فتح البارى وفى بعض النسخ ينعت بغير ألف وهى لغة قال الفراء وأينعت أكثر (أى نضجت) بفتح النون والمعجمة والجيم من النضج وهو الاستواء (وأدركت) أى زمن القطف (وقوله يهد بها بفتح الياء) التحتية وسكون الهاء (وضم الدال) المهملة (وكسرها لغتان) ضبطه فى الفتح بكسر المهملة وقال إن النووى ضبطها بالضم وحكى ابن التين تثليثها « قلت » وعليه اقتصر السيوطى فى التوشيح ولم ينسبه اليه (أى يقطفها) بكسر المهملة من باب ضرب كما أشار اليه فى الصحاح بقوله قطف العنب قطفا ثم رأيته فى المصباح من ضرب وقيل معناه قطع (ويجتنيها) عطف تفسير فى الصحاح جنيت الثمرة أجنيها واجتنيتها بمعنى (وهذه استعارة لما فتح الله

---

(١) فى النسخ المجردة نغطى ونجعل بالنون والبناء للفاعل . ع

تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها ، وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » رواه الترمذى وقال حديث صحيح .

عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها) أى جملة قوله أينعت الخ استعارة تمثيلية شبه حالهم فى تمكنهم من الدنيا التى فتح عليهم بها وتمكنوا بها بتمكن ذى الثمرة النضيجة من قطفها واجتنائها ويحتمل أن يكون استعير « يهدبها » لمعنى التمكن منها فتكون استعارة تبعية شبه التمكن من الدنيا بالهدب وهو القطف للثمرة بجامع سهولة الوصول فى كل فأطلق اسم المشبه على المشبه به استعارة مصرحة مرشحة بقوله أينعت ثم سرت الاستعارة منه الى الفعل والله أعلم * (وعن سهل بن سعد) الأنصارى (الساعدي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح) بفتح الجيم (بعوضة) فعول من البعض وهو القطع غلب على هذا النوع من الحيوان المضروب به المثل فى الحقارة وجناحها فى غايتها ومنتهاها قال النيسابورى فى تفسيره ومن عجائب البعوض أن خرطومه مع كونه فى غاية الصغر مجوف ومع كونه كذلك يغوص فى جلد الجاموس كما يغوص الأصبع فى الخبيص وذلك لما ركب الله فى رأس خرطومه من السم اه (ما سقى كافرا منها شربة ماء) لهوانه عليه وسقوطه قال العاقولى أى لو كان لها عنده تعالى أدنى قدر ما تمتع فيها كافر أدنى تمتع ، وفى الديباجة هو ان الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة الى ما هو المقصود لنفسه وأنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار انتقال وارتحال ، وأنه تعالى ملكها فى الغالب للكفار والفساق وحمى منها الأنبياء وورائهم ويكفيك حديث الباب فى هوانها عند الله وصغرها وحقرها وذمها وبغضها وبغض أهلها والمحبين لها وليس من الدنيا مايوجد فيها من الأنبياء والصديقين والعلماء العاملين والطاعة الموصلة لمرضاة رب العالمين ويدل له الاستثناء فى الحديث الآتى لأنه من قوله فيه «وما فيها» ومع كون الدنيا بهذا المقام عند الله سبحانه فهو يوم القيامة يستوفى لذى الظلامة منها ظلامته من ظالمه ولو كان كافراً من مؤمن إظهاراً لمزيد العدل (رواه الترمذى) فى الزهد وانفرد به عن باقى الكتب الستة (وقال حديث صحيح) غريب من هذا الوجه وكأن

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إن الدنيا معلونة معلون مافيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما » رواه الترمذى وقال حديث حسن * وعن عبد الله بن مسعود رضىَ الله عنه قالَ قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ

سكوت المصنف عن هذا لكون الغرابة نسبية فلا تنافى التصحيح * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤتى به لتأكيد ما بعده وليتوجه السامع له (إن الدنيا ملعونة) أى مبغوضة ساقطة فعبر عنه بذلك لأن من لازم المبغوض الساقط الابعاد (ملعون ما فيها) أى من الأموال الدنيوية المحدجة الفانية من شهوات وغيرها أى الاشتغال بذلك مبعد عن حضرة الحق فقد جاء حب الدنيا رأس كل خطيئة (الا ذكر الله وما والاه) أى وما أدناه (١) مما أحبه الله تعالى والولى القرب والدنو ، والمعنى : الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما قاربه من الطاعة الموصلة لمرضاته (وعالما ومتعلماً) كذا هو فيما وقفت عليه من نسخ الرياض بالألف فيهما وهو ظاهر لأنهما معطوفان على المستثنى المنصوب وجوبا لكونه من كلام تام موجب لكنهما فى نسخ الترمذى من غير ألف قال الحافظ السيوطى فى حواشيه عليه منصوبان لأن الاستثناء عن كلام تام موجب وكتبا بلا ألف على طريق كثير من المحدثين (رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه ورواه ابن ماجه فى المشكاة (وقال) أى الترمذى (حديث حسن) قال القرطبى لا يفهم من هذا الحديث سب الدنيا مطلقا ولعنها فقد جاء من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعا « لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وإذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه » أخرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله الهاشمى والجمع بين ذلك بحمل الأحاديث الواردة فى إباحة لعن الدنيا على ما يبعد منها عن الله تعالى ويشغل عنه وحمل الوارد بالمنع على ما قرب إلى الله تعالى أو أعان على عبادته سبحانه كما يومىء اليه الاستثناء فى حديث الباب بقوله إلا ذكر الله وما والاه الخ * (وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة) بالضاد المعجمة العقار والجمع

---

(١) كذا ، والصواب « وما داناه » . ع

فترْغبوا فى الدنيا » رواه الترْمِذِى وقال حديثٌ حسنٌ * وعن عبدِ اللهِ بن عَمْرو ابنِ العاص رضى اللهُ عنهما : «قالَ مرَّ علَيْنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحنُ نُعالج خُصًّا لنا فقالَ ماهـذا ؟ فقُلنا قدْ وَهَى فنَحن نصلحهُ . فقالَ ما أرى الأمرَ إلاّ أعجلَ منْ ذلكَ » رواه أبو داودَ والترمذى بإسناد البخارى ومسلم وقالَ الترمذِى حديثٌ حسن صحيحٌ * وعنْ كعب

ضيع وضياع بكسر ففتح قاله فى الصحاح وفى النهاية ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك والمراد لا تتوغلوا فى اتخاذ الضيعة فترغبوا عن صلاح آخرتكم كما قال (فترغبوا فى الدنيا) أى فى صلاحها وتشتغلوا به عن صلاح دار القرار قال صاحب المفاتيح وذلك لأن يأخذها تحصل الرغبة فى طلب الدنيا فلا تشبعون حينئذ منها (رواه الترمذى وقال حديث حسن) ورواه أحمد والحاكم فى المستدرك * (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال مر علينا) لعل الاتيان بعلى لعلو محل مروره صلى الله عليه وسلم على محل الخص أو كان راكبا وإلا فمر يعدى بالباء (رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا) بضم الخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة ، قال فى النهاية هو بيت يعمل من خشب وقصب وجمعه خصاص وأخصاص سمى به لما فيه من الخصاص وهى الفرج والاثقاب وفى الصحاح الخص البيت من القصب اه وهو محتمل لتخصيص القصب بذلك فيخالف كلام النهاية ويحتمل أن يراد من ذلك وغيره مثلا فيوافقه والله أعلم (فقال ما هذا) أى المعالج (فقلنا قد وهى) بفتحتين أى ضعف وهم بالسقوط كما فى الصحاح (فنحن نصلحه) بادعامه يمايذهب به ويدوم به قوامه (فقال ما أرى) يحتمل أن يكون بضم الهمزة بمعنى أظن وأن يكون بفتحها بمعنى أعلم (الأمر) أى الأجل (إلا أعجل) أى اسرع (من ذلك) أى الاصلاح المذكور وعبر به مع أن المقام لهذا الموضوع للتقريب إيماء بأن الاشتغال بالبناء بعيد من شأنهم مع توقع الأجل ساعة فساعة ولحظة فلحظة (رواه أبو داود والترمذى باسناد البخارى ومسلم) أى برجال رويا عنهم فهو على شرطهما (وقال الترمذى حديث حسن صحيح * وعن كعب) بفتح الكاف وسكون

ابن عياض رضى اللهُ عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنَّ لكلِّ أُمة فتنةً وفتنة أمتى المالُ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى عَمْرو ويقال أبو عبد الله ويقال أبو ليلى عثمان بن عفان رضى الله عنه

العين المهملة بعدها موحدة (ابن عياض) بكسر المهملة وتخفيف التحتية آخره ضاد معجمة الأشعرى معدود فى الشاميين روى عنه جابر بن عبدالله وقيل روت عنه أم الدرداء (رضى الله عنه) خرج عنه الترمذى والنسائى (قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فتنة) بكسر الفاء أى مايمتحنون ويختبرون أى يعاملون به معاملة المختبر للجاهل بحاله قال الراغب فى مفرداته جعلت الفتنة كالبلاء يستعمل فى الخير والشر وهما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا قال تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » اه (وفتنة أمتى) ما تمتحن به فى دنياها (المال) كما قال صلى الله عليه وسلم « إن هذا المال حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون » (رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه ورواه النسائى فى الرقاق من سننه ورواه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم فى كتاب معرفة الصحابة كما فى أسد الغابة (وقال) أى الترمذى (حديث حسن صحيح * وعن أبى عمرو) بفتح العين كنى باسم أحد أولاده (ويقال) بالبناء للمجهول أى ويقال فى كنيته (أبو عبد الله) قال فى أسد الغابة يكنى أبا عبد الله ويقال أبو عمرو وقيل كان يكنى أولا بابنه عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كنى بابنه عمرو اه (ويقال أبو ليلى) بفتح اللامين بينهما تحتية ساكنة (عثمان بن عفان) بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى المكى ثم المدنى أمير المؤمنين (رضى الله عنه) أمه أروى بنت كريز بضم الكاف وفتح الراء ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلم عثمان قديما دعاه أبو بكر الى الاسلام فأسلم وهاجر الهجرتين الى الحبشة ثم الى المدينة فهاجر بزوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم الى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية ويقال لعثمان ذو النورين لأنه تزوج بنتى رسول الله

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس لابن آدم حق

صلى الله عليه وسلم إحداهما بعد الأخرى قالوا ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبي غيره ، روى لعثمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا اتفق الشيخان منها على ثلاثة وانفرد البخارى بثمانية ومسلم بخمسة ، روى عنه جمع من الصحابة منهم زيد بن خالد الجهنى وابن الزبير وغيرهم وخلق من التابعين ولد فى السنة السادسة بعد الفيل وقتل شهيداً يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة وقيل ثمان وقيل ثنتين وثمانين سنة وقيل غير ذلك وهو رضى الله عنه أحد السابقين الى الاسلام كما تقدم وأحد العشرة المبشرة بالجنة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الستة أصحاب الشورى ، بويع بالخلافة غرة محرم سنة أربع وعشرين وكانت خلافته ثنتى عشرة سنة إلا ليال وقال ابن عبدالبر بويع بعد دفن عمر بثلاث ليال وحج بالناس فى خلافته عشر سنين متوالية وصلى عليه جبير بن مطعم وقيل غيره ودفن بالبقيع ليلا وأخفى قبره ذلك الوقت ثم أظهر ، وقيل دفن بحش كوكب قال ابن قتيبة وهى أرض اشتراها عثمان وزادها فى البقيع والحش البستان وكوكب اسم رجل من الأنصار والأحاديث الواردة فى فضله وعلو مقامه كثيرة شهيرة رضى الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن آدم حق) قال العاقولى أراد بالحق ما يستحقه الانسان لاحتياجه اليه فى كنه من الحر والبرد وستر بدنه وسد جوعته ، وهذا هو المراد الحقيقى من المال وقيل أراد ما لم يكن معه حساب اذا كان مكتسباً من وجه حلال طيب ويؤيد القول الثانى ما قال ابن كثير أخرج الامام أحمد بسنده إلى أبى عسيب مولى النبي ﷺ قال : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى فخرجت اليه ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى أتى حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط أطعمنا » ، الحديث وفى آخره « فأخذ عمر العذق الذى جاء به الأنصارى فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يارسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال نعم الا من ثلاثة خرقة كفى بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته ، أو حجر يدخل فيه من الحر والبرد » وقال ابن

فى سوى هذه الخصال ، بيتٌ يسكنه وثوبٌ يوارى عورته ، وجِلْفُ الخبز والماء »
رواه الترمذى وقال حديث صحيح قال الترمذى سمعت

كثير تفرد به أحمد (فى سوى (١) هذه الخصال) ظاهره استعماله سوى غير ظرف فيكون متصرفا بوجوه الاعراب كغير وهذا ماذهب اليه ابن مالك وصححه فى أكثر كتبه وبالغ فى نصرته فى شرح التسهيل لكن قال أبو حيان لاسلف له فى ذلك إلا الزجاجى واستدل ابن مالك بشواهد من الحديث وغيره شعرا ونثراً ونازعه أبو حيان بأنه لاحجة له فى ذلك ومذهب سيبويه والبصريين أنها لاتخرج عن الظرفية المكانية إلا فى الشعر وصححه ابن الحاجب فى سبك المنظوم وجرى عليه العاقولى هنا فقال موصوف سوى محذوف أى شىء سوى هذه الخصال والمراد هنا مايحصل للرجل ويسعى فى تحصيله (بيت) رأيته مضبوطا بالقلم فى أصل مصحح بالرفع على القطع باضمار مبتدأ أى هى ويجوز إن لم تصد عنه الرواية نصبه باضمار أعنى ويجوز جره على الاتباع وهذه الأوجه جارية فى بدل المفصل من المجمل اذا استوفى العدة وجملة (يسكنه) فى محل الصفة احترازاً عن بيت يعده للكراء فان ذلك من اتخاذ الضيعة المنهى عنه بما تقدم فى حديث ابن مسعود (وثوب يوارى) أى يستر (عورته) يجوز أن يراد من العورة مايجب ستره فى نحو الصلاة فلا يدخل فيه ستر ماعدا مابين السرة والركبة من الرجل والأمة وأن يراد به مايجب ستره فى الرجال عن النساء الأجانب فيشمل ذلك ولعل الثانى أقرب سيما إن كان تركه مخلا بالمروءة فلايكون لبسه من حظوظ النفس بل من حقوقها ويؤيده أنهم أوجبوا على المعتمد فى كفن الميت ستر جميع بدنه لاالعورة فقط وأصل العورة الخلل ومنه أعور المكان ، ورجل أعور (وجلف) بكسر الجيم وسكون اللام قال فى النهاية : ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهى الكسرة من الخبز «قلت» وعليه فيكون كحلق بكسر ففتح فى جمع حلقة بفتح فسكون (الخبز والماء رواه الترمذى وقال حديث صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه الحاكم فى مستدركه وفى النهاية حديث عثمان «إن كل شىء سوى جلف الطعام وظل ثوب ، وبيت يستر، فضل » (قال الترمذى وسمعت

---

(١) فى الجامع الصغير « فيما سوى الخ » .ع

أبا داود سليمان بن أسلم البَلْخِى يقول سمعت النضر بن شميل يقول الجلف الخبز ليس معه إدام وقال غيره هو غليظ الخبز . وقال الهروى المراد به هنا وعاء الخبز كالجوالق والخُرْج والله أعلم *

أبادود سليمان) بصيغة التصغير (ابن أسلم) بفتح الهمزة فسكون المهملة (البلخى) بفتح الموحدة فسكون اللام بعدها معجمة نسبة الى بلخ بلد معروف ويقال له المصاحفى نسبة الى عمل المصاحف والترمذى تارة يصفه بذلك وتارة بهذه كما بينته فى باب الكنى من حرف الدال من كتابى فى أسماء رجال الشمائل (يقول سمعت النضر) باعجام الضاد ، فى مقدمة فتح البارى ما كان بهذه الصورة معرفا بالاعجام ومنكراً بالاهمال (ابن شميل) بضم المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية والنضر هو الامام الكبير الشأن فى علوم العربية وقد ذكرت ترجمته فى كتابى المذكور آنفا (يقول الجلف) أى بكسر فسكون اسم مفرد (الخبز ليس معه إدام وقال غيره هو غليظ الخبز) أى وإن كان معه إدام وهذا الغير هو الليث كما فى تكملة الصحاح للصغانى وعبارته قال قال الليث الجلف لحاء النخل والجلف أيضاً من الخبز الغليظ اليابس اه ويحتمل أن يكون غيره لأن المحكى هنا أعم مما حكى عنه لأنه اعتبر فيه أمرين الغلظ واليبس والمحكى عن الغير هو الأول فقط (وقال الهروى) صاحب كتاب الغريبين (المراد به هنا وعاء الخبز كالجوالق) بضم الجيم قال فى الصحاح : الجيم والقاف لايجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب الا أن تكون معربة أو حكاية صوت نحو الجردقة وهى الرغيف وذكر ألفاظاً (١) إلى أن قال والجوالق بضم الجيم وعاء والجمع الجوالق بالفتح والجواليق بالياء أيضاً اه (والخرج) بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبالجيم قال فى المصباح وعاء معروف عربى صحيح والجمع خرجة نحو عنبة اه وفيه أيضا قيل الجلف كل ظرف ووعاء وهذا القول الذى حكاه المصنف أعرض عن ذكره العاقولى فى شرح المصابيح والحافظ السيوطى

---

(١) وهى (الجرموق) الذى يلبس فوق الخف و (الجرامقة) قوم بالموصل أصلهم من العجم و (الجوسق) القصر و (جلق) بالتشديد وكسر الجيم واللام موضع بالشأم اه . ع

وعن عبد الله بن الشِّخِّير بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين رضى الله عنه أنه قال: « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك

فى حاشية الترمذى والعلقمى فى حاشية الجامع الصغير وكأنه لبعده عن مقام الحديث لأن المراد به التحريض على الزهد وأخذ الوعاء لنحو الخبز إنما يكون عادة عند نحو ادخار واهتمام به وذلك خلاف المقصود والله أعلم . وكأن من حمل الحديث عليه يمنع كون ذلك عادة عند الادخار بل يكون لنحو ما يحفظ لوقت آخر من اليوم مثلا والله أعلم » (وعن عبد الله بن الشخير بالشين والخاء المشددة المعجمتين) كأن وجه إفراد المشددة وتثنية مابعده مع أن الوصفين سيان الا كتفاء بكون الشين لاينطق بها إلا كذلك لأن اللام تبدل منها وتدغم فيها وليس فى الخاء ما يدل على وجوب ذلك فيها فنبه على مايحتاج إلى التنبيه وأيضا فتشديد الشين عارض عند دخول أل فيه بخلاف تشديد الخاء وعبارة (تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه) (١) للحافظ ابن حجر شخير بالكسر وتشديد الخاء المعجمة بعدها ياء ثم راء عبد الله بن الشخير له صحبة وأولاده اه والظاهر أن أل فيه مقارنة للنقل فتكون لازمة والله أعلم ، وعبد الله (رضى الله عنه) تقدمت ترجمته فى باب فضل البكاء من خشية الله تعالى (أنه قال) بفتح الهمزة مبتدأ خبره الظرف قبله أى وعنه قوله (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ) جملة فى محل الحال من المفعول (ألهاكم التكاثر) أى السورة المسماة بما ذكر لكونه صدرها (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم بعد إتمامها كما عند النسائى « حتى ختمها » (يقول ابن آدم) أتى بصيغة المضارع إيماء إلى أن هذا القول ديدنه ودأبه بحسب طبعه (مالى مالى) أى مالى هو الذى أعتنى به وأهتم ، فالتكرار لفظاً للتعظيم والاهتمام قال الحافظ فى الفتح لأن المبتدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد به بعض اللوازم (وهل لك) المعطوف عليه مخاطب مقدر . أى أتقول ذلك (يا ابن آدم) وتهتم بأمره وهل لك (من دنياك) التى اهتممت بأمرها

---

(١) هو كتاب جليل سنطبعه قريباً إن شاء الله . ع

إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت» رواه مسلم *

وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه

واحتفلت بشأنها والاستفهام فيه للانكار أى مالك منها على الحقيقة (إلا ما أكلت فأفنيت) فوصل نفع ذلك إلى أجزاء البدن واستقام به أمرها (أو لبست) بكسر الموحدة (فأبليت) من الابلاء إخلاق الجديد (أو تصدقت) على محتاج قاصداً وجه الله تعالى (فأمضيت) قال فى المصباح : أمضيت الأمر أنفذته اه والمراد أمضيت التصدق وأنجزته فأبقيت ثوابه مدخراً لك عند المولى وملخصه مالك من دنياك إلا ما انتفعت به فى دنياك بأن أكلت أو لبست أو أخرت بأن تصدقت وما عدا ذلك من باقى المال فانما أنت فيه بمنزلة الخادم الخازن لغيره كما تقدم فى حديث « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » ففيه تحريض على الزهد من جمع الدنيا والعروض (١) عنها وتحريض على الاقتصار على ماتدعو إليه ضرورة الحياة وادخار ماعداه عند الله وما أحسن قول بعضهم : اجعل ماعندك ذخيرة لك عند الله واجعل الله ذخيرة لأولادك ، (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه ورواه الترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح والنسائى فى الوصايا وفى التفسير (وعن عبد الله بن مغفل) بصيغة اسم المفعول من التغفيل بالغين المعجمة والفاء قال المصنف فى التهذيب هو أبو سعيد وقيل أبو عبد الرحمن وأبو زياد عبد الله بن مغفل بن عبد غنم وقيل ابن عبد نهم بن عفيف بن أسحم بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار المزنى البصرى (رضى الله عنه) ومزينة امرأة عثمان بن عمرو نسبوا إليها وهى مزينة بنت وهب بن وبرة ، فولد عثمان يقال لهم مزنيون وكان عبد الله من أهل بيعة الرضوان قال إنى لممن رفع أغصان الشجرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وابتنى بها داراً قرب الجامع قال الحسن مانزل البصرة أشرف منه وقد تقدمت ترجمته وذكر بعض مناقبه ، وعدة ماله من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى باب المحافظة على السنة ، وقد ذكرت زيادة على ذلك فى ترجمته فى كتابى فى رجال

---

(١) قوله (العروض) لعله (الاعراض) . ع

قال « قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله والله إني لأحبك ، قال انظر ماذا تقول قال والله إني لأحبك ، ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعدَّ للفقر تِجْفَافًا

الشمائل (قال قال رجل) قال ابن أقبرس في شرح الشفاء هذا الرجل من المجاهيل « قلت » ويجوز أن يكون أبا سعيد الخدري ففي الشفاء وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد « إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله » ثم أورد حديث ابن مغفل المذكور وقال بعد ذكره إلى قوله تجفافا ثم ذكر (١) نحو حديث أبي سعيد بمعناه ثم رأيت الحافظ السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء جزم بأن حديث أبي سعيد بعض حديث ابن مغفل فهو يقوى مافهمته من تفسير المبهم بأبي سعيد والله أعلم (للنبي صلى الله عليه وسلم) اللام فيه للتبليغ (يارسول الله والله إني لأحبك) لعل ذكر المؤكدات لزيادة تثبيت مضمون الخبر عنده صلى الله عليه وسلم خصوصاً إن قلنا إنه أبو سعيد أو غيره من خلص المؤمنين وإن كان من المنافقين ثم صدق في إيمانه فلاذهاب ماتوهم من حاله السابق (فقال انظر ماذا تقول) يريد منه الاستكشاف عن حقيقة قوله ولذا علقه بالشرط الآتي وفي الاصطفاء « انظر ماذا تقول » أي تأمله وتذكر فيه فانك رمت خطة عظيمة ومشقة وخيمة تورثك خطرا يجعلك هدفا لبلايا فظيعة ورزايا وجيعة فأمره بالنظر ليوطن نفسه على ما يرهقه عسرا أو يكلفه أمرا إصرا اه ولا يخفى مافيه (قال والله اني لاحبك) وقال الدلجي مؤكدا بالقسم والتكرير (ثلاث مرات) وهو ظرف لقال (فقال ان كنت تحبني) أتى بأن الدالة على عدم الجزم مع تأكيد المتكلم بالمؤكدات السابقة إما لعدم علمه صلى الله عليه وسلم بحال القائل عند معرفته بثمرة المحبة بعد ذكرها له فلعله يرجع عن ذلك لعدم ثباته كما قال تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » الآية أو تحريضا على الصبر على نتائج دعواه كقول الوالد لابنه : ان كنت ولدي فأطعني (فأعد) بتشديد الدال أمر من الاعداد أي فهيء (للفقر تجفافا) قال ابن

---

(١) قوله (ثم ذكر) لعلها (فذكر) والفاء لتفصيل قوله قال . ع

فان الفقر أسرعُ إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه» رواه الترمذى وقال حديث حسن * (التجفاف) بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة وهى شىء يُلبَسه

أقبرس المعنى أن يرفض الدنيا ويزهد فيها ويستتر عن استنمائها بمثل التجفاف كما يستتر بالترس فى الحرب عن آثار السلاح التى هى آلة الجراح اه ففيه استعارة كما يأتى ، وعلل ﷺ ما ذكره بقوله على سبيل الاستئناف البيانى (فان الفقر) أتى به ظاهراً والمقام للضمير زيادة لتمكينه عند سامعه (أسرع الى من يحبني) زاد فى حديث أبى سعيد المذكور آنفاقوله منكم فيحتمل أن يكون له مفهوم ويحتمل أن لا ، لأن خطابه لما كان معهم ذكره لالتخصيصهم بذلك ، والثانى أقرب (من السيل الى منتهاه) أى من مكان وصول السيل من الجبل أو أعلى الوادى الى منتهاه من أسفل الجبل أو آخر الوادى وإنما كان كذلك لأن الناس على دين ملوكهم ولما كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا بشهادة حديث ملك الجبال « إن شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا فأبى » وحديث «عرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يارب ولكنى أجوع يوما وأشبع يوما ، فاذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » كان المحب التابع له أسرع الى اتصافه بما هو متصف به من السيل كما قال لقوة الرغبة وصدق المحبة ولأن المحب يجب أن يتصف بصفات المحبوب فالمرء مع من أحب ، ومولى القوم منهم فى الخير والشر ، فمن أحب أن يكون معهم فى نعيم الآخرة فليصبر كما صبروا فى الدنيا عن شهواتها لكن هذا مقام عال شريف لا يقدر عليه إلا الأفراد ، فلذا قال له انظر ماذا تقول أى إنك قد ادعيت أمراً عظيما يستدعى الصبر على أمر عظيم قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » رواه الترمذى وقال حديث حسن) وفيه بعد قوله حسن غريب وأسقطه المصنف لان الغرابة النسبية لا تضر فى الحكم بالحسن (التجفاف بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة وهى) أنث الضمير باعتبار المعنى فانها فى معنى السترة (شىء يلبسه) بالبناء للمجهول من ألبس ومفعوله الثانى الضمير قدم لكونه ضميرا متصلا على مفعوله الأول الذى أقيم مقام الفاعل

الفرسُ ليُتقى به الأذى وقد يلبسه الانسان * وعن كعب بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسَدَ لها من حرص المرء على المال والشرف

وهو (الفرس) ويجوز أن يقرأ بفتح التحتية وبالموحدة مبنيا للفاعل من لبس بكسر الموحدة (ليتقى به الاذى) أى أن يصيبه من السلاح شىء من الجراح وقد يلبسه الانسان ، ظاهره أن التجفاف معد لثوب يلبسه الفرس (وقد يلبسه الانسان) وعلى ذلك جرى العاقولى فقال وقد يلبسه الانسان أيضا ولعله تبع فيه المصنف والذى فى المصباح التجفاف تفعال بالكسر شىء يلبسه الفرس عند الحرب كانه درع والجمع تجافيف قيل سمى به لما فيه من الصلابة واليبوسة ، وقال ابن الجواليقى التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن وهو الذى يسمى فى عصرنا بركصطوان اه وفى شرح الشفاء لابن أقبرس قال أبو على التاء زائدة وأشار العاقولى الى أن فى الحديث استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية بقوله شبه الفقر بالسهم الصائب والسيف القاطع والرمح النافذ وشبه صبره عليه بالتجفاف الذى يلبسه الانسان أو يلبسه فرسه ليقيه ذلك أى فالتشبيه المضمر فى النفس استعارة مكنية واثبات التجفاف استعارة تخييلية . وعن كعب بن مالك) الانصارى أحد الثلاثة الذين خلفوا فنزلت توبتهم فى آية آخر سورة التوبة وتقدمت ترجمته (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما) نافية حجازية كما اقتصر عليه الطيبى ويجوز كونها تميمية لأن الباء تزاد فى خبر كل منهما خلافا لابى على والزمخشرى زعما اختصاص الباء بلغة الحجاز قال ابن هشام فى المغنى: أوجب الفارسى والزمخشرى فى نحو « ما الله بغافل » كون ما حجازية ظنا أن المقتضى لزيادة الباء نصب الخبر وانما المقتضى نفيه لامتناعها فى نحو كان زيد قائما وجوازها فى . لم أكن بالمجلهم . وفى ما ان زيدا بقائم اه (ذئبان جائعان أرسلا) بالبناء للمجهول (فى غنم) متعلق به وهذان وصفان لذئبان مفرد وجملة فهو كقوله تعالى « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » (بأفسد لها) أى بأكثر فسادا للغنم وأنث ضميرها لاعتبار الجنسية فيها (من) فساد (حرص المرء على المال) متعلق بحرص ومن فساد هو المفضل عليه (والشرف) أى الجاه معطوف على المال واللام فى قوله

لدينه » رواه الترمذى وقال حديث حسنٌ صحيحٌ * وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال « نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه فقلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وِطَاءً ، فقال مالى وللدُّنيا

(لدينه) لام البيان كهى فى قوله تعالى «لمن أراد أن يتم الرضاعة » كأنه قيل لمن قال لمن أراد . وكذا هنا كأنه قيل بأفسد لأى شىء؟ فقيل لدينه ولا يصح جعلها متعلقة بأفسد لأنه لايجوز تعلق حرف جر بلفظ واحد ، ومعنى واحد بعامل واحد إلا على سبيل البدل (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه أحمد من حديث كعب أيضاً (وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير) قال فى المصباح هو البارية وجمعه حصر مثل بريد وبرد وتأنيثه بالتاء عامى اه وفى الشفاء من حديث عن حفصة « وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه » قال السيوطى فى تخريجه رواه الشيخان من حديث طويل عن عمر والترمذى وابن ماجه (فقام) أى استيقظ واستوى جالسا (وقد أثر) أى الحصير (فى جنبه) فان بدنه الشريف كان ألين من الحرير وفى الحديث عن أنس « ولامسست خزا ولا حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم » وإذا كان هذا شان كفه وهو يزاول الاعمال فكيف بباقى بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم والجملة فى محل الحال من فاعل قام (فقلنا) أى الحاضرون الذين منهم ابن مسعود ويبعد أن يريد نفسه فقط ولايشهد له ماسيأتى عن ابن ماجه من قول ابن مسعود فقلت كما هو ظاهر (لو اتخذنا لك وطاء) بكسر الواو وبالمد بوزن كتاب قال فى المصباح : هو الوطيء وقد وطؤ الفرش بالضم فهو وطىء كقرب فهو قريب وجواب لو محذوف أى لاستراح بذلك ، أو نحو ذلك، وعند ابن ماجه « فقلت يارسول الله لو كنت أذنتنا ففرشنا لك شيئاً يقيك » (فقال مالى وللدنيا) قال الانطاكى فى حواشى الشفاء قيل يجوز أن تكون مانافية أى ليس لى ألفة ومحبة لى وللدنيا حتى أرغب فيها ويجوز أن يكون التقدير أى شىء حالى مع الميل للدنيا اه أى فتكون ما استفهامية والمعنى أى شىء لى ولها أى جامع فاشتغل بها وقال الدلجى: هو استفهام بمعنى النفى

ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام »

أى لاأرب فيها (ماأنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) وذلك لأن الدنيا ليست دار قرار ولا منزل استقرار انما هى دار عبور يقطعها السائر الى ميادين الآخرة فالانسان فيها بمثابة المسافر النازل فى أثناء سفره تحت شجرة يطلب ظلالها من حر الشمس ثم اذا ذهبت الشمس إذا جلس تحت الشجرة منها راح عن الشجرة أى سار بعد الزوال وتركها،ففيه أتم ارشاد الى ترك الاهتمام بعمارة الدنيا والاشتغال بتحصيلها وحث وحض على الاعتناء بعماره منزل العبد من الدار الآخرة وتحصينه وبالله التوفيق (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) قال فى الجامع الصغير بعد ايراد الحديث المرفوع رواه أحمد وابن ماجه والحاكم والضياء كلهم عن ابن مسعود . (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام (لحبس الاغنياء تلك المدة فى الموقف حتى يحاسبوا عما خولوه من الغنى « من أين اكتسبوه وفيم أذهبوه » كما سيأتى فى حديث أسامة قال العاقولى وجه الجمع بين هذا الحديث وقوله فى حديث عائشة « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا » إن الاربعين أريد بها تقدم الفقير الحريص ، على الغنى الحريص . وأريد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغنى الراغب ، فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين إلى الخمسمائة لأن الخمسمائة عشرون مضاعفة خمسا وعشرين مرة والاربعون عشرون مضاعفة مرة فالاربعون خمسا خمس الخمسمائة التى هى نصف يوم فيكون الاربعون خمس خمس اليوم الذى هو ألف سنة * وحاصله أن الفقير الحريص يسبق الغنى الراغب بخمس خمس يوم والفقير الزاهد يسبقه بنصف يوم اه وفى حاشية الترمذى للسيوطى وروى محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الخلال فى كتابه فضل الفقير على الغنى حديث أنس بن مالك قال « بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث وفيه « يدخل الفقير الجنة قبل الغنى بنصف يوم وهو خمسمائة عام » قال

رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن ابن عباس وعمرانَ بن الحصين رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اطّلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ،

الحارث قال سفيان يفسره « ان للجنة ثمانية أبواب مابين الباب إلى الباب خمسمائة عام لكل باب أهل فينسى الغنى فيجىء الى باب غيره فيقول البواب ارجع الى بابك فيرجع الى بابه وهو مسيرة خمسمائة عام » اه (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) هذا وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره أثرا عن ابن عباس قال « انما هى ضحوة فتقيل أولياء الله على الاسرة مع الحور العين وتقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين » وقال سعيد بن جبير « يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » ثم نقل نحوه عن عكرمة وأن ذلك للفريقين فى الساعة التى تكون فى الدنيا عند ارتفاع الضحى الاكبر اذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة ثم روى عن ابن مسعود « لاينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة الخ وقوله تعالى « ثم إن مرجعهم لالى الجحيم » وروى آثارا أخر « قلت » وهذا كله لا يخالف حديث الباب فان الله تعالى يطول ذلك الزمان حتى يكون على الكافر قدر خمسين ألف عام ويرى الغنى أنه تأخر فى الموقف عن الفقير بعد دخوله خمسمائة عام والله على كل شىء قدير (وعن ابن عباس وعمران) بكسر العين المهملة (ابن حصين) بضم المهملة وفتح الثانية وسكون التحتية آخره نون وسبقت ترجمتهما وقوله (رضى الله عنهم) لانهما صحابيان إبنا صحابيين (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت) بتشديد الطاء المهملة أى أشرفت وقال العاقولى ضمن معنى تأملت (فى الجنة) يحتمل أن يكون ذلك فيه وفيما بعده ليلة الاسراء ويحتمل أن يكون لما كشف له فى صلاته فى الكسوف والله أعلم (فرأيت) أى علمت فلذا عدى لمفعولين (أكثر أهلها الفقراء) قال ابن بطال لا يوجب فضل الفقير على الغنى وانما معناه الفقراء فى الجنة أكثر من الاغنياء فأخبر عن ذلك وليس الفقر أدخلهم الجنة انما دخلوا بصلاحهم معه فالفقير اذا لم يكن صالحا لايفضل ، حكاه عنه الحافظ فى الفتح قال العلقمى ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع فى

واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء» متفق عليه من رواية ابن عباس رضى الله عنهما ورواه البخارى أيضا من رواية عمران بن الحصين *

الدنيا « قلت » وهو الذى فهمه المصنف ولذا أورد الخبر فى باب فضل الزهد فى الدنيا (واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء) فيه التحريض لهن على المحافظة على مر الدين ليسلمن من النار قال الحافظ وفى حديث أبى سعيد عند مسلم فى صفة أدنى أهل الجنة ثم يدخل عليه زوجتاه ولابى يعلى عن أبى هريرة « فيدخل الرجل على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله زوجتين من ولد آدم » واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه عنه مسلم فى صحيحه وهو واضح لكن يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الكسوف « أكثر أهل النار » « ويجاب » بأنه لايلزم من كون أكثرهن فى النار نفى كون أكثرهن فى الجنة ، لكن يشكل عليه حديث اطلعت الخ ويحتمل أن الراوى رواه بالمعنى الذى فهمه من أن كونهن أكثر ساكنى النار يلزم منه كونهن أقل ساكنى الجنة وليس ذلك بلازم لما قدمته ويحتمل أن يكون ذلك فى أول الأمر قبل خروج العصاة من النار بالشفاعة والله أعلم . قال شيخ الاسلام زكريا ويجاب أيضا بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافى اه (متفق عليه من رواية ابن عباس) قال الحافظ المزى فى الأطراف رواه البخارى فى النكاح تعليقا « قلت » قال الحافظ فى نكته عليه هذا التعليق فى كتاب الرقاق لافى كتاب النكاح وقال فى النكاح تابعه أيوب ومسلم بن زيد كذا هو فى الأصول قال ورواه مسلم فى الدعوات من صحيحه ورواه الترمذى فى صفة جهنم وقال حسن صحيح ورواه النسائى فى عشرة النساء من سننه اه ملخصا وفى الجامع الصغير حذف رمز البخارى من رواته وكانه سهو وزاد فيه ورواه أحمد (ورواه البخارى) فى صفة الجنة وفى النكاح وفى الرقاق (أيضا) أى دون مسلم (من رواية عمران بن حصين) والراوى للحديث عنهما هو أبو رجاء عمران بن تيم وقد رواه من حديث عمران أيضا الترمذى فى صفة جهنم والنسائى فى عشرة النساء والرقاق قال المزى بعد أن ذكر اختلاف الرواة عن عوف فقال بعضهم عن أبى رجاء عن عمران وقال

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار » متفق عليه

أيوب عن أبى رجاء عن ابن عباس وكلا الاسنادين ليس فيه مقال ويحتمل أن يكون أبو رجاء سمعه منهما والله أعلم (وعن أسامة) بضم الهمزة (ابن زيد) ابن حارثة الحب بن الحب تقدمت ترجمته فى باب الصبر فى أوائل الكتاب (رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة) أى لانظر أهلها أو لأمر آخر اقتضى القيام ثمة (فكان عامة) قال فى المصباح هم خلاف الخاصة والجمع عوام كدابة ودواب والهاء فى عامة للتأكيد اه . وفى كتاب تلقيح الفهوم فى تنقيح صيغ العموم للحافظ العلائى : وأما عامة مثل فعله عامة الناس فلا ريب أنه من صيغ العموم كيف وهو من مادته وبنيته والعموم معناه الشمول والاحاطة وهو خلاف الخصوص وهذا ظاهر لاحاجة إلى الاستشهاد اليه اه وعليه فالمعنى فاذا عموم (من دخلها المساكين) جمع مسكين والمراد به مايشمل الفقير أى المحتاج ويجوز من حيث صناعة الاعراب رفع المساكين على أنه اسم كان مؤخرا ونصب عامة على أنه خبرها مقدما ويجوز العكس (وأصحاب الجد محبوسون) أى فى الموقف عن دخول الجنة ليحاسبوا عما كانوا فيه من الغنى تحصيلا وتضييعا والفقراء سالمون من ذلك (غير) بالنصب على الاستثناء (أن أصحاب النار) أى منهم قد أمر بهم إلى النار ، والمعنى لكن أصحاب النار منهم غير محبوسين وفى المفاتيح أصحاب النار هم الكفار (قد أمر بهم إلى النار) أى لا يوقفون فى العرصات بل يؤمرون بدخول النار فالاستثناء منقطع وكذا قال العاقولى غير بمعنى لكن والمغايرة بحسب التفريق فان القسم الأول أى والمراد به المؤمنون من غنى وفقير بعضهم محبوس وهو ذو الجد وبعضهم غير محبوس وهو الفقير والقسم الثانى غير محبوسين ويدل على أن القسم الأول بعضه محبوس قوله فى الحديث عن صعاليك المهاجرين إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم فلولا ذلك الحبس للاغنياء لدخلوا جميعاً (متفق عليه) قال المزى فى الأطراف : رواه البخارى فى النكاح « قلت زاد الحافظ فى نكته عليه وفى الرقاق قال المزى ورواه مسلم آخر كتاب

(الجدُّ) الحظ والغنى وقد سبق بيان هـذا الحديث فى باب فضل الضعفة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد

الدعوات ورواه النسائى فى عشرة النساء من سننه وفى المواعظ والرقائق منها وهما ليس من سنن النسائى فى الرواية اه ملخصاً وقال السيوطى فى الجامع الصغير : ورواه أحمد فى مسنده (الجد) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة (الحظ والغنى وقد سبق بيان هـذا الحديث) بزيادة فى آخره « وقمت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » فى باب فضل الضعفة) وتقدم شرح الحديث ثمة أيضاً بما بينه وبين ماهنا عموم وخصوص (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال أصدق كلمة) أى أكثر جملة مفيدة مطابقة للواقع وجملة (قالها شاعر) فى محل الصفة لـكلمة احترز بها عن قول الله سبحانه وأقوال أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فتلك أصدق ، والمراد بالتفضيل ما عدا ذلك و إطلاق الـكلمة على الجمل المفيدة هو فى اللغة وتخصيصها بالقول المفرد عرف طارىء وليس للشارع اصطلاح خاص فى إطلاق الـكلمة فتحمل على معناها اللغوى ، لـكن مقتضى كلام النحاة أن إطلاق الـكلمة على الجمل المفيدة مجاز مرسل من إطلاق اسم الجزء على الـكل وجوز بعضهم كونه استعارة مصرحة بأن شبهت الجملة فى توقف الافادة على جميع أجزائها بتوقف فهم معنى الـكلمة على جميع حروفها فأطلق اسم المشبه على المشبه به حينئذ فتـكون القرينة فى الحديث على إرادة المجاز منها ما فسر به الخبر من شطر البيت (كلمة) بفتح الـكاف وكسر اللام لغة أهل الحجاز وهى أفصح من فتح الـكاف وكسرها مع سكون اللام فيهما وهما لغة تميم ويكفى فى تغاير المبتدأ والخبر التغاير بحسب الاضافة (لبيد) بفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية ثم دال مهملة وهو ابن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معـد بن عدنان العامرى هكذا ذكر نسبه أبو بكر أحمد (١) بن أبى خيثمة فى تاريخه ، وفد على

---

(١) فى نسخة التهذيب (محمد) بدل أحمد

ألا كل شيء ماخلا الله باطلُ * متفقٌ عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه وكان من فحول شعراء الجاهلية وكان من المعمرين عاش مائة وأربعا وقيل وسبعاً وخمسين سنة وقال السمعانى مات أول خلافة معاوية وله مائة واثنتان وأربعون سنة ولم يقل شعراً بعد إسلامه وكان يقول أبدلنى الله به القرآن وقيل قال بيتاً واحداً .

ماغائب المرء (١) الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

وقال جمهور أصحاب السير والاخبار لم يقل شعراً منذ أسلم وقال عمر بن الخطاب يوما لابيد أنشدنى شيئاً من شعرك فقال ما كنت لا قول شعراً بعد إذ علمنى الله « البقرة وآل عمران » فزاده عمر فى عطائه خمسمائة وكان شريفاً فى الجاهلية والاسلام وفى ترجمته زيادة فى التهذيب (ألا) أداة استفتاح (كل شيء ماخلا الله) أى وصفاته وإنما لم يذكرها لأنها معلومة من ذكر الذات كما هو مقرر عند الأشاعرة أنها ليست غيراً أى يجوز انفكاكها كما أنها ليست عيناً أى باعتبار المعلوم فلكونها غير قابلة الانفكاك ، كان المتبادر من ذكر الذات ذكرها ، وبهذا يبطل تعلق المبتدعة بالبيت (باطل) يحتمل أن يكون المراد منه هلاكه بالفعل فينعدم كل مخلوق ساعة لتصدق الكلية ثم يوجد ، ويحتمل أن المراد قبوله للبطلان والهلاك إذ المتعقل إما واجب العدم كالمحال الذاتى أو البقاء كذات الله وصفاته أو محتمل لهما كالعالم والبيت المذكور فى معنى قوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » ولوعد هذا البيت من موافقات لبيد للقرآن لم يبعد بما ذكر من استشهاد النبى صلى الله عليه وسلم بشعر لبيد وشهادته له بأنه شاعر كما جاء فى رواية أخرى وأن ذلك أصدق ما قاله شاعر ، ضرب الامام الشافعى المثل به حيث يقول

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد

(متفق عليه) رواه البخارى فى الأدب والرقاق وغيرهما من صحيحه ومسلم فى الشعر ورواه الترمذى فى الاستئذان من جامعه وفى الشمائل ورواه ابن ماجه أيضاً فى الأدب كذا فى الأطراف

---

(١) ينظر والمحفوظ « الحر » بدل المرء . ع

﴿ باب فضل الجوع وخشونة العيش ﴾

والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس

وغيرها من حظوظ النفوس وترك الشهوات

* قال الله تعالى « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن

﴿ باب فضل الجوع وخشونة ﴾

بضم أوليه المعجمين مصدر خشن(١) خشنة وخشونة خلاف نعم ، كذا فى المصباح (العيش) والمراد ترك الترفه فيه والاقتصار على الجلف لأنه حق النفس ومافوقه حظها (والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها كالمفروش والمسكون والمنكوح (من حظوظ النفس) يصح كونه بيانا للغير . اذ قليل المأكول والمشروب مما تقوم به البنية ، والملبوس مما يستر البدن ، حق النفس لاحظها ، ويصح كونه بيانا للجميع بأن يراد من القليل مازاد على مايحتاج اليه فى ذلك من الترفهات والتنعمات (وترك الشهوات) أى مشتهى النفس وان كان من قليل ماذكر فعطفه عليه من عطف العام على الخاص ويصح أن يراد مشتهاها مما عدا ذلك فيكون من عطف المغاير *« قال الله تعالى فخلف من بعدهم) أى الذين أثنى عليهم فى الآيات السابقة من الأنبياء والذين من الله عليهم بتوفيقه (خلف) أى عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح(٢) وخلف سوء بالسكون (أضاعوا الصلاة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب ، وعن على رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ، ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شراً أوجزاء غى كقوله« يلق أثاما» أو غيا عن طريق الجنة ، وقيل هو وادى جهنم يستعيذ منه أوديتها والاتيان بحرف التنفيس لتأكيد الوعيد (إلا من تاب وآمن) يدل على أن الآية فى الكفرة لكن ذكر العماد بن كثير فى تفسيره عن مجاهد قال عند ذهاب صالحى أمة

---

(١) أى بضم الشين (٢) أى فتح اللام . ع

وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً » وقال تعالى « فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارونُ إنه لذوحظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا »

محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض فى الأزقة ومن طريق آخر عنه قال هم فى هذه الأمة يترا كبون تراكب الانعام فى الطريق لايخافون الله فى السماء ولايستحيون الناس فى الأرض ، ثم أخرج من طريق ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » الحديث ثم ذكر أحاديث وآثاراً فى ذلك (وعمل) عملا (صالحا) ليزكو به ايمانه ويزداد إيقانه فالايمان يزيد بزيادة الطاعة (فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً) من الظلم أولا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لايضرهم ولا ينقص أجورهم قال العماد بن كثير والاستثناء فى هذه الآية كقوله فى سورة الفرقان « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » (وقال تعالى فخرج)أى قارون (على قومه فى زينته) كما قيل إنه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وهو بضم الهمزة والجيم وسكون الراء بينهما شجر على قضبان حمر يوصف به الثور الاحمر وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقوله فى زينته فى موضع الحال من فاعل خرج أى متزينا بها (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة (ياليت) المنادى محذوف أى يا قوم ليت (لنا مثل ما أوتى قارون) تمنوا مثله لاعينه حذراً من الحسد (انه لذو حظ) فى المصباح الحظ الجد وفلان محظوظ وهو أحظ من فلان والحظ النصيب اه ويصح ارادة كليهما والاول أبلغ فى مرادهم لكن قول البيضاوى حظ (عظيم) من الدنيا وقول ابن كثير حظ وافر من الدنيا يومىء الى حمل الحظ على النصيب لأن الاول يستعمل بفى (وقال الذين أوتوا العلم) النافع وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله فيها لصالحى عباده المتقين للمتمنين ذلك (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وترك المصنف ذكر

وقال تعالى « ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » وقال تعالى « من كان يريد العاجلة

باقى الآية وهو قوله « ولا يلقاها » أى الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب وأنث لأنه بمعنى المثوبة أو الجنة ، أو الايمان والعمل الصالح وأنث أيضا لأن ذلك فى معنى السيرة والطريقة « لا الصابرون » على الطاعات وعن المعاصى لأنه اختلف فيه هل هو من جملة كلام العلماء أى فيفسر بما عدا الاول من مراجع الضمير وعليه السدى قال ابن كثير فجعله من تمام كلامهم أو من كلام الله ثناء عليهم بالاصابة ، ويفسر بالاول وعليه ابن جرير قال ابن كثير قال ابن جرير وما يلقى هذه الكلمة الخ وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله تعالى وإخباره اه ولعل المصنف يقوى عنده الجانب الثانى (وقال تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى «قل من حرم زينة الله» « كلوا من الطيبات» وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار وفى التفسير الصغير للكواشى النعيم هو الصحة والأمن، أو هى والفراغ قال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» «قلت» قال ابن كثير معناه أنهم مقصرون فى شكرهما لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ماوجب عليه فهو مغبون اه أو هو الماء البارد فى الصيف والحار فى الشتاء قال صلى الله عليه وسلم « أول مايسئل العبد من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد ؟ » أو هو خبز البر والماء العذب أو كل لذة من اللذات اه وفى تفسير ابن كثير بعد ذكر الأقوال فى ذلك أخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة . وأخرج ابن أبى حاتم عن زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم . ثم ذكر ابن كثير أقوالا أخر ختمها بحديث قال أخرجه الامام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل يابن آدم حملتك على الخيل والابل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك ترتع وترأس ، فأين شكر ذلك » وقال ابن كثير تفرد به أحمد اه (وقال تعالى من كان يريد العاجلة)

عجّلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا » والآيات فى الباب كثيرة معلومة * وعن عائشة رضى الله عنها قالت « ماشبع آلُ محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » متفق عليه * وفى رواية

مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمن متمناه ولا كل واحد جميع مايهواه ،وليعلم أن الأمر بالمشيئة ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرىء « يشاء» أى بالتحتية والضمير فيه لله ليطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراءون المسلمين و يغزون معهم ولا غرض لهم غير مساهمتهم فى الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى (والآيات) القرآنية (فى الباب) أى فيما تضمنه من المطالب (كثيرة معلومة * وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم) المراد منهم هنا أهل بيته من أزواجه وخدمه الذين كان يمونهم (من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض) أى توفى صلى الله عليه وسلم وهذا لاعراضه عن الدنيا وزهده فيها ولم يضطره مولاه سبحانه لذلك بل عرض عليه جبال مكة وبطحاءها تسير معه ذهباً أينما سار كما تقدم فى الباب قبله فاختار ذلك إعلاما بحقارة الدنيا وأنها ليست بحيث ينظر اليها صلى الله عليه وسلم تحريضاً لأمته على الزهد فيها والاعراض عما زاد على الحاجة منها ولا منافاة كما قال المصنف فى شرح مسلم بين حديث الباب وحديث أنه صلى الله عليه وسلم « كان يدخر قوت عياله سنة » لأنه كان يفعل ذلك أواخر حياته لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها فصدق أنه ادخر قوت سنة وأنهم لم يشبعوا كما ذكر لأنه لم يبق عقدهم ما ادخره لهم (متفق عليه وفى رواية) هى للبخارى فى كتاب الأطعمة والرقاق من صحيحه ، ولمسلم فى أواخر الكتاب ورواها النسائى وابن ماجه من طريق منصور بن المعتمر عن الأسود عن عائشة وأما اللفظ الذى قال المصنف إنه متفق عليه فمقتضى كلام المزى أنه انفرد به مسلم عن البخارى وعبارته

« ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها « أنها كانت تقولُ والله يابن أختى إن كُنا لَنَنْظُرُ الى الهِلَالِ

بعد ذكره من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن خالد عن الأسود عن عائشة رواه مسلم فى آخر الكتاب والترمذى فى الزهد وقال حسن صحيح وفى الشمائل والنسائى فى الأطعمة ثم أشار المزى إلى وهم جمع من المحدثين توهموا أنهما من طريق واحد وليس كذلك وكأن مراد المصنف بقوله فيما تقدم متفق عليه أى من حيث المعنى لا بخصوص المبنى (ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ) بضم الذال أى من حين (قدم المدينة) خرج ما كانوا قبل الهجرة (من طعام بر) بضم الموحدة وتشديد الراء قال فى المصباح : هو القمح الواحدة برة خرج ماعداه من باقى المأكولات (ثلاث ليال) أى بأيامها (تباعاً) بكسر المثناة الفوقية أى متتابعة بخرج المتفرقة (حتى قبض) أشار إلى استمراره على ذلك مدة إقامته بالمدينة وهى عشر سنين وزاد ابن سعد فى رواية له « وما رفع عن مائدته كسرة خبز فضلا حتى قبض » ووقع فى رواية بلفظ « ماشبع من خبز بأدم » أخرجه مسلم وعند ابن سعد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانت (١) عليه أربعة أشهر ماشبع من خبز البر » وفى حديث أبى هريرة نحو حديث الباب « ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا» أخرجه البخارى فى الأطعمة وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه (وعن عروة) بضم المهملة الأولى وسكون الثانية ابن الزبير (عن) خالته (عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول والله يابن أختى إن) بكسر الهمزة وسكون النون مخففة من الثقيلة أى إنا (كنا) واللام فى (لننظر) هى الفارقة بينها وبين إن النافية (إلى الهلال) قال فى المصباح الأكثر أنه القمر فى حالة مخصوصة ويسمى القمر لليلتين من أول الشهر هلالا وفى ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضا هلالا وما بين ذلك يسمى قمرا ، وقال القارانى وتبعه الجوهرى : الهلال لثلاث ليالى من

---

(١) كذا بالأصول ولعلها مضمنة معنى « مرت » . ع

ثم الهلالِ ثم الهلالِ ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قط ، قلت ياخالتاه فما كان يُعيشكم ؟ قالت الأسودان التمر والماء

أول الشهر ثم هو قربعد ذلك ، وقيل الهلال هو الشهر بعينه والجمع أهلة كسنان وأسنة اه . وفى كتاب إشارات المحتاج إلى لغات المنهاج لابن النحوى الهلال معروف سمى به لأن الناس يرفعون أصواتهم بالاخبار عنه. قال السهروردى فى شرح ألفاظ المصابيح وحكى صاحب المهذب خلافا فيما يخرج به عن تسميته هلالا ويسمى قمرا فقيل إذا استدار وقيل إذا بهر ضوءه اه وظاهر أن المراد هنا بالهلال هو فى أول ليلة الشهر (ثم) أتت بها لبعد مابين كل من الهلالين ولاينافيه قوله تعالى « أياما معدودات » لأن ذلك لئلا ينفروا عن الانقياد للصوم لو سمعوه بلفظ الشهر أو الثلاثين (الهلال ثم الهلال) بالجر فيهما عطفا على ماقبلهما ويجوز نصبه باضمار ثم نرى ، ويكون ثم لعطف الجمل وقولها (ثلاثة أهلة فى شهرين) يجوز أن يقرأ بالرفع مبتدأ خبره متعلق الظرف أو خبراً لمحذوف أى هى ثلاثة أهلة ، والظرف فى محل الحال. قال فى الفتح المراد بالهلال الثالث هلال الشهر وهو يرى عند انقضاء الشهر وبرؤيته يدخل أول الشهر الثالث (١) (قلت ياخالة) يجوز فيه الضم على أنه منادى مفرد والكسر والفتح على أنه مضاف لياء المتكلم حذفت منه وا كتفى بدلالة الكسرة عليها على الأول ، أوبعد ابدالها الفا واكتفى بدلالة الفتحة عليها على الأخير (فما كان يعيشكم) بضم التحتية وفى بعض نسخ البخارى مايغنيكم بسكون المعجمة بعدها نون فتحتية ساكنة (قالت : الأسودان التمر والماء) قال الصغانى أطلق الاسودان على التمر والماء والسواد للتمر دون الماء فنعتا بنعت واحد تغليبا وإذا اقترن الشيئان سميا باسم أشهرهما ، وعن أبى زيد الماء يسمى الاسود أيضا واستشهد له بشعر نظر فيه الحافظ فى الفتح قال ووصف التمر بالاسود لأنه غالب تمر المدينة وزعم صاحب المحكم وتبعه بعض المتأخرين من شراح البخارى أن تفسير الاسودين بالتمر والماء مدرج وانما أرادت الحرة والليل واستدل له بما رده عليه الحافظ فى أوائل كتاب الهبة من فتح البارى ، وقد يقع للخفة والشرف كالعمرين لابى بكر وعمر ، والقمرين للشمس والقمر

---

(١) هنا سقط من نسخ الشارح كلها جملة « وماأوقد الخ » . ع

إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينا » متفق عليه * وعن سعيد المقبرى

(إلا أنه قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار) زاد أبو هريرة فى حديثه « جزاهم الله خيرا » والاستثناء منقطع والجملة المستثناة فى محل نصب على الاستثناء كما نبه عليه فى مغنى اللبيب وزادها على حصر الجمل المعربة المحل فى سبع ، والجيران جمع جار وهو المجاور فى السكن وللجار معان أخر حكى ثعلب عن ابن الاعرابى الجار الذى يجاورك بيتا ببيت والجار الشريك فى العقار مقاسما كان أو غير مقاسم ، والجار الخفير الذى يجير غيره أى يؤمنه مما يخاف والجار المستجير أيضا وهو الذى يطلب الامان والجار الحليف والجار الناصر والجار الزوج والجار أيضا الزوجة ويقال فيها أيضا جارة ، والجارة الضرة قيل لها جارة استكراها للفظ الضرة اهمن المصباح والانصار اسم إسلامى علم بالغلبة على أولاد الاوس والخزرج كما تقدم (وكانت لهم منايح) جمع منيحة بنون وحاء مهملة اسم من المنحة بكسر الميم وهى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع لبنها كذا فى المصباح والجملة معطوفة على خبر أن و يصح أن تكون فى محل الحال باضمار قد فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها) يحتمل كون من للتبعيض ويحتمل كونها للتبيين لمقدر أى شيئا هو ألبانها) والثانى أنسب لكونها منيحة كما علم من معناها لغة (فيسقينا) يجوز ضم التحتية وفتحها مزيد ومجرد من السقى قال ابن اقبرس فى شرح الشفاء « ان قلت : كتم هذا الخبر مما يدل عليه صحيح الاثر لما فيه من إيهام الشكوى وافشاء مايستحب ستره من العبادات(١) « قلت » هو من مثلها على طريق الارشاد اذلا يليق كتم أفعال المشرع لأنه علم الهدى وإمام الاقتداء اه (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الهبة ومسلم فى آخر الكتاب * (وعن سعيد) بن أبى سعيد كيسان (المقبرى) قال السيوطى فى لب اللباب فى الانساب بفتح الميم وسكون القاف وضم الموحدة وكأنه اقتصر عليه لكونه أفصح وإلا

---

(١) قوله (العبادات) لعله (العادات) . ع

عن أبي هريرة رضى الله عنه « أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مَصلية فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخارى « مصليـة » بفتح الميم أى مشوية * وعن أنس رضى الله عنه قال « لم يأكل رسول الله صلى الله عليه وسـلم على خوان حتى مات ، وما أكل خبزاً مرققا

فقد ذكر غير واحد منهم المصنف فى شرح مسلم والشيخ محمـد طاهر فى المغنى جواز الفتح للموحدة والكسر نسبة الى مواضع القبور قال الحافظ ابن حجر فى التقريب يكنى أبا سعيد مدنى ثقة من كبار التابعين تغير قبل موته بأربع سـنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة روى عنه الستـة (عن أبى هريرة رضى الله عنه) أى عن قصته (أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل) ورأى أنه من الترفهات وشأن المحب أن يتبع آثار محبوبه ويأتم بها فلذا امتنع (وقال) موضحا لسبب إبائه (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا) أى توفى (ولم يشبع من خبز الشعير) لاينافى ماسياتى فى حديث أبى الهيثم «فلما أن شبعوا» لأن الشبع ثم لم يكن من خبز الشعير بل كان من التمر واللحم أولأن المنفى الشبع التام الذى لايبقى معه مساغ لتناول غيره كما هو شأن الشره المهتم ببطنه والمثبت أصل الشبع أو المنفى الشبع لحظ نفسه والمثبت أنه يشبع لحظ غيره كأن ينزل به ضيف فيشبع لأكله مؤانسة له أو ينزل ضيفا بغـيره فيشبع ليقر عين رب المنزل بذلك ويكرمه به لالحاجته صلى الله عليه وسلم الى الطعام (رواه البخارى) فى الأطعمة من صحيحه (مصلية بفتح الميم) اسم مفعول من صليت اللحم أصليه أى شويته) أى مشوية . وعن أنس) بن مالك (رضى الله عنه قال لم يأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة ويجوز ضمها وهى المائدة مالم يكن عليها طعام وهو معرب يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليـه احترازا من خفض رءوسهم فهى بدعة لـكنها جائزة (حتى مات وما أكل خبزا مرققا) أى محسنا ملينا كخبز الحوارى (١) وشبهه والترقيق التليين وقد يراد بالمرقق

---

(١) بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء لباب الدقيق ويسمى السميد والسميذ وهو بالذال أفصح . ع

حتى مات » رواه البخارى (وفى رواية له) ولا رأى شاة سميطا بعينه قط »
وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال « لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم
وما يجد من الدقل مايملأ به بطنه »

الموسع قاله القاضى عياض وجزم به ابن الأثير فقال وهو السميد وما يصنع به من
كعك ونحوه كذا فى أشرف الوسائل والذى فى النهاية المرقق هو الارغفة الواسعة
الرقيقة يقال رقيق ورقاق كطويل وطوال اه وقال ابن الجوزى هو الخفيف كأنه
أخذه من الرقاق وهى الخشبة التى يرقق بها ، وهو قريب من كلام النهاية وظاهر
قوله (حتى مات) أنه لم يأكل ذلك قبل البعثة ولا بعدها سواء خبزله أو لغيره ،
ويؤيده رواية البخارى عن أنس الآتية بعده (رواه البخارى) فى الأطعمة
ورواه مسلم أيضا كما فى الاطراف (وفى رواية له) أى للبخارى فى الرقاق من
صحيحه عن أنس قال « فما أعلم النبى صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى
لحق بالله » (ولا رأى شاة سميطا بعينه قط) السميط هو ما أزيل
شعره بماء سخن وشوى بجلده وإنما يفعل ذلك بصغير السن وهو من فعل
المترفهين قال ابن الأثير ولعله يعنى أنه لم ير السميط فى مأكوله إذ لو كان غير
معهود لم يكن فى ذلك تمدح ، وقط بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة ظرف لما
مضى من الزمان أى لم يره فى شىء من أزمنته صلى الله عليه وسلم » (وعن
النعمان) بضم النون وسكون المهملة (ابن بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة
وسكون التحتية بعدها راء تقدمت ترجمته وهو صحابى ابن صحابى (رضى الله
عنهما قال لقد) هذه اللام مثلها فى قوله تعالى « ولقد علمتم » قال أبو حيان هى
لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد ويجوز أن يكون قبلها قسم مقدر وألا يكون
وقال ابن الحاجب فى الأمالى لام الابتداء يجب أن يكون معها المبتدأ وقال
الزمخشرى فى « ولسوف يعطيك ربك » لام الابتداء لا تدخل إلا على مبتدأ
وخبر وقال فى « لأقسم » لام ابتداء دخلت على مبتدأ محذوف ولم يقدرها لام قسم
لأنها عنده ملازمة للنون وكذا زعم فى « ولسوف » أن التقدير ولانت سوف
وقال ابن الحاجب هى لام التأكيد اه (رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم) الظاهر
أن الرؤية فيه بصرية وجملة (وما يجد من الدقل مايملأ به بطنه) فى محل الحال

رواه مسلم « الدقل تمرردىء » وعن سهل بن سعد رضى الله عنـه قال : « مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ، فقيل له هل كان لـكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل ؟ قال « مارأى رسول الله صلى الله عليـه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله تعالى

وقيل إنها علمية والجملة مفعول ثان دخلتها الواو الحاقاً لها بخبر كان على رأى الاخفش وإضافة النبي الى المخاطبين ليحثهم على الاقتداء به والاعراض عن الدنيا ما أمكن فلذا لم يقل نبي ونبيـكم ، وقتل خالد مالك بن نويرة لما قال له كان صاحبـكم يقول كذا فقال صاحبنا وليس بصاحبك ! ! ! فقتله ليس لمجرد هذه اللفظة بل لمابلغه من ارتداده وتأكد عنده ذلك بما أباح له به الاقدام على قتله (رواه مسلم) فى آخر صحيحه ورواه الترمذى فى الزهد من جامعه وقال صحيح وفى الشمائل ورواه أبو عوانة وغيره وهو طرف حديث أوله « ألستم فى طعام وشراب ما شئتم ؟ « لقد رأيت » الخ (الدقل) بفتح الدال المهملة والقاف (تمر ردىء) وفى النهاية هو ردىء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لايجتمع ويكون منثوراً اه . وفى المصباح الدقل أردأ التمر وقد تقدم الحديث مع الـكلام عليه فى الباب قبله (وعن سهل بن سعد) الساعدى (رضى الله عنه قال مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أى الخالص من النخالة ونفى رؤيته مبالغة فى نفى أكله (من حين ابتعثه الله) أى نبأه وبعثه والتاء فيه للمبالغة فى تحمل اعباء الرسالة لثقلها (حتى قبضه الله) أى توفاه سبحانه ونقله إلى دار كرامته (فقيل له هل كان لـكم فى عهد) أى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل) جمع منخل بضم أوله وثالثه المعجم وسكون النون بينهما وهو أحد ماخرج عن قياس بناء اسم الآلة لان قياسه الـكسر وجمعه باعتبار جمع المخاطبين (قال مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين) بالفتح على الافصح لاضافته لجملة (ابتعثه الله تعالى) وهى مبنية الصدر وقال بعض المحققين أظنه احترز بهذا عما قبل البعثة لـكونه صلى الله عليه وسلم سافر تلك المدة إلى الشام تاجرا وكانت الشام إذ ذاك مع الروم والخبز النقى عندهم كثير

حتى قبضه الله ، فقيـل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال « كنا نطحنه وننفخه فيطير ماطار وما بقى ثريّناه » رواه البخارى . قوله (النقى) بفتح النون وكسر القاف وتشديد اليـاء وهو الخبز الحوّارى وهو الدرمك « قوله (ثريّناه) هو بثاء مثلثة ثم راء مشـددة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أى بللناه وعجناه » * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذات يوم أو ليلة

وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه لاريب أنها كانت عندهم (حتى قبضه) بفتح الموحدة أى توفاه (الله اليه فقيل له) لم أقف على تعيين القائل (كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول) بالنصب على الحال ووجه التعجب من ذلك كثرة نخالته فربما نشب فى الحلق (قال كنا نطحنه وننفخه) أى المطحون الدال عليه نطحنه (فيطير ماطار) من نخالته (وما بقى) بكسر القاف أى فضل من النخالة فى الدقيق بعد نفخه (ثريناه رواه البخارى) فى الأطعمة والرقاق من صحيحه والنسائى (قوله النقى هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء) ولم يحتج إلى تقييد بالتحتية المأتى به للاحتراز عن الفوقية لأن الصورة الخطية هنا دالة على التعيين (وهو الخبز الحوارى) بضم المهملة وتشديد الواو وبالراء ثم ألف من الحور البياض فهو الخبز الأبيض كما قال (وهو الدرمك) بفتح الدال وسكون المهملة قال فى الصحاح هو دقيق الحوارى اه وبه يعلم أن فى كلام المصنف مضافا مقدراً أى خبز الدرمك (قوله ثريناه هو بثاء مثلثة ثم راء مشددة) مفتوحتين (ثم ياء مثناة من تحت) ساكنة (ثم نون) الاوضح ثم نا بالنون لان ماذكره يوهم أنها نون النسوة (أى بللناه) بفتح أوليه الموحدة فاللام المخففة كما فى المصباح قال بللته بالماء بلا فابتل ويجمع البل على بلال مثل سهم وسهام والاسم البلل بفتحتين وقيل البلال ما يبل به الحلق من ماء ولبن وبه سمى الرجل اه (وعجناه) أى فيلين مايبقى من نخالته فلاينشب فى الحلق * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم) أى فى الحقيقة التى هى اليوم وأتى بذات دفعا لتوهم أن المراد به مطلق الزمان (أو) شك من الراوى (ليلة) بالاضافة

فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا الجوع يارسول الله ، قال : وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما

والمضاف لفظ ذات (فاذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما) أى ففاجأ خروجه رؤيتهما وهو مبتدأ والظرف بعده خبر (فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) أى التى لم تجر العادة بالخروج فيها لأنها ليست وقت صلاة ولا ما يجتمع له من كسوف أو نحوه من الحوادث (قالا الجوع) يجوز أن يعرب مبتدأ خبره جملة محذوفة دل عليها السؤال أى أخرجنا ويجوز إعرابه فاعلا لا خرجنا مقدرا وأيهما أولى ؟ يبنى على الخلاف فى أى المرفوعات أصل ، المبتدأ أو الفاعل أو هما فى مرتبة واحدة ، فعلى الأول يعرب مبتدأ وعلى الثانى فاعلا وعلى الثالث يخير (قال) صلى الله عليه وسلم (وأنا) الواو فيه للاستئناف ثم فى رواية صاحب الشمائل وغيره الغابة (١) قال أبو بكر خرجت لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر فى وجهه والسلام عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ما جاء بك ياعمر ؟ قال الجوع يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجدت بعض ذلك ، فيحتمل أن الصديق كان قال كلا من المقالتين ، وانما اكتفى بلقى المصطفى صلى الله عليه وسلم والنظر اليه والسلام عليه لأن بذلك يحصل كمال القوى فيذهل عن ألم الجوع كما قال صلى الله عليه وسلم فى وصاله فى صومه « إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » على أحد الأقوال فيه (والذى نفسى بيده) أى بقدرته فيه ندب القسم لتأكيد الأمر عند السامع والحلف من غير استحلاف (لأخرجنى الذى أخرجكما) وعند الترمذى فى شمائله وأنا وجدت بعض ذلك أى الجوع قال فى أشرف الوسائل : فيحتمل أنه جمع بين المقالتين وفى عقد التقى الفاسى عن جده قال سمعت الامام محمدا المرجانى يقول : قوله الذى أخرجكما لفظ مبهم ظاهره الجوع والمراد والله أعلم هو الله إذ هو الذى أخرجه حقيقة فعبر بلفظ « الذى » الصادق على السبب وعلى المسبب ليشاركهم فى ظاهر الحال دفعا للوحشة الواقعة فى ذكر الجوع « قلت » وهذا من معالى الاخلاق وكريم الشيم

---

(١) قوله (الغابة) كذا ولعله ، كما فى أسد الغابة) . ع

قوما فقاما معه ، فأتى رجلا من الأنصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحباً وأهلا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان ؟

وهو من معنى قوله تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » اه كلامه «قلت » وهذا يسميه البديعيون بالتوجيه ومنه قول إمامنا الشافعى رضى الله عنه فى خياط أعور :

خاط لى عمرو قباء ليب عينيه سواء

فانه محتمل للدعاء له والدعاء عليه (قوموا فقاموا (١) أى على الفور كما تؤذن الفاء وانصرفوا (معه فأتى رجلا من الانصار) يأتى تعيينه فى الاصل بما فيه (فاذا هو ليس فى بيته) أى ففاجأ مجيئهم فقدانه من البيت ، وهو مبتدأ والجملة بعده فى محل الخبر (فلما رأته) أى أبصرته (المرأه) فيؤخذ منه جواز نظر الاجانب اليه صلى الله عليه وسلم كما يجوز نظره للاجانب منهن . وأنه معهن كالمحارم فى جواز الخلوة والنظر ويحتمل أن تكون الرؤية علمية والمفعول الثانى محذوف لدلالة المقام عليه أى مقبلا والمرأة بوزن التمرة ويجوز نقل حركة هذه الهمزة الى الراء فتحذف وتبقى مرة بوزن سنة ويقال فيها امرأة كما يقال مرأة وربما قيل امرأ بغير هاء اعتماداً على قرينة تدل على المسمى ، قال الكسائى : سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول أنا امرأ أريد الخير ، وجمع امرأة نساء ونسوة من غير لفظها كذا فى المصباح ولم أقف على اسمها (قالت مرحبا) أى وجدت منزلا رحبا أى واسعا فانزل (وأهلا) أى وصادفت أهلا فأنس ، كذا فى هذه الرواية وفى رواية « أنهم كرروا السلام ولم يجبهم حتى هم صلى الله عليه وسلم بالانصراف ثم أجابت واعتذرت بأنها أرادت كثرة دعائه صلى الله عليه وسلم وتكريره لها ولصاحب منزلها» فلعلها قالت ماذكر قولا نفسيا ثم أخبرت عنه والله أعلم (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان) قال المصنف فى التهذيب قال ابن السراج كناية عن اسم يسمى به المحدث عنه خاص غالب اه وتقدم هذا المعنى بزيادة فى باب الصبر وزاد فى تفسيرى البيضاوى

---

(١) قوله (فقاموا) كذا ببعض نسخ المتن المجردة والممزوجة وفى بعضها قوما فقاما . ع

قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر

والكشاف قولها كما أن هذا كناية عن الاجناس (قالت ذهب يستعذب لنا الماء) يؤخذ منه أن استعذاب الماء لا ينافى شأن الصحابة من الاعراض عن زهرات الدنيا ومستلذاتها (اذ جاء الانصارى) يحتمل أن تكون للمفاجأة بناء على مجيئها لذلك كما قال به جمع وان نوزعوا فيه بما بينته أول رسالتى « انباه النائم من سنة نومه ببعض فوائد قوله تعالى واذا استسقى موسى لقومه » (فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه) أى وقع النظر اليهم عقب مجيئه وهذا يحتمل أن يكون اتفاقا ويحتمل أن يكون لما حل عليه من الاشراق والتجلى الربانى ولم يدر سببه من نفسه فنظر ليرى سببه من الخارج فرأى مشكاة أنوار المصطفى المختار صلى الله عليه وسلم ومعه صاحباه رضوان الله عليهما (ثم قال) أى بعد أن رحب وأظهر كمال الفرح الكامن فيه الكائن عنده بحلول المصطفى فى منزله وأتى بما يدل على ذلك (الحمد لله) أى هذه نعمة يجب شكر المنعم بها شرعا ليدوم نفعها وقوله (ما أحد اليوم أكرم اضيافا منى) جملة مستأنفة ليبين الحامل له على الحمد والداعى اليه وفيه دليل كمال فضيلته وبلاغته وعظم معرفته لانه أتى بكلام بديع مختصر فى هذا الموطن ، وما حجازية وأكرم خبره واليوم ظرف للنفى المدلول عليه بما أى انتفى وجدان أحد اليوم أكرم من الكرم وهو الجود والخيار ومنه حديث « إياك وكرائم أموالهم » وأضيافا منصوب على التمييز ومنى متعلق بأكرم (فانطلق) أى من محل رؤيته من حائطه عقب قول ما ذكر (فجاءهم بعذق) وجاء عند الترمذى بدله بقنو وهو بكسر القاف وسكون النون ، العذق الغصن من النخل (فيه بسر) هو المتلون من تمر النخل قال المصنف فى التهذيب قال الجوهرى البسر أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر ، الواحدة بسرة والجمع بسرات وبسر وأبسر النخل صار ما عليه بسرا اه (وتمر) بفتح الفوقية وسكون الميم قال فى المصباح : هو من تمر النخل كالزبيب من العنب وهو اليابس باجماع أهل اللغة لأنه يترك على النخل بعد إرطابه حتى يجف أو يقارب ثم يقطع ويترك

ورطب ، فقال : كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا وروُوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما « والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة ،

فى الشمس حتى ييبس الواحدة تمرة والجمع تمور وتمران بالضم (١) والتمر يذكر ويؤنث فى لغة فيقال هو التمر وهى التمر اه (ورطب) بضم ففتح قال فى المصباح : الرطب ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يجف والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب (٢) (فقال كلوا) زاد الترمذى فى الشمائل فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أفلا تنقيت فقال يا رسول الله انى أردت أن تختاروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا » (وأخذ المدية) بسكون الدال المهملة (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب) أصله احذر تلاقى نفسك والحلوب فحذف العامل وجوبا وفاعله ثم المضاف الأول وأنيب عنه الثانى فانتصب ، ثم الثانى وأنيب عنه الثالث فانتصب وانفصل لتعذر اتصاله قاله ابن هشام فى التوضيح فى نحوه وإنما نهى عن ذبحها شفقة على أهله بانتفاعهم بلبنها مع حصول المقصود بغيرها فهو نهى إرشاد لا كراهة فى مخالفته لزيادة إكرام الضيف وإن أسقط حقه (فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن العذق) أتى بمن التبعيضية اشعارا بالاعراض عن الدنيا مع تمام الداعية ومزيد الحاجة (وشربوا) أى من الماء العذب (فلما أن شبعوا ورووا) بضم الواو التى هى عين الفعل والأصل رويوا بوزن علموا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده) أى قبض روحى بقدرته (لتسئلن) بضم اللام والفعل مبنى للمجهول ونائب الفاعل واو الجماعة حذف لالتقاء الساكنين (عن هذا النعيم يوم القيامة) ثم قال مبيناً وجه السؤال المذكور على وجه الاستئناف

---

(١) أى ضم التاء وآخر الثانى نون لا تاء كما فى النسخ (٢) كذا وعبارة المصباح « قبل أن يتتمر الواحدة رطبة والجمع أرطاب » اه وأما قول المصباح « والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب » ففى موضع آخر وعبارته « والرطبة القضبة خاصة والجمع رطاب مثل كلبة وكلاب » اه . ع

أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » رواه مسلم (قولها) يستعذب أى يطلب الماء العذب وهو الطيبُ ، و (العذقُ) بكسر العين و إسكان الذال المعجمة وهو الكباسة وهى الغصنُ و (المدية) بضم الميم

البيانى (أخرجكم من بيوتكم) بضم الموحدة وتكسر اتباعاً لحركة الياء (الجوع) ونسبة الاخراج إليه مجاز عقلى من الاسناد إلى السبب وإلا فالمخرج لهم من منازلهم هو الله تعالى (ثم لم ترجعوا) بالبناء للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول إن لم تصد عنه رواية (حتى أصابكم هذا النعيم) وهو الطعام والشراب (رواه مسلم) فى أواخر صحيحه ورواه الترمذى فى جامعه وشمائله وقال فى جامعه فى باب الاستئذان رواه غير واحد عن شيبان وشيبان صاحب كتاب وهو صحيح الحديث وقال فى الزهد منه وقد رواه من طريق شيبان أيضا : حسن غريب ورواه فيه من طريق أخرى ثم ، وشيبان ثقة عندهم صاحب كتاب وهو صحيح الحديث ورواه النسائى فى الوليمة وابن ماجه فى الأدب (وقولها يستعذب أى يطلب الماء العذب) فالسين فيه للطلب وهو أحد معانى استفعل كما ذكرته فى رسالتى « إنباه النائم من سنة نومه » وفى الصحاح استعذب لنا الماء استقى لنا ماء عذبا واستعذب الماء سقاه عذبا اهـ(١) وبه يعلم أن الفرق بينه مع لنا ودونها وانما ذهب لطلب الماء العذب لأن أكثر مياه المدينة حينئذ كانت مالحة (وهو) أى الماء العذب (الطيب) أى ما يستطاب من الماء وليس المراد منه معنى العذب لغة وهو مايسوغ شربه ولو مع بعض الكزارة (٢) لأن ذلك ثابت لجميع مياه المدينة (والعذق بكسر العين) المهملة (واسكان الذال المعجمة وهو الكباسة) قال فى المصباح هى بالكسر عنقود النخل والجمع كبائس وهو معنى قوله (وهى) أى الكباسة (الغصن) أى من أغصان النخل لا مطلقا كما هو ظاهر واكتفى عن تقييد ذلك بدلالة السياق (والمدية بضم الميم) بوزن غرفة وجمعها غرف ومقتضى كلام المصباح أنها الفصحى

---

(١) عبارة الصحاح : استعذب القوم ماءهم إذا استقوه عذبا ، واستعذبه أى عده عذبا ويستعذب لفلان من بئر كذا أى يستقى له اهـ (٢) قوله الكزارة كذا ولعلها فى الأصل القذارة فحرفت . ع

وكسرها هى السكين و (الحلوبُ) ذات اللبن و (السؤال عن هـذا النعيم) سؤال تعديد النعم لاسؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم ، وهـذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهانِ كذا جاء مبينا فى رواية الترمذى

(وكسرها) قال فى المصباح وبنو قشير تقول مدية بكسر الميم والجمع مدى كسدرة وسدر (هى السكين) بكسر السين المهملة وتشديد الكاف ونون أصلية قيل بوزن فعيل وقيل زائدة فيكون وزنه فعلين مثل غسلين ، الشفرة سمى بذلك لأنه يسكن حركة المذبوح ، وحكى ابن الأنبارى فيه التذكير والتأنيث قال السجستانى إن أبا زيد الانصارى والاصمعى وغيرهما ممن أدركه أنكروا التأنيث وقالوا هو مذكر وربما أنث فى الشعر على معنى الشفرة وأنشد الفراء :

* بسكين موثقة النصاب * ولذا قال الزجاج السكين مذكر وربما أنث بالهاء لكنه شاذ غير مختار (والحلوب) بفتح الحاء المهملة وضم اللام (ذات اللبن) قال فى المصباح فان جعلتها اسما أتيت بالهاء فقلت هذه حلوبة فلان مثل الركوب والركوبة (والسؤال عن هـذا النعيم) المؤكد بالقسم واللام وذلك لاستبعادهم له فانه من حاجة جافة لا من شهوة وحظ نفس (سؤال تعديد النعم) والامتنان بها وإظهار الكرامة باساغتها زاد فى الشمائل ظل بارد ورطب وماء بارد (لاسؤال توبيخ) وفى المصباح وبخته توبيخاً لمته على سوء فعله وعنفته وعتبت عليه كلها بمعنى وقال الفارابى : عيرته اه وقال الجوهرى : التوبيخ التهديد أى لعدم القيام بشكرها (وتعذيب) أى يتسبب عن كفرانها وعدم شكرها لأن ذلك غير كائن للصاحبين فيما تناولاه حينئذ قال ابن القيم كل أحد يسأل عن تنعمه الذى كان فيه هل ناله من حل أولا ، وإذا خلص من ذلك يسأل هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أولا ، والأول سؤال عن سبب استخراجه والثانى عن محل صرفه اه وانما ذكر المصطفى ﷺ ذلك إرشاداً للآكلين والشاربين فى حفظ أنفسهم فى الشبع عن الغفلة باشتغال أحدهم بحظ نفسه ونعمتها عن تذكر الآخرة (وهذا الانصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم) بهاء مفتوحة وسكون التحتية وفتح المثلثة كنية مالك (ابن التيهان) بفتح الفوقية وتشديد التحتية الانصارى الاوسى أحد النقباء (كذا جاء مبينا فى رواية الترمذى) من حديث أبى هريرة نفسه رواه كذلك فى

وغيره . وعن خالد عمر العدوى خطبنا عتبة بن غزوان

جامعه وفى الشمائل ووردفى رواية أخرجها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تخريج أحاديث الاذكار من حديث ابن عباس أنهم انطلقوا إلى دار أبى أيوب الانصارى وساق القصة بنحوه وفى آخره « إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا بسم الله وبركة الله واذا شبعتم فقولوا الحمدلله الذى أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف هذا» وذكر بقية الحديث ، وحسن الحافظ الحديث ، وقال وفيه غرابة من وجهين ذكر أبى أيوب والمشهور فى هذا قصة أبى الهيثم والثانى ما فى آخره من التسمية والحمد اه وفى أشرف الوسائل فى رواية عند الطبرانى وابن حبان أنهم جاؤا الى أبى أيوب ، ولا مانع من أنهما قصتان اتفقتا لهم مع كل واحد منهما ورواية مسلم رجلا من الانصار محتملة لهما اه وكان المصنف جزم بكونه أبا الهيثم لكون رواية الترمذى عن الصحابى الذى رواه عنه مسلم والله أعلم (وغيره) كابن ماجه فعنده أيضا اذهبوا الى بيت أبى الهيثم بن التيهان وكابن أبى عاصم فى كتاب الاطعمة والحاكم كما أشار اليه الحافظ فى تخريجه لاحاديث الاذكار فى أماليه عليها (وعن خالد بن عمر) بضم العين وفتح الميم والراء كذا وقفت عليه فى نسخ متعددة من الرياض وهو من تحريف الكتاب انما هو «عمير» بالتصغير (العدوى) بفتح المهملتين وهى نسبة الى عدى بفتح فكسر والمنسوب اليه كذلك متعدد فى المهاجرين وفى الانصار وفى غيرهم كما فى لب اللباب للاصفهانى وخالد هذا بصرى قال الحافظ العسقلانى فى التقريب مقبول من كبار التابعين يقال إنه مخضرم وهم من ذكره فى الصحابة روى عنه مسلم والترمذى فى الشمائل والنسائى وابن ماجه اه « قلت » قضيته أن الترمذى لم يروعنه فى الجامع لكن فى الاطراف للحافظ المزى أن حديث الباب رواه الترمذى فى صفة جهنم من جامعه وفى شمائله وأشار بقوله وهم الخ الى الحافظ ابن عبد البر فانه ذكره فى الاستيعاب (قال خطبنا عتبة) بضم المهملة وسكون الفوقية بعدها موحدة فهاء تأنيث (ابن غزوان) بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى ابن وهب بن نسيب بن زيد ابن مالك بن الحارث بن عوف بن مازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان أبو عبد الله ويقال أبو غزوان قال الحاكم قال الواقدى كان عتبة طوالا

وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد

جميلا قديم الاسلام هاجر الى الحبشة وكان من الرماة المذكورين روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أحاديث هذا أشهرها وليس له فى الكتب الستة سواه وروى له الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لقريش « هل فيكم أحد غيركم قالوا ابن أختنا عتبة بن غزوان قال النبي صلى الله عليه وسلم ابن أخت القوم منهم » ثم قال غريب جدا قال فى تلخيص المستدرك : إسناده مظلم قال الشيخ أبو العباس القرطبي : عتبة مازنى حليف لبنى نوفل قديم الاسلام هاجر وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا والمشاهد كلها أمره عمر على جيش فتوجه الى العراق وفتح الايلة والبصرة بموضع يقال له معدن بنى سليم قاله ابن سعد ويقال انه مات بالربذة قاله ابن المدائن كذا فى الديباجة للدميرى (وكان أميرا على البصرة) بتثليث الموحدة كما حكاه الازهرى وأفصحهن الفتح وهو المشهور ويقال لها البصيرة بالتصغير والمؤتفكة لأنها ائتفكت بأهلها فى أول الدهر أى انقلبت قال صاحب المطالع قال أبو سعيد السمعانى يقال للبصرة قبة الاسلام وخزانة العرب بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة ولم يعبد الصنم قط على أرضها اه وهذا (١) يصح كونها من جملة مقول القول والمحكى بالقول مجموع الجمل ويحتمل كونها فى محل الحال من فاعل خطب باضمار قد (فحمد الله) أى أثنى عليه بالاوصاف الازلية الثبوتية (وأثنى عليه) بسلب مالا يليق به سبحانه عنه ويصح كونهما بمعنى وعطفهما مع كونهما كذلك لاختلافهما لفظا إيماء إلى أنه أطنب فى الثناء على مولاه سبحانه كما يدل عليه قوله (ثم قال) والاول أولى لأن التأسيس خير من التأكيد والفاء فى قوله فخطب كالفاء فى نحو توضأ زيد فغسل وجهه الخ للترتيب الذكرى لا للترتيب فى الزمان فان غسل الاعضاء المذكورة سابق على الوضوء ويصح كونها للترتيب الزمانى بأن يراد أراد الخطبة وأراد الوضوء والارادة سابقة على فعله والله أعلم (أما بعد) أتى بها اقتداء به صلى الله عليه وسلم فقد كان يأتى بها فى خطبه وذكر الحافظ فى الفتح

---

(١) لعلها « وهذه » . ع

فانَّ الدنْيا قد آذنت بصُرْم وولت حـذّاء . ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وإنـكم منتقلون منهـا إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير مابحضرتـكم فانه قد ذكر لنا أن الحجر

أن الرهاوى أخرجها من أربعين طريقا عنه صلى الله عليه وسلم (فان الدنيا قد آذنت بصرم) لتحول أحوالها الدال على حدوثها وكل ما ثبت حـدوثه وجب قبوله للعدم قال الشاعر :

وان افتقادى واحداً بعد واحد دليـل على ألا يدوم خليـل

(وولت حذاء) أى منقطعة ومنه قيل للقطاة حذاء أى منقطعة الذنب قصيرته ويقال حمار أحذ ، إذا كان قصير الذنب حكاه أبو عبيدة وهذا مثل فكأنه قال إن الدنيا قد انقطعت مسرعة (ولم يبق منها إلا صبابة) لأنه صلى الله عليـه وسلم قال« بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه الوسطى والمسبحة(كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون عنها) إذ هى دار ارتحال وانتقال (إلى دار لازوال لها) ولا ارتحال عنها (فانتقلوا) أى من الدنيا (بخير ما بحضرتـكم) أى بكسب صالح الأعمال وادخار الحسنات عند المولى سبحانه جعل الخير المتمكن منه فى الحياة كالحاضر المحتاج إليه فى المال فصاحب الحزم يدخر منه حاجته لينتفع به عند احتياجه إليه وهذا كما قال ابن عمر رضى الله عنهما« وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» وبين الداعى لاستعداد الزاد وادخاره ليوم المعاد بما ورد من الترهيب والترغيب فقال على سبيل الاستئناف البيانى (فانه قد ذكر لنا) ببناء ذكر للمجهول وحذف الفاعل للعلم به أنه المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن الصحابى الذى لم يخالط كتب أهل الكتاب لا سبيل له إلى معرفة ذلك إلا من قبله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر علماء الأثر أن من الموقوف لفظا المرفوع حكما قول الصحابى أمرنا بكذا ونهينا عن كذا بالبناء للمجهول فيهما وجوز فى الديباجة أن ذلك ذكر له عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه هو منه صلى الله عليه وسلم وسكت عن رفعه إما نسيانا أو لأمر اقتضاه ومراده الرفع لفظا لما ذكرناه قال ويحتمل أن يكون سمعه منه صلى الله عليه وسلم وسكت عن رفعه للعلم به اه (ان الحجر) ال فيه للجنس والحجر معروف قال ابن النحوى فى لغات المنهاج

يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعراً والله لتملأن أفعجبتم

جمعه فى أدنى العدد أحجار وفى الكثرة حجار والحجارة نادر وهو كقولنا حمل وحمالة وذكر وذكارة كذا قال ابن فارس والجوهرى ورد عليهما القرطبي بأن فى القرآن « فهى كالحجارة ، وان من الحجارة ، كونوا حجارة ، ترميهم بحجارة ، وأمطرنا عليهم حجارة » فكيف يكون نادرا إلا ان يريد أنه نادر فى القياس كثير فى الاستعمال فيصح اه وذلك لأن ما كان كذلك وعكسه يقع فى الفصيح بخلاف ما خالفهما معا فمردود (يلقى من) ابتدائية (شفير جهنم) أى حرفها وشفير كل شيء حرفه أيضا كالبئر والنهر كذا فى المصباح وفى الديباجة خرفها الأعلى وحرف كل شيء أعلاه وشفيره ومنه شفير العين وجهنم قيل اسم أعجمى وقيل عربى مأخوذ من قولهم بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر ، وعلى كل فهى ممنوعة الصرف للعجمة أو التأنيث المعنوى مع العلمية وهو اسم لنار الآخرة نسأل الله العافية منها ومن كل بلاء (فيهوي) بكسر الواو أى ينزل (فيها سبعين) منصوب على الظرفية الزمانية أى فى قدر سبعين (عاما لا يدرك) بالبناء للفاعل أى لا يصل والاسناد فيه مجازى والحقيق لا يوصله الله (لها قعرا) بفتح القاف وسكون العين وهو كما فى المصباح أسفل الشيء وجمعه قعور اه (والله لتملأن) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل سبحانه أكد بالقسم وباللام دفعا لما قد يقصر العقل عن إدراكه من ملء مالا يقطع مدى الوصول إلى قعره سبعين عاما فما بالك بعرضه وكمال سعته أى واذا كانت كذلك وتمتلىء عن آخرها فاحذروا من مخالفته سبحانه لئلا تو بقكم المخالفة وتوقعكم فيها المعصية غفر الله لنا ذنوبنا وستر عيوبنا بمنه وكرمه ولما كان ماذكره أمرا عظيما جدا قال على وجه التقرير (أفعجبتم) أى من هذا الامر الدال على عظم قدرة الله سبحانه وكمال جلاله وقوة انتقامه وتقدم أن فى ذلك قولين أحدهما أن التقدير أسمعتم فعجبتم فالفاء عاطفة على مقدر بعد الالف والثانى أن ألف الاستفهام من جملة المعطوف وقدمت لصدارتها لتضمنها الاستفهام ولما حصل عند الحاضرين من مزيد الرهبة وعظيم الخوف بما سمعوه حتى كادوا أن يظنوا عموم العذاب لجميعهم أراد رفع ذلك عنهم وإدخالهم

ولقد ذكر لنا أن مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرةُ أربعين عاماً ، وليأتين عليها يوم وهو كَظِيظٌ من الزحام ولقد رأيتنى سابع سبعةٍ

فى ميدان الرجاء اعلاما بسعة رحمة الله تعالى وكمال فضله فأكد ذلك بالقسم المقدر الدال عليه اللام فى قوله (ولقد ذكر لنا أن مابين المصراعين) بكسر الميم تثنية مصراع ، ومصراع الباب ما بين عضادتيه وهو ما يسده الغلق كذا فى المفهم للقرطبي وفى المصباح المصراع من الباب الشطر وهما مصراعان (من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما) برفع مسيرة خبر إن وإذا كان هذا سعة الباب وأبوابها ثمانية وبين كل بابين خمسمائة عام كما تقدم فى حديث « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » فما بالك بسعة باطنها ويكفيك فى ذلك قوله تعالى «وجنة عرضها السموات والارض» والعادة جارية أن الطول أزيد من العرض فسبحان المنعم المتفضل (وليأتين عليها) أى الجنة (يوم) هو وقت دخولها (وهو) أى المصراع أو محله من الباب (كظيظ من الزحام) وذلك يدل على كثرة الداخلين بعموم الرحمة ومزيد الفضل ففى الحديث ايماء الى أن المكلف ينبغى له أن يكون عنده حال الصحة خوف من مولاه سبحانه ورجاء لفضله وإحسانه بقبول مايعمله من صالح العمل والزحام بكسر الزاى مصدر زاحمه أى دافعه (ولقد رأيتنى) قال فى أشرف الوسائل هى بصرية وقوله (سابع سبعة) حال أى واحدا من سبعة قال لكن قضية قوله يعنى فى رواية الترمذى «فقسمتها بينى وبين سبعة» أنه ثامن لكن قوله أولئك السبعة يدل للاول وأن المراد بقوله سبعة أى بقية سبعة اه ولا يشكل على كونها بصرية اتحاد ضمير فاعلها ومفعولها وذلك من خصائص أفعال القلوب وعبارة الكافية لابن الحاجب ومنها أى خصائص أفعال القلوب انه يجوز أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين لشىء واحد مثل علمتنى منطلقا قال شراحها والعبارة للمحقق الجامى ولايجوز ذلك فى سائر الافعال فلايقال ضربتنى ولا شتمتنى بل يقال ضربت نفسى وذلك لان أصل الفاعل أن يكون مؤثرا والمفعول به متأثرا وأصل المتؤثر أن يغاير المؤثر ، فان اتحدا معنى كره اتحادهما لفظا فقصد مع اتحادهما معنى تغايرهما لفظا بقدر الامكان فمن ثم قالوا ضربت نفسى ولم يقولوا ضربتنى فان الفاعل والمفعول فيه ليسا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعامٌ إلا ورقُ الشجر حتى قَرِحت أشداقُنا فالتقطْت بردةً فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتّزرت بنصفها واتّزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار ،

بمتغايرين بقدر الامكان ، لاتفاقهما من حيث إن (١) كل واحد منهما ضميرا متصلا بخلاف ضربت نفسي فان النفس باضافتها الى ضمير المتكلم صارت كأنها غيره لغلبة مغايرة المضاف اليه فصار الفاعل والمفعول فيه متغايرين بقدر الامكان وأما أفعال القلوب فان المفعول به ليس المفعول الاول فى الحقيقة بل مضمون الجملة فجاز اتفاقهما لفظا لانهما ليسا فى الحقيقة فاعلا ومفعولا به اه لكن ألحق بأفعال القلوب فى ذلك رأى البصرية قال الشاعر « ولقد أرانى للرماح ذريئة » والحلمية كقوله تعالى « انى أرانى أعصر خمراً » وقوله (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال من فاعل رأى ويصح كونها لغوا متعلقا برأى وقوله (مالنا طعام إلا ورق الشجر) يحتمل أن تكون فى محل الحال من فاعل رأى وأن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا لكيف كنتم معه صلى الله عليه وسلم وقوله (حتى قرحت أشداقنا) غاية لمقدر أى فأكلناه الى أن قرحت جوانب اشداقنا جمع شدق بكسر الشين المعجمة كحمل وأحمال ويقال شدق بفتح المعجمة وجمعه شدوق كفلس وفلوس (فالتقطت بردة) أى عثرت عليها من غير قصد وطلب ، وهى شملة مخططة وقيل كساء اسود مربع وقال القرطبي البردة الشملة والعرب تسمى الكساء الذى يلتحف به بردة ، والبرد بغير تاء نوع من ثياب اليمن (فشققتها بيني وبين سعد بن مالك) هو ابن أبى وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة (فاتزرت) بتشديد الفوقية (بنصفها واتزر سعد بنصفها) وفى الترمذى فشققتها بيني وبين سعد كما تقدم ثم مبادرته بشقها عقب التقاطها كما تؤذن به الفاء إما لعلمه برضا صاحبها واما باعراضه عنها لسقوطها وتمزقها ، أو لمعرفته بمالكها فانه يرضى بذلك أو كان قبل وجوب تعريف اللقطة (فما أصبح) أى صار (اليوم منا أحد) اسم أصبح والظرف قبله حال منه وكان صفة له فقدم عليه فصار حالا (إلا أصبح أميرا على مصر من الامصار) أشار به الى اتساع الحال عليهم بعد

---

(١) لعلها « كان » . ع

وإنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وعند الله صغيرًا) رواه مسلم (قوله آذنت) هو بمد الألف وذال معجمة غير مشددة أى أعلمت (وقوله بصُرم) بضم الصاد أى بانقطاعها وفنائها (وقوله وولت حذّاء) هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أى سريعة (والصبابة) بضم الصاد المهملة

ضيقه أولا ، زاد فى آخر الحديث « وسيخربون الأمراء بعدنا » أى ليسوا مثلنا من جهة العدالة والديانة والاعراض عن الدنيا وكان الامر على ذلك وأشاروا إلى الفرق بأنهم رأوا معه صلى الله عليه وسلم ما كان سببا لرياضتهم وتقللهم من الدنيا فمضوا على ذلك وغيرهم ممن بعدهم ليس كذلك فلا يكون إلا على قضية طبعه المجبول على الخلق القبيح (وانى أعوذ) أى أعتصم (بالله) من (أن أكون فى نفسى عظيما) بأن يوهمنى ذلك الشيطان والنفس (وعند الله صغيرا) لا يقبل على بالفضل والاحسان ، ولا ينصب لعملى وزن إذا نصب الميزان ، قال صلى الله عليه وسلم « يجاء يوم القيامة بالرجل العظيم لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » أو كما قال (رواه مسلم) أواخر صحيحه ورواه الترمذى فى جامعه وفى شمائله إلا أنه لم يسق منه فيها إلا من قوله « لقد رأيتنى سابع سبعة » الخ وأشار إلى باقى الحديث ورواه النسائى فى الرقاق ورواه ابن ماجه فى الزهد مختصراً (قوله آذنت هو بمد الهمزة) أى وبالذال المعجمة المفتوحة (أى أعلمت) عبارة القرطبي أى أشعرت وأعلمت وحذف المصنف الأول لاغناء الثانى عنه (وقوله بصرم بضم الصاد) أى المهملة وسكون الراء (أى بانقطاعها وفنائها) الأولى بانقطاع وفناء كما عبر به القرطبي وتبعه فى الديباجة لأن المفسر غير مضاف اليها وإن كان الكلام فيها (وقوله وولت حذاء هو بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة ثم ألف ممدودة أى سريعة) هذا تفسير للحذاء لا لمجموع المحكى كما قد توهمه عبارته ولو قال أي أدبرت سريعة أو قال حذاء أى سريعة لسلم من ذلك الايهام إلا أن يسامح زيادة فى الايضاح كما هى عادته من بذل النصيحة جزاه الله خيراً ، وفى المصباح الأحذ المقطوع الذنب وقال الخليل الأحذ الاملس الذى ليس مستمسك الشىء يتعلق به والأنثى حذاء (والصبابة بضم الصاد المهملة) وبموحدتين

وهى البقية اليسيرة (وقوله يتصابها) هو بتشديد الباء قبل الهاء أى يجمعها (والكظيظ) الكثير الممتلىء (وقوله قرحت) بفتح القاف وكسر الراء أى صار فيها قروح *

خفيفتين بينهما ألف (وهى البقية اليسيرة) كذا فى الأصول باثبات الواو على أن الخبر الظرف السابق على الجملة وهى معطوفة عليه ثم قوله البقية غير مقيدة بشىء هو ما قاله غيره ومنهم القرطبي والدميرى وبه يعلم أن قول المصباح الصبابة بالضم بقية الماء ، مراده به التمثيل لا التقييد قال القرطبي والصبابة بالفتح رقة الشوق ولطيف المحبة اه (وقوله يتصابها) بفتح التحتية والفوقية (هو بتشديد الموحدة) من باب التفاعل فأدغمت الموحدة فى مثلها (قبل الهاء أى يجمعها) قال القرطبي أى يروم صبها على قلة الماء أى مثلا وضعفه (والكظيظ) بفتح الكاف وكسر الظاء المعجمة الأولى وسكون التحتية بينهما (الكثير) بالمثلثة (الممتلىء) يقال كظه الشر فهو كظيظ ، فى النهاية حديث عتبة فى باب الجنة « وليأتين عليه يوم وهو كظيظ » أى ممتلىء والكظيظ الزحام اه ومثله فى مجمع البحار نقلا عنها وكأنه أشار بذلك إلى أنه مشترك بين الممتلىء والزحام أى ذى الزحام لأنه تفسير الوصف والله أعلم (وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء) وبالحاء المهملة (أى صار فيها قروح) بضمتين جمع قرح بفتح القاف وضمها وفى النهاية قيل بالفتح المصدر وبالضم اسم مصدر وبضم أوليه أيضا ولم يذكر المصنف فى تحريره سوى فتح القاف وضمها وقال إنه الجرح وقال غيره إنه كالجدرى وفى مفردات الراغب القرح الأثر من الجراحة من شىء يصيبه من خارج والقرح أثرها من داخل كالبثرة ونحوها ونقل ابن عطية فى تفسيره قرح بفتح القاف وضمها وإسكان الراء ثم قال قال أبو على هما لغتان كالضعف والضعف والفتح أولى لأنه لغة أهل الحجاز وقال الاخفش هما مصدران بمعنى واحد ومن قال القرح بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألمها قبل منه إذا أتى برواية لان هذا مما يعلم(١) بقياس وقرأ ابن السميقع بفتح القاف والراء قال الزمخشرى كالطرد

---

(١) لعله (مما لا يعلم) . ع

وعن أبي موسى الأشعريّ رضى الله عنه قال « أخرجَتْ لنا عائشةُ رضي الله عنها كساءً وإزارا غليظا قالت قبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين» متفق عليه ، وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال « إنى لأول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله

والطرد قال أبو البقاء وبضمها على الاتباع كاليسر واليسر اه من لغات المنهاج لابن النحوى (وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال أخرجت لنا عائشة كساء) بكسر الكاف وبالسين المهملة والألف الممدودة زاد البخارى ملبداً وعندهما بلفظ « كساء من التى يسمونها الملبدة » (وإزاراً) بكسر الهمزة وبالزاى ثم الراء بينهما ألف اسم لما يستر أسافل البدن (غليظاً) أى ثخيناً وفى رواية لمسلم «أخرجت إلينا عائشة كساء وإزاراً ملبداً » وإخراجها ذلك لتبين إعراضه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا إلى مفارقته لها و نقلته لحضرة مولانا سبحانه وتهييجاً للمقتدين به المتبعين سبيله على ذلك ولذا (قالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين) زاد مسلم فى رواية له النوبين (متفق عليه) رواه البخارى فى الخمس وفى اللباس ومسلم فى اللباس ورواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى كلهم فى اللباس من سننهم ثم الذى فى الكتب المذكورة أن الحديث عن أبى بردة ابن أبى موسى قال أخرجت الينا عائشة ولا ذكر فيها لأبى موسى والذى وقفت عليه من نسخ الرياض عن أبى موسى كما شرحته وهو إن لم يكن من تحريف الكتاب سبق قلم من الشيخ بلا ارتياب » (وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال إنى لأول العرب ممن رمى بسهم فى سبيل الله) وذلك فى بعث حمزة وعبيدة بن الحرث وهى ثانى سرية فى الاسلام ، وقيل بل هى أول سرية فيه وجرى عليه السيوطى فى أوائله وقد جزم الحافظ فى الفتح وفيها كما روى ابن اسحاق وغيره ما لفظه ولم يكن بينهم يعنى المسلمين والكفار قتال إلا أن سعد بن أبى وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمى به فى الاسلام ، وفى أوائل السيوطى « أول من أراق دماً فى سبيل الله سعد بن أبى وقاص» أسنده العسكرى وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله أخرجه ابن سعد وابن أبى شيبة عنه وأنه قال فى ذلك

ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورقُ الحبلة هذا السمر حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خِلط » متفق عليه (الحبلة) بضم الحاء المهملة وإسكان

ألا هل أتى رسول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبل
أذود بها عدوهم ذيادا بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام من معد بسهم قبل رسول الله قبلى(١)

(ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق الحبلة) جملة النفى فى محل الحال من فاعل نغزو (هذا السمر) قال القرطبي عند عامة الرواة بحذف الواو أى على أنه بيان ورق الحبلة وعند الطبرانى والتميمى وهذا السمر بواو ، ووقع عند البخارى « إلا الحبلة وورق السمر » وكذا ذكره أبو عبيد ورواية البخارى أحسنها لأنه بين فيها أنهم كانوا يأكلون ثمر العضاه وورق شجر السمر (حتى) غاية لكون طعامهم ذلك (إن) مخففة من الثقيلة (كان أحدنا ليضع) كناية عن الغائط وفى بعض طرقه يبعر (كما تضع الشاة) أى من البعر ليبسه وعدم ألفة المعدة له وهذا كان سنة ثمان فى غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة وسيأتى فى الأصل إن شاء الله تعالى وعليه فالمراد بالمعية التبعية حكما ويحتمل أن تكون المعية على ظاهرها وأن ذلك فى غزوة أخرى غزاها سعد مع النبى صلى الله عليه وسلم لما فى الصحيحين « بينا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام إلا الحبلة » ذكره فى أشرف الوسائل (ماله خلط) بكسر الخاء المعجمة أى لايختلط بعضه ببعض من شدة جفافه ويبسه وهذا باعتبار ما كانوا عليه من الضيق أول الاسلام وامتحانا ليظهر صدق ثباتهم

لولا اشتعال النار فى جزل الغضا ماكان يعرف طيب نشر العود

(متفق عليه) رواه البخارى فى فضل سعد فى الأطعمة وفى الرقائق ومسلم فى أواخر كتابه ورواه الترمذى فى الزهد وقال حسن غريب والنسائى فى المناقب وابن ماجه فى السنة كذا فى الأطراف للمزى (الحبلة بضم الحاء المهملة وإسكان

---

(١) (هل أتى) بفتح اللام وحذف الهمزة والشطر الأخير غير متزن فليراجع .ع

الباء الموحدة وهى والسمر نوعان معروفان من شجر البادية * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » متفق عليه قال أهل اللغة والغريب معنى قوتاً أى مايسد الرَّمَقَ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « والله الذى لا إله

الباء الموحدة وهى والسمر) بفتح فضم قال فى المصباح شجر الطلح وهو نوع من العضاه الواحدة سمرة اه (نوعان معروفان من شجر البادية) قال القرطبي الحبلة شجر العضاه وقال ابن الأعرابى ثمر السمر شبه اللوبيا وذكرهما فى النهاية مقدما الثانى فيهما من غير غزو لابن الاعرابى حاكياً للأول بقيل (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق) بكسر الراء مصدر بمعنى المفعول أى ماينتفعون به مأكلا ومشربا وملبساً (آل محمد) جاء عند بعض رواته زيادة فى الدنيا بل قضية كلام الجامع الصغير أنه كذلك عند مسلم ولم أره كذلك عند مسلم إنما الحديث فيه بحذفه قال الثعالبي فى تفسير الجواهر الحسان وعندى أن المراد بآل محمد هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم (قوتا متفق عليه) بالمعنى وإلا فاللفظ لمسلم فى إحدى رواياته ولفظ البخارى وهو عند مسلم أيضا « اللهم ارزق آل محمد قوتا » قال الحافظ فى الفتح بعد ذكر لفظ مسلم المذكور فى المتن وهو المعتمد (١) كون اللفظ الأول صالحا لأن يكون دعاء بطلب القوت فى ذلك اليوم وأن يكون طلبه لهم دائما بخلاف لفظ مسلم فانه يعين الاحتمال الثانى وهو الدال على الكفاف . والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه كما فى الأطراف (قال أهل اللغة) هم الحاكون لمعانى المفردات عن العرب (والغريب) هم المتكلمون على مفردات الكتاب والسنة (معنى قوتاً أى ما يسد الرمق) فى المصباح القوت ما يؤكل ليمسك الرمق وقال القرطبي معنى الحديث طلب الكفاف فان القوت ما يقوت البدن ويكف عن الحاجة ولم يظهر وجه إدخال أى بين المفسر والمفسر ، وفى هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعا * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال والله الذى لا إله

---

(١) كذا بالاصول . ع

إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم

إلا هو) أتى به لتأكيد ما بعده فى ذهن سامعه (إن) مخففة إنى (كنت لأعتمد بكبدى) بفتح الكاف وكسر الموحدة أفصح من فتح الكاف وكسرها مع سكون الموحدة (على الأرض) أى ألصق بطنى بها (من الجوع) من فيه تعليلية وكأنه كان يستفيد بذلك ما يستفيده من شده الحجر على بطنه ويحتمل أن يكون كناية عن سقوطه إلى الأرض مغشيا عليه كما سيأتى فى الحديث عنه عقب هذا « لقد رأيتنى وإنى لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشيا على » الحديث (وانى لأشد الحجر على بطنى من الجوع) كعادة العرب وأهل الرياضة أوأهل المدينة كانوا يفعلون ذلك إذا خلت أجوافهم لئلا تسترخى أمعاؤهم فتثقل عليهم الحركة ويربط الحجر تشتد البطن والظهر فتسهل عليهم الحركة حينئذ وقيل حكمة شده أنه يسكن بعض ألم الجوع لأن حرارة المعدة الغريزية ما دامت مشغولة بالطعام فتلك الحرارة به فاذا فقد اشتعلت برطوبات الجسم وجوهره فيحصل التألم حينئذ ويزداد مالم يضم على المعدة الاحشاء والجلد فان نارها حينئذ تخمد بعض الخمود فيقل الألم (١) وقيل يفعل ذلك لان البطن إذا خلا ضعف صاحبه عن القيام لتقوس ظهره فاحتيج لربط الحجر ليشده ويقيم صلبه (ولقد قعدت على طريقهم) قال فى المصباح يذكر فى لغة نجد وبه جاء قوله تعالى « فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا » ويؤنث فى لغة الحجاز « قلت » وعدم تأنيث يبس لكونه مصدرا وصف به كما ذكر البيضاوى فى التفسير قال فى المصباح : وجمعه طرق وقد يجمع على لغة التذكير على أطرقة والضمير يرجع إلى المارة المدلول عليه بالمضاف (الذى يخرجون منه) أى إلى مطالبهم وذلك لئلا يفوتوه (فمر النبى صلى الله عليه وسلم) قبله فى البخارى مرورا

---

(١) كذا فى النسخ ولعل فى العبارة تحريفا فليراجع من قوله وقيل الخ . ع

فتبسم حين رآنى وعرف مافى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال أبا هر فقلت لبيك يا رسولَ الله قال ألحقْ ومضى ، فاتَّبعته فدخل فاستأذن

أبى بكر وعمر وأنه سأل كلا منهما عن (١) آية وقصد بالسؤال التعرض للنوال فلم يقع وسكت عنه المصنف لعدم تعلق غرض الباب به إذ غرضه التحريض على الزهد فى الدنيا والاعراض عما تدعو اليه الضرورة بالمرة وهذا الخبر وأمثاله يدل عليه إذ لو كان حاله ﷺ بخلاف ذلك لما بلغ حال أصحابه فى الفقر إلى ما ذكر فى الخبر لما علم من كمال كرمه وإيثاره على نفسه صلى الله عليه وسلم (فتبسم حين رآنى وعرف ما فى وجهى) أى مما يدل على ما فى نفسى (وما فى نفسى) أى من الاحتياج إلى مايسد الرمق ووقع عند بعض رواة البخارى بأو التى للشك بدل الواو فى قوله «وما» قال فى الفتح استدل أبو هريرة بتبسمه صلى الله عليه وسلم على أنه عرف ما به لأن التبسم يكون لما يعجب وتارة يكون لايناس من تبسم اليه ولم تكن تلك الحالة معجبة فقوى الحمل على الثانى (ثم قال يا أبا هر) بتشديد الراء قال فى الفتح وهو من رد الاسم المؤنث إلى المذكر والمصغر إلى المكبر فان كنيته فى الأصل أبو هريرة تصغير هرة مؤنثاً وأبو هر مذكر مكبر وذكر بعضهم أنه يجوز فيه تخفيف الراء مطلقاً فعلى هذا يسكن (قلت لبيك يارسول الله) هذه رواية على ابن مسهر باثبات حرف النداء وعند باقى الرواة له بحذفه أى اجابة بعد اجابة (قال الحق) بهمزة وصل وفتح الحاء المهملة (٢) أى اتبع (ومضى) أى إلى سبيل بيته (فاتبعته) بتشديد الفوقية زاد فى رواية على بن مسهر فلحقته وفى تفسير البغوى أتبع بقطع الهمزة معناه أدرك ولحق واتبع بتشديد التاء معناه سار بقال ما زلت أتبعه حتى أتبعته أى مازلت أسير خلفه حتى أدركته ولحقته (فدخل) زاد على بن مسهر إلى أهله (فاستأذن) قال فى الفتح بهمزة بعد التاء والنون

---

(١) أى عن تفسيرها وكان يقول إنى لأسأل الرجل عن معنى الآية من كتاب الله وما هو بأعلم بها منى أى ولكن قصد أن يدوم الحديث إلى أن يصل إلى منزل المسئول فربما دعاه فأجابه . ع

(٢) ضبطت فى نسخ المتن بهمزة قطع وكسر الحاء ومعناهما واحد

فأذن لى فدخل فوجد لبنًا فى قدح فقال من أين هذا اللبن ؟ فقالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر ، قلت لبيك يا رسول الله قال ألحق إلى أهل الصفّة فادعهم لى ، قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ،

مضمومة فعل المتكلم (١) وعبر عنه بذلك مبالغة فى التحقق لأنه حكاية حال ماضية ففيه الاشارة لكمال استحضاره لها حتى كأنه يخبر عن حاضر عنده وفى رواية ابن مسهر فاستأذنت بضمير المتكلم (وأذن لى) يحتمل أن يقرأ بالبناء للفاعل أى النبي صلى الله عليه وسلم وأن يقرأ بالبناء للمفعول مالم تكن رواية فيوقف عندها (فدخل) (٢) قال فى الفتح كذا فيه وهو إما تكرار لهذه اللفظة لوجود الفصل أو التفات (فوجد لبنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن) وفى رواية ابن مسهر من أين لكم (قالوا أهداه لك فلان أو فلانة) كذا بالشك قال فى الفتح ولم أقف على اسم من أهداه وفى رواية روح « أهداه لنا فلان أو آل فلان » وفى رواية أهداه لنا فلان (قال أبا هر ، قلت لبيك يارسول الله) باثبات حرف النداء عند جميع رواة البخارى (قال الحق إلى أهل الصفة) ضمن الحق معنى انطلق فلذا عداه بالى وقد وقع فى رواية روح بدله انطلق (فادعهم لى قال) أى أبو هريرة وسقط من رواية روح ولا بد منها فان قوله (وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد) إلى آخر ما يأتى من بيان شأنهم من كلام أبى هريرة شرح به حال أهل الصفة والسبب الداعى لدعائهم وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخصهم بالصدقة ويشركهم فيما يأتيه من الهدية ووقع فى رواية يونس ما يشعر بأن أبا هريرة كان منهم وقد عده فيهم السخاوى فى مؤلفه فى أهل الصفة ، والصفة بناء فى مؤخر المسجد منزل فقراء المهاجرين ممالا مال له ولا معارف بالمدينة وقد تقدم فيهم بيان قبل هذا فى باب فضل الزهد فى الدنيا ووقع هكذا فى الرواية « لا يأوون على أهل » والكثير إلى بدل على ، وقوله ولا على أحد تعميم بعد تخصيص فيشمل الأقارب والأصدقاء وغيرهم وجملة ولا يأوون فى محل الحال

---

(١) فهو مضارع (٢) فى بعض نسخ المتن فدخلت . ع

وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك ، فقلت وما هـذا اللبنُ فى أهل الصفة ، كنت أحق أن أصيب

(وكان إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول) وفى رواية روح ولم يصب (منها شيئا) أى لنفسه وزاد روح ولم يشركهم فيها لحرمة الصدقة عليه لعلو مقامه (وإذا أتته هدية أرسل اليهم) أى ببعضها كما يدل عليه قوله (وأصاب منها وأشركهم فيها) وهذه الجملة الأخيرة كالاطناب فيها إيماء الى أنه يجعل لهم منها حظا وافرا ، وأما هو فى نصيبه منها فلا يستكثر إيثاراً ، والجملة الشرطية وماعطف عليها مستأنفة فيها بيان معاملته صلى الله عليه وسلم معهم واعتنائه بأمرهم ، وماذكر من بعث الصدقة وبعث الهدية لأهل الصفة هو أحد أحواله صلى الله عليه وسلم معهم وتارة كان إذا أتاه شيء وقيل له إنه صدقة أمر من عنده بأكله ، ولم يأكل منه وإن قيل إنه هدية ضرب ببده وأكل منه ، وحمل على أن هذا كان قبل بناء الصفة وكان يقسم الصدقة فيمن يستحقها ويأكل الهدية فيمن حضر من أصحابه ، ويحتمل أن يكون باختلاف حالين فيحمل حديث الباب على ما إذا لم يحضره أحد فانه يرسل ببعض الهدية إلى أهل الصفة أو يدعوهم كما فى قصة الباب وإن حضره أحد شركه فى الهدية وإن كان هناك فضل أرسل به إلى أهل الصفة أو دعاهم ووقع فى حديث أحمد عن طلحة بن عمر نزلت فى الصفة مع رجل كان بينى وبينه كل يوم مد من تمر وهو محمول على اختلاف الأحوال كان أولا ينزل إلى أهل الصفة مما حضره أو يدعوهم أو يفرقه على من حضر إن لم يحضر ما يكفيهم فلما فتحت فدك وغيرها صار يجرى عليهم من التمر فى كل يوم ما ذكر اه ملخصاً من الفتح (فساءنى) بالمد أى أحزننى (ذلك) أى قوله ادعهم لى لمزيد ضرورتى وشدة فاقتى ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه فلذا قال (فقلت وما هذا اللبن) والواو عاطفة على محذوف والاشارة للتحقير (فى أهل الصفة) وهم عدد كثير وفى رواية « وأين يقع هذا اللبن فى أهل الصفة » (كنت أحق) أى أولى به (أن أصيب) وحذف المفضل عليه مجروراً بمن لدلالة السياق

من هذا اللبن شَرْبةً أتقوى بها فإذا جاءوا أمرنى فكنتُ أنا أُعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ! ولم يكنْ منْ طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بُد فأتيتهمْ فدعوتهمْ فأقبلوا واستأذنوا فأذِنَ لهمْ وأخذُوا مجالسهم من البيت

عليه أى أولى منهم إصابة (من هذا اللبن شربة أتقوى بها) أى أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها يقال تحجر الطين أى صار حجراً ويجوز أن يكون بمعنى المجرد أى أقوى بها بعد الضعف (فاذا جاء) قال الحافظ فى الفتح كذا فيه بالافراد أى من أمرنى بطلبه والأكثر جاءوا بصيغة الجمع اه والموجود فى بعض نسخ الرياض الوجه الثانى (أمرنى) أى النبي صلى الله عليه وسلم (فكنت أنا أعطيهم) وكأنه عرف ذلك بالعادة لأنه كان يلازم النبي صلى الله عليه وسلم ويخدمه (وما عسى أن يبلغنى) أى يصل إلى (من هذا اللبن) بعد أن يكتفوا منه وقال الكرمانى لفظ عسى زائد ووقع فى رواية يونس بن بكير فيأمرنى أن أديره عليهم وما عسى أن يصيبنى منه وقد كنت أرجو أن أصيب منه ما يقيتنى أى من جوع ذلك اليوم (ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد) أى محيد قال فى المصباح لابد من كذا أى لا محيد عنه ولا يعرف استعماله إلا مقرونا بالنفى اه وذلك لأن شكر المنعم سبحانه واجب شرعا وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة له سبحانه قال تعالى « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (فأتيتهم) أى عقب الأمر لى بدعوتهم وإن كان على خلاف هواى (فدعوتهم) قال الكرمانى وظاهر قوله « فأتيتهم » أن الاتيان والدعوة وقعا بعد الاعطاء وليس كذلك ثم أجاب أن معنى قوله فكنت أنا أعطيهم عطف على جواب فاذا جاءوا ، فهى بمعنى الاستقبال قال فى الفتح وهو ظاهر من السياق (فأقبلوا فاستأذنوا) أى سألوا الاذن فى الدخول (فأذن لهم) بالبناء للفاعل كذا فى النسخ أى النبي صلى الله عليه وسلم ولو قرىء بالبناء للمفعول لجاز لأن المدار على وجود الاذن من أى كان قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » فأخذوا مجالسهم أى فقعد كل منهم فى المجلس اللائق به (من البيت) أى بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر صلى الله عليه وسلم بانزال الناس منازلهم كما رواه مسلم فى أول صحيحه عن عائشة معلقاً قال الحافظ فى الفتح ولم أقف على عددهم إذ ذاك قال أبو نعيم

قال يا أبا هِرّ قلت لبيك يا رسول الله ، قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَرْوَى ، ثم يرد عليّ القدحَ فأعطيه الآخر فيشرَبُ حتى يَرْوَى ، ثم يَرُد عَلَيّ القدحَ حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد رَوِى القومُ كلهم فأخذ القَدَحَ فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم

عدد أهل الصفة يختلف بحسب الحال فربما اجتمعوا فكثروا وربما تفرقوا إما لغزو أو سفر أو استغناء فقلوا ووقع فى عوارف المعارف أنهم كانوا أربعمائة وفى المصباح المجلس أى بفتح أوله وثالثه مكان الجلوس والجمع مجالس وقد يطلق على أهله مجازاً تسمية للحال باسم المحل اه (قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ) أى قدح اللبن المدلول عليه بالسياق والسباق (فأعطهم فأخذت القدح فجعلت) أى شرعت (أعطيه الرجل) والاتيان به حكاية للحال الماضية إشارة لكمال استحضار القصة ولولا ذلك لقال فأعطيته الرجل وأل فى الرجل للجنس (فيشرب حتى يروى ثم) فيه إيماء إلى طول شرب الرجل منهم وذلك لمزيد الجوع وتمام الفاقة (يرد) بالبناء للفاعل (على القدح فأعطيه) أى عقب رده (الآخر) أى الذى إلى جنبه هذه رواية يونس وفى رواية على بن مسهر « فجعلت أناول الاناء رجلا رجلا فاذا روى أخذته فناولته الآخر حتى روى القوم جميعا » ووقع فى بعض نسخ البخارى فأعطيه الرجل وعليها شرح الحافظ كالكرمانى فقال أى الذى إلى جنبه وهذا فيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة لاتكون عين الاول قال والتحقيق أن ذلك لا يطرد بل الاصل أن تكون عينه إلا أن يكون هناك قرينة قال الحافظ بعد ذكر اختلاف الروايات كما ذكرنا وعليه فالفظ المذكور من تصرف الرواة فلا حاجة فيه لخرم القاعدة (فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح) وقوله (حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم) أى فأعطيه غاية لمقدر أى عممتهم أجمعين حتى انتهيت إليه صلى الله عليه وسلم (وقد روى القوم كلهم) جملة فى محل الحال وقد للتحقيق ايماء إلى أنه تحقق لهم الرى المطلوب وأكد القوم بكلهم دفعا لتوهم أن المراد رى بعضهم (فأخذ القدح) أى وقد بقيت فيه فضلة من اللبن كما فى رواية روح (فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم) قال الحافظ فى الفتح كأنه صلى الله عليه وسلم تفرس فى أبى هريرة

فقال أباهر ، فقلتُ : لبيك يا رسول الله فقال بقيتُ أنا وأنتَ ، قُلْتُ صَدَقْتَ يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدتُ فشربتُ فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحقّ لا أجد له مسلكا قال فأرنى ، فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب

ماكان وقع فى توهمه أنه لايفضل له شيء من اللبن فلذا تبسم « قلت » ويجوز أن يكون قد اطلع على ذلك كـكثير من المغيبات (فقال أباهر) كذا فى رواية وفى رواية ابن مسهر هنا وفيما ذكر أوله ـ «أبوهر» بالواو وهو على تقدير الاستفهام أى أنت أبو هريرة أو على لغة من لايعرب الكنية (فقلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت) كأنه بالنسبة لمن حضر من أهل الصفة وأما من كان فى البيت من أهل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتعرض لذكرهم ويحتمل أن البيت إذ ذاك ماكان فيه أحد منهم أو أخذوا كفايتهم والذى فى القدح نصيبه صلى الله عليه وسلم (قلت صدقت يارسول الله) وهذه الجملة والتى قبلها من باب لازم الخبر (قال اقعد فاشرب) فيه أن اللبن كغيره من المشروبات فى استحباب الجلوس عند شربه بخلاف المص للمشروب فانه يستحب فيما عدا اللبن أما هو فيعبه عبا لأن ماشرع له المص من خوف الشرقة به مفقود فى اللبن لقوله تعالى « سائغا للشاربين » قال الحافظ السيوطى لم يشرق باللبن أحد أصلا (فقعدت فشربت فما زال يقول لى اشرب) أى لما علم من مزيد حاجته وشدة فاقته ولأنه ربمايترك بعض حاجته ليبقى بعضه للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك ليستوفى إربه وظاهر أنه كرر ذلك مراراً والمذكور فى أدب الضيافة أن المضيف يقول نحو ذلك للضيف إلى ثلاثة لايجاوزها (حتى قلت لا) المنفى محذوف أى لاأشرب ثم علل ذلك على وجه الاستئناف البيانى مؤكداً بالقسم بقوله (والذى بعثك) أى أرسلك ملتبساً (بالحق لاأجد له مسلكا) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه المهمل بينهما أى مكانا يسلك فيه منى (قال فأرنى) وفى رواية روح « فقال ناولنى القدح » (فأعطيته القدح فحمد الله تعالى) أى على مامن به من البركة فى اللبن المذكور مع قلته حتى روى القوم كلهم وأفضلوا (وسمى) فى ابتداء الشرب (وشرب

الفضلة » رواه البخارى وعن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لقد رأيتنى

الفضلة) أى البقية وفى رواية روح فشرب من الفضلة وفيه اشعار بأنه بقى بعضه فان كانت محفوظة فلعله أعدها لمن بقى بالبيت ان كان (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه ووقع فى الاطراف أنه رواه فى الاستئذان وهو وهم إلا إن أراد أنه رواه كذلك مختصراً بنحوه فى الباب المذكور كما نبهت عليه فى حاشية كتاب الاطراف ورواه الترمذى فى الزهد من جامعه والنسائى فى الرقاق من سننه وفى الحديث من الفوائد من علامات النبوة تكثير الطعام والشراب ببركته صلى الله عليه وسلم وفيه جواز الشبع ولو بلغ أقصى غايته أخذا من قول أبى هريرة لا أجد له مسلكا وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على جوازه خلافا لمن قال بتحريمه ، والجمع بين ذلك وبين الأحاديث الواردة بالزجر عن الشبع بحمل الزجر على متخذ الشبع عادة لما يترتب عليه من الكسل عن العبادة وغيرها وحمل الجواز على من وقع له ذلك نادراً لا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شىء بعده عن قرب ﴿تنبيه﴾ قال فى الفتح وقع لأبى هريرة قصة أخرى فى تكثير الطعام مع أهل الصفة أخرج ابن حبان عن أبى هريرة قال « أتت على ثلاثة أيام لم أطعم فجئت أريد الصفة فجعلت أسقط فجعل الصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى انتهيت إلى الصفة فوافقت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقصعة من ثريد فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها فجعلت أتطاول لكى يدعونى حتى قاموا وليس فى القصعة إلا شىء فى نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه فقال لى كل باسم الله فوالذى نفسى بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت » اه (وعن محمد بن سيرين) بكسر المهملة وسكون التحتية وبالراء ثم تحتية ثم نون غير منصرف للعلمية والعجمة وابن سيرين تابعى يكنى أبا بكر بصرى ثقة ثبت عابد كبير القدر من أوساط التابعين مات سنة عشر ومائة روى عنه الستة كذا فى تقريب الحافظ (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيتنى) أى أبصرتنى وهذا طرف من أواخر حديثه وأوله « كنا عند أبى هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال بخ بخ أبو هريرة يتمخط فى الكتان ولقد

و إنى لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة رضى الله عنها مغشيا على فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى و يرى أنى مجنون وما بى من جنون ما بى إلا الجوع » رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه

رأيتنى » وكان على المصنف ذكر الواو ليفيد على أن ماذكر بعض حديث معطوف على شىء تقدمه (وإنى لأخر) بكسر الخاء المعجمة أى لأسقط والجملة حال من فاعل رأيتنى أو مفعوله (فيما) أى فى المكان الذى أو مكان (بين منبر) بكسر فسكون ففتح من النبر بالنون فالموحدة الارتفاع (رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة رضى الله عنها) القياس وحجرة عائشة لأن بين لا تضاف إلا إلى متعدد وكذا رأيته عزاه الحافظ فى باب الرقاق من الفتح إلى باب الاعتصام لكن فى باب الاعتصام من الصحيح بلفظ إلى وفى كتب النحو فيما اختصت به الواو العاطفة عن باقى العواطف عطف ما لايستغنى عنه كجلست بين زيد وعمرو ولذا كان الأصمعى يقول الصواب بين الدخول وحومل لاحومل «وأجيب» بأن التقدير بين نواحى الدخول فهو كقولك دخلت بين الزيدين أو أن الدخول مشتمل على أماكن ذكره فى مغنى اللبيب والجواب الأول ممكن هنا أى مابين ساحات المنبر إلى حجرة عائشة ومابين المنبر وحجرة عائشة أى بيتها وهى مدفنه صلى الله عليه وسلم حذاء (١) الروضة طولا (مغشيا على) هذا محط الفائدة ومقصد الاخبار أى مغمى على والاغماء زوال الشعور مع فتور فى الأعضاء (فيجىء الجائى فيضع رجله على عنق ويرى أنى مجنون) أى وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق ، وجملة يرى محتملة للحالية والاستئناف البيانى (ومابى من) مزيدة للتنصيص على العموم الظاهر فيه (جنون) لكونه نكرة فى سياق النفى وهو مبتدأ والظرف قبله خبر قدم عليه اهتماما واعتناء و (ما بى) الباء فيه سببية أى ليس سبب اغمائى (إلا الجوع رواه البخارى) فى باب الاعتصام ورواه الترمذى فى الزهد من جامعه وقال حسن صحيح غريب ورواه فى الشمائل بنحوه * (وعن عائشة رضى الله عنها قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه) بكسر الدال المهملة ما يلبس فى الحرب زاد البخارى فى

---

(١) لعله (حد) . ع

مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير »

أول البيوع عنها « ورهنه درعا من حديد » (مرهونة عند يهودى) هو أبو الشحم قال الحافظ فى الفتح كما بينه الشافعى ثم البيهقى من طريق جعفر بن محمد عن أبيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعاله عند أبى الشحم اليهودى رجل من بنى ظفر فى شعير » وأبو الشحم اسمه كنيته وظفر بفتح الظاء والفاء بطن من الأوس وكان حليفا لهم وتصحف على بعضهم فضبطه بمد الهمزة وكسر الموحدة اسم فاعل من الاباء (١) ، قال العلماء الحكمة فى عدوله صلى الله عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة الى معاملة اليهود إما لبيان الجواز أو لأنهم لم يكن عندهم اذ ذاك طعام فاضل عن حاجة من عندهم أو خشى أنهم لا يأخذون ثمنا أو عوضاً فلم يرد التضييق عليهم فانه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر منه على ذلك أو أكثر منه فلعله لم يطلعهم على ذلك وانما أطلع عليه من لم يكن موسرا به ممن نقل ذلك اه (فى ثلاثين صاعاً) وقيل فى عشرين وقيل فى أربعين وقيل وسقا بدل الصاع كما ورد كل منها قاله الشيخ زكريا فى تحفة القارى وجمع فى الفتح بين روايتى عشرين وثلاثين بأنه لعله كان ناقصا عن الثلاثين فجبر بذلك الكسر وألغى أخرى قال ووقع لابن حبان عن أنس أن قيمة الطعام كانت دينارا (من شعير) قال الشيخ زكريا فى شرح البهجة قيل افتكه صلى الله عليه وسلم قبل موته لخبر « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى » وهو صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك والأصح خلافه لقول ابن عباس رضى الله عنهما « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى » أى ولحديث الباب والحديث الأول محمول على من لم يخلف وفاء (٢) قال السبكى مع أنه صلى الله عليه وسلم ليس من الخبر لأن دينه ليس لمصلحة نفسه لأنه غنى بالله وانما أخذ الشعير لأهله وهو متصرف عليهم بالولاية العامة فلا يتعلق الدين به بل بهم ولم يثبت

---

(١) قال الحافظ : وكأنه التبس عليه بأبى اللحم الصحابى . ع

(٢) وقيل ان ذلك محله فى غير نفس الأنبياء فانها لا تكون معلقة بدين فهى خصوصية . ع

متفق عليه وعن أنس رضى الله عنه قال « رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعه بشعير ومشيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم بخبز شعير

أنه كان عليه ديون وإن ثبت فهو لمصلحة المسلمين واذا استدان الامام لمصالحهم كان عليهم لاعليه « فان قيل » هذا فيما استدانه للجهات العامة دون ما استدانه لأهله فانه وكيل عليهم والوكيل تتعلق به العهدة « والجواب » أنه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين فهو يتصرف عليهم بهذه الولاية التى ليست لغيره من الأئمة ولا يخفى ما فيه اه كلام الشيخ زكريا « أقول » يمكن أن يجاب بأن المختار عند الأصوليين عدم دخول المتكلم فى عموم كلامه فذاك فى حق من سواه أما هو فلا يحبس عن على مقامه تشريفا له والله أعلم وفى فتح البارى فيه أى فى حديث « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة » دليل على أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » وهو حديث صححه ابن حبان وغيره من لم يترك عند صاحب الدين مايحصل به الوفاء واليه جنح الماوردى وذكر ابن الطلاع فى الأقضية النبوية أن أبا بكر أفتك الدرع بعد النبى صلى الله عليه وسلم لكن روى ابن سعد أن أبا بكر قضى عدات النبى صلى الله عليه وسلم وان عليا قضى ديونه وروى إسحاق بن راهويه فى مسنده عن الشعبى مرسلا أن أبا بكر افتكها وسلمها لعلى وأما من أجاب بأنه صلى الله عليه وسلم افتكها قبل موته بثلاثة أيام فمعارض بحديث عائشة اه (متفق عليه) رواه البخارى فى أبواب من صحيحه بعضها باللفظ المذكور وبعضها بنحوه رواه مسلم فى البيوع ورواه النسائى وابن ماجه * (وعن أنس رضى الله عنه قال رهن النبى صلى الله عليه وسلم درعه) لفظ البخارى درعاً له ، فيه أنه من أدراعه لا الذى كان يعتاد لبسه (بشعير) أى مقابلة بثمن الشعير الذى شراه ﷺ نسيئة ففى الحديث مضاف مقدر والباء فيه للمقابلة ويصح كونها باء السببية ولا مضاف أى بسبب الشعير الذى شراه نسيئة (ومشيت إلى النبى ﷺ بخبز شعير) قال الحافظ فى كتاب الرهن من الفتح ووقع لأحمد عن أنس « لقد دعى نبى الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على خبز شعير وإهالة سنخة »

وإهالة سَنِخَة ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد إلا صاع ولا أمسى ، وإنهم لتسعة أبيات »

فكأن اليهودى دعا النبي صلى الله عليه وسلم على لسان أنس فلذا قال مشيت إليه بخلاف مايقتضيه ظاهره (١) (وإهالة سنخة) بالسين المهملة قال الشيخ زكريا ويروى زنخة بالزاى بدلها والباقى سواء ففيه إعراضه صلى الله عليه وسلم عن المشتهيات واجتزاؤه بما يسد الحاجة من القوت حتى حمل اليه مثل ذلك (ولقد سمعته) ظاهره أن هذا من كلام أنس ومرجع الضمير البارز للنبي صلى الله عليه وسلم أى قال أنس سمعت النبي ﷺ وهو ما فهمه الحافظ ابن حجر ورد على الكرمانى قوله وهو كلام قتادة والضمير المنصوب فيه لأنس قال الحافظ ويرد عليه أنه أخرجه أحمد وابن ماجه عن أنس بلفظ ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذى نفس محمد بيده » فذكر الحديث بلفظ ابن ماجه وساقه أحمد بتمامه (يقول) مسلياً لأولى الفقر والحاجة من أمته (ما أصبح لآل محمد) أى عندهم كقوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس » أى عنده كما يدل عليه لفظ البخارى فى أوائل البيوع « ما أمسى عند آل محمد صاع بر » الحديث قال فى تحفة القارى وآل مقحم ﴿قلت﴾ ويجوز إبقاؤه على ظاهره خصوصاً ومذهب البصريين وهو المختار منع زيادة الأسماء ويؤيده عود الضمير اليه من قوله وإنهم لتسعة أبيات (إلا صاع) أى مكيلة من الطعام لكن فى باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم نسيئة أوائل البيوع من صحيح البخارى فى حديث الباب عن أنس « ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب » ويمكن الجمع بأن المنفى فى رواية صاع تام من نوع واحد والمثبت صاع مجمع من أقوات كما يبينه أنه فى جانب النفى بين فرداً خاصاً ثم عطف عليه ما يعمه وغيره وفى جانب الاثبات لم يبين إبهام الصاع والله أعلم (ولا أمسى) أى لهم سواه كما صرح به أبو نعيم فى روايته فى مستخرجه بلفظ ولا أمسى إلا صاع وحذف ذلك إيجازاً لدلالة ما قبله عليه (وإنهم) أى آله الذين ينفق عليهم من زوجاته ومن يلوذ بهن (لتسعة أبيات)

---

(١) أى من أنه أحضر ذلك اليه وفى رواية لأحمد من طريق أبان عن أنس « أن يهوديا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه » . ع

رواه البخارى . (الإهالة) بكسر الهمزة الشحم الذائب ، والسنخة بالنون والخاء المعجمة وهى المتغيرة * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لقد رأيت سبعين من أصحاب الصّفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا

هذا بالنسبة للزوجات وكانت له مارية وريحانة يطؤهما بملك اليمين ، وجملة وإنهم فى محل الحال من الظرف قال الحافظ فى الفتح ويناسبه (١) ذكر أنس لهذا القدر مع ما قبله الاشارة إلى سبب قوله صلى الله عليه وسلم هـذا وأنه لم يقله متضجراً ولا شاكياً معاذ الله إنما قاله معتذراً عن إجابته لدعوة اليهودى ولرهنـه درعه عنده ولعل هـذا هو الحامل الذى زعم أن قال ذلك هو أنس فراراً من أن يظن به صلى الله عليه وسلم أنه قال تضجراً والله أعلم (رواه البخارى) فى البيوع والرهن ورواه الترمذى فى البيوع من جامعه وقال حسن صحيح والنسائى فى البيوع أيضا وابن ماجه فى الأحكام (الاهالة بكسر الهمزة) وتخفيف الهاء واللام (الشحم الذائب) وفى المصباح هى الودك المذاب وفى التحفة هى مايؤتدم به من الأدهان كالألية ، وهما قولان فى النهاية كل شىء من الأدهان يؤتدم به إهالة ، وقيل هو ماأذيب من الالية والشحم وبهذا بدأ الحافظ فى الفتح وقيل هو الدسم الجامد ﴿ قلت ﴾ وعلى الأول والأخير فيشمل الثمن ونحوه من الزبد (والسنخة بالنون) المكسورة قال الحافظ ويقال فيها بالزاى بدل السين (والخاء المعجمة وهى المتغيرة) أى متغيرة الرائحة من طول المكث كما فى تحفة القارى ففى الحديث كمال تواضعه ﷺ وزهده وتقلله من الدنيا مع قدرته عليها وكرمه الذى أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين) بتقديم المهملة على الموحدة (من أهل الصفة) من فيه تبعيضية لما تقدم قريبا من أنهم يبلغون إلى أربعمائة (مامنهم رجل عليه رداء) أى لا رداء وهو الساتر لا على البدن على أحد منهم وإنما معهم ما يسترون به عورتهم (إما) بكسر الهمزة للتفصيل (إزار وإما كساء) وهو مبتدأ خبره محذوف أى مالهم (٢) ذلك أو ذلك (قد ربطوا) بحذف العائد وهو

---

(١) لعله « ومناسبة » . ع

(٢) (ما) موصولة لا نافية . ع

فى أعناقهم منها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورتُهُ » رواه البخارى * وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدَم حشوهُ لِيفٌ » رواه البخارى * وعن

المفعول به أى ربطوه (فى أعناقهم) وذلك للاستمساك فيدوم ستر العورة (منها) أى الازر والأكسية المدلول عليها بما ذكر (ما يبلغ نصف الساقين) أفرد المضاف إلى المثنى وهو جائز كتثنيته وجمعه كقطعت رأسى الكبشين وكحديث « كان شعره إلى أنصاف أذنيه » وقوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) وفى المصباح الساق من الأعضاء أنثى وهى ما بين الركبة والقدم وتصغيرها سويقة اه (ومنها ما يبلغ) أى يدرك (الكعبين) قال فى المصباح : الكعب من الانسان اختلف فيه أئمة اللغة قال أبو عمرو بن العلاء والأصمعى : الناتىء عندملتقى الساق والقدم فيكون لكل قدم كعبان عن يمينها وشمالها وقد صرح بهذا الأزهرى وجماعة وقال ابن الاعرابى وغيره الكعب هو المفصل بين الساق والقدم وذهب الشيعة إلى أن الكعب فى ظهر القدم وأنكره أئمة اللغة كالأصمعى وغيره اه وظاهر أن المراد هنا لا (١) يختلف على قول أهل اللغة الستة المذكورين إذ المراد التقريب لاالتحديد فما أدرك الناتىء قارب إدراك المفصل وبالعكس والأول أبلغ فى الاعراض عن الدنيا اللائق بأحوالهم (فيجمعه) أى الرجل أعاد الضمير أولا مجموعا فى قوله قد ربطوه باعتبار المعنى إذ المراد من رجل العموم وإفراده هنا باعتبار لفظه أى فيجمع ماذكر من الازار والكساء (بيده كراهية) بتخفيف التحتية وهو الكراهة بحذفها مصدر كره الأمر يكرهه وهو مفعول له علة للجمع أى استقباح (أن ترى عورته) من طرفى نحو الازار لصغره (رواه البخارى) فى الصلاة من صحيحه وقد سبق الحديث فى الباب قبله * (وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان فراش رسول الله ﷺ) أى الذى ينام عليه (من أدم) بفتح أوليه والدال مهملة جمع أديم الجلد المدبوغ (حشوه) أى محشوه مصدر بمعنى المفعول (ليف) بكسر اللام وسكون التحتية قال فى الصحاح الليف للنخل واحده ليفة (رواه البخارى * وعن

---

(١) فى نسخة ما بدل لا . ع

ابن عمر رضى الله عنهما قال « كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ من الأنصارِ فسلم عليه ثم أدبر الأنصارى فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخا الأنصار كيف أخى سعدُ بنُ عبادةَ فقال صالح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعوده منكم ؟ فقام وقمنا معه ونحن بضعةَ عشرَ

ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا جلوسا) بضم أوليه جمع جالس (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من الأنصار) أى وقت مجىء الرجل الأنصارى (١) وتقدم أنها تحتمل المفاجأة بناء على قول أبى عبيدة بافادتها له (فسلم عليه) أى على النبي صلى الله عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخا الانصار) أى ياواحدا من الانصار فى الكشاف فى قوله تعالى (إذ قال لهم أخوهم نوح » قيل أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب ياأخا بنى تميم يريدون ياواحدا منهم ومنه بيت الحماسة .

لايسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ماقال برهانا

(كيف أخى) فيه كمال تواضعه ومزيد فضله صلى الله عليه وسلم إذ أطلق هذا اللفظ فى حقه تشريفا له وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » (سعد بن عبادة) سيد الخزرج (فقال صالح) خبر مبتدأ محذوف لدلالة السؤال عليه ففيه استحباب مثله لمن سأل عن حال مريض من نفسه أو غيره وفى الحديث « أن عليا رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى توفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم فقال بخير أصبح بارئا بحمد الله » وقوله صالح أى بالشفاء عند مجىء إبانها فى العلم الأزلى وهو كناية عن مرضه فلذا توجه لعيادته صلى الله عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعوده منكم) فيه أن العيادة مطلوبة على الكفاية (فقام وقمنا معه) ظاهره قيام جميع حاضرى المجلس معه صلى الله عليه وسلم (ونحن بضعة عشر) البضعة

---

(١) هكذا فى جميع النسخ ولعله مقدم من تأخير والأصل (فسلم) الرجل الأنصارى .

ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قُمُص نمشى فى تلك السِّبَاخ حتى جئناه فاستأخر قومُه من حوله حتى دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين معه » رواه مسلم * وعن عمران بن الحصين

بكسر الموحدة مابين العقدين من العدد (ماعلينا نعال) بكسر النون جمع نعل أى فى أقدامنا (ولا خفاف) بكسر أوله أيضا جمع خف بضمه قال فى المصباح الخف الملبوس جمعه خفاف ككتاب أى بل كنا حفاة (ولاقلانس) هى كالقلامى جمع قلنسوة بوزن فعلوة بفتح أوليه وسكون النون وضم اللام وفى التهذيب للمصنف القلنسوة هى التى تلبس النون فيها زائدة وهى معروفة وفيها لغتان ذكرهما الجوهرى وغيره قال الجوهرى هى القلنسوة والقلنسية إذا فتحت القاف ضمت السين وان ضممت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء فاذا جمعت أو صغرت فأنت بالخيار فى حذف الواو أوالنون لانهما زائدتان فان شئت حذفت الواو فقلت قلانس وإن شئت حذفت النون قلت قلاس وان جمعت القلنسوة بحذف الهاء قلت قلنس والاصل قلنسو إلا أن الواو رفضت لأنه ليس فى الأسماء أى المعربة اسم آخره حرف علة قبله ضمة فاذا أدى إلى ذلك قياس وجب رفضه وتبدل من الضمة كسرة فيصير آخر الاسم ياء مكسورا ماقبلها فتحذف كهى فى غاز اه ملخصا (ولا قمص) بضمتين جمع قميص ويجمع على قمصان الثوب المعروف الملبوس على البدن وجملة النفى فى محل الحال من المبتدأ على مذهب سيبويه ويصح أن يكون خبرا بعد خبر كجملة (نمشى فى تلك السباخ) بكسر المهملة وبالموحدة جمع سبخة بوزن تمرة أما سبخة بوزن كلمة فجمعها سبخات ككلمة وكلمات والارض السبخة قال فى النهاية هى التى يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر وفى هذه الجملة دلالة على الاقتصار على قليل الملبوس والاعراض عما زاد على الضرورة وظاهر العبارة أنه صلى الله عليه وسلم حينئذ كان كذلك ليتأسوا به ويقتدوا بهديه (حتى جئناه) غاية للمشى (فاستأخر قومه) الخزرج أو الأنصار (من حوله حتى دنا) أى قرب منه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين) جاءوا (معه) إكراماً للوافد وانزالا للناس منازلهم وليتأنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلال الذى يحصل له من طول ملازمة من عنده إن كان (رواه مسلم) فى الجنائز من صحيحه (وعن عمران) بكسر المهملة (ابن حصين) بضم المهملة الأولى وفتح

رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خيركم قَرْنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمرانُ فما أدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم مرتين أو ثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يُستشهدون ،

الثانية وسكون التحتية بعدها نون (رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم) أيها الأمة وحذف المصنف لفظ أن من أول الحديث وهى ثابتة عند مسلم (قرنى) وفى لفظ آخر لها « خير أمتى قرنى » وفى لفظ آخر لمسلم « خير الناس قرنى » وحديث الباب بمعناه كما قدرناه قال السيوطى فى التوشيح القرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الامور المقصودة والاصح ألا يضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة (ثم الذين يلونهم) أى ثم قرن التابعين وقرنهم من سنة مائة نحو سبعين (ثم الذين يلونهم) أى من اتباع التابعين وقرنهم من ثمة إلى حدود العشرين ومائتين ومن هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رءوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الاحوال تغيراً شديداً ولم يزل الامر فى نقص إلى الآن اه قال المصنف والمراد تفضيل جملة القرن ولا يلزم منه تفضيل الصحابى على الانبياء ولا تفضيل أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى جملة القرن حكى عن عياض عن المغيرة قال قرنه أصحابه والذين يلونهم أبناؤهم والثالث أبناء أبنائهم ، وقال سهل (١) قرنه ما بقيت عين رأته والثانى ما بقيت عين رأت من رآه ثم كذلك (قال عمران) هذا من كلام أحد الرواة عنه ويحتمل على بعد أن يكون عبر عن نفسه باسمه كما هي طريق كثير من الاوائل (فما أدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم) ثم الذين يلونهم (مرتين أو) قالها (ثلاثا) وشرف القرن الرابع باعتبار من فيه من أئمة الاسلام الناصرين للحق الذابين عنه . المجاهدين فى الله الصابرين على ما أصابهم فى سبيله كالامام أحمد بن حنبل وأضرابه (ثم يكون بعدهم) أى أهل القرون المشهود لها بالأخيرية (قوم يشهدون ولا يستشهدن) قال

---

(١) فى نسخة (مسهر) بدل (سهل) . ع

ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون . ويظهر فيهم السمن » متفق عليه *
وعنْ أبي أمامة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم
إنك أن تَبذُل الفضل خير لك ،

المصنف فى شرح مسلم هذا غير مخالف لحديث « خير الشهود الذى يأتى بالشهادة
قبل أن يسأل عنها » لأن ذاك محمول على دعاوى الحسبة أو على إعلام ذى الحق
بأنك تشهد به وهو لا يعلم شهادتك به وحديث الباب محمول على الشهادة لذى الحق
العالم بها عند الحاكم قبل طلبها منه أو على شاهد الزور أو على من ينتصب شاهداً
وليس هو من أهل الشهادة أو على من يشهد لقوم بالجنة أو النار من غير توقيف
وهذا ضعيف أه ملخصا (ويخونون ولا يؤتمنون) قال المصنف فى شرح مسلم
بعد أن أورده بلفظ يتمنون بتشديد الفوقية كذا فى أكثر النسخ ، يعنى من
مسلم ، وفى بعضها يؤتمنون ومعناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها أمانة
بخلاف من خان بحقير مرة واحدة فانه يصدق عليه أنه خان فلا يخرج عن الامانة
فى بعض المواطن اه ﴿ قلت ﴾ ويصح أن يكون جملة النفى فى محل الحال أى إن
طبعهم الخيانة مع عدم الائتمان لهم فليس لهم سوى وبال العزم عليها من غير ظفر
بشىء والله أعلم (وينذرون) بفتح الفوقية (١) وضم الذال المعجمة وكسرها لغتان
كما قال المصنف (ولا يوافون) قال فى شرح مسلم وفى رواية ولا يفون وهما صحيحتان
يقال وفى ،وأوفى(ويظهر فيهم السمن) أى كثرة اللحم أى انه يكثر ذلك فيهم وليس
الخلق منه مذموما بل المكتسب له بالتوسع فى المأكل والمشرب وغيره زيادة على
المعتاد وقيل المراد التكثر مما ليس لهم وادعاء ما ليس لهم من الشرف وغيره
وقيل المراد جمعهم الأموال (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الشهادات وفضل
الصحابة وغيرهما من صحيحه ومسلم فى الفضائل ورواه النسائى فى النذور * (وعن
أبى أمامة) بضم الهمزة وميمين خفيفتين بينهما ألف (رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم انك أن) بفتح الهمزة (تبذل الفضل)
أى بذلك الفضل منصوب بدل اشتمال من اسم أن والفضل بفتح الفاء وسكون
الضاد المعجمة ما فضل عما يحتاج اليه عادة (خير لك) ليبقى لك غلته ويحتمل

---

(١) كذا والصواب (التحتية) . ع

وأن تمسكه شر لك ولا تُلام على كفافٍ وابدأ بمن تعول » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن عبيدالله بن مِحْصَنٍ الأنصارى الخِطْمىّ رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمِناً فى سِرْبه ، معافى فى جسده عنده قوت يومه ، فكأنما حيزَتْ

أن يكون مصدرا (وأن تمسكه شر الك) لانك ربما لاتؤدى الحقوق الواجبة وقد يشتغل به القلب الذى هو بيت الرب ومحل نظره من العبد عن التوجه اليه (ولا تلام) بضم الفوقية مبنى للمجهول أى لا يلحقك لوم أى عتب من الشرع (على الكفاف) بفتح أوليه أى قدر الحاجة من طعام وشراب وملبس ومسكن وخادم احتاجه قال القرطبي وهو ما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات وهـذا أحسن الاحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى (وابدأ) فى الانفاق (بمن تعول) أى بحق الذى تعوله وتمونه من زوجة وأصل أو فرع محتاج أوخادم فالعائد محذوف أو بعائلتك فاموصولة أومصدرية (رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه مسلم فى الزكاة من صحيحه وكان عزوه اليه أولى وكأنه غاب عن الشيخ ولا عيب على الانسان فى النسيان (وعن عبيدالله) بصيغة التصغير (ابن محصن) بكسر الميم وسكون المهملة الاولى وفتح الثانية آخره نون (الانصارى) رأى (رضى الله عنه) النبي صلى الله عليـه وسلم قال فى أسـد الغابة بعد أن أورد حـديث الباب وقال أبو عمرو يعنى ابن عبد البر منهم من جعل حديثه مرسلا والاكثر يصحح صحبته فيجعل حديثه مسنداً وروى عنه أبو سلمة (١) أيضا اه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم) الخطاب للحاضرين بمجلسه صلى الله عليه وسلم وحكمه صلى الله عليه وسلم على الواحد حكمه على الجماعة (آمنا) من عدوه (فى سربه) على نفسه وبضعه وأهله وماله (معافى فى جسده) من الامراض لان معها لا سيما الشديد منها يذهل عن نظر المرء فى حسن حاله وما أنعم المولى به عليه من أمن وسعة (عنده قوت يومه) من طعام وشراب وسائر ما يحتاج اليه من أدوية ونحوها (فكانما حيزت) بكسر المهملة وسكون التحتية بعدها زاى أى ضمت وجمعت

---

(١) فى نسخة ابن مسلمة . ع

له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذى وقال حديث حسن «سربه» بكسر السين المهملة أى نفسه وقيل قومه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قد أفلح من أسلم وكان رزقه كَفَافًا وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم وعن أبى محمد فضالة بن عبيد

(له الدنيا) وفى رواية زيادة « بحذافيرها » أى بجوانبها أى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها (رواه الترمذى وقال حديث حسن) ورواه البخارى فى الادب المفرد وابن ماجه (سربه بكسر السين المهملة) وسكون الراء وبالموحدة المجرورة على الحكاية (أى نفسه) فى النهاية قال ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق يقال خل له سربه أى طريقه (قات) وعليه فيكون مجازاً عن الامن أيضا فيرجع إلى الأول (وقيل قومه) قات كأن قائله أخذه من قول اللغويين السرب أى بكسر أوله الجماعة من النساء والبقر والشاة والقطاة والوحش كذا فى المصباح فجرد السرب عن قيد النساء الخ وأراد به مطلق جماعته وقومه والله أعلم * (وعن عبد الله بن عمرو) بفتح المهملة (ابن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح) أى فاز بالفلاح وهو الفوز والبقاء والظفر (من أسلم) بدأ به لأنه الأساس فى الاعتدال بقبول صالح الأعمال والمراد الاسلام الصحيح المخلص فيه لأنه الكامل فينصرف المطلق اليه (وكان رزقه كفافا) أى بقدر الحاجة لا يفضل عنه قال المصنف هى الكفاية من غير زيادة ولا نقص وفيه شاهد لتفضيل الكفاف على كل من الفقر والغنى (وقنعه الله) أى صيره قانعا واعل التضعيف إيماء إلى بعد هذا الوصف عن طبع الانسان فكأن محاول إزالتها يحتاج إلى مبالغة فى ذلك لأن الطبع البشرى مائل إلى الاستكثار من الدنيا والحرص عليها إلا من عصم الله وقليل ما هم أى وجعله الله يخفى ألطافه قانعا (بما آتاه) بالمد أى أعطاه من الكفاف قال القرطبى معنى الحديث أن من حصل له ذلك فقد حصل على مطلوبه وظفر بمرغوبه فى الدارين (رواه مسلم) قال فى الجامع الصغير ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه (وعن أبى محمد فضالة) بفتح الفاء وبالضاد المعجمة (ابن عبيد) بصيغة التصغير

الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى لمن هُدِى للاسلام وكان عيشُهُ كفافاً وقنَع » رواه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَبيتُ الليالىَ المُتتابعة طاويا وأهلهُ

ابن ناقذ بالمعجمة ابن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبا بجيمين مفتوحتين بينهما حاء سا كنة وبباء موحدة ابن كلفة بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس (الأنصارى) العمرى (رضى الله عنه) قال المصنف فى التهذيب أول مشاهده أحد شهدها وما بعدها من المشاهد ومنها بيعة الرضوان وشهد فتح مصر وسكن دمشق وولى قضاءها لمعاوية وأمره على غزو الروم فى البحر روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسون حديثا روى له مسلم منها حديثين توفى بدمشق ودفن بباب الصغير سنة ثلاث وخمسين وقيل تسع وستين والصحيح الأول فقد نقلوا أن معاوية حمل نعشه وقال لابنه أعنى يا بنى فانك لا تحمل بعده مثله وتوفى معاوية سنة ستين (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طوبى) قال فى المصباح قيل من الطيب والمعنى العيش الطيب وقيل الحسن وقيل الخير وأصلها طيبى فقلبت الياء واوا لمجانسة الضمة وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى طوبى فعلى من كل شىء طيب وهى ياء حولت إلى الواو وهو من يطيب اه (لمن هدى) أى أوصل (للاسلام) فعدى باللام لتضمنه معنى أوصل قال تعالى « يهدى الله لنوره من يشاء » أى يوصله للدخول فى جملة أهله (وكان عيشه كفافا وقنع) الأقرب أنه بالبناء للمفعول من باب التفعيل كما يدل عليه ماقبله ويحتمل أن يكون بتخفيف النون مفتوحة والجملتان الاقرب كونهما معطوفتين على جملة الصلة ويجوز كونهما فى محل الحال من نائب فاعل هدى (رواه الترمذى وقال حديث صحيح) قال فى الجامع الصغير ورواه ابن حبان والحاكم فى مستدركه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة) أى التابع بعضها بعضا مع الاتصال (طاويا) هذا مقصود الاخبار قال فى النهاية يقال طوى من الجوع يطوى طوى فهو طاوى أى خالى البطن لم يأكل (وأهله) بالرفع عطف على الضمير المستكن فى يبيت

لا يجدُون عشاء، وكان أكثرُ خُبزهمْ خبزُ الشعير » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالنَّاس يخرّ رجال من قامتهم فى الصلاة من الخَصاصة وهم أصحابُ الصفةِ حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانينُ فاذا صلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم

للفصل بينهما بالظرف ويجوز أن يقرأ بالنصب على أن الواو واو المصاحبة أى مع من يقوم بنفقتهم وقوله (لايجدون عشاء) بفتح العين وبالمد قال فى المصباح اسم للطعام الذى يتعشى به الانسان وقت العشاء أى بكسر العين اه وفى كتاب الصيام من كتب الفقه العشاء اسم لما يؤكل بعد الزوال أى فى وقت العشى جملة مستأنفة لبيان حالهم المقتضى لطوامهم (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) أى وهو أقل فى كلفة التحصيل من البر وغيره من نفائس الأقوات والجملة محتملة للعطف على ماقبلها ولكونها حالية باضمار قد (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) ورواه أحمد وابن ماجه كما فى الجامع الصغير * (وعن فضالة بن عبيد) أى الأنصارى (رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس) أى وقت صلاته بهم وهو مضمن معنى الشرط ولايجزم إلا فى الشعر جوابه (يخر) بكسر الخاء المعجمة أى يسقط (رجال من) ابتدائية أى سقوط مبتدأ (من قامتهم فى الصلاة من) تعليلية (الخصاصة) بفتح الخاء المعجمة وبالمهملتين الخفيفتين بينهما ألف (وهم أصحاب الصفة) جملة حالية من فاعل يخر لتخصيصه بالوصف (حتى) غاية لمحذوف أى فتعجب من خرورهم من لم يعلم سببه إلى أن (يقول الأعراب) أى من حضره صلى الله عليه وسلم حينئذ من سكان البوادى (هؤلاء مجانين) يحتمل كون الجملة خبرية كما هو الظاهر ويحتمل أنها استفهامية على تقدير الهمزة وعلى كل فهى منصوبة المحل على الحكاية وذلك أنهم توهموا أن ذلك الخرور صادر عنهم اختيارا لاعن سبب يقتضيه وذلك بحضرة الجمع شأن المجانين فلذا حكموا عليهم به أو سألوهم كذلك (فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى الصلاة بأتمامها بسلامه منها

انصرف إليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة » رواه الترمذى وقال حديث صحيح « الخصاصة » الفاقة والجوع الشديد وعن أبى كريمة المقداد (١)

وانصرف عنها (انصرف اليهم) أى متوجها اليهم (فقال) عقب وصوله اليهم لأنه الحامل له على قصدهم (لو تعلمون مالكم عندالله) أى ما أعده لكم مما لم تسمعه أذن ولم يره بصر وفيه شهادة لهم بمكانتهم عند المولى سبحانه لصدق إيمانهم وحسن مجاهدتهم وكمال وجهتهم (لأحببتم أن تزدادوا فاقة) أى حاجة فعطف قوله (وحاجة) عليها من عطف الرديف وحبهم ذلك ليصبروا على الابتلاء بها فيكثر مايؤجرون عليه من ذلك فان الجزاء على حسب المجازى عليه قلة وكثرة أولانهم استعذبوا جميع مايرد عليهم من الحق سبحانه لكمال عرفانهم فنظروا إلى النعم من حيث صدورها من الرحيم لامن حيث ذاتها فأعجبوا بها على أى أمر تجلت ، وعلى أى مذاق ، وما أحسن قول القائل :

إذا مارأيت الله فى الكل فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا

وقلت فى هذا المعنى :

ياطالب التحقيق والعرفان لاتنظرن لحوادث الازمان

فتضيق منها وانظرن لمن بدت منه اليك فهو العلى الشان

(رواه الترمذى) فى الزهد من جامعه (وقال حديث صحيح) الخصاصة الفاقة والجوع الشديد) قال فى النهاية وأصلها الفقر والحاجة الى الشىء (وعن أبى كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء (المقداد) (١) بكسر الميم وسكون القاف

---

(١) الصواب المقدام بالميم وفى الجامع الصغير فى حديث اذا أحب الخ بالدال وصوابه بالميم وفى الجامع الصغير أيضا فى الحديث الذى هنا ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه » الخ (دحم . ت . ك) عن المقدام بن معد يكرب بالميم والخلاصة أن المقداد بالدال هو (المقداد بن عمرو بن الأسود) قديم فى الاسلام وأحد الفارسين فى غزوة بدر والمقدام بالميم هو (المقدام بن معد يكرب) . ع

ابن معد يكرب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما ملأ آدمىّ وعاء شرا من بطنه ، بحسبِ ابن آدم أُكلاتٍ يُقِمْنَ صُلبه فان كان لا محالة فثلُث لطعامه وثُلث لشرابه وثلث لنفَسِه » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

ومهملتين بينهما ألف (ابن معد يكرب) بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وفتح الكاف وكسر الراء تقدمت ترجمته رضى الله عنه فى باب فضل الحب فى الله (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمى) نسبة إلى آدم أبى البشر عليه السلام أى انسان (وعاء شرا من بطنه) قال الطيبي نقله عن ابن أقبرس جعل البطن وعاء كالأوعية المتخذة ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه ، ثم جعله شر الاوعية لأنها تستعمل فيما هى له والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضى الى الفساد دينا أو دنيا فيكون شرا منها فان قلت شرا أفعل تفضيل وهو ما اشتق من فعل الموصوف بزيادة على غيره فما وجه تحقق ثبوت الوصف فى المفضل عليه؟ ﴿قلت﴾ ملء الأوعية لا يخلو من طمع أو حرص على الدنيا وكلاهما شر على الفاعل (بحسب ابن آدم) أى كافيه فالباء مزيدة فى المبتدأ (أكلات) بفتح الكاف وضمها مع ضم الهمزة أى كافيه ذلك فى سد الرمق ولذا قال (يقمن صلبه) والجملة فى محل الصفة لأكلات ويصح كونها مستأنفة لبيان سبب كفاية ذلك (فان كان لا محالة) فى الصحاح قولهم لا محالة أى بفتح الميم أى لابد يقال الموت آت لا محالة اه أى فان كان لابد من الكثرة على ذلك فليكن أثلاثا (فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) قال ابن أقبرس أى يبقى من ملئه مقدار الثلث ليكون متمكنا من النفس ورأيت فى بعض كتب الطب أن كسرى سأل طبيبا ما الداء الذى لا دواء له؟ قال ادخال الطعام على الطعام فذاك الذى أفنى البرية وقتل سبع البرية ، فسأله عن الحمية فقال الاقتصاد فى كل شىء فاذا أكل فوق المقدار ضيق على الروح اه (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) وأخرجه النسائى من طريق الترمذى ومن طريق أخرى وأخرجه القاضى عياض فى الشفاء من طريق أبى نعيم الحافظ والبزار وفى الجامع الصغير

(أكلات) أى لقم * وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الأنصارى الحارثى رضى الله عنه قال « ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً

وأخرجه احمد وابن ماجه والحاكم فى المستدرك (أكلات أى لقم) بضم ففتح جمع لقمة وهذا يقتضى فتح أولى أكلات (١) والأنسب لقمات لان جمع السلامة من جموع القلة فلذا قال التلمسانى فى حواشى الشفاء فيه إيماء الى أنه لا يصل بها العشرة ولعل المصنف وضع جمع الكثرة موضع ضده مجازا كقوله تعالى « ثلاثة قروء » وعن أبى امامة) بضم الهمزة وميمين خفيفتين بينهما الف (إياس) بكسر الهمزة والتحتية المخففة آخره مهملة قال فى الاصابة : هذا اسمه عند الاكثر وقيل اسمه عبد الله وبه جزم أحمد بن حنبل وقيل ثعلبة بن سهل وقيل أبو عبد الرحمن قال أبو عمرو اسمه اياس ولا يصح غيره (ابن ثعلبة) بالمثلثة المفتوحة والمهملة الساكنة بعدها لام فموحدة مفتوحتين فهاء (الانصارى الحارثى) بالمهملة آخره مثلثة نسبة للحارث بن الخزرج أحد أجداده وقيل انه بلوى حليف بنى حارثة وهو ابن أخت أبى بردة بن دينار (رضى الله عنه) وتوفى منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من أحد فصلى عليه قال فى أسد الغابة رواية من روى عنه مرسلة لانه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم وكذا رواية محمود بن الربيع عنه فانه ولد قبل وفاة اياس على القول أنه قتل يوم أحد والصحيح أنه لم يتوف حينئذ انما كانت وفاة أمه عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر فرده صلى الله عليه وسلم من أجلها فرجع فوجدها ماتت فصلى عليها ولم يشهد بدرا لذلك ومما يقوى أنه لم يقتل بأحد أن مسلما روى فى صحيحه باسناده عن عبد الله بن كعب عن أبى امامة ابن ثعلبة « من اقتطع حق مسلم بيمينه » الحديث فلو كان منقطعا ولم يسمع أبى بن كعب منه لما أخرجه مسلم فى الصحيح اه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ذكر منها المزى فى الاطراف حديثين حديث مسلم وحديث الباب وقال فى الاصابة روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث منها عند مسلم وأصحاب السنن انفرد به مسلم عن البخارى فخرج له الحديث المار فى كلام أسد الغابة وهو عند النسائى وابن ماجه (قال ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما

---

(١) صوابه ضم أولى أكلات . ع

عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمعون ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان يعنى التقحل »

عنده) أى النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة إفراد الضمير وإن كان خلاف الغالب (الدنيا) أى زينتها والترفع فيها بالملبس وغيره (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا) بالتخفيف أداة عرض وأتى بها تحريضا على الاستماع لما بعدها والاصغاء اليه (ألا تسمعون ألا تسمعون) قال ابن رسلان فى شرح السنن فى الكلام أنواع من التأكيدات ألا الدالة على العرض والتحضيض على الاستماع والتأكيد بتكرير الكلمة والتصريح بالاصغاء بالاستماع سماع فهم وانتفاع ، مع أنه صلى الله عليه وسلم عالم بأنهم يستمعون لما يقوله ويبادرون إلى امتثاله لكن يكون أبلغ فى الموعظة والاتيان بلفظ (إن) التى للتأكيد وهى عوض إعادة الكلام مرتين (البذاذة من) كمال (الايمان) الراسخ فى القلب قال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم أى جلد وعوتب على رضى الله عنه فى إزار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وإنما كانت البذاذة من الايمان لما تؤدى اليه من كسر النفس والتواضع ، ولكن ليس ذلك عند كل أحد بل يورث عند بعض الناس من الكبر ما يورثه لبس نفيس الثياب عند آخرين . وبالجملة فالمحبوب التوسط فى الثياب كما سيأتى بسطه فى كتاب اللباس (ان البذاذة من الايمان) وفى بعض نسخ أبى داود تكراره ثلاثا ولا ينافى حديث الباب وما فى معناه وايثاره صلى الله عليه وسلم بذاذة الهيئة ورثاثة المنظر وتبعه عليه السلف الصالح مااختاره جمع أئمة من متأخرى الصوفية وغيرهم لأن السلف لما رأوا أهل الهوى يتفاخرون بالزينة والملابس أظهروا لهم برثاثة ملابسهم حقارة ماحقره الحق مما عظمه الغافلون ، والآن قد قست القلوب ونسى ذلك المعنى فاخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا فانعكس الامر وصار مخالفتهم فى ذلك تبعاً للسلف ومن ثم قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى لذى رثاثة أنكر عليه جمال هيئته باهذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتكم هذه تقول أعطونى من دنياكم (يعنى التقحل) هذا قول أبى داود تفسير للبذاذة كما صرح به شارح سنن

رواه أبو داود « البذاذة » بالباء الموحدة والذالين المعجمتين وهى رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس « وأما التقحل » فبالقاف والحاء قال أهل اللغة المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه . وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَّر علينا أبا عبيدةَ رضى الله عنه نتلقى عيراً لقريش

أبى داود ابن رسلان فقال قال المصنف البذاذة يعنى التقحل بفتح التاء والقاف وبالحاء المهملة المشددة (رواه أبو داود) فى الترجل من سننه ورواه ابن ماجه فى الزهد (البذاذة بالباء الموحدة) المفتوحة (والذالين المعجمتين) الخفيفتين (وهى رثاثة) بالراء والمثلثتين الخفيفات مصدر رث الشيء أى خلق قال فى النهاية وأصل اللفظة من الرث وهو الثوب الخلق اه والمراد منه فى عبارته ضد الجيد من (الهيئة وترك فاخر الثياب) أى تواضعا فى اللباس يقال فلان بذ الهيئة وباذها أى رث الاسة والمراد التواضع فى اللباس وترك التبجح به قال هارون الرشيد سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس (وأما التقحل فبالقاف والحاء) أى المهملة كما تقدم (قال أهل اللغة المتقحل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه) أى التنعم لسوء الحال قال ابن رسلان يقال قد قحل الرجل قحلا إذا التزق جلده بعظمه من الهزال ٭ (وعن أبى عبدالله جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى سنة ثمان (وأمر) بتشديد الميم أى جعل أميراً (علينا أباعبيدة) ابن الجراح أحد العشرة (رضى الله عنه) وفيه تأمير أهل الفضل وقد اتفقت روايات الصحيحين على تأميره فى تلك السرية فهو المحفوظ وفى رواية أن أميرها قيس بن سعد بن عبادة قلت على أن أحد رواتها ظن من ذبح قيس النياق للجيش تأميره فصرح به وليس كذلك (نتلقى عيراً لقريش) جملة مستأنفة لبيان سبب البعث ، والعير بكسر العين المهملة القافلة التى تحمل البر والطعام ثم صريح هذه الرواية ما ذكر من تلقى العير لكن عند ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم بعثهم إلى حى من جهينة وأن ذلك كان فى شهر رجب ويمكن الجمع بين كونهم يتلقون عير قريش ويقصدون الحى من جهينة ويقوى هذا الجمع ما عند مسلم أيضاً عن جابر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا إلى أرض

وزوّدنا جِراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرةً تمرة ، فقيل كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال نَمصُّها كما يَمصُّ الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل

جهينة فذكر القصة الذى يتلقى (١) عير قريش لا يتصور أن يكون فى الشهر الذى ذكر ابن سعد أى رجب من سنة ثمان لأنهم حينئذ كانوا فى الهدنة الا ان كان تلقيهم العير لحفظها من جهينة ولذا لم يقع فى الحديث أنهم قاتلوا أحدا بل فيه أنهم أقاموا شهراً أو أكثر فى مكان واحد (وزودنا جرابا) أى ملأه (من تمر) بفتح الفوقية وقوله (لم يجد لنا غيره) استئناف لبيان سبب الاقتصار على ذلك القليل فى ذلك العدد الكثير (فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة) هذا من باب قولهم ركب القوم دوابهم أى لكل واحد تمرة وهذا باعتبار آخر فعل أبو عبيدة والا ففى البخارى فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فنى فلم يكن يصيبنا إلا تمرة وكذا قال المصنف في شرح مسلم الظاهر أن قوله قسم تمرة تمرة إنما كان بعد أن قسم قبضة قبضة فلما قل تمرهم قسم تمرة تمرة ، والجراب هو الذى زودهم به صلى الله عليه وسلم وكانت عندهم أزوادهم من تمر لأنفسهم كما يدل عليه قوله فى رواية للبخارى ومسلم فكنا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودى تمر قال فى الفتح وقول عياض يحتمل أنه لم يكن فى أزوادهم تمر غير الجراب المذكور مردود بما ذكر (فقيل) يحتمل أن يكون القائل وهب بن كيسان الراوى عن جابر فان فى رواية البخارى فى المغازى التصريح بأنه سأل جابرا ما يغنى عنكم تمرة فقال قد وجدنا فقدها حين فقدت فلعله سأل فقال (كيف كنتم تصنعون) قال البيضاوي فى التفسير تصنعون أبلغ من تعملون من حيث أن الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتردد وترو وتحر وإجادة (بها قال نمصها) لم يصدر قال بفاء ولا واو بل أتى بها مستانفا لأن مراده الاخبار عن قوله ذلك مع قطع النظر عن كونه أخبر حالا أو بعد (كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء) أى بعض الماء (فتكفينا يومنا إلى الليل) ففيه ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من الزهد فى الدنيا والتقلل

---

(١) قوله (الذى يتلقى الخ) لعله (لكن تلقى الخ) . ع

وكنا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبطَ ثمَّ نَبُلُهُ بالماء فنأكله ، فانطلقنا على ساحل البحر فرُفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكَثِيب الضخم فأتيناه فاذا هى دابة تدعى العنبَر

منها والصبر على الجوع وخشونة العيش ، وفيه كرامة له صلى الله عليه وسلم حيث كفى الواحد منهم نهاره تمرة واحدة لكونها حلت عليها بركته ، وفيه أن توقف الشبع على الأكل ليس على جهة اللزوم وإنما ذلك فعل الله يفعله عقبه تارة ومن غيره أخرى كما قال ﷺ « إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » أى يجعل فى قوة الطاعم والشارب على أحد الأقوال ومنه قوله « أطعمهم من جوع » على القول بأن من تبعيضية والله أعلم وفنى التمر كما فى رواية أخرى لها فلم يصلهم ولا تمرة تمرة فوجدوا فقدها كما تقدم عن جابر فعنده ضربوا الشجر كما قال (وكنا نضرب بعصينا) بكسر أوله اتباعا لكسر ثانيه وتشديد التحتية ويجوز ضم أوله (الخبط ثم نبله بالماء) هذا يدل على أنه كان يابساً بخلاف ما جزم به الداودى أنه كان أخضر رطباً قاله فى الفتح قلت ولعل الماء كان لاذهاب خشونته ولاساغته فلا يخالف ما قاله الداودى (فنأكله فانطلقنا على ساحل) بالمهملتين أى شاطىء (البحر فرفع) بالبناء للمجهول (لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب) بالمثلثة والتحتية والموحدة بوزن قريب الرمل المستطيل المحدودب . وأحد الظروف نائب الفاعل والظرفان حالان متداخلان أو مترادفان منه (الضخم) بفتح المعجمة الأولى وسكون الثانية بمعنى العظيم (فأتيناه) أى المرفوع لنا (فاذا هى) أى المرفوع لنا والتأنيث رعاية لقوله (دابة تدعى) بالبناء للمجهول (العنبر) بفتح أوله وثالثه الباء الموحدة وسكون ثانيه النون المزيدة ويجوز إبداله وإدغامه فى الثالث ، قال فى فتح البارى قال أهل اللغة هى سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلدها الترسة يقال إن العرف المشموم رجيع هذه الدابة قال ابن سينا بل المشموم يخرج إنما يوجد فى أجواف السمك الذى يبتلعه ونقل الماوردى عن الشافعى قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتاً فى البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفى البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من بطنها وقال الأزهرى العنبر سمكة تكون بالبحر الأعظم يبلغ طولها خمسون ذراعا يقال لها

فقال أبو عُبيدة ميتة ثم قال لا ، بل نحن رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله وقد اضطُررتم فكلوا فأقمنا عليه شهراً ونحنُ ثلاثمائة حتى سمِنَّا ،

بالة وليست بعربية اه (فقال أبو عبيدة) هى (ميتة) أى وإن كانت ميتة للضرورة والميتة محرمة بنص الكتاب (ثم) تغير اجتهاده وأرشد للصواب (فقال لا) أى لا يحرم تناولها وإن كانت ميتة للضرورة ، فالمنفى ما دل عليه كلامه السابق من تحريم تناولها وحذف لدلالة المقام عليه (بل) اضراب عما ظنه أولا (نحن رسل) بضمتين ويجوز إسكان ثانيه تخفيفاً (رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله) أى ونحن فى طاعة الله وفى جهاد أعدائه وأعداء نبيه صلى الله عليه وسلم ففيه إيماء إلى قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » ولى فى هذا المعنى بديهاً

اتق الله سائر الأزمان لا تخف من طوارق الحدثان
يرزق الله متقيه ويكفيه فهذا قد جاء فى القرآن

(وقد اضطررتم) جملة مستأنفة ويحتمل أن تكون حالية وعدل عن التكلم اليه تفننا فى التعبير وتحصيلا للالتفات المورث فى الكلام طراوة وحسنا ونضارة (فكلوا) الفاء فيه للتفريع (فأقمنا) المعطوف عليه محذوف أى فأكلنا فأقمنا (عليه شهراً) وفى رواية الصحيحين فأكل منه القوم ثمانى عشرة ليلة وفى رواية لهما فأكلنا منه نصف شهر قال فى فتح البارى : ويجمع بأن الذى قال ثمانى عشرة ضبط مالم يضبطه غيره ومن قال نصف شهر ألغى الكسر الزائد عليه وهو ثلاثة أيام ومن قال شهرا جبر الكسر وضم بقية المدة التى كانت قبل وجدانهم ورجح المصنف رواية الباب لما فيها من الزيادة وجمع القاضى بأن من قال نصف شهر أراد أكلوا منه تلك المدة ومن قال شهرا أراد قد زودوه فأكلوا منه باقى الشهر وقال ابن التين إحدى الروايتين وهم ، قال الحافظ ولعل الذى سلكته من الجمع أولى ووقع عند الحاكم اثنى عشر وهى شاذة وأشذ منها رواية فأقمنا قبلها ثلاثا (ونحن ثلاثمائة) جملة حالية من فاعل أقمنا (حتى) غاية للاقامة عليها أى فأكلنا منها إلى أن (سمنا) يحتمل أكلهم منه زيادة على الحاجة حتى نشأ عنه السمن وأنهم يرون حل ذلك من الميتة عند الضرورة إلى التناول منها ويحتمل أنه تغير اجتهادهم بعد فرأوا حل ميتة البحر

ولقد رأيتُنا نغترفُ من وَقْبِ عينه بالقِلَالِ الدهنَ ونقطع منه القِدَرَ كالثور أوْ كقدر الثوْر ، ولقدْ أخَذَ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقْبِ عينه ، وأخذ ضِلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رَحَل أعظم بعير معنا فمرَّ من تحتها

والله أعلم) ولقد رأيتنا نغترف) أتى به من باب الافتعال الدال على المبالغة إيماء الى الكثرة (من وقب عينه) بالافراد (بالقلال) بكسر القاف وتخفيف اللام جمع قلة بضم القاف وتشديد اللام (الدهن ونقطع) بتخفيف الطاء المهملة كذا فى النسخ والتضعيف فيه أنسب بالافتعال فيما قبله (القدر كالثور) بالمثلثة ذكر البقر (أو) شك من الراوى (كقدر الثور) والجملة جواب القسم المقدر وهو وجوابه مستأنف عطف عليه قوله (ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينه)وعطف عليه أو على المعطوف عليه قوله(وأخذ ضلعا) بكسر الضاد المعجمة قال فى المصباح أما اللام فتفتح فى لغة الحجاز وتسكن فى لغة تميم وهى أنثى اهـ (من أضلاعه فأقامها) أى منصوبة (ثم رحل أعظم بعير معنا) بتخفيف الحاء المهملة أى جعل عليه الرحل (فمر من تحتها) جاء فى رواية عبادة ابن الصامت عند ابن اسحق ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا فخرج من تحتها وما مسك رأسه قال الحافظ فى الفتح ولم أقف على اسم هذا الرجل وأظنه قيس بن سعد بن عبادة فان له ذكرا فى هذه الغزوة وكان مشهورا بالطول وقصته فى ذلك مع معاوية لما أرسل اليه ملك الروم بالسراويل معروفة ذكرها المعافى الحريرى فى الجليس وأبو الفرج الاصبهانى وغيرهما ومحصلها أن أطول رجل من الروم نزع له قيس بن سعد سراويله فكان طول قامة الرومى بحيث كان طرفها على أنفه وطرفها على الأرض وعوتب قيس على نزع سراويله فى المجلس فأنشد

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وألا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد الاولى وثمود (١)

---

(١) كذا ، والشطر غير متزن إلا بحذف واو (الاولى) وفى كتب اللغة أن الاولى بحذف الواو مقلوب الأول جمع أول فلعله هنا كذلك ، بقى أن لفظ ثمود يكون مجرورا ولفظ شهود مرفوع . ع

وتَزوَّدنا من لحمه وَشائِقَ ، فلما قَدِمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا لهُ ذلك ، فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ، فأرسلنا إلى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم منهُ فأكلهُ » رواه مسلم الجِرابُ وعاء معروفٌ وهو بِكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح

(وتزودنا من لحمه وشائق) معطوف على ما قبله ويحتمل أن يكون مستانفا إذلا حاجة لتاكيد مثله بالقسم لان ما ثبت عظمه من الحيوان بما ذكر قبله لا يستبعد تزود ذلك منه (فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال) مبينا لحكمه وحكمة عثورهم عليه (هو رزق) في الاصل مصدر والمراد به اسم المفعول كقوله تعالى « هذا خلق الله » أي مخلوقه (أخرجه الله لكم) وزاد في تطمين قلوبهم في حله ونفي الشك في إباحته لأنه ارتضاه لنفسه قوله (فهل معكم من لحمه شيء) ويجوز أن يكون قصد التبرك به لكونه طعمة من الله تعالى خارقة للعادة أكرمهم الله بها أشار اليه المصنف ومن للتبعيض وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف هو الخبر وتقديمه مع وجود المسوغ للابتداء بشيء وهو تقدم الاستفهام للاهتمام والظرف قبله في محل الحال وكان في الاصل صفة شيء قدم عليه فصار إلى ما ذكرنا كقوله « لمية موحشا طلل » وقوله (فتطعمونا) جواب الاستفهام (فارسلنا الى رسول الله ﷺ منه فاكله) أي عقب وصوله بلا تراخ كما تؤذن به الفاء وذلك لما تقدم في قوله فهل معكم الخ (رواه مسلم) أي بهذا اللفظ في الأطعمة من صحيحه وإلا فحديث جابر في هذه السرية قد رواه البخاري في الشركة وفي الجهاد وفي المغازي من صحيحه ولعل ما ذكرنا سبب الاقتصار على العزو لمسلم أو غاب عن الشيخ حينئذ تخريج البخاري له ولا عيب في مثله ورواه الترمذي في الزهد وقال حسن صحيح والنسائي في الصيد وفي السير وابن ماجه في الزهد كذا يؤخذ من الأطراف ملخصا (الجراب وعاء) بكسر الواو والعين المهملة المخففة بعدها ألف ممدودة (من جلد) أما من غيره فلا يسمى بذلك (معروف وهو بكسر الجيم) وجمعه جرب ككتاب وكتب وسمع أجربة كذا في المصباح (وفتحها والكسر (١) أفصح) وكذا قال في شرح مسلم ولم يبين

---

(١) في النسخ (والفتح) وهو تحريف

قولهُ (نمصُّها) هُوَ بفَتحِ الميم ، والخَبَطُ وَرقُ شجرٍ معرُوفٍ تأكلهُ الإبلُ . والكَثِيبُ التَّل من الرَّمل ، والوَقْبُ بفتحِ الواو وإسكان القاف وبعدها باء مُوحدَة وهى نقرَةُ العينِ والقلالُ الجرارُ ، والفِدَرُ بكسر الفاء وفتح الدّال ، القطع

قائل كل من القولين وقد بينه القاضى عياض فقال الجراب وعاء من جلد كالمزود ونحوه وهو بكسر الجيم وكذا قيده الخليل وغيره وقال القزاز بفتح الجيم ومثله فى المطالع لابن قرقول لكن فى الصحاح الجراب أى بكسر الجيم معروف والعامة تفتحه وفى المصباح ولا يقال جراب بالفتح قاله ابن السكيت وغيره (وقوله يمصها بفتح الميم) وفتح التحتيه (١) قبلها وسكت المصنف عنه لأنه معلوم وتشديد الصاد المهملة ويجوز ضم الميم كما فى شرح مسلم قال والفتح أفصح وأشهر لكن فى المشارق والمطالع تعين فتح الصاد من قوله « امصص بظر اللات » وأنه من باب علم وحينئذ فهذا يعين الفتح كما اقتصر عليه المصنف هنا والله أعلم (والخبط) بفتح أوليه المعجمة والموحدة وبالمهملة (ورق شجر معروف تأكله الابل) عبارة النهاية الخبط أى بسكون الموحدة ضرب الشجر بالعصى ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط فعل بمعنى مفعول. وهو من علف الابل اه ومثلها فى المصباح وحينئذ فما ذكره المصنف بيان للمراد فى الحديث وأن هذا النوع الخاص سمى وحده بهذا الاسم كما يطلق على كل متساقط من الورق بالخبط (والكثيب) بضبطه السابق فى الشرح (التل) بفتح الفوقية وجمعه تلال وهو المرتفع أى الرابية (من الرمل) قال فى المصباح : سمى به لاجتماعه وفى فتح البارى الكثيب الرمل المستطيل المحدودب (والوقب بفتح الواو وسكون القاف وبعدها باء موحدة وهى نقرة العين) النقرة بضم النون حفرة غير كبيرة والمراد المجوف من عظم الرأس لمحل العين (والقلال) بكسر القاف جمع قلة وهى الجرة الكبيرة التى يقلها الرجل بين يديه كذا فى شرح مسلم وحينئذ فكان على الشيخ أن يزيد على قوله (الجرار) بكسر الجيم وتخفيف الراءين قوله الكبار وسميت القلة بذلك لأن الرجل العظيم يقلها أى يرفعها من الأرض (والفدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع) هذا أحد قولين حكاهما فى شرح مسلم وقال إنهما

---

(١) نسخ المتن بالنون لا التحتية . ع

(رَحلُ البعيرَ) بتخفيف الحاء أى جعل عليه الرَّحل . (الوشائق) بالشين المعجمة والقاف اللحمُ الذى قُطع ليقدَّدَ والله أعلم * وعن أسماء بنت يزيدَ رضى الله عنها قالت « كانَ كمّ قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرصغ »

وجهان مشهوران فى نسخ بلادنا أى من صحيح مسلم أحدهما بقاف مفتوحة ثم دال ساكنة أى مثل الثور والثانى بفاء مكسورة ثم دال مفتوحة جمع فدرة والأول أصح وادعى القاضى عياض أنه تصحيف وأن الثانى الصواب وليس كما قال بل هما صوابان اه وبه يعلم أنه هنا متابع للقاضى عياض (ورحل البعير بتخفيف الحاء) قال فى المصباح من باب نفع (أى جعل عليه الرحل) أى شده عليه كما فى المصباح والرحل للجمل بمنزلة السرج للفرس (الوشائق بالشين المعجمة والقاف اللحم الذى قطع ليقدد) اللام فيه للصيرورة أى ليبس أى فيؤكل يابسا وهذا قول حكاه فى الصحاح عن أبى عبيد عن بعضهم أن الوشيق بمنزلة القديد لا تمسه النار حكاه فى شرح مسلم بقوله وقيل الوشيق والقديد وقال أولا قال أبو عبيد هو اللحم يؤخذ فيغلى اغلاء ولا ينضج ويحمل فى الأسفار ومثله فى الصحاح وزاد قوله وهو أبقى قديد يكون (وعن أسماء) بسكون السين المهملة آخره ألف ممدودة (بنت يزيد) بفتح الياء الأولى وسكون الثانية بينهما زاى مكسورة ابن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهر بن خيثم الأنصارى (رضى الله عنها) ولما لم يكن فى الصحابيات أسماء بنت يزيد سواها لم يقيد بقوله الانصارية تكنى أم سلمة ويقال أم عامر قال الحافظ فى التقريب لها أحاديث قلت عدتها أحد وثمانون وخرج لها البخارى فى الادب المفرد وروى عنها الاربعة وفى أسد الغابة أنها ابنة معاذ بن جبل وأنها قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها (قالت كان كم قميص رسول الله ﷺ) قال فى المصباح : كم القميص معروف جمعه أكمام وكمة مثل عنبة (الى الرصغ) وحكمة الاقتصار عليه أنه متى جاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد فكان جعله اليه أمراً وسطا وخير الامور أوساطها ولا تنافى هذه الرواية رواية أسفل من الرسغ لاحتمال تعدد القميص أو أن المراد

رواهُ أبو داود والترمذى وقال حديث حسن « الرصغ » بالصاد ، والرسغُ بالسين أيضاً هو المفصلُ بين الكفّ والساعد . وعن جابر رضى الله عنه قال « إنا كنا يومَ الخندق نحفرُ فعرَضت لنا كُدْيةٌ شديدة فجاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هـذه كُدْية عرضتْ فى الخندقِ ، فقال أنا نازل ثم قام وبطنهُ معصُوبٌ

التقريب لا التحديد (رواه أبو داود والترمذى)قال ابن حجر الهيثمى فى أشرف الوسائل هو بالصاد عندهما (وقال حديث حسن) ورواه النسائى قال وهو عند غيرهما بالسين (الرصغ) بضم الراء وسكون المهملة وضمها للاتباع لغة بعدها معجمة (بالصاد والرسغ بالسين) أى المهملة أيضا (هو) أى هنا (المفصل بين الكف والساعد) وإلا ففى المصباح انه من الانسان مفصل مابين الكف والساعد والقدم أى مشترك بينهما ثم ظاهر عبارته أن السين والصاد كل منهما أصل غير منقلب عن الآخر وعبارة النهاية تشهد له وهى الرصغ لغة فى الرسغ اه (وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال إنا كنا يوم) أى زمن وهو ظرف للفعل الآتى بعد (الخندق)وكان حفره لما تحزبت قريش وأحابيشها الى أن بلغوا عشرة آلاف فأرادوا حرب المدينة فأشار سلمان بحفر الخندق حول المدينة فأمر به ﷺ وكان ذلك فى السنة الخامسة من الهجرة قال ابن اسحاق فى شوال وقال ابن سعد فى ذى القعدة (نحفر فعرضت لنا كدية شديدة) أى تامة الآباء عن تأثير الفئوس فيها(فجاءوا الى النبى صل الله عليه وسلم) قال فى المصباح جاء زيد يجىء مجيئًا حضر ويستعمل متعديا أيضا بنفسه فيقال جئت شيئًا حسنا أى فعلته وجئت زيدا اذا أتيت اليه وجئت به اذا أحضرته معك وقد يقال جئت اليه يعنى ذهبت اليه اه (فقالوا هذه كدية) وقولهم (عرضت فى الخندق) فى محل الصفة للكدية أتوا به إطنابا لطول المجاورة مع المصطفى صلى الله عليه وسلم نظير ما قيل فى قول موسى عليه السلام « أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى » والخندق معروف (فقال أنا نازل) عمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ترغيبا للمسلمين فلما سارعوا اليه قاموه قبل وصول المشركين وحصارهم (ثم قام وبطنه معصوب) قال فى المصباح : البطن خلاف الظهر وهو مذكر وفى

ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوقُ ذواقاً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعوَل فضرب فعاد كثيباً أهْيلَ فقلت يارسول الله ائذن لى إلى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما فى ذلك صبر فعندك شيء ؟ فقالت عندى شعير

البخارى وبطنه معصوب بحجر أى مربوط فوق الحجر (١) على بطنه الشريف وتقدمَ فى الباب حكمة ذلك والجملة حال من فاعل قام (ولبثنا) بالموحدة فالمثلثة أى أقمنا (ثلاثة أيام) ظرف لقوله (لانذوق ذواقا) بفتح الذال المعجمة مصدر بمعنى المذوق أى المطعوم أى لا نطعم فيها والجملة يحتمل كونها حالية باضمار قد من فاعل نحفر ويحتمل كونها معطوفة على الجملة الحالية ففيها بيان سبب عصب بطنه صلى الله عليه وسلم من طول مدة ترك الطعام ويحتمل كونها معترضة أتى بها لبيان أن ماحصل منه صلى الله عليه وسلم من التأثير فى تلك الكدية ليس ناشئا عن القوة المودعة فى الانسان عادة لغلبة الضعف عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ بترك تناول الطعام المدة المذكورة انما ذلك معجزة ثم رأيت الحافظ فى الفتح جزم بالاخير وقال إنه سبب العصب وغير خاف أن ماذكرناه محتمل وله وجه والله أعلم (فأخذ المعول) بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو بعدها لام أى المسحاة وعند أحمد فأخذ المعول أو المسحاة بالشك (فضرب فعاد) أى فصارت الكدية وذكرها باعتبار المضروب الدال عليه قوله فضرب (كثيبا أهيل) بوزن أحمد ثالثه تحتية وعند البخارى أهيل أو أهيم والمعنى أنه صار رملا لايتماسك قال الحافظ فى الفتح ضبط أهيم بالمثلثة وبالتحتية والمعروف الثانى وهى بمعنى أهيل (فقلت يا رسول الله ائذن لى الى البيت) الظرف الثانى متعلق بفعل محذوف يدل عليه المقام أى انصرف وفى الكلام حذف صرح به أبو نعيم فى روايته فى المستخرج فقال « فأذن لى » (فقلت لامرأتى) اسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية (رأيت) أى أبصرت (بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا) أى عظيما كما يدل عليه قوله (مافى ذلك صبر) أى مافى دفع ذلك فالسعي فى رفعه صبر أى تأخير لانه بالغ الغاية (فعندك شيء) بتقدير همزة الاستفهام أى أعندك ما تندفع به الحاجة فى الجملة (فقالت عندى شعير) جاء فى

---

(١) كذا بالاصول . ع

وعَنَاق فذَبحتُ العَناق وطَحنت الشعيرَ ، حتى جعلنا اللحم فى البرْمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمةُ بين الأثافى قد كادتْ تنضَج ، فقلت طُعَيِّم لى فقمْ أنْتَ يا رسول الله ورجل أوْ رجلان ، قال كمْ هو ؟ فذكرت له فقال كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرْمة ولا الخبز من التنُّور

رواية ابن بكير (١) انه صاع (وعناق) بفتح العين المهملة وتخفيف النون هى الأنثى من المعز (فذبحت) بتاء المتكلم (العناق وطحنت) بفتح حروف الفعل الثلاثى والتاء فيه للتأنيث وفاعله يعود الى امرأته (الشعير) وقوله (حتى جعلنا اللحم فى البرمة) بضم الموحدة وسكون الراء كما فى الفتح غاية لمقدر أى واستمريت (٢) غائبا عن الخندق الى ما ذكر وفى رواية الكشميهنى حتى جعلت (ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر) أى لان ورطب وتمكن منه الخبز (والبرمة بين الاثافى) بمثلثة وفاء ثلاثة أحجار يوضع عليها القدر (قد كادت) أى قاربت (تنضج) بفتح الفوقية والضاد أى تدرك الاستواء (فقلت طعيم) بتشديد التحتية صغره مبالغة فى تحقيره قيل من تمام المعروف تعجيله وتحقيره (لى) فى محل الصفة وأتى به طلبا لخبره صلى الله عليه وسلم بمجيئه الى منزله إجابة لدعوته (فقم أنت يا رسول الله) أكد الضمير المستكن بالضمير البارز لينبه على أنه المقصود بالاصالة فأكد دلالة على الاهتمام بذلك لا ليعطف عليه قوله (ورجل أو رجلان) لوجود الفصل بالنداء بين المتعاطفين وهو كاف لذلك (قال كم هو ؟ فذكرت له ذلك) أى ما ذكر قبله واستعمل فيه اسم الاشارة الموضوع للبعيد لأنه لما لم يسمع صار كأنه بعيد (فقال كثير طيب) لعل سؤاله عنه ليتنبه جابر إذا رأى شبع أولئك العدد الكثير من ذلك النزر اليسير فيعلم أنه معجزة له كما قيل به فى حكمة قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » وأن ذلك أثر قوله صلى الله عليه وسلم كثير طيب (قل لها) أى لامرأتك (لا تنزع البرمة) بكسر الزاى والفعل مجزوم والمراد أن لا تأخذ اللحم منها (ولا الخبز من التنور) بفتح الفوقية وتشديد النون

---

(١) فى نسخة « أبى بكر » (٢) الصواب (واستمررت) والمؤلفون كثيرا ما يتساهلون فى هذا الباب . ع

حتى آتى ، فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت وَيحكِ قدْ جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصارُ ومن معهمْ ؟ قالت هل سألك ؟ قلت نعم ، قال ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسرُ الخبز ويجعل عليه اللحم ويُخَمِّرُ البرْمة والتنورَ

وهو الذى يخبز فيه قال فى المصباح : وافقت فيه لغة العرب العجم وقال أبو حاتم ليس بعربى صحيح والجمع تنانير (حتى آتى) أى أجىء الى المنزل (فقال) أى لمن حضر من أصحابه حينئذ (قوموا فقام المهاجرون والانصار فدخلت عليها) أى بعد قيامهم قبل وصولهم المنزل (فقلت ويحك) بفتح الواو وسكون التحتية وهى كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد وهو منصوب باضمار فعل أى ألزمك الله ويحا ، كذا يؤخذ من الصحاح (قد جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن معهم) أى من مواليهم والمسلمين مما لم يهاجر جاء عنه فى رواية أخرى « فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق ! ! فدخلت على امرأتى أقول افتضحت جاءك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق أجمعين » (قالت هل سألك ؟ قلت نعم) زاد فى رواية « فقالت الله ورسوله أعلم نحن قد أعلمناه بما عندنا فكشفت عنى غماً شديداً » فيه دليل على وفور عقلها وكمال فضلها لعلمها أنه حيث علم بالطعام المدعو له ودعا من دعاه عليه إنما هو لما يعلمه من خرق الله تعالى العادات له معجزة فلذا (قال ادخلوا) لأن فى الحقيقة الدعوة إنما هى منه لأن الذى أشبع القوم إنما كان منه وما جاء به جابر لا يجدى فى أولئك (ولا تضاغطوا) بإعجام الضاد والغين وإهمال الطاء أى لا تزاحموا زاد فى رواية البخارى « فأخرجت له عجينتنا فبسق فيها وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبسق فيها وبارك » (فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم) إداما له ونظيره ما فى الشمائل للترمذى عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة فقال هذه إدام هذه وأكل » قال بعض الشراح يؤخذ من وضعها عليه أنه لا بأس بوضع الأدم على الخبز قال ابن حجر الهيتمى : ومحله إن سلم ما لم يقذر بحيث يعافه غيره (ويخمر البرمة والتنور) أى

إذا أخذ منه ، ويقرّبُ إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر ويغرفُ حتى شبعوا وبقى منه ، فقال كلى هـذا وأهدِى فان الناس أصابتهم مجاعةٌ » متفق عليه * وفى رواية قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خَمَصاً فانكفأتُ إلى امرأتى ؟

يغطيهما ويستمر التخمير (حتى إذا أخذ منه) أى إلى وقت أخذه منه (١) (ويقرب إلى أصحابه) الطعام المأخوذ (ثم ينزع) أى يأخذ اللحم من البرمة (فلم يزل يكسر) أى الخبز (ويغرف) من البرمة (حتى شبعوا) غاية لملازمته صلى الله عليه وسلم لاعطائهم الخبز من التنور والأدم من البرمة (وبقى منه) أى بعد شبع القوم بقية وحذف للابهام على السامع وتعظيما لقدر الباقى ويصح كون « من » فاعلا بناء على ما جرى عليه فى الكشاف من أنها بمعنى بعض حلت محله أى وبقى بعضه (فقال كلى هذا وأهدى) بقطع الهمزة أمر للمخاطبة ولعل تخصيصها بالخطاب دونه أنه أكل مع القوم دونها فكانت مشتغلة بالغرف والخبز أو أنها وإن أكلت حينئذ أيضا إلا أنها لما باشرت تعب ذلك أكثر منه جعل لها ذلك (فان الناس أصابهم مجاعة) هـذه جملة مستأنفة لبيان قوله وأهدى جاء فى رواية « فلم نزل نأكل ونهدى يومنا أجمع » وذكر الفعل لأن المسند اليه تأنيث مجازى وقد فصل بضمير المفعول فهو نظير قوله تعالى « قد جاءكم موعظة » وجاء التأنيث فى التنزيل أيضا قال تعالى « كذلك أتتك آياتنا » قال البدر الدمامينى : القوم على رجحان التذكير فى ذلك على التأنيث اظهارا لفضل المؤنث الحقيقى على غيره لكن الذى يظهر لى أن التأنيث أحسن بدليل أكثريته فى الكتاب العزيز وفشوه فيه جداً وأكثرية أحد الاستعمالين دليل على أرجحيته فينبغى المصير إلى القول بأن الاتيان بالسلامة فى ذلك أحسن وأفصح وتركها حسن فصيح اه (متفق عليه) أى من حيث المعنى وإلا فهو بهذا اللفظ للبخارى فى المغازى (وفى رواية) هى لها فرواها البخارى عقب الحديث قبله ومسلم فى الأطعمة من صحيحه عن سعيد بن مينا (قال جابر لما حفر الخندق) بالبناء للمفعول (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفأت) وعند البخارى فانكفيت بتحتية بدل الهمزة

---

(١) نسخ المتن بحذف (حتى) وهى أوضح . ع

فقلت هل عندك شيء؟ فانى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً ، فأخرجت إلى جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ، ففرغت إلى فراغى وقطعتها فى برمتها ثم

(إلى امرأتى) بعد أن استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الرواية قبله (فقلت هل عندك شيء) أى من الطعام والتنوين فيه للتقليل (فانى رأيت) أى أبصرت (برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً) وصف الخمص هنا تهييجا على إظهار ما عندها ان كان كما هو من عادة النساء من اخفاء بعض المتاع عن الازواج يعدونه لشدتهن أى لا شدة يدخر لمثلها فوق هذا (فاخرجت إلى جرابا فيه صاع من شعير) الصاع مكيال وصاع النبى صلى الله عليه وسلم الذى بالمدينة أربعة أمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادى وقال أبو حنيفة الصاع ثمانية أرطال لأنه الذى يعامل به أهل العراق ورد بان الزيادة عرف طار على عرف الشرع وسبب الزيادة ما ذكر الخطابى أن الحجاج لما ولى العراق كبر الصاع ووسعه على أهل الاسواق للشعير فجعله ثمانية أرطال قال الخطابى وغيره وصاع أهل الحرمين انما هو خمسة أرطال وثلث والصاع يذكر ويؤنث قال الفراء أهل الحجاز يؤنثونه وبنو أسد وأهل نجد يذكرونه وربما أنثه بعض بنى أسد قال الزجاج التذكير أفصح عند العلماء اه ملخصا من المصباح والظاهر أن المراد من الصاع المعروف عند أهل المدينة وهو الصاع الشرعى ، ومن فى قوله من شعير بيانية للصاع أى المكيل به (ولنا بهيمة) بتشديد التحتية (١) بالتصغير لما تقدم (داجن) أى ملازمة للبيت لاتقلت للرعى ومن شأنها أن تكون سمينة (فذبحتها) بضم التاء للمتكلم (وطحنت الشعير) بكسر تاء التانيث الساكنة لالتقاء الساكنين والفاعل ضمير يعود الى المرأة (ففرغت إلى) أى مع (فراغى) أى فرغت من الطحن مع فراغى من ذبح الداجن وسلخها (وقطعتها) كذا فى الأصول بتخفيف الطاء المهملة ولعله لصغر جثتها وإلا فالأنسب بالتكثير التشديد (فى برمتها) متعلق بمحذوف أى وألقيتها فى برمتها (ثم) كأن الاتيان بها لتأخره مشتغلا بايقاد النار وإصلاحها لسرعة النضج

---

(١) سيأتى أنه تصغير بهمة لا بهيمة فالصواب إسكان الياء لا تشديدها . ع

ولّيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تَفضحنِي برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فجئته فساررْته فقلت يارسول الله ذبحنا بُهيْمةً لنا وطحنتُ صاعا من شعير فتعال أنت ونفرٌ معكَ ، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أهل الخندقِ إن جابراً قد صنع سُورًا فحيهلاً

(وليت) أى انصرفت عنها متوجها (إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تفضحنى) بفتح الضاد المعجمة (برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه) أى لا تكشف عوارى وفاقتى بقلة ما يخرج اليهم المنبىء عن ذلك ، أو لا تعبنى بأن أنسب للبخل بذلك ومرادها الكناية عن تقليل المدعو اليه لبيان الطعام فيهم (فجئته فساررته) بالمهملة والراءين وصيغة المغالبة للمبالغة فى إخفاء ذلك الأمر وكتمه لئلا يطلع عليه أحد فيحضر من غير طلب لما بالناس من المجاعة فيقع فى الفضيحة ، وفيه جواز المسارة بحضرة الجمع إنما نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث وقوله (فقلت يارسول الله ذبحنا) لعل الاتيان فيه بهذا الضمير لأنه شورك فى ذبحها بامساك الشاة وأخذ الشفرة (بهيمة) بالتصغير (لنا) وأتى بالظرف لما تقدم فى نظيره من قوله « طعيم لنا » (وطحنت) بضم الفوقية أى أمرت المرأة بطحن (صاعا من شعير) فالاسناد مجازى كقولهم بنى الأمير المدينة (فتعال أنت ونفر) بفتح أوليه النون والفاء وهو كما فى المصباح وغيره جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة وقيل إلى سبعة ولا يقال فيما زاد على عشرة اه (معك) أتى به إعلاما بأنه المقصود أصالة وغيره بالتبع (فصاح النبي صلى الله عليه وسلم) يحتمل كون الاسناد حقيقيا وهو المتبادر لأن الذى وصفه به أنس أنه ليس صخابا فى الاسواق والخندق ليس منها ، وأيضا فالأمر دعا هنا الى رفع الصوت ليسمع القوم فيجيئوا ويحتمل أن يكون مجازيا أى أمر بذلك فيهم وعلى الوجهين فهناك مقدر تقديره فقال (ياأهل الخندق إن جابرا قد) للتحقيق (صنع سورا فحيهلا) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية المفتوحة والهاء (١) منونا وقيل بلاتنوين أى اقبلوا مسرعين

---

(١) لعله (وفتح الهاء) . ع

بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تُنزِلُنَّ برمتكم ولا تَخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء ، فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك و بك ، فقلت قد فعلتُ الذي قلتِ ، فأخرجتُ عجيننا

(بكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتنزلن) رأيته فى أصل مصحح من البخارى بفتح الفوقية وكسر الزاى مسندا لقوله (برمتكم) وفى نسخة مصححة من الرياض بضم الفوقية واللام فالفاعل ضمير الجماعة محذوف لالتقاء الساكنين ولدلالة الضمة عليه وفيه تغليب الحاضر على الغائب والمذكر على المؤنث فان الأمر بذلك له ولأهله (ولاتخبزن عجينكم) وفى نسخة من البخارى بضم الفوقية وفى أخرى بتحتية مضمومة بدل الفوقية وفتح الباء والزاى فيها مبنى للمجهول نائب فاعله ما بعده وهو على التحتية بحذف الفوقية من عجينتكم وفى النسخة المذكورة (١) بفتح أوله وكسر الموحدة وضم الزاى فالفاعل محذوف وعجينكم بحذف الفوقية مفعوله (حتى أجيء) غاية للكف عنهما المدلول عليه بالنهى عن فعل كل منهما (فجئت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم) أعاد العامل إيماء الى أن الواو للاعتراض ببيان صفة مجيئه صلى الله عليه وسلم كما بينه قوله (يقدم الناس) إذهو فى محل الحال قال المصنف وانما فعل هذا لأنه صلى الله عليه وسلم دعاهم فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة يمشى أمامهم وكان فى غير هذا الحال لا يتقدمهم ولا يمكنهم من وطء عقبيه وفعله هنا لهذه المصلحة اه والجملة معترضة بين المغيا وهو مجيئه والغاية وهى قوله (حتى جئت امرأتى) أى وأعلمتها بندائه صلى الله عليه وسلم فى أهل الخندق (فقالت بك وبك) بالموحدة فيهما وفتح الكاف تكلمت عليه أولا لظنها أنه لم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالامر ولم يفصح له عنه ، فلذا قال (فقلت قد فعلت) لايخفى ما بين قوله فقلت وفعلت من الجناس المصحف الخطى وفيه إطلاق الفعل على القول ولعله للفرار عن التكرار المستثقل فى السمع أى قلت (الذى قلت) بكسر الفوقية حينئذ سكن ما بها وهذا كما تقدم من كمال عقلها ووفور فضلها (فأخرجت عجيننا) فى المصباح العجين فعيل بمعنى

---

(١) أى النسخة المصححة من الرياض . ع

فبصق فيه وبارك فيه ، ثم عمد إلى بُرمتنا فبصق وبارك ، ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك ، واقدحى من بُرمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا

مفعول (فبصق) (١) بالموحدة والصاد المهملة قال المصنف كذا فى أكثر الاصول وفى بعضها بالسين وهى لغة قليلة والمشهور بصق وبزق وحكى جماعة من أهل اللغة بسق لكنها قليلة اه (فيه وبارك فيه) أى دعا بالبركة وهى الخير الكثير الدائم ودوام كل شىء بحسبه (ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك) أتى بثم إيماء الى أن تأخر ذلك منه فى الجملة وكأنه لأمر اقتضى تأخير وصوله صلى الله عليه وسلم لمحل البرمة وحذف متعلق كل من الفعلين إيجازا اكتفاء بدلالة الجملة الاولى عليه « ثم قال » لعل تأخير القول عن البصق والدعاء انه رأى الحاجة الى ذلك بعد فأمر به عند ظهورها (ادع خابزة فلتخبز معك) كذا فى الرياض من غير ياء فى ادع وبالكاف فى معك ، قال المصنف فى شرح مسلم هذه اللفظة وهى ادعى وقعت فى بعض الاصول هكذا بعين ثم تحتية وهو الصحيح الظاهر لانه خطاب للمرأة ولهذا قال فلتخبز معك وفى بعضها ادعونى وفى بعضها ادعنى وهما أيضا صحيحان وتقديرها اطلبوا لى واطلب لى اه والذى فى البخارى وقال ادع خابزة فلتخبز معى ولعله وقع مباشرة الخبز منه ﷺ تارة ومن المرأة أخرى فطلب فى كل معينا (واقدحى) أى اغرفى (من برمتكم ولا تنزلوها) فيه تغليب المذكر على المؤنث لشرفه فالخطاب لجابر والامر له ولامرأته وفيه إن لم يكونا أزيد من ذلك اطلاق الجمع على مافوق الواحد وكأن حكمة الابقاء ستر السر الالهى بابهام الحاضرين كثرتهم فتستمر سحائب الفيض متواترة معجزة له صلى الله عليه وسلم ولا يقع عليها نظرهم ابتداء فيستقلوها فيكون بسبب رفع البركة منها أخذا مما يأتى عن التلمسانى فى قصة أبى طلحة (وهم ألف) قال فى الفتح أى الذين أكلوا وهذه الرواية محكوم بها لزيادة ما فيها على رواية انهم كانوا سبعمائة أو ثمانمائة ورواية انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة ورواية انهم كانوا ثلاثمائة والقصة متحدة (فأقسم بالله لأكلوا) أكد بعدة مؤكدات دفعا لاستبعاد العقل بحسب العادة اكتفاء هذا العدد الكثير

---

(١) فى نسخ المتن بالسين ويدل عليها قول المصنف آخر « بسق أى بصق » اذ العادة تقديم مايراد تفسيره

حتى تركوه ، وانحرفوا وإن برمتنا لتغطّ كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو »
(قولهُ) عرَضتْ كُدْية ، هى بِضَم الكاف وإسْكان الدال وبالياء المثناة تحتُ ، وهى قطعة غليظة صُلبة من الأرض لا يعملُ فيها الفأس (والكثيبِ) أصْلُهُ تلّ الرمل . والمرادُ هنا صارت

بهذا القدر اليسير من الطعام (حتى تركوه) أى المذكور من خبز العجين ولحم الشاة (وانحرفوا) أى مالوا عن المنزل جهة مقصدهم (وان برمتنا لتغط) بكسر المعجمة وتشديد الطاء المهملة والجملة حالية وقوله (كما هى) مفعول مطلق أى تغط بعد انصرافهم شباعا مثل غطيطها قبل الاخذ منها (وان عجيننا ليخبز كما هو) جملة معطوفة على الجملة الحالية وهذه (١) القصة علمان من أعلام النبوة لتكثير الطعام القليل وعلمه صلى الله عليه وسلم بأن هذا الطعام القليل الذى يكفى فى العادة خمسة أنفس أو نحوهم سيكثر فيكفى ألفا وزيادة فدعا له ألفا قبل أن يصل اليه وقد علم انه صاع شعير وبهيمة والله أعلم (قوله عرضت كدية ، هى) فى رواية الاسماعيلى (بضم الكاف وإسكان الدال) المهملة (وبالمثناة تحت وهى قطعة غليظة صلبة) بضم الصاد المهملة أى شديدة قوية (من الارض) منه فى المصباح وفى فتح البارى هى القطعة الصلبة الصماء وقوله (لا يعمل فيها الفأس) بيان لتلك لا انه داخل فى مفهوم الكدية كما تقدم عن المصباح وغيره وعند أبى ذر أحد رواة البخارى أيضا (كيدة) بفتح الكاف وسكون التحتية قيل هى القطعة الشديدة الصلبة من الارض وقال عياض كأن المراد بها واحدة الكيد كأنهم أرادوا أن الكيد وهو الحيلة أعجزهم فلجئوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وعند ابن السكن كتدة بفوقية بدل التحتية قال عياض لا أعلم لها معنى (والكثيب) بوزن قريب بمثلثة وتحتية فموحدة (أصله تل الرمل والمراد هنا صارت) هذا تفسير « عادت » فانه يأتى كذلك ومنه قول الكفرة لشعيب « أو لتعودن فى ملتنا » فان الانبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها قولا واحدا ويأتى عاد بمعنى رجوع الشىء لما كان عليه وقد حمل بعضهم عليه الآية وقال انه باعتبار تغليب قومه لكثرتهم

---

(١) لعله (وفى هذه) . ع

تراباً ناعما وهو معنى أهْيَلَ و (الأثافى) الأحجار التى تكون عليها القِدْرُ (وتضاغطوا) تزاحمُوا و (المجاعة) الجوع وهى بفتح الميم (والخَمَصُ) بفتح الخاء المعجمة والميم الجوع (وانكفأت) انقلبت ورجعت والبهيمة بضم الباء تصغير بَهْمَةٍ

عليه وهى هنا فى الخبر لم يكن رملا ثم انعقدت كدية (١) بل الكدية أصلها فصارت بضربه صلى الله عليه وسلم معجزة له (ترابا ناعما) يسيل ولا يتماسك قال تعالى « وكانت الجبال كثيبا مهيلا » أى رملا سائلا (وهو معنى أُهيل) والاقتصار على أهيل الذى جرى عليه الشيخ هو ما فى رواية الاسماعيلى وكذا عند أحمد كثيبا بهال وفى رواية للبخارى كما تقدم أهيل أو أهيم بالشك (والاثافى) تقدم ضبطه (الاحجار التى تكون عليها القدر) قال فى النهاية هى جمع أثفية وقد تخفف الياء فى الجمع يقال أثفيت القدر إذا جعلت لها الاثافى وثفيتها إذا وضعتها عليها والهمزة فيه زائدة اه (وتضاغطوا) بتخفيف الضاد المعجمة على أن احدى التاءين حذفت تخفيفا وبتشديدها على الادغام (تزاحموا) بالوجهين قال فى المصباح ضغطه ضغطا من باب نفع دفعه الى حائط أو غيره (والمجاعة الجوع) فهى مصدر ميمى (وهى بفتح الميم) وتخفيف الجيم قال فى النهاية : مفعلة من الجوع وفى المصباح أنها اسم مصدر كالجوع بضم الجيم المشترك بينه وبين مصدر جاع (والخمص بفتح الخاء المعجمة والميم) مثله فى شرح مسلم لكن فى فتح البارى وقد تسكن الميم (الجوع) فى الفتح وهو ضمور البطن ولا منافاة فبأحدهما يلزم الآخر (وانكفأت) أى بالهمزة فى رواية مسلم قال المصنف ووقع فى نسخ فانكفيت وهو خلاف المعروف فى اللغة بل الصواب انكفأت بالهمز اه وتقدم أنه بالياء عند البخارى وتوجيهه كما فى الفتح كأنه سهل الهمزة وقلبها ياء (انقلبت ورجعت والبهيمة بضم الباء) الموحدة وتشديد التحتية (٢) (تصغير بهمة) بفتح الموحدة وسكون الهاء قال فى المصباح : ولد الضأن تطلق على الذكر والأنثى وجمعها بهم كتمرة وتمر وجمع البهم بهام كسهم وسهام ويطلق البهام

---

(١) كذا، والمراد أنها فى الخبر لا تحمل على الرجوع لأن الكدية لم تكن رملا . ع

(٢) قد مر ما فيه قريبا فراجعه . ع

وهى العَناق بفتح العين .(والداجن)هى التى ألفت البيت . و (السؤر) الطعام الذى يدعى الناس إليه وهو بالفارسية (وحيهلاً) أى تعالوا ،

على أولاد الضأن والمعز إذا اجتمعت تغليبا فاذا انفردت قيل لأولاد الضأن بهام ولأولاد المعز سخال وقال ابن فارس البهم صغار الغنم وقال أبو زيد يقال لأولاد الغنم سائمة تضعها الضأن والمعز ذكرا كان الولد أو أنثى سخلة ثم هى بهيمة وجمعها بهم اه (وهى) أى المراد منها كما جاء التصريح به فى الروايات السابقة عن جابر فى الحديث السابق (العناق بفتح العين) المهملة وتخفيف النون آخره قاف قال فى المصباح هو الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول اه والمراد ماقاربها ليحصل به قرى الضيف (والداجن) بالدال المهملة والجيم والنون (هى التى ألفت البيوت) ولم تفلت للمرعى وذلك للاعتناء بها المنبيء عن كرمها وسمنها (والسؤر) بضم السين المهملة وإسكان الواو مهموز (الطعام الذى يدعى الناس اليه) قال فى شرح مسلم وقيل الطعام مطلقا (وهو بالفارسية) مثله فى شرح مسلم وخالفه الحافظ فى الفتح فقال وسكون الواو بغير همز أما بالهمز فهو البقية قلت ويؤيده أنه ذكره فى النهاية فى مادة السين والواو وبغير همز واقتصر على أنه الطعام المدعو اليه قال فى الفتح وهو هنا الصنيع بالحبشية وقيل العرس بالفارسية ويطلق على البناء الذى يحيط بالمدينة اه ويؤخذ منه أن إطلاقه على الطعام المذكور مجاز مرسل إذ هو بالفارسية العرس الملازم له عادة فأطلق اللازم وأريد الملزوم (وحيهلا) بتنوين هلا وقيل بلا تنوين ويقال حيهل (أى تعالوا) وقال فى الفتح هى كلمة استدعاء فيها حث أى هلموا مسرعين وهذا تفسير مراد وأما معناه ففى شرح مسلم للمصنف قيل عليك بكذا أو ادع بكذا هكذا قاله أبو عبيد وغيره وقيل معناه اعجل به وقال الهروى معناه هات وعجل به اه وفى النهاية هى كلمتان جعلتا كلمة واحدة فحى معناه أقبل وهلا أسرع وقال ابن يعيش فى شرح المفصل هو من أسماء الأفعال مركب من حى وهل وهما صوتان معناهما الحث والاستعجال وجمع بينهما وسمى به للمبالغة وكان الوجه ألا ينصرف كحضرموت وبعلبك إلا أنه وقع موقع فعل الأمر فبنى كصه ومه وفيه لغات وتارة يستعمل حى وحده نحو حى على الصلاة وتارة هلا وحدها ، واستعمال حى وحده أكثر من استعمال هلا وحده اه وقال صاحب

وقولها (بك وبك) أى خاصمتهُ وسبّته :لأنها اعتقدت أن الذى عندها لا يكفيهم فاستحيت وخفى عليها ما أكرم اللهُ سبحانه وتعالى به نبيّه صلى الله عليه وسلم من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة

البسيط فيه سبع لغات حيهل بفتح الياء المشددة والهاء كخمسة عشر وحيهلا بالتنوين لارادة التنكير وحيهلا بالألف من غير تنوين وحيهلا باسكانها (١) مع التنوين وإسكان الهاء كراهة لاجتماع الحركات وجاء متعديا بنفسه كحيهلا الثريد أى ائته أو أحضره وقربه وبالباء كحيهلا بعمر أى ائت به وبالى كحيهلا إلى كذا أى سارع وبادر إليه وبعلى كحيهلا على كذا أى أقبل عليه كذا فى مرقاة الصعود للسيوطى ويؤخذ منه تفسير المتعدى بالباء بائت به أن معنى قوله حيهلا بكم أى أقبلوا بأنفسكم (وقولها بك وبك) بالموحدة وفتح الكاف فيهما (أى خاصمته وسبته) قال فى شرح مسلم أى ذمته ودعت عليه وقيل معناه بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم وقيل معناه جرى هذا برأيك وسوء نظرك وبسببك (لأنها اعتقدت أن الذى عندها لا يكفيهم) وان جابراً لم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقدره (فاستحيت وخفى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه المعجزة الظاهرة والآية) العلامة الدالة على نبوته (الباهرة) من بهرت الشمس غلب نورها على كل ذى نور إذ كفى بهذا الطعام اليسير ذلك العدد الكثير ولا تخالف بين ما فى هذه الرواية من كونها قالت له ما ذكر من السبب وما تقدم فى الرواية قبلها من أن رفع غم جابر إنما كان بقولها هل كان سألك الخ لما فى الفتح للحافظ من الجمع بينهما بأنها أوصته أولا ألا يعلمه (٢) بالصورة فلما قال لها إنه جاء بالجميع ظنت أنه لم يعلمه بخاصمته فلما أعلمها أنه أعلمه سكن ما عندها لعلمها بامكان خرق العادة ثم اختلف العلماء فيما فى القصة من اكتفاء ذلك الجمع بذلك النزر اليسير هل هو مع بقاء الطعام على قلته ولكن ببركته صلى الله عليه وسلم أجرى الطعام القليل مجرى الكثير فيكفى كفايته ، وتوقف الشبع على كثرة

---

(١) قوله (باسكانها الخ) لعل هنا سقطا وتحريفا فلتراجع كتب اللغة . ع

(٢) كذا ، ولعل الصواب « أن يعلمه » . ع

(بَسق) أىْ بَصَقَ وَيُقَالُ أيضا (بَزق) ثلاث لغات ، (وعمد) بفتح الميم أى قصد ، و (اقدحى) أى اغرِفى والمِقدحةُ المِغْرَفَة ، (وتغِط) أى لغليانها صوت والله أعلم * وعن أنس رضى الله عنه قال « قال أبو طلحة لأم سليم قد سمعت صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شىء ؟

المأكول أمر عادى أو أن الله زاد فيه وكثره ويعبر عن القول الأول بتكثير الموجود وعن الثانى بايجاد المعدوم والثانى أقرب (بسق) بالسين المهملة (أى بصق)بالصاد المهملة وفى المصباح أن السين بدل من الصاد قال ومنعه بعضهم وقال لا يقال بسق بالسين إلا لزيادة الطول كالنخلة وغيرها وعزاه إلى الخليل (ويقال له أيضا بزق) بالزاى بدل الصاد (ثلاث لغات) وهذا لا يخالف ما ذكر عن المصباح من أن الأصل الصاد وأن السين والزاى بدلان منها (وعمد بفتح الميم) من باب ضرب كما فى المصباح (أى قصد ، واقدحى) بوصل الهمزة وفتح الدال المهملة (أى اغرفى والمقدحة) بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه ورابعه المهملين (المغرفة) بالغين المعجمة والفاء ووزن ما قبله وهما اسما آلة (وتغط) تقدم ضبطها (أى لغليانها صوت) وذلك كناية كثرة ما فيها إذ القليل يضعف غليانه عن رفع الصوت(والله أعلم * وعن أنس رضى الله عنه قال قال أبو طلحة) زيد بن سهل الأنصارى (لأم سليم) بضم السين المهملة زوج أبى طلحة وأم أنس ، وما فى وسيط الغزالى تبعا لشيخه الصيدلانى ومحمد بن يحيى صاحب البحر من أنها جدة أنس فغلط اتفاقا قاله المصنف فى التهذيب واختلف فى اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل أنيفة وقيل رميثة وقيل الرميصاء وهى بنت ملحان بكسر الميم ويقال بفتحها الأنصارية (قد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا) حال وهو مراد الاخبار ويحتمل أن يكون ضمن معنى فعل قلبي فعمل عمله من نصب المفعولين وإلا فسمع فى مثله لا ينصب إلا واحدا اتفاقا وقوله (أعرف فيه الجوع) فى محل الصفة لما قبله وأتى به تأكيداً أو دفعا لتوهم أنه لم يعرف ذلك منه صلى الله عليه وسلم بل توهمه (فهل عندك من شىء) من مزيدة فى المبتدأ لغرض التنصيص على التعميم واستغراق افراد ما يطلق عليه شىء أى يطعم بقرينة المقام وتقدمت حكمة الاتيان بهذا مع

فقالت نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخذت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسّته تحت ثوبي وردّتني ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت نعم

الاخبار بالواقع في ثاني حديثي قصة جابر (فقالت نعم) أي عندي شيء (فأخرجت أقراصا من شعير) أي بادرت الى اخراجها لأن الحال تأبى عن التأخير قال في فتح الباري عند أبي يعلى عن أنس «أن أباطلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فذهب فأجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ثم جاء به» الحديث (ثم أخذت خمارا) بكسر الخاء المعجمة ثوب تغطي به المرأة رأسها ووصفه بقوله (لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته) بفتح الدال وتشديد السين المهملتين قال في فتح الباري يقال دس الشيء يدسه دسا أدخله في الشيء بقهر وقوة اه أي أدخلته (تحت ثوبي وردتني ببعضه) والمراد انها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنسا بباقيه (ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا) مفعول ثان كقوله تعالى «تجدوه عند الله هو خيراً» فوجد فيه من أفعال القلوب يدل على العلم لان من وجد شيئا بحال علمه عليها وقوله (في المسجد) متعلق بثاني المفعولين ويصح تعلقه بوجدت وكونه حالا من فاعله أو من رسول الله ويقربه قوله (ومعه الناس) فانها جملة حالية ويجوز كونها معطوفة على ثاني المفعولين (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في البخاري فقال لي (أرسلك أبو طلحة) بالهمزة قبله مقدرة حذفت وقال الحافظ في الفتح إنه بهمزة ممدودة للاستفهام (فقلت نعم قال الطعام) يحتمل نصبه بنزع الخافض أي يدعو الى الطعام (١) ويؤيده قوله في رواية البخاري قال بطعام ويحتمل أن يكون مفعول جعل مقدرا وأل في الطعام جنسية (فقلت نعم)

---

(١) في نسخ المتن الطعام بهمزة فلام مكسورة وبالتنوين وهي أظهر فليتأمل .ع

فقال ألطعام ؟ فقلت نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرتهُ فقال أبو طلحة يا أمَّ سُلَيم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما يطعمهم ، فقالت الله و رسوله أعلم

قال الحافظ ظاهر هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أن أبا طلحة استدعاه الى منزله فلذا قال لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضى أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا بارسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية أن لا يكفيهم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حوله صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن رأى من أرسله عهد اليه اذا رأى كثرة الناس أن يستدعى النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية ألا يكفيهم أجمعين ذلك الطعام ومن عادته صلى الله عليه وسلم ألا يؤثر نفسه على أصحابه بمثل ذلك فلذا دعاهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فانطلقوا فانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة) قال فى الفتح جاء فى رواية زيادة وأنا حزين لكثرة من جاء معه (فأخبرته) أى بمجيئه صلى الله عليه وسلم ومجيء من معه وحذف ذلك إيجازاً لدلالة ماقبله عليه (فقال أبو طلحة يا أم سليم) فيه اكرام الرجل زوجه وندأوها بالكنية (قد) للتحقيق ويحتمل كونها للتقريب (جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس)هو وان كان من صيغ العموم لكونه اسم جنس محلى بأل إلا أن المراد هنا العموم العرفى أى الحاضرين مجلسه حينئذ فهذا عام أريد به خاص فهو مجاز قرينته الحال وفى رواية والناس بالواو بدل الموحدة والمآل واحد لأن المعنى والناس معه لكونه الجائى بهم والداعى لهم وجملة (وليس عندنا مايطعمهم) حالية من فاعل جاء أى مايطعمهم بقدر كفايتهم (فقال الله ورسوله أعلم) كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا لتظهر له الكرامة فى تكثير الطعام ودل ذلك على فطنة أم سليم ورجحان عقلها قال الحافظ بعد ذكر روايات فيها ملاقاة أبى طلحة للنبي صلى الله

فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمّى ما عندك يا أمّ سليم ، فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فُتّ وعصرت عليه أم سليم عُكّة فآدمته ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول

عليه وسلم وإخباره بقلة الطعام الذى عنده وفى رواية يعقوب « فقال أبو طلحة إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يسمع من أرى ، فقال أدخل فان الله سيبارك فيما عندك » وفى رواية أنس «فدخلت على أم سليم وأنا مندهش» وفى أخرى أن أبا طلحة قال يا أنس فضحتنا وللطبرانى فى الأوسط فجعل يرمينى بالحجارة (فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمى) قال الحافظ كذا لأبى ذر عند الكشميهنى ولغيره هلم وهى لغة حجازية هلم عندهم اسم فعل لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع ومنه قوله تعالى « هلم شهداءكم » وهى لطلب ما بعدها أى احضرى (ماعندك يا أم سليم فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت) بالبناء للمجهول (وعصرت عليه) أى على المفتوت المدلول عليه بالفعل قبله أو على الخبز والأول أقرب لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يصرف صارف لكن ما يأتى فى الكلام على قوله « ثم قال فيه ماشاء الله أن يقول » يؤيد الأول إلا أن يقال عصرها عليه بعد الفت زيادة فى التطرية وعصره قبله ليلين وينكسر فيه كما يزيد والله أعلم (أم سليم عكة) بضم العين المهملة وتشديد الكاف قال فى النهاية هى وعاء من جلد مستدير مختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص ومثله فى الفتح (فآدمته) بمد الهمزة وتخفيف الدال المهملة أى صيرت الخارج منها إداما له (ثم قال فيه) أى عليه (رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقول) فقال أبو طلحة قد كان فى العكة شىء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثيابه ثم مسح القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع

ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون »

ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص فى الجفنة يتسع وفى رواية فسحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا فيها بالبركة وفى رواية فجئت بها ففتح رباطهم ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة قال الحافظ بعد ذكر ذلك وتعيين راوى كل رواية منها : وعرف بهذا المراد بقوله ما شاء الله أن يقول (ثم قال ائذن لعشرة فأذن) بالبناء للفاعل أى المخاطب بذلك الأمر منه ﷺ من أنس وأبى طلحة ويحتمل أنه مبنى للمفعول (لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكلوا القوم كلهم) قال فى الفتح ظاهر هذه العبارة أن النبى ﷺ دخل منزل أبى طلحة وحده وبه صرح فى رواية لابن أبى ليلى ولفظها « فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل » قال فى الفتح وسئلت فى مجلس الاملاء عن حكمة تبعيضهم فقلت يحتمل أن يكون عرف أن الطعام قليل وفى صحفة واحدة فلا يتصور تحلق ذلك العدد الكثير « فقيل » لم لا دخل الكل وبعض مالم يسعه التحليق فكان أبلغ فى اشتراك الجميع فى الاطلاع على المعجزة بخلاف التبعيض فانه يطرقه احتمال تكرر وضع الطعام لصغر الصحفة « فقلت » يحتمل أن يكون ذلك لضيق الوقت والله أعلم اه وقال التلمسانى فى حاشية الشفاء وقيل حكمة ذلك العدد لئلا يقع نظر الكل على الطعام القليل فيزداد حرصهم ويظنون أنه لا يشبعهم فتذهب بركته وقوله كلهم توكيد أتى به للشمول وألا يتوهم أن المراد أكل المعظم (وشبعوا) أى ليس أكلا بقدر ما يسد الرمق ويقيم البنية بل الى حد الشبع ولا ينافيه النهى عن الشبع لانه فيمن أدمن عليه واعتاده وأما نادرا كما فى هذا فلا وأيضا فما هنا من قبيل خروجه صلى الله عليه وسلم للمطر وقوله فيه إنه حديث عهد بربه أى بتكوينه ومن قبيل حثو أيوب ما تساقط عليه من جراد الذهب فقال الله له ألم يكن فيما أعطيتك غنى عن هذا قال بلى ولكن هذا فضلك ولا غنى بنا عن فضلك والحديث فى الصحيح (والقوم سبعون رجلا أو ثمانون

متفق عليه * وفى رواية « فما زال يُدخل عشرة ويُخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيَّأها فاذا هى مثلها حين أكلوا منها » . وفى رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهلُ البيت وتركوا سؤْرا »

رجلا) قال فى الفتح كذا فى هذه بالشك وفى غيرها الجزم بالثمانين أى كما يأتى فى الرواية بعد . بل فى أخرى أكل منه بضعة وثمانون رجلا (متفق عليه) رواه البخارى فى باب علامات النبوة بطوله وفى الصلاة مختصراً وفى الأطعمة وغيرها ورواه مسلم فى الايمان ورواه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح والنسائى فى الوليمة كذا فى الأطراف للمزى (وفى رواية فما زال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (يدخل عشرة ويخرج عشرة) أى يأمر بذلك فاسنادها اليه مجازى بدليل الرواية السابقة (حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ثم هيأها) أى جمعها بعد تمامهم أجمعين أى وبعد أكله وأهل المنزل منه ويحتمل كونه بعد ذاك قبل هذا (فاذا هى) أى الصحفة باعتبار مافيها من الطعام (مثلها) على حالتها من قدر الطعام فيها حال وضعه قبل تناول أحد منه وهو مراده بقوله (حين أكلوا منها) واذا للمفاجأة والجملة الاسمية بعدها مضاف اليها والمعنى فاجأهم هذا الأمر الخارق للعادة معجزة له صلى الله عليه وسلم وذلك مساواتها بعد شبع الثمانين منها لها قبل وضعهم اليد فيها وفى رواية لمسلم ثم أخذ مابقى فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال دونكم هذا (وفى رواية) لمسلم من حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى الانصارى عن أنس (فأكلوا) الواو فيه ضمير يعود الى الصحابة المذكورين فى الخبر وقوله (عشرة عشرة) حال بمعنى مرتبين كذلك وكان حق الاعراب فيهما أن يكون فى أحدهما لكن لما قبله كلاهما كان تخصيص أحدهما به ترجيحا بلا مرجح فجرى الاعراب فيهما (حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت) قال المصنف فيه أنه يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان (وتركوا سؤرا) تقدم ضبطه ومعناه فى حديث جابر المذكور آنفا فى الحديث علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم

وفى رواية « ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم » وفى رواية عن أنس قال « جئتُ رَسول الله صلى الله عليه وسلم يوْماً فَوَجَدْتُه جالساً مع أصحابه وقدْ عصبَ بطْنه بعصابة فقلت لبعْض أصحابه لم عصّب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطْنه ؟ فقالوا من الجوع فذهبت إلى أبى طلحة وهو زوج أم سليم

من كفاية هذا القدر اليسير من الطعام ذلك العدد الكثير من الانام (وفى رواية) هى لمسلم أيضا فى الاطعمة من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس (ثم أفضلوا) أى أبقوا (ما بلغوا جيرانهم) وفى رواية وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا وفى رواية عن أنس حتى أهدت أم سليم لجيرانها ثم «ما» يحتمل كونها موصولة أو نكرة موصوفة عائدها ضمير مجرور محذوف أى ماوصلوا به جيرانهم ويحتمل كون العائد ضميرا منصوبا أى ما أوصلوه جيرانهم والجيران بكسر الجيم وسكون التحتية جمع جار (وفى رواية) لمسلم عن يعقوب بن عبد الله بن طلحة الانصارى (عن أنس) بطريق السماع منه كما صرح به مسلم (قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى للقيام بشىء من الخدم لانه كان خادمه صلى الله عليه وسلم (فوجدته جالساً) يحتمل كونه فى المسجد كما وجده فيه فى القصة قيل وقد صرح بذلك فى رواية عنه عند مسلم قال جئت النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا فى المسجد ينقلب ظهرا لبطن ثم ساق الحديث ويحتمل كونه فى غيره (مع أصحابه وقد عصب) قال المصنف يقال بالتخفيف والتشديد بمعنى أى ربط (بطنه بعصابة) قال مسلم : قال أسامة « وأنا أشك على حجر » وفعله ذلك ليسكن به بعض المعدة فيضعف عنه ألمها كما تقدم فى حديث جابر فى الباب فى حكمة شد الحجر على بطنه وقوله عصب الخ جملة حالية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من ضميره وهو لايخالف قوله فى الرواية السابقة ينقلب ظهراً لبطن كما قال المصنف بل أحدهما يبين الآخر أى كان كلا الأمرين فذكر فى كل من الروايتين أحدهما وترك الآخر سهوا أو لغيره (فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه فقالوا من) من فيه تعليلية لأنها ذكرت لبيان ما سأل عنه أنس من علة الربط أى لأجل (الجوع) وبسببه كقوله مما خطاياهم أغرقوا (فذهبت إلى أبى طلحة وهو زوج أم سليم) بنت

فقلت يا أبتاه قدْ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدْ عصَّب بطْنه بعصابة فسألتُ بعضَ أصحابه فقالوا من الجوعِ ، فدخل أبو طلحةَ على أمى فقال هلْ منْ شىء ؟ فقالت نعم عندى كِسَرٌ من خبز وتَمرات فإن جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدهُ أشبعناه ، وإن جاء معهُ آخرُ قلَّ عنهمْ » وذكر تمام الحديثِ

ملحان هذه جملة معترضة بين المتعاطفين أتى بها لبيان وجه مجيئه إليه وقوله (فقلت يا أبتاه هو) زوج أمه وسماه أبا تأدبا وألحق بآخره الهاء الساكنة للوقف عليها والجملة معطوفة على جملة ذهب (قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عصب بطنه) يحتمل أن تكون رأى علمية فتكون الجملة فى محل المفعول الثانى وأن تكون بصرية فتكون الجملة فى محل الحال بتقدير قد وعلى الثانى فالمراد أنه رأى من محل العصب من بطنه ما ليس بعورة مما كان يبدو منه صلى الله عليه وسلم فى خلوته وبين خواص أصحابه وقوله (فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع) أتى به لدفع توهم أن عصب البطن كان من دأبه إنما كان من الجوع فلذا ذكره له ليبادر إلى السعى فى رفعه والاسراع فى دفعه (فدخل أبو طلحة على أمى فقال هل من شىء) من فيه مزيدة لتنصيص العموم والمراد منه ما ينتفع به من الأقوات بقرينة المقام فهو عام أريد به خاص كما تقدم فى نظيره ومجرورها مبتدأ خبره محذوف أى عندك (فقالت نعم) ثم بينت ما عندها بقولها (عندى كسر) بكسر ففتح جمع كسرة بكسر فسكون القطعة (من خبز وتمرات) ظاهره أنها كانت قليلة بخلاف الكسر ويحتمل أنها تجوزت باستعمال جمع القلة فى جمع الكثرة كما وقع عكسه فى قوله تعالى « ثلاثة قروء » (فان جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده أشبعناه) أى لأن بها يحصل الشبع عادة (وإن جاء أحد معه قل عنهم) أى بحسب العادة (فذكر تمام الحديث) قال المصنف : فى الحديث ما كان عليه الصحابة من الاعتناء بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منقبة لأم سليم ودلالة على فقهها ورجحان عقلها لقولها الله ورسوله أعلم معناه أنه قد عرف الطعام فهو أعلم بالمصلحة اه وفيه ضيق حال القوم حينئذ وفيه أجزاؤهم بالقوت وترك ما زاد عليه من شهوة النفس وحظها والله أعلم

﴿ بابُ القناعة والعفاف والاقتصاد فى المعيشةِ ﴾

والانفاق وذمِّ السؤال من غير ضرورَةٍ * قالَ اللهُ تعالى « وما منْ دابةٍ فى الأرْض إلاَّ على الله رزقُها » وقال تعالى « للفقراء الذين أُحصرُوا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض

﴿ باب القناعة ﴾

هى كما فى الصحاح بالفتح الرضا بالقسم (والعفاف والاقتصاد) افتعال من القصد وهو مابين الاسراف والتقتير (فى المعيشة والانفاق) وإخراج المال الطيب فى الطاعة والمباحات أى التوسط فيها كما قال تعالى « ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط » (وذم السؤال) حذف معموله ليعم سائر المسئول من مال وطعام وغيرهما (من غير ضرورة) اليه قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه أفاد بمفهومه ذم الاشتغال بضده * (قال الله تعالى وما من) صلة للتنصيص على العموم (دابة فى الارض) قال ابن عطية الدابة ما دب من الحيوان والمراد جميع الحيوان الذى يحتاج إلى رزق ودخل فيه الطير والقائم من حيوان وفى حديث ابى عبيدة فاذا دابة مثل الظرب يريد من حيوان البحر وتخصيصه بقوله فى الارض لكونه أقرب لحسهم والطائر والقائم انما هو فى الارض ومامات من الحيوان قبل أن يغتذى فقد اغتذى فى بطن أمه (إلا على الله رزقها) إيجاب تفضل لأنه تعالى لا يجب عليه شىء عقلا قال البيضاوى : وأتى به تخفيفا للوصول وحملا على التوكل فيه (وقال تعالى للفقراء) أى الصدقات لهم وهم الاولى والأحق بها وان جاز صرفها لغيرهم كما يؤخذ من الآية التى قبلها فى التلاوة (الذين أحصروا فى سبيل الله) حبسوا أنفسهم فى الجهاد وقيل معناه حاسبوا أنفسهم بربقة الاسلام وقصد الجهاد وخوف العدو اذا أحاط بهم الكفرة فصار خوف العدو عذرا أحصروا به قيل المراد بهم فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم وقيل أصحاب الصفة المنقطعين بكليتهم الى الله تعالى قال ابن عطية يتناول كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر ، وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام (لا يستطيعون ضربا فى الأرض) ذهابا بالتجارة فيها لاشتغالهم بالجهاد وبالله أو لغلبة الكفرة فى البلاد .

يحسبُهم الجاهلُ أغنياء من التعفُّف تعرفُهم بسيماهم لا يسألون الناسَ إلحافا » وقال تعالى « والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يَقتروا وكان بين ذلك قواماً » وقال تعالى « وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدونِ

(يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء مَن التعفف) من أجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من التخشع وأثر الجهد والضيق وقيل أثر السجود قال ابن عطية وهذا أحسن لأنهم متفرغون متوكلون لاشغل لهم غالبا سوى الصلاة فكان أثر السجود عليهم أبدا (لا يسألون الناس إلحافا) أى إلحاحا والآية تحتمل نفى السؤال عنهم جملة فيكون من نفى المقيد وهذا ما عليه الجمهور ويحتمل أن سؤالهم أى إن سألوا عن مزيد الحاجة لا يلحون أى لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباحتماله فيكون النفى للقيد وهذا هو الأكثر فى النفى المتوجه إلى كلام مقيد كما قاله السفاقسى قال الثعالبى بعيد من ألفاظ الآية فتأمله وينبغى للفقير أن يتعفف فى فقره ويكتفى بعلم ربه قال العارف بالله ابن أبى جمرة قال أهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو أسير ومن كلام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

استغن عمن شئت تكن نظيره ... وتفضل على من شئت تكن أميره

... واحتج إلى من شئت تكن أسيره ...

قال ابن عطية فى الآية تنبيه على سوء حال من يسأل الناس الحافا ... (وقال تعالى والذين إذا أنفقوا) أى فى الطاعات لأنهم محفوظون من غيرها كما قال ابن عطية (لم يسرفوا) أى لم يفرطوا حتى يضيعوا حقا ناجزا أو عيالا أو نحوه (ولم يقتروا) أى لم يفرطوا فى الشح (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما والقوام فى حق كل بحسب عياله وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب أو ضد هذه الخصال وخير الأمور أوساطها وقواما خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر وبين ظرف لغو وقيل إنه اسم كان بنى لاضافته لغيره متمكن وضعف بأنه بمعنى القوام فيكون كالاخبار عن الشىء بنفسه (وقال تعالى وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى إلا لأجلها فانهم خلقوا بحيث تتأتى منهم العبادة وهدوا إليها فهذه غاية كلية لخلقهم وتعرى البعض عن الوصال

ما أريدُ منهمْ من رزق وما أريدُ أنْ يُطعِمون » وأما الأحاديثُ فتقدَّم معظمُها في البابين السابقين ، ومما لَمْ يتقدَّم * عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ « ليس الغنى عنْ كثْرةِ العَرَض ولـكنّ الغنى غنى النفس »

اليها لا يمكن (١) كون الغاية غاية وأما قوله تعالى « ذرأنا لجهنم » فلام العاقبة نحو « لدوا للموت » أو الالنأمرهم أوليقروابى طوعا أو كرها أوالمرادمنهم المؤمنون (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى يطعمونى أى ليس شأنى معهم كشأن السادة مع العبيد وقيل أن يرزقوا أنفسهم أو أحدا من خلق وأسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله وإطعام العيال على الله وفى الحديث القدسى « استطعمت فلم تطعمنى » (وأما الاحاديث) الدالة على ما ذكر فى الترجمة (فتقدم معظمها) أى أكثرها (فى البابين السابقين) قيل فان فى أحاديثهما القناعة من الصحابة والاقتصاد وترك السؤال والصبر على مضض الفقر (ومما لم يتقدم) أى بعضه والاقاستيعاب جميع مالم يذكر فيهما مما ورد فى الباب قد يشق * (عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى) أى الممدوح فى الشرع المرضى عند الله سبحانه المعد لثواب الآخرة أو النافع أو العظيم وهو بكسر أوله المعجم مقصورا وقد مد فى ضرورة الشعر (عن كثرة العرض) عن فيه سببية (ولـكن) بتشديد النون فيما وقفت عليه من نسخ الرياض والاستدراك لدفع توهم كثرة العرض ينافى الغنى المحمود فدفعه بقوله ولـكن (الغنى غنى النفس) قال ابن بطال معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال فكثير من الموسع عليه فيه لاينتفع بما أوتى ، جاهد فى الازدياد ، لا يبالى من أين يأتيه فكأنه فقير من شدة حرصه وانما حقيقة الغنى غنى النفس وهو من استغنى بما أوتى وقنع به ورضى ولم يحرص على الازدياد ولا ألح فى الطلب وقال القرطبى وانما كان الممدوح غنى النفس لانها حينئذ تكف عن المطامع فتعز وتعظم ويحصل لها من الحظوة والشرف والمدح اكثر من الغنى الذى يناله مع كونه فقير النفس لحرصه فانه يورطه

---

(١) لعله (لايمنع) . ع

متفق عليه (العرَض) بفتح العين والرّاء هو المالُ * وعنْ

فى رذائل الامور وخسائس الافعال لدناءة همته وبخله وحرصه فيكثر من يذمه من الناس فيصغر قدره عندهم فيصير أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعا بما قسم الله له لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح فى الطلب بل يرضى بما قسم له فكأنه واجد أبدا والمتصف بفقر النفس على الضد منه ثم غنى النفس انما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لامره علما بان الذى عنده سبحانه خير وأبقى فهو يعرض عن الحرص والطلب وقال الطيبى يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلية قال الشاعر :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

أى ينبغى أن ينفق أوقاته فى الغنى الحقيقى وهو تحصيل الكمالات لا فى جمع المال فانه لا يزداد به الا فقرا اه قيل وهذا وان أمكن الا أن ماقبله أظهر فى المراد قلت عليه فيمكن أن يحمل قوله ليس الغنى على الدوام أى ليس الغنى الدائم عن كثرة المال فانه عرضة للزوال انما هو بالكمال النفسانى وما أحسن ماقيل :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب وان العلم كنز لا يزال

وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر الى ربه فى جميع أمره فيتحقق أنه المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكر على نعمائه فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى النفس عن غير ربه والغنى الوارد فى قوله تعالى «ووجدك عائلا فاغنى» ينزل على غنى النفس فان الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه كذا فى الجامع الصغير (العرض بفتح العين والراء) المهملتين والضاد المعجمة (هو المال) فى المصباح وهو متاع الدنيا قال وهو فى اصطلاح المتكلمين مالا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا فى محل يقوم به وهو خلاف الجوهر والعرض بالسكون المتاع قالوا والدراهم والدنانير عين وما سواهما عرض ، وجمعه عروض كفلس وفلوس وقال أبو عبيد العرض أى بالسكون الامتعة التى لا يدخلها كيل ولا وزن ولا يكون حيوانا ولا عقارا اه وقال ابن فارس العرض بالسكون كل ما كان من المال غير نقد * (وعن

عبد الله بن عمرٍو رضى الله عنهما أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلم قال « قد أفلح من أسلم ورُزق كَفافا وقنّعهُ اللهُ بما آتاه » رواهُ مسلم * وعن حكيم بن حزامٍ رضى الله عنهُ

عبد الله بن عمرو) بن العاص (رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد) للتحقيق (أفلح) أى فاز وظفر (من أسلم) لنجاته من النار ودخوله الجنة قال تعالى « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » (ورزق كفافا) فى الزكاة من الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى : الكفاف ما كف عن السؤال مع القناعة لا يزيد على قدر الحاجة وفيه فى الزهد الكفاف الذى ليس فيه فضل عن الكفاية روى أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب عن سعيد بن عبد العزيز أنه سئل ما الكفاف من الرزق ؟ فقال شبع يوم وجوع يوم اه وقال القرطبي هو مايكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق بأهل الترفهات اه وانما كان ذلك فلاحا لكونه حاز كفايته وظفر باقامته وسلم من تبعة الغنى وذل سؤال الشيء ، ثم على ما ذكره فى الزكاة من الترغيب يكون قوله (وقنعه الله بما آتاه) من باب التصريح بما اندرج فيما قبله اهتماما واحتفالا بشأنه ، أو تجرد الكفاية (١) عن اعتبار القناعة فى مفهومه (رواه مسلم) ورواه أحمد والترمذى وابن ماجه كلهم عن ابن عمرو كذا فى الجامع الصغير وتقدم فى الباب قبله حديث بمعناه عن فضالة بن عبيد وفيه شرف هذه الحال على حالى الفقر المدقع والغنى لما فى الأول من كدح الحاجة والثانى من بطر الغنى والحديث قد تقدم الكلام عليه فى الباب قبله * (وعن حكيم) بفتح الحاء المهملة (ابن حزام) بكسر الحاء المهملة وبالزاى ابن خويلد ابن أسد بن عبد العزى الاسدى القرشى المكى (رضى الله عنه) ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة بجوف الكعبة ولا يعرف هذا لغيره وما روى أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء ، عاش ستين سنة فى الجاهلية وأسلم عام فتح مكة وعاش فى الاسلام ستين سنة على ما تقدم فيه ولم يشاركه فى هذا إلا حسان بن ثابت والمراد بقولهم وستين فى الاسلام أى من حين ظهوره مظهراً فاشيا وكان من أشراف قريش ووجوهها جاهلية وإسلاما ولم يصنع فى الجاهلية من المعروف

---

(١) كذا ولعله (أو يجرد الكفاف) . ع

قال : « سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثمّ سألته فأعطانى ، ثمّ قالَ ياحكيم إن هذا المال خِضرٌ حُلو فمن أخذه بسخاوةِ نفسٍ بورِكَ له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ،

شيئا الا صنع فى الاسلام مثله وتقدمت ترجمته أيضا فى باب الصدق (قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى من الدنيا (فأعطانى ثم سألته) أى مستكثرا منها (فأعطانى ثم قال) كأن حكمة تأخير هذا القول عن الاعطاء دفع توهم أن ذلك لبخل فى المسئول (يا حكيم) فيه نداء الرجل باسمه وفيه تنبيه وإيماء الى أن هذا الاسم يؤذن بقيامه بالحكمة وهى المعرفة فكأنه قال يا موصوفا بالحكمة الداعية الى الزهادة فى الدنيا والاقبال على الآخرة (إن هذا المال خضر) بفتح أوله وكسر ثانيه المعجمين أى كالخضر فى ميل النظر اليه وإلف النفس به (حلو) بكسر المهملة (١) وسكون اللام قال الحافظ معناه أن صورة المال كذلك والعرب تسمى كل مشرق نضراً خضراً قال ابن الاعرابى ليس هذا صفة المال وانما هو للتشبيه فكأنه قال المال كالبقل الخضر الحلو أو على معنى فائدة المال أى أن الحياة به أو العيشة به أو أن المراد بالمال هنا الدنيا لانه من زينتها قال تعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (فمن أخذه بسخاوة) بفتح السين المهملة وبالخاء المعجمة (نفس) أى بغير شره ولا إلحاح أى أخذه بغير سؤال هذا بالنسبة للآخذ ويحتمل أن يكون بالنسبة للمعطى أى بسخاوة نفس المعطى أى بانشراحه فيما بذله (بورك له فيه) فوقع منه القليل من المال بالبركة موقع الكثير منه مع فقدها (ومن أخذه باشراف) بالشين المعجمة (نفس) أى انتظارها له وحرصها عليه كما يأتى بنحوه فى الأصل (لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع) أى الذى يسمى جوعه كذابا لأنه من علة به وسقم فكلما أكل ازداد سقما ولم يجد شبعا وفى الحديث وجوه من التشبيهات بديعة تشبيه المال وثمره (٢) بالنبات وظهوره وتشبيه آخذه بغير حق بمن يأكل ولا يشبع وقال ابن أبى جمرة فى الحديث فوائد منها أنه قد يقع

---

(١) كذا ، ولعل الصواب (بضم المهملة) كما فى القاموس وغيره . ع

(٢) فى نسخة (ونحوه) . ع

واليد العليا خير من اليد السفلى قال حكيم فقلتُ يارسول الله والذى بعثك بالحق لاأرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضى الله عنه يدْعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبلَ منه شيئاً ، ثم إن عمر رضى الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أنْ يقبله ، فقال يامعشر المسلمين أشهدكمْ على حكيم أنى أعرض عليه حقَّه الذى قسم الله

الزهد مع الأخذ فان سخاوة النفس هو زهدها تقول سخت بكذا أى جادت به وسخت عن كذا أى لم تلتفت إليه ، ومنها أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة فى الرزق فتبين أن الزهد يحصل خيرى الدارين وفيه ضرب المثل لمالا يعقله السامع من الأمثلة لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا فى الشىء الكثير فتبين بالمثال المذكور أن البركة خلق من خلق الله وضرب لهم المثل بما يعهدون فالآكل إنما يأكل ليشبع فاذا أكل ولم يشبع كان غيا فى حقه بغير فائدة فى عينه إنما هى لما يتحصل به من المنافع فاذا كثر عند المرء من غير تحصيل منفعته كان وجوده كالعدم (واليد العليا خير من اليد السفلى) فى صحيح البخارى «فاليد العليا هى المنفقة والسفلى هى السائلة» قال فى فتح البارى عند النسائى من حديث طارق بن المحارق قال : «قدمنا المدينة فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يخطب الناس وهو يقول يد المعطى العليا » ولابن أبى شيبة والبزار من طريق ثعلبة بن زهدم مثله وقال فى الفتح بعد إيراد أحاديث فهذه متظافرة على أن اليد السفلى هى السائلة والعليا هى المعطية وهذا هو المعتمد وهو قول الجمهور ثم ذكر مقابل ذلك أقوالا بسط بيانها فى الفتح (قال حكيم فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا) هو غاية فى ألا يرزأ أحدا لأن من المعلوم أنه بعد مفارقته الدنيا لا يحتاج لمال وإنما هو كناية عن دوام الانكفاف عن الغير أبدا (فكان أبو بكر رضى الله عنه) أى لما صار خليفة (يدعو حكيما ليعطيه) أى ما يستحقه من المغنم (فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم ان عمر رضى الله عنه) لما صار إليه الأمر بعد الصديق رضى الله عنه (دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله) أى ولا شيئا منه كما يدل عليه ما قبله (فقال يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم انى أعرض عليه حقه الذى قسم الله) العائد فيه ضمير منصوب

له فى هذا الفىء فيأبى أنْ يأخذه ، فلم يرْزَأ حكيم أحداً من الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفِّى متفق عليه (يرزأ) براء ثم زاى ثم همزةٍ أىْ لم يأخذ من أحدٍ شيئاً وأصلُ الرَّزْء النقصانُ أى لم ينقصْ أحداً شيئاً بالأخذ منه ، و (إشراف النفس) تطلعها وطمعُها بالشىء ، و (سخاوة النفس)

محذوف (له فى الفىء فيأبى أن يأخذه) قال فى المصباح : المعشر والقوم والرهط والنفر الجماعة من الرجال دون النساء والجمع معاشر وفى فتح البارى إنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشى أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فيتجاوز به إلى مالا يريده ففطمها عن ذلك وترك مالا يريبه خوف مايريبه وإنما أشهد عليه عمر لأنه أراد ألا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه (فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى توفى) قال الحافظ فى الفتح زاد إسحاق بن راهويه فى مسنده من طريق عبد الله بن عمرو مرسلا أنه ما أخذ من أبى بكر ولا عمر ولا عثمان ولامعاوية دينا ولاغيرها حتى توفى لعشر سنين من إمارة معاوية قال السيوطى فى التوشيح : وفيه أن سبب سؤاله العطاء أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه دون ما أعطى أصحابه فقال يارسول الله ما كنت أظن أن تقصرنى دون أحد من الناس فزاده ثم استزاده حتى رضى فذكر نحو الحديث اه (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الوصايا وفى الخمس وفى الرقاق قلت وفى الزكاة وأخرجه مسلم فى الزكاة الى قوله واليد العليا خير من اليد السفلى، ورواه الترمذى فى الزهد وقال صحيح والنسائى فى الزكاة والرقاق اه ملخصا من الاطراف (يرزأ براء ثم زاى ثم همزة) بوزن يسأل (أى لم يأخذ من أحد شيئا) أى مجانا كما يدل عليه قوله (وأصل الرزء النقصان) وما بذل عوضا لا نقص على باذله وفى النهاية وأصله النقص وكأن الشيخ رحمه الله نبه بزيادة الون على اعتبار المبالغة فى مفهومه وقوله (أى لم ينقص أحدا شيئا بالأخذ منه) تفسيره لقوله آخر الحديث فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس (وإشراف النفس) بالمعجمة (تطلعها وطمعها بالشىء) وأصله ان تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذى يستظل من الشمس حتى يستبين الشىء وأصله من الشرف وهو العلو كأنه ينظر اليه من موضع عال (وسخاوة النفس) فى المصباح السخاء بالمد الجود والكرم وفى الفعل ثلاث لغات سخا من باب علا

هى عدمُ الاشراف إلى الشىء والطمع فيه والمبالاة به والشره * وعن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُهُ

فهو ساخ والثانية سخى يسخى من باب علم والفاعل سخ منقوص والثالثة سخو يسخو كقرب يقرب سخاوة فهو سخى بتشديد الياء اه فيؤخذ منه ان سخاوتها كرمها وجودها وقول المصنف (هى عدم الاشراف والطمع فيه والمبالاة به والشره) أخذه من مقابلتها بالاشراف المفسر بضد ذلك وهو نتيجة ما قلنا فان النفس الكريمة هذا شأنها فى الدنيا غير مختلفة بجمعها ولا مشتغلة بحفظها ومنعها * (وعن أبى بردة) بضم الموحدة وسكون الراء بعدها دال مهملة وهى كنية لصحابى اسمه على الصحيح من أقوال ثلاثة هانىء بن نيار بلوى مدنى وتابعى(١) وهو ابن أبى موسى الاشعرى وهذا هو المراد إذ هو المعروف بالرواية عن أبيه ولذا لم يقيده المصنف كعادته فى أمثاله من المشتبهات واسمه عامر على الصحيح المشهور الذى قاله الجمهور تابعى كوفى ولى قضاء الكوفة فعزله الحجاج وجعل أخاه أبا بكر مكانه اتفقوا على توثيقه وجلالته وهو جد أبى الحسن الاشعرى الامام فى علم الكلام توفى بالكوفة سنة ثلاث وقيل أربع ومائة كذا لخص من التهذيب للمصنف وحكمة ذكر التابعى فى هذا الحديث قوله بعد روايته فحدث أبو موسى (عن أبى موسى الأشعرى) تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الاخلاص (قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة) بفتح أوليه قال فى النهاية غزا يغزو غزواً والغزوة المرة من الغزو والاسم الغزاة أى بفتحها قلت ولو قيل بأنه للمرة وأصله غزوة بسكون الزاى فنقلت فتحة الواو اليها ثم أعلت اعلال إقوام لم يبعد والله أعلم (ونحن ستة نفر) جملة حالية من فاعل خرج قال الحافظ ولم أقف على أسمائهم وأظنهم من الاشعريين وقوله (بيننا بعير نعتقبه) جملة حالية متداخلة من التى قبلها فى المصباح البعير مثل الانسان يقع على الذكر والانثى والجمل مثل الرجل يختص بالذكر والناقة مثل المرأة

---

(١) معطوف على صحابى أى هى كنية رجلين أحدهما صحابى والثانى تابعى والثانى هو المراد هنا . ع

فنقبتْ أقدامُنا وَنقبت قدمى وسقطت أظفارى ، فكنا نَلِفُّ على أرجلنا الخِرقَ فسميت غزوة ذاتِ الرقاع لما كنا نعصبُ على أرجلنا منَ الخِرَق »

تختص بالانثى والبكر والبكرة كالفتى والفتاة والقلوص كالجارية هكذا حكاه جماعة منهم ابن السكيت والازهرى وابن جنى ثم قال الازهرى هذا كلام العرب ولكن لايعرفه الاخواص أهل العلم باللغة اه وقوله نعتقبه أى نتعاقبه فى الركوب واحداً بعد واحد يقال دارت عقبة فلان أى جاءت نوبته ووقت ركوبه كذا فى النهاية (فنقبت) بفتح النون وكسر القاف بعدها موحدة أى رقت (قدمى) بكسر الميم إذ لو كان مثنى لكان بالألف والمراد به الجنس وفى نسخة أقدامنا بصيغة الجمع المكسر (وسقطت أظفارى) جمع ظفر وفيه لغات ضم أوليه أفصح من ضم أواه وسكون ثانيه ومن فتح أوليه ومن كسرهما ويقال أظفور كاسبوع وربما يجمع الظفر على أظفر أيضا كركن وأركن وقول الجوهرى إنه يجمع على أظفور سبق قلم كأنه أراد أظفر فطغى القلم بزيادة واو اه ملخصا من المصباح أى أظفار أصابع قدمى (فكنا نلف على أرجلنا الخرق) بكسر أوله المعجم وفتح ثانيه (فسميت غزوة ذات الرقاع) بنصب الغزوة ثانى المفعولين والاول أقيم مقام فاعل سميت يعود على الغزاة (لما كنا نعصب) أى نربط وما موصولة أى الذى كنا نربطه (على أرجلنا من الخرق) قال الحافظ وقال ابن هشام وغيره سميت به لأنهم رقعوا راياتهم وقيل لشجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل بل الارض التى نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض قاله أبو حيان وقال الواقدى سميت بجبل هناك كان فيه بقع وهذا لعله مستند أبى حيان ويكون قد تصحف خيل بجبل ورجح السهيلى السبب الذى ذكره أبو موسى وكذا النووى ثم قال ويحتمل أن تكون سميت بالمجموع اه واختلف متى كانت فجنح البخارى الى أنها بعد خيبر وذهب أهل السير الى انها قبل خيبر واختلفوا فى زمانها فعند ابن اسحاق أنها بعد بنى النضير وقبل الخندق سنة أربع وعند ابن سعد وابن حبان أنها فى المحرم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها كانت بعد قريظة والخندق وتردد موسى بن عقبة فى وقتها فقال لا ندرى أكانت قبل بدر أم بعدها قال الحافظ وهذا التردد

قال أبو بُرْدَةَ « فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كرهَ ذلكَ وقالَ ما كنتُ أصنعُ بأن أذكرهُ » قال « كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاهُ » متفق عليه * وعن عمرو بن تغلبَ — بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو سبى

لا حاصل له بل الذى ينبغى الجزم به أنها كانت بعد غزوة بنى قريظة ثم حكى الحافظ خلافا هل هى غزوة محارب أو هى غيرها فالجمهور أنها هى ، جزم به ابن اسحاق وغيره وعند الواقدى أنهما ثنتان وتبعه القطب الحلبي فى شرح السيرة اه ملخصا من الفتح (قال أبو بردة فحدث أبو موسى بهذا الحديث) ناشراً للسنة إذ منها أيامه وأحواله (ثم كره ذلك) لما فيه أنه ابتلى فصبر وذلك من المعاملة بين العبد وربه وكلما كانت أخفى كانت بالبر أحفى (وقال ما كنت أصنع بأن أذكره) أى ما أصنع بذكره ذلك ففيه زيادة كان مع اسمها وهو نادر والاكثر زيادتها وحدها فى مواطن وقوله (كأنه كره أن يكون شيئا) خبر كان واسمها ضمير مستتر أى ما ذكر من عمله شيئا ويجوز أن يعرب مفعولا لفعل محذوف هو مع فاعله والجملة خبر يكون أى يكون أفشى شيئا (من عمله) وقوله (أفشاه) جملة مفسرة على الثانى وعلى الأول فهوصفة شيئا والظرف متعلق به ويحتمل كون الظرف صفة وجملة أفشاه حالا من الخبر لتخصيصه بالوصف وعلى الثانى هو صفة للمفعول (متفق عليه) أخرجاه فى المغازى من صحيحهما (وعن عمرو بن تغلب بفتح التاء المثناة فوق واسكان الغين المعجمة وكسر اللام) اسم غير منصرف للعلمية ووزن الفعل وهو العبدى من عبد القيس وقيل غير ذلك وجميع ما قيل فى نسبه يرجع الى أسد بن ربيعة فهو ربعى بالاتفاق وقال الحافظ فى الفتح وهو النمرى بضم النون والميم (رضى الله عنه) صحب النبي صلى الله عليه وسلم ثم سكن البصرة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين رواهما عنه البخارى لم يرو عنه غير الحسن البصرى اه ملخصا من التهذيب للمصنف (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أو) شك من الراوى (سبي) بمهملة فموحدة وعند الكشميهنى أحد رواة البخارى أوشىء بالمعجمة وهو أشمل فى النهاية السبي النهب

فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً فبلغهُ أن الذين ترك عتبوا فحمدَ الله تعالى ثم أثنى عليه ثم قال (أما بعد) فو الله إنى لأعطى الرَّجلَ وأدع الرجلَ والذى أدع أحبُّ إليَّ من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواماً لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلَع ،

رأخذ الناس عبيداً وإماء (فقسمه) بتخفيف المهملة ويجوز تشديدها نظراً لتعدد المقسوم (فأعطى رجالا وترك رجالا) أى منه (فبلغه ان الذين ترك) العائد المنصوب محذوف أى تركهم (عتبوا) فى المصباح عتب عليه من بابى ضرب وقتل ، لامه فى تسخط اه وفى النهاية العتاب مخاطبة الاذلال ومذاكرة المؤاخذة اه وهذا المراد هنالا التسخط من أفعاله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ينافى الايمان المشهود لهم به فى الخبر (فحمد الله تعالى) بأوصاف الجمال (ثم أثنى عليه) أى بأوصاف الجلال وقيل إنهما بمعنى وعليه فهو من عطف الرديف أتى به لبيان المراد من الحمد وأنه لغوى أى الثناء اللسانى الذى هو شعبة من المعنى العرفى (ثم قال أما بعد فوالله انى لأعطى الرجل) أل فيه للجنس والمراد التمثيل وإلا فما أفاده الحديث جارفى النساء أيضا ففى الحديث عند مسلم عن هند امرأة أبى سفيان انها «قالت يارسول الله ما كان أهل بيت أبغض إلى من أهل بيتك والآن والله ما أهل بيت أحب إلى من أهل بيتك فقال وأيضا » الحديث وأكد بالقسم وبأن واللام لعله لما بدا من شدة عتاب المتروكين فى ذلك وتوهمهم أنه عن خلل فيهم دينى أوعن نقص حب منه صلى الله عليه وسلم (وأدع) أى واترك وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه (والذى ادع) أى اترك اعطاءه (أحب إلى من الذى أعطى) وجه حبه لذلك المعطى مع ضعف إيمانه أنه دخل فى سواد أهل الايمان وانتظم فى سلكهم وجملتهم وهم المحبون له صلى الله عليه وسلم فقال ذلك المندرج فيهم نصيبه منها فلذا أتى بأفعل ، ويحتمل كونه فيه بمعنى أصل الفعل نظراً إلى عدم كمال إيمان ذلك حتى يعتد به (ولكنى أعطى أقواما لما) أى للذى (أرى) أى اعلمه (فى قلوبهم) والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان (من الجزع) بالجيم والزاى والعين المهملة قال فى النهاية : هو الحزن والخوف وقال فى المصباح جزع الرجل جزعا من باب تعب تعبا إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبراً ومن بيانية لما (والهلع) هكذا فى نسخ الرياض تبعا لبعض نسخ البخارى وسيأتى معناه وفى

وأ كِلُ أقواما إلى ماجعل الله فى قلوبهمْ من الغنى والخير ، منهم عَمرُو بنُ تَغلبَ قال عمرو بن تغلب فو الله ماأُحبّ ان لى بكلمةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حمْرُ النَّعم » (رواه البخارى) (الهلع) هو أشد الجزع وقيل الضجر * وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .

نسخة أخرى منه « الضلع » بالصاد المعجمة أى الميل والاعوجاج وفى أخرى بالظاء المشالة المفتوحة مع مايليها أى مرض القلب وضعف اليقين (وأكل) أفوض (أقواما الى ماجعل الله فى قلوبهم من الغناء) بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية وفى رواية الكشميهنى بكسر أوله والقصر ضد الفقر (والخير ، منهم عمرو بن تغلب) هذا آخر الخبر المرفوع وقوله (فو الله ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم) الباء للبدلية والمراد من الكلمة معناها اللغوى وما قاله فيه أى بدل ما قاله فيه من إدخاله اياه فى أهل الخير والغنى وقيل المراد التى قالها فى حق غيره فالمعنى لا أحب أن يكون لى حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التى لى أو أن يكون لى ذلك وقال تلك الكلمة فى حقى وفى المصباح: وحمر النعم بضم المهملة وسكون الميم كراثها وهو مثل فى كل نفيس، ويقال إنه جمع أحمر وأن أحمر من أسماء الجنس (رواه البخارى) فى مواضع من صحيحه منها فى الجهاد والتوحيد وانفرد به عن باقى الستة (الهلع هو أشد الجزع) بمعناه قوله فى الصحاح أخص الجزع ومقتضى كلام المصباح عدم اعتبار الافضلية فيه (وقيل الضجر) وفى المشارق للقاضى عياض الجزع والهلع هما بمعنى وقيل الهلع قلة الصبر وقيل الحرص يقال رجل هلع وهلوع وهلواع وهلواعة جزوع حريص اه فلعل المصنف أراد يكتب قيل الحرص فسبق القلم فكتب ما ذكر والله أعلم * (وعن حكيم ابن حزام رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اليد العليا خير من اليد السفلى) تقدم الكلام على هذه الجملة فى الباب (وابدأ) فى الانفاق (بمن تعول) من زوجة أو أصل أو فرع أو مملوك ، من عال أهله اذا قام بما يحتاجون اليه من قوت أو كسوة وهذه الجملة الطلبية رواها فقط الطبرانى من حديث حكيم بن حزام

وخيرُ الصدقة ما كان عن ظهر غنى ؛ ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » متفقٌ عليه هذا لفظ البخارى ولفظ مسلم أخصرُ *

ورواه البخارى وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة بلفظ « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول » لأن حقهم واجب وغيرهم تطوع ، والاول مقدم على الثانى (وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) أى أفضلها ماوقع من غير محتاج الى ما يتصدق به لنفسه أو لمن تلزمه نفقته ولفظ الظهر مزيد فى مثله إشباعا للكلام قاله الخطابى ونقله فى النهاية وزاد قوله وتمكينا كأن صدقته مستندة إلى ظهر قوى من المال والمعنى أفضلها ما أخرجه الانسان من ماله بعد استبقائه منه قدر الكفاية وقال البغوى المراد غنى يستظهر به على النوائب التى تنوبه ونحوه قولهم ركب متن السلامة والتنكير فى غنى للتعظيم هذا هو المعتمد فى معنى الحديث وقيل خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسئلة وقيل عن للسببية والظهر زائد أى خير ما كان سببه غنى المتصدق قال القرطبى يرد على تأويل الخطابى ما جاء فى فضل الايثار على النفس من الكتاب والسنة ومنها حديث أبى ذر « أفضل الصدقة جهد من مقل » والمختار أن معنى الحديث أفضلها ما وقع بعد القيام بحقوق النفس والعيال بحيث لا يصير المتصدق محتاجا بعد صدقته الى أحد فمعنى الغنى فى الحديث حصول ما يدفع به الحاجة الضرورية كأكل عند جوع مشوش لا صبر عليه فالحاجة الى ما يدفع به الاذى عن نفسه لا يجوزه الايثار به بل يحرم لأن الايثار به يؤدى الى هلاك النفس والاضرار بها أو إلى ما يستر به العورة فمراعاة نفسه أولى فاذا سقطت هذه الواجبات صح الايثار وكانت صدقته أفضل لأجل ما يتحمله من مضض الفقر وشدة مشقته فبهذا يندفع التعارض اه ملخصا من الفتح (ومن يستعفف) أى عن مسئلة الناس (يعفه الله) بضم التحتية وضم الفاء المشددة وهو مجزوم جواب الشرط وضمه اتباع لضمة هاء الضمير قاله الدمامينى عن الزركشى أى يرزقه العفة عن ذلك (ومن يستغن) أى يظهر الغنى (يغنه الله) أى يصيره غنيا (هذا لفظ البخارى) فى كتاب الزكاة من صحيحه (ولفظ مسلم) فى كتاب الزكاة أيضا من صحيحه (أخصر) ولفظه قال « أفضل الصدقة أو خير الصدقة عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » وقد

وعن أبي عبد الرحمن معاويةَ بن أبي سفيان صخر بن حرب رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتُلحفوا فى المسألة فو الله لايسألنى أحدٌ منكم شيئاً فتخرجَ له مسألته منى شيئاً وأنا له كارهٌ فيبارك له فيما أعطيته »

تقدم الكلام على الحديث من حديث أبي هريرة فى باب الوصية بالنساء (وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر) عطف بيان لأبي سفيان أو بدل منه بفتح المهملة وسكون المعجمة (ابن حرب) بفتح المهملة (١) بلفظ السلم بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى القرشى الأموى أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند يوم فتح مكة فلذا قال المصنف (رضى الله عنهما) وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما وكان أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وستون حديثا اتفق الشيخان على أربعة منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة روى عن عدد كثير من الصحابة ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة قد أفردت بالتأليف توفى بالشام يوم الخميس لثمان بقين من رجب وقيل لنصفه سنة ستين وقيل تسع وخمسين وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وثمانين وقيل ست ، ولما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن فى قميص كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه إياه ، وأن يجعل مما يلى جسده وكان عنده قلامة أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوصى أن تسحق وتجعل فى عينيه وفمه وقال افعلوا ذلك وخلوا بينى وبين أرحم الراحمين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلحفوا) بضم الفوقية وكسر المهملة من الالحاف الالحاح أى لاتلحوا (فى المسئلة) قال المصنف كذا هو فى بعض الأصول بالفاء وفى بعضها بالباء الموحدة وكلاهما صحيح (فوالله لا يسألنى أحد منكم شيئا فتخرج) بالنصب فى جواب النفى (له مسألته منى شيئا) ونسبة الاخراج اليها مجاز لكونها السبب أى يجد منى ما سأله بسبب إلحاحه وإشراف نفسه وحرصه على حصول مطلوبه (وأنا كاره) لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء خشه (فيبارك) بالنصب عطف على المنصوب قبله أى يكثر ويدوم (له فيما أعطيته) ومن ثم قال الفقهاء من أخذ

---

(١) كذا ولعله «ضده» . ع

رواه مسلم * وعنْ أبى عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعىِّ رضى الله عنه قال كنا عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً فقال ألا تبايعون رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا حديثَ عهْدٍ ببيعة

شيئا على أمر أظهره وهو غير متصف به باطنا يملك (١) ذلك المأخوذ وتصرفه فيه باطل ومن هنا غلبت الفاقة على كثير لاستشرافهم الأحوال وإخراجهم بالالحاح فى السؤال فلا يبارك لهم فيها بوجه (رواه مسلم) فى كتاب الزكاة من صحيحه (وعن أبى عبد الرحمن) وقيل أبو عمرو وبدأ به فى الأطراف وقيل أبو عبد الله وقيل أبو محمد وقيل أبوحاتم (عوف) عطف بيان لما قبله أو بدل منه وهو بالمهملة آخره فاء بوزن فوز (ابن مالك) بن أبى عوف (الأشجعى) الغطفانى (رضى الله عنه) أول مشاهده الفتح وكان حامل راية قومه (٢) سكن دمشق وكان داره بها سنة ثلاث وسبعين وأما قول الشيخ أبى اسحاق فى مهذبه أن عوف بن مالك رجع عليه بسيفه يوم خيبر فقتله فغلط صريح إنما ذلك عامر بن الأكوع نبه عليه المصنف فى التهذيب روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة وستون حديثا منها عند الشيخين ستة انفرد البخارى بواحد منها ومسلم بباقيها وخرج له الأربعة وروى عنه جبير بن نضير والشعبي وآخرون (قال كنا جلوسا) جمع جالس خبر كان ويحتمل أنها تامة وجلوسا مصدر منصوب على الحال وأفرد لكونه مصدرا والأول أولى (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون لغوا متعلقا بالفعل لا بجلوس لأن الفعل أقوى منه فى ذلك وأن يكون مستقرا خبرا بعد خبر أو حال من اسم كان (تسعة) بتقديم الفوقية (أو ثمانية أو سبعة) شك من الراوى فى عددهم (فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقوله (وكنا حديث عهد ببيعة) جملة فى محل الحال من فاعل تبايعون ، والبيعة أصلها من البيع لأنهم إذا بايعوا وعقدوا عهدا حلفوا لمن بايعهم ، جعلوا يدهم فى يده توكيدا كما يفعل البائع والمشترى وكانت هذه البيعة ليلة العقبة قبل بيعة الهجرة وبيعة الجهاد والصبر عليه

---

(١) قوله (يملك) لعله (لايملك) (٢) « أى أشجع » . ع

فقلنا قد بايعناك يارسول الله ، ثمّ قال ألاَ تبايعون رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا قدْ بايعناك يارسول الله فعلامَ نبايعكَ ، فقال على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا وأسرَّ كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقطُ سوطُ أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه »

(فقلنا قد بايعناك يارسول الله ثم قال) أى بعد قوله الأول والاتيان بثم للفصل بين القولين بجوابهم وما معه (ألا تبايعون رسول الله) زاد أبو داود فى روايته بعد قولهم قد بايعناك حتى قالها ثلاثا (فبسطنا أيدينا) أى نشرناها للمبايعة (وقلنا بايعناك يا رسول الله) أولا (فعلام نبايعك) أى فعلى أى شىء نبايعك ثانيا ؟ وما هى الاستفهامية حذفت ألفها لدخول الجار عليها ، ويجوز زيادة هاء السكت عوضا عن الألف المحذوفة فيقال علامه . كما فى رواية مسلم قاله ابن رسلان ، وبه يعلم أن حذف الهاء من نسخ الرياض من علام ، من تحريف الكتاب لان الذى فيه رواية مسلم (فقال على أن تعبدوا الله) أى أبايعكم على عبادة الله (وحده) أى منفردا وهو حال من الجلالة (ولا تشركوا به شيئا) أى من الشرك أو من المعبودات فهو مفعول مطلق أو مفعول به كما تقدم (والصلوات الخمس) أى وتصلوا الصلوات كما صرح به أبو داود (وتسمعوا وتطيعوا) أى لولى الأمر ومن أوجب الله طاعته فى غير معصيته (وأسر كلمة خفية) انما أسر هذه الكلمة دون ماقبلها لان ماقبلها وصية عامة وهذه الجملة مختصة ببعضهم والمراد بالكلمة المعنى اللغوى وهى الجملة المبينة بقوله (ولا تسألوا الناس شيئا) قال القرطبي هذا حمل منه على مكارم الاخلاق ، والترفع عن تحمل منن الخلق وتعظيم الصبر على مضض الحاجات ، والاستغناء عن الناس وعزة النفس (فلقد رأيت بعض أولئك النفر) بالجر نعت أو عطف بيان لاسم الاشارة على الخلاف فى أمثاله بين ابن الحاجب وابن مالك وقال ابن رسلان هو بدل منه (يسقط سقوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه) فيه التمسك بالعموم لانهم نهوا عن السؤال والمراد منه سؤال الناس أموالهم فحملوه على عمومه ، وفيه التنزه عن جميع مايسمى

رواه مسلم * وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لاتزال المسئلةُ بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مُزْعةُ لحم» متفق عليه ، المزْعة بضم الميم وإسكان الزّاى وبالعين المهملة القطعة* وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة : « اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هى المنفقة

سؤالا وان كان حقيرا وروى الامام احمد عن أبى ذر « لاتسألن أحداً شيئا وإن سقط سوطك ولا تقبض أمانة » (رواه مسلم) فى الزكاة صحيحة منفردا به عن البخارى ورواه أبو دواد فيها والنسائى فى الصلاة وابن ماجه فى الجهاد(وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتزال المسئلة) أى طلب العطاء من السوى (بأحدكم) أى بالواحد منكم أى إن طبع الانسان الاستكثار من الدنيا فلايزال فى الدنيا يسأل مالهم تكثرا (حتى يلقى الله) كناية عن الموت والحشر ويؤيد الثانى ان فى بعض رواياته « مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة » رواه مسلم (وليس فى وجهه مزعة لحم) جملة حالية من فاعل يلقى(متفق عليه) رواه البخارى ومسلم فى الزكاة من صحيحيهما ورواه النسائى فى الزكاة أيضا (المزعة بضم الميم وسكون الزاى وبالعين المهملة القطعة) قال المصنف قال القاضى قيل معنى الحديث يأتى يوم القيامة ذليلا ساقطا لاوجه له عند الله ، وقيل هو على ظاهره فيحشر وجهه لاحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين سأل وطلب بوجهه كما جاءت الاحاديث الأخر بالعقوبات فى الاعضاء التى كانت بها المعاصى وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالا منهيا عنه وكثر منه كما أشرنا اليه كما يدل عليه رواية من يسأل الناس أموالهم تكثرا الحديث (وعنه) يعنى ابن عمر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر) جملة حالية أيضا من فاعل قال وقوله(وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة) جملة حالية أيضا من فاعل قال فتكون مترادفة أو من الجملة الحالية الاولى فتكون متداخلة وقوله يذكر الصدقة أى يذكر مافى فضلها أو فضل التعفف (اليد العليا خير من اليد السفلى) هذا مقول القول ولما كان فى ذلك نوع اجمال فلذا اختلف فيه على أقوال كما تقدم عن الفتح ، رفعه بقوله (اليد العليا هى المنفقة) بالنون

والسفلى هى السائلة » متفق عليه ، * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل الناس تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقلّ أو ليستكثر » رواه مسلم * وعن سَمرة بنِ جُندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المسألة كَدٌّ يكُد بها الرجل

والفاء والقاف وعند أبى داود فى بعض طرقه بدلها المتعففة قال وقال أكثرهم المتفقة (والسفلى هى السائلة) قال القرطبى هذا أى حديث مسلم نص يدفع تعسف من تعسف فى تأويله غير أنه وقع عند أبى داود الى آخر ما تقدم ، وقال المصنف ورجح الخطابى رواية المتعففة بان السياق فى ذكر المسئلة والتعفف عنها ، قال المصنف والصحيح الرواية الأولى ويحتمل صحة الروايتين فالمنفقة أعلا من السائلة والمتعففة أعلا منها والمراد بالعلو علو الفضل والمجد (متفق عليه) رواياه فى الزكاة من صحيحيهما ورواه أبو داود والنسائى فيها من سننهما (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل) كذا فى الرياض بصيغة الماضى وفى أصل مصحح من مسلم بصيغة المضارع المجزوم بسكون مقدر للتخلص من التقاء الساكنين (الناس تكثراً) أى ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال (فانما يسأل جمرا) قال القاضى أى يعاقب بالنار قال ويحتمل أن يكون على ظاهره فان الذى يأخذه يصير جمرا يكوى به كما ثبت فى مانع الزكاة (فليستقل أو فليستكثر اللام فيه ساكنة للأمر والفاء فيه للتفريع وأو فيه للتخيير أى فهو مخير إذا عرف مآل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقل (رواه مسلم) فى الزكاة ورواه ابن ماجه فيها أيضا (وعن سمرة) بضم الميم (ابن جندب) بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال آخره موحدة تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب توقير العلماء (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المسئلة) مفعلة من السؤال أى سؤال الناس من دنياهم (كد) بفتح الكاف وتشديد الدال المهملة قال فى النهاية هو الاتعاب يقال كد فى عمله يكد إذا استعجل ونحوه ما فى المصباح من أنه الشدة فى العمل وفى المشارق هو الجهد فى الطلب وسيأتى فى الاصل أنه الخدش (يكد) بضم الكاف أى يتعب (بها الرجل) الباء فيه للسببية والرجل

وجهه إلا أن يسأل الرجلُ سلطانا أو فى أمر لابد منه » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، الكد الخدْشُ ونحوهُ * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تُسَدّ فاقتُه ومن أنزلها

مثال فالمرأة مثله فى ذلك (وجهه) قال فى النهاية أى ماؤه ورونقه والحديث فى سنن أبى داود بلفظ « المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل » إلى آخر الحديث وقد لمح إلى هذا المعنى من قال

إذا أظمأتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى وهامت همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا ة دون اراقة ماء المحيا

(إلا أن يسأل الرجل سلطانا) أى يطلب منه ما أوجب الله من زكاة أو خمس أو فى بيت المال ونحوه (أو فى أمر لا بد) بضم أوله وتشديد المهملة لافراق (منه) فلا يستطيع تركه فتحل له المسئلة فيما دعت اليه الضرورة (رواه الترمذى) في الزكاة من جامعه (وقال حديث حسن صحيح) ورواه أبو داود كما ذكرناه والنسائى كلاهما فى الزكاة من سننهما (الكد الخدش ونحوه) لعله تفسير باللازم * (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة) قال فى المصباح أى حاجة (فأنزلها بالناس) طالبا رفعها عنه باعانتهم راكنا فى ذلك اليهم (لم تسد) بالبناء للمجهول للعلم بالفاعل (فاقته) أى بل يؤدى ذلك إلى غضب الله تعالى ودوام فاقته إذ أنزل حاجته إلى عاجز مثله وترك اللجأ اليه سبحانه وهو القادر على قضاء حوائج الخلق كلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء قال وهب بن منبه لرجل يأتى الملوك : ويحك تأتى من يغلق عنك بابه ويوارى عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه ، فالعبد عاجز عن جلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على ذلك الا الله سبحانه (ومن أنزلها) فالهمزة فيه وفيما قبله للتعدية قال فى المصباح نزل نزولا ويتعدى بالحرف وبالهمزة والتضعيف يقال نزلت به وأنزلته ونزلته، أى فمن جعل فاقته

بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن . (يوشك) بكسر الشين أى يسرع * وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تكفل لى ألاّ يسأل الناس شيئا وأتكفل له بالجنة ؟ فقلت أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً » رواه أبو داود بأسنادٍ صحيح وعن أبى بشر قَبِيصةَ بنِ المخارق رضى الله عنه

نازلة (بالله) أى مستعينا به فى رفعها (فيوشك) أى فهو يوشك بضم التحتية (الله له برزق عاجل) فى رفع لأواه (وآجل) بالمد أى لدفع بلواه . قال تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » وقال تعالى « واسألوا الله من فضله » وفى الترمذى «من لم يسأل الله يغضب عليه» (رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن) قال فى الجامع ورواه من حديث ابن مسعود أحمد والحاكم فى مستدركه (يوشك بكسر الشين) أى المعجمة وفتح أوله (أى يسرع * وعن ثوبان) بالمثلثة والموحدة آخره نون بوزن غضبان وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل) بفتح الفوقية وتشديد الفاء أى ضمن ورواه النسائى بلفظ « من ضمن لى واحدة وله الجنة » (لى ألا يسأل الناس شيئا) أى مما لا ضرورة به اليه (وأتكفل) برفع اللام جملة حالية لضمير المجرور أى من يضمن لى عدم السؤال حال كونى ملتزما (له) على كرم الله عز وجل (بالجنة فقلت أنا) عبارة السنن فقال ثوبان أنا وزاد ابن ماجه فقال « لا يسأل الناس شيئا » (فكان لا يسأل أحداً شيئا) ظاهره نفى سؤاله لكل شىء وعند ابن ماجه فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيأخذه (رواه أبو داود) فى كتاب الزكاة من سننه (باسناد صحيح ورجاله رجال الصحيح * (وعن أبى بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (قبيصة) بفتح القاف وكسر الموحدة وسكون التحتية بعدها مهملة (ابن المخارق) بضم الميم بعدها خاء معجمة ابن عبد الله بن شداد بن ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة العامرى الهلالى البصرى الصحابى (رضى الله عنه) قال المصنف وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وروى له

قال : « تحملتُ حَمالةً فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة ، فنأمرَ لك بها ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحلُّ إلاّ لأحدِ ثلاثةٍ ، رجلٍ تحمل حَمالةً فحلت له المسألةُ حتى يصيبَها ثمَّ يمسك ، ورجل أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله فحلت له المسألةُ حتى يصيبَ قِواماً من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول

عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث روى مسلم أحدها وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب سكن البصرة خرج عنه مسلم وأبو داود والنسائى (قال تحملت) فى الاتيان به من باب التفعل إيماء الى كلفة الأمر والدخول فيه (حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها) جملة اسأل فى محل الحال من فاعل أتيت ، وفى يحتمل كونها للظرفية المجازية ويحتمل كونها سببية نحو حديث « عذبت امرأة فى هرة » أى أسأله لسبب الحمالة (فقال أقم حتى تأتينا الصدقة) يعنى الزكاة فأل فيه عهدية والمعهود قوله تعالى إنما الصدقات (فنأمر) بالنصب ويجوز على بعد الرفع على الاستئناف (لك بها) أى بمسئلتك (ثم قال) إرشاداً إلى أنه لا ينبغى السؤال إلا عن حاجة حافة (١) أو لأمر مهم كما هنا (يا قبيصة ان المسألة) أى السؤال للصدقة المعهودة وهى الزكاة كما فى فتح الاله (لا تحل إلا لأحد ثلاثة ، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة) أى أن يسأل الامام وأهل الزكاة فى أوقاتها (حتى) إلى أن (يصيبها) أى حتى أيقضى دينه الذى تحمله لأجلها (ثم) بعد قضائها (يمسك) عن المسئلة إلا لضرورة أو حاجة أخرى (ورجل أصابته جائحة) بالجيم والحاء المهملة بينهما ألف فهمزة (اجتاحت) أى استأصلت (ماله) كزرعه وثمره (فحلت له المسألة) أى أن يسأل الناس فى سد خلته (حتى يصيب قواما من عيش) أى ما يقوم بحوائجه الضرورية والحاجية وهو بيان للقوام (أو) شك فى أى اللفظين المترادفين نطق به(قال سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة) أى فقر شديد اشتهر بين قومه (حتى يقول) بالنصب غاية لمقدر

---

(١) أى مطوقة له من كل جانب كما يقال حف القوم بالبيت أى أطافوا به فهم حافون . ع

ثلاثة من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيشٍ أو قال سدادا من عيش

أى وظهرت فلم تخف على قومه إلى أن يقول (ثلاثة من ذوى الحجى) بكسر المهملة وبعدها جيم مقصورة أى العقل الكامل (من قومه) لان مثل هذا العدد الذى هو أقل الكثير مع اتصافهم بكمال العقل وكونه من قومهم العارفين بحاله الظاهرة والباطنة والمطلعين منها على ما لا يطلع عليه أحد غيرهم منها يقبله ويصدقه كل أحد فيما يخبر به عن أحوال ذلك الرجل ، قائلين إخباراً للناس بحاله ليتصدقوا عليه مع التأكيد بلام القسم (لقد أصابت فلانا فاقة) وما شرحنا عليه يقول باللام هو ما وقفت عليه من نسخ الرياض وهو كذلك فى رواية أبى داود والذى فى صحيح مسلم حتى يقوم بالميم بدل اللام قال المصنف وهو صحيح والمعنى أى يقومون بهذا الامر فيقولون لقد أصابته الخ وقدره ابن حجر فى فتح الاله حتى يقوم على رءوس الاشهاد ثلاثة من ذوى الحجى قائلين لقدا أصابته الخ قال وبما تقرر فى معنى يقوم أنه باق على ظاهره وأن «لقد أصابت الخ» مقول قول محذوف حال من فاعل يقوم محذوفة لدلالة مقولها عليها لعدم صلاحية تعلقه بيقوم على أن حذف القول وابقاء مقوله سائغ فصيح وأن الباعث على هذا مزيد التحرى لمزيد السؤال والكف عنه حتى يظهر فقره واضطراره للناس باخبار العدد الكثير الجامعين مع وصف الكثرة لوصف العقل وكونهم من أقاربه المحيطين بحاله غالبا يعلم اندفاع قول الصغانى « يقوم » وقع فى كتاب مسلم والصواب يقول كما فى رواية أبى داود وقول غيره يقوم بمعنى يقول وهو وإن صح الا أن المراد المبالغة فى الكف عن المسئلة حتى يظهر صدقه وهو غالبا انما يظهر بثلاثة من قومه فذكر لذلك ، مبالغة لا لتوقف الحل عليه (فحلت له المسألة بسبب تلك القرائن الدالة على صدقه فى سؤاله (حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش) وفى تعبيره بالحاجة فى الثانى والفاقة فى الثالث حتى يشهد من ذكر غاية المبالغة فى الكف عن المسئلة الا بعد الوصول لحالة الاحتياج الشديد بل الاضطرار الملحق بأكل الميتة وفى قوله قواما أو سدادا أنه بعد أن حلت له المسئلة لا يكثر منها بل يقتصر على ما يقتصر عليه المضطر من سد الرمق لا أن يحتاج الى سد الرمق به فى المستقبل

فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا » ورواه مسلم (الحمالة) بفتح الحاء أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح إنسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه ؛ (والجائحة) الآفة تصيب مال الانسان ،

بان كان ذلك المحل يكثر فيه الناس زمنا ويقلون فى آخر ، فله السؤال فى أيام كثرتهم ما يقوم بحاجته أيام قلتهم (فما سواهن) أى هذه الاقسام الثلاثة (من المسألة) للزكاة أو وصدقة النفل (ياقبيصة سحت) أى حرام لايحل فعله لانه يسحت البركة أى يذهبها ويهلكها وأصل السحت الاهلاك ثم هو مرفوع هكذا فى نسخ الرياض فيما وقفت عليه قال المصنف فى شرح مسلم فما سواهن من المسألة ياقبيصة سحتا هكذا هو فى جميع النسخ سحتا بالنصب ورواه غير مسلم (١) وهو واضح ورواية مسلم صحيحة وفيه اضمار أى اعتقده سحتا أو يؤكل سحتا اه . ومنه يعلم أن إبدال الميم فى يقوم باللام والنصب بالرفع ان لم يكن من سبق قلم المصنف سهوا من رواية مسلم الى رواية غيره فهو من تحريف الكتاب وقوله (يأكلها) صفة لسحت والتأنيث باعتبار كونه خبر ما ، المراد منها الصدقة (صاحبها) حال كونها (سحتا) أى حراما خالصا لاشبهة فى أكلها ولا تأويل (رواه مسلم) فى الزكاة من صحيحه ورواه ابوداود والنسائى فى الزكاة من سننهما (الحمالة بفتح الحاء) المهملة وتخفيف الميم واللام بينهما الف (أن يقع قتال ونحوه بين فريقين) أو يوجد قتيل بين قريتين أنكره أهل كل منهما وأدى الامر الى التقاتل (فيصلح إنسان بينهم على مال يتحمله ويلتزمه على نفسه) دفعاً لتلك المفسدة والتعبير بالتفعل والافتعال لما تقدم فى قوله تحملت قال ابن حجر فى فتح الاله فيعطى من الزكاة ما يسد به دينه لذلك وإن كان غنيا (والجائحة الآفة) بالمد (تصيب مال الانسان) قال فى فتح الاله أصل وضع الجائحة مختص بالافة السماوية والمراد فى الحديث ما يشمل الارضية أيضا لأن المراد فقره وحاجته وفى النهاية الجائحة هى الافة التى تهلك الثمار والاموال وتستأصلها وكل مصيبة عظيمة وفتنة منفرة جائحة اه وفى المصباح الجائحة الافة اه

---

(١) كذا ، ولعله (ورواه غير مسلم بالرفع الخ) . ع

و (القوام) بكسر القاف وفتحها هو مايقوم به أمر الانسان من مال ونحوه، والسداد بكسر السين مايسد حاجةَ المعوز ويكفيه . و (الفاقة) الفقر و (الحجى) العقلُ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس المسكين الذى تردّه اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن

وهما مطلقان كما قال المصنف والذى أشار اليه ابن حجر فى فتح الاله هو قول الشافعى الجائحة ما أذهبت الثمر بأمر سماوى اه وحينئذ فلعل فيه لأهل اللغة قولين الاطلاق والتقييد (والقوام بكسر القاف) واقتصر عليه المصنف فى شرح مسلم وابن حجر فى فتح الاله (وفتحها) وهما مع تخفيف الواو واللغتان نقلهما فى المصباح فقال يقال هذا قوامه بالفتح والكسر وتقلب الواو ياء جوازا مع الكسرة أى عماده الذى يقوم به ومنهم من يقتصر على الكسر والقوم بالكسر ما يقيم الانسان من القوت والقوام بالفتح العدل والاعتدال اه فلعل من اقتصر على الكسر فسره بما يقم من القوت ومن ذكر الفتح معه فسره بقوله (وهو مايقوم به أمر الانسان من مال ونحوه) ولا يضر فى هذا الجمع كونه قال فى شرح مسلم القوام والسداد بكسر أولهما ما يغنى من الشىء ويسد به الحاجة اقتصر على الكسر إما لأن مراده مايغنى ويسد من خصوص القوت أو اقتصر عليه لأنه الأفصح (والسداد بكسر السين) المهملة (مايسد حاجة المعوز) بضم فسكون فكسر من أعوز الرجل افتقر (ويكفيه) أى من مال ونحوه كما قدمه المصنف فى قرينه الذى شك فيه الراوى هل هو أو ذاك ، زاد فى شرح مسلم وكل شىء سددت به شيأ فهو سداد بالكسر ومنه سداد الثغر وسداد القارورة وقولهم سداد من عوز (والفاقة) بالفاء والقاف بينهما ألف (الفقر) أى الحاجة كما فى المصباح يقال افتاق الرجل احتاج وهو ذوفاقة أى حاجة (والحجى) بالضبط السابق فيه (العقل) (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين) أى الكامل المسكنة الممدوحها لا لنفى أصل المسكنة (الذى ترده اللقمة واللقمتان) زاد مسلم فى رواية له (ليس المسكين بهذا الطواف الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان) (والتمرة والتمرتان ولكن) عطف على ما قبله ولكن لاستدراك ثبوت ما توهم نفيه من سابقه إذالمعهود فى المسكين عند

المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس » متفق عليه

﴿ باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع اليه ﴾

* عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنهم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول أعطه من هو أفقر

الناس هو الطواف وقد نفى عنه المسكنة فربما يتوهم نفيه مطلقا فرفع ذلك بقوله ولكن (المسكين الذى لا يجد غنى) بكسر أوله المعجم وبالقصر ضد الفكر (يغنيه) بضم التحتية أى يكفيه عن سؤال الغير (ولا يفطن له) لتصبره وكتم حاله وما هو فيه (فيتصدق عليه) بالبناء للمجهول منصوب فى جواب النفى (ولا يقوم فى الناس فيسأل الناس) أى فهذا هو الكامل المسكنة الممدوح وهذا الحديث قد سبق مع شرحه فى باب ملاطفة اليتيم والمسكين (متفق عليه) رواه البخارى فى التفسير ومسلم فى الزكاة من صحيحيهما ورواه النسائى فى الزكاة وفى التفسير من سننه كذا فى الاطراف للمزى

﴿ باب جواز الاخذ للمال ﴾

من باذله (من غير مسألة) أى سؤال (ولا تطلع) أى ترقب واستشراف (اليه * عن سالم بن عبد الله بن عمر) يكنى أبا عمر وقيل أبو عبد الله القرشى العدوى المدنى التابعى الامام الفقيه الزاهد العابد وأجمعوا على إمامته وجلالته وزهادته وعلو مرتبته وعن مالك بن أنس لم يكن أحد أشبه بمن مضى من الصالحين فى الزهد والقصد فى العيش من سالم كان يلبس الثوب بدرهمين وهو أحد الفقهاء السبعة فيما عدهم ابن المبارك توفى بالمدينة سنة ست فيما قاله البخارى وشيخه أبو نعيم وسنة خمس فيما قال الأصمعى وسنة ثمان فيما قال الهيثم ومائة (عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر رضى الله عنهم) فيه تغليب لهما على سالم فانه تابعى وإنما يقال بصيغة الجمع فى أبناء الصحابة المتناسقين كأسامة بن زيد بن حارثة وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بن أبى قحافة وأضرابهم (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء) أى من الغنائم (فأقول أعطه من هو أفقر)

اليه منى ، فقال خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غيرُ مشرفٍ ولا سائلٍ فخذه فتموّله فان شئت كله وإن شئت تصدق به ، ومالا فلا تتبعه نفسك ، قال سالم فكان عبد الله لايسألُ أحداً شيئاً

أى أحوج (اليه) أى العطاء بمعنى المعطى (منى) وكان ذلك من عمر لسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم النهى عن الاستكثار من الدنيا والحرص عليها وعنده حين دفع النبي صلى الله عليه وسلم له العطاء ما يكفيه فيقول أعطه (فقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (خذه) أى متملكا له بدليل إذنه له فى التصرف فيه بقوله (إذا جاءك) أى وصلك (من هذا المال) أل فيه للحقيقة ويحتمل كونها عهدية أى من مال العطاء (شيء) التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والجليل (وأنت غير مشرف ولا سائل) عطف على مشرف باعادة النافى دفعا لتوهم أن النفى منصب على مجموعهما والجملة فى محل الحال من مفعول أتاك (فخذه فتموله) أى اتخذه مالا ثم أنت مخير بين إنفاقه فى حاجتك وبين التصدق كما قال منبها بالفاء التفريعية فى قوله (فان شئت كله) أى فان شئت أكله فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه وهو قوله « كله » وقبله فاء الجواب مقدرة ومثله فيما ذكر من حذف مفعول شاء والفاء من الجواب قوله (وإن شئت تصدق به) ففى الحديث حذف فاء الجواب فى غير الشعر ومذهب سيبويه اختصاص الحذف به لكن زعم الأخفش أن حذفها واقع فى النثر وأن منه قوله تعالى « إن ترك خيراً الوصية للوالدين » وعن المبرد أيضا جواز حذفها فى الاختيار لكن قال فى الارتشاف فى حفظى قديما عن المبرد منع حذفها حتى فى الشعر وحينئذ فالحديث شاهد لمن أجاز حذف الفاء مطلقا ومن منع الاستشهاد بالحديث فى ذلك حمله على أنه من تغيير الرواة والله أعلم (ومالا) أى وأى مال لا يجيئك على الحال المذكورة بأن جاءك وأنت مشرف أو سائل (فلا تتبعه نفسك) معاملة لها بنقيض مرادها (قال سالم) ذكره ههنا هو النكتة فى ذكره قبل الصحابى أول الحديث نظير ما تقدم عن أبى بردة فى حديث أبى موسى فى الباب السابق قال سالم أى المذكور أولا (فكان عبد الله لايسأل أحداً شيئا) أى قليلا ولا جليلا

ولا يرد شيئاً أعطيه » متفق عليه ، (مشرفٌ) بالشين المعجمة أى متطلع اليه

﴿ باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال ﴾

والتعرض للاعطاء . قال الله تعالى « فأذا قُضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » * وعن أبى عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتى الجبل

من الدنيا كما يؤذن به التنوين (ولا يرد شيئا أعطيه) عملا بالحديث المذكور ووقوفا عنده وقد كان ابن عمر شديد الاتباع (متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة وفى الأحكام من صحيحه ومسلم فى الزكاة من صحيحه رواه النسائى فى الزكاة من سننه (مشرف) بصيغة الفاعل من الاشراف بالمعجمة والفاء أى متطلع اليه وفى فتح البارى الاشراف التعرض للشىء والحرص عليه من قولهم : أشرف على كذا إذا تطاول له وقيل للمكان المرتفع شرف لذلك قال أبو داود سألت أحمد عن إشراف النفس فقال بالقلب وقال يعقوب بن محمد سألت أحمد عنه فقال هو أن يقول مع نفسه يبعث لى فلان بكذا وقال الأمر يضيق عليه أن يرده اذا كان كذلك اه

باب الحث

بفتح المهملة وتشديد المثلثة أى التحريض (على الاكل من عمل يده) بالاحتراف والاكتساب (والتعفف به عن السؤال والتعرض) معطوف على مجرور، وعن التعرض أى التطلب (للاعطاء قال الله تعالى فاذا قضيت الصلاه) أى صلاة الجمعة (فانتشروا فى الأرض) أى لقضاء حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) أى رزقه وهذا أمر إباحة بعد الحظر ، عن بعض السلف من باع واشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة (وعن أبى عبدالله الزبير بن العوام) بن خويلد القرشى الاسدى المكى ثم المدنى أحد العشرة المبشرة بالجنة تقدمت ترجمته (رضى الله عنه) فى باب الأمر بأداء الامانة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مؤكدا للشىء المقطوع بصدقه بالقسم المقدر المؤذن به اللام من قوله (لان يأخذ أحدكم) أى والله لاخذ أحد منكم (أحبله) بفتح أوله وسكون المهمله وضم الموحدة جمع قلة ، الحبل (ثم يأتى الجبل) أى مثلا فغيره من المغارات محال الحطب كذلك

فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه البخارى * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » متفق عليه * وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده »

ولعل التصريح به مافى الصعود فيه من زيادة المشقة على سلوك الأودية (فيأتى بحزمة من الحطب على ظهره) من نفسه أو من ظهر دابته والأول أنسب بما قبله (فيبيعها فيكف الله بها وجهه) أى فيمنع الله بها ذاته من الحاجة وعبر بالوجه عن الكل لأنه أشرف الاجزاء الانسانية أولان السؤال إنما يكون به غالبا (خير له من أن يسأل الناس) قال الحافظ فى الفتح خير ليس للتفضيل إذ لا خير فى السؤال مع القدرة على الكسب بل الاصح حرمته عند الشافعى ويحتمل أنه كذلك بحسب اعتقاد السائل وتسمية الذى يعطاه خيرا وهو فى الحقيقة شرا (أعطوه أومنعوه) تقسيم للسؤال المفضل عليه الاكتساب وتصدير الحديث بالقسم الدال عليه اللام كما تقدم لتأكيده فى نفس السامع وفيه مزيد الحض على التعفف عن المسئلة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه فى طلب الرزق وارتكب المشاق فى ذلك ولولا قبح المسئلة فى نظر الشرع لما فضل عليها ذلك . وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسؤل من الضيق فى ماله إن أعطى كل سائل (رواه البخارى) فى الزكاة من صحيحه ورواه ابن ماجه فى الزكاة من سننه أيضا (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره) أى فيبيعها فيكف الله بها وجهه كما تقدم فى حديث الزبير قبله قال الحافظ فى الفتح وحذف من هذه الرواية لدلالة السياق عليه (خيرله من أن يسال أحدا) هو بمعنى قوله فيما قبله من أن يسال الناس (فيعطيه أويمنعه متفق عليه) رواه البخارى فى الزكاة من صحيحه ورواه مسلم فيها من طريق آخر فى صحيحه ورواه الترمذى من طريق مسلم فى الزكاة وقال حسن غريب مستغرب من حديث بيان عن قيس (وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يديه)قال الحافظ الظاهر أن الذى كان يعمله

رواه البخارى * وعنه أن رسول الله صلى الله عليه قال « كان زكرياء عليه السلام نجاراً » رواه مسلم * وعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه،

داود بيده الدروع وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع أنه كان من كبار الملوك قال تعالى « وشددنا ملكه » وكان مع سعة ملكه يتورع ولا يأكل الا من عمل يده (رواه البخارى) فى البيوع من صحيحه من حديث أبى هريرة باللفظ المذكور من جملة حديث أوله « خفف على داود القرآن وفى آخره وكان لا يأكل إلا من عمل يديه » (وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكرياء) قال المصنف فى التهذيب : فيه خمس لغات أشهرها بالمد والثانية بالقصر وبهما قرىء فى السبع والثالثة والرابعة زكرى بلا الف بتخفيف الياء وتشديدها حكاهما ابن دريد وآخرون من المتأخرين (١) الجو اليقى والخامسة زكر كعلم حكاها أبو البقاء وقوله (عليه السلام) فيه إيماء الى ما قدمناه من أنه لا كراهة فى إفراد واحد من الانبياء بالصلاة لحديث الطبرانى « صلوا على سائر الانبياء فانهم بعثوا كما بعثت » نجاراً » وهذا من الفضائل لحديث البخارى « أفضل ما أكل الرجل من عمل يده » ولحديث المقدام وغيرهما وفى شرح مسلم للمصنف فى الحديث جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة وفيه فضيلة لزكرياء صلى الله عليه وسلم وأنه كان صانعاً يأكل من كسبه (رواه مسلم) فى أحاديث الانبياء من صحيحه ورواه ابن ماجه فى كتاب التجارات بالفوقية من سننه * (وعن المقدام) بكسر الميم وسكون القاف وبالدال المهملة (ابن معديكرب) بسكون الياء (رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط) بفتح القاف وضم الطاء المهملة المشددة ظرف لاستغراق ما مضى وباقى الازمنه مقيسه عليه فيما يأتى (خيراً من أن يأكل) أى أو يشرب أو يلبس وذكر الاكل لانه أغلب أنواع الاستعمال كما قيل به فى قوله تعالى « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما » فان المراد استعمالها بأى وجه وذكر لذلك (من عمل يديه)

---

(١) كذا ، ولعلها كالجواليقى . ع

وإن نبي الله دود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخارى

﴿ باب الكرم والجود ﴾

كناية عن الكسب وذكر اليدين إما لانه أفضل مما ليس فيه عملهما ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم قيل له « أى الكسب أفضل فقال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » أولان أغلب الاعمال بهما والا فالمراد مطلقه كالحاصل من كسب النظر كأن يستأجر لحفظ متاع والسمع كأن يستأجر لسماع طلب درس علم أوالنظر كأن يستأجر لقراءة قرآن أولا من شيء من أعضائه كأن يستأجر ليصوم عن ميت ثم المراد كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه قال فى فتح الاله : ويؤخذ من عموم الحديث أن الاكتساب خير من التوكل على أنه لاينافيه بل هو عينه ، لكن بقيد كما يفهم ذلك حده الذى قيل فيه إنه أفضل حدوده ، انه مباشرة الاسباب مع شهود مسببها فالاكتساب مع شهود أن حصوله بتيسير الله له ولطفه به وإقداره عليه وفتح أبواب الرزق التى يحتاج اليها أفضل من عدمه . وان كان انما تركه لنحو صلاة أوصيام وقد كان شأن أكابر القوم ذلك فقد كان للجنيد سيد الطائفة الصوفية دكان فى البزازين وكان يرخى ستره عليه فيصلى مابين الظهرين قبل الف ركعة وقيل أربعمائة وقيل مائة ولعله اختلف فعله فحكى كل من أصحابه ما اطلع عليه وكان ابن أدهم يكثر الكسب وينفق منه ضرورته ويتصدق بباقيه وكان أحب طرقه اليه حفظ البساتين وخدمتها لانه تتم له فيها الخلوة ومجاهدة النفس بأعظم أنواع مجاهدتها ومن ثم لم يعهد أنه أكل من ثمرة من ثمارها ، وترك بعض الكسب كان بعد كمال رياضة نفوسهم وتهذيبها (وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده رواه البخارى) فى أوائل البيوع من صحيحه قبيل حديث أبى هريرة المذكور قبله وهو مما انفرد به البخارى عن باقى الكتب الستة والله أعلم

﴿ باب الكرم والجود ﴾

بضم الجيم الكرم بذل ما ينبغى من المال فيما ينبغى وفى الشفاء للقاضى عياض الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة وفرق بعضهم بينهما بفروق

والانفاق فى وجوه الخير ثقة بالله تعالى قال الله تعالى : « وما انفقتم من شىء فهو يُخْلِفُه » وقال تعالى : وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم وانتم لاتظلمون » وقال تعالى : « وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاحسد

جعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيم يعظم خطره ونفعه ، وسموه أيضا حرية وهو ضد النذالة ، والسماحة التجافى عمايستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاية والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب مالا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير اه قال فى المصباح يقال جاد الرجل يجود جودا بالضم تكرم (والانفاق فى وجوه الخير) من صدقة وصلة رحم وقرى ضيف ووقف على جهة خير ونحو ذلك (ثقة بالله تعالى) أى بوعده الذى لا يخلف من حسن الجزاء على ذلك فى دار القرار قال الله تعالى « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما » وقال تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها » وقال صلى الله عليه وسلم « والصدقة برهان » أى علامة على تصديق باذلها بوعدالله تعالى (قال تعالى وما أنفقتم من شىء) أى فى رضا الله تعالى (فهو يخلفه) يعوضه فى الدارين أو فى أحدهما وقد تقدمت مع الكلام عليها فى باب الانفاق على العيال (وقال تعالى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) أى وأى إنفاق منكم لمرضاة الله تعالى فلأنفسكم ثوابه فلا تمنوا به على أحد (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) الواو للحال أو عطف يعنى أن المؤمن لا ينفق إلا لمرضاة الله تعالى وقيل نفى فى معنى النهى قال عطاء الخراسانى معناه إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله ، فانك مثاب لنفسك كان السائل مستحقاً أو غيره براً أو فاجرا (وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) فلا ينقص ثواب صدقاتكم (وقال تعالى وما تنفقوا من خير) أى مريدين به مرضاته سبحانه (فان الله به عليم) أى فيجازيكم بقدره وفيه ترغيب فى الانفاق لذلك (وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد) أى لا غبطة كما يأتى فتجوز به

إلا فى اثنتين رجلٌ آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجلٌ آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » متفق عليه

عنها بجامع تمنى مثل النعمة إلا أنها تزيد على الحسد بتمنى زوالها عن صاحبها (إلا فى اثنتين) أى من الخصال (رجل) بالرفع على القطع باضمار مبتدأ أو مضاف وتقديرهما خصلتا رجل فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وارتفع ارتفاعه ورايته فى أصل مصحح من مسلم بجر رجل ويخرج على أنه بدل من اثنين بتقدير مضاف قبله أى إلا فى ذى اثنين رجل الخ ثم رأيت الحافظ فى فتح البارى ذكر فيه وجوه الاعراب الثلاثة وصدر بالجر ولم يذكر وجهه قال والرفع على الاستئناف والنصب باضمار أعنى اه (آتاه) بالمد والفوقية أى أعطاه (الله مالا) التنوين فيه للتعميم فيشمل القليل والكثير لكن فى انفاق الأول تفصيل مذكور فى كتب الفقه (فسلطه على هلكته) بفتح أوائله وهو مصدر هلك يهلك من باب ضرب يضرب هلكا وهلاكا وهلوكا ومهلكا بفتح الميم وتثليث اللام أى انفاقه (فى الحق) خلاف الباطل أى فى القرب والطاعات وفيه إيماء إلى أن إذهابه فى خلاف ذلك من إتلاف المال بالباطل (ورجل آتاه الله حكمة) أى علما قال الحافظ المراد به القرآن كما ورد فى حديث ابن عمرو أو أعم من ذلك وضابطها ما منع من الجهل وزجر عن القبيح اه (فهو يقضى بها) بين المتنازعين اليه (ويعلمها) الطالب لها (متفق عليه) قال السيوطى فى الجامع الكبير ورواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر بلفظ (لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» ورواه أحمد والبخارى من حديث أبى هريرة بلفظ» لاحسد إلا فى اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال ليتنى أو تيت مثل ماأوتى فلان فعملت مثل مايعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق فقال رجل ليتنى أو تيت مثل ماأوتى فلان فعملت مايعمل »ورواه ابن عدى والبيهقى والخطيب من حديث أبى هريرة بلفظ «لاحسد ولا ملق إلا فى طلب العلم» ورواه ابن نصر فى كتاب الصلاة من حديث ابن عمر بلفظ» لاحسد الا على اثنتين رجل آتاه الله مالا فصرفه فى سبيل الخير ، ورجل

ومعناه ينبغى ألا يغبط أحد إلاَّ على إحدى هاتين الخصلتين * وعنهُ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله قالوا يارسول الله مامِنَا أحد إلا مالهُ أحبّ إليه قال فأن ماله ما قدَّمَ ومالَ وَارثه ما أخر » رواه البخارى * وعنْ عدى بن حاتم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ »

آتاه الله علما فعلمه وعمل به » اه (ومعناه ينبغى ألا يغبط أحد) على حال هو فيه كائناما كان (إلا على إحدى هاتين الخصلتين)لعظم نفعهما وحسن وقعهما وإذا كان يغبط على أحدهما فجملتهما بالاولى(وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قال فى الفتح أى إن الذى يخلفه الانسان من المال وان كان حالا منسوبا إليه فانه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبا له فنسبته للهالك فى حياته حقيقية وللوارث حينئذ مجازية ومن بعد حقيقية (قالوا يارسول الله مامنا أحد) التقديم للخبر الظرفى على المبتدأ للاهتمام بجانبه (إلا ماله أحب اليه) جملة وصفية لاحد ويصح كونها فى محل الحال لتخصيصه بتقديم الخبر وحذف المفضل عليه وهو قوله من مال وارثه اكتفاء بذكره فى كلام السائل (قال فان ماله ماقدم) بأن تصدق أو أكل أو لبس كما فى الحديث السابق « ليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت» أو كما قال فهذا هو الذى يضاف اليه حيا وميتا بخلاف ما يخلفه من المال قال ابن بطال فيه التحريض على مايمكن تقديمه من المال فى وجوه البر والقرب لينتفع به فى الآخرة فان كل مايخلفه يصير ملكا للوارث كما قال (ومال وارثه ما أخر) فان عمل فيه بطاعة الله اختص بثوابه عن الميت وإن كان عمل فيه بمعصية الله تعالى فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع إن سلم من تبعته ولا يعارض حديث سعد بن أبى وقاص (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة) لأن ذلك فيمن تصدق بماله كله أو معظمه فى مرضه وهذا الحديث فيمن تصدق حال صحته (رواه البخارى) فى الرقاق من صحيحه ورواه النسائى فى الوصايا من سننه (وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار) أى اتخذوا بينكم وبينها وقاية من صالح الاعمال جل أو قل (ولو بشق) بكسر المعجمة أى نصف (تمرة

متفق عليه * وعن جابر رضى الله عنه قال « ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قطّ فقال لا » متفق عليه * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا

متفق عليه) وقد تقدم مع الكلام عليه فى آخر الحديث الطويل فى باب الخوف (وعن جابر رضى الله عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط) لتأكيد (١) استغراق الازمنة وتنكير شيئا ليعم جلالة المسؤل وقلته ووجدانه له وفقده (فقال لا) بل ان كان عنده أعطاه أو يقول له ميسورا من القول فيعده أو يدعو له فكان إن وجد جاد ، والاوعد ولم يخلف الميعاد ، فليس المراد أنه يعطى ماطلب منه جزما ، بل إنه لاينطق بالرد فان كان عنده المسؤل وساغ الاعطاء أعطى وإلا وعد ، وقوله للاشعريين والله لا أحملكم أجيب أنه تأديب لهم لسؤالهم منه ما ليس عنده مع تحققهم ذلك ومن ثمة حلف حسما لطمعهم فى تحصيله بنحو استدانة (متفق عليه) رواه البخارى فى الادب من صحيحه ومسلم فى فضائل النبى صلى الله عليه وسلم والترمذى فى الشمائل (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من) مزيدة للتنصيص على العموم والاستغراق فى قوله (يوم) جاء فى حديث أبى الدرداء « ما من يوم طلعت فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين يأيها الناس هلموا إلى ربكم ان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمسه الا وبجنبيها ملكان يناديان » فذكر مثل حديث أبى هريرة (يصبح العباد فيه) هذا ظاهر فى أن المراد من اليوم ضد الليل (الاملكان) فى حديث أبى الدرداء الا وبجنبيها ملكان والجنب بسكون النون الناحية (ينزلان) والجملة حال من العباد (فيقول) بالرفع عطف على الفعل المرفوع (أحدهما اللهم أعط منفقا) قال الابى : أى النفقة فى الواجب لان فى المال حقوقا متعينة والنفقة فى المندوب لكن بالمعروف وقال القرطبى هو يعم الواجبات والمندوبات لكن الممسك عن المندوبات لايستحق الدعاء الا أن يغلب عليه

---

(١) أى الاتيان بقوله قط الخ . ع

خَلَفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفاً » متفق عليه * وعنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله تعالى أنفقْ يُنْفَقَ عليك » متفق عليه * وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما « أن رجلاً

البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه باخراج الحق الذى عليه ولو أخرجه اهـ (خلفا) يحتمل أن يكون فى الدنيا ويحتمل أن يكون فى الآخرة وفيه الحض على الانفاق ورجاء قبول دعوة الملك ويشهد لهذا قوله تعالى «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه» وفى اعتبار المعروف قوله تعالى « ولا تبسطها كل البسط » (ويقول الآخر) بفتح المعجمة (اللهم أعط ممسكا) أى عن الانفاق الواجب والمندوب (تلفاً) قال الحافظ فى الفتح التعبير بالعطية فى هذا للمشاكلة لأن التالف ليس عطية والتالف يحتمل أن يراد تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال والمراد به فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها وأفاد هذا الحديث توزيع الكلام بينهما فنسب اليهما فى حديث أبى الدرداء نسبة المجموع إلى المجموع قال المصنف الانفاق الممدوح ما كان فى الطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات (متفق عليه) أخرجاه فى الزكاة من صحيحيهما وأخرجه النسائى فى عشرة النسائى وفى التفسير من سننه والحديث قد تقدم مع شرحه فى باب النفقة على العيال * (وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى) أى فهو من الاحاديث القدسية (أنفق) (١) أى أيها الصالح للخطاب من سائر المؤمنين أى أنفق المال فى وجوه القرب بالطريق المأذون فيه شرعا ايمانا واحتسابا (ينفق عليك) بالبناء للمفعول وحذف الفاعل للعلم به سبحانه وهو مجزوم جواب شرط مقدر أى إن تنفق ينفق أى يوسع عليك ويخلف عوض ماتنفقه فعبر عنه بالانفاق على سبيل المشاكلة (متفق عليه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء إما على لغة من يقف على المنقوص المعرف بالسكون وإما على أنه من الاجوف أى من العيص لكن الافصح على كونه من المنقوص الوقف عليه بالياء وقد تقدم ذلك (رضى الله عنهما أن رجلا) فى صحيح مسلم عن أبى موسى قال قلت يارسول الله وجاء فى طريق أخرى عنها « سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » فهذا ظاهر

---

(١) فى بعض نسخ المتن « أنفق يا ابن آدم ». ع

سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيّ الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه * وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعون خَصلة أعلاها منيحة العنز مامن عامل يعمل بخصلة

فى أنه هو (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقوله (أى الاسلام خير) على تقدير القول أى قائلا أى الاسلام أى أى خصاله أو أى ذويه ، فعلى الثانى يقدر قبل قوله (قال تطعم) بالرفع (الطعام) وما بعده ، مضاف أى ذو إطعام الطعام لأن المراد من الفعل فيه المصدر إما على تقدير أن المصدرية قبله أو على تنزيل الفعل منزلته والوجهان مذكوران فى نحو تسمع بالمعيدى خير من أن تراه واقتصر البدر الدمامينى فى مصابيحه على الأول وقال فيه حذفها فى غير مواضعها المشهورة كالمثال المذكور قال على أن بعضهم جعل حذفها على الاطلاق مقيسا قال والظاهر أن المراد الاطعام على وجه الصدقة والهدية والضيافة ونحو ذلك لأنه ذكر بصيغة العموم (وتقرأ السلام) مفتوح الفوقية والراء لأنه من قرأ قال الزركشى ويجوز ضم أوله وكسر ثالثه قال الدمامينى هى لغة سوء قال القاضى عياض لا يقال أقرئه السلام إلا فى لغة سوء إلا إذا كان مكتوبا إليه فتقول ذلك أى اجعله يقرؤه كما يقال أقرىء الكتاب اه أى ولا يتأتى هذا الأخير هنا اه أى لأن المراد إفشاء السلام على من لقيت (على من عرفت ومن لم تعرف) وفى بذل الطعام كما ذكرنا وقرء (١) السلام على من ذكر استئلاف للقلوب واستجلاب لودها فلا جرم وقع الحض عليهما (متفق عليه) أخرجه البخارى ومسلم فى الايمان وابن ماجه فى الأطعمة (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون خصلة)جاز الابتداء بأربعون مع نكارته لتخصيصه بالعمل فى تمييزه لأن الأصح عند النحاة أن العامل فى التمييز عن مبهم هو ذلك الاسم المفسر قال الحافظ فى الفتح وعند احمد أربعون حسنة (أعلاها منيحة العنز) قال أبوعبيدة المنيحة عندالعرب على وجهين : أولهما اعطاء الرجل صاحبه نحو شاة صلة ثانيهما أن يعطيه شاة أو ناقة ينتفع بحلبها ثم يردها وهذا هو المراد هنا (ما من عامل يعمل بخصلة) أى

---

(١) باسكان الراء مصدر كالقراءة معطوف على بذل . ع

منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخلَهُ اللهُ تعالى بها الجنة » رواه البخارى ، وقد سبق بيانُ هذا الحديث فى باب بيان كثرة طُرُق الخير * وعنْ أبى أُمامة صدَىّ بن عجلان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن آدم إنك أن تبذلَ الفضل خير لك وأن تُمسكَه شرٌ لك ولا تلام على كَفَافٍ وابدأ

بواحدة (منها رجاء ثوابها) مفعول له ويصح كونه منصوبا على الحال أى راجيا ثوابها وفيه إيماء إلى أن ترتب الثواب على صالح العمل ليس على سبيل اللزوم بل على سبيل الفضل من المولى سبحانه (وتصديق موعودها) الاضافة لأدنى ملابسة أى الموعود به فيها (إلا أدخله الله بها الجنة) قال الحافظ ابن حجر نقلا عن ابن بطال قد كان النبى صلى الله عليه وسلم عالما بالأربعين المذكورة وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع من ذكرها وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدا فى غيرها من أبواب البر قال الحافظ بعد أن نقل عن ابن بطال عن بعضهم تعيين تلك الخصال وتعقب ابن المنير له فى كون بعضها أعلى من المنيحة ما لفظه وأنا موافق لابن بطال فى إمكان تتبع أربعين خصلة من خصال الخير أدناها منيحة العنز وموافق لابن المنير فى رد كثير مما قال ابن بطال مما هو ظاهر أنه فوق المنيحة والله أعلم (رواه البخارى) فى أواخر الهبة من صحيحه ورواه أبو داود فى كتاب الزكاة من سننه (وقد سبق بيان هذا الحديث) أى بذكر معنى المنيحة (فى باب بيان كثرة طرق الخير * وعن أبى أمامة) بضم الهمزة وتخفيف الميمين (صدى) بضم ففتح فتشديد التحتية (ابن عجلان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل) بفتح همزة أن المصدرية وهى ومدخولها فى تأويل مصدر منصوب بدل اشتمال من اسم إن أى بذلك الفضل وبكسرها على أنها شرطية والفضل ما زاد على ما تدعو إليه حاجة الانسان لنفسه ولمن يمونه (خير لك) خبر ان على الأول وخبر محذوف مع الفاء على الثانى أى فهو خير لك وبه يتبين ترجيح الفتح لأن الأصل عدم الحذف (وأن تمسكه) بفتح الهمزة أى وإمساكك إياه (شر لك) لأنك تحاسب عليه ولا تلقاه بين يديك عند حاجتك إليه (ولا تلام) أى ولا يلحقك لوم من الشرع (على كفاف) أى امساك ما تكف به الحاجة (وابدأ

بمنْ تعول ، واليدُ العليا خير من اليد السفلى » رواه مسلم * وعن أنس رضى الله عنه قال « ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال ياقوم أسلموا فانّ محمداً يُعطى عطاء

بمن تعول) من زوجة وقريب وعبد ودابة لأن حقهم واجب وهو أفضل من المندوب بسبعين ضعفا (واليد العليا) المنفقة وقيل المتعففة عن السؤال (خير من اليد السفلى) أى الآخذة وقيل السائلة والحديث تقدم مع الكلام عليه فى باب فضل الجوع (رواه مسلم * وعن أنس رضى الله عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام) على فيه تعليلية أى لأجل الاسلام (شيئا) من الدنيا جل أو قل وهو ثانى مفعولى سئل (إلا أعطاه) ترغيبا فى الاسلام وانقاذا لذلك من النار للرحمة التى طبع عليها (ولقد جاءه رجل) لم يتعرض المصنف فى شرح مسلم لبيانه ولعله كان من المؤلفة (فأعطاه غنما بين جبلين) أى كثيرة كأنها تملأ مابين الجبلين وهذا الاعطاء منه صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون عن سؤال من ذلك الرجل ويحتمل أن يكون ابتداء لترغيبه فى الاسلام إن لم يكن أسلم أولدوامه عليه إن أسلم ونيته ضعيفة فيه ، قال المصنف يجوز أن يعطى المسلم من المؤلفة من الزكاة ومن بيت المال ولا يجوز أن يعطى مؤلفة الكفار من الزكاة وفى إعطائهم من غيرها خلاف ، الاصح عندنا لايعطون منه الآن لأن الله قد أعز الاسلام وكثرهم بخلاف أول الاسلام وقد قل المسلمون اه (فرجع إلى قومه) داعيا لهم إلى الاسلام (فقال ياقوم أسلموا) أى لتغنموا الدنيا لأنه لم يكشف له أنوار اليقين إلى حينئذ كما يدل عليه قوله (فان محمداصلى الله عليه وسلم يعطى عطاء) مفعول مطلق جوز الهمدانى فى مثله من قوله تعالى(والله أنبتكم من الارض نباتا) أن يكون مصدراً مؤكداً لفعله وفعل محذوف يدل عليه أنبت والتقدير أنبتكم فنبتم نباتا وأن يكون مؤكداً لعين أنبت على حذف الهمزة من أوله وله نظائر فى كلام العرب نظما ونثرا اه واقتصر ابن هشام فى الجامع على كونه مؤكداً لعامله قال شارحه فنبات مصدر لفعل عين أنبت ووقع فى التوضيح مايقتضى التمثيل به لاسم العين النائب عن

من لايخشى الفقر ، وإنْ كان الرجُلُ ليسلم مايريد إلا الدنيا فما يلبثُ إلا يسيراً حتى يكون الاسلامُ أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها » رواه مسلم * وعن عمر رضى الله عنه قال « قَسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَسما فقلت يارسول الله لغير هؤلاء كانوا أحقَّ به منهمْ قال إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش فأعطيهم ، أو يبخّلوني

المصدر قال قرينه (١) وهو مخالف لكلام النحويين اه وقيد العطاء انما يدل على المبالغة فيه بقوله (من لايخشى) يخاف (الفقر) لشدة معرفته بهبات ربه وسعة خزائن فضله وقوله (وإن) مخففة من الثقيلة أى وإنه (كان الرجل ليسلم) أى يدخل فى الاسلام وينتظم فى عدادهم (مايريد) باسلامه (إلا الدنيا) لما يرى من مزيد بذله صلى الله عليه وسلم تأليفا على الاسلام وترغيباً فيه (فما يلبث) بفتح التحتية والموحدة وسكون اللام بينهما أى يمكث (إلا) زمنا (يسيراً) تشرق فى قلبه أشعة أنوار الايمان وتخالط بشاشته قلبه فيتمكن منه (حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما عليها) فهذا من كمال رحمته ومزيد معرفته ان دواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الامراض إلى ضدها فصلى الله وسلم عليه ، وزاده فضلا وشرفا لديه ، وفيه عناية الله بأولئك الذين أهلهم لمعاملة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم اياهم بتلك المعاملة لينالوا الدرجات العلية (رواه مسلم) فى فضائل الانبياء من صحيحه اوعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما) أى مايقسم من مال الغنائم أو الخراج أو نحو ذلك (فقلت) معطوف على مقدر دل عليه الكلام فأعطى أناسا وترك آخرين (يارسول الله لغير هؤلاء) أى المعطين (كانوا أحق) أى أولى (به) أى بالعطاء (منهم) أى من هؤلاء وأكد باللام المؤذنة بالقسم المقدر واسمية الجملة لما فهمه من ترك النبي صلى الله عليه وسلم إعطاءهم من أن غيرهم أحق بذلك منهم قال الابى وهذا التنبيه لظنه أن الايثار بالعطاء بحسب الفضيلة والسابقة فى الدين فبين له صلى الله عليه وسلم سببه بقوله (قال إنهم خيروني) قال الابى : الأظهر أنه بلسان الحال أى وكلوا الخيرة إلى (بين أن يسألوني بالفحش فأعطيهم أو) أن (يبخلوني) معناه كما قال المصنف

---

(١) كذا بالاصول . ع

ولست بباخل » رواه مسلم * وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه قال « بينما هو يسير مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حُنَين فعَلق الاعرابُ يسألونه

أنهم ألحوا على فى السؤال لضعف إيمانهم وألجئونى بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو بنسبتى إلى البخل (ولست بباخل) ولا ينبغى احتمال أحد الأمرين وقال الابى نقلا عن عياض المعنى أنهم أشطوا عليه فى السؤال على وجه يقتضى أنه ان أجابهم إليه حاباهم وان منعهم آذوه ويخلوه فاختار أن يعطى إذ ليس البخل من خلقه صلى الله عليه وسلم مدارة وتألفا كما قال صلى الله عليه وسلم « شر الناس من اتقاه الناس اتقاء لشره » وكما أمر باعطاء المؤلفة ففيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق والصبر والحلم والاعراض عن الجاهلين كما أمر صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم) فى الزكاة من صحيحه وقد انفرد به عن باقى الستة (وعن) أبى محمد ويقال أبو عدى (جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة وسكون التحتية (ابن مطعم) بصيغة اسم الفاعل ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف ابن قصى القرشى النوفلى المدنى (رضى الله عنه) أسلم يوم الفتح وقيل قبله وحسن إسلامه وكان سيداً حكيما وقورا بشأنه (١) رئيسا كاتبا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ابن الجوزى نحو ثلاثين حديثا اتفق الشيخان على ستة منها وانفرد البخارى بثلاثة ومسلم بواحد وخرج عنه الأربعة مات بالمدينة سنة ثمان أو تسع بتقديم الفوقية (أنه قال بينما) ما مزيدة لكف بين عن الاضافة فالجملة الاسمية بعدها مستأنفة (هو يسير مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله) منصوب على الظرفية الزمانية أى زمن رجوعه (من حنين) بضم المهملة وتخفيف النونين بينهما تحتية ساكنة فى السنة الثامنة بعد الفتح فى شوال (فعلق) بفتح العين وتخفيف اللام وبالقاف من أفعال الشروع بوزن طفق ومعناه وقد جاء بدله فى رواية الكشميهنى ثم هو فى البخارى بالتاء الممدودة بالتأنيث لاسناده إلى (الاعراب) وهو اسم جمع لعرب كما قال سيبويه لأنه خاص بسكان البوادى والعرب تعمهم والحاضرين ورأيت فى أصل مصحح فعلقه بهاء الضمير والظاهر أنها تاء التأنيث وربطت فى الرسم لمن تحريف الكتاب وقوله (يسئلونه) جملة

---

(١) كذا وفى نسخة لسانه فلينظر ٠ ع

حتى اضطرُّوه إلى سَمُرَةٍ فَخَطَفَتْ رداءه فوقف النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال أعطونى ردائى فلو كان لى عددُ هذه العِضَاهِ نَعَماً لقسمتهُ بينكُمْ ثم لاتجدونى بخيلا ولاَ كذاباً ولا جباناً »

فى محل الخبر لعلق (حتى اضطروه) أى ألجأوه (إلى سمرة) بفتح المهملة وضم الميم شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب قاله ابن التين وقال الداودى السمرة هى العضاه وقال الخطابى ورق السمر أثبت وظلها أكثف ويقال هى شجرة الطلح (فخطفت) بكسر الطاء المهملة (رداءه) قال فى المصباح خطفه من باب سمع استلبه بسرعة وخطف من باب ضرب لغة فيه وعند (١) ابن شبه فى كتاب مكة حتى عدلوا ناقته عن الطريق فمر بسمرات فانتهشن ظهره وانتزعن رداءه والباقى بنحو حديث جبير (فوقف النبى صلى الله عليه وسلم) أى بامساك خطام الناقة الذى بيده (فقال أعطونى ردائى) قال فى المصباح الرداء بكسر الراء وبالمد ما يرتدى به مذكر لايجوز تأنيثه قال ابن الانبارى وتثنيته ردآن ، وربما قلبوا الهمزة فقالوا رداوان والجمع أردية بالياء كسلاح وأسلحة (فلو كان لى عدد هذه العضاه) بالرفع اسم كان وخبرها (نعما) بالنصب ويجوز على التمييز كما فى الفتح للحافظ زاد الدمامينى ولى خبر كان فى رواية أبى ذر بالرفع على أنه اسم كان مؤخراً وعدد بالنصب خبر مقدم (لقسمته بينكم) قال ابن المنير وهذا تنبيه بطريق الأولى لأنه إذا سمح بمال نفسه فلأن يسمح بقسم غنائمهم عليهم أولى (ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا) أى لاتجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن فالمراد نفى الوصف من أصله لا نفى المبالغة المدلول عليها بالصيغة قال ابن المنير فى جمعه صلى الله عليه وسلم بين هذه الصفات لطيفة وذلك أنها متلازمة وكذا أضدادها وأصل المعنى هنا الشجاعة فان الشجاع واثق من نفسه بالخلف من كسبه فبالضرورة لا يبخل ، وإذا أمهل عليه العطاء لا يكذب بالخلف فى الوعد لأن الخلف إنما ينشأ من البخل ، واستعمال ثم هنا ليس مخالفا لمقتضاها وإن كان الكرم يتقدم العطاء لكن علم الناس بكرم الكريم إنما يكون

---

(١) كذا ولعل الصواب ابن أبى شيبة . ع

رواه البخارى (مَقْفَلَهُ) أى فى حال رجوعه (السمرة) شجرة ، (العضاه) شجر لهُ شوْك * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ما نقصت صدقةٌ من مال ، ومازاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل »

بعد العطاء وليس المراد هنا بثم الدلالة على تراخى العلم بالكرم عن العطاء إنما التراخى هنا لعلو رتبة الوصف كأنه يقول وأعلى من العطاء بما لا يتقارب أن يكون العطاء عن كرم فقد يكون عطاء بلا كرم كعطاء البخيل قهراً أو نحو ذلك قاله الدماميني فى المصابيح وفى الفتح للحافظ : فى الحديث ذم الخصال المنفية وأن إمام المسلمين لا ينبغى أن يكون فيه خصلة منها وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر على جفاة الاعراب وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة لخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك ولا يكون ذلك من الفخر المذموم اه ملخصا (رواه البخارى) فى الجهاد وفى الخمس من صحيحه منفردا به عن باقى الستة (مقفله) بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه (أى فى حال) أحسن منه زمان (رجوعه) لما قدمناه وبذلك عبر الحافظ فى الفتح (السمرة شجرة) تقدم بيانها (العضاه) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة (شجر له شوك) قال الحافظ فى الفتح واختلف فى واحدها فقيل عضة بفتح أوليه كشفة وشفاه والأصل عضهة فحذفت الهاء وقيل عضاهة * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة) هى المخرج من المال تقربا إلى الله تعالى (من مال) قال المصنف ذكروا فيه وجهين أحدهما أنه مبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصورى بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة وثانيهما أنه وان نقصت صورته لكن ثوابه المعد له فى الآخرة جابر لنقصه (وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا) فيه وجهان أيضا أحدهما أنه على ظاهره أن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزة وكرامة والثانى أن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) يجوز أن يكون فى الدنيا أى بأن يرفعه ويثبت له فى القلوب بتواضعه منزلة يرفعه بها الناس ويجلوا مكانه ويحتمل أن يكون ذلك فى الآخرة

رواه مسلم * وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة ،

فيثيبه الله فى الجنة بتواضعه فى الدنيا وقد يكون المراد فيهما جميعا اه ملخصا (رواه مسلم) فى البر والصلة من صحيحه ووقع فى الأطراف للمزى فى الأدب منه والذى رأيته فى الأصول من مسلم كما ذكرته (وعن أبى كبشة) بفتح الكاف وسكون الموحدة وبالشين المعجمة كنية (عمر) بضم ففتح (ابن سعد الأنمارى) بفتح الهمزة وسكون النون وبعد الألف راء نسبة إلى أنمار بطن من العرب وقد اختلف فى اسمه (رضى الله عنه) فقيل كما ذكره المصنف عمرو وقيل سعد بن عمرو وقيل (١) عمرو بن سعد سماه يحيى بن يونس وسعيد القرشى هكذا وقيل اسمه عمرو بن سعد قال ابن الأثير وهو الاشهر أخرجه أبو موسى بعد فى الشاميين روى له عن رسول الله ﷺ أحاديث ذكر منها المزى فى الاطراف أربعين وليس منها شىء فى الصحيح (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة) من الخصال أو خصال ثلاثة وجاز اتيان التاء فى عدد المؤنث لحذف المعدود (أقسم عليهن) تأكيداً لها فى الاذهان للسامعين ليزداد قبولهم لها ويشتد حرصهم على العمل بها وأكد ذلك بقوله (وأحدثكم حديثا) أى فى ذلك (فاحفظوه) والجملتان معترضتان لذلك وجعل العاقولى من باب التقديم والتأخير فقال أى أحدثكم فى معنى خصال من خصال الخير وأقسم على ثلاث خصال منها فقدم قوله ثلاث أقسم عليهن للاهتمام بها اه وما سلكته أولى لأن الاصل عدم التقديم والتأخير (ما نقص مال عبد من صدقة) أى بل البركة النازلة فيه أو الثواب المعد لباذله وذلك يجبر ما نقص منه حسا أو ما نقص ثوابه بل يضاعف يوم القيامة أضعافا كثيرة فى أمالى العز بن عبد السلام معنى الحديث أن ابن ادم لا يضيع له شىء وماله ينتفع به فى دنياه انتفع به فى عقباه، فان الانسان اذا كان له داران فحول ماله من احداهما إلى الاخرى لا يقال فى ذلك الحول أنه نقص من ماله وكان بعض السلف اذا رأى السائل يقول مرحبا بمن جاء يحول مال دنيانا

---

(١) كذا فى الأصول وفيه مع مابعده تكرار فليتأمل وبمراجعة أسد الغابة ظهر أن القول الرابع عمرو بن سعيد فلا تكرار. ع

ولا ظُلم عبد مظلمة فصبرَ عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ، أو كلمةً نحوها ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال إنما

إلى أخرانا ، قال هذا معنى الحديث وليس معناه أنه لاينقص فى الحس ولا أن الله يخلف عليه فان ذلك معنى مستأنف اه (ولا ظلم عبد مظلمة) بفتح الميم وكسر اللام اسم مصدر ظلم ظلما بالفتح من باب ضرب وفى فتح البارى فى كتاب المظالم المظلمة بكسر اللام على المشهور وحكى ابن قتيبة وابن التين والجوهرى فتحها وأنكره ابن القوطية ورأيت بخط مغلطاى ان الفراء حكى الضم قال فى المصابيح هى مايطلبه عند الظالم وهى ما أخذ منك وحذف الفاعل ليعم ظلم القوى والضعيف ونكر مظلمة فى سياق النفى ليعم الظلم فى النفس والمال والعرض وقوله (صبر عليها) أى حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشىء من الانتقام ، ويحتمل أن يعم ويدخل من ترك بعض حقه من الظلامة وانتصف فى البعض فيثاب فيما تركه احتسابا (الازاده الله) فى الدنيا وفى الآخرة أو فيهما (عزا) وذلك من باب قولهم كما تدين تدان ومن حديث «اعمل ما شئت فانك مجزى به» وفى تفسير سورة فصلت من صحيح البخارى قال ابن عباس « ادفع بالتى هى أحسن » الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم اه وهذا يؤيد ظهور أثر العفو فى الدنيا (ولافتح عبد باب مسئلة) لينال بذلك الغنى تكثراً من أموال الناس (إلا فتح الله عليه باب فقر) معاملة بنقيض قصده وفى هذه الاخيرة استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية فى الموضعين (أو) شك من الراوى أى قال فتح الله عليه باب فقر أو قال (كلمة نحوها) فى إفادة ذلك (وأحدثكم حديثا فاحفظوه) ظاهر أنه مزيد على الثلاث ولعله صلى الله عليه وسلم استطرد مما أقسم عليه من الخصال الى ذلك لمناسبة بينه وبين ما انتقل عنه إذ كل فيه ترغيب فى إنفاق المال فى التقريب إلى الله تعالى وتحذير من الحرص على جمع المال ويحتمل أن تكون هذه الجملة من كلام أبى كبشة لما حدثهم بما تقدم ذكر هذا الحديث بجامع ما ذكرناه فذكره وقال هذه الجملة قبله ليقبلوا عليه ويؤيد هذا قوله (قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (انما

الدنيا لأربعة نفرٍ ، عبدٌ رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ؛ وعبدٌ رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لى مالا لعملتُ بعملِ فلان فهو نيتُه فأجرهما سواء وعبدٌ رزقه الله مالا ولم يرزقه عِلْماً

الدنيا لأربعة نفر) بفتح أوليه هو لغة مابين الثلاثة إلى العشرة وهو هنا تمييز أربعة وجاز مع أن تمييزها لا يكون إلا جمعا كسبع ليال وثمانية أيام اعتباراً بالمعنى لانه كذلك للبعد (عبد) يجوز فيه وفى أمثاله من مفصل لمجمل استوفى العدة الجر على الابدال مما قبله بدل كل من كل بتقدير سبق العطف على الابدال والقطع بالرفع باضمار مبتدأ محذوف وجوباً ، وبالنصب باضمار نحو أعنى محذوف كذلك (رزقه الله مالا وعلما) فيه أن العلم من الرزق (فهو يتقى فيه ربه) أى لا يصرفه فى معصية بل يجتنب مالا يرضيه (ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا) سواء كان ذلك واجبا عينيا ـ من زكاة أو كفارة لمقتضاها أو نذر ، أو كفائيا ككفاية مضطر من جائع يسد جوعته وعار بكسوته ، أو مندوبا كالتقرب الى الله سبحانه بأنواع الطاعات المالية (فهذا بأفضل المنازل) من الجنة لأنه علم وعمل وأدى الواجب والمندوب واجتنب الحرام والمحظور وعلمه هداه الى الاخلاص فى ذلك وجعل معاملته فى ذلك مع الله سبحانه (وعبد رزقه الله علما) أى بالأحكام المتعلقة بالمال من حيث جمعه وانفاقه وما يتعلق بذلك ، ويحتمل أن يراد ما يعم علم ذلك وغيره ويؤيده التنكير إذ الاصل فيه التعميم (ولم يرزقه مالا فهو) لعلمه النافع له (صادق النية) أى القصد فى طلب ثواب الله فيعزم على العمل المالى لو قدر عليه ليثاب به (يقول) ناوياً لذلك (لو أن لى مالا لعملت) أى فيه (بعمل فلان) الجامع بين المال والعلم من طلب ما رضى الله به (فهو نيته) قال العاقولى مبتدأ وخبر أى فهو سنى النية وبها أجره ﴿ قلت ﴾ ويجوز أن يكون نيته مبتدأ وخبره محذوف أى ألحقته بمن قبله والجملة خبر هو ، يدل على ذلك قوله (فأجرهما سواء) أى من حيث النية وصحة القصد ويزيد ذلك بثواب نفقة المال التى زاد على صاحبه (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما) يعرف به وجوه التصرف المأذون فيها شرعا والممنوع منها كذلك

فهو يخبطُ فى ماله بغير علم لايتقى فيه ربَّهُ ولا يَصلُ فيه رَحمهُ ولاَ يَعْلَم لله فيه حقا ، فهذَا بأخبث المنازل وَعَبْد لم يرْزُقه اللهُ مالا وَلا علماً فهُو يقُولُ لو أنَّ لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهُوَ نيته فوزرهما سواء » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعن عائشة رضى الله عنهـا « أنهم ذبحوا شاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابقى منها ؟ قالت مابقى منها إلا كَتفها ، قال بقى كلُّهاغيرَ كتفِها »

(فهو يخبط) بكسر الموحدة (فى مال الله بغير علم) وقوله (لا يتقى فيه ربه) بترك اتلافه فى المحارم وبذله فى المآثم (ولا يصل فيه رحمه) وفى الاتيان بفى هنا وفيما قبله تجريد كقوله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » لأن المال نفس الصلة لا أنها فيه كما أنه صلى الله عليه وسلم نفس القدوة لا أنها فيه (ولا يعلم لله فيه حقا) لجهله به فلا يؤدى حق المال واجباً كان أو مندوبا لجهله وحرصه على جمعه واتلافه فى مستلذات نفسه (فهذا بأخبث المنازل) لما له من المآثم التى ارتكبها بماله الذى أتلفه مع جهله وعدم علمه (وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو) أى العبد الفاقد لهما لجهله (يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان) أى بصرفه فى الملابس الفاخرة واستماع الملاهى وأكل المستلذات المحرمة وغير ذلك (فهو نيته) اعرابه كما تقدم أى فيجد إثم نيته قصد الفساد (فوزرهما سواء) باعتبار العزم على المحرم وان زاد الفاعل بإثم الفعل (رواه الترمذى) فى أبواب الزهد من جامعه (وقال حديث حسن صحيح * وعن عائشة رضى الله عنها أنهم) أى ذوى عائشة أو أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم (ذبحوا شاة) أى فتصدقوا بها ما عدا كتفها (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) بعد أن عاد لمنزلها لداع دعا للسؤال عما بقى من لحمها وقد علم أنهم تصدقوا ببعضها (ما بقى منها) أى عندك (قالت ما بقى) أى عندنا (الا كتفها) بفتح الكاف وكسر الفوقية على الافصح أى أنفقنا الجميع وتصدقنا به ما عدا ذلك (قال بقى كلها) أى ثواب كلها لأنه تصدق به تقربا الى الله تعالى فهو يخلفه ويجزى عليه (غير كتفها) أى فانه يفنى بأكله ومثله لاثواب فيه إن لم يقارنه قصد صحيح وهذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها وأن لايستكثر المرء ما أنفقه فيها فانه وإن فنى صورة فهو باق حقيقة لصاحبه عند الله يرى ثوابه مضاعفا عند حاجته ومزيد فاقته ففيه أعظم تحريض عليها

رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، ومعناه تصدقوا بها إلا كتفها فقال بقيت لنا فى الآخرة إلا كتفها * وعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توكى فيوكى الله عليك » وفى رواية «أنفقى أو انفحى أوانضحى ولاتحصى فيُحصى عليك ولا تُوعِى فيوعى اللهُ عليك »

من كل مايأكله الانسان لان من استحضر أن مايأكله لا ثواب له فيه حيث لا غرض صحيح معه وأن مايتصدق به بقى له عند مولاه حمله ذلك على التصدق منه ولو بلقمة (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ومعناه) أى الحديث من حيث الجملة (تصدقوا بها الا كتفها ، فقال بقى كلها إلا كتفها) وذلك لأن مابقى منها يفنى بأكله وما تصدق به باقيا عند الله سبحانه (وعن أسماء) بسكون المهملة بعدها ميم وألف ممدودة (بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما) تقدمت ترجمتها فى باب بر الوالدين (قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توكى) قال فى النهاية أى لاتدخرى وتشدى ما عندك وتمنعى مافى يدك (فيوكى) بالنصب أى فيقطع (الله عليك) مادة الرزق ، والجزاء من جنس العمل وهذا مفهوم قوله تعالى «وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه» (وفى رواية) هى لمسلم فى الزكاة من صحيحه (أنفقى) (أو) شك من الراوى (انفحى أو انضحى) قال المصنف بكسر الضاد المعجمة والمعنى أعطى النضح ، والنفح العطاء ويطلق النضح على الصب فاعله المراد هنا ويكون أبلغ من النفح (ولا تحصى) أى تمسكى المال وتدخريه من غير انفاق ومنه (فيحصى) كذا هو فى نسخ الرياض بالمبنى للمجهول وفى الزكاة من البخارى ومسلم فيحصى الله (عليك) بذكر الفاعل ولعل حذفه من نسخ الرياض إن لم يكن من سبق القلم من المصنف من تحريف الكتاب أى يمسك عنك مادة الرزق والبركة فيه ويناقشك الحساب فى الموقف إذ أصل الاحصاء الاحاطة بالشىء جملة وتفصيلا وهذا فيه تلف أى تلف ، فيكون مطابقا لأعط كل ممسك تلفا ، ويستفاد منه أن الممسك يعاقب بتلف ماعنده وحبس مادة رزقه والبركة فيه ومناقشة الحساب وقد قال صلى الله عليه وسلم «من نوقش الحساب عذب» وهذا أبلغ وأليق بمقام التنفير والتغليظ (ولا توعى) أى تمنعى مافضل عنك عمن هو محتاج اليه (فيوعى) بالنصب (الله عليك)

متفق عليه ، و(انفحى) بالحاء المهملة وهو بمعنى أنفق وكذلك (انضحى) * وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو

أى يصيبك على أعمالك بالتشديد عليك فى الحساب ، أو يمنع عنك فضله وجوده وبهذا يعلم أن هذه بمعنى ماقبلها وأن القصد مزيد التأكيد والحث على الانفاق (متفق عليه) رواه مسلم بجملته وان اقتصر المصنف على عزو قوله وفى رواية اليه ، والبخارى روى عنها فى حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لاتوكى فيوكى عليك» وعند بعض رواته وقال «لاتحصى فيحصى الله عليك» وفى حديث آخر عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لاتوعى فيوعى الله عليك انضحى ما استطعت (وانفحى) بسكون النون وفتح الفاء وبالحاء المهملة وهو بمعنى انفق (وكذلك) أى كقول انفحى بمعنى انفق (انضحى) فانفحى المشار اليه مشبه به وانضحى مشبه قال فى شرح مسلم معنى انفحى وانضحى أعطى النفح والنضح العطاء * (وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل) بفتح أوليه أى صفة البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان بالموحدة أو النون كما قاله غير واحد وقول بعضهم انه لاشك ولا خلاف أنه بالنون رده بعض المحققين انه بالنون تصحيف قيل ومما يرجح النون أن الدرع لا يسمى جبة بالباء بل بالنون (من حديد) حكمة إيثاره الاعلام بأن القبض والشح من جبلة الانسان ولذا أضيف اليه فى « ومن يوق شح نفسه» وأن السخاوة من عطاء الله وتوفيقه يمنحها من شاء من عباده وإيثار الجنة على الغل لأنه يتأتى فيه الانقباض والانبساط المشار بهما الى مايأتى (من ثديهما) قال المصنف بضم الثاء المثلثة أى وكسر الدال وتشديد التحتية على الجمع كذا فى معظم نسخ مسلم جمع ثدى بوزن فلس وفيه رد على من قال إنه خاص بالمرأة ويقال فى مثله من الرجل « تندوة » بضم الفوقية والدال المهملة وسكون النون بينهما ومن فيه ابتدائية (الى تراقيهما) جمع ترقوة بضم الفوقية والقاف وسكون الراء وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين قال بعضهم ولا يكون لغير الانسان من باقى الحيوان (فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت) أى امتدت وكملت (أو) شك من

وَفَرَتْ على جلده حتى تُخفِيَ بنانَه وتعفوَ أثرَهُ ، وأما البخيل فلا يريد أنْ ينفق شيئا إلا لزقَت كلّ حلقةٍ مكانها فهو يُوَسِّعها فلا تتسع »

الراوى (وفرت) بتخفيف الفاء (على جلده حتى تخفى بنانه) مفاصل الاصبع بالموحدة ونونين من قاله بالمثلثة والتحتية والموحدة فقد صحف (وتعفو أثره) أى تغطى أثره حتى لا يبدو وتعفو منصوب عطفا على تخفى وكلاهما مسند الى ضمير الجنة أو الجبة وعفا يستعمل لازما ومتعديا تقول عفت الديار اذا درست وعفاها الريح اذا طمسها وهو فى الحديث متعد قال الحافظ فى الفتح والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطى الثوب الذى يجر على الارض أثر صاحبه اذا مشى بمرور الذيل عليه وسيأتى فيه مزيد (وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الالزقت) فى رواية لمسلم انقبضت وفى رواية لهما عضت (كل حلقة) بسكون اللام (مكانها) والمفاد واحد الا أن الأولى نظر فيها الى صورة الضيق والاخرى الى سببه (فهو يوسعها) أى يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه (فلا تتسع) وفى هذا وعد للمتصدق بالبركة وستر العورة والصيانة من البلاء فان جبة الحديد لا تعد للستر فقط بل له وللصون من الآفات وهذا كما ورد « إن الصدقة تدفع البلاء » وفى البخيل على الضد فهى معدة لهتك عورته وكونه هدفا لسهام البلاء والعياذ بالله تعالى كذا فى مصابيح الجامع قال الخطابى وغيره هذا مثل ضربه النبى صلى الله عليه وسلم للبخيل والمتصدق فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبها على رأسه ليلبسها والدرع أول ما يقع على الرأس الى الثديين الى أن يدخل الانسان يديه فى كميها فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه الى عنقه فكلما أراد لبسها اجتمعت فى عنقه فلزمت ترقوته وهو معنى قلصت أى تضامت واجتمعت والمراد أن الجواد اذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه ، وتوسعت فى الانفاق ، والبخيل اذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال المهلب المراد أن الله يستر المنفق فى الدارين بخلاف البخيل فانه يفضحه ومعنى يعفو أثره يمحو خطاياه وتعقبه عياض بأن الخبر جاء على التمثيل لا على الاخبار عن كائن وقيل هو تمثيل لنماء المال بالصدقة

متفق عليه (والجنة) الدرع ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجرّ وراءه وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته وعنه قالَ « قَالَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ تصدَّق بِعَدْل تمرة من كسب طيب ولاَيَقْبلُ اللهُ إلاَّ الطَّيب فانَّ الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فَلوَّهُ حتى تكون

والبخيل بضده اه (متفق عليه) واللفظ للبخارى فى كتاب الزكاة وهو عند مسلم بنحوه فيها من طرق (والجنة) فى النسخ بالنون وهو ماصوبه فى شرح مسلم وقال لوروده كذلك فى رواية بلا شك وتقدم تعقب بعض المحققين له فى ذلك (الدرع) بكسر الدال وبالراء والعين المهملات وهى الثوب المنسوج من الحديد وهى مؤنثة فى الأكثر (ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته) أى كما هو شأن الثوب الرافل هذا بيان لمعاد الضمائر باعتبار ظاهر اللفظ أما المعنى المراد فسكت عن بيانه هنا (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة) قال الحافظ فى الفتح أى بقيمتها لأنه بالفتح المثل وبالكسر الحمل بكسر المهملة هذا قول الجمهور وقال الفراء بالفتح المثل من غير جنسه وبالكسر من جنسه وقيل بالفتح مثله فى القيمة وبالكسر الشطر وأنكر البصريون هذه التفرقة وقال الكشاف هما بمعنى كما أن لفظ المثل لايختلف وضبط فى هذه الرواية الاكثر بالفتح والتمرة بالمثناة ولفظ مسلم ماتصدق أحد بصدقة (من كسب طيب) أى حلال خال عن الغش والخديعة وقوله (ولايقبل الله الا الطيب) جملة معترضة بين الشرط والجزاء لتقرير ماقبله وفى رواية سليمان ابن بلال الذى أشار اليها البخارى «ولايصعد الى الله الاالطيب» قال القرطبى وانما لم يقبل الله الصدقة بالحرام لانه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه والتصدق به تصرف فيه فلو قبل لزم أن يكون الشىء مأموراً ومنهيا من وجه واحد وهو محال (فان الله يقبلها بيمينه) وفى رواية لمسلم الا أخذها الله بيمينه وعند مسلم أيضا فى رواية « إلا أخذها الرحمن » قال الحافظ فى الفتح وفى رواية لمسلم فيقبضها وفى حديث عائشة عند البزار فتلقاه الرحمن بيده (ثم يربيها) فى مسلم فيربيها (كما يربى أحدكم فلوه) جاء فى رواية كما يربى أحدكم مهره، وفى أخرى عند البزار مهره أو وصيفه أو فصيله (حتى تكون) أى المتصدق به القليل بالتنمية

مثل الجبل » متفق عليه ، (الفلوّ) بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضاً بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر

(مثل الجبل) وفى رواية عند الترمذى « حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد » قال الحافظ والظاهر أن المراد بعظمها أن عينها تعظم لتثقل فى الميزان ويحتمل أن يكون ذلك معبراً به عن ثوابها ومثله فى كلام المصنف فى شرح مسلم نقلا عن عياض وسيأتى حكمة ضرب المثل بالفلو قال المازرى وهذا الحديث وشبهه انما عبر به على ما اعتادوا فى خطابهم ليفهموا عنه فكنى عن قبول الصدقة باليمين وعن تضعيف أجرها بالتربية وقال عياض لما كان الشىء الذى يرتضى يتلقى باليمين ويؤخذ ، استعمل فى مثل هذا واستعير اليمين للقبول ، وليس المراد به الجارحة ، وقيل عبر باليمين عن جهة القبول اذ الشمال بضده وقيل المراد يمين الدافع اليه الصدقة واضافتها الى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لوضع هذه الصدقة فى يمين الآخذ لله تعالى وقيل المراد سرعة القبول ، وقيل حسنة وقال الزين بن المنير الكناية عن الترضى والقبول بالتلقى باليمين لتثبيت المعانى المعقولة فى الأذهان وتحقيقها فى النفوس تحقيق المحسوسات أى لا تشكك فى القبول كما لا يتشكك من عاين التلقى للشىء باليمين لا ان التأول كالتناول المعهود ولا أن المتناول به جارحة وقال الترمذى فى جامعه قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة نؤمن بهذه الأحاديث ولا نتوهم فيها تشبيها ولا نقول كيف ؟ هكذا روى عن مالك وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم وأنكرت الجهمية هذه الروايات اه (متفق عليه) رواياه فى الزكاة من صحيحيهما واللفظ للبخارى (الفلو) فيه لغتان أفصحهما وأشهرهما (بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو) وثانيهما أشار اليه بقوله (ويقال بكسر الفاء واسكان اللام وتخفيف الواو وهو المهر) قال أبو زيد اذا فتحت الفاء شددت الواو واذا كسرتها سكنت اللام كجرى وقال فى شرح مسلم سمى به لأنه فلى عن أمه أى فصل وعزل ، وقال الحافظ وقيل هو كل فطيم من ذات حافر ، وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج الى التربية اذا كان فطيما واذا أحسن العناية به انتهى الى حد الكمال وكذا عمل ابن آدم لاسيما الصدقة فان العبد اذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله يكسبها الكمال حتى تنتهى بالتضعيف الى نصاب

(وعنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بينا رَجُلٌ يمشي بفلاةٍ من الأرْض إذ سَمِعَ صوتاً في سحابة إسق حديقة فلانٍ فتنحّى ذلك السّحابُ فأفْرَغَ ماءهُ في حَرَّةٍ فاذا شَرْجَةٌ منْ تلْكَ الشراج قد استَوْعبت ذلكَ المَاء كُلَّه ، فتتّبع المَاء فاذا رَجلٌ قائم في حديقتهِ

تقع المناسبة بينه وبين ماقدم نسبة مابين التمرة إلى الجبل * (وعنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما) ما مزيدة لـكف بين عن الاضافة فالجملة بعده مستأنفة (رجل بفلاة) هى الارض التى لاماء فيها وجمعها فلا مثل حصاة وحصى وجمع الجمع افلاء كسبب وأسباب كذا فى المصباح ويؤخذ منه أن قوله (من الارض) تصريح بما فهم مما قبله (فسمع صوتاً) لعله صوت الملك الموكل بالسحاب وهو الرعد (فى سحابة) واحدة السحاب سمى به لانسحابه فى الهواء وجمع السحاب سحب بضمتين (اسق حديقة فلان) لم أقف على من سماه والحديقة البستان يـكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة لأن الحائط أحدق بها أى أحاط ثم توسعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وان كان بغير حائط والجمع حوائط (فتنحى ذلك السحاب) أتى بما يشار به للبعيد مع أن المشار اليـه قريب إما تعظيما له فيـكون كقوله تعالى ذلك الـكتاب وإما لانه لما كان اللفظ عرضا لايوجد التالى له إلا بعد انعدام ماقبله صار ماقبل كالبعيد فيشار اليه بما يشار به اليه وهذا محتمل لـكون السحاب أوتى فهما فامتثل ما أمر ولأن يكون باقيا على جماديته ، وقوله اسق أمر تـكوينى وقوله فتنحى بيان لترتب أثر الامر الالهى عليه حالا من غير توان ولا تراخ قال تعالى « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» وعلى الثانى فيكون فى قوله (فافرغ) أى صب (ماءه) أى الذى فيه والاضافة لأدنى ملابسة (فى حرة) إسناده مجازى ان كان الفعل للمعلوم وفاعله ضمير يعود الى السحاب كما هو كذلك فى أصل مصحح وان كانت الرواية ببنائه للمجهول فلا (فاذا شرجة من تلك الشراج) أى مسيل من تلك المسايل (قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع) أى الرجل السامع الصوت (المـاء فاذا رجل قائم فى حديقته) الظرف خبر بعد خبر ويصح كونه حالا من ضمير الخبر فيـكون مستقراً ويجوز

يُحوِّلُ المَاءَ بِسَحَابَتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ فُلَانٌ ، لِلاِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَـذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ فَقَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . (الْحُرَّةُ)

أن يكون لغواً متعلقا بقائم (يحول الماء بسحابته فقال له ياعبدالله) ناداه بالوصف القائم حقيقة بكل انسان «ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً» (ما اسمك) أى العلم عليك ويحتمل أن يراد مطلق ما يعرف به من علم أو صفة أو غيره (قال فلان) خبر لمحذوف دل عليه ذكره فى السؤال وفلان كما تقدم كناية عن المبهم من الانسان (للاسم) فى محل الحال من فلان أى موافقا للاسم (الذى سمع) العائد محذوف أى سمعه (فى السحابة فقال) أى بعد بيان اسمه له (ياعبد الله ولم تسألنى) الواو عاطفة على مقدر أى أجبتك عن مسئلتك وأسألك (عن) سبب سؤالك عن (اسمى) واللام جارة لما الاستفهامية حذفت ألفها كقوله تعالى «عم يتساءلون» «وقوله بم يرجع المرسلون» فقال إنى سمعت صوتا فى السحاب أل فيه للعهد الذهنى بقرينة قوله (الذى هذا ماؤه) ويحتمل كونها للجنس (يقول) جملة فى محل الحال من الصوت على حذف مضاف أى ذا صوت قائلا (اسق) بوصل الهمزة فى الاصح ويجوز قطعها يقال سقاه وأسقاه بمعنى (حديقة فلان) وقوله (فما تصنع فيها) استفهام عن بياذ ما أنتج له من العناية الالهية حسن هذه الثمرة بالتخصيص (فقال أما) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف للتأكيد متضمن معنى الشرط (اذ قلت هذا) أى اخبرت بما سمعت مما دعاك للسؤال (فانى) أبين لك عملى الذى نتج عنه بفضل الله سبحانه ذلك وهو أنى (انظر الى ما يخرج منها) أى من الارض من حب أو ثمر (فأتصدق بثلثه) بضم أوليه فى الافصح ويجوز تسكين ثانيه تخفيفا زيادة فى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والا فالواجب فى شريعتنا فى النصاب من ذلك العشر تارة ونصفه أخرى (وآكل أنا وعيالى) أى أعولهم من أهل وولد وزوجة وخادم وغير ذلك (ثلثا وأرد فيها ثلثه) أى ثلث الخارج (رواه مسلم) فى صحيحه فى أبواب الزهد (الحرة) بفتح

الأرضُ الملبَّسةُ حجارةً سُوداً (والشَّرْجةُ) بفتح الشين المعجمةِ وإسكانِ الراءِ وبالجيم هيَ مسيل الماء

﴿ باب النهي عن البخل والشح ﴾

قالَ الله تعالى : « وأمّا منْ بخلَ واستغنى وكذَّبَ بالحسنَى فسنيسرُهُ للعسرَى وما يغنِي عنهُ مالهُ إذَا تردَّى » وقالَ تعالى : « وَمَنْ يُوقَ شحَّ نفسه

الحاء المهملة وتشديد الراء وبالتاء (الارض الملبسة حجارة سودا) أى التى علاها ذلك وغلب عليها فسكانها ليست وقال فى المصباح والجمع حرار ككلبة وكلاب (والشرجة بفتح الشين) المعجمة (واسكان الراء وبالجيم) وسكت المصنف عن التاء آخره قال فى المصباح وبعضهم يحذف فيقول شرج هى (مسيل الماء) وجمعها شرج ككلبة وكلاب

﴿ باب النهى عن البخل والشح ﴾

قال فى المصباح بخل بخلا أى بفتح أوليه وبخلا أى بضم فسكون من بابى تعب وقرب والاسم البخل وزان فلس والبخل فى الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده وفيه أيضا الشح البخل وفى شرح مسلم للمصنف قال جماعة الشح أشد البخل وأبلغ فى المنع منه ، فقيل هو البخل مع حرص وقيل البخل فى أفراد الأمور والشح عام ، وقيل البخل بالاموال خاصة والشح بالمال والمعروف وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده اه وأصله فى النهاية وزاد شح يشح شحا فهو شحيح والاسم الشح وترجمة المصنف تمشى على هذا فان الاصل فى العطف التغاير وعلى ما فى المصباح يكون من عطف الرديف اكتفاء بتغاير اللفظ كهو فى قوله تعالى « انما أشكو بثى وحزنى إلى الله » (قال الله تعالى وأما من بخل) أى بالانفاق فى الخيرات (واستغنى) أى بالدنيا عن العقبى (وكذب بالحسنى فسنيسره) فى الدنيا (للعسرى) للخلة المؤدية الى الشدة فى الآخرة وهى الاعمال السيئة ولهذا قالوا من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها (ومايغنى عنه ماله إذا تردى) أى هلك وسقط وتردى فى جهنم * (وقال تعالى ومن يوق شح نفسه) أى ومن سلم من الحرص الشديد الذى يحمله على ارتكاب المحارم

فأولئكَ هُمُ المفلحون » . وَأمَّا الأحادِيث فَتقدَّمتْ جملة مِنهـا فى الباب السابق * وعن جابر رضى الله عنه أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال « أتقوا الظلمَ فإن الظلم ظلمات يومَ القيامة ، واتقوا الشحَّ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »

بمنع أداء ما وجب عليه أداؤه وفى تفسير ابن عطية شح النفس فقر لا يذهبه غنى المال بل يزيده وينصب به وقال ابن زيد وابن جبير وجماعة من لم يأخذشيئا نهاه الله عنه ولم يمنع الزكاة المفروضة فقد برىء من شح النفس ، وقال ابن مسعود شح النفس أكل مال الناس بالباطل ، أما منع الانسان ماله فبخل وهو قبيح ولكن ليس بشح (فأولئك هم المفلحون) الفائزون ببغيتهم (وأما الاحاديث) أى النبوية (فتقدم جملة منها فى الباب السابق) كقوله وأن تمسكه شر لك ، وقوله وأعط كل ممسك تلفا ، ولا توكى فيوكى الله عليك ، وباقى أحاديث ذلك الباب تدل بمفهومها على ما عقد له هذا الباب لان الثناء على الكرم والامر به ذم بضده ونهى عنه * (وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم) أى اتخذوا لكم وقاية منه بالقسط والظلم التصرف فى حق الغير بغير طريق شرعى وقيل وضع الشىء فى غير موضعه (فان الظلم) أى فى الدنيا (ظلمات) بضم اللام وباسكانها تخفيفا وبالفتح (يوم القيامة) يحتمل كما تقدم أنه على حقيقته وظاهره أنه يصير ظلمة فى الآخرة ويحتمل كونها كناية عن شدائد ذلك اليوم وما يلقاه من الأهوال (واتقوا الشح) بالضم على الأفصح من لغات ثلاث فى أوله (فان الشح) أتى بالظاهر فيه وفيما قبله (١) تقبيحا وتنفيرا منه ونعا (٢) بقبحه بالنداء عليه بالاسم الدال على ذلك (أهلك من كان قبلكم) أى من بنى اسرائيل (حملهم على أن سفكوا) بفتح الفاء أى أراقوا (دماءهم) أى قتل بعضهم بعضا فهو كقوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم) قال المفسرون أى لا يقتل بعضكم بعضا (واستحلوا محارمهم) أى ما حرم عليهم من الشحوم فباعوه واحتالوا لولوج السمك إلى ما حفروه يوم السبت ليدخل فى حوزهم فيبيعوه بعد

---

(١) أى قوله فان الظلم (٢) كذا ، ولعله « ونعيا » . ع

رواه مسلم

﴿ باب الايثار والمواساة ﴾

قال الله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ » وقال تعالى : « ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إلى آخر

فيوقعهم فى ذلك الشح (رواه مسلم) وقد تقدم مع شرحه فى باب تحريم الظلم

﴿ باب الايثار ﴾

بكسر الهمزة وسكون التحتية بعدها مثلثة مصدر آثر يؤثر (والمواساة) مفاعلة من التواسى قال فى القاموس آساه يآله مواساة أناله منه وجعله فيه أسوة ولا يكون ذلك إلا من كفاف فان كان من فضلة فليس بمواساة اه وقال فى محل آخر منه واساه مواساة أى بالواو بدل الهمزة لغة رديئة اه (قال تعالى ويؤثرون) أى يقدمون يعنى الانصار والمهاجرون (على أنفسهم) فيما عندهم من الأموال (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة إلى ما عندهم ونزلت فى قصة الأنصارى الآتية أول الأحاديث (وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه) الأولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقا لقوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ولافيما بعده وهو لوجه الله غنية عن أن يكون التقدير على حب الله (مسكينا ويتيما وأسيرا) وان كان من أهل الشرك أمر صلى الله عليه وسلم باكرام الاسراء يوم بدر والمراد المسجونون من المسلمين « إنما نطعمكم لوجه الله » أى قائلين ذلك بلسان الحال أو المقال لتعريف الفقير أنها صدقة لانطلب جزاء وقوله لوجه أى اطعاما خالصا غير مشوب « لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » مصدر كالقعود والجملة حالية من فاعل نطعم « إنا نخاف من ربنا » جملة مستأنفة كالتعليل «يوما» أى عذابه فهو مفعول به «عبوسا» شديد العبوس مجازا أى عبوسا فيه أهله أو كالاسد العبوس فى الضرر والشدة «قمطريرا» شديد العبوس عن عكرمة وغيره يعبس الكافر حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقمطرير الطويل «فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة» بدل عبوس الكفار «وسرورا» بدل حزنهم «وجزاهم بما صبروا» بدل صبرهم على ترك الشهوات وأداء الواجبات «جنة وحريرا» يلبسونه وهذا مراد

الآيات » وعن أبى هريرة رضى اللهُ عنه قال « جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذى بعثكَ بالحق ماعندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلْنَ كلُّهن مثل ذلك لا والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، فقال من يُضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار

الشيخ رحمه الله بقوله (الآيات) فان فيها بيان مثوبة الايثار والمواساة فى الله سبحانه * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل) قال الشيخ زكريا فى تحفة القارى هو أبو هريرة وفى تفسير ابن عطية أنه مهاجرى ولم يسمه فلعله هو (الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود) أى أصابنى الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع (فأرسل إلى بعض نسائه) يحتمل بدؤه بها لتجويزه وجود شىء عندها مما يسد حاجة الرجل ، أو لقرب منزلها منه وتأخير الباقيات لبعد منزلهن بالنسبة إلى الأولى (فقالت) أى المرسل إليها منهن (والذى بعثك بالحق) أى محقا أو متلبسا به (ما عندى إلا ماء) ومرادها ما عندى من جنس ما يطعم شىء من الأشياء إلا الماء بقرينة السياق فالاستثناء مفرغ من أعم الأشياء (ثم أرسل إلى أخرى) أى منهن (فقالت مثل ذلك) هذا من باب الرواية بالمعنى والمشار إليه قول السابقة والذى بعثك الخ أى فقالت الثانية ذلك المقال وهكذا (حتى قلن كلهن) توكيد للضمير قبله لا فاعل للفعل قبله إلا على لغة « أكلونى البراغيث » (مثل ذلك) هومن باب الرواية بالمعنى ولذا فسره ببيان قول كل واحدة (لا) نافية لجملة بعدها أى لا أجد له ما طلبت وقولها (والذى بعثك بالحق ماعندى إلاماء) جملة قسمية لتأكيد الأمر وان ليس عندها مايطعمه ذلك الضيف سوى الماء (فقال من يضيف) بضم أوله (هذا) أى الرجل المجهود (الليلة) بالنصب على الظرفية (فقال رجل من الأنصار) زاد مسلم يقال له أبو طلحة وقيل هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل عبد الله بن رواحة ذكره السيوطى فى التوشيح وفى تفسير ابن عطية قال أبو هريرة فى كتاب مكى هذا الرجل هو أبو طلحة وقال المتوكل هو ثابت بن قيس وخلط المهدوى فى ذكر هذا الرجل

أنا يارسول الله فانطلق به إلى رَحْله فقالَ لامرأته أكرمي ضَيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفي رواية « قال لامرأته هَلْ عِندَكِ شَيء. قالتْ لاَ إلاَّ قُوتُ صبياني ، قالَ فعلليهمْ بشيء وإذا أرَادُوا العشاء فنوِّميهمْ وإذا دَخَلَ ضيفنا فأطفي السرَاجَ وأريه أنَّا نأكلُ ،

اه عزوه كونه أبا طلحة إلى ما ذكره مع أنه فى صحيح مسلم عجيب منه مع أنه من حفاظ الاسلام (أنا) يحتمل أن يكون مبتدأ حذف خبره لدلالة وجوده فى السؤال ، أى أنا أضيفه ويحتمل كونه فاعلا لمحذوف أى أضيف لحذف الفعل اكتفاء بدلالة وجوده فى السؤال عليه وانفصل الضمير (يا رسول الله فانطلق به إلى رحله) بفتح الراء وسكون المهملة أى منزله : قال فى المصباح رحل الشخص مأواه فى الحضر ، ثم أطلق على أمتعة المسافر لأنها هناك مأواه (فقال لامرأته) إن كان أبا طلحة فامرأته أم سليم (أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فانه نزل عليه صلى الله عليه وسلم ولم يكن فى بيوته ما يضيفه به ، وفيه أن كرامة الضيف كرامة مضيفه (وفى رواية) هى لمسلم (قال) فى مسلم فقال بفاء عاطفة على فانطلق فى قوله قبله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فانطلق به إلى رحله فقال (هل عندك شيء) وهذا فى هذه الرواية عوض قوله فى الرواية السابقة أكرمى الخ ولعله سألها أولا بما فى رواية مسلم فلما أخبرته بما عندها كما قال (قالت لا) بعدها جملة مقدرة لدلالة ما قبلها عليها أى لا شيء عندى وقولها (إلا قوت صبيانى) استثناء من ذلك المقدر قال لها أكرمى الخ (قال فعلليهم بشيء) محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين للأكل وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضر إذ لو كانوا بتلك الحال بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبا مقدما على الضيافة وقد أثنى الله عليه وعلى امرأته فدل على أنهما لم يتركا واجبا بل أحسنا وأجملا قاله المصنف « قالت » وحينئذ فيراد بقولها : قوت صبيانى أى ما يعتادون الاقتيات به على عادتهم من الولع بالطعام من غير حاجة حافة إليه فيكون فيه مجاز (وإذا أرادوا العشاء فنوميهم) وذلك لئلا يضيقوا الطعام على الضيف فلا يبلغ حاجته منه (وإذا دخل ضيفنا) أى منزلنا (فأطفئى السراج) بقطع همزة أطفئى (وأريه أنا نأكل) أى أظهرى له فهو كناية عن تداول أيديهما

فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » متفق عليه . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طعام الاثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الأربعة »

على الطعام وتحريك الفم والمضغ كفعل الأكل وليس ذلك من باب الشبع بما ليس للانسان ، بل هو من باب المروءة والايثار للضيف ليأنس ويأخذ حاجته (فقعدوا) أى الضيف وهما (وأكل الضيف وباتا طاويين) أى خاليين بطنهما جائعين لم يأكلا والجملة محتملة للعطف والحالية (فلما أصبح) أى دخل الصباح (غدا) أى جاء صباحا عارضا نفسه (على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) قال القاضى عياض المراد بالعجب من الله رضاه عن ذلك الشيء وقيل مجازاته عليه بالثواب، وقيل تعظيمه ذلك قال وقد يكون المراد عجبت ملائكة الله وأضافه اليه سبحانه وتعالى تشريفا (متفق عليه) واللفظ من قوله وفى رواية الخ لمسلم وللبخارى بنحوه أخرجه البخارى فى فضائل الانصار وفى التفسير وأخرجه مسلم فى أواخر الأطعمة ورواه الترمذى بنحوه فى التفسير من جامعه وقال حسن صحيح ورواه النسائى فى التفسير أيضا من سننه (وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الاثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الاربعة) قال المهلب المراد بهذا الحديث وما بعده الحض على المكارم والتقنع بالكفاية يعنى وليس المراد الحصر فى مقدار الكفاية وانما المراد المواساة وأنه ينبغى للاثنين ادخال ثالث لطعامهما وادخال رابع أيضا بحسب من يحضر ووقع عند الطبرانى ما يرشد الى العلة فى ذلك ، وأوله « كلوا جميعا ولاتفرقوا فان طعام الواحد يكفى الاثنين » الحديث ، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع وان الجمع كلما زادت البركة وقال ابن المنذر يؤخذ من الحديث استحباب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده . وفيه أيضا الاشارة الى أن المواساة اذا حصلت حصل معها البركة فتعم الحاضرين ، وفيه أيضا أنه ينبغى للمرء ألا يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه فان القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى سد الرمق وإقامة البنية

متفق عليه ، وفى رواية لمسلم عن جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال « طعامُ الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعةَ وطعام الأربعة يكفى الثمانية » * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال « بينما نحنُ فى سفر مع النبىّ صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ على راحلة لهُ فجعل يصرف بصرهُ يميناً وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان معه فضلُ ظَهْرٍ فليعُدْ به على من لا ظهر له ،

لاحقيقة الشبع اه ملخصا . وفى أمالى العز بن عبد السلام قوله طعام الاثنين الخ هو خبر بمعنى الأمر أى اطعموا طعام الاثنين بين الثلاثة أو أنه للتنبيه على أن طعامهما يقوت الثلاثة وأخبر بذلك ليذهب الجزع قال والأول أرجح لأن الثانى معلوم (متفق عليه) ورواه الترمذى أيضا من حديث أبى هريرة ورواه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى من حديث جابر مرفوعا بلفظ طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة وطعام الأربعة يكفى الثمانية كذا فى الجامع الصغير (وفى رواية لمسلم) ورواها أيضا أحمد والترمذى والنسائى (عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية) لايقال يؤخذ منه أن طعام الواحد يكفى الثمانية باسقاط المكرر فينتج ما ذكر من الشكل لفقد شرط انتاجه من كلية الكبرى * (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم) يجوز أن يكون الظرفان خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون أحدهما خبرا والثانى حالا (إذ جاء رجل على راحلة) هى المركب من الابل ذكراً كان أو أنثى وبعضهم يقول هى الناقة التى تصلح أن ترحل والظرف فى محل الصفة للفاعل وقوله (له) فى محل الصفة للراحلة (فجعل) من أفعال الشروع (يصرف) أى يحول (بصره يمينا وشمالا) ينظر من يجود عليه بما يسدخلته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر) أى مركوب فاضل عن حاجته فهو من اضافة الصفة للموصوف (فليعد) أى يتصدق (به على) المحتاج اليه (من لا ظهر) أى مركوب (له) كافيا لحاجته بذلا لما فضل عن الحاجة فى مرضاة الله

ومنْ كان له فضلٌ من زاد فليعُدْ به على من لا زاد له ، فذكر منْ أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد منا فى فضل » رواه مسلم * وعن سهل بن سعد رضى الله عنه : « أن امرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ببُرْدَةٍ منسوجة فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها ، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم

فيبقى له بعد أن كان فانيا (ومن كان معه فضل) أى فاضل عن حاجته (من زاد) فى المصباح زاد المسافر هو الطعام المعد لسفره (فليعد به على من لا زاد له فذكر من أصناف المال ما ذكر) جمع صنف قال ابن فارس : هو فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شىء وقال الجوهرى : الصنف هو النوع والضرب وهو بكسر الصاد وفتحها لغة حكاه ابن السكيت وجماعة وجمع المكسور أصناف كحمل وأحمال والمفتوح صنوف كفلس وفلوس قاله فى المصباح أى ذكر أنواع المال وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة من كل للمحتاج اليه من باب المواساة ، وهذا الحديث كحديث « إنك يا ابن آدم ان تبذل الفضل من مالك خير لك وأن تمسكه شر لك » وقد تقدم قريبا (حتى) غاية لمقدر أى أمر بالعود بما فضل عن الحاجة للمحتاج الى أن (رأينا) من الرأى أو بمعنى العلم (أنه لا حق لأحد منا) أى معشر بنى آدم أو معشر الصحابة المخاطبين بذلك وحكم غيرهم من باقى الأمة حكمهم (فى فضل) أى فى فاضل عن حاجته الحافة (رواه مسلم * وعن سهل بن سعد) الانصارى الساعدى (رضى الله عنه أن امرأة) قال الحافظ فى الفتح لم أقف على اسمها (جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة) قال فى النهاية البرد نوع من الثياب معروف الجمع أبراد وبرود والبردة الشملة المخططة وقيل هى كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الاعراب وجمعها برد اه وقد روى البخارى فى باب حسن الخلق والسخاء من كتاب الأدب من صحيحه تفسير البرد عن سهل ولفظه وقال سهل للقوم أتدرون ما البرد فقال هى شملة فقال سهل هى شملة منسوجة فيها حاشيتها اه وهذا أولى ماقيل فيه لأنه بيان الراوى المشاهد للقصة (منسوجة) صفة بردة (فقالت نسجتها بيدى لأكسوكها فأخذها النبي ﷺ) جبراً لخاطرها بتلقى هديتها بالقبول

محتاجاً إليها ؛ فخرج إلينا وإنها ازاره ، فقال فلان اكسنيها ما أحسنها ! ! فقال نعم فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى المجلس ثم رجع فطواها ثمَّ أرسل بها اليه ، فقال لهُ القومُ ما أحسنتَ لبسها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجاً اليها ثم سألتهُ وعلمتَ أنهُ لا يردُّ

ففيه استحباب المبادرة لأخذ الهدية لجبر خاطر مهديها وانها وقعت منه موقعا وقوله (محتاجا اليها) حال من الفاعل وكأنهم عرفوا ذلك بقرينة الحال أو بتصريح سابق منه بذلك ومع ذلك فليس الباعث على أخذها الحاجة بل التشريع بما ذكرنا (فخرج الينا وانها إزاره) بكسر الهمزة وجمعه أزر وهو ما يلبس فى أسفل البدن لستر العورة والجملة حال من ضمير خرج (فقال فلان) هو كما أفاد المحب الطبرى فى الاحكام له عبد الرحمن بن عوف وعزاه للطبرانى فقال الحافظ لم أره فى المعجم الكبير لا فى مسند سهل ولا فى مسند ابن عوف ونقل ابن النحوى عليه المحب فى شرح العمدة وكذا قال لنا شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمى انه وقف عليه لكن لم يستحضر مكانه ووقع لشيخنا ابن النحوى فى شرح التنبيه انه سهل بن سعد وهو غلط كأنه تلبس عليه الراوى . نعم أخرج الطبرانى الحديث المذكور من طريق قتيبة بن سعيد عن سهل بن سعد وقال فى آخره قال قتيبة هو سعد بن أبى وقاص اه وقد أخرجه البخارى فى اللباس والنسائى فى الزينة عن قتيبة ولم يذكر اعنه ذلك وجاء من طريق زمعة بن صالح أن السائل المذكور كان أعرابيا قال الحافظ فلو لم يكن زمعة ضعيفا لانتفى أن يكون هو عبد الرحمن أو سعد ويقال تعددت القصة (اكسنيها ما أحسنها) بنصب النون وما تعجبية (فقال نعم) هذا وعده بأن يكسوه (فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى المجلس) الذى وقع فيه السؤال (ثم رجع) الى منزله (فطواها ثم أرسل بها اليه فقال له القوم) ووقع فى تفسير المعاتب له من الصحابة انه سهل الراوى ه قال سهل فقلت للرجل لم سألته وقد رأيت حاجته اليه قال رأيت ما رأيتم ولكنى أردت أن أخبأها حتى أكفن فيها » (ما أحسنت) ما نافية (لبسها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها) جملة استئنافية تعليل لنفى الاحسان عنه (ثم سألته وعلمت) جملة حالية بتقدير قد أى وقد علمت (انه لا يرد) قال فى الفتح فى كتاب الجنائز كذا وقع هنا بحذف المفعول وثبت فى رواية ابن ماجه بلفظ

سائلاً ! فقال إنّى والله ماسألتهُ لألبسها إنما سألته لتكون كفنى ؛ قال سهل فكانت كفنهُ » رواه البخاوى * وعن أبى موسى رَضى اللهُ عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الاشعريين (اذا ارملوا) فى الغزو أو قلّ طعامُ عيالهمْ بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهمْ فى ثوب واحد ثمّ اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسويةِ فهم منى وأنا منهم »

« لا يرد سائلا » ونحوه وفى رواية يعقوب فى البيوع وفى ابن غسان فى الأدب « لا يسأل صلى الله عليه وسلم شيئاً فيمنعه » اه ويستفاد منه أن (سائلا) الذى أورده المصنف هنا انما هو لابن ماجه ولعله من تغيير الكتاب أو أنه التبس على المصنف لورود معناه به عند البخارى فى البيوع فتوهمه فرواه والله أعلم (فقال إنى والله ماسألته لألبسها انما سألته لتكون كفنى) فى رواية أبى داود « فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى صلى الله عليه وسلم » (قال سهل فكانت كفنه رواه البخارى) فى الجنائز من صحيحه بهذا اللفظ ورواه ابن ماجه فى اللباس من سننه وفى الحديث التبرك بآثار الصالحين وجواز اعداد الشىء قبل الحاجة اليه لكن لا يندب عند الشافعية أعداد الكفن لنفسه لئلا يحاسب على ادخاره كما يحاسب على اكتسابه لا أن يقطع بحله أو يكون من اثر ذى صلاح وفيه حسن خلق النبى ﷺ وسعة جوده وقبول الهدية (وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الاشعريين) نسبة للاشعر وهو ثبت بن أدد بن يشحب بن يعرب بن قحطان (اذا أرملوا أى فنى أزوادهم وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة كما فى (ذا مترية) (فى الغزو) أى الخروج لقتال العدو (أو) يحتمل أن تكون للشك من الراوى أقال ما تقدم أوقال (إذ قل طعامهم فى المدينة) أى محل إقامتهم ويحتمل أن تكون للتنويع أى إنهم يفعلون ذلك فى السفر والحضر ولفظ البخارى أوقل طعام عيالهم (جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية) على قدر الحاجة (فهم منى) قريبون خلقا وهديا (وأنا منهم) قال المصنف هذا معناه المبالغة فى اتحاد طريقتهما واتفاقهما فى طاعة الله تعالى وقال الحافظ فى الفتح معناه هم متصلون بى وتسمى من هذه الاتصالية قال شيخ زكريا ومنه لا انا من الدو

متفق عليه (أرملوا) فرغ زادهم أو قاربَ الفراغ

﴿ باب التنافس فى أمور الآخرة ﴾

والاستكثار مما يتبرَّكُ به قال الله تعالى « وفى ذلك فَلْيتنافس المتنافِسون » .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتى بشراب فشرب منه

ولا الدومنى ، وقيل المراد فعلهم فعلى (متفق عليه) أخرجه البخارى فى الشركة ومسلم فى الفضائل ورواه النسائى فى السير قال المصنف فى الحديث فضيلة الاشعريين وفضيلة الايثار والمواساة وفضيلة خلط الازواد فى السفر وفضيلة جمعها فى شىء عند قلتها ثم قسمها وليس المراد من القسمة هنا المعروفة فى كتب الفقه بشروطها ومنعها فى الربويات واشتراط المساواة وغيرها بل المراد إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود (أرملوا فرغ زادهم) هو ما اقتصر عليه فى شرح مسلم (أو قارب الفراغ) وكان الاول بيان موضوع اللفظ لغة والثانى بيان المراد هنا لأن القسمة انما تكون فى الموجود لا فى الذاهب رأسا والله أعلم

﴿ باب التنافس فى أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به ﴾

أى طلب ذلك لما جاء فيه وفى النهاية التنافس من المنافسة وهى الرغبة فى الشىء أو الانفراد به وهو من الشىء النفيس الجيد فى نوعه اه والاستكثار طلب الكثرة وقوله مما يتبرك متعلق به والتبرك بالشىء لأسباب كأن كان فيه أثر صالح أو ظهر فيه آية أو كان قريب عهد بتكوين من الله سبحانه (قال تعالى وفى ذلك فليتنافس) فليرتقب (١) (المتنافسون) المرتقبون وقال ابن عطية التنافس فى الشىء المغالاة فيه وان يتبعه كل واحد نفسه فكأن نفسهما تتباريان فيه وقيل هو من قولك شىء نفيس فكأن هذا يعظمه ثم يعظمه الآخر ويستبقان إليه (وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بشراب) وهو كما فى المصباح ما يشرب من المائعات وكان ذلك كما قال الحافظ فى بيت ميمونة أم المؤمنين (فشرب منه) فيه استحباب شرب البعض إذا كان ثمة غيره

---

(١) لعله فليرغب الراغبون كما فى الجلالين . ع

وعنْ يمينه غلامٌ وعن يساره الأشياخ فقال للغلام أتأذنُ أنْ أُعطِيَ هؤلاء ؟ فقال الغلام والله يارسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحداً ، فتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى يده » متفق عليه ، (تله) بالتاء المثناة فوق أى وضعه ،

(وعن يمينه غلام) هو كما سيأتى فى الأصل عبد الله بن عباس وقيل هو الفضل أخوه حكاه ابن بطال قال الحافظ والصواب الأول (وعن يساره الأشياخ) جمع شيخ من شاخ فى السن إذا طعن فيها وذلك من الخمسين سنة فقوق ، ويطلق الشيخ لغة على من مهر فى العلوم وان لم يكن فى السن كذلك فيقال للغلام ويصلح كما قال الحافظ أن يعد من جملة الأشياخ خالد قال وقد روى ابن أبى حازم عن أبيه فى حديث سهل بن سعد ذكر أبى بكر الصديق فيمن كان على يساره صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عبد البر وخطأه (فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء) جاء فى رواية الترمذى عن ابن عباس « فقال لى الشربة لك فان شئت آثرت بها خالداً » الحديث قال الحافظ قال ابن الجوزى وإنما استأذن بالغلام دون الأعرابى المذكور فى حديث أنس «من شربه صلى الله عليه وسلم للبن وعن يمينه أعرابى وعن يساره أبو بكر» الحديث لأن الأعرابى لم يكن له علم بالشريعة فاستألفه بترك استئذانه بخلاف الغلام (فقال الغلام والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحداً) أكد بالقسم وتوسيط ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة إيماء إلى أن العلة فى عدم الايثار ليس كونه شراباً فان الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم إنما هو لحلول أثر بركته عليه لكونه سؤره وفضله وذلك يفزع إليه أرباب الافهام ويتنافس فيه أولو الأحلام فلذا عبر بقوله بنصيبى منك أى من أثر بركتك وفيضك أحدا ، والتنكير فيه للتعميم ليعم القريب والبعيد والمشرف والشريف وفيه مزيد نباهة ابن عباس وجودة فكره إذ نظر إلى الأشياء فى مكانتها ولذا قال بقوله عمر عند استجلاء أفكاره فيما يدلهم عليه من الأمور «غص يا غواص (فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده متفق عليه) رواه البخارى بهذا اللفظ فى كتاب المظالم والغصب وفى كتاب الشرب وزاد بعد أحد قوله يا رسول الله وقال بدل قوله فتله فأعطاه إياه فى يده ورواه مسلم فى الأشربة وأخرجه النسائى فى الأشربة من سننه (تله بالتاء المثناة فوق) أى وتشديد اللام (أى وضعه) فى تحفة القارى أى وضعه

وهذا الغلام هو ابن عباس رضى الله عنهما * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بينا أيوبُ عليه السلام يغتسلُ عرْياناً خرَّ عليه جراد من ذهب ، فجعلَ أيوبُ يحثى فى ثوبه فناداه ربّهُ عز وجل : يا أيوب

بقوة وفى النهاية قيل التل الصب فاستعير للالقاء يقال تل يتل إذا صب ، وتل يتل إذا سقط ، الأول بالضم والثانى بالكسر فى المضارع (وهذا الغلام) كما حكاه الحافظ عن ابن التين وجاء كذلك فى رواية الترمذى من حديث ابن عباس نفسه (هو ابن عباس) أى عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) فان هذا علم عليه بالغلبة كابن عمر وابن مسعود على عبد الله * (وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينما أيوب عليه السلام) قال العراقى فى شرح التقريب يقال هو أيوب بن رزاح بن روم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم (يغتسل عريانا) فيه جواز الاغتسال عريانا فى الخلوة مع امكان التستر وهو مذهب الجمهور (خر) بالخاء المعجمة أى سقط (عليه جراد من ذهب) هذا ظاهر فى سقوطه عليه من علو وهو إكرام من الله تعالى له وهو معجزة فى حقه وهل كان جراداً حقيقة ذا روح الا أن جسمه من ذهب أو كان على شكل الجراد ولاروح فيه ؟ الاظهر الثانى قال الجوهرى (١) وليس المراد ذكر الجراد وانما هو اسم جنس كبقر وبقرة فحق مذكره أن لا يكون من لفظه لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع (فجعل) شرع (أيوب يحثى فى ثوبه) استكثاراً من البركة لكونه قريب عهد بتكوين من الله سبحانه (فناداه ربه عز وجل) لايخفى مافى التعبير من الرب المؤذن بالتربية والايصال الى الكمال فى هذا المقام وهذا النداء الله أعلم أنه كان بواسطة الملك لان المخصوص بالسماع من حضرة الحق سبحانه من الانبياء والمرسلين نبينا وموسى صلى الله عليه وسلم ثم رأيت العراقى أشار الى ما ذكرته وزاد احتمال كونه

---

(١) عبارة الجوهرى : والجراد معروف الواحد جرادة يقع على الذكر والانثى وليس الجراد بذكر للجرادة وانما هو اسم جنس كالبقر والبقرة والتمر والتمرة والحمام والحمامة الخ فحق مذكره ألا يكون مؤنثه من لفظه لئلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع اهـ ع

ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال بلى وعزتك ، ولكن لاغنى لى عن بركتك» رواه البخارى

﴿ باب فضل الغنى الشاكر ﴾

وهو من أخذ المال من وجهه

إلهاماً قال ويجوز كونه كفاحاً كما وقع لموسى وفيه نقد ولعل وجهه ماذكرناوقوله (ألم أكن أغنيتك عما ترى) محكى لقول مقدر أو للنداء لما فيه من معنى القول والقول محتمل لان يراد منه غنى القلب أو غنى المال وفيه على الثانى أن أيوب كان غنيا شاكراً ولا ينافيه قوله تعالى « إنا وجدناه صابرا » لان المراد صبره على البلاء أو على الفقر معه والذى يظهر ان الله تعالى جمع لأيوب مقامى الصبر على الفقر والشكر على الغنى باعتبار حالتيه فكان فى نفس البلاء فقيراً صابراً وقبله وبعده غنيا شاكراً ولذا قال تعالى « إنا وجدناه صابراً » ثم قال « نعم العبد » ففيه الايماء الى أنه غنى شاكر كما قال فى حق سليمان « نعم العبد إنه أواب » مع أنه كان غنياشاكراً (قال بلى) واستدرك من مفهوم ذلك قوله (ولكن لاغنى لى عن بركتك) أى أغنيتنى عنه من سائر الجهات من حيث إنه مال وأنا لا آخذه كذلك شرها وحرصا ولكن لكونه بركة وفيها وجوه فقيل لانه قريب عهد بتكوين من الله تعالى كما حسر نبينا صلى الله عليه وسلم عن جلده حين نزل عليه المطر وقال انه حديث عهد بربه أى بتكوينه وقيل لانه نعمة جديدة خارقة للعادة فينبغى تلقيها بالقبول ففى ذلك منه شكر لها وتعظيم لشأنها وفى الاعراض عنها كفر بها وقريب منه حديث « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه » وقيل إن هذا آية ومعجزة وكل مانشأ عنها فهو بركة ومن ذلك قول الصحابة كنا نعد الآيات بركة وقيل غير ذلك (رواه البخارى) فى كتاب الانبياء من صحيحه

﴿ باب فضل الغنى الشاكر ﴾

أى ماجاء فى ذلك والشاكر هو القائم بما أمر الله تعالى به فى المال فعلا وتركا كما قال المصنف (وهو من أخذ المال من وجهه) أى طريقه المأذون بأخذه منه شرعا كالمعاوضة المستجمعة لشروط الصحة السالمة من غش وخديعة وكالارث

وصرفه فى وجوهه المأمور بهـا « قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسّرُه لليسرى » وقال تعـالى « وسيجنّبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، ومالأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يَرْضى »

والوصية والاكتسابات المأذون فيها من احتطاب ونحوه (وصرفه) الاولى وانفاقه لقوله (فى وجوهه) أى طرقه (المأمور بها شرعاً واجبا عينياً كاداء الزكوات والكفارات والنذور ، أو كفائياً كالقيام بحاجة المحتاج من طعام وكسوة أو مندوبا كالتطوعات (قال الله تعالى فأما من أعطى) أى أنفق ماله لوجـه الله (واتقى) محارمه (وصدق بالحسنى) المجازاة وأيقن أن الله سيخلفه عليه أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد (فسنيسره) نهيئه فى الدنيا (لليسرى) للخلة التى توصله الى اليسرى والزلفى فى الدار الآخرة يعنى الاعمال الصالحة والآية بعدها فى ضد ذلك تقدمت مع الكلام على ما يتعلق بها فى باب النهى عن البخل (وقال تعالى وسيجنبها) أى النار (الاتقى) أى الذى اتقى الشرك والمعصية فلا يدخلها اصلا أما من اتقى الشرك فقط فيمكن أن يدخلها لكن لا يصلاها ولا يلزمها (الذى يؤتى ماله) يعطيه وينفقه فى طاعة الله (يتزكى) أى يطلب تزكية نفسه وماله ، فصلة الذى بدل أو حال فلا محـل له على الاول (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتيانه مجازاتها (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى لكن يؤتى طلباً لمرضاة الله سبحانه والجمهور على نصب ابتغاء وانه على الاستثناء المنقطع وإلا بمعنى لكن كما تقرر فهو فى الحقيقة مفعول له قاله الهمدانى ونظر ابن عطية فى كون الاستثناء منقطعا وجعـل الكواشى الاستثناء المنقطع والمفعولية له وجهين متقابلين محمول على المعنى والتقدير لم يعط الشىء إلا ابتغاء وجهه سبحانه والابتغاء الطلب أى إلا لطلب التوجه الى ربه الاعلى (ولسوف يرضى) من ربه حين يدخله فى رحمته وعن كثير من السلف أن هذه السورة فى الصديق وهو الاتقى فيكون الحصر ادعائياً لا حقيقياً كان غير هذا الاتقى غير مجتنب بالكلية كذا فى تفسير السيد معين الدين الصفوى وفى تفسير ابن عطيـة لم يختلف أهـل التأويل أن المراد بالاتقى الى آخر السورة أبو بكر ثم هى تتناول كل من دخـل فى هـذه الصفات وقال ابن كثير فى تفسيره قد ذكر غير واحد من المفسرين أن

وقال تعالى « إن تُبدُوا الصدَقات فنعمّاهى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفرّ عنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير » وقال تعالى « لن

هذه الآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع عن المفسرين على ذلك ولا شك أنه داخل فيها وأولى الناس بعمومها وأن لفظها لفظ العموم وهو قوله « وسيجنبها الاتقى » الخ ولكنه مقدم الامة وسابقهم فى جميع هذه الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جواد ابذالا لامواله فى طاعة مولاه ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم وفى تفسير الكواشى والمراد بالاتقى أبو بكر الصديق قالوا باجماع المفسرين وما ذكره ابن عطية وابن كثير من أن الآية تشمل من دخل فى تلك الصفات تعقبه الحافظ السيوطى فى الاتقان فقال بعد أن مهد قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « تنبيه » قد علمت أن فرض المسئلة فى لفظ عموم ، أما آية نزلت فى معين ولا عموم فى لفظها فانها تقصر عليه قطعا كقوله تعالى « وسيجنبها الأتقى » الخ فأنها نزلت فى الصديق اجماعا وقد استدل بها الفخر الرازى مع قوله « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » على أنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهم من ظن أن الآية عامة فى كل من عمل عملها اجراء له على القاعدة وهذا غلط فان هذه الآية ليس فيها صيغة عموم إذ أل إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة فى جمع ، زاد قوم أو مفرد بشرط أن لا يكون هناك عهد واللام فى الأتقى ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعا والأتقى ليس جمعا بل مفرد والعهد موجود خصوصا ما يفيد صيغة أفعل من التميز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعيين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضى الله عنه اهـ (وقال تعالى ان تبدو الصدقات فنعما هى) أى إن أظهرتموها فنعم شيئا إبداؤها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) أى تعطوها مع اخفاء (فهو) أى اخفاؤها (خير لكم) والآية عامة فى كل صدقة لكن عن ابن عباس السر فى التطوع أفضل من العلانية يقال بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم) أى الله أو الاخفاء ففيه اسناد مجازى ، ومن قرأ مجزوما فهو عطف على محل جواب الشرط (من سيآتكم من للتبعيض أو لبيان الجنس أى شيئا هو السيئات (والله بما تعملون خبير) ترغيب فى الأخفاء (وقال تعالى لن

تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » والآيات في فضل الانفاق في الطاعات كثيرة معلومة * وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هَلَكتِه في الحقّ ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » متفق عليه وتقدم شرحه قريباً * وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

تنالوا البر) الجنة أو التقوى أو كمال الخير (حتى تنفقوا مما تحبون) أي بعضه والمراد منه اداء الزكاة أو صدقة السنة ويدل على الثاني أن كثيرا من الصحابة تصدقوا باراضيهم واعتقوا جواريهم حين أنزلت والمعنى لن تنالوا البر حتى تنفقوا وأنتم أصحاء أشحاء (وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم) فيجازي بحسبه (والآيات) الكائنة أو كائنة (في فضل الانفاق في الطاعات هي ماتقرب بها إلى المولى (كثيرة معلومة) وفيما ذكر كفاية لمن القى السمع وهو شهيد (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد) أي لاغبطة محمودة (الا في اثنتين) من الخصال أو في ذي اثنتين منها فعلى الاول بتقدير مضاف نحو خصلة قبل قوله رجل وهو في الاصول مرفوع خبر محذوف أي هما خصلتان رجل ورجل فحذف المضاف وأقيم رجل مقامه فارتفع (رجل آتاه) أي أعطاه (الله مالا)أي بطريق لاتبعة فيه كما يومىء إليه إسناد الاعطاء الى الله سبحانه والا فالتصدق بالسحت لاغبطة فيه (فسلطه على هلكته) أي اتلاف عينه بابقائه عند الله بانفاقه لوجهه ومرضاته(في الحق) متعلق بالمصدر قبله (ورجل آتاه الله حكمة) أي علما ويجوز أن يراد بها القرآن لورود كل منهما في رواية ويجوز أن يراد بها السنة والاول أقرب فهو يقضي بها أي عند التحاكم اليه ويعلمها ففيه أن شكر المال انفاقه في وجوه الطاعات ابتغاء مرضات الله تعالى وان شكر العلم العمل به وتعليمه (متفق عليه وتقدم شرحه) أي تبيان المراد من قوله لا حسد (قريباً) نصبه على أنه صفة مصدر أي تقدما قريبا أو على الظرفية أي في مكان قريب من الكتاب وهو باب فضل الكرم والجود (وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » متفق عليه (الآناء) السَّاعَاتُ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه : « أنَّ فقراء المهاجرين أتوْا إلى رَسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بالدَّرَجاتِ العُلاَ والنعيم المقيم ،

قال لا حسد) أى لا ينبغى أن يحسد أى يغبط (إلا فى اثنتين) ثوابهما بحسن التصرف من فاعلهما (رجل آتاه الله القرآن) قدم هنا على المال من باب التدلى من الشريف الى المشروف وعكس فى الحديث قبله من باب الترقى أو لأن ذلك سيق للحض على الاشتغال بالقرآن فقدم فى كل ما سيق له الحديث ، وذكر الآخر بالتبع . أو أن ذلك على وجه التفنن فى التعبير ، وعبر هنا بالقرآن الذى هو منبع العلوم ومعدنها وأصلها ومكمنها قال تعالى « مافرطنا فى الكتاب من شىء » وقال تعالى « والكتاب المبين » أى لكل شىء محتاج إليه كما يؤذن به حذف المعمول لأنه الأصل وتم بالحكمة مرادا بها العلم الشرعى على قول لعموم حاجة الناس فى معاشهم ومعادهم اليه (فهو يقوم به) أى فى صلاته (آناء الليل وآناء النهار) منصوب على الظرفية وأعاد المضاف دفعا لتوهم أن المراد آناء مجموعها لا كل على الانفراد و يحتمل أن يراد من القيام المداومة على تلاوته لابخصوص كونه فى صلاة (ورجل آتاه الله مالا) التنكير فيه للتعظيم كما يدل عليه قوله (فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) ويحتمل أن يكون للشيوع فيشمل الجليل منه والحقير قال تعالى « لينفق ذوسعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها » (متفق عليه) تقدم ذكر من خرجه من حديث ابن عمر فى باب فضل الكرم المذكور (الآناء) بالفتح ومد الهمزة قبل النون (الساعات) جمع واحده إنى بالكسر والقصر وآناء بالمد والفتح و إنى بوزن قنو وأنو بوزن دلو ذكرها الواحدى فى تفسيره (وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن) بالفتح و يجوز كسر الهمزة بتقدير قول قبلها (فقراء المهاجرين) من إضافة الصفة لموصوفها أى المهاجرين الفقراء (قالوا) على وجه الغبطة والتأسف على عدم تمكنهم من ذلك (يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات) الباء فيه للتعدية وفيها معنى المصاحبة (العلا) أى الرفيعة قال ابن عطية فى التفسير الدرجات العلى هى القرب من الله تعالى (والنعيم المقيم) وهو نعيم الجنة

فقال وما ذلك ؟ فقالوا يصلون كما نُصلى ويصومُون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدقُ ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلّمكم شيئاً تُدْركون به من سبقكمْ وتسبقون به من بعدكمْ ، ولايكونُ أحدٌ أفضلَ منكمْ إلا من صنع مثلَ ما صنعتم ؟ قالوا بلى يارسول الله قال تسبحون وتكبرُون وتحمدون دُبر كل صلاةٍ

الذى لاينقضى أبدا (فقال وما ذاك) استفهام عن الذى لأجله قيل فيهم إنهم فازوا بذلك دنيا وعقبي ولم يتركوا منه للفقراء شيئا كما يومى اليه السياق وأتى باسم الاشارة الموضوع للبعيد فيه مع قربه لفخامة شأنه كقوله تعالى « تلك آيات الكتاب المبين » بناء على أن المشار اليه هو الحروف المقطعة أول السور (فقالوا يصلون كما نصلى) لفظ ما كافة مهيئة للدخول على الجملة الفعلية وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة أو مصدرية أى مثل صلاتنا أوموصولة أى مثل الذى نصليه (ويصومون كما نصوم) أى هم فى العبادات البدنية مماثلون لنا مساوون فيها وزائدون علينا بالعبادات المالية المدلول عليها بقولهم (ويتصدقون ولانتصدق) كذا فى النسخ باظهار الفوقية وتخفيف المهملة الأولى فيها (ويعتقون) بفتح التحتية وكسر الفوقية فيهما (ولانعتق)أى فهم يرجحون علينا بذلك ، إذ لامال لنا نصل به الى مثل ذلك (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أعلمكم) أى أتركم تعابا من ذلك فلا أعلمكم (شيئا) أى عظيما بقرينة وصفه بقوله (تدركون به من سبقكم) أى الى المنازل العلى أومن سبقكم من مؤمنى الامم (وتسبقون) بكسر الموحدة (به من بعدكم) أى فى الرتبة أى دونكم أو فى الزمن (ولايكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم) الاستثناء فيه منقطع أى لكن من صنع مثل ماصنعتم فلا تسبقونه ولايفضل عليه أحد كالايفضل عليكم (قالوا بلى يارسول الله) أى تعليم ذلك مرادنا لنلحق به من سبق ونجوز به على من بعد فضل السبق وفى قولهم يارسول الله تحريض على الاعلام أى ان الله رحم بك العباد وتعليم ذلك منها نجد به (قال تسبحون وتكبرون) بتضعيف الفعلين اعتبارا بتكرير الفعل (وتحمدون) بفتح الفوقية والميم (دبر) أى خلف (كل صلاة) أى من

ثلاثاً وثلاثين مرة ؛ فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم فقالوا سمع إخواننا أهلُ الأموال بما فعلنا ففعلوا مثلهُ فقال رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم : ذلك فضلُ اللهِ يؤتيه منْ يشاءُ » متفق عليه وهـذا لفظ رواية مسلم (الدثورُ)

المكتوبات كما جاء كذلك فى رواية ، ودبر ظرف تتازعه الافعال قبله وكذا تنازعت (ثلاثا وثلاثين) وهو منصوب على المفعولية المطلقة للعامل فيه منها (فرجع) العطف على محذوف دل عليه السياق أى فذهب فقراء المهاجرين بما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعملوا فعلمه الأغنياء فعملوا به وشاركوهم فيه كغيره من العبادات البدنية فرجع (فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) إذ فاتهم ما استأثروا به عن الأغنياء ليلحقوهم فى فضل عملهم المالى بمشاركتهم فيه (فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال) هذا تفسير منهم للدثور المذكور عنهم أول الحديث (بما فعلنا) أى مما ذكرت ومافيه من عظيم الفضل (ففعلوا مثله) فساووا نافيه وزادوا عليه بالعمل المالى فرجع الأمر بالآخرة الى ما اشتكوا منه أولا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله) أى ثوابه (يؤتيه) أى يعطيه (من يشاء من فقير وغنى والمشار اليه يحتمل أن يكون السبق الى المنازل العلى المذكور أول الخبر أى أنالهم الله ذلك وقصره عليهم فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم ، ويحتمل أن يكون الثواب المرتب على هذا المذكور أنه فضل الله إن شاء خص به الفقراء أفلا يلزم من اتيان الاغنياء به مساواة الفقراء فيه أى فلا عليكم من مشاركتهم فى ذلك صورة والاول قال به من مال الى تفضيل الغنى الشاكر والثانى قال به من قال بتفضيل الفقير الصابر (متفق عليه) رواه البخارى فى الدعوات ومسلم (وهذا لفظ رواية مسلم) فى كتاب الصلاة وليس فى رواية البخارى وصف الدرجات بالعلا وفيها أن كلا من التكبير والتسبيح والتحميد عشرا عشرا وليس عنده من قوله فرجع فقراء المهاجرين الى الآخر وسبق فى باب بيان طرق الخيرات أن حديث أبى ذر عند مسلم بنحو حديث الباب وأن كلا من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر صدقة وفيه زيادة على مافى حديث الباب ونقص عنه (الدثور) بضم المهملة والمثلثة

الأموال الكثيرة والله أعلم

(الأموال الكثيرة) كما فى النهاية وبه يعلم ما فى اقتصار الكازرونى شارح الأربعين على قوله الدثر المال ولم يقيده بالكثير . وفى باب بيان طرق الخيرات الدثور واحدها دثر ، فأفاد ثمة بيان مفرده وهنا بيان معناه ، وفى النهاية الدثور جمع دثر أى كفلس يقع على الواحد والاثنين والجمع اه

(تم بحمد الله تعالى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله باب ذكر الموت)

﴿ فهرست الجزء الرابع من دليل الفالحين ﴾

ص

٢ ﴿باب الخوف﴾
٦ حديث خلق العبد وكتابه رزقه وأجله الخ
٧ تفسير السعادة والشقاوة
٩ أحاديث فى صفة جهنم وعذابها
١٢ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ـ الحديث
١٤ سليم بن عامر (رح)
١٤ دنو الشمس من الرؤس واختلاف الناس فى العرق
١٧ حديث (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه) وفيه (فاتقوا النار ولو بشق تمرة)
١٩ أبو برزة الاسلمى رضى الله عنه وحديث لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه الخ
٢٠ حديث فى تفسير يومئذ تحدث أخبارها
٢١ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ـ الحديث
٢٣ حديث « من خاف أدلج »
٢٤ حشر الناس حفاة عراة غرلا
٢٥ ﴿باب الرجاء﴾

ص

٢٩ الحديث القدسى « من جاء بالحسنة الخ » وفيه ومن تقرب منى شبراً الخ وتفسير الحديث فى الشرح
٣٢ حديث « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله » الخ
٣٣ حديث غزوة تبوك لما أصابت الناس مجاعة وفيه معجزة عظيمة للنبى صلى الله عليه وسلم
٣٦ عتبان بن مالك (رض) وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته
٤١ أحاديث فى سعة رحمة الله تعالى
٤١ كيفية تأويل ما لا تسوغ نسبته الى الله تعالى
٤٥ الحديث القدسى (أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفرلى الخ)
٤٧ سعة مغفرته تعالى
٤٩ ارضاء الله تعالى لنبيه فى أمته
٥١ حق الله على عباده وحق العباد على الله
٥٢ تفسير « يثبت الله الذين آمنوا »
٥٢ حسنات المؤمن والكافر
٥٦ ما تغفر به الذنوب

ص

٥٦ فكاك المسلم باليهودى والنصرانى
٦١ عمرو بن عنبسه (رض) وقصة ذهابه الى النبي (ص) ودخوله فى الاسلام وهى قصة جميلة وفيها تعاليم الاسلام الأولى وكيفية الوضوء والاوقات التى تحرم فيها الصلاة ومعنى طلوع الشمس وغروبها بين قرنى الشيطان
٧٣ حديث (اذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها الخ)
٧٥ ﴿ باب فضل الرجاء ﴾
٧٧ حسن الظن بالله عند الموت
٧٨ الحديث القدسى يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى الخ
٨٠ ﴿ باب الجمع بين الخوف والرجاء ﴾ وفيه بيان أوقاتهما وآيات وأحاديث جامعة
٨٣ ﴿ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا اليه ﴾
٨٤ بكاء النبي ص عند سماع القرآن
٨٥ بحث فى شهادة الرسول على أمته وفى سماع القرآن
٨٧ حديث لايلج النار رجل بكى الخ
٨٨ عبد الله بن الشخير رضى الله عنه وسماعه أزيز جوف النبي ص

ص

فى الصلاة
٩٠ حديث بكاء أبى بن كعب رضى الله عنه
٩١ زيارة أبى بكر وعمر « رض » لأم أيمن « رض » وبكاؤهم للذكرى
٩٢ حديث « مروا أبا بكر فليصل بالناس » الخ
٩٣ ابراهيم بن عبد الرحمن (رح) وأبوه عبد الرحمن بن عوف (رض) وبكاؤه للذكرى
٩٤ مبحث من صلى خلفهم النبي ﷺ
٩٦ ليس شىء أحب الى الله من قطرتين وأثرين ـ الحديث
٩٧ ﴿ باب فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر ﴾ وفيه آيات بالغات فى بيان حال الدنيا
١٠٣ عمرو بن عوف (رض) وحديث قدوم أبى عبيدة (رض) بمال من البحرين وهو حديث عظيم يعد من المعجزات النبوية الباهرة
١٠٩ يتبع الميت ثلاث ـ الحديث « يؤتى بأنعم أهل الدنيا الحديث
١١١ المستورد بن شداد (رض) وحديث ماالدنيا فى الآخرة الخ
١١٢ حديث (أن رسول الله صلى الله

ص

عليه وسلم مر بالسوق الخ) وفيه البيان بضرب الامثلة الحسية

١١٥ حديث أبي ذر (رض) كنت أمشي مع النبي (ص) الخ وهو حديث عظيم يحتوى على الزهد وفيه بشرى عظيمة لمن مات على الاسلام وفيه سماع أبي ذر لصوت جبريل

١٢٠ الحث على أن ينظر المرء إلى من هو أسفل منه فى المال والخلق

١٢٣ حديث تعس عبد الدينار الخ

١٢٤ حديث الدنيا سجن المؤمن الخ

١٢٦ حديث (كن فى الدنيا كانك غريب) الخ

١٢٩ حديث ازهد فى الدنيا يحبك الله الخ

١٣٢ أحاديث فيما تركه النبي (ص) عند وفاته

١٣٢ البركة العظيمة التى تحصل فى الطعام إكراما للنبي (ص)

١٣٣ عمرو بن الحارث أخو جويرية أم المؤمنين (رض)

١٣٥ مصعب بن عمير (رض)

١٣٧ الدنيا لا تعدل جناح بعوضة

١٣٨ حديث ألا إن الدنيا ملعونة الخ

ص

١٣٩ كعب بن عياض (رض)

١٤٠ ترجمه عثمان بن عفان (رض)

١٤١ حديث « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال الخ »

١٤٤ حديث « يقول ابن آدم مالى مالى الخ »

١٤٦ حديث « قال رجل يارسول الله والله إنى لأحبك الخ

١٤٨ حديث « ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم الخ »

١٤٩ الحديث الذى فيه « مالى وللدنيا الخ »

١٥٠ أحاديث فى فضل الفقر

١٥٤ ترجمة لبيد بن ربيعة الشاعر وحديث « أصدق كلمة الخ »

١٥٦ ﴿ باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات ﴾

١٥٦ الايات الشريفة فى ذلك

١٥٩ أحاديث فى زهد النبي (ص) وبساطة طعامه واقتداء أصحابه به

١٧٣ خالد بن عمير (رح) وعتبة بن غزوان (رض) وخطبته العظيمة

ص

١٨٣ حديث أبي هريرة فى توزيعه اللبن فى أهل الصفة وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم

١٩١ محمد بن سيرين (رح)

١٩٢ الجمع بين حديث « توفى رسول الله (ص) ودرعه مرهونة وحديث (نفس المؤمن معلقة بدينه)

١٩٨ عيادة النبي (ص) لسعد بن عبادة (رض)

٢٠٠ حديث « خيركم قرنى الخ »

٢٠٢ عبيد الله بن محصن (رض)

٢٠٣ أحاديث فى بذل الفضل والكفاف والقناعة وتبشير الفقراء

« فضالة بن عبيد » (رض)

٢٠٥ الخصاصة والصحابة (رض)

٢٠٧ ماملأ آدمى وعاء شراً من بطنه

٢٠٨ إياس بن ثعلبة (رض)

٢١٠ قصة أبي عبيدة (رض) وأصحابه وسفرهم

٢١٧ أسماء بنت يزيد (رض)

٢١٨ حديث جابر (رض) فى حفر الخندق وفيه معجزة عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم

٢٣٧ حديث أنس وفيه معجزة كالسابقة

٢٣٩ ﴿ باب القناعة والعفاف والاقتصاد

ص

فى المعيشة والانفاق وذم السؤال من غير ضرورة ﴾

٢٤١ أحاديث فى العفاف والقناعة

٢٤٧ أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى (رح) ﴾

٢٤٩ عمرو بن تغلب (رض)

٢٥٣ معاوية بن أبي سفيان (رض)

٢٥٣ أحاديث فى ذم السؤال

٢٥٤ عوف بن مالك (رض)

٢٥٩ قبيصة بن المخارق (رض)

٢٦٠ المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة

٢٦٤ ﴿ باب جواز الأخذ من غير مسألة ولاتطلع إليه ﴾

٢٦٦ ﴿ باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للاعطاء ﴾

٢٦٩ ﴿ باب الكرم والجود والانفاق فى وجوه الخير ثقة بالله تعالى ﴾

٢٧٠ لاحسد إلا فى اثنتين الخ

٢٧٧ تأليف النبي صلى الله عليه وسلم لقلوب الناس وثمرة ذلك

٢٨١ مانقصت صدقة من مال الخ وهو حديث عظيم

٢٨٢ أبو كبشة الأنمارى (رض) وحديث (ثلاثة أقسم عليهن الخ)

ص

وهو حديث عظيم

٢٨٧ مثل البخيل والمنفق الخ

٢٩٣ ﴿باب النهى عن البخل والشح﴾

٢٩٥ ﴿باب الايثار والمواساة﴾

٢٩٨ طعام الاثنين كافى الثلاثة الخ

٣٠٢ فضيلة جمع الناس أزوادهم فى ثوب واحد عند قلتها ثم قسمتها

٣٠٣ ﴿باب التنافس فى أمور الآخرة

ص

والاستكثار مما يتبرك به﴾

٣٠٥ بينا أيوب عليه السلام يغتسل الخ

٣٠٦ ﴿باب فضل الغنى الشاكر

٣٠٩ لاحسد إلا فى اثنتين الخ

٣١٠ حديث ذهب أهل الدثور بالأجور وفى آخره ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء

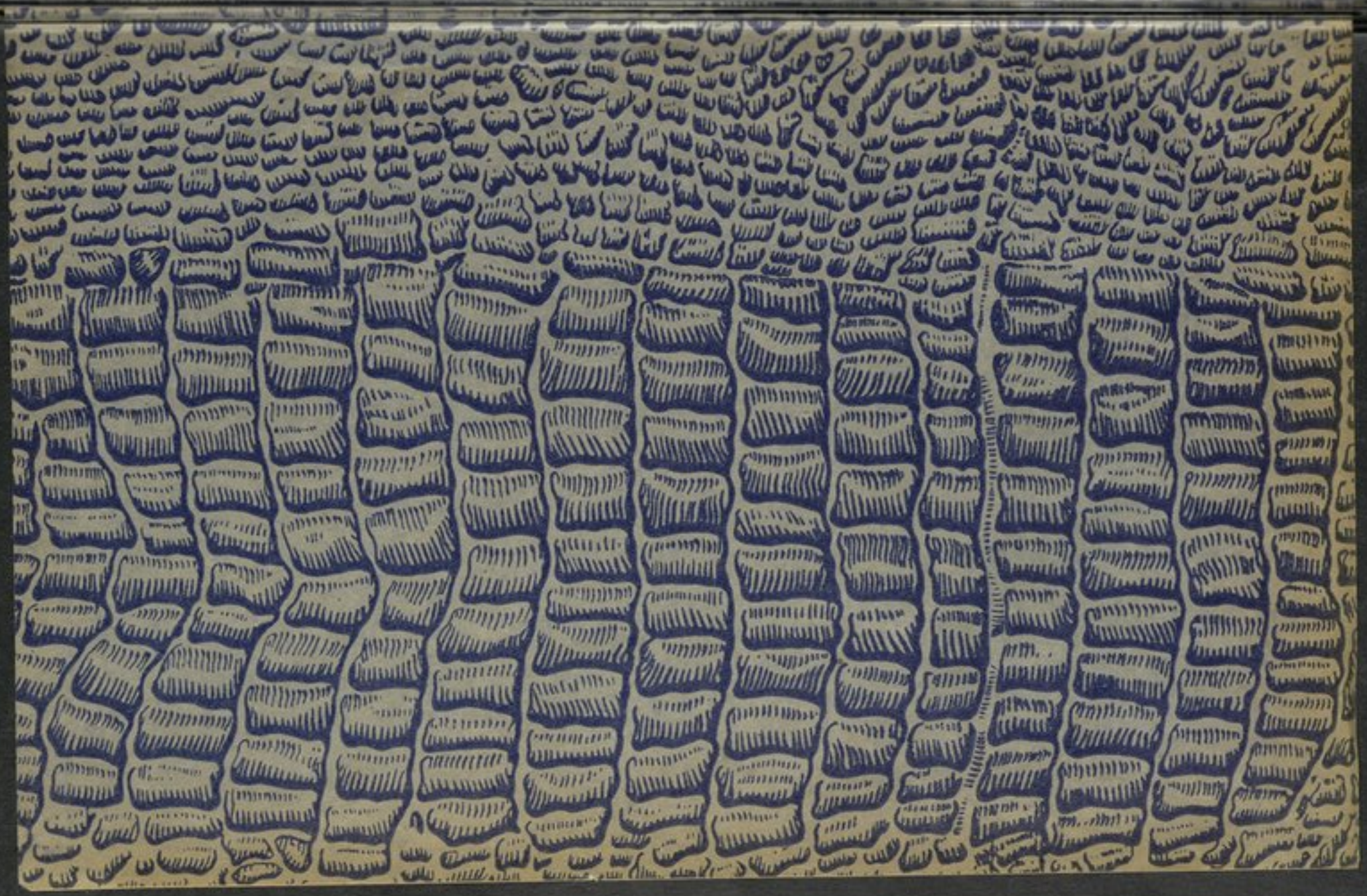

الفقي، محمد حامد
دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002470



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.08
N32r LA
v.3-4